۱۳۸۶/۸/۱۹
وقف مرحوم استاد زین الدین جعفرزاده به کتابخانه آستان قدس رضوی
آستان قدس
وقف مرحوم استاد زین الدین جعفرزاده به کتابخانه آستان قدس رضوی

کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی

شرح -۵- جلد پنجم ناقص

نام کتاب شرح نهج البلاغه (در ۳ مجلد)

مؤلف متن علی بن ابی طالب امام اوّل محشی

شارح کمال الدّین میثم بن علی بن میثم بحرانی (۶۹۹-۰)

مترجم

بیست و یکم رجب المرجب هجری

تاریخ تحریر ۱۱۲۱ نوع خط نسخ تعداد سطر ۲۷

جزء کتب اخبار زبان عربی عدد اوراق ۳۸۹

طول ۲۴ عرض ۱۸ شماره عمومی ۲۵۸۸۷

وقفی / خریداری — تاریخ — وقف / خریداری

ملاحظات کاتب: عبدالله بن عبد محمد جزایری

آغاز: سبحانک اللهم وبحمدک، تو حرت فی ذاتک فحسر عن ادراک

انجام: ج ۳ - قوله واما قوله عالم الغیب فان الله تع عالم بما (ناقص الآخر)

اندازه نوشته ها: ۱۸×۱۲

...م الله الرحمن الرحيم

شرح نهج البلاغة — عربی

موضوع: حدیث و اخبار

مؤلف: مولی المعظم کمال الدین میثم بن علی بن میثم بحرانی متوفای ۱۶۹۰ هجری

آغاز: سبحانک اللهم وبحمدک توحدت فی ذلک فحسر عن ادراکک انسان کل عارف

انجام: واما قوله علیه السلام بعالم الغیب فان الله تعالی عالم بما غاب

زبان: عربی

اندازه: (۲۷) ۱۸×۲۴

کاتب: مولی عبدالله بن عبد محمد جزایری

تاریخ: بیست ویکم رجب المرجب ۱۱۲۱ هجری

خط: نسخ — کاغذ: اصفهانی — جلد: چرمی

این کتاب از روی نسخه مصححه کتابخانه فقیه جلیل و عالم نبیل حسام الدین حسن بن عزالدین علی بن عذافر استنساخ شده

نفس حقیقه بلا ملاحظه تحقق و تحقق [illegible] دیگر تحقیق کلی منطقی است

وارد است که ماهیه متحققه عنه التحلیل و التعقل که عبارة از تحقق است کلی عقلی است کلی شش قسم است یا ممتنع الوجود

یا واجب الوجود یا ممکن المعدوم قسم سیم یا موجود نیست در خارج یا هست مع الامکان یا موجود فارد واحد است

یا متعدد است مع الامکان افراد منشأ است ما لا یعد یا لا یتناهی است داخله در افراد است ممتنع چون شریک الباری

واجب الله تعالی ممکن غیر موجود چون الف یا قوت بحر زیبق و موجود واحد چون شمس و متعدد متناهی مثل کواکب

سبعه سیاره [illegible] غیر متناهی مثل نفوس ناطقه و متعدد [illegible] مثل حیوانات و لفقیر فانی فی الله [illegible]

الحمد لله [illegible] ولله الطلب [illegible]

في ۹۲۲ شعبان [illegible] في صفر [illegible]

و الله [illegible] القدر [illegible]

علامه [illegible]

بسم الله الرحمن الرحیم

کهیعص

ذکر رحمة ربک عبده زکریا

إذ نادی ربه نداء خفیا

شب جمعه [illegible] محرم الحرام ۱۳۰۴ طلبت للعافیة واجابة الدعوة والیمن والبرکة والتوفیق لسفر الحج [illegible]

واجعل لی وجها طلقا وعافنی بکرمک یا کریم یا رحیم

هذه [illegible] المحرم [illegible] و[illegible] الثالثة لیلة الجمعة [illegible] ۱۳۰۴ [illegible]

[illegible] والسلام فی الدنیا والدین [illegible] الحج [illegible] الاجابة [illegible]

[illegible] سلطان [illegible] در جهان [illegible] تو برو [illegible] در ضامن [illegible] از [illegible]

[illegible]

[illegible]

هو المالك

دخل في ملكي من عواري الزمان
في بلدة الساري و انا الراجي فضل
ربه الباقي محمد بن ابي الفضل في
سنه ١١٤٧

الا انه البيد على محمد الدار الحمد عنه الله الحي

در صد و سی ١٣٠٣ تمام دار این بلد الف
غره شهر رجب این کتاب مشکات بطابه
حقیر رسید بنده دارد جنب بحض
طالب بلد بهدت بعدم دارد بمطالب
العبد احمد بن محمد
الکیوسزی
رزاق ثار رزال

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ونو
سبحانك اللهم وبحمدك توحدت في ذاتك فحسر عن ادراكك انسان كل عارف وتفردت في صفاتك ف
كل واصف ظهرت في بدايع جودك فشهدت بوجوب وجودك حاجة كل قائل وبهرت بعز جلالك فكل في نور
احاط علمك فلم يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وتعددت الاؤك فتعددت انواعها حد التحديد وا
الدنيا مضمارا يستعد فيه خلقك للسباق الى حضرت قدسك وايدهم بالرسل ليسلكوا بهم افضل السبل الى بساط ا
كلا لما خلق له فبعض لنعمائك منكرون وعن عبادتك مستكبرون وبعض بضروب احسانك معترفون وعلى
معتكفون سبحانك انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون سبحانك عما يقول الظالمون وتعاليت عما يصفون
الحال والمقال بالعشي والابكار واحمدك على كل حال اناء الليل واطراف النهار واشهد ان لا اله الا انت حاذقا
الاعتبار مخلصا لجلالك وجهه في طوري الاعلان والاسرار واشهد ان محمدا [illegible] المختار وصفوة انبيائك الا
الساطعة وايدته بالبراهين والحجج القاطعة وجعلته للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا اليك باذنك وسراجا منيرا
دايمة نامية وافية كافية ما تعاقبت الاوقات ودامت الارض والسموات وعلى آله الطاهرين المنتجبين ينابيع الحكمة اسا
الدين وعلى اصحابه الاكرمين وسلم عليهم اجمعين اما بعد فلما كان المقصود الاول من بعثة الانبياء والرسل بالكتب الا
والنواميس الشرعية انما جذب الخلق الى الواحد الحق ومعالجة نفوسهم من داء الجهل وعشق هذه الدار والنهي الى حظائر القدس و
الابرار وحمايتها ان ترد موارد الهلاك اذ كانت من ذلك على خطر وتشويقها الى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على ق
وتنبيهها من مراقد الطبيعة ونوم الغافلين بتذكيرها ما اخذ عليها من العهد القديم الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ثم ما يلزم ذلك المقصود من تدبير احوال المعاش البدني وساير اسبا
البقاء للنوع الانساني وكان امامنا سيد الوصيين وامير المومنين ذو الآيات الباهرة والانوار الظاهرة علي بن ابي طالب ع
ورد عنه من الكلام وصدر عنه من الافعال والاحكام قاصدا لجميع ما تضمنه الشرع الكريم من الاغراض والمقاصد باسطا لما اشتمل عل
الحكيم من القوانين والقواعد حتى لن يوجد له كلمة في غير هذا السبيل كما سنبين ذلك عن قليل ونوضحه بالتفصيل فلا جرم كان كلامه ا
الذي عليه مسحة من الكلام الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي ولم يزل كلامه عليه السلام مبددا في صدور الرواة منتشرا في ايدي الم
والغواة تحاول اعداؤه ان يخفى مشهوره ويابى الله الا ان يتم نوره الى ان عضد الله الاسلام بوجود السيد الامام الشريف الرضي محمد بن
الحسين الموسوي قدس الله سره ونور ضريحه فاحيا من كلام جده الرفات وجمع منه ما كان في حيز الشتات وبالغ في تدوين محا
بقدر الاستطاعة وسماه بنهج البلاغة فجاء الاسم وفق المسمى واللفظ طبق المعنى فجزاه الله عن العلماء خير الجزاء وحباه من
الفضل اجزل الحباء ثم اني لما كنت عبدا من عباد الله اتاني رحمة من عنده وملكني قوة اسلك بها سبيل قصده وكنت قد جعلت
هذا الكتاب بعد كتاب الله وكلام رسوله مصباحا استضيء به في الظلمات وسلما اعرج به الى اطباق السموات كنت في اثنا

وقوف على شيء من اسراره والكتحال بسواطع انواره اتاسف على من يعرض عنه جهلا واتلهف لواجد له اهلا الى ان
قضت صروف الزمن بمفارقة الاهل والوطن واوجبت تقلبات الايام دخول دار السلام فوجدتها نزهة للناظر
واية للحكيم القادر بان بها احوال تدبيرها والقاء مقاليد امورها الى من خصه الله تعالى باشرف الكمالات الانسانية وملكه
ملكات الفضائل النفسانية فهو امرء مثلت طبيعته من طينة الفضل حين ينتسب فالعلم والجود والسخا عزه والفقه والعدل
منه يكتسب نعم هو من رسخه الله لاستكفاء امور عباده وبلاده وجعلها مطاوعة لازمة قياده فاوامره الصادعة
تسري فيها مسرى الارواح في الاجسام واراؤه الصائبة تجري فيها مجرى الصحة بعد السقام الذي حاز على المناقب ففاز
باسنى المطالب [illegible] وسما بهمه الثواقب فابين غوائل العواقب الذي بدرت اقمار العلوم بدولته السعيدة بعد الافول
في غيابة الجهالة وسطع صبح الحق بطلعته الحميدة من افق الضلالة ودفع ذيول ظلام الظلم فجر عدله وازهرت روض
الرغائب بفيض سحائب فضله المشيد لاركان الاسلام بعد التداعي للانهدام المجدد من اثار الايمان ما محاه طوفان الطغيان
صاحب ديوان الممالك السالك الى الله اوضح المسالك علاء الحق والدين عطا ملك بن الصاحب المعظم والمولى المكرم الفائز بلقاء
رب العالمين ومجاورة الملائكة [illegible] بهاء الدنيا والدين محمد الجويني ضاعف الله جلاله وخلد اقباله وحرس عزه وكماله
وابد فضله وافضاله وفسح في مدة عمره وامده بتوفيقه وشد ازره بدوام عز صنوه وشقيقه الذي فاق ملوك الافاق بعلو
القدر وكمال العز والفخر ومرضاته العلم والادب ورزانة العقل والحسب الذي ملاء الاسماع بجميل اوصافه واقاض اوعية الاطماع
بجميل [illegible] وانسى بهاطل وابل بذله ما قيل في قبله في الكرم واهله ٭ هو البحر من اي النواحي اتيته ٭ فلجته المعروف والجود ساحله
٭ تعود بسط الكف حتى لو انه ٭ ثناها لقبض لم تطعه انامله ٭ ولو لم يكن في كفه غير نفسه ٭ لجاد بها فليتق الله سائله ٭ نعم هو
من جمع الله له بين الحكمة والسلطان وزاده بسطة في المرتبة وعلو الشان ذو النفس القدسية والخلافة الانسية والاعراق
الزكية والاخلاق الرضية والهمم الابية والمقاصد السنية مولى ملوك العرب والعجم صاحب ديوان ممالك العالم شمس الحق والدين
غياث الاسلام والمسلمين محمد بلغه الله اقصى مراتب الكمال ورزقه بلوغ الامال في الحال والمال فانهما لهذه الامة بدران
مشرقان يستضاء بانوارهما وبحران زاخران يغترف من تيارهما وطودان شامخان يستعاذ باقطارهما وعمادان يقوم بهما
الوجود اركان الايمان وصارمان يصول بهما الدين القيم على سائر الاديان فجزاهما الله عن الاسلام واهله افضل جزاء
المحسنين وخصهما من وظائف فضله باكمل ما اعده لعباده الصالحين وقرن سعادتهما بالدوام والاستمرار وعضد اراءهما
بمطاوعة الاقضية والاقدار وصان دولتهما عن حوادث الايام وافاتها وجعل نتائج افعالهما اعلا بعد لاخس مقدماتها
٭ هذا ولما اتفق اتصالي بخدمته وانتهيت الى شريف حضرته احلني من انسه محلا الهى النفس عن اشتهى ما اربها وامطرني من
سحائب جوده نعما تشبه الصور الفائضة من واهبها فاجرى في بعض محاوراته الكريمة من مدح هذا الكتاب وتعظيمه وتفضيله
وتمجيده ما علمت معه انه اهله الذي كنت اطلب والعالم بقدره ومحله من بين الكتب وتوسمت في تضاعيف ذلك تشوق خاطره
المحروس الى كشف حقائقه والوقوف على اسراره ودقائقه فاحببت ان اجعل شكري لبعض نعمه السابقة ومننه المتوالية المتلاحقة
ان اخدم سامي مجلسه بتهذيب شرح مرتب على القواعد الحقيقية مشحون بالمباحث اليقينية انبه فيه على ما لاح لي في رموزه

ور
العالية

بهمه صح

والكشف عما ظهر لي من دقائقه وكنوزه وقد سبقني الى شرح هذا الكتاب جماعة من اولي الالباب والناقد المسدد للصواب يميز القشر
من اللباب والسراب من الشراب وشرعت في ذلك بعد ان عاهدت الله سبحانه اني لا انصر فيه مذهبا غير الحق ولا ارتكب هوى
لمراعاة احد من الخلق فان وافق الراي الاصلح فذلك هو المقصد الاقصى والا فالعذر ملتمس مسؤول والعفو مرجو مامول والرغبة
الى اهل الفضل في سد ما يجدونه من خلل وستر ما يقفون عليه من زلل فاني مع ضعف جناحي عن سلوك هذا المطار الذي هو
سرح نفوس الاولياء الابرار ومجال انظار الحكماء الكبار مقتحم الافكار راكب لمطايا الاسفار وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي
ونعم الوكيل وقبل الخوض في المطلوب لا بد من تقديم مقدمة يستعان بها على ما عسى ان اذكره من المباحث في هذا الشرح
انشاء الله تعالى اما المقدمة فاعلم ان كلامه عليه السلام يشتمل على مباحث عظيمة يتشعب عن علوم جليلة يحتاج المتصدي للخوض
فيه وفهم ما يشرح منه بعد جودة ذهنه وصفاء قريحته الى تقديم ابحاث تعينه على الوصول الى تلك المقاصد ولما ابرز عليه السلام مقاصده
في الفاظ خطابية اما منطوق بها او مكتوبة تعين ان اذكر من مباحث الالفاظ قدر ما تمس الحاجة اليه ثم اشير الى بيان معنى الخطابة
وما يتعلق بها ليكون ذلك معينا للناظر في كلامه على ملاحظة دقائقه ومطالعة اسراره ودقائقه وحقائقه ثم الحق ذلك بالاشارة الى ما
يتعلق به عليه السلام من الفضائل فلا جرم رتبت هذه المقدمة على ثلث قواعد القاعدة الاولى في مباحث الالفاظ وهي مرتبة على قسمين
القسم الاول في دلالة الالفاظ واقسامها واحكامها وفيه فصول الفصل الاول في دلالة اللفظ على المعنى وفيه ابحاث البحث الاول دلالة
اللفظ الموضوع اما على تمام مسماه او على جزء مسماه من حيث هو جزؤه او على الامر الخارج عن مسماه اللازم له في الذهن من حيث هو لازم
له والدلالة الاولى هي دلالة المطابقة كدلالة لفظ الانسان على الحيوان الناطق والثانية دلالة التضمن كدلالته على الحيوان وحده او على الناطق
وحده والثالثة دلالة الالتزام كدلالته على الضاحك واحترزنا في الدلالتين الاخيرتين بقولنا من حيث جزؤه ومن حيث هو لازمه عن
دلالة اللفظ بالمطابقة على جزء المسمى او على لازمه بحسب الاشتراك اللفظي بيانه انه اذا جاز ان يوضع اللفظ الواحد للمعنى ولجزئه كلفظ
الممكن مثلا للممكن الخاص والعام وللمعنى ولازمه كلفظ الشمس على جرم الشمس والنور اللازم له ولو اقتصرنا في تعريف دلالتي التضمن والالتزام على
التعريفين المذكورين دون هذين القيدين لشمل ذلك دلالة المطابقة على تقدير وضع اللفظ لجزء المعنى او لازمه كما هو موضوع له اذ كانت ايضا
دلالة اللفظ على جزء مسماه وعلى لازم مسماه البحث الثاني الدلالة الاولى هي التي بحسب الوضع الصرف واما الباقيتان فزعم الامام فخر الدين وجماعة من
الفضلاء انهما عقليتان وفيه نظر لانهم ان ارادوا انهما حاصلتان عن صرف العقل من دون مشاركة الوضع فهو باطل لانه لولا ارتسام
المعنى في الذهن عن اللفظ لما حصلت هاتان الدلالتان وايضا فانهم صرحوا بانهما من دلالات الالفاظ فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولهما عن
مجرد العقل وان ارادوا بذلك ان الذهن عند تصور المعنى من لفظ ينتقل منه الى جزئه او الى لازمه فهو حق وحينئذ يكون هاتان الدلالتان
بشركة من الوضع والعقل ثم انهما يستلزمان الدلالة الوضعية من غير عكس لجواز خلو الماهية عن التركيب وعن اللازم البين ولا يجب ايضا ان تلزم
احديهما الاخرى وهو ظاهر مما مر البحث الثالث ظهر مما ذكرنا انه يعتبر في الدلالة التضمنية كون المعنى المدلول عليه بالمطابقة مركبا واما في
الالتزامية فالمعتبر فيه كونه ملزوما في الذهن لامر بين الثبوت له اذ لولا اللزوم الذهني لم يفد اطلاق اللفظ فهم المعنى الخارج عن الماهية
لعدم الوضع بازائه وعدم انتقال الذهن عن موضوعه اليه فلم يكن دالا عليه اذ المراد بدلالة اللفظ على المعنى فهمه عند اطلاقه بالنسبة الى
من يعلم الوضع ولا يعتبر اللزوم الخارجي لجواز دلالة اللفظ على ما لا يلزم مسماه في الخارج اذ اللازم من تصوره تصور مسماه كدلالة

لفظ

لفظ عدم الملكة عليها كلفظ العمى على البصر ثم اللزوم الذهني ليس موجبا لانتقال الذهن من الملزوم الى اللازم اذ ليس هو تمام ما يتوقف عليه
الدلالة الالتزامية بل لا بد من تصور الملزوم اولا وذلك متوقف على وضع اللفظ بازائه والعلم بالوضع وسماع اللفظ او خطوره بالبال
فهو اذن احد الشروط المعدة لتصور اللازم البحث الرابع دلالة الحقيقة هي الدلالة الوضعية الصرفة واما الباقيتان فليستا بحقيقتين
وهو ظاهر ولا مجازيتين ايضا لان من شرط المجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له استعمالا مقصودا بالذات وهاتان الدلالتان قد تحصلان من
استعمال اللفظ في مسماه حصولا عرضيا لان الذهن قد ينتقل عند اطلاق اللفظ لارادة مسماه الى جزئه او الى لازمه انتقالا عرضيا وكذلك الى
جزء جزئه والى لازم لازمه في مراتب كثيرة ومعلوم ان اللفظ اطلق لارادة مسماه واستعمل فيه بالذات لا فيما انتقل الذهن اليه من الاجزاء
واللوازم وان كانت له سببية في ذلك الانتقال فلم تكن الدلالة بواسطة اللفظ محصورة في الحقيقة والمجاز به نعم استعمال اللفظ الموضوع
واطلاقه بالذات لارادة المعنى لا يخلو من ان يكون حقيقيا او مجازيا الفصل الثاني في تقسيم الالفاظ وفيه ابحاث البحث الاول اللفظ اما
ان لا يراد بالجزء منه دلالة اصلا على شيء وهو المفرد او يراد بالجزء منه دلالة على شيء وهو المركب لا يقال هذا منقوض بعبد الله وما يجري مجراه
فانه مفرد مع ان كل واحد من اجزائه دال لانا نقول قد يراد بالجزء من عبد الله وامثاله دلالة ولا نسلم انه بذلك الاعتبار يكون مفردا بل
مركب وقد لا يراد به الدلالة فيكون مفردا فاذا قلنا في رسمه انه الذي لا يراد بالجزء منه دلالة اصلا كان ذلك معيارا لكل لفظ بالنسبة الى مراد
اللافظ به فكل لفظ لا يقصد بجزئه دلالة كان مفردا وهذا هو الرسم القديم للمفرد والمركب وقد تبين انه لا حاجة فيه الى القيد الذي زاده
المتاخرون وهو قولهم من حيث هو جزؤه فان الرسمين متساويان البحث الثاني اللفظ المفرد اما ان يكون نفس تصور معناه مانعا من وقوع
الشركة فيه وهو الجزئي او غير مانع وهو الكلي اما الجزئي فيقال بمعنيين احدهما ما ذكرناه ويخص باسم الجزئي الحقيقي والثاني انه كل اخص تحت اعم
والفرق بينهما ان الاول غير مضاف ولا كلي والثاني مضاف الى ما فوقه وقد يكون كليا فاما الكلي فاما ان يعنى به نفس الحقيقة التي لا تمنع تصورها
وقوع الشركة فيها ويسمى كليا طبيعيا والنسبة التي تعقل لها بالقياس الى جزئياتها المعقولة ويسمى تلك النسبة كليا منطقيا او المجموع
المعقول من الحقيقة والنسبة العارضة لها ويسمى كليا عقليا ثم للكلي اعتبارات ستة وذلك لانه اما ان يكون ممتنع الوجود او ممكنه
والاول كشريك الاله والثاني اما ان لا يعرف وجوده او يعرف والاول كجبل من ياقوت وبحر من زيبق والثاني اما ان يكون في الوجود من اكثر
من واحد او يمكن والاول كالاله تعالى والثاني اما ان يكون في الوجود منه واحد فقط وان جاز وجود مثله او اكثر من واحد والاول
كالشمس عند من يجوز وجود مثلها والثاني اما ان يكون الموجود منه اشخاصا كثيرة متناهية او غير متناهية والاول كالكواكب والثاني كاشخاص
الانسان البحث الثالث الكلي اما ان يدل على ماهية شيء او على ما يكون داخلا فيها او على ما يكون خارجا عنها اما الاول على الماهية
فاما على ماهية اشياء كثيرة والاول اما ان يكون كليا او جزئيا والثاني اما ان تكون تلك الاشياء مختلفة الحقائق او متفقة الحقائق
فهذه اقسام اربعة والاول هو المقول في جواب ما هو بحسب الخصوصية المطلقة كالجواب بالحد والثالث هو المقول في جواب ما هو بحسب
الشركة المطلقة والثاني والرابع هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة والخصوصية معا مثال الاول قولنا في جواب من يسال فيقول ما
الانسان انه حيوان ناطق فخصوصية هذا الجواب ليست لغير الانسان اذ لا يشاركه في حده غيره والثالث كقولنا في جواب من
يسال عن جماعة هم انسان وفرس وثور ما هم انها حيوانات اذ كان هذا الجواب هو كل الجزء المشترك بينها فهو اذن مقول
بالشركة المطلقة والثاني والرابع كقولنا في جواب من يسال عن زيد وحده ما هو انه انسان او عن جماعة هم زيد وعمرو وخالد

شيء واحد او على ماهية صح

ما هم انهم اناس فيكون الجواب في الموضعين واحدا وهو بحسب الخصوصية والشركة معا اذ كل ما لكل واحد منها من الاجزاء حاصل للآخر
ولان خصوصية هذا الجواب ليست لغير المسئول عنه واما الدال على جزء الماهية فاما ان يدل على كمال الجزء المشترك بينها وبين غيرها وهو
الجنس القريب او على كمال الجزء المميز لها وهو الفصل القريب او على ما يتركب منهما وهو النوع او لا على واحد من هذه فيكون ذلك جزءاً
للجزء وهو اما جنس الجنس او جنس الفصل او فصل الجنس او فصل الفصل كما هو مذكور في مظانه واما الدال على الخارج عن الماهية
فيختص باسم العرضي واعتباره من وجهين احدهما انه اما ان يكون لازما للماهية اولا يكون والثاني هو العارض والاول اما ان يكون
لازما للماهية او للوجود والاول اما ان يكون لازما اولا يكون والثاني هو العارض والاول اما ان يكون لازما للماهية او للوجود
والاول اما ان يكون بينا للماهية كالفردية للثلثة او غير بين كالتناهي للجسم والثاني كالسواد للغراب واما العارض فاما سريع
الزوال كالقيام والقعود او بطيئه كالشباب الوجه الثاني العرضي اما ان يختص بنوع واحد لا يوجد لغيره سواء عم افراده او
لم يعم ويسمى خاصة كالضاحك للانسان بالقوة والفعل او لا يختص به بل يعمه وغيره ويسمى عرضا عاما كالماشي للانسان

البحث الرابع اللفظ والمعنى اما ان يتحدا او يتكثرا او يتكثر اللفظ ويتحد المعنى او بالعكس اما الاول فمعناه اما ان يكون كليا او جزئيا
فان كان الاول فاما ان يكون نسبته الى افراده المعقولة بالسوية وهو المتواطي كالانسان بالنسبة الى اشخاصه او لا بالسوية بل في بعضها
اول واولى واشد واضعف وهو المشكك كلفظ الوجود والثاني هو العلم كزيد والثاني الاسماء المتباينة سواء تفاصلت مفهوماتها
كالانسان والفرس او تواصلت بان بعضها اسم للذات والآخر اسم للصفة كالسيف والصارم او على ان بعضها اسم للصفة
والآخر اسم لصفة الصفة كالناطق والفصيح والثالث الاسماء المترادفة سواء كانت من لغة واحدة كالليث والاسد او من لغتين
كالماء وآب واما الرابع فاما ان يكون قد وضع اللفظ اولا لاحد المعنيين ثم نقل منه الى الآخر او وضع لهما معا اما الاول فذلك
النقل ان كان لا لمناسبة بين المعنيين فهو مرتجل وان كان لمناسبة فاما ان يكون دلالة اللفظ على المنقول اليه بعد النقل اقوى
من دلالتها على المنقول عنه او لا يكون فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة الى المنقول اليه منقولا فان كان الناقل هو الشارع سمي
لفظا شرعيا كالصلوة والزكوة او اهل العرف ويسمى عرفيا سواء كان العرف العام كالدابة للفرس بعد وضعها لكل ما يدب وكالغائط
للفضلة الخارجة من الانسان عن وضعها للمكان المطمئن او الخاص كالاصطلاحات الخاصة بطائفة طائفة من اهل العلم مثلا
كالرفع والنصب والجر عند النحاة وكالجمع والقلب والفرق عند الفقهاء وكالموضوع والمحمول والجنس والفصل عند المنطقيين
وامثاله واما ان لم يكن دلالته على الثاني اقوى فاما ان يتساوى بالنسبة اليهما عند الفهم او يكون في الاول اقوى فان كان الاول
كان ذلك لفظا مشتركا وان كان الثاني كان اللفظ بالنسبة الى الاول حقيقة والى الثاني مجازا اما اذا كان اللفظ موضوعا لهما معا
فاما ان يتساوى دلالته عليهما عند الفهم او ترجح في احدهما فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة اليهما معا مشتركا وبالنسبة الى كل
واحد منهما مجملا لان كون اللفظ موضوعا لكل واحد منهما هو الاشتراك وكونها بحيث لا يدرى عين المراد منهما هو الاجمال

تذنيب ظهر من هذا التقسيم ان الاقسام الثلثة الاولى مشتركة في انها ليست بمشتركة فكانت نصوصا واما الرابع فله اعتبارات
ثلثة احدها اعتبار كونه افادته ارجح في بعض مفهوماته وبذلك يسمى ظاهرا والثاني اعتبار كونها مرجوحة في المفهوم المقابل
للراجح وبذلك يسمى مأولا والثالث كونها متساوية بالنسبة الى المفهومين بحيث لا يدرى المراد منهما وبذلك يسمى مجملا فالرجحان

اذن

اذن قدر مشترک بین الظاهر والنص وعدم الرجحان قدر مشترک بین المجمل والمأول فیسمی المشترک الاول محکما والثانی متشابها
البحث الخامس اللفظ المفرد اما ان لا یستقل معناه بالمفهومیة او یستقل والاول هو الحرف والثانی فاما ان یستلزم معناه الوقوع فی احد
الازمنة الثلثة المعینة وهو الفعل او لا یستلزم وهو الاسم وهو اما ان یدل علی معنی هو نفس الزمان کالزمان او علی جزء الزمان کالیوم
والغداة او علی معنی جزؤه الزمان کالصبوح والغبوق او لا علی واحد منها وهو اما ان یکون اسما لجزئی مشخص فان کان مضمرا فهو المضمرات
او مظهرا فهو العلم کاعمرو وان کان اسما لکلی فاما ان یکون اسما لنفس الماهیة کلفظ السواد وهو المسمی باسم الجنس فی اصطلاح النحاة
او لامر ما له صفة کذا وهو الاسم المشتق کلفظ الضارب فان مفهومه انه امر ما له صفة الضرب البحث السادس اللفظ المرکب اما ان
یکون قابلا للتصدیق والتکذیب لذاته وهو الخبر او لا لذاته وهو اما ان یکون مفید الطلب شیء افادة اولیة او لیس والاول ان کان علی طریقة
الاستعلاء فهو الامر وان کان علی طریق التساوی فهو الالتماس وان کان علی طریق الخشوع والتضرع فهو السؤال والثانی هو التنبیه
ویدخل فیه التمنی والترجی والقسم والنداء البحث السابع اللفظ قد یکون مدلوله لفظا فاما لفظا مفردا او مرکبا وعلی التقدیرین
فاما ان یدل علی معنی او لا یدل فهذه اقسام اربعة الاول لفظ مفرد دال علی لفظ مفرد دال علی معنی مفرد کلفظ الکلمة والاسم والفعل
والحرف الثانی لفظ مفرد دال علی لفظ مرکب دال علی معنی مرکب کلفظ الخبر والکلام والقول الدال علی قولنا زید کاتب الدال علی معانیه
الثالث لفظ مفرد دال علی لفظ مفرد غیر دال علی معنی کقولنا اب وسایر حروف المعجم الرابع لفظ مفرد دال علی لفظ مرکب غیر دال علی معنی
کلفظ الهذیان والهذر البحث الثامن اللفظ المفرد اذا دل بالالتزام علی معنی فذلک المعنی اما ان یکون شرطا لمدلول علیه بالمطابقة او
تابعا له والاول یسمی دلالة الاقتضاء وتلک الشرطیة اما عقلیة کشرطیة نصب السلم لصعود السطح عند الامر به او شرعیة کشرطیة الوضوء
للصلاة عند الامر بها واما التابع فکنفی الحکم المذکور بشیء حال تخصیصه بذکره عن غیره عند من یقول به فان معنی التخصیص مستلزم للنفی المذکور
وکذلک اللفظ المرکب اذا استلزم ترکیبه معنی فاما ان یکون من متممات المعانی المذکورة بالمطابقة او من توابعها والاول کدلالة
تحریم التافیف علی تحریم الضرب واما الثانی فکاستلزام قوله تعالی فالآن باشروهن الی قوله حتی یتبین لکم الخیط الابیض من الخیط الاسود
لعدم فساد من اصبح جنبا والا لحرم الوطی فی آخر جزء من اللیل بتسع للغسل وبالله التوفیق الفصل الثالث فی الاشتقاق وفیه
ابحاث البحث الاول فی حقیقة الاشتقاق الاشتقاق اخذ احد اللفظین من الآخر لمشارکة بینهما فی الاشتمال علی المعنی والحروف الاصلیة
وارکان الاشتقاق اربعة الاول اسم موضوع لمعنی الثانی مسمی آخر له نسبة الی ذلک المعنی الثالث مشارکة بین الاسمین فی الحروف الاصلیة
الرابع تغییر یلحق الاسم الثانی اما فی حرف فقط او فی حرکة فقط او فیهما معا وکل واحد من هذه الاقسام فاما بالزیادة وحدها
او بالنقصان وحده او بهما وظن الامام ان الحاصل من هذه القسمة تسعة اقسام فقط وهو سهو بتحققه عند الاعتبار
بل الحاصل منها خمسة عشر قسما آ زیادة الحرف ب زیادة الحرکة ج زیادتهما معا د نقصان الحرف ه نقصان الحرکة و
نقصانهما معا ز زیادة الحرف مع نقصانه ح زیادة الحرف مع نقصان الحرکة ط زیادة الحرف مع نقصانهما ی زیادة الحرکة مع
نقصانها یا زیادة الحرکة مع نقصان الحرف یب زیادة الحرکة مع نقصانهما یج زیادتهما معا مع نقصان الحرف ید زیادتهما
معا مع نقصان الحرکة یه زیادتهما معا مع نقصانهما معا فهذه هی الاقسام الممکنة وعلی اللغوی طلب الامثلة البحث الثانی
اختلف الناس فی انه هل یجوز صدق المشتق منقطعا عن صدق المشتق منه ام لا والحق انه یجوز لنا ان الاشتقاق یکفی فیه ادنی

علی معنی

ملابسة بين المشتق والمشتق منه فلا يشترط صدقه على ما يصدق عليه المشتق فان المهلك والمميت والضار والمذل مما يصدق على
ذات الله تعالى مع ان الامور المشتق منها وهي الهلاك والموت والضرر والذل غير صادقة ولا جايزة عليه لا يقال المشتق مركب من
المشتق منه ومن شيء آخر ومتى صدق المركب صدق كل واحد من اجزائه لانا نقول لا نسلم ان المشتق منه من حيث هو مشتق منه جزء من
المشتق وحاصل فيه بل الحاصل فيه شيء من اجزائه وهي الحروف الاصلية وبعض الحركات فانا بينا ان المشتق لا بد وان يلحقه تغيير باحد الوجوه
المذكورة والقدر المتغير منه لا شك انه كان معتبرا في حقيقة المشتق منه فبعد التغيير لم تبق تلك الحقيقة فلم يلزم صدقها حال صدق المشتق
البحث الثالث اختلفوا ايضا في انه هل يشترط في صدق المشتق بقاء صدق المعنى المشتق منه لفظه ام لا والحق انه لا يشترط لوجوه احدها
انا نعلم بالضرورة اطلاق اهل اللغة لفظ المشتق على الشيء حال ما لا يكون وجه الاشتقاق كاطلاقهم لفظ القاتل في الحال على من فعل القتل
فيما قبل الثاني ان الضارب مثلا هو من حصل منه الضرب وكا بسه ملابسه فعليه وهو اعم من حصوله له في الحال او في الماضي لامكان
تقسيمه اليهما ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي الضرب في الحال نفي مطلق الضرب فلا يلزم من صدق المشتق بقاء وجه
الاشتقاق الثالث المشتقات من المصادر السيالة كالمتكلم والمخبر لا يمكن بقاء وجه الاشتقاق فيها فان الانسان حال ما
يتكلم بالحرف الثاني فان الحرف الاول فلا يمكن تحقق ماهية الكلمة في الخارج فضلا ان يقال انها تبقى مع انها صادقة بالاتفاق لا يقال
الضارب مثلا بعد انقضاء الضرب يصدق عليه انه ليس بضارب في الحال وقولنا ليس بضارب جزء من قولنا ليس بضارب في الحال
ومتى صدق المركب صدق كل واحد من اجزائه فاذن صدق عليه انه ليس بضارب فوجب ان لا يصدق عليه انه ضارب لتناقضهما في
العرف لانا نقول ان كانت القضيتان موقتتين منعنا التناقض في العرف والحقيقة لان المكذب لقولنا انه ليس بضارب في الحال
قولنا انه ضارب في الحال ونحن ما ادعينا صدق قولنا انه ضارب في الحال بل انه في الحال يصدق عليه انه ضارب ولا تناقض لعدم
اتحاد الوقت وان كانتا مطلقتين فدعوى التناقض اما حقيقة وهو ظاهر الفساد لان المطلقتين لا يتناقضان او عرفا وهو
ايضا ممنوع وبتقدير تسليمه يمنع صدق قولنا بعد انقضاء الضرب انه ليس بضارب لصدق قولنا في تلك الحال انه ضارب وتناقضهما
عرفا وبالله التوفيق البحث الرابع اختلفوا ايضا في ان المعنى القائم بالمحل هل يجب ان يشتق له منه اسم ام لا والحق ان في المعاني ان لم
يكن لها اسما كانواع الروايح لم يجب ذلك فيها وان كان لها اسماء لم يجب ايضا ان يشتق لمحالها منها اسماء وهل يجوز ان يشتق لغير محالها
منها اسماء ام لا والحق جوازه في الموضعين خلافا للقوم من الاشعرية فانهم قالوا يجب الاشتقاق منها لمحالها ولا يجوز لغيرها لنا ان الجواز
متفق عليه واما الوجوب وتخصيصه بالمحل فلم يذكر الخصم فيه دليلا واما جواز الثاني فلان الاشتقاق يكفي فيه ادنى ملابسة
فان المشتق هو شيء اما ذو المشتق منه ولفظة ذو لا تقتضي الحلول ومن الامثلة المشهورة اللابن والتامر فانهما مشتقان
من اللبن والتمر وهما غير قائمين بذات المشتق البحث الخامس مفهوم المشتق كالماشي مثلا انه شيء ما ذو مشي فاما ما ذلك الشيء
فغير داخل في مفهومه وان علم فانما نعلم بطريق الالتزام برهانه انك تقول الماشي حيوان فلو كان مفهوم الماشي انه حيوان
ذو مشي لكان ذلك بمنزلة قولك الحيوان ذو المشي حيوان وهو هذر بل انما يعلم كونه حيوانا بدليل من خارج وبالله التوفيق
الفصل الرابع في الترادف والتوكيد وفيه ابحاث البحث الاول في ماهيتها اما الترادف فهو كون لفظين مفردين او
ما زاد عليهما بالوضع على معنى واحد ~~بالوضع على معنى واحد~~ باعتبار واحد وبالافراد احترزنا عن الاسم والحد وباعتبار

واحد

واحد من اللفظين اذا دلا على شيء واحد باعتبارين كالصارم والسيف او باعتبار الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح
فان تلك متباينة واما التاكيد فهو تقوية ما يفهم من اللفظ بلفظ آخر وللامام فخر الدين رحمه الله عليه تساهل في هذا المقام اذ يحد
التوكيد بانه اللفظ الموضوع لتقوية ما يفهم من لفظ اخر ولم يفرق بين التوكيد وبين نفس المؤكد وهو ظاهر البحث الثاني في اسباب الترادف
انه يجوز وقوع الالفاظ المترادفة من واضع واحد ويجوز وقوعها من واضعين ويشبه ان يكون الاول اقل وجودا وله سببان
الاول التسهيل والاقتدار على الفصاحة لانه ربما يمتنع وزن البيت وقافيته مع بعض اسماء الشيء دون اسمه الآخر وربما حصلت
رعاية السجع والمقلوب والمجنس وسائر اصناف البديع مع بعض اسماء الشيء ولا يحصل مع الآخر الثاني التمكن من تادية المقصود
باحدى العبارتين عند الغفلة عن الاخرى واما الثاني وهو السبب الاكثري فيجوز ان يصطلح احدى قبيلتين على اسم للشيء غير الاسم الذي
اصطلحت عليه القبيلة الاخرى ثم يشتهر الوضعان بعد ذلك البحث الثالث انه هل يصلح اقامة كل واحد من المترادفين
مقام الآخر اي ما ام لا الظاهر في بادي الراي ذلك لان المترادفين هما اللذان يفيد كل واحد منهما عين فائدة الآخر
فلما صح ان يضم المعنى المدلول عليه باحدى اللفظين الى معنى آخر فلا بد وان يبقى الصحة حالما يدل عليه باللفظ الثاني لان صحة الاقتران
من عوارض المعاني وفيه نظر لان صحة الاقتران كما يكون من عوارض المعاني كذلك يكون من عوارض الالفاظ فانك لو ابدلت لفظ من
بمرادفه من الفارسية لم يصح فكان هذا الامتناع من قبل الالفاظ ايضا قال الامام فخر الدين واذا عقل ذلك في لغتين فلم لا يجوز مثله
في لغة واحدة والحق انه يصح اقامة احد المترادفين مقام الآخر بشرطين احدهما ان يكونا من لغة واحدة والثاني ان يتساويا في فهم المعنى
منهما حال التخاطب بهما او يقربا من التساوي تذنيب اذا كان احد المترادفين اظهر في الاستعمال عند قوم كان الجلي بالنسبة الى الخفي
شرحا له وربما انعكس الامر بالنسبة الى قوم اخرين البحث الرابع في اقسام التوكيد المؤكد اما ان يكون متقدما على المؤكد او متاخرا عنه
والاول كصيغة ان وما في حكمها مما يدخل على الجمل واما الثاني فاما ان يؤكد الشيء بنفسه او بغيره والاول كقوله عليه السلام والله لاغزون
قريشا ثلثا والثاني اما ان يختص بالمفرد كلفظ النفس والعين او المثنى ككلا وكلتا او الجمع كاجمعون واكتعون ابتعون ابصعون
وكل هوام الباب البحث الخامس في حسن استعماله والخلاف فيه مع الملحدة الطاعنين في الوحي والنزاع اما في الجواز وهو معلوم بالضرورة
لان شدة اهتمام القائل بالكلام يدعوه الى تاكيده واما في الوقوع وهو ايضا معلوم من اللغات بعد تصفحها وهو وان كان حسنا
الا انه اذا تعارض حمل الكلام على التاكيد او على فائدة زائدة وجب صرفه الى الفائدة الزائدة الفصل الخامس في المشترك وفيه ابحاث
البحث الاول في حقيقته وامكانه ووجوده اما حقيقته فهو اللفظ الواحد الموضوع لحقيقتين مختلفتين او اكثر وضعا اولا من حيث
هو كذلك وقولنا موضوع لحقيقتين مختلفتين احتراز عن الاسماء المفردة وقولنا وضعا اولا احتراز عما يدل على الشيء بالحقيقة
وعلى غيره بالمجاز وقولنا من حيث هما كذلك احتراز عن اللفظ المتواطي فانه يتناول الماهيات المختلفة لكن لا من حيث هي مختلفة
بل من حيث انها مشتركة في معنى واحد واما امكانه فمن وجوه احدها ان الواضع تابع لغرض المتكلم وقد يكون للانسان غرض
في تعريف غيره شيئا على التفصيل وقد يكون غرضه تعريفه على سبيل الاجمال بحيث يكون ذكره بالتفصيل سببا للمفسدة
الثاني انه ربما لا يكون المتكلم واثقا بصحة الشيء على التعيين الا انه يكون واثقا بصحة احد المعنيين لا محالة فحينئذ يطلق
اللفظ المشترك كيلا يكون بتصريحه باحد المعنيين كاذبا وبسكوته جاهلا الثالث انه يجوز ان يضع احد قبيلتين ذلك

خواص

اللفظ لمعنى ثم تضعه قبيلة اخرى لمعنى اخر ثم يشيع الوضعان ويخفى كونه موضوعا منهما واما وجوده فهو معلوم بالضرورة اذ من
اللفظ المشترك انه اذا اطلق لم يتبادر الذهن الى احد مفهوميه دون الآخر بل يبقى الذهن عند سماعه مترددا في تعيين المراد منه الى
ظهور القرينة المعينة له وذلك ظاهر الوجود كلفظ القرء للحيض والطهر وان كان ذلك ايضا قد يختلف بحسب كثرة الاستعمال في احد
المعنيين وقلته الا انه يكفينا في ذلك تردد بعض الاذهان فيه البحث الثاني في اقسامه مفهوما اللفظ المشترك اما ان يكونا متباينين
او متواصلين والاول كالطهر والحيض والثاني اما ان يكون احدهما جزءا من الآخر او لا يكون والاول كالممكن لغير الممتنع ولغير الضروري
والثاني اما ان يكون احدهما علة للآخر او صفة له والاول كلفظ الواجب للواجب بالذات والواجب بالغير والثاني كلفظ الاسود لذي
السواد المسمى اسود تنبيهان احدهما اذا نسبت ذا السواد المسمى اسود الى ما يشاركه في لونه كالقار كان اطلاق لفظ الاسود عليهما
من تلك الجهة بالتشكيك وان اعتبرته من جهة اسمه كان مقولا عليهما بالاشتراك الثاني قال فخر الدين رحمه الله النقيضان لا يجوز ان
يوضع لهما لفظ واحد لان المشترك لا يفيد الا التردد بينهما وهو بين النفي والاثبات امر حاصل معلوم لكل واحد وفيه نظر لان الاسباب
التي ذكرنا انه يجوز ان يكون اسبابا بالوضع اللفظ المشترك عامة لا يخص بعض المعاني دون البعض ولانه اذا جاز وضع اللفظ
الواحد للمعنى وضده الذي هو في قوة نقيضه كالقرء للحيض والطهر اذا كان المحل لا يخلو عن احدهما والتردد بينهما معلوم لكل احد
فلم لا يجوز مثله في النقيضين والله اعلم البحث الثالث في اسبابه اما اسباب وجوده فيشبه ان يكون السبب الاكثري فيه هو ان
يضعه كل واحد من قبيلتين لمعنى ثم يشيع الوضعان ولا يتميزان واما السبب الاقل فان يضعه واحد لمعنيين لغرض التكلم
بالمجمل وقد مر ان التكلم باللفظ المجمل من مقاصد العقلاء واما السبب الذي يعرف به وجوده فاما تصريح اهل اللغة بذلك او
تساوي المفهومين بالنسبة الى السامع عند اطلاق اللفظ وتردد ذهنه في انهما المراد بعد العلم بالوضع لهما البحث الرابع في انه هل
يجوز استعمال اللفظ المشترك في معانيه على الجمع ام لا يجوز ذلك الشافعي وابو بكر الباقلاني وابو علي الجبائي والقاضي عبد الجبار ومنع منه الجميع
ابو هاشم وابو الحسين البصري والكرخي ثم منهم من منع منه لامر يرجع الى القصد ومنهم من منع منه لامر يرجع الى الوضع وهو اختيار
الامام فخر الدين حجة المجوزين من وجهين احدهما ان الصلوة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ثم ان الله تعالى اراد بهذه
اللفظة كلا معنييها في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الثاني قوله تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر
والنجوم الآية والسجود ههنا مشترك بين الخشوع لانه هو المتصور من الملائكة وبين وضع الجبهة على الارض في حق الناس
وبين شهادة الحال بالحاجة الى الصانع لانه هو المتصور من الجمادات ثم ان الله تعالى اراد به كل معانيه في هذه الآية حجة المانعين ان
المجموع غير كل واحد واحد قالوا ايضا اذا وضع لفظا لمعنيين على الانفراد فاما ان يضعه مع ذلك لمجموعهما او لا يضعه
فان لم يضعه له كان استعماله فيه استعمالا للفظ في غير ما وضع له وانه غير جائز وان وضعه له فاذا استعمله
فيه فاما ان يستعمله فيه لافادته بانفراده فيكون ذلك استعمالا للفظ في احد مفهوماته لا في كلها وان استعمله لافادته مع افادة
الافراد فهو محال لان استعماله لافادة المجموع يستلزم عدم الاكتفاء بكل واحد من الافراد واستعماله لافادة الافراد يستلزم
الاكتفاء بكل واحد منها والاكتفاء بكل واحد من الافراد مع عدم الاكتفاء بكل واحد منها مما لا يجتمعان واقول ان محل النزاع
في هذا البحث غير ملخص فانه ان اريد انه يجوز استعماله في مدلولاته على الجميع مطابقة فليس بحق لما يلزم المستعمل له كذلك من

التناقض

الثاني فرع القصد الى المجموع والى الافراد وان اريد انه يجوز استعماله فيهما على الجمع لافادتهما كيف اتفق فذلك جائز اذ يصح استعماله في المجموع مطابقة
مع دلالته على الافراد تضمنا وقول المانع انه اذا لم يكن الواضع وضع اللفظ للمجموع كما وضعه للافراد امتنع استعماله فيه ان اراد به حقيقة فهو
حق وان اراد انه يمتنع استعماله فيه مجازا فهذا مما لا يقتضيه حجة واما حجج المجوزين فضعيفة اما الاولى فلان ضمير الجمع في قوله تعالى يصلون
بمنزلة الضمائر المتعددة المقتضية للافعال المتعددة التي يراد بكل واحد منها معنى غير ما يراد بالاخر والتقدير ان الله يصلي وملائكته تصلي
واما الثانية فلان العطوف المتعددة تستدعي تعدد الافعال فتقدير قوله ولله يسجد من في السموات ومن في الارض اي ويسجد من في الارض
وكذا الباقي والمراد بكل منها المعنى الذي تقتضيه القرينة ثم لو سلمنا انها استعملت في كل من مفهوميها لكنه يكون مجازا والالزام الثاني فهو
كما هو مذكور في حجة المانعين وبالله التوفيق البحث الثاني في ما يتعين به مراد اللافظ باللفظ المشترك ان لم يقترن به قرينة تخصيص احد
معنييه بالمراد بقي مجملا وان وجدت قرينة كذلك فاما ان يقتضي الاعتبار او الالغاء وعلى التقديرين فاما لكل المسميات او لبعضها فهذه
اقسام اربعة فالاول ان يفيد اعتبار كل واحد فتلك المسميات اما ان تكون متنافية بحيث لا يمكن ان يجمع بينها فيبقى اللفظ مجملا الى ظهور
المرجح وان لم تكن متنافية حمل اللفظ على مجموعها مجازا الثاني ان يفيد الغاء كل واحد فحينئذ يجب حمل اللفظ على مجازات تلك الحقايق
الملغاة ثم اما ان يكون بعض تلك الحقايق ارجح من بعض لو لم يقم الدليل على عدم ارادتها او لا يكون فان كان الاول فمجازاتها اما ان
تتساوى في القرب من الحقايق فيتعين حمل اللفظ على مجاز الحقيقة الراجحة او تتفاوت المجازات فان كان الراجح منها هو مجاز
الحقيقة الراجحة تعين الحمل عليه او مجاز الحقيقة المرجوحة فيقع التعارض بينه وبين مجاز الحقيقة الراجحة لاختصاص كل منهما بنوع
ترجيح الى ان يظهر مرجح اخر واما ان تساوت الحقايق فان اختلفت مجازاتها بالقرب والبعد ومنها حمل اللفظ على المجاز الاقرب وان
لم يختلف بقي التعارض بين مجازات تلك الحقايق لتساويها وتساوي حقائقها الى ان يظهر الترجيح الثالث ان يفيد الغاء البعض فان
كانت اللفظة مشتركة بين معنيين فقط تعين الحمل على الثاني وان كانت لاكثر من معنيين فعند الغاء بعضها ان كان الباقي
واحدا تعين الحمل عليه او اكثر من واحد فيبقى اللفظ مجملا فيها الرابع ان يفيد اعتبار البعض فيتعين الحمل عليه سواء كانت اللفظة
لمعنيين او اكثر القسم الثاني في كيفيات تلحق الالفاظ بالنسبة الى معانيها فتوجب لها الحسن والزينة وتعدها تمام الاعداد لاداء
المعاني وتهيئ الذهن للقبول وهو مرتب على مقدمة وجملتين اما المقدمة ففيها بحثان البحث الاول في حد البلاغة والفصاحة اما
البلاغة فهي مصدر قولك بلغ الرجل بالضم اذا صار بليغا وهو ان يبلغ بعبارته اقصى مراده باللفظ من غير ايجاز مخل ولا تطويل
ممل واما الفصاحة فهي خلوص الكلام من التعقيد واصلها من الفصيح وهو اللبن اذا اخذت رغوته وذهب لباؤه وقد فصح وافصح
اذا صار كذلك وافصحت الشاة فصح لبنها ثم قالوا افصح العجمي فصاحة فهو فصيح اذا خلصت لغته عن اللكنة واللحن ثم ان
الفصاحة عند ارباب البيان ليست بالشوارد التي لا تفهم وانما هي باستعمال ما يقرب فهمه ويعذب استماعه ويعجب ابداعه
ويدل مطالعه على مقاطعه ويتم مباديه على تواليه واكثر البلغاء لا يكادون يميزون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال
اللفظين المترادفين على معنى واحد ومنهم من يجعل البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ والاقرب ان الفصاحة سبب للبلاغة
والبلاغة اعم منها لغة اذ قد يبلغ غير الفصيح بعبارته اقصى مراده ومساوية لها في عرف العلماء وتلخيص مفهوميهما ان الفصاحة
هي خلوص الكلام في دلالته على معناه من التعقيد الموجب لقرب فهمه ولذاذة استماعه والبلاغة هي كون الكلام الفصيح موصلا

باستعمال صح

للمتكلم الى اقصى مراده وبالله التوفيق **البحث الثاني** في موضوع علم الفصاحة والبلاغة لما كان المقصود من الكلام هو افادة المعنى وكانت هذه الافادة كما علمت قد تكون وضعية صرفة وقد تكون بمشاركة من الوضع والعقل فنقول موضوع علم الفصاحة هو الكلام الدال على معناه باحدى الدلالات الثلث من حيث هو حالة موجبة لقرب فهمه ولذاذة استماعه وموضوع البلاغة هو الكلام الفصيح وقال الامام ان الفصاحة والبلاغة انما يكون موضوعهما الكلام من جهة دلالته بالالتزام وذلك لان الافادة الوضعية تستحيل تطرق الزيادة والنقصان اليها فان السامع للفظ الموضوع ان كان عالما بكونه موضوعا لمعناه علم مفهومه بتمامه وان لم يكن عالما بالوضع لم يتصور منه شيئا مثاله انك اذا اردت تشبيه زيد بالاسد في الشجاعة وقصدت التعبير عن هذا المعنى بالدلالة الوضعية فقلت زيد يشبه الاسد في شجاعته فالزيادة والنقصان في هذه الافادة مما يعود الى مفردات هذه الالفاظ غير مقصودين ولو اقمت مقام هذه الالفاظ ما يرادفها فالحال كذلك للدليل المذكور وتبين من هذا ان الايجاز والاختصار والحذف والاضمار يستحيل تطرقها الى الدلالات الوضعية ولهذا كان اكثر ما يستعمل في العلوم العقلية الدلالات الوضعية لعدم احتمالها الزيادة والنقصان الموجبين للغلط والشبهة واما الافادة الاخرى فلاجل ان حاصلها يعود الى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ الى ما يلازمه ثم ان اللوازم كثيرة وهي تارة تكون قريبة وتارة تكون بعيدة فلا جرم صح تادية المعنى الواحد بطرق كثيرة وصح في تلك الطرق ان يكون بعضها اكمل في افادة ذلك المعنى وبعضها انقص فهذا ما يتعلق بالفصاحة من جهة المفردات واقول ان التحقيق يقتضي ان الزيادة والنقصان مما يتطرقان الى الافادة الوضعية ايضا فان الامام سلم ان بعض الحروف افصح جرسا والذ سماعا كالعين وبعضها اسهل على اللسان كحروف الذلاقة وبعضها اثقل ولا شك ان الكلام المركب من اسهل الحروف والذها سماعا افصح والذ سماعا عند النفس مما لا يكون كذلك وسلم ايضا ان الافصح ادل على المعنى واسرع الى قبول النفس له مما لا يكون كذلك وليس سبق العلم بالوضع قادحا فيما ذكرناه لان الانسان قد يسبق علمه بوضع اللفظ ثم يذهل عنه فعند سماعه يجد نفسه مسارعة الى قبول المعنى من الافصح دون غيره وملتذة بسماعه بسبب فصاحته ولا معنى لزيادة الافادة ورجحانها الا ما يحصل للنفس من اللذة بالمعنى والمسارعة الى قبوله بتمامه من اللفظ الاسهل والله اعلم واما البلاغة العائدة الى النظم والتركيب فتحقيق القول فيها ان الكلام المنظوم لا محالة مركب من المفردات والمفردات يمكن تركيبها على وجه لا يفيد المقصود ويمكن تركيبها على وجه يفيده ثم للتركيب المفيد مراتب كثيرة ولها طرفان ووسط فالطرف الاعلى هو ان يقع ذلك التركيب على وجه يمتنع ان يوجد ما هو اشد تناسبا واعلى منه في افادة ذلك المعنى وطرف الادنى هو ان يقع على وجه لو صار اقل تناسبا منه لخرج عن كونه مفيدا لذلك المعنى وبين هذين الطرفين مراتب واختيار احسنها يقتضي الفصاحة في النظم وهذا معنى قول عبد القاهر الجرجاني رحمه الله النظم عبارة عن توخي معاني النحو فيما بين الكلم اذا ثبت هذا فنقول اما الطرف الادنى فليس من البلاغة في شيء واما سائر المراتب فان كل واحد منها اذا اعتبرته بالنسبة الى ما تحته يكون مستلزما للبلاغة والفصاحة واما الطرف الاعلى وما يليه فهو المعجز فهذا هو التحقيق في البلاغة والفصاحة في المفردات والمركبات **الجملة الاولى** في المفردات وفيها مقدمة وابواب **اما المقدمة** فاعلم ان للاشياء في الوجود اربع مراتب الاول وجودها وتحققها في الاعيان الثاني وجودها في الذهن الثالث وجودها في اللفظ الدال على ما في الذهن الرابع وجودها في الكتابة الدالة على ما في اللفظ ومرتبة

الكلام في الحسن تارة يكون بسبب الكتابة وتارة بسبب اللفظ من حيث هو لفظ وتارة بحسب اللفظ من حيث له الدلالة الوضعية وتارة بحسبه
من حيث له الدلالة الالتزامية ولما كانت المحاسن العائدة الى الكتابة لا تخلو عن تكلف ما وكان الكلام الذي نحن بصدد شرحه
بريا عن التكلف خاليا عن جهات التعسف لا جرم كان ذكرنا لها قليل الجدوى فلذلك تركناه **الباب الاول** في المحاسن العائدة
الى اللفظ من حيث هو لفظ واعلم ان المحاسن العائدة الى اللفظ اما ان تعود الى احاد الحروف او الى حال تركيبها او الى الكلمة
الواحدة او الى الكلمات الكثيرة فلا جرم اشتمل هذا الباب على فصلين **الفصل الاول** فيما يتعلق باحاد الحروف وتركيبها
وحال الكلمة وفيه ابحاث **البحث الاول** في مخارج الحروف وهي ستة عشر ا اقصى الحلق وهو مخرج ثلثة حروف الهمزة والالف والهاء
ب وسط الحلق وهو مخرج لحرفين العين والحاء ج ادناه للفم وهو مخرج للغين والخاء د اللسان مما فوقه الى الحنك
وهو مخرج القاف ه اسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك وهو مخرج الكاف و من وسط اللسان
بينه وبين وسط الحنك وهو مخرج الجيم والشين والياء ز اول حافة اللسان وما يليها من الاضراس وهو مخرج الضاد
ح حافة اللسان من ادناها الى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الاعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية
والثنية وهو مخرج اللام ط من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون ى مخرج النون غير انه ادخل في
ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام هو مخرج الراء يا فيما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الطاء والتاء والدال يب
فيما طرف اللسان واطراف الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد يج فيما بين طرف اللسان واطراف الادنى من الثنايا مخرج
الظاء والثاء والذال يد من باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا مخرج الفاء يه ما بين الشفتين مخرج الباء والميم
والواو يو من الخياشيم مخرج النون الخفيفة قال الخليل الذلاقة في المنطق انما هي بطرف اسلة اللسان وذلق اللسان تحديد
طرفه كذلق السنان قال ولا ينطق طرف شباة اللسان الا بثلثة احرف وهي الراء واللام والنون فلذلك سمي هذه الحروف حروف
الذلاقة ويلحق بها الحروف الشفهية وهي ثلثة الفاء والباء والميم قالوا ولما ذلقت هذه الحروف وسهلت على اللسان في المنطق
كثرت في ابنية الكلام فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى عنها فان وردت عليك كلمة خماسية او رباعية معراة عن حروف
الحلق او عن الحروف الشفهية فاعلم ان تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب وقال ايضا العين والقاف لا يدخلان في
بناء الا حسناه لانهما اطلق الحروف اما العين فافصح الحروف جرسا والذها سماعا واما القاف فامتن الحروف واصحها
جرسا فاذا كانتا او احدهما في بناء حسن البناء وكذلك السين والدال في الثنايا اذا كان اسما لان الدال لانت عن
صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء فصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك قال والهاء
يحتمل في البناء للينها وهشاشتها ولا بد من رعاية هذه الاعتبارات ليكون الكلام سلسا على اللسان وهي كالشروط
للفصاحة والبلاغة **البحث الثاني** في المحاسن بسبب احاد الحروف وشروط تركيبها اما الاول فمنها الحذف وهو ان يحترز
عن حرف او حرفين في الكلام اظهارا للمهارة في تلك اللغة كان واصل الثغ وكان يحترز عن الراء فجرب في انه كيف
يعبر عن معنى قولنا اركب فرسك واطرح رمحك فقال في الحال الق قناتك واعل جوادك والحريري بلغ النهاية
حيث ذكر اشعارا حذف عنها الحروف المنقوطة واشعارا حذف عنها غير المنقوطة ومنها الاعنات وهو التزام حرف

حرف ص

قبل الروي او الردف من غير ان يجب ذلك في السجع كقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وقول علي عليه السلام في مدح النبي صلى الله عليه وآله
بلغ عن ربه معذرا ونصح لامته منذرا واما الثاني فالشرط ان يكون التركيب معتدلا فان من التركيب ما يكون متنافرا كقوله وقبر حرب
بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر وان يكون خفيفا فان منها ما يكون ثقيلا وان كان دون الاول كقول ابي تمام
كريم متى امدحه امدحه والورى جميعا ومهما لمته لمته وحدي ومنها ما يكون فيه بعض الكلفة الا انه لا يبلغ ان يعاب
والسبب في هذا التنافر اما تقارب مخارج الحروف فيحتاج فيها الى حبس الصوت في زمانين متلاصقين فلا يظهر الحرف الاول
واما وجوب العود الى ما منه الابتداء كقولهم العهعخ ومن الدرجات كما ترتب في جانب الثقل فهي موجودة في جانب السلاسة
حتى ان الكلمة تكون في غاية السلاسة البحث الثالث فيما يتعلق بالكلمة الواحدة وهو من وجهين الاول ان يكون متوسطا في
قلة الحروف وكثرتها فاما الحرف الواحد فلا يفيد واما المركبة عن الحرفين فليس في غاية العذوبة بل البالغ في ذلك الثلاثيات لاشتمالها
على المبدا والوسط والنهاية وعلته ان الصوت من عوارض الحركة والحركة لا بد لها من هذه الثلاثة فمتى ظهرت
هذه الثلاثة فيها كان الكلام اسهل جريانا على اللسان واما الرباعيات والخماسيات فلا يخفى ثقلها لزيادتها على الدرجات الثلث التي
يتعلق بها كمال الصوت الثاني الاعتدال في حركات الكلمة فاذا توالت خمس حركات كان ذلك في غاية الخروج عن الوزن ولذلك لا يحتملها
الشعر واما اربع حركات فهي في غاية الثقل ايضا بل المعتدل توالي حركتين يعقبهما سكون وان كان ولا بد فالى ثلث حركات الفصل
الثاني فيما يتعلق بالكلمات المركبة وفيه نوعان النوع الاول ما يكفي في تحققه اعتبار كلمتين وفيه اربعة ابحاث البحث الاول في التجنيس
المتجانسان ان كانا مفردين فان تساويا في نوع الحروف والحركات واعدادها وهيآتها فهو التجنيس التام كقولهم حدث حدث
وكقول الحريري ولا ملا الراحة من استوطا الراحة وان اختلفا فاما في ماهية الحركة كقولهم جبة البرد جنة البرد او في الحركة
والسكون كقولهم البدعة شرك الشرك او في التخفيف كقولهم للجاهل اما مفرط واما مفرط ويسمى ذلك التجنيس الناقص او في
اعداد الحروف بان تتساوى الكلمتان في نفس الحروف وهيئتها ثم يزيد في احديهما حرف ليس في الاخرى ويسمى المذيل فاما في اول
الكلمة كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق او في وسطها كقولهم كد كبيد او في اخرها كقول بعضهم
فلان سال من احزانه سالم من زمانه وقول ابي تمام يمدون من ايد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب
واما ان يختلفا في انواع الحروف وقد يكون بحرف واحد وقد يكون بحرفين ويسمى المضارع والمطرف وباب الاختلاف
قد يكون في اول الكلمة كقولهم بيني وبينه ليل دامس وطريق طامس او في وسطها من حرفين متقاربين كقولهم ما خصصتني
ولكن خسستني او في اخرها كقول النبي عليه السلام الخير معقود بنواصي الخيل وقد يكون الاختلاف بحرفين غير متقاربين وهو اما في
اول الكلمة كقوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او في وسطها كقوله تعالى وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد او في اولها كقول
الحريري لا اعطي زمامي من يخفر ذمامي ثم المتجانسات اما ان يكون في مقابلة البعض حال التسجيع وهو ظاهر او يضم بعضها
الى بعض في اواخر ويسمى مزدوجا ومكررا كقولهم النبيذ بغير نغم غم وبغير دسم سم وكقولهم من طلب وجد وجد ومن قرع
بابا ولج ولج ومن التجنيس ما يكون بالاشارة دون التصريح كقولهم حلقت لحية موسى باسمه وبهرون اذا ما قلبا وقد
يكون التجنيس بحيث يتجاذبه اصلان ويسمى المشوش كقولهم فلان مليح البلاغة كامل البراعة فلو تحرت عينا الكلمتين كان

بعضها ص

سمحا

مصحفا ولو اتفقت لاحقا كما كان مضارعا واما ان كان المتجانسان مركبين فاما ان يكونا متشابهين خطا فقط دون اللفظ
ويسمى المصحف كقوله عليه السلام قصر ثيابك فانه ابقى واتقى وانقى وكقولهم غرك عزك فصار قصار ذلك فاحش فاحش فعلك فعلك
تهدا بهذا او لفظا فقط ويسمى المفروق كقوله كلكم قد اخذ الجام ولا جام لنا ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا او خطا ولفظا
ويسمى المزون كقوله اذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة البحث الثاني في الاشتقاق واما الاشتقاق فهو ان ياتي بالفاظ
يجمعها اصل واحد في اللغة كقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم وقول النبي عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيمة وقول علي عليه السلام جاهل خباط جهالات
عاش ركاب عشوات واما ما يشبه المشتق كقوله تعالى وجنا الجنتين دان قال اني لعملكم من القالين البحث الثالث في رد العجز على
الصدر وحده انه كل كلام وجد في نصفه الاخير لفظ يشبه لفظا موجودا في نصفه الاول وله عدة اقسام الاول ان يتفق لفظا الصدر
والعجز صورة ومعنى ويكونا طرفين الاول في اول الكلام والثاني في آخره كقولهم الحيلة ترك الحيلة وقولهم القتل انفى للقتل وكقول القائل
سكران سكر هوى وسكر مدامة انى يفيق فتى به سكران الثاني ان يتفقا صورة لا معنى وهما طرفان كقوله يسار من سجيتها المنايا
ويمنى من عطيتها اليسار الثالث بالعكس ويكونان طرفين ايضا كقول عمرو بن ابي ربيعة واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا
يستبد الرابع ان يلتقيا في الاشتقاق لا في الصورة وهما طرفان ايضا كقول السري ضرائب ابدعتها في السماح فلسنا نرى لك فيها
ضريبا الخامس ان يلتقيا صورة ومعنى ويكون احدهما حشوا في صدر البيت والاخر طرفا في عجزه كقول ابي تمام ولم يحفظ مضاع المجد شيء
من الاشياء كالمال المضاع السادس ان يقعا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول بعضهم لا كان انسان تيمم صايدا صيد المها فاصطاده
انسانها السابع ان يقعا كذلك ويلتقيا معنى لا صورة كقول امرء القيس اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
الثامن ان يقعا طرفين في آخر الصدر والعجز ويتفقا صورة ومعنى كقول ابي تمام من كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت
بالبيض القواضب مغرما التاسع ان يقعا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول الحريري فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات
المثاني العاشر ان يقعا كذلك ويتفقا في الاشتقاق ويختلفا في الصورة كقول البحتري فعلك ان سيلت لنا مطيع وقولك ان
سالت لنا مطاع الحادي عشر ان يتفقا في شبه الاشتقاق ويختلفا صورة ومعنى كقول الحريري ومضطلع بتلخيص المعاني
ومطلع الى تخليص عاني الثاني عشر ان يقع احدهما في اول العجز والثاني في آخره كقول الحماسي وان لم يكن الا معرج ساعة قليلا فاني
نافع لي قليلها الثالث عشر ان يقعا ويلتقيا في الاشتقاق دون الصورة كقول ابي تمام ثوى بالثرى من كان يحيى به الورى
ويغمر صرف الدهر نائله الغمر ووراء هذه الاقسام اقسام اخر لهذا النوع وفيما ذكرناه كفاية البحث الرابع في القلب وهو اما في كلمة
او كلمات والاول فاما ان يتقدم كل واحد من حروفها على ما كان متأخرا عنه ويسمى مقلوب الكل كالفتح والحتف في قوله حسامك فيه
للاحباب فتح ورمحك فيه للاعداء حتف ثم ان وقع مثل هاتين الكلمتين على طرفي البيت سمي مقلوبا مجنحا كقوله ساق
هذا الشاعر الحين الى عز قلبه قاسي ساد حمى القوم فالهم علينا جبل راسي او يكون بعض حروفها كذلك فيسمى مقلوب البعض
كقوله عليه السلام اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا واما في الكلمات بحيث يكون قراءتها من اولها كقراءتها من آخرها فكقول الحريري
اس ارملا اذا عرا وارع اذا المرء اسا النوع الثاني ما يحتاج الى ازيد من كلمتين وفيه ابحاث البحث الاول في السجع وهو ثلثة اقسام
احدها يسمى المتوازي وهو ان يتساوى الكلمتان في عدد الحروف ونوع الحرف الاخير كقول علي عليه السلام كثرة الوفاق نفاق وكثرة

للخلاف شقاق وكقوله عليه السلام في اهل البصرة عهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق الثاني المطرف وهو ان يختلفا في العدد ويتفقا في
الحرف الاخير كقوله عليه السلام لاحم صدوع انفراجها ولام بينها وبين ازواجها الثالث المتوازن وهو ان يتفقا في عدد الحروف ولا يتفقا في
الحرف الاخير كقول علي عليه السلام الحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافو الافضال ويعرف المتكلف من السجع بامرين احدهما ان يكون الحرف الاخير
انما يحتاج اليه للتقفية لا للمعنى الثاني ان يترك معناه الاول لاجل التقفية البحث الثاني في تضمين المزدوج وهو ان يجمع المتكلم بعد رعاية
السجع في اثناء القراين بين لفظتين متشابهتي الوزن والروي كقوله تعالى وجئتك من سبإ بنبإ يقين وقوله صلى الله عليه وسلم المؤمنون
هينون لينون وكقول علي عليه السلام كثرة الوفاق نفاق البحث الثالث في الترصيع وهو ان يتساوى اوزان الالفاظ ويتفق اعجازها كقوله تعالى
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقول علي عليه السلام علا بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وازل
وقوله في صفة الدنيا اولها عناء واخرها فناء وحلالها حساب وحرامها عقاب وقد يجي مع التجنيس كقوله عليه السلام في كتاب الله
بيت لا تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه الباب الثاني فيما يتعلق بالدلالة الوضعية والمعنوية واعلم ان البحث عن حسن الدلالة
اللفظية يرجع الى اشتراط اربعة امور الاول ان تكون الكلمة عربية غير مولدة ولا صادرة عن خطأ العامة الثاني ان يكون اجرى
على مقاييس العرب وقوانينها الثالث المحافظة على قوانين النحو الرابع الاحتراز عن الالفاظ الغريبة الوحشية ولذلك كانت في
الكتاب العزيز نادرة واما الكلام في الدلالة المعنوية فاعلم انه لما كانت الالفاظ المفردة لا تستعمل لافادة مدلولاتها
الالتزامية الا عند التركيب وكان الاصل في اصناف التراكيب هو الخبر وهو الذي يتصور بالصور الكثيرة وتظهر فيه الاسرار العجيبة
من علم المعاني والبيان رأينا ان نشير الى قدر من مباحثه قبل الخوض في سائر الاقسام وقد رتبنا هذا الباب على فصول الفصل
الاول في احكام الخبر وفيه ابحاث البحث الاول في رسم الخبر وقد رسم بانه القول الذي يقال لقائله انه صادق فيما قاله او كاذب
واورد الامام فخر الدين عليه شكا فقال الصدق والكذب لا يمكن تعريفهما الا بالخبر اذ يقال في الصدق انه الخبر المطابق وفي الكذب انه الخبر
الغير المطابق فتعريف الخبر بهما دور واجاب افضل المتأخرين نصير الدين ابقاه الله عنه فقال الحق ان الصدق والكذب من الاعراض
الذاتية للخبر فتعريفه بهما رسمي او رد تفسيرا للاسم وتعيينا لمعناه من بين ساير المركبات ولا يكون ذلك دورا لان الشيء الواضح
بحسب ماهيته ربما يكون ملتبسا في بعض المواضع بغيره ويكون ما يشتمل عليه من اعراضه الذاتية الغنية عن التعريف او غيرها مما يجري
مجراها عاريا عن الالتباس فايراده في الاشارة الى تعيين ذلك الشيء انما يخصصه ويجرده عن الالتباس وانما يكون دورا لو كان
تلك الاعراض ايضا مفتقرة الى البيان بذلك الشيء وههنا انما يحتاج الى تعيين صنف واحد من اصناف المركبات فيه اشتباه لانه لم يتعين
بعد وليس في الصدق والكذب اشتباه فيمكننا ان نقول انا نعني بالخبر التركيب الذي يشتمل حد الصدق والكذب عليه كما لو وقع اشتباه في
معنى الحيوان فيمكننا ان نقول انا نعني به ما يقع في تعريف الانسان موقع الجنس ولا يكون دورا وقيل في تعريفه ايضا انه القول المقتضي
بصريحه اسناد امر الى امر بالنفي والاثبات واما تسمية النحاة احد جزئي الخبر خبرا فمجاز البحث الثاني ان ليس الغرض الاول من وضع
الالفاظ المفردة افادتها لمسمياتها المفردة بيان ذلك ان افادتها قبل الوضع فلو توقفت افادتها موقوفة على العلم بكونها موضوعة
لها وهو مستلزم للعلم بها لها على الوضع لزم الدور وانه محال بل الغرض الاول منها تمكن الانسان من تفهيم ما يتركب من تلك
المسميات بواسطة تركيب تلك الالفاظ المفردة لا يقال ما ذكرتموه قائم بعينه في المركبات لان اللفظ المركب لا يفيد مدلوله الا

عن

عند العلم بكون تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعاني فلو استفدنا العلم بتلك المعاني من تلك الالفاظ لزم الدور لانا نقول لا نسلم ان الالفاظ المركبة لا يفيد مدلولها الا عند العلم بكون تلك الالفاظ المركبة موضوعة له بيان ذلك انا متى علمنا وضع كل واحد من تلك الالفاظ المفردة لكل واحد من تلك المعاني المفردة فاذا توالت الالفاظ المفردة بحركاتها المخصوصة على السمع ارتسمت المعاني المفردة في الذهن مستلزمة للعلم بنسبة بعضها الى بعض استلزاما عقليا وذلك هو التركيب فظهر ان استفادة العلم بالمعاني المركبة لا يتوقف على كون الالفاظ المركبة موضوعة لها وبالله التوفيق البحث الثالث في الفرق بين الاخبار بالاسم والاخبار بالفعل قد عرفت ان الفعل مشعر بالزمان المعين دون الاسم فلذلك ظهر الفرق بين الاخبار به والاخبار بالاسم فانك اذا قصدت بالاخبار الاثبات المطلق غير المشعر بالزمان وجب ان تخبر بالاسم كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه اذ ليس الغرض الا اثبات البسط لذراعي الكلب فاما تعريف زمان ذلك فغير مقصود فاما ان قصدت الاشعار بزمان ذلك الثبوت فالصالح له هو الفعل كقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض فان تمام المقصود انما يحصل بكونه معطيا في كل حين واوان لا بمجرد كونه معطيا البحث الرابع في حكم المبتدا والخبر متى اجتمعت الذات والصفة فالذات اولى بالمبتدائية والصفة اولى بالخبرية ثم اما ان يكون الامر في اللفظ كذلك او بالعكس والاول اما ان لا يدخل لام التعريف في الخبر كقولك زيد منطلق وذلك يفيد ثبوت مطلق الانطلاق لزيد من غير ان يفيد دوام ذلك الثبوت او انقطاعه او يدخله لام التعريف كقولك زيد المنطلق او زيد هو المنطلق فاللام في الخبر يفيد انحصار المخبر به في المخبر عنه ثم اما ان يكون لام العهد كما اذا اعتقدت وجود انطلاق معين ولكن لا يعلم ان المنطلق زيد ام عمرو فاذا قلت زيد المنطلق عنيت ان صاحب ذلك الانطلاق هو زيد فهذا انحصر ذلك الانطلاق في زيد واما لتعريف الطبيعة فيفهم من وضعه الحصر ثم هو للحصر ان امكن ترك الكلام على حقيقته كقولك زيد هو الوفي اذا لم تظن باحد خيرا غيره والا حمل الكلام على المبالغة كقولك زيد هو العالم وهو الشجاع لامتناع حصر الحقيقة فيه واما اذا عكس واخرت الذات عن الصفة كقولك المنطلق زيد فذاك انما يقال اذا اعتقد معتقد ان انسانا انطلق ولكن لا يعلم شخصه فيقال له المنطلق زيد اي الذي يعتقد انطلاقه هو زيد ثم الضابط ان الاخبار يجب ان يكون عما يعرف بما لا يعرف وله الفصل الثاني في الحقيقة والمجاز وفيه ابحاث البحث الاول في معنى الحقيقة والمجاز وحدهما الحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة من الحق وهو الثابت وسمي ما خالف المجاز حقيقة لانه مثبت معلوم الدلالة والمجاز مفعل من جازه يجوزه اذا تعداه واذا عدل باللفظ عن وضعه اللغوي وصف بانه مجاز بمعنى ان الذهن انتقل فيه من اللفظ الى معنى غير معناه فصار موضع الانتقال والمجاوزة واما حد الحقيقة فاما في المفردات فهي كل كلمة افيد بها ما وضعت له في اصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به ويدخل في ذلك الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية واما في الجمل فكل جملة وضعتها على ان الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه فهي حقيقة كقولنا خلق الله العالم واما حد المجاز فاما في المفردات فهو ما افيد به معنى غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الاول ويدخل في ذلك المجاز اللغوي والعرفي والشرعي واما في الجمل فكل جملة خرج الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل بضرب من التاويل فهو مجاز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها البحث الثاني فيما به يتحقق المجاز لا بد فيه من امرين احدهما ان يكون منقولا عن معنى وضع اللفظ بازائه والا لبقي حقيقة الثاني ان يكون ذلك النقل لمناسبة بين المعنيين والا لكان في الثاني مرتجلا وبهذا يظهر الفرق بين المجاز والكذب والدعوى الباطلة وذلك لان المبطل اذا اخرج الحكم عن موضعه واعطاه غير المستحق لم يعرف انه انما اعطاه لكونه فرعا لاصل بل يجزم بان ثبوت الحكم في

ذلك الموضع بثبوت اصلح وكذلك الكاذب يدعي ان الامر على ما وضعه وليس هو في الثاني ويل في شيء والمجاز لم يكن مجازا الا لانه اثبات للحكم لما لا يستحقه للمناسبة بينه وبين المستحق البحث الثالث في المجاز المجاز اما ان يقع في اللفظ المفرد فقط او في المركب فقط او فيهما معا مثال الاول اطلاق لفظ الاسد على الرجل الشجاع والحمار على البليد واما الثاني فهو ان يستعمل كل واحد من الالفاظ المفردة في موضعه الاصلي لكن التركيب لا يكون مطابقا لما في الوجود مثاله قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وقول الشاعر اشاب الصغير وافنى الكبير كر الغداة ومر العشي وهذا المجاز عقلي لان نسبة الاخراج الى الارض والاشابة الى كر الغداة والعشي حكم عقلي عدل به عن الفاعل الحقيقي وهو الله سبحانه الى غير من هو له وهو الارض والغداة والعشي مثال الثالث قولك لمن تحبه احياني اكتحالي بطلعتك فان لفظي الاحياء والاكتحال مفردان استعملا في غير موضعهما الاصلي ثم نسب الاحياء الى الاكتحال مع عدم المطابقة لما في نفس الامر وهذا التلخيص لعبد القاهر النحوي رحمه الله البحث الرابع في اصناف المجاز والذي ذكره الامام فخر الدين منها اثنا عشر موضعا ا اطلاق اسم السبب على المسبب والاسباب اربعة احدها الفاعلي كاطلاق اسم النظر الذي هو تقليب الحدقة نحو المرئي على الرؤية كقولك نظرته اي رايته الثاني الغائي كتسميتهم العنب بالخمر الثالث الصوري كتسميتهم القدرة يدا الرابع القابلي كقولهم سال الوادي ب اطلاق اسم المسبب على السبب كتسميتهم المرض الشديد بالموت والاول اولى لاستلزام السبب المعين للمسبب المعين من غير عكس واولى الاسباب بذلك السبب الغائي لحصول علاقتي العلية والمعلولية اللتين كل واحدة منهما علة لحسن المجاز فيه دون باقي الاسباب ج اطلاق اسم الشيء على ما يشابهه كاطلاق لفظ الحمار على الرجل البليد وهو الاستعارة كما سيجيء بيانها د تسمية الشيء باسم ضده كتسمية العقاب بسبب الجريمة بالجزاء المختص بمقابلة الاحسان بمثله ه تسمية الجزء باسم الكل كاطلاق لفظ العام على الخاص و العكس كاطلاق لفظ الاسود على الزنجي لسواد جلده والاول اولى لاستلزام الكل للجزء من غير عكس ز اطلاق ما بالفعل على ما بالقوة كتسمية الخمر في الدن مسكرا وهو قريب من اطلاق السبب الغائي على مسببه ح اطلاق المشتق بعد زوال المشتق منه كاطلاق لفظ ضارب على من فرغ من الضرب وقد عرفت ان ذلك هل هو مجاز او حقيقة ط اطلاق اسم المجاور على مجاوره كاطلاق لفظ الراوية وهو الجمل الذي يحمل عليه الماء على المزادة ي اطلاق اسم الحقيقة العرفية كالدابة للفرس على الحمار وغيره مجازا عرفيا يا المجاز بسبب النقصان والزيادة قال الامام وتحقيقه ان الكلمة كما انها توصف بالمجاز لنقلها عن معناها فقد توصف بالمجاز لنقلها عن حكم كان لها الى حكم ليس هو بحقيقة فيه كقوله تعالى واسئل القرية والتقدير واسئل اهل القرية والذي يستحقه في الاصل الجر والنصب فيها مجاز وفيه نظر لان الاعراب لا يراعى فيه صدق النسبة وكذبها والمطابقة وعدمها فانك لو قلت لمست السماء كان السماء مفعولا به للفعل المتقدم ويستحق النصب حقيقة فكذلك القرية ههنا تستحق النصب حقيقة بالمفعولية اما النسبة في نفسها صادقة ام لا فذاك بحث آخر بل الحق انه مجاز في التركيب والنسبة فان نسبة السؤال الى اهل القرية حقيقة فيكون الى القرية مجازا وان قطعنا النظر عن مباحث النحاة امكن ان يكون الحق ما قاله الامام واما المجاز بسبب الزيادة فالحق ان الزيادة ان غيرت معنى الكلام الذي يتم بدونها ولا يحتاج فيه اليها كقوله تعالى ليس كمثله شيء فالمجاز حاصل في النسبة اذ كانت نسبة النفي الى من ليس وان لم يغير كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لم يتصور المجاز ههنا يب اطلاق اسم المتعلق على المتعلق كتسمية المقدور قدرة البحث الخامس المجاز بالذات لا يدخل الا على اسماء الاجناس وبيانه اما الحرف فلان معناه في غيره فان ضم الى حقيقة فهو حقيقة او الى مجاز كان مجازا في التركيب فلم يدخله بالذات واما الفعل فلان معناه مركب من المصدر وغيره فما لم يكن

المصدر

المصدر متجوزا به لم يكن الفعل كذلك فكان داخلا فيه بالعرض واما الاسم فاما علم ولا يدخله المجاز لانه مشروط بالعلاقة بين الاصل والفرع وليست موجودة في الاعلام او مشتقا ومعلوم انه لولا تطرق المجاز الى المشتق منه لم يتطرق الى المشتق فلم يبق الا اسماء الاجناس البحث السادس في الداعي الى التكلم في المجاز العدول الى المجاز اما لاجل اللفظ او المعنى او لهما اما الاول فاما لاجل جوهر اللفظ او لاحوال العارضة له اما الاول فان يكون اللفظ الدال بالحقيقة ثقيلا على اللسان اما لثقل اجزائه او لتنافر تركيبه او لثقل وزنه ويكون المجاز عذبا واما الثاني فان يكون المجاز صالحا للشعر او للسجع واصناف البديع دون الحقيقة واما الذي لاجل المعنى فقد يقصد المجاز للتعظيم ليس في الحقيقة كما يقال سلام على المجلس السامي او للتحقير يكون فيهما كما يعبر بالغائط عن قضاء الحاجة او لزيادة بيان اما تقويته لحال المذكور كقولك رايت اسدا للانسان الشجاع فانه اتم من قولك رايت انسانا يشبه الاسد في شجاعته او تقويته لحال الذكر وهو المجاز الذي يذكر للتاكيد او لتلطيف الكلام قال الامام وتقريره ان النفس اذا وقفت على كلام فلو وقفت على تمام المقصود لم يبق لها اليه شوق اصلا لان تحصيل الحاصل محال وان لم يقف على شيء منه اصلا لم يحصل لها ايضا اليه شوق اما اذا وقفت عليه من بعض الوجوه دون البعض فان القدر المعلوم يشوقها الى غير المعلوم فيحصل لها بسبب علمها بالقدر المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي الم فيحصل هناك تعاقب الآلام واللذات واللذة اذا حصلت عقيب الالم كانت اقوى وشعور النفس بها اتم اذا عرفت ذلك فنقول اذا عبر عن الشيء باللفظ الدال عليه على سبيل الحقيقة حصل تمام العلم به فلا يحصل اللذة القوية اما اذا عبر عنها بلوازمها الخارجية وعرفت لا على سبيل الكمال فتحصل الحالة المذكورة التي هي كالدغدغة النفسانية مثاله هذا انك اذا قلت رايت انسانا يشبه الاسد في شجاعته فقد حصلت المعاني بتمامها من الفاظها الموضوعة لها فلم يحصل من اللذة ما يحصل من قولك رايت اسدا في يده سيف فان الذهن ههنا يتصور من لفظ الاسد معناه ولوازمه البينة كالشجاعة ثم ينتقل بسبب القرينة الى ملاحظة وجه الشبه في الانسان الذي هو الشجاعة فذلك الانتقال هو محل اللذة والدغدغة النفسانية البحث السابع فيما ينفصل به الحقيقة عن المجاز انه اما ان يقع بالتنصيص او الاستدلال اما التنصيص فمن وجوه احدها ان يقول الواضع هذا حقيقة وهذا مجاز وثانيها ان يذكروا حدا منهما وثالثها ان يذكر خواصهما واما الاستدلال فالحقيقة تعرف من وجهين احدهما ان يسبق المعنى عند ذكر اللفظ الى فهم بعض السامعين من اهل ملك اللغة فيحكم بانه حقيقة فيه اذ لولا اضطرارهم الى فهم ذلك المعنى من قصد الواضعين لما فهموه دون غيره وثانيهما ان اهل اللغة اذا ارادوا افهام غيرهم معنى اقتصروا على عبارات مخصوصة واذا قصروا بالتعبير الحسن بعد الفهم عبروا بعبارات اخرى وقرنوا بها قرائن فيعلم ان الاول حقيقة اذ لولا استقر في قلوبهم استحقاق ذلك اللفظ لذلك المعنى لما اقتصروا عليه واما المجاز فيعرف اما اولا فمن عكوس ما ذكرنا في تعريف الحقيقة واما ثانيا فلان الكلمة اذا علقت بما يستحيل تعليقها به علم انها في اصل اللغة غير موضوعة له فيعلم انه مجاز فيه كقوله تعالى واسئل القرية واما ثالثا فان نعلم ان الواضع وضع لفظا لمعنى ثم استعمله في بعض موارده ثم استعمله بعد ذلك في غير ذلك الشيء كلفظ الدابة الذي وضع لكل ما يدب ثم خص بالفرس فصار حقيقة عرفية ثم استعمل بعد ذلك في الحمار فيعلم انه مجاز فيه الى ان يغلب الاستعمال عليه فيصير حقيقة عرفية ايضا الفصل الثالث في التشبيه وفيه اربعة اركان الركن الاول في المتشابهين انهما اما محسوسان او معقولان او المشبه به محسوس والمشبه معقول او بالعكس اما الاول فكقول علي عليه السلام لاهل البصرة كاني

انه صح

بمسجد كم هذا الجو جو سفينة وقوله عليه السلام في وصف الاتراك كأني اراهم قوما كأن وجوههم المجان المطرقة واما الثاني فكقوله عليه السلام كم اداريكم
كما تدارى البكار العمدة والثياب المتداعية فان المشابه ههنا هو مداراته ومداراة اهل البكار لها والمداراة معنى اضافي معقول
وما به المشابهة هو الصعوبة ههنا كالصعوبة هناك واما الثالث فكقوله عليه السلام في حق مروان اما ان له امرة كلعقة الكلب انفه فان الامرة
حالة معقولة اشبهت لعقة الكلب انفه في السرعة وهي امر محسوس وقوله عليه السلام اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر وكقوله
كأني بك بالكوفة تمدين مد الاديم العكاظي واما الرابع فكقول الشاعر ۞ كأن انتضاض البدر من تحت غيمه ۞ نجاة من البأساء بعد وقوع ۞
وكقول الصاحب بن عباد وقد اهدى عطرا الى القاضي ابي الحسن ۞ اهديت عطرا مثل ثنائه ۞ فكأنما اهدى له اخلاقه ۞ وقد منع
الامام فخر الدين من جواز هذا القسم من التشبيه اعتمادا منه على ان العلوم العقلية مستفادة من الحواس فكان المحسوس اصلا للمعقول
فتشبيهه به يقتضي جعل الاصل فرعا والفرع اصلا وهو محال وهذا سهو فان الحواس وان كانت طرقا للعلم الا انها ليست كل الطرق ولئن
سلمناه لكن الممنوع انما هو جعل الفرع اصلا من جهة ما هو فرع لذلك الاصل لا مطلقا وههنا ليس كذلك فان المعقول فرع للمحسوس من جهة نكتة
ما هو مستفاد عنه فيمتنع ان يعود اصلا من تلك الجهة اما انه لا يمتنع ان يكون فرعا له من تلك الجهة ومع ذلك يكون اصلا له في التشبيه
والملاحظات الذهنية **الركن الثاني** فيما به التشبيه وفيه ابحاث **البحث الاول** في اقسامه وانه اما ان يكون صفة حقيقية او اضافية
والاول اما كيفية جسمانية او نفسانية والاول اما كيفية محسوسة احساسا اولا او ثانيا والاول اما بحس البصر كتشبيه الخد بالورد في الحمرة
وتشبيه الوجه بالنهار والشعر بالليل او بحس السمع كتشبيه اطيط الرحل باصوات الفراريج وكتشبيه الصوت المنكر بصوت الحمار او
بحس الذوق كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر او بحس الشم كتشبيه بعض الرياحين بالمسك والكافور او بحس اللمس كتشبيه
الجسم اللين الناعم بالخز والخشن بالمسح واما المحسوسة ثانيا فهي الاشكال والمقادير والحركات والاشكال اما مستقيمة او مستديرة
مثال التشبيه في الاستقامة تشبيه الرجل المعتدل القامة بالرمح ومثال التشبيه في الاستدارة تشبيه المستدير بالكرة تارة وبالحلقة
اخرى ومثال التشبيه في المقادير تشبيه عظيم الجثة بالجمل والفيل ومثاله في الحركة تشبيه السريع بالسهم واما الاشتراك في كيفية جسمانية
غير محسوسة فكما يقال فلان كالحمار في بلادته او شبعه وهو كالنمر في غضبه واما الكيفية النفسانية فكالاشتراك في الغرائز والاخلاق
كالكرم والحلم والشجاعة والذكاء والفطنة والعلم والزهد كقولك هو كحاتم اي في جوده وكعمرو بن معدي اي في شجاعته واما الاشتراك
في الحالة الاضافية فكقولهم هذه الحجة كالشمس فالاشتراك ههنا في الجلاء بالنسبة الى البصر والفهم وهي حالة اضافية وقد تكون جلية كما
ذكرنا وكقولهم الفاظ فلان كالماء اي في السلاسة وكالنسيم اي في الرقة وذلك انها اذا لم تتنافر حروفه بل خفت على اللسان ولم
يكن غريبا وحشيا ارتاح له القلب فلسرعة وصوله الى النفس صار كالماء الذي يسرع نفوذه الى الحلق والنسيم الذي يسري في
البدن وقد تكون خفية كقوله من ذكر بني المهلب هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها الا ترى انه لا يفهم المقصود من ذلك
الا من كان له ذهن يرتفع عن درجة العامة **البحث الثاني** في تقسيمه بوجه اخر انه قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا فالاول كما اذا
خطرت ببالك استدارة الشمس واستنارتها فانه يخطر ببالك المرآة المجلوة وتلاحظ الشبه بينهما وكذلك اذا نظرت
الى الوشي المنشور لاح لك في شبهه الروض الممطور المفتر عن ازهاره واما الغريب البعيد فهو الذي يحتاج في ادراكه الى دقة نظر
كتشبيه الشمس بالمرآة في كف الاشل وتشبيه البرق باصبع السارق كقول كشاجم ۞ أرقت ام نمت لضوء بارق ۞ مؤتلقا مثل الفؤاد الخافق ۞

كأنه

كانه اصبع كف السارق ثم السبب في القرب والبعد امران احدهما ان الحس لا يعطي التمييز بين جهتي الاشتراك والامتياز وانما يدرك المركب من حيث هو
شيء واحد واما التفصيل والتمييز فذاك حظ العقل وايضا فشعور الحس بالاجمال اقدم من شعوره بالتفصيل فان المرئي في اول النظر اليه لا
يدرك بحس البصر تفاصيله حتى يتكرر وكذلك المسموع فانك تحتاج في اعادة الصوت على ما لم يقف عليه بالسماع الاول وبادراك التفاصيل يقع التفاضل
بين سامع وسامع واذا كان ادراك الجملة قبل ادراك التفصيل وكان ادراك التفصيل محتاجا الى الكد والطلب كان ادراك الجملة اسهل واقرب من
ادراك التفصيل **البحث الثالث** في بيان ان التشبيه بالوجه العقلي اعم من التشبيه بالوجه الحسي اما تشبيه المحسوس بالمحسوس فيمكن ان يكون لاجل
الاشتراك في وصف محسوس ويمكن ان يكون لاجل الاشتراك في وجه معقول ويمكن ان يكون لاجلهما جميعا مثال الاول تشبيه الخد بالورد مثال
الثاني قوله صلى الله عليه وآله اياكم وخضراء الدمن ماخوذ للمرأة من النبات وهما محسوسان ولكن وجه المشابهة هو مقارنة الحسن الظاهر للقبح الباطن
وهو امر عقلي مثال الثالث تشبيه الشخص الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس لاشتراكهما في النباهة التي هي امر عقلي وفي الضياء الذي هو امر حسي
واما تشبيه المعقول بالمعقول والمعقول بالمحسوس والمحسوس بالمعقول فيمتنع ان يكون وجه المشابهة غير عقلي لان وجه المشابهة
مشترك بين الجانبين فلو كان محسوسا لم يصح وصف المعقول به واما العقلي فيصح لصحة ان يصدر عن ما لا يكون محسوسا امر محسوس فثبت
ان التشبيه بالوجه المعقول اعم **البحث الرابع** التشبيه بالوصف المحسوس اتم من التشبيه بالوصف المعقول بيانه من وجهين احدهما ان
اكثر الغرض في التشبيه التخييل الذي يقوم مقام التصديق في الترغيب والترهيب والخيال اقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الامور
الاضافية الثاني ان الاشتراك في نفس الصفة اسبق من الاشتراك في مقتضاها لما ان الصفة في نفسها متقدمة في التصور على مقتضاها
فكانت الصفة المحسوسة اتم في التشبيه من الامر المعقول **البحث الخامس** في تقسيم ما به المشابهة الى المفرد والمركب المشابهة اما ان تكون في
امر واحد او في امور كثيرة والاول اما ان لا يكون مقيدا بالنسبة الى شيء او يكون فالاول كتشبيه الكلام بالعسل في ان لكل واحد منهما يوجب للنفس
لذة وحالة محمودة واما الثاني ففيه الانتساب اربعة امور اما المفعول به كقولهم اخذ القوس باريها كان المقصود وقوع الاخذ في
موقعه ووجوده من اهله وهذا لا يحصل من الاخذ المطلق ولكن من حيث الحكم الحاصل له بوقوعه من باري القوس عليه واما الى ما يجري
مجرى المفعول به وهو الجار والمجرور كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد هو كالراقم على الماء فالتشبيه ليس بممتنع من الرقم المطلق بل منه على [illegible]
الماء واما الى الحال كقولهم كالحادي ليس له بعير اي الحادي حال ما لا يكون له بعير واما الى المفعول به والى الجار والمجرور معا كقولهم هو
كمن يجمع السيفين في غمد وهو كمن يبذر الجوز على القبة فالجمع المعوي الى السيفين لا يكفي في التشبيه ما لم يشترط كونه جامعا لهما في الغمد
ومنه قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا فانه تضمن التشبيه من الجهة لا الامر يرجع الى [illegible] حقيقة الحمل المطلق بل لامرين اخرين احدهما
تعديته الى الاسفار والاخر اقتران الجهل بما فيها لان الغرض توجيه الذم الى من اتعب نفسه بحمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم
لم ينتفع به لجهله وهذا المقصود لا يحصل من الحمل المطلق بل منه مشروطا بالشرطين الاخيرين ثم اذا كان ما به المشابهة وصفا
معقدا فقد يمكن افراد احد جزئيه بالذكر وقد لا يمكن اما الاول فكقوله وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق
فانك لو قلت كان النجوم درر وكان السماء بساط ازرق كان التشبيه مقبولا وان بطل المعنى المراد للقايل اذ مقصوده من
التشبيه ههنا ذكر الامور العجيبة من طلوع النجوم مونقة متفرقة في اديم السماء وهي زرقاء زرقتها الصافية والنجوم تتلالا في
تلك الزرقة ومعلوم ان هذا المقصود لا يبقى اذا فرق التشبيه واما الثاني فكقوله كانما المريخ والمشتري قدامه في شامخ الرفعة

منصرف بالليل عن دعوه فدا سرجت قد امه الشمعه فلو قلت كان المريخ منصرف عن دعوه وتركت حديث المشتري والشمعه كان خلفا
من القول اذ التشبيه للمريخ حيث الحالة الحاصلة له من تقدم المشتري له فاذن لا يمكن افراده بالذكر **البحث السادس** في التشبيهات
المتعددة المجتمعة انما يكون الامر كذلك اذا كان التشبيه من امور كثيرة لا يتقيد بعضها بالبعض وحينئذ يكون تشبيهات مضموما
بعضها الى بعض لاغراض كثيرة كل واحد منها قائم بنفسه ولهذا النوع خاصيتان الاولى انه لا يجب فيها الترتيب فانك لو قلت زيد كالاسد
باسا والبحر جودا والسيف مضاء والبدر بهاء لم يجب عليك ان تحفظ في هذه التشبيهات نظاما مخصوصا الثاني اذا اسقط البعض فانه
لا يتغير حال الباقي كقولهم هو يصفو ويكدر ويحلو ويمر ولو تركت ذكر الكدورة والمرارة لكان المعنى في تشبيهه بالماء في الصفا والعسل في الحلاوة
باقيا **البحث السابع** يجب مراعاة التشبيه ولا يجوز تعديها والا وقع الخطاء مثاله ما قيل النحو في الكلام كالملح في الطعام فان جهة التشبيه ههنا
هي الاصلاح والمقصود ان الطعام كما لا يصلح الا بالملح كذلك الكلام لا يصلح الا بالنحو فاما ما ظنه بعضهم ان المقصود هو ان القليل من النحو
مغن والكثير مفسد كما ان القليل من الملح مغن والكثير مفسد فهو ظن فاسد لان النحو علم بمجموع قوانين مضبوطة يمتنع تطرق الزيادة والنقصان
اليه بما ينافي الكلام كقولك كان زيد قايما فانه لا بد فيه من رفع الاسم ونصب الخبر فان وجدا وجد النحو من غير زيادة ولا نقصان وان لم يحصلا
عدم النحو فلا زيادة ولا نقصان ايضا **البحث الثامن** في التشبيه وجه المشابهة الطريق اليه تمييز ما به المشابهة عما به الامتياز مثلا
من اراد تشبيه شيء بشيء في هيئة الحركة وجب ان يطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة مجردة عن الجسم وساير ما فيه من الاعراض كما فعل ابن
المعتز في قوله وكان البروق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا فلم ينظر في جميع اوصاف البرق ومعانيه الا الى الهيئة التي يجدها العين
من انبساط يعقبه انقباض ثم لما بحث عن اصناف الحركات لينظر ايها اشبه بها اصاب ذلك فيما يفعله القاري باوراق المصحف من فتحها مرة
وطبقها اخرى ولم يكن حسن التشبيه جامعا بين مختلفين بل لحصول الاتفاق بينهما من ذلك الوجه ولاجل اجتماع الامرين اعني الاتفاق
التام والاختلاف التام كان حسنا ومما يناسب ذلك في كونه جامعا بين المختلفين محاولة الشاعر جعل الشيء سبب الضده كقوله
اعتقني سوء ما صنعت من الرق فيا برد ذاك على كبدي فصرت عبدا للسوء فيك وما احسن سوء قبلي الى احد **الركن الثامن** في غرض
التشبيه انه اما ان يكون عايدا الى المشبه او الى المشبه به اما الاول فقد يكون غرضه بيان الحكم المجهول وقد لا يكون اما الاول فاما ان يقصد
بيان امكانه عند ما لا يكون بينا فيحتاج الى التشبيه لبيانه كقوله فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال
فان مقصوده ان يقول ان الممدوح فاق الانام حتى لم يبق بينهم وبينه مشابهة بل صار اصلا بنفسه ولما كان هذا في الظاهر كالممتنع
اذ يبعد ان يتناهى انسان في الفضايل الى ان يخرج من نوعه احتج لدعواه بان المسك وان كان بعض دم الغزال في اصله فقد خرج عن صفة
الدم وحقيقته حتى صار لا يعد دما واما ان يقصد بيان مقداره كقولك للشيء الاسود انه كحلك الغراب فان المقصود من هذا التشبيه
بيان مقدار السواد في الحلوكة لا امكان وجوده واما الثاني وهو ان لا يكون غرضه بيان حكم مجهول فقد يكون غرضه احد امرين احدهما
نقل النفس من الغريب الى القريب لان الف النفس مع الحسيات اتم من الفها مع العقليات لتاخر كثير من العلوم العقلية عن الحسية
فاذا ذكرت المعنى العقلي الجلي ثم عقبته بالتمثيل الحسي فقد نقلت النفس عن الغريب الى القريب الثاني ان يقصد المباعدة بين المتشابهين
لان التشابه حينئذ يكون اغرب فيكون اعجاب النفس بذلك التشبيه اكثر لان شغف النفس بالغريب الذي لم يعهد اكثر عن المالوف المعتاد
واما الاغراض العائدة الى المشبه به فقد يقصد المادح على طريق التخييل ان توهم في الشيء القاصر عن نظيره انه زايد عليه ويشبه الزايد

بذلك

بذلك الناقص ويقصد به اعلاء شان ذلك الناقص اى هو بالغ الى حيث صار اصلا للشىء الكامل فى ذلك الامر كقوله • وبدا الصباح كأن غرته •
وجه الخليفة حين يمتدح • الا ترى انه جعل وجه الخليفة اعرف واتم واشهر فى النور والضياء من الصباح حتى شبه الصباح به وقد يقصد
الذام عكس ذلك الركن الرابع فى التشبيه نفسه وفيه ابحاث البحث الاول التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعانى وله حروف والفاظ مخصوصة
كالكاف وكأن ونحو ومثل ويدل عليه وضعا فاذا صرح بالالفاظ الدالة عليه كان حقيقة فاذا قلت زيد كالاسد لم يكن نقلا للفظ عن موضوعه
الاصلى فلا يكون مجازا البحث الثانى فى التشبيه الذى يصح عكسه والذى لا يصح قد يكون الغرض من التشبيه الحاق الناقص بالزائد مبالغة فى اثبات
الحكم للناقص كما اذا شبهت شيئا اسود بحافية الغراب او وجها حسن البياض والصورة بالبدر والشمس ومثل هذا يمنع العكس فلان تنزيل
الزائد منزلة الناقص ينافى المبالغة الاولى وقد يكون المقصود الجمع بين الشيئين فى مطلق الصورة او الشكل واللون كتشبيه الصبح بغرة
الفرس لا لاجل المبالغة فى الضياء بل لاجل ظهور بياض فى سواد مع كون البياض قليلا بالاضافة الى السواد والعكس حينئذ جائز
كما لو شبهت غرة الفرس بالصبح البحث الثالث فى التشبيه الواقع فى الهيئات انه يقع فى الهيئات التى يقع عليها الحركات وقد يقع فى الهيئات التى
يقع عليها السكنات اما الاول فعلى وجهين احدهما ان يقرن الحركة بغيرها من الاوصاف والشكل واللون كقول ابن المعتز • والشمس
كالمرآة فى كف الاشل • اراد ان لها مع الاستدارة والاشراق الحركة التى تراها اذا امعنت التامل وذلك ان للشمس حركة دائمة
متصلة ولنورها بسبب ذلك تموج ولا يحصل هذا التشبيه الا ان تكون المرآة فى كف الاشل لدوام حركته فيتموج بسببه نور المرآة
وتلك حال الشمس وثانيهما ان يكون التشبيه فى هيئة الحركة مجردة من كل وصف يقارنها مثاله قول الاعشى يصف السفينة وتلعب
الامواج بها • تقص السفين بجانبيه كما • ينزو الرباح خلاله الكرع • والرباح القرد فى لغة اهل اليمن واصله بتشديد الباء المخففة
وقيل اراد الربح وهو الفصيل فاشبع فتحة الباء فحدثت الالف والكرع ماء السماء يكرع فيه شبه السفينة فى انحدارها وارتفاعها
بحركات القرد اذا نزا فى الماء فانه يكون له حركات مختلفة فى جهات مختلفة ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب وهو
اشبه شىء بحركات السفينة حين تتدافعها الموج واما التشبيه الواقع فى الهيئات التى يقع عليها السكنات فكقول الاخطل فى
صفة المصلوب • كأنه عاشق قد مد صفحته • يوم الوداع الى توديع مرتحل • او قائم من نعاس فيه لوثته • مواصل لتمطيه
من الكسل • فلطفه بسبب ما فيه من المفصل التفاصيل ولو قال كانه متمط من نعاس واقتصر عليه لكان قريب التناول لان
هذا القدر من التشبيه يحصل فى نفس الرائى للمصلوب لكونه من باب الجملة واما على التفصيل الذى قيد به استدامة تلك الهيئة
فلا يحصل الا مع التامل والحاجة الى ان ينظر الى احوال المتمطى من مد ظهره ويده ويزيد على ذلك النظر الى استدامته لذلك
والى علته وهى قيام اللوثة والكسل فى القائم من النعاس وهذا اصل فيما يراد به التفصيل وهو ان يثبت فى الوصف امر زائد
على المعلول المتعارف ثم نطلب علته البحث الرابع فى مراتب التشبيه فى الخفاء والظهور والتشبيه قد يكون بالتخييل الذى لا وجود له فى
الاعيان كتشبيه الشقائق باعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وقد يكون بما له وجود فى الاعيان وحينئذ فالهيئة
المعتبرة فى ذلك اما ان توجد قليلا او كثيرا بيانه انك اذا قايست بين قوله وكأن اجرام النجوم لوامعا • درر نثرن على بساط ازرق •
وبين قول ذى الرمة • كأنها فضة قد مسها ذهب • عرفت ان الاول اغرب من الثانى لان الهيئة الاولى وهى وجود درر منثور
على بساط ازرق اقل وقوعا من فضة احتذى عليها الذهب وكلما كان الشىء عن الوقوع ابعد كان اغرب فكان التشبيه به الذ

واعجب البحث الخامس في التمثيل والمثل قد خص التشبيه المنتزع من امور معيد بعضها بالبعض باسم التمثيل وقد يكون ذلك على وجه اجتماع صح
الاستعارة كقولك للمتردد في الامر اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى تريد انك في تردد ككمن يقدم رجلا ويؤخر اخرى وقد لا
يكون كما اذا ابرزت الفاظ التشبيه كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الاية واما المثل فهو تشبيه سائر اي يكثر استعماله على معنى
ان الثاني بمنزلة الاول والامثال كلها حكايات لا تغير لان ذكرها على تقدير ان يقال في الواقعة المعينة انما بمنزلة ما يقال فيه
هذا القول كقولك لمن يسمع منك رايك لا يطاع لقصير امر الا ترى انك تقول ذلك بالالفاظ التي قالها منشئ هذا المثل ولو غيرت هذه لم صح
الالفاظ لم تسم مثلا

الفصل الرابع في الاستعارة وفيه ثلثة اركان

الركن الاول في حقيقتها واحكامها وفيه ابحاث

البحث الاول اجود ما قيل في حد الاستعارة انها استعمال اللفظ في غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة التي بها التخاطب لاجل المبالغة
في التشبيه وبالقيد الاول احترز عن الحقايق الثلث اللغوية والعرفية والشرعية وبقولنا لاجل المبالغة في التشبيه عن
ساير وجوه المجاز واعلم ان المستعار وان كان صفة للفظ الا انه صفة للمعنى اولا فان المعنى اولا يعار ثم بواسطته
يعار اللفظ بيانه من وجهين احدهما انه من حيث لا يكون نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك استعارة كالاعلام
المنقولة فانك اذا سميت انسانا بيزيد او يشكر فانه لا يقال لهذه المعاني مستعارة اذ لم يكن نقلها تبعا لنقل معانيها الالفاظ
تقرير الثاني ان العقلاء يجزمون بان الاستعارة ابلغ من الحقيقة فان لم يكن نقل الاسم تبعا لنقل المعنى لم يكن فيه مبالغة اذ لا مبالغة
في اطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه البحث الثاني الفرق بين الاستعارة والتشبيه ان التشبيه حكم اضافي يستدعي مضافين وليس الاستعارة
كذلك فانك اذا قلت رايت اسدا لم تذكر شيئا اخر حتى تشبهه بالاسد فلم يكن ذلك تشبيها بل اعطاء المعنى لفظا ليس له لاجل المشابهة
بينه وبين معناه الاصلي وما هو لاجل شيء اخر لا يكون نفس ذلك الشيء واعلم انه متى قويت المشابهة بين الشيئين كان التصريح
بالتشبيه قبيحا وذلك لقرب التشبيه من حقيقة المشبه به مثاله اطلاق لفظ النور على العلم والايمان والظلمة على الكفر والجهل
فلا يحسن ههنا لقوة المشابهة ان تقول العلم كالنور وبالجملة فالاستعارة انما تحسن حيث يكون التشبيه متقررا بين
الناس ظاهرا فاما اذا اخفي واحتاج الى كلفة فلا بد من التصريح فانك لو قلت في قوله عليه السلام مثل المومن كمثل النخلة رايت
نخلة واردت المومن كنت كما قال سيبويه ملغزا تاركا لكلام العرب البحث الثالث في ترشيح الاستعارة وتجريدها اما ترشيح
الاستعارة فان يراعي جانب المستعار ويوليه ما يستدعيه ويضم اليه ما يقتضيه كقول كثير رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر
فاستعار الرمي للنظر وراعى ما يستدعيه فاردفه بلفظ السهم وقول امرء القيس فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا
وناء بكلكل لما جعل لليل صلبا قد تمطى به اردفه بما يقتضيه من الاعجاز والكلكل واما تجريدها فان يراعي جانب المستعار
له كقوله تعالى فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف وكقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف لو نظر الى المستعار لقيل فكساهم لباس
الجوع ولقال زهير لدى اسد وافي المخالب او البراثن البحث الرابع في الاستعارة بالكناية وتنزيلها منزلة الحقيقة اما الاستعارة
بالكناية فهو ان يذكر بعض لوازم المستعار للتنبيه عليه دون التصريح كقول ابي ذويب واذا المنية انشبت اظفارها
فكانه حاول استعارة السبع للمنية لكنه لم يصرح بها بل ذكر بعض لوازمها تنبيها بها على المقصود واما تنزيلها منزلة
الحقيقة فاعلم انهم قد يستعيرون الوصف للشيء المعقول ويجعلون ذلك كالثابت لذلك الشيء في الحقيقة وكان الحقيقة لم توجد

وذكر

وذلك كاستعارة العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علواً مكانياً كقول ابي تمام ويصعد حتى
يظن الجهول بان له حاجة في السماء صعوداً مكانياً وهكذا اذا استعاروا اسم الشيء للغير من نحو بدر او اسد فانهم يبلغونه الى حيث
يعتقدون ان ليس هناك استعارة كقوله قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس فلولا انه انسى نفسه ان ههنا استعارة لما كان لهذا
التعجب معنى ومدار اكثر هذا النوع على التعجب وقد يجيء على عكس مذهب التعجب كقوله لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على قمر فقد ذكر
كما ترى شيئاً هو من خاصة القمر فهو بيناهم في التعجب من بلى الكتان بسرعة ويقول انه قد زر على القمر ومن شان القمر ذلك وهذا انما يتم
بالجزم بكونه قمراً لانه لو اعترف بانه ليس بقمر وانما يشبه القمر لبطل كلامه البحث الخامس في شرط حسن الاستعارة واعلم ان الاستعارة انما
تحسن بالمبالغة في التشبيه مع الايجاز كقوله ايا من رمى قلبي بسهم فانفذا لا كقول ابي تمام لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت
ماء بكائي فان قوله ماء الملام ليس فيه لذاذة ولو اتى بالحقيقة فقال لا تلمني لكان اوجز وقد تكون الاستعارة عامية كقولك رايت
اسداً ووردت بحراً وقد تكون خاصية كقوله وسالت باعناق المطي الاباطح شبه سيرها الحثيث وغاية سرعته في لين وسلاسة
بسيل وقع في الاباطح فجرت الركن الثاني في اقسام الاستعارة وفيه ابحاث البحث الاول الاستعارة قد تعتمد نفس التشبيه كما اذا اشترك شيئان
في وصف وهو في احدهما ازيد فيعطى الناقص اسم الزائد كقولك رايت اسداً وتريد رجلاً شجاعاً وعنت لنا ظبية وتريد امراة وقد تعتمد لوازم
التشبيه وهو اذا كانت جهة الاشتراك انما تثبت كمالها في المستعار منه بواسطة امر اخر فيثبت ذلك الامر للمستعار له مبالغة في اثبات المشترك
كقوله اذا اصبحت بيد الشمال زمامها فالشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالحيوان المتصرف الا ان تصرف [illegible] في اكثر الاحوال — الحيوان لما كان صح
باليد كانت اليد كالالة التي يكمل بها التصرف ولما كان الغرض ههنا التصرف وهو لا يكمل الا بثبوت اليد لا جرم اثبت للريح يداً
تحقيقاً للغرض وكذلك قوله اذا هز في عظم قرن تهللت نواجذ افواه المنايا الضواحك لما شبه المنايا عند هزة السيف
بالمسرور وكمال الفرح انما يظهر بالضحك الذي يتهلل فيه النواجذ اثبت الضحك مع النواجذ تحقيقاً للوصف المقصود البحث الثاني واعلم
ان القسم الاول على اربعة اقسام احدها ان يستعار لفظ المحسوس للمحسوس وحينئذ فالاشتراك بينهما اما في الذات او في الصفات
او بالعكس فالاول كالحقيقة تتفاوت احادها في الفضيلة والنقص والقوة والضعف فيستعار لفظ الاكمل في ذلك النوع للانقص
كاستعارة الطيران للعدو بسرعة فيقال للعدو السريع طيران اذ الطيران والعدو يشتركان في الحقيقة وهي الحركة المكانية ويختلفان
في القوة والضعف واما الثاني فكقولهم رايت انساناً يتهلل وجهه فههنا الانسان مخالف للشمس في الحقيقة مشارك لها في الوصف وكقوله عليه السلام — شمسا ويدا صح
في ذكر النبي صلى الله عليه وآله اختاره من شجرة الانبياء فان الشجرة واصل النبوة يختلفان بالحقيقة لكنهما يشتركان في ان كل واحد منهما
اصل يتفرع عليه فروع وثانيها استعارة لفظ المعقول للمعقول وهو ايضاً انما يكون في امرين يشتركان في وصف احدهما به اولى
وهو فيه اكمل فينزل الناقص منزلة الكامل ثم ان المشتركين قد يكونان متعاندين اما تعاند النقيضين وهو كاستعارة
المعدوم للموجود عندما لا يكون في ذلك الموجود فايدة فيشارك المعدوم في عدم الفايدة فيستعار لفظه له او كاستعارة الموجود
للمعدوم عندما يكون للمعدوم اثار باقية يشارك بها الموجود الا ان الموجود بمثلها اولى فيستعار لفظه له واما تعاند
الضدين حقيقة كان او ظاهراً وهو كتشبيه الجاهل بالميت لان الموت والحيوة للجاهل اشتركا في عدم الفايدة
المطلوبة منه وهي الادراك والعقل الا ان الموت بها اولى فيستعار لفظها له ومنه قوله عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا

انتبهوا وقد لا يكونان متعاندين وهو كما يشترك موجودان في وصف معقول الا ان احدهما اولى به فيترك الناقص
منزلة الزايد كقولهم فلان لقي الموت اذا لقي شيئا من الشدايد لاشتراك الموت والشدايد في المكروهية لكن الموت اولى بها
فينزل الشدايد منزلة الموت فيستعار لفظ الموت لها وثالثها استعارة لفظ المحسوس للمعقول وهو كاستعارة لفظ النور
المحسوس للحجة الواضحة واستعارة لفظ القسطاس المحسوس للعدل ومنه قوله عليه السلام في مدح القران وانه حبل الله المتين وفيه ربيع
القلب وينابيع العلم فاستعار لفظ الحبل والربيع والينابيع لمعاني القران ورابعها استعارة لفظ المعقول للمحسوس وهو ان يجعل
المعقول اصلا في التشبيه ويبالغ في تشبيه المحسوس به كقوله • فمنظرها شفاء من سقام • ومخبرها حياة من حمام • فان الموضع
المنظور اليه منها لما شارك الشفاء في الالتذاذ الحاصل عنهما وكان الشفاء اولى بذلك بالغ في تشبيه المنظر به فاعاره اسمه
وكذلك بالمخبر وهو محل الاختبار وهو ما اقوالها وافعالها المحسوسة او شيء آخر لما شارك الحيوة في الالتذاذ والحاصل عنهما
وكانت الحيوة اولى به من المخبر بالغ في تشبيه المخبر بها فاستعار له لفظها الفصل الخامس في الكناية وفيه بحثان البحث الاول في
حقيقتها فاعلم ان اللفظة اذا اطلقت واريد بها غير معناها فاما ان يراد بها مع ذلك معناها او لا يراد والاول هو الكناية
كقولك فلان طويل النجاد وكثير رماد القدر فقولنا طويل ليس الغرض الاصلي به معناه بل ما يلزمه من طول القامة وكذلك المثال الآخر
فان المقصود منه ما يلزمه من اطعام الخلق والتكرم عليهم فهذه هي الكناية في المفرد واما في المركب فهي ان يحاول اثبات معنى من
المعاني لشيء فيترك التصريح باثباته له ويثبته لمتعلقه كقوله ان المروة والسماحة والندى • في قبة ضربت على ابن الحشرج •
لما اراد اثبات هذه المعاني للممدوح لم يصرح بها بل عدل الى ما يرى من الكناية فجعلها في قبة ضربت عليه ومنه قولهم المجد بين ثوبيه
والكرم بين برديه ومثاله في جانب النفي قول من يصف امراة بالعفة • يبيت بمنجاة من اللوم بيتها • اذا ما بيوت بالملامة حلت •
فتوصل الى نفي اللوم عنها بان نفاه عن بيتها البحث الثاني في الفرق بينها وبين المجاز الفرق بينهما ان الكناية عبارة عن ان يذكر لفظة
ويفيد بمعناها معنا ثانيا هو المقصود واذا افدت المقصود بمعنى اللفظ وجب ان يكون معناه معتبرا فلم يكن قد نقلت
اللفظة عن موضوعها فليست مجازا مثاله انك اذا قلت فلان كثير الرماد فانت تريد ان تجعل كثرة الرماد دليلا على جوده
فقد استعملت هذه الالفاظ في معانيها الاصلية وقصدت بكونه كثير الرماد معنى ثانيا يلزم الاول وهو الجواد بخلاف المجاز
فانك تنقل اللفظة عن معناها الاصلي وبالله التوفيق الجملة الثانية في النظم وفيها فصول الفصل الاول في حقيقته بانه وضع
الكلام على النهج الذي يقتضيه علم النحو والعمل فيه بقوانينه واصوله بيانه انك تنظر في وجوه كل باب وفروقه فتنظر في الخبر مثلا
الى الفرق بين ما اذا كان خبر المبتدا اسما مشتقا او صريحا او فعلا ماضيا او مستقبلا وبين ادخال الالف واللام عليه
او عدمها والفصل بالضمير وعدمه وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تختلف بحسب اختلاف كون الجملتين فعليتين او احدهما
فعلية والاخرى اسمية وان كانا فعليتين فينظر الفرق ما اذا كان الفعلان ماضيين او مستقبلين او احدهما ماضيا
والاخر مستقبلا وفي الحال اذا كان اسما او فعلا وفي الحروف المشتركة في معنى اين يكون موضعها اللايق نحو ان يجي بما في نفي الحال والماضي
وبلا في نفي الاستقبال وبان فيما يتردد بينهما وباذا فيما علم انه كاين وان يعرف مواضع الفصل والوصل ومواضع التعريف
والتنكير والتقديم والتاخير والحذف والتكرار والاضمار والاظهار فيضع كل شيء مكانه واعلم انه ليس اذا احسن التنكير مثلا او

التعريف او احد هذه الاعداد في موضع حسن في كل موضع بل انما يحسن بحسب الموضع الذي يقصده وحاصل هذا التقرير ان النظم انما يحصل في كلمات ضم بعضها الى البعض وذلك النظم يعتبر فيه احوال المفردات واحوال انضمام بعضها الى بعض فاما احوال المفردات فاما ان يعتبر حال دلالة الالفاظ وحال دلالة احوالها وحركاتها وسكناتها فهذه هي اقسام الاعتبار والنظم الكامل انما يحصل اذا اختار الاخير من هذه الامور الثلاثة في كل موضع ما هو الاليق به الفصل الثاني في اقسام النظم ان الجمل الكثيرة اذا نظمت نظما واحدا فاما ان يتعلق بعضها بالبعض او ليس فان كان الثاني لم يحتج ذلك النظم الى فكر في استخراجه مثاله قول علي عليه السلام لا مال اعود من العقل ولا داء اعيا من الجهل ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى وان كان الثاني فكلما كانت اجزاء الكلام اشد ارتباطا كان ادخل في الفصاحة وليس له قانون يحفظ المجيئه على وجوه شتى فلنذكر بعض ما يعتبر منها وهو عشرون وجها الوجه الاول المطابقة وهو الجمع بين المتضادين في الكلام مع مراعات التقابل حتى لا يضم الاسم الى الفعل كقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وقوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء الوجه الثاني وهي ان يجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما ثم اذا شرطتهما بشرط وجب ان يشترط ضديهما بضد ذلك الشرط كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فلما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التيسير مشتركا بين اضداد تلك الامور وهي المنع والاستغناء والتكذيب الثالث المزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء كقول البحتري اذا ما نهى الناهي فلج به الهوى اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر الرابع الاعتراض وهو ان يدرج في الكلام ما يتم الغرض دونه كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقول علي عليه السلام اما بعد فان الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم الخامس الالتفات وهو العدول عن مساق الكلام الى مساق اخر غير مناف للاول في المعنى بل متمم له على جهة الميل او نحوه كالعدول عن الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين او بالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقول علي عليه السلام وبنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم يفقه الواعية السادس الاقتباس وهو ان تدرج كلمة من القرآن او آية منه في الكلام ترتيبا لنظامه كقول ابن شمعون في وعظه اصبروا عن المحرمات وصابروا على المفترضات ورابطوا بالمراقبات واتقوا الله في الخلوات يرفع لكم الدرجات السابع التلميح وهو ان يشار في فحوى الكلام الى مثل سائر او شعر نادر كقول علي عليه السلام في خطبة الشقشقية شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر الثامن ارسال المثلين وهو الجمع بين المثلين كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل التاسع اللف والنشر وهو ان تلف شيئين ثم ترد تفسيرهما جملة ثقة بان السامع يميز ما لكل منهما كقوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ويقرب منه ان تذكر لفظا يتوهم انه يحتاج الى البيان فتقصده مع تفسيره كقوله تعالى يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار الآية واما الذين سعدوا ففي الجنة الآية العاشر وهو ايقاع الاعداد من الاسماء المفردة في النظم والنثر على سياق واحد فان روعي فيه ازدواج او تجنيس او مطابقة او مقابلة حسن جدا مثاله من النثر قولهم فلان اليه الحل والعقد والقبول والرد والامر والنهي والاثبات والنفي ومن النظم قول المتنبي الخيل والليل والبيداء تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم الحادي عشر تنسيق الصفات كقوله تعالى هو الله الذي

لا اله الا هو الملك القدوس السلام الآية وقوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية وقوله ولا تطع كل حلاف مهين الآية
والتنسيق في اوايل الخطب كثير الثاني عشر الايهام وهو ان يكون للفظ ظاهر وتاويل فيسبق الى فهم السامع الظاهر مع ان المراد هو
التاويل كقوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه الثالث عشر مراعات النظير وهو جمع الامور المتناسبة
المتوازنة كقول علي عليه السلام الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مايوس من مغفرته الرابع عشر المدح الموجه وهو ان يمدح بشيء
يقتضي المدح لشيء آخر كقول المتنبي نهبت من الاعمار ما لو حويته لهنيت الدنيا بانك خالد فاوله مدح بالشجاعة واخره مدح
بعلو الدرجة الخامس عشر المحتمل للضدين وهو ان يكون الكلام محتملا للمدح والذم على السواء كمن قال لرجل اعور ليت عينيه سواء
السادس عشر تجاهل العارف كقوله تعالى انا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول المتنبي اريقك ام ماء الغمامة ام خمر السابع عشر
السؤال والجواب كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال ربكم ورب ابائكم الاولين الثامن عشر الحذف وهو ان يتكلف حذف حرف من حروف المعجم
كما حذف علي عليه السلام الالف في خطبته المسماة بالموقصة التاسع عشر التعجب كقوله فيا خجل المقصرين من التوبيخ في محفل القيمة ويا حسرة الظالمين
اذا عاينوا اهل السلامة العشرون الاغراق في الصفة كقول امرء القيس من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا
وقول المتنبي كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني الحادي والعشرون في حسن التعليل وهو ان يذكر وصفان
احدهما علة للآخر والغرض ذكرهما جميعا كقول علي عليه السلام في ذم الدنيا هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وكقوله
فان غاد الغدران في صحن وجنتي فلا غرو منه لم يزل كان غادرا واعلم ان وجوه النظم كثيرة قلما يوجد في كلام المطبوعين
من المتقدمين وانما هي صناعات تكلفها المحدثون لا جرم ذكرنا ما كان غالبا في القران الكريم والكلمات النبوية وكلام علي عليه السلام
والمطبوعين على الكلام من ساير الفصحاء وما احدثه المتاخرون وان كان لا ينحط في سلك الاولين الا انه يدل على ذكاء مبتدعه
وفطنة مخترعه وبالله التوفيق الباب الثاني في التقديم والتاخير وفيه ابحاث البحث الاول في فايدتهما اذا اقدم اللفظ على
غيره فاما ان يكون في النية موخرا كالخبر المبتدا اذا قدم عليه او المفعول اذا قدم على الفاعل واما ان لا يكون على نية التاخير
ولكن على ان ينقل الشيء من حكم الى حكم اخر مثاله ان يذكر اسمين كل واحد منهما يصلح ان يكون مبتدا والاخر خبرا فيقدم هذا
تارة وذاك اخرى كقولك زيد المنطلق وعكسه قال سيبويه عند ما يذكر الفاعل والمفعول كانهم يقدمون الذي بيانه اهم وهم تشخص
ببيانه اعنى وان كانا معا يهمانهم مثاله اذا ارادوا الاخبار عن قتل شخص خارجي لا من حيث هو معين قالوا قتل الخارجي
الخارجي زيد واذا صدر عن بعض الفضلاء قبحه وارادوا الاخبار عن ذلك قدموا اسمه على فعله لان ذكره اولا اتم نسبة
الفعل اليه اوقع في النفوس من العكس فكان عند المخبر اهم وليذكر ما يهم تقديمه وما لا يهم في الاستفهام والخبر والنفي البحث الثاني
في التقديم والتاخير في الاستفهام المذكور عقيب حرف الاستفهام اما الفعل او الاسم فان كان الاول كان هو المشكوك في وجوده
والمسئول عن معرفته مثاله قولك ابنى زيد دارا فان السوال وقع عن وجود البناء والشك في وجوده وان كان الثاني فالسوال
واقع عن تعيين الفاعل كقولك اانت بنيت هذه الدار ثم الاستفهام قد يجي للانكار تارة وللتقرير اخرى والحال فيهما ما ذكرناه
اما الانكار فكقوله تعالى افاصفيكم ربكم بالبنين اصطفى البنات على البنين والانكار ههنا للفعل فاذا قدم الاسم كان الانكار
للفاعل كقولك لمن انتحل شعرا اانت قلت هذا الشعر واما التقرير فكقوله تعالى اخرقتها لتغرق اهلها اقتلت نفسا زكية بغير

نفس

نفس فإن المقصود تقرير الجرم والقتل عليه تمهيدا لتوجه اللوم إليه فأما تقديم الاسم فكقولك أأنت الذي قتلت زيدا فإنه سؤال على
سبيل التقرير لتعيينه للقتل واعلم أن حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل فإذا قدمت المفعول توجه الإنكار إلى كونه بمثابة أن
يوقع به مثل هذا الفعل ولذلك قدم في قوله تعالى قل أغير الله أتخذ وليا وقوله أغير الله تدعون وقوله أبشرا منا واحدا نتبعه **البحث الثالث**
في التقديم والتأخير في حرف النفي إذا أدخلته على الفعل كقولك ما ضربت زيدا كنت قد نفيت فعلا لم يثبت أنه فعل لأن نفيك الضرب عن
نفسك لا يقتضي وقوع الضرب به ولا نفيه عنه لأن نفي الخاص لا يدل على نفي العام ولا على ثبوته وإذا أدخلته على الاسم كقولك ما أنا ضربت
زيدا فهم من ذلك أنه وقع به الضرب وكان القصد نفي كونك أنت الضارب والشاهد لهذه الفروق هو الذوق السليم **البحث الرابع**
في التقديم والتأخير في الخبر المثبت والمنفي هو كالتقديم والتأخير في الاستفهام فإنك إذا قدمت الاسم فقلت زيد قد فعل اقتضى أن
يكون القصد إلى الفاعل إما لتخصيص الفعل به كقولك أنا كتبت في معنى هذا الأمر تريد أنك اختصصت بذلك دون غيرك وإما
لأجل أن تقديم ذكر المحدث عنه آكد لإثبات ذلك الفعل له كقولهم فلان يعطي الجزيل ولا يقصد الحصر بل أن يتحقق عند السامع أن إعطاء
الجزيل دأبه وبيان ذلك أنك لما ذكرت الاسم المحدث عنه والاسم لا يؤتى به عريا عن العوامل إلا لحديث قد نوي إسناده إليه فإذا قلت عبد الله
فقد أشعرت أنك تريد الحديث عنه فيحصل شوق لمعرفته ذلك فإذا أوردته ذلك قبله الذهن قبول العاشق لمعشوقه فيكون ذلك أبلغ
في التحقيق ونفي الشبهة وإن قدمت الفعل اقتضى أن يكون القصد إلى ذكر الفعل كقوله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه فإن
القصد هاهنا إلى ذكر القضاء ونسبته إلى الله تعالى ويقرب من ذلك حكم المنفي كقولك أنت لا تحسن هذا الفعل أو لا تحسن أنت
هذا الفعل **البحث الخامس** في تقديم حرف السلب على العموم وتأخيره عنها أما الأول فإذا قدمت حرف السلب على صيغة العموم
فقلت ما فعلت كل كذا كان سلبا للعموم وذلك لا ينافيه الإثبات للخاص حتى لو قلت وفعلت بعضه لم يكن تناقضا أما إذا قدمت صيغة
العموم على السلب فقلت كل كذا ما فعلته فهم منه عموم السلب وحينئذ ينافيه قولك وفعلت بعضه في العرف وعلى هذا يظهر الفرق بين الرفع
والنصب في قول أبي النجم: قد أصبحت أم الخيار تدعي ... علي ذنبا كله لم أصنع: فإن نصب كل يقتضي سلب العموم ورفعه يقتضي عموم السلب **البحث السادس**
في استيفاء أقسام التقديم والتأخير اعلم أنه قد يختلف حال الكلام في التقديم والتأخير اختلافا كثيرا وقد يدق الفرق بين تقديم الكلمة وتأخيرها
كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فبتقديم شركاء يفهم أنه ما كان ينبغي أن يكون له شريك لا من الجن ولا من غيرهم والذم إنما توجه إليهم لإثباتهم شركاء أما لو
قدم الجن لم يفهم إلا أنهم عبدوا الجن وأما إنكار المعبود الثاني فغير مفهوم منه ويكون الذم إنما توجه عليهم لعبادة الجن دون غيرهم فينبغي أن يلمح الفروق في
تقديم بعض الكلام على بعض وتأخيره ولنذكر مواضع حسن التقديم والتأخير أما التقديم ففي مواضع عشرة **الأول** أن تكون الحاجة إلى ذكره أتم والعلم
به أهم كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فإن تقديم الشركاء أولى لأجل أن المقصود التوبيخ على جعل مطلق الشريك بخلاف ما لو أخر **الثاني**
أن يكون التأخير مخلا بتناسب الكلام كقوله تعالى تغشى وجوههم النار فههنا أليق بما بعده وبما قبله من تأخير المفعول **الثالث** أن يكون الأول
أعرف من الثاني كتقديم المبتدأ على الخبر والموصوف على الصفة فينبغي أن يبتدئ في قولك زيد قائم بزيد ليتوصل النفس بذكر ما يعرف إلى
الإخبار عنه بما لا يعرف فيقع الفائدة حينئذ على حدها وفي مرتبتها في الإتمام ولا ينتقض هذا بتقديم الفعل لأن الفعل لفظ دال
على ثبوت معنى لموضوع غير معين في زمان معين من الثلاثة والإسناد كالجزء الذاتي لمفهوم الفعل والإسناد أمر إضافي والعقل إذا
حصل له الشعور بالإضافة فلو توقف هناك ولم ينتقل إلى ما إليه الإسناد كانت الإضافة مستقلة بالمعلومية وهو محال وإن انتقل

الى ما اسند اليه الفعل فذلك الشيء هو الفاعل فاذن من ضرورة الاسناد فهم المسند اليه واذا وجب هذا الترتيب في الذهن وجب ايضا في
الالفاظ المطابقة ما في الذهن لما في الخارج واقول قد سبق ان الفعل انما قدم في الاخبار كان لاجل ان ذكره اهم لان المقصود من ذكر
الجملة الفعلية لا ذات الفاعل بل ذكر الحدث المخصوص في الزمان المعين ونسبته الى الفاعل واذا كان كذلك جاز ان يقال ان تقديم الاعرف
يكون واجبا اذا كانت الكلمتان متساويتين في الاهتمام بذكرهما واما اذا كان ذكر احدهما اهم كان تقديمه اولى الرابع تقديم الحروف التي
لها صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي والنهي قال الامام تحقيقه ان الاستفهام طلب فهم الشيء وهو حالة اضافية اذا ادركها العقل انتقل الى معروضها منها
واذا وجب ان ينتقل منها وجب ان يكون في اللفظ كذلك فيتقدم ما يدل على الاضافة ويلحق بما يدل على معروضها واقول يمكن ايضا ان يكون
تقديم هذه الحروف من باب ما كان اهم وذلك ان الاستفهام والنهي والنفي معان معقولة وهي المطلوبة من الجمل الداخلة عليها بالذات
فكانت اهم فكانت اولى بتقديم الذكر وكذلك الادوات الدالة على احوال النسب بين اجزاء الكلام كان واخواتها وكان واخواتها
وعسى وبابها ونعم وبئس فانها تقدم معانيها لان معانيها هي المقصودة بالقصد الاول من الجمل الداخلة عليها الخامس تقديم الكلي على
جزئياته لان الكلي اعرف عند العقل وتقديم الاعرف اولى السادس تقديم الدليل على المدلول السابع تقديم الناقص على تمامه كتقديم الموصول
على الصلة والمضاف على المضاف اليه لان تمام الشيء لا يتقدم عليه الثامن تقديم الاسماء المتبوعة على توابعها لان التابع لا يتقدم متبوعه
التاسع تقديم المظهر على ضميره لان الحاجة الى الضمير انما هو لاجل الاختصار من الامور بذي الضمير وذلك متاخر عن تحقق ذي الضمير في العقل
فيجب كذلك في الوضع كقولك ضرب زيد غلامه وقضى زيد حاجته العاشر تقديم الفاعل على المفعولات وما في حكمها لانها امور تلحق الفاعل بالنسبة
الى فعله فكانت متاخرة عنه واذا علمت ما يجب تقديمه علمت من ذلك ما يجب تاخيره الفصل الرابع في الفصل والوصل حاصل معرفة الفصل
والوصل يعود الى معرفة مواضع العطف والاستيناف والتهدي الى كيفية ايقاع حروف العطف مواقعها وهو باب عظيم عند البلغاء ولذلك
جعله بعضهم حد البلاغة فقال اذا سئل عن معناها انها معرفة الفصل والوصل وما ذاك الا لغموضه وكون معرفته مؤدية للمعاني
كما هي وذلك هو المقصود من علم البلاغة ولنحقق الكلام فيه في بحثين البحث الاول فائدة العطف التشريك في الحكم بين المعطوف والمعطوف
عليه ثم زادوا انه ما لا يفيد الا هذا القدر كالواو ومنها ما يدل على زيادة عليه كالفاء وثم فانهما يدلان على التعقيب وان كانت
ثم تختص بالتراخي ومثل او فانها تدل على الترديد فلنبحث على مطلق الاشتراك فنقول العطف اما ان يكون في المفردات وهو يقتضي
التشريك في الاعراب واما في الجمل وحينئذ فالجملة ان كانت في قوة المفرد كقولك مررت برجل خلقه حسن وخلقه
قبيح كانت الشركة في الاعراب ايضا حاصلة لكون الجملتين وصفين للنكرة وان لم يكن فاما ان يكون احدى الجملتين متعلقة لذاتها
بالاخرى او لا يكون فان لم يكن فاما ان يكون بينهما مناسبة او لا يكون فهذه اقسام ثلثة اما الاول فان يكون احدى الجملتين تاكيدا للاخرى
كقوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فقوله لا ريب تاكيد للاول ولا يجوز ادخال العاطف عليه لان التاكيد يتعلق بالمؤكد لذاته فيستغني عن لفظ
يدل على التعلق الثاني ان لا يكون بينهما مناسبة اصلا وههنا ايضا يجب ترك العطف لان العاطف يستلزم المناسبة فيلزم من عدمها عدمه
الثالث ان تصدق المناسبة بينهما مع عدم التعلق الذاتي فههنا يجب ذكر العاطف ثم اما ان يكون المخبر عنه في الجملتين شيئين او شيئا واحدا
اما الاول فالمناسبة اما بين المخبر بهما فقط او بين المخبر عنهما فقط او بينهما معا والاول والثاني يختل معهما النظم لانك اذا قلت زيد طويل
والخليفة قصير مع عدم تعلق حديث زيد بحديث الخليفة اختل وكذلك لو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل ايضا لعدم المناسبة بينه

طول

منها

قوله الفاتحة والشعر فيقتضي ان الواجب حصول المناسبتين فاما ان كان المخبر عنه فيهما شيئا واحدا كقولك فلان يضر وينفع ويامر وينهى ونحوه
فيتعين دخول العاطف لانك اذا قلت هو يضر وينفع افاد العاطف انه هو الجامع لهما بخلاف ما لو حذفته البحث الثاني في عطف الجمل على الجمل انه كما يجوز
ان تعطف جملة على جملة كذلك يجوز ان يعطف مجموع جمل على مجموع جمل اخر وبيان ذلك ظاهر في صورة الشرط والجزاء فانه قد يجعل مجموع
جملتين شرطا ومجموع اخريين جزاء كقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله
جهنم واذا ظهر ذلك في الشرط والجزاء ظهر مثله في العطف كقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين
ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين الاية فقوله وما كنت ثاويا عطف على قوله وما كنت من الشاهدين
مع ما يتعلق بها اذ لو عطفتها على ما يليها لدخلت في حكم لكن فصار التقدير ولكنك ما كنت ثاويا وهو باطل ولو عطفتها على وما كنت من
الشاهدين دون ولكنا انشانا لكان في ذلك ازالة لكن عن موضعها وهو غير جائز الفصل الثاني في الحذف والاضمار وفيه بحثان البحث الاول
في حذف المفعول والمبتدا والخبر اما الاول فلان الفعل المتعدي قد يكون المقصود من ذكره مجرد نسبته الى الفاعل وحينئذ يكون حاله كحال
غير المتعدي في عدم الحاجة الى المفعول والتعرض له كقولك فلان يحل ويعقد ويامر وينهى ويضر وينفع وقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون وقد يلاحظ مع ذلك في ذكر النسبة الى المفعول الا ان المفعول يحذف لاحد غرضين احدهما ان يكون المقصود ذكره لكن يحذف
لابهام التعظيم والتفخيم كقول البحتري شجو حساده وغيظ عداه ان يرى مبصر ويسمع واع فان المرئي والمسموع ههنا لا بد وان يكون
شيئا معينا فحذفه واوهم بذلك ان كل ما يرى منه ويسمع عظيم وانه فضيلة يشجو حساده ويغيظ عداه ومن ههنا يحصل البلاغة ولو
ابرز ذلك المفعول المعين لما حصل ذلك التعظيم الوهمي لتخصيص الذهن للتعظيم بالمفعول المذكور دون ما عداه وقد يكون ذكر المفعول
اولى وابلغ وذلك اذا كان امرا عظيما بديعا كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته لما كان بكاء الدم امرا عجيبا كان ذكره اولى
الثاني ان يحذف للعلم به كقوله عليه السلام ان اشنق لها خرم اي انفها وان اسلس لها اي قيادها تقحم اي المهالك الثالث ان يضمر على شريطة
التفسير كقوله اكرمني واكرمت عبد الله واما المبتدا والخبر فقد ورد حذف كل واحد منهما تارة اما المبتدا فكقوله تعالى سورة انزلناها
واما الخبر فقوله تعالى طاعة وقول معروف وامثاله كثيرة وقد حكم بحسن ذلك البلغاء قال عبد القاهر رحمه الله ما من اسم حذف في الحال التي ينبغي
ان يحذف فيها الا وجدته احسن من ذكره وحسنها في المواضع التي يبهم عنها البلاغة البحث الثاني في الايجاز وحده التعبير عن الغرض باقل ما
يمكن من الحروف من غير اخلال مثاله قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقد كان المثل يضرب بقولهم القتل انفى للقتل الى ان وردت هذه الاية والترجيح
للاية ظاهر من وجهين احدهما انها اوجز فان حروفها عشرة وحروف المثل اربعة عشر الثاني ان القتل قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث
انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الجهة غير معتبرة في كلامهم ولها ترجيحات اخر لا نطول بذكرها ومن ذلك قوله عليه السلام قيمة كل امرئ
ما يحسنه وقوله المرء عدو ما جهله وقوله الجزع اتعب من الصبر وقوله تخففوا تلحقوا الفصل الثالث في احكام ان وانما وما في حكمها
وفيه ابحاث البحث الاول في فوايد ان وهي اربع الاولى انها قد تربط احدى الجملتين بالاخرى فيحصل النظم كقوله تعالى يا ايها الناس ان وعد
الله حق وقوله تعالى اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله عليه السلام ايها الناس انه لا يستغني الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته
وقوله عباد الله ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فلو اسقطت ان في هذه المواضع لزالت المناسبة التي كانت بين
الجملتين معها واعلم انك متى اسقطت ان من الجملة الثانية فان كانت انما ذكرت لتعليل الحكم في الجملة الاولى فلا بد ان يعوض الفاء

منها صح

يمنع

كقوله فزلزلة الساعة شيء عظيم الفايدة الثانية انك تجد لدخولها على ضمير الشان المعقب بالجملة الشرطية وغيرها من الحسن والمزية ما لا تجده عدمها كقوله تعالى انه من يتق ويصبر وقوله عليه السلام ايها الناس انه لا يستغني الرجل كما ذكرناه الفايدة الثالثة انها تهيئ النكرة لان تحدث عنها كقوله عليه السلام ان من احب عباد الله الى الله عبدا كافرا ولو اسقطتها لسقطت الحسن والبلاغة وقد يسقط المعنى اصلا كما لو اسقطتها من قول الشاعر ان شوا ونشوة وخبت البازل الامون الفايدة الرابعة اذا دخلت على الجملة فقد تغني عن الخبر كقولك ان مالا وان ولدا على تقدير ان لهم مالا وكقول الاعشى ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضوا مهلا والحق انها للتاكيد النسبة واذا كان الخبر ما ليس للمخاطب ظن او وهم في خلافه فلا حاجة الى ان هناك ولذلك يزداد حسنا اذا كان الخبر امرا بعيد مثله وقد يجمع مع اللام للتاكيد في خبرها اذا كانت في جواب المنكر لشدة الحاجة هناك الى التاكيد البحث الثاني في فايدة انما اتفق جمهور النحاة على انها للحصر وهو المفهوم منها مثاله قوله عليه السلام وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق وكقوله عليه السلام انا لم يحكم الرجال وانما حكمت القران وهذا القران انما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان وانما ينطق عنه الرجال ومراده بالحصر في هذه الصور ظاهر وقال بعضهم انها ليست للحصر محتجا بقوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبقوله انما المومنون اخوة مع ان الاجماع على ان من لم يوجل من ذكر الله قد يكون مومنا وان الاخوة غير منحصرة في المومنين والجواب ان منشأ الشك هو الغفلة عن ضابط الحصر وضابطه ان الجزء الاخير من الكلام الوارد عقيب انما هو المخصوص بحصر الحكم فيه سواء كان هو الموضوع كقولك انما قام زيد فان المقصود حصر القيام في زيد او كان هو المحمول كقوله تعالى انما انا بشر مثلكم فان المقصود حصر النبي في البشرية ونفي كونه غير بشر واذا تبين ذلك ظهر انه في الصورتين المذكورتين تفيد الحصر اما في الاولى فلانه يجوز ان يكون المقصود من الايمان هناك اقوى مراتبه وهو الاخلاص وحينئذ يتبين ان المومنين منحصرون في الوجلين عند ذكر الله واما الثانية فلان المومنين منحصرون في صفة الاخوة في الدين كما هو المقصود من الاخوة هاهنا واعلم انه قد يستعمل في مفهومها عبارتان اخريان احديهما قولك جاني زيد لا عمرو وهو اضعف منها لانه انما يفيد حصر المجي في زيد بالنسبة الى من اخرجه حرف النفي الثاني ما جاني الا زيد ومفهومهما مفهوم انما في الحصر والتخصيص لقوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به وفرق الامام بينهما فقال ان دلالة انما على نفي غير المذكور بالالتزام ودلالة ما والا على نفي الغير بالمطابقة فكانت اقوى في ذلك من دلالة انما ولذلك يصح ان يقال انما زيد قايم لا قاعد ولا يصح ان يقال ما زيد الا قايم لا قاعد واقول ان صح ما ادعاه من عدم الصحة في الصورة الثانية كان للمانع ان يمنع تعليل ذلك المنع بكون ما والا دالة على نفي الغير بالمطابقة ويصرف ذلك القبح الى قرب لا المقتضية لنفي الغير الى الا المقتضية للحصر وبعدها عن انما فكان التاكيد عقيب انما حسنا لطول الزمان بينهما على انا لا نسلم عدم الصحة هاهنا بل قد يورد للتاكيد وان كان عقيب انما احسن وقد يقام غير مقام الا فيفيد الحصر وقد لا يكون كذلك كقولك ما جاني غير زيد تريد نفي مجي الغير فقط دون اثبات زيد البحث الثالث ان ما والا اذا دخلت على الجملة كان المقصود بالحصر فيه هو ما يلي الا بعدها سواء كان مرفوعا كقولك ما ضرب زيدا الا عمرو او منصوبا كقولك ما ضرب زيد الا عمرا وهكذا ان كان المنصوب حالا او ظرفا فان تاخر مثلا الفاعل والمفعول معا عن الا فالمقصود هو ما يليها ايضا كقولك ما ضرب زيد الا عمرا وكذا لو قدمت المفعول على الفاعل فهو المقصود وهكذا حكم المفعولين كقولك لم اكس الا زيدا جبة فالذي يلي الا هو المقصود بالتخصيص وهكذا المبتدا والخبر ايهما اخرته عن الا فهو المراد بالتخصيص كقولك ما زيد الا قايم فالمراد تخصيص هيئة القيام دون ساير الاحوال او ما القايم الا زيد فهو تخصيص لزيد دون غيره واما تحقيق ذلك في انما فاما في الفاعل والمفعول فايهما اخرته عن صاحبه فهو المقصود ايضا كقولك انما ضرب عمرا زيد ما محصوص فالمقصود تخصيص زيد ومنه قوله تعالى انما يخشى الله من

عباده

عباده العلماء لكان المقصود تخصيص خشية الله وكذا الحال في المبتداء ان تركته على حاله فالاختصاص للخبر كقوله تعالى انما السبيل على الذين يستاذنونك وان اخرته عن الخبر صار التخصيص له كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب فان التخصيص في الاول للخبر وفي الثاني للمبتداء وهذا بحسب المتبادر الى المفهوم من ذوق العربية وبالله التوفيق الفن الثانية في الخطابة وفيه ابحاث وخاتمة البحث الاول في حقيقة الخطابة وفايدتها الخطابة صناعة يتكلف فيها الاقناع الممكن للجمهور فيما يراد ان يصدقوا به وقولنا يتكلف فيها الاقناع اردنا انه يتعاطى فيها هذا الفعل المخصوص بابلغ قصد لديهم والاقناع الممكن هو الفعل الذي يتكلف واردنا به ما يمكن من الاقناع والخطابة في الاقناع انجح من غيرها وفايدتها في تقرير المصالح الجزئية وقد تفيد ايضا تقرير القوانين الكلية لتلك المصالح كالعقايد الالهية والقوانين العملية وهي عظيمة النفع جدا لان الاحكام الصادقة مما هو عدل وحسن اتم نفعا واعود على الناس فايدة واعم جدوى من اضدادها لان نوع الانسان انما هو مستبقى بالتشارك والتشارك محوج الى التعامل والتجاور وهما محوجان الى احكام صادقة في الامور العملية ليثق كل بصاحبه وينتظم شمل المصلحة بينهم وباضداد الاحكام الصادقة يتشتت فيحتاج ان يكون هذه الاحكام مقررة في النفوس متمكنة من العقايد والخطابة هي المتكفلة بحمل الجمهور على التصديق بها فان البرهان والجدل وان قصد بهما التصديق الا ان الجمهور قاصرون عن درجة البرهان والجدل وان كان صناعة ضعيفة بالقياس الى البرهان فهو ايضا يسير الفايدة للعامة صعب بالقياس الى فطنهم وهم عاجزون عن قبوله والمغالطة التي يجب ان يتلقاها العامي بعاميته ينبغي ان يكون من الجنس الذي لا يرتفع عن مقامه ارتفاعا بعيدا بل يكون بالفاظ عذبة غير ركيكة عامية ولا متينة ينبو فهمهم عن قبولها كما سنذكره انشاء الله وقد اشار التنزيل الالهي الى هذه الصناعة في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فسبيل ربك هو الديانة الحقيقية والحكمة هي البرهان وذلك لمن يحتمله والموعظة الحسنة هي الخطابة وهي لمن قصر عن درجة البرهان وجادلهم بالتي هي احسن اي بالمشهورات المحمودة واخر الجدل عن الصناعتين لانهما مصروفتان الى الفايدة والمجادلة مصروفة الى المقاومة والغرض الاول من المخاطبة انما هو الافادة والغرض الثاني هو مجاهدة من ينتصب للمعاندة فاذن الخطابة صناعة وافرة النفع في مصالح المدن وبها تدبر العامة وتنتظم احوالهم البحث الثاني في موضوع الخطابة واجزائها وليس للخطابة نظر في موضوع معين وذلك لان العامة لا يهتدون الى تمييز بعض الموضوعات عن بعض اذ كان تخصيص الكلام في موضوع معين مبني على مبادي تليق بذلك الموضوع بذلك وحدها لا يعرفها العامي ونظر الخطابة بالذات في الجزئيات من اي مقولة اتفقت ولا يخصص جزءا دون اخر بل يقصد بها الاقناع من اي جزء اتفق على ان لها ان ينظر بالعرض في الامور الكلية من الالهيات والطبيعيات والخلقيات والسياسيات والخطابة لها اصل ومتممات يتمها ويعين عليها اما الاصل فهو القول الذي يظن انه لذاته يفيد اقناعا واما المتممات فجملتها يرجع الى حرف واحد وهو انه لما كان الغرض من الخطابة ليس الا الاقناع كان كل مقنع ناسب الغرض منها فهو من متمماتها والامور المقنعة اما قولية يراد بها صحة قول اخر كالقول الذي يقصد به الخطيب تقرير فضيلته عند السامعين او القول الذي يروم به اثبات ان الشهادة مقنعة او كون المعجزة واما شهادة واما حيلة اما الشهادة فاما قولية واما حالية اما القولية فكالاستشهاد بقول نبي او امام او حكيم او شاعر وتسمى شهادة ماثورة او الاستشهاد باقوال قوم يحضرون فيصدقون قول القايل ان الامر كان او الاستشهاد بشهادة الحاكم والسامعين بان القول مقنع وتسمى شهادة محضورة واما الحالية فاما ان يدرك بالعقل او بالحس والاولى مثل فضيلة القايل

واشتهاره بالصدق والتميز واما الحال التي يدرك بالحس فاما بواسطة القول او بدونه اما الاول فكالاستشهاد بالمعجز عقيب التحدي على
صدق قول المدعي وكشهادة حال الحالف عقيب يمينه على قبول قوله وكشهادة حال المتعاهدين على قبول اقوالهما بعد وضع العهود التي هي
اقوال مدونة مكتوبة واما الحال المدركة بالحس عن غير القبول فاما احوال تتبع انفعالا نفسانيا كشهادة سحنة وجه المخبر ببشارة
على قبول قوله او شهادة سحنة المذعور الخائف المخبر عن نزول عذاب او حلول آفة على قبول قوله او تكون طارية من خارج كشهادة جراح
القاتل او غيره على قدوم العدو للحرب واما الحيلة فيفيد الاعداد والاعداد اما للقائل بحيث يكون مقبول القول او للقول بحيث يصير
انجع وانفع او للسامع بحيث يكون اقبل فاما القائل فانه يتخلق الاستشهاد على فضيلة نفسه والدلالة عليها او يتهيا بهيئة ويتزيا
بصورة يجعل مثله مقبول القول فاما القول فان يحسن فيه تصرفه فتارة فيه يرفع به صوته وتارة يخفضه وتارة يثقله وتارة يلينه
ويحزنه ويلاحظ في ذلك حال من يقصد اسماعهم كما سيأتي في التزيينات واما السامعون فاما مخاطب بالقصد الاول واما حاكم يحكم
بين المتخاطبين واما نظارة واما المخاطب فيحتاج ان يستعطف ويستمال ليجنح الى تصديق القائل وكذلك الحاكم واما الناظر فيكفي
فيه ان يهيأ بالحيلة بهيئة مذعن مصدق وان لم يقع له التصديق والتاثر الحاصل للمستمع اما انفعال كالرقة والرحمة في الاستعطاف
والقساوة والغضب في الاغراء واما ايهام خلق كايهام الشيء عدو السخاوة او غيرهما فعاد الامر الى ان الاقوال الخطابية التي يقصد بها
التصديق ثلثة اصناف اصل ويسمى عمودا وهو القول الذي يراد به التصديق نفسه والثاني النصرة وهي القول الذي ينصر ماله التصديق
كالشهادة والثالث الحيلة وهي قول يراد به انفعال الشيء او ايهام الخلق وهما متممان للاصل فهذه اجزاؤها البحث الثالث في
مبادي الخطابة واعلم ان مبادي الاقوال الخطابية ثلثة احدها المشهورات المحمودة وهي اما حقيقة اتفق عليها الجمهور وتطابقت
عليها الشرايع والسنن وهي التي اذا تعقبت بالنظر لم يزل حمدها وان اطلع على كذبها كحسن الصدق وقبح الكذب والظلم وغيرها واما
محمودة ظاهرة في بادي الراي وهي التي تناقض عليها الذهن فيحكم بصدقها قبل التفطن لها فاذا تعقبت زال حمدها لظهور كذبها
وشنعتها كقوله انصر اخاك ظالما او مظلوما وهذه اعم من التي قبلها اذ كل محمود حقيقي محمود في الظاهر فلا ولا ينعكس واستعمال
الخطابي للاولى لا من جهة كونها حقيقية بل لكونها ظاهرة واما محمودة بحسب قوم او شخص شخص وينتفع بها في مخاطبتهم ومثل
هذه وان نفعت في الخطابة الا انها لا تكون عمدة في صناعة الخطابة لكونها غير متناهية او غير مضبوطة فان كل شخص يرى ما هوى
ويختلف الاراء بحسب الاهواء وثانيها المقبولات اما عن جماعة او عن نفر او عن نبي او عن امام كالشرايع والسنن او عن حكيم
كالطب المقبول عن جالينوس وبقراط او عن شاعر كابيات تورد شواهد او يكون مقبوله فقط من غير ان ينسب الى مقبول منه
كالامثال المضروبة وثالثها المظنونات وهي الاحكام التي يتبع الانسان فيها غالب الظن من دون جزم العقل بها كقولك زيد
يسار العدو وجهارا فهو عدو وربما يكون مقابله مظنونا كقولك زيد يسار العدو وجهارا ليخدعه فهو صديق واما تاليفات هذه
فهي ما يظن منتجا وهي مقنعة بحسب المواد والصور معا ويشتمل القياس والتمثيل والاستقراء وما يشبه الخلف فيها اما القياس
فيسمى ضمير الحذف كبراه وتفكير الاشتماله على اوسط يستخرج بالفكر وهو اما على هيئة الشكل الاول كقولك علي علا مضوا قدما
على الطريقة واحتجوا على الحجة فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة البارزة فان تقدير الكبرى وكل من كان كذلك ظفر بالعقبى
الدائمة ويسمى هذا دليلا واما على هيئة الشكل الثاني كقولك فلان له ايمان في نفسه فليس من الفساق فان تقدير الكبرى ولا واحد

من القياس كذلك او على هيئة الشكل الثالث كقولك العارف شجاع والشجاع جواد لان تقدير الكبرى العارف جواد ويسمى ما
كان على هيئة هذين الشكلين علامة والقياس الظني قد لا يكون منتجا في نفس الامر اذ ليس من شرط الخطابة ان يكون على هيئة منتجة
كموجبتين في الشكل الثاني كقولك هذه منتفخة البطن فهي اذن حبلى وتقدير الصدق والحبلى منتفخة البطن ويسمى هذه رواسم لرسمها في
الذهن ظنا ما واما التمثيل فيسمى اعتبارا لعبور الذهن من المشبه به الى المشبه ويسمى المنتج منه برهانا واستعمال التمثيل والقياس
يسمى مثبتا والتمثيل اما ان يكون باصول متفق على القياس عليها سواء كانت امورا موجودة او حوادث ماضية او امثالا
مضروبة سابقة واما ان لا يكون كذلك بل امور يخبر عنها الخطيب كمثل وحكاية اما ممكنة او غير ممكنة والاول كاستشهاده عليه السلام
في تحذير اصحابه من الدنيا بالقرون الماضية واحوالهم واما الثاني فالممكن كما يقول المشير على صديقه لا يعاشر الجهال فاني عاشرتهم
فندمت وقد لا يكون عاشرهم واما غير الممكن فكالاستشهاد بحكايات الحيوانات الموضوعة في كتاب كليلة ودمنة وامثاله — باقوال صه
واما الاستقراء فيقنع فيه بجزويات كثيرة كقولك لمن تشير عليه حصل السيادة بتحصيل الفضيلة لان فلانا وفلانا فضلوا
فسادوا وستعرفه في كلام على عليه السلام واما ما يشبه الخلف فكتنصله عليه السلام من دم عثمان بقوله لو امرت به لكنت قاتلا فانه اراد
تقرير عدم الامر بابطال لازم الامر وهو كونه قاتلا المستلزم لابطال الامر المستلزم لاثبات المطلوب وهو عدم الامر وكذلك
التوبيخ كقوله عليه السلام في توبيخ العلماء في اختلاف الفتيا افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه فانه اراد بيان عدم صحة اختلافهم
بابطال امر الله اياهم المستلزم لابطال نقيض المطلوب وهو صحة الاختلاف والمقدمة التي من شانها ان يصير جزء قياس يسمى
موضعا وحقها ان لا تكون دقيقة علمية ولا واضحة يستغني عن ذكرها كالضروريات والقوانين التي يستنبط منها المواضع
تسمى انواعا والبحث في الخطابة عن الضروريات اقل بل انما يبحث فيها في الاكثر عن الاكثريات والراي قضية كلية ينتفع بها في
امور عملية فيختار او يجتنب ونتايج الاراء اراء مثلها الا انها غير مقنعة ما لم يقرن اليها العلة كقولك لصديقك مثلا لا
تحرص في جمع المال فانه لا يقبل ما لم يقل مع ذلك لانك تشقى بجمعه في الآخرة خصوصا اذا كان الراي شنيعا كقولك لا تحصل
الفضايل فانه ما لم يقرن به العلة كقولك كيلا تحسد لا يقبل ذلك والراي اما ان لا يحتاج الى كلام يقرن به لظهوره في نفسه او
عند اهل العقل او عند المخاطب او يحتاج الى ما يقرن به ليؤدي الى المطلوب وحينئذ فالقرينة اما نتيجة الراي او ما نتيجة كقولنا
الاصدقاء ناصحون فصديقك زيد ناصح فالضمير المقنع ههنا ليس الراي وحده بل مع نتيجته وهو جزء من الضمير وان كان ما ضم اليه
هو المنتج له كقولك لا تكتسب الفضايل فتحسد كان الراي هو الضمير القريب فانه المقنع لذاته وبالله التوفيق البحث الرابع في اقسام الخطابة
بحسب اقسام اغراضها واعلم ان جميع المفاوضات الخطابية ثلثة مشاورة ومنافرة ومشاجرة ولكل واحد من الاقسام غرض
خاص اما المشورة فهي مخاطبة يراد بها الاقناع في ان الامر الفلاني ينبغي ان يفعل لنفعه وان الامر الفلاني لا ينبغي ان
يفعل لضرره واما المنافرة فمخاطبة يراد بها الاقناع في مدح شيء بفضيلة او ذمه بنقيصة واما المشاجرة فمخاطبة
يراد بها الاقناع في شكاية ظلم او اعتذار بانه لا ظلم وربما يقع الاعتذار في وقوع الامر نفسه ولكن في كونه نافعا او ضارا
او ظلما او غير ظلم كاعتذار الظالم او من ينصره بان الذي يعمله ليس بظلم او اعتذار المذموم بان الذي فعله ليس بنقيصة
او انه فضيلة اما المشورة فليس المشورة انما هي بسبب اقناعها في امر هو نافع بالحقيقة فانه قد لا يكون نافعا بالحقيقة ولا

عند المشير لكن اذا تبين انه نافع رام الاقناع به فيكون المخاطبة مع ذلك مشورة وقد لا تكون المشورة بالنافع بل بالجميل الذي ربما كان في
العاجل ضارا وله نفع من جهة اخرى وكذلك المدح والذم لا يلاحظ فيه دايما النافع والضار حتى يكون المدح بالنافع والذم بالضار
بل ربما كان المدح بالضار كاقتحام الاذى والضرر وركوب الاهوال للذكر الجميل فانه يشاد به ويمدح فاعله ويعظم كالذين يقاتلون في
سبيل الله فيقتلون ويقتلون وكثيرا ما يحمد العاقل بايثار الموت على الحيوة والامور المشور به عظيمة تبتني عليها الشرايع والسنن والسياسات
واقسام الامور المشور بها العظيمة العامة النفع دون الجزئيات النافعة بحسب احوال الاشخاص خمسة العدة والحرب والسلم وحماية المدينة
ومراعاة امر الدخل والخرج وتفريع الشرايع ووضع المصالح والخطيب المشير في امر العدة ينبغي ان يكون بصيرا بجنس ارتفاع المدينة
وكميته وكمية النفقات اذا جرت على القسط ليوازي الدخل الخرج وبشير بنفي البطالة عن حرف تعود بنفع المدينة وبالحجر على المسرف وتوقيفه
على القدر العادل ويتحفظ الجزئيات الاخبار وبالعوايد التجربية لانها تذاكير وامثال وعلى المشير في امر الحروب بعد ان يكون له بصيرة
بانواع الحروب وسماع اخبار المتقدمين من المقابلة في مدينته وما يليها ورسومهم ومذاهبهم ان يحيط علمه خبرا بمدينته ومحاربتها
وعدتهم وعددهم ودربتهم بالحرب وعاداتهم ونفاد خلية قومه وصفاء نيتهم او ضد ذلك وتوقع نظيره عليهم في كل وقت ويقيسهم
الى مقابليهم وان يعتبر الجزئيات السالفة فان الامور في اشباهها تحذو حذو اشكالها فانه يستنبط من هذه الاحوال مقدمات
ينتفع بها في المشورة واما المشير في حفظ المدينة فينبغي ان يعلم انواع الحفظ لانواع البلاد المختلفة سهليتها وجبليتها وبريتها
وبحريتها وما يحيط بها ومواقع المسالح قربا وبعدا والمدارج المخوفة والتي يرتادها المغتالون فيسير فيها بالارصاد فان ذلك قد
يقف عليه من لم يشاهد المدينة وان يعرف عدد الحفظة والرصدة ونياتهم ليبيد قلتهم ويبدل خاينهم بالناصح وان يعرف الحاصل
من القوت وما يحتاج الى جلبه واعداده من خارج المدينة فان القوت وما يجري مجراه اذا انحسمت مادته لم يمكن حفظ
المدينة وتدبيرها فينبغي ان يكون المشير عارفا بمقدار حاجة كل الى كل وباهل اهل الفضايل والثروة منهم فيشير بما ينبغي
ان يستعان به فيه من اهل الفضايل وما ينبغي ان يستعان به فيه باهل الثروة فيما ينتظم به امر المصلحة واما الخامس فهو المشورة
في امر السنن وهو من اعظم الابواب خطبا واحوجها الى فضل قوة الخطابة وعلى السان ان يحقق عدد انواع الاشتراكات
المدينية وما يتولد من تركيبها وان يعلم ما يناسب كل امة من الاشتراك بحسب عاداتها والاسباب الحافظة لذلك الاشتراك والفاسدة له
وفساد المدينة التي يحكم تدبيرها يقع من احد امرين اما عنف المدبرين لهم في الحمل على الواجبات او من اهمالهم ومسامحتهم فينبغي
ان يكون المشير بصيرا باصناف السياسات وما يعرض لكل واحد منها من العوارض وما يؤول اليه كل واحد منها فيوضع كل واحد
منها في موضعه فلا يستعمل القهر والغلبة في موضع الرفق ومراعاة مصلحة المرؤوسين لاكرامهم وتعظيمهم ولا بالعكس فلا يحصل هناك
قانون ناظم فقد عرفت بما ذكرنا المواضع التي ينتزع منها المقدمات المشورية في الامور العظام ومما يعين على وضع السنن وتفريعها
تامل قصص الماضين واحوالهم واما الامور المشورية النافعة بحسب احوال تخص فهي وان كانت غير مضبوطة الا ان جميعها
يشترك في انها يقصد بها صلاح الحال كان بالحقيقة او بالظن ونعني بصلاح الحال هو الفعل الممكن عن فضيلة النفس وامتداد
العمر مشفوعا بمحبة القلوب وتوفر الكرامة من الناس وفي رفاهية وعيش ووقاية وسعة ذات اليد في المال والعقار وتمكن من استدامة
هذه الاحوال والاستزادة منها واما اجزاؤه فمنها ما ينسب الى الجزء ومنها ما ينسب الى الشرا ما الجزئية فما بدنية كزكاء الاصل وكثرة الاخوان

والاولاد

والاولاد وصلاحهم واليسار والانعام والقوة والصحة والجمال والفصاحة وجميل الاحدوثة والجاه والبخت واما نفسانية كالعلم والذكاء
والزهد والشجاعة والعفة وحسن السيرة والاخلاق المرضية وحصول التجارات والصناعات فعلى الخطيب ان يشير باعداد هذه الانواع وكذلك ما
ينسب الى النافع وهو كل ما يوصل الى الخيرات كالجد والطلب وتحصيل الاسباب والوسايل وانتهاز الفرص ومواتاة الحظ واما الامور الشرية فهي ما
يقابل هذه وعلى المشير ان يشير باجتناب عللها وما يعوق عن الخيرات كايثار اللذة والكسل واللهو والبطالة وفوات الاسباب وضياع الفرص وسوء
التوفيق وكذلك قد يحتاج الخطيب الى اعداد مقدمات في ان هذا الخير افضل وان هذا النافع انفع كالحكم بان افضل الخيرات اعمها وادومها واكثرها
نفعا واولاها بالقصد لنفسه واعزها واعظمها واشهرها واكثرها استتباعا للخيرات واكثرها استلزاما للحاجة اليه واكثرها استلزاما
لرغبة الجمهور والالحاح فيه وكذلك يحتاج الى مقدمات يعدها في ان هذا الشر اضر كالحكم بان اشر الشرور اعمها وادومها واولاها بالهرب منه واكثرها
استتباعا للشرور ويجب ان يستكثر من ضرب الامثال وايراد التذاكير واقتصاص احوال الماضين واما المنافرات وهو باب المدح والذم فعلى
الخطيب تحصيل الانواع النافعة في المدح والذم المتعلقة بالفضيلة والرذيلة واجزاء الفضيلة هي البر والشجاعة والعفة والمروة وكبر الهمة
والسخاوة والحلم والثبات والحكمة وقد يلزم بعض هذه خيرات تتعدى الى غير الفاضل كالخير المتعدي من البر والشجاع والسخي الى غيرهم واجزاء
الرذيلة اضداد ما ذكرنا كالجور المقابل للبر والجبن للشجاعة والفجور للعفة والدناءة للسخي والسفالة لكبر الهمة والنذالة للمروة والطيش
للثبات والبلاهة فهذه هي الفضايل والرذايل وما عداها فاسباب لها وعلامات عليها مثلا كايجاب الغنى والخشية من الله تعالى والعلم وطلب الذكر
الجميل للعدل وايجاب الاحتياج والوثوق بانه لا معاد ولم لد وعدم المبالاة بالعاقبة وامثالها للجور وكذلك في سائر الاسباب وكالانفعالات
اللازمة للعادل عن لزوم العدل حتى يحتمل شدة العذاب مثلا في انتزاع ما في يده من الامانة ولا يسلمها الى غير ربها ومن المادح ايضا
مقاومة الاعداء والانتقام منهم والجزاء على الحسنة والسيئة ومن مادح الشجاع الغلبة والكرامة وان يفعل افعالا يذكر وينشر ويسهل
تخليدها للتعظيم فيه بها الاعقاب ومن المادح ايضا علامات يختص الاشراف بها كارسال شعر العلوي وطرحه العالم فان ذلك من
علامات شرفهم ومن الممدوحات ايضا الاستغناء عن الناس في اي باب كان وقد يذكر المدح على سبيل الترويج والمغالطة فيعبر عن
الرذيلة بعبارة ينظمها في سلك الفضيلة اذا كانت قريبة من الفضيلة او كانا تحت حكم يعمهما وهذا كما يحتاج الخطيب الى مدح الناقصين
فيجعل العذر المشترك بين الفضيلة والرذيلة مكان الفضيلة فيمدح المتحرز بانه حسن المشورة والفاسق بانه لطيف العشرة والغبي
بانه حليم والغضوب بانه نبيل والابله الغافل عن اللذات بانه عفيف والمتهور بانه شجاع والماجن بانه ظريف والمبذر في الشهوات
بانه سخي وفي عكس ذلك اذا قصد ذم الفاضلين فيذكر الفضيلة في معرض الرذيلة فيذم لطيف العشرة بالفسق والحليم بالغباوة والنبيل
بالغضوب والعفيف بالابله والشجاع بالمتهور والظريف بالماجن وكذلك في سائرها واما الامور المشاجرية فعلى الخطيب اعداد انواع
اسباب الجور والجور هو الاضرار الواقع بالقصد والمشية ولم ترخص الشريعة بوجه واما الاسباب المحركة اليه فكالكسل من الكسلان
فانه عند هو ما يتخيل له ان الذي يهواها يكون سبب الخلل كان صونه وكالجبن الذي يكون سببا لاضاعة الحريم وهلاكهم وكايثار
الراحة من التعب وحب البطالة واللهو المؤدي الى ترك اكتساب الفضايل وكالغضب المؤدي الى العسف وعدم الظفر بالمطلوب عند
الغلبة والاقتحام وكاستباحة التصرف في مال الغير وعرضه وذمه والاستهزاء بالخلق والحرص والوقاحة واسباب العدل
هو ما يقابل هذه الاسباب فهذه امور اذا علمها الخطيب اخذ منها مقدمات في انه لما كان الجاير كذا اقدم على الجور وللجور اسباب كثيرة

شيء من صح

مذكورة في الكتب المبسوطة البحث الخامس في انواع مشتركة للامور الخطابية الثلثة وههنا انواع مشتركة لاصناف الخطابة يجب على الخطيب اعدادها
لينتفع بها فمنها ما يصلح لاستدراجات من مبادي الانفعالات والاخلاق مثلا ما يعد للغضب كالاستهانة والعنت والتشتيم وقطع
العادة في الاحسان ومقابلة النعمة بالسيئة او بالكفران والقعود عن جزاء الجميل بمثله او بعد لمضادة وهو فتور الغضب كالاعتذار
بعدم معرفة من قصده بالاستهانة او بعدم قصد الاستهانة وكالاعتراف بالذنب والاستغفار بالتوبة والتذلل والتلقي بالبشاشة
وكذلك هيبة المهيب والاستحياء من المستحيا منه فان الغضب لا يجامعها او يعد للحزن كالانواع التي توجب تصور فوت المرغوب فيه
او حصول المحذور منه او عدم الانتفاع بالحيل والتدبير او لضده وهو التسلية كالتي توجب الاقناع في ان هذا الامر يمكن ان يدفع او
يرجى التلافي في التدارك او باعتبار حال الغير فان المصيبة اذا عمت هانت او بالارشاد الى الحيل بتحصيل الامر الذي لاجله الحزن او يعد
للخجل والاستحياء كالفرار من الزحف وخيانة الامانة وارتكاب المظالم ومعاشرة الفساق ومداخلتهم في مواضع الريبة والحرص على
المحرمات ومعاقرة الدنايا كسلب المسكين ونبش الكفن والتقتير مع اليسار ومعارضة اللئام بالاستماحة وكاستشعار الشماتة
من الاعداء او يعد لابطال الخجل وهو اضداد هذه الاسباب او للاهتمام للغير والشفقة عليه او الاسباب الباعثة على الاهتمام كالعذاب
المهلك والاوجاع والجهد والكبر والسقم والخصاصة وسوء البخت وعدم الانصار وعلامات الاهتمام كايثار المهتم له على النفس والاحسان
اليه بغير منة وستر عيوبه ونصرته في مغيبه والوفاء له او لضده وهو الحسد كوصول خير الى غير يدي الحاسد انه اولى به منه او الى من لا
يجده او للغير كتخييل مشاركة من لا حق له في الحق او غير ان يدخله صاحبه فيه او لشكر النعمة وهو ان يقول الخطيب انما اعطى فلان لنفس النفع
لا لجزاء يتوقعه او يقول انه نفع في وقت الحاجة او في وقت نقص المعونة من الناس او انه انعم بما لم تسمح نفس غيره به او انه اولى من انعم فيحرك
غيره للانعام او انه لم يرد بالصنيعة ذكرا او انه يستر الصنيعة سترا او للكفران وتحقير النعمة كان يقول لم ترد بعطائك الا غرضا وانك
لم تتم النعمة وانك قصرت عن الواجب عليك بمثله او انك لم تصطنع بتقصد بل لضرورة او اتفاق او لرغبة في مجازته فان ذلك كله مما
يبطل المنة او للتشجيع كان يقول المكروه عنك بعيد ولا وجود له عندك ولا محل عندك للاقران والمبارزين وكقوله انت اكثر الانصار
قوتهم وانك تترجح في الظلم قليل الاحتمال له او لضدها وهو الجبن كقوله ان في المقاومات حصول المكاره او ان خصمك في غاية القوة
فلا طاقة لك به او انصارك قليلون او ضعفاء وامثال ذلك وكذلك يجب على الخطيب ان يحصل انواعا تعين على كل خلق خلق يختص بصنف
صنف من الناس اما باعتبار الاسنان كان يقول للشاب الذي يغلب عليه طلب اللذة ان هذا وقت السرور والزمان المساعد والشباب بعد
فنائه غير عائد وهذا الربيع قد اشرف نواره وتصنفت ازهاره وكمدح المآكل والمشارب والملابس والمراكب ويقول للشيخ الذي غلب
على طباعه طلب النفع والحرص على الدنيا ينبغي ان تقتصر على تحصيل ما ينفعك واللهو غير لائق بك وينبغي ان تقلل البذل لئلا يستضر عيالك
وينبغي ان لا تنخدع لفلان ولا تغلظ معه لانك جربت الخداع او باعتبار اخلاقهم في البلدان كان يقول للعربي الذي طبعه الفصاحة
انك لذو فضيلة عظيمة ولو لم يكن من فضل الفصاحة الا انها وجه اعجاز القرآن لكفى وامثاله وكان يقول للعرب من جهة ما هم
غلاظ الطباع كثير الاطماع ان بني فلان اعداؤكم ولا ناصر لهم او هم قليلون او يوهمهم كثرة او ان القتل الغلاء في كثير النعمة ولا حارث
له فيغريهم بذلك وكما يحرك طباع الفرس الى حسن التدبير الذي هو عادتهم بما يناسبه او باعتبار الهمم كما يحرك ما في طباع الملوك من
الكبر وعدم الالتفات الى الغير بما يناسبه وما في طباع الساقطين من الدناءة بما يليق به ومن جملة الامور المشتركة ما يتعلق

بالممكن من الامور وغير الممكن كان يقول الخطيب اذا اراد ان يقنع بان الامر الفلاني ممكن فيقول هذا الامر مما يستطاع فهو ممكن او نقيضه ممكن
فهو ممكن او شبهه ممكن فهو ممكن او الاصعب منه ممكن فهو ممكن او اراد ان يقنع بانه يتوقع كونه فيقول الامر الفلاني مقدور عليه ومراد
فلابد وان يكون والنادر يكون فالاكثري يكون ويمكنك ان تعلم انواع ما لا يكون وانواع ما لا يمكن من انواع ما يكون وانواع ما يمكن فهذه
يجب صح جملة من الامثلة تهدي الخطيب الى امثالها وليس عليه ان يضبط ما لا يتناهى من الامور بحسب تخصص تخصص في كل واحد من امور الجزئية فان ذلك غير
ممكن بل يضبط القوانين المطية المتعلقة بالاجناس الثلثة للخطابة ويجتهد في ان يخصصها مهما امكن فانه كلما كان الحكم بالجزئي المتكلم فيه
اخص كان انفع واقنع مثاله اذا اردت ان تمدح زيدا فقلت هو شجاع لانه متحمل الفضايل باسرها فهذا وان كان مقنعا الا انك لو خصصت
فقلت لانه هزم جيش العدو وقت كذا او قتل البطل الفلاني يوم كذا لكان ذلك اقنع والبق بالممدوح وقد يقع في الخطابة القضايا
المتقابلة والمغالطة بها للاقناع فيستعمل الضدان في ايجاب كل واحد من النقيضين كقولك اسكت في المحافل لانك ان صدقت ابغضك
الناس وان كذبت ابغضك ثم تقول تكلم في المحافل لانك ان صدقت احبك الله وان كذبت احبك الناس والمقابلة ههنا ان افادت اقناعا
كانت من صناعة الخطابة مثالها اما من باب اشتراك الاسم كقولك بالذهب يبصر الانسان لانه عين به او من باب تركيب المفصل كقولك
فلان شاعر جيد فيوهم ذلك التركيب مدح الشعر بالجودة والتقدير وفلان جيد او من باب وضع ما ليس بعلة علة كما يقال فلان مبارك
القدم لانه مع قدومه تيسر كذا او من باب المصادرة على المطلوب كما يقال زيد يشرب الخمر فيقال لان اخاه يشرب الخمر واما ان لم يوقع اقناعا
كما يقال فلان لم يذنب باختياره لانه زنا وهو سكران لم يكن من صناعة الخطابة وبالله التوفيق البحث السادس في تحسينات الخطابة الامور
المحسنة للخطابة اما ان تتعلق بالالفاظ واما ان تتعلق بالترتيب واما ان تتعلق بهيئة الخطيب اما الاول فاعلم ان تحسين الالفاظ في
الخطابة عظيمة النفع فان جزالة اللفظ توهم جزالة المعنى وركاكة اللفظ تذهب رونق المعنى ومحسنات اللفظ امور الاول ان يكون
اللفظ فصيحا عذبا غير ركيك صرف العامية ولا مبتذل مرتفع عن ان يصلح لمخاطبة الجمهور لان الطباع العامية تنفر عن العبارة العلمية
ولا ملحون لان اللحن يهجن الكلام ويرذله وهذه الاعتبارات موجودة في كلام علي عليه السلام كثيرا الثاني ان يراعي اتمام الرباطات
وهي الحروف التي يقتضي ذكرها ان تكرر كقوله عليه السلام في صفة الملائكة منهم سجود لا يركعون ومنهم ركوع لا يسجدون وكذلك باقي الاقسام
فلو لم يحصل التكرار ههنا لنقص الكلام وكذلك قوله عليه السلام المرء المسلم البري من الخيانة ينتظر الى احدى الحسنيين اما داعي الله فما عند
الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو اهل ومال اللهم الا ان يكون تكراره معلوما كقوله عليه السلام في كثير من خطبه اما بعد فان هذا
الجزء مسبوق بما قبل وان لم يذكر لوضوحه الثالث ان لا يباعد ما بين الرباطين بحشو طويل ينسي الوصلة بينهما الرابع ان يراعي حقه
من التقديم والتاخير فان تاخير الشرط عن المشروط وتقديم لان على الدعوى قبيح سمج وبعض هذه الاحكام قد تختص ببعض اللغات
الخامس ان يزين بالتشبيه والاستعارة ويكون تلك الالفاظ المستعارة خاصة غير مشتركة ولا مغلطة فقد يورد اللفظ موهما
للشيء وضده كقول المنجم اذا دخلت سنة كذا يتجدد للاسلام امر عظيم فذلك محتمل للخير والشر موهم لهما وفايدة التشبيه والاستعارة
ههنا الاستعانة بالتخييل الحاصل منه على تزويق المعنى فانه يحصل له رونقا لا يحصل بدونه والالفاظ المستعارة والمخيلة وان
كانت اصلا في الشعر وقد يستعملها الخطيب بالعرض فتكون بالخطابة كالابازير السادس ان يراعي لفظ الواحد والتثنية والجمع
وما يخصها من التصاريف وكذلك التذكير والتانيث ذي العلامة وغيره رفعا للغلط السابع قد يزين اللفظ بالايجاز اذا اعتمد

على فهم السامع من يعقب اقناع فيرد الحدود والرسوم هناك الى اللفظ المفرد وقد يزين بالبسط فينعكس ذلك وقد يبدل اللفظ المفرد العلم لشناعته
كما يقال عورة المراة ووطيها ودبرها عوض اسمائها الصريحة واكثر ما يستعمل امثال هذه في الافراطات في المدايح فيكره التصريح بالاسماء الصريحة
احتشاما ويزينها التي المعز ذكرها وكذلك يستعمل في الاعتذار كثيرا وحيث يراد التهويل للتخويف في المشوريات الثاني من ان يزين بالمفاصل ان
يكون ذا مصاريع وتسجيع ووزن ما لا الوزن الحقيقي وذلك كقوله عليه السلام اما بعد فان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الآخرة قد اقبلت
واشرفت باطلاع وقد عرفت المتوازن فان ذلك اقرب الى ثبات اللفظ في الخيال ثم تلك المفاصل ينبغي ان لا يطول لئلا ينسى الاول ولا يقصر جدا
فلا تحفل به النفس فيعجل انقطاعه عن استثبات النفس له ثم المفاصل قد تكون اقساما ويسمى المقسم كما مر في المثال في صفة الملائكة وقد تكون
تلك الاقسام متقابلة كقوله عليه السلام اما الامرة البرة فيعمل فيها التقي واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي ولكل واحدة من الخطابة المسموعة
والمكتوبة اسلوب خاص وكذلك اصنافها واما الثاني وهو الترتيب واعلم ان للاقاويل الخطابية صدرا ووسطا وخاتمة فالصدر
كالرسم الذي ينقش عليه ويعرف السامع منه الغرض اجمالا واما الوسط فقد يكون اقتصاصا للامر الواقع فيحكم بانه حسن او قبيح كما في المنافرة وعدل
او جور كما في المشاجرة وقد يقوم على الصدر اقتصاص لامور يستلزم الشكر والمدح من القائل ويهيئ السامع لذلك كما جرت العادة بتقديم
اقتصاص صفات الله وحمده وصفات رسوله عليه السلام وقد يكون الوسط شيئا غير اقتصاص بل دلالة على مصلحة وحث عليها كما في المشورة
اذ ليس فيها ما يحكى ويشتكى ويحمد ويذم وليس فيها منازعة ومواثبة والصدر فيها حسن ليكون المشار عليه قد وعى الغرض واستعد للقبول
وهو في المشاجرة قبيح واما الخاتمة فهي حسنة في المشورة ايضا والذي يليق بها ان يكون اجزاؤها منفصلة غير مخلوطة بما قبلها وخصوصا
في المشوريات وهو ان يقول المشير قد قلت ما عندي من النصيحة والراي ما ترون وكما يقول الخطيب اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم
لي ولكم انه هو الغفور الرحيم ونحو ذلك واما الثالث وهي الامور التي تتعلق بهيئة الخطيب فتخييل معاني او تخييل اخلاقا واستعدادات
لافعال وانفعالات ويسمى ذلك نفاقا والاخذ بالوجوه فهي اما ان تتعلق بصوته كرفعه في موضع الرفع وخفضه في موضع الخفض
او بحركة نفسه او بكونه على زي وهيئة وسمت حسن يصيد به القلوب وهذا القسم انما يكثر الانتفاع باستعماله مع ضعفاء
العقول اذ كانوا للاستدراجات بالامور المحسوسة اطوع ولذلك يكبر في اعينهم من كان بزي النساك والمستكثرين من العبادة والخشوع
الظاهر وان كان جاهلا مرائيا ولما لم يكن غرضنا من التعرض بذكر الخطابة ههنا الا الاشارة الى اقسامها الكلية لنبين معنى الخطابة
وما عسى ان نذكره من ان الخطابة التي نحن شارعون في بيانها من اي الخطابة هي وليتفطن المطلع على ما ذكرناه ههنا لما لم نبينه
من ذلك لا جرم اقتصرنا على هذا القدر من الايراد واما البسيط ففي الكتب المطولة واعلم ان الغالب على كلام علي عليه السلام هو المشوريات واما
المنافريات والمشاجريات فهما اقل كما ستعرف ذلك عند تصفح اقواله ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق خاتمة للمقدمة القاعدة واما الخاتمة الغرض من وضع صح
ففي بيان غاية علي عليه السلام من الخطابة واعلم انه لما كان مقصود الشرايع والسنن انما هو نظام الخلق وجذبهم الى الجناب المقدس عن دار الغرور
وتذكيرهم لمعبودهم الحق وتعليمهم كيفية السلوك للصراط المستقيم كما اومانا اليه وعلم مع ذلك ان عليا عليه السلام كان مقرر الشريعة ومثبتا
لها وموضحا لمقاصد سنن الرسول عليه السلام ومفرعا لاحكامها اذ كان هو الممنوح بجوامع العلم والمطلع على الاسرار الالهية لم يكن مقصوده
من جميع الاقوال المنقولة عنه الا الغرض الاول من وضع الشرايع والسنن بيان ذلك انك قد علمت ان الاقوال الخطابية تنقسم بحسب
اغراضها ثلاثة اقسام مشاورة ومنافرة ومشاجرة فاما المشورة فانها الجزء الاكبر في كلامه عليه السلام وانت تعلم من تصفح كلامه ان كلما

يبني

يشير به بالفصل الاول فانما هو الاقبال على الله تعالى بترك الدنيا والاعراض عنها والاستكمال في الفضايل وترك الرذايل والمنقصات الجاذبة الى الجبلة
السافلة المانعة عن الوصول الى الله سبحانه فان عرض في كلامه امر بجزئي او نهي عن امر جزئي لا يلوح منه هذا السر كمصالح الحرب والعزة والمدينة
وغير ذلك فانه عند الاعتبار يرجع اليه لان كل ذلك يرجع الى نصرة الدين وتقويته ونظام امر العالم وترتيب مصالحه واما المنافرة فقد عرفت ان جميع ما
ورد في كلامه عليه السلام من الذم انما هو للدنيا واتباع الهوى وارتكاب الرذايل الموبقة ومن ارتكبها واشباه ذلك مما يبعد عن الله تعالى وما ورد فيه من
المدح فانما هو لله سبحانه وملائكته ورسله والصالحين من عباده وما هم عليه من الفضايل وترك الهوى والاعراض عن الدنيا وما ينبغي ان يكون
الخلق عليه من ذلك ولا شك ان الاول جذب للخلق بتحقير ما يميل طباعهم اليه من الامور الفانية وتصغيره وذمه والتنفير عنه وذمهم على ارتكابه
ليستفيقوا عنه الى ما وراءهم من النعيم الابدي والخير السرمدي وليتذكروا معبودهم الحق سبحانه ولا يكونوا من المعرضين الهالكين والثاني
ايضا جذب لهم بتعظيم ما ينبغي ان يلتفتوا اليه وتكبيره ومدحه والترغيب فيه وفيما يكون وسيلة اليه من الوسيلة والاعراض عن الدنيا
وغير ذلك واما الامور المشاجرية فما كان في كلامه عليه السلام منها فاما بيان للظلم والجور واسبابهما وما يؤول اليه من سوء العاقبة وقبح الخاتمة عند
الله تعالى او بيان للعدل واسبابه وما يؤول اليه من حسن العاقبة وحميد المنقلب الى الله كما يشتمل عليه كثير من كتبه الى عماله ومحاربيه
ولا شك ان كل ذلك جذب الى الله تعالى بالتصريح والاشارة واما تظلمه من ظالم خرج عن ربقة الدين واتبع هواه وشكايته من افعاله الخارجة
عن نظام الشريعة المؤدية الى ضد مقاصد الشارع ولا يخفى ان مقصوده من ذلك التظلم والشكاية اقناع الخلق بان فلانا ظالم اخذ ما لا
يستحقه ليثبتوا على الحق ويفيئوا اليه وينكروه ومن عساه يتوهم ان خصمه على الحق فربما كان بقاء ذلك الوهم سببا للحوق به وذلك بالحقيقة
تثبيت على الحق وجذب عن الباطل وهو في نفس الامر مقصود الشارع وغايته واما اعتذاره مما تخيل الجاهلون في حقه ظلما وجورا
كاعتذاره عليه السلام عما تخيله جماعة في حقه ظلما من القعود عن نصرة عثمان حتى نسبوه الى انه قاتله وتنصله من ذلك وكذلك اعتذاره
فيما تخيله الخوارج ذنبا له من تحكيم الحكمين وغير ذلك فان الاعتذار في هذه المواضع وامثالها جذب الى الحق وصرف عن الباطل
اذ كان الاعتذار منه طلب الاقناع من تخيل فيه ظلما بالتلبيس كما خيل اليهم وان ما صدر ليس بظلم ولا جور ليفيئوا الى طاعته والاقتداء
به فيما هو عليه من اتباع الحق والنصرة للدين والذب عنه ومعلوم ان ذلك كله جذب الى الله سبحانه والى اسباب ما يوصل اليه فقد علمت
من هذا البيان ان غايته عليه السلام من جميع اقواله انما هو توجيه الخلق الى جناب الله والفاتهم الى حضرته القدسية وهذه هي الغاية التي
اتفق عليها الانبياء والرسل وتطابقت عليها الشرايع والسنن ومن تامل ما قلناه وترك متابعة هواه وطبق ما اوردناه من
القانون الكلي على كلامه علم صحة ما ادعيناه وبالله التوفيق القاعدة الثالثة في بيان ان عليا عليه السلام كان مستجمعا للفضايل
الانسانية وفيها فصول الفصل الاول في فضايله التي لا حاجة له من خارج ولنذكر منها وجوها الاول نسبه من رسول الله صلى
الله عليه وآله وهو ابو الحسن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن
عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت هاشميا وكان علي اصغر اولادها وعقيل اسن منه بعشر سنين وطالب اسن من عقيل
بعشر سنين وهي اول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله من النساء وكان صلى الله عليه وآله يكرمها ويدعوها امه واوصت
اليه حين حضرتها الوفاة فقبل وصيتها وصلى عليها ويروى انه نزل في لحدها واضطجع معها بعد ان البسها قميصه فقال له اصحابه في
تخصيصها بذلك فقال انه لم يكن احد بعد ابي طالب ابر بي منها وانما البستها قميصي لتكسى من حلل الجنة وانما اضطجعت معها ان من

ضغطة القبر الثاني سبقه الى الاسلام وفضيلته في ذلك ظاهرة الثالث مجاهدته اعداء الله ونصرته للدين وذبّه عنه ومقاماته في ذلك
مشهورة مأثورة يكاد لا تحصى كثرة الرابع تخصيص الرسول صلى الله عليه وآله بتزويجه فاطمة دون من خطبها من اكابر المهاجرين
والانصار الخامس كون الحسن والحسين عليهما السلام اللذين هما سيدا شباب اهل الجنة ولديه وذلك فضل عظيم السادس قوله تعالى ولما ضرب
ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قيل انها نزلت في علي عليه السلام وفي جعل عيسى عليه السلام مثلا له فضل عظيم ويزيد ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله
لولا ان يقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت اليوم فيك مقالا لا تمر بعده بملاء منهم الا اخذوا التراب من تحت
قدميك وهذا الكلام يقتضي انه لو وصفه بشيء لما وصفه الا باوصاف عيسى عليه السلام التي لاجلها قالت النصارى فيه ما قالوا السابع قوله تعالى
ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله الآية اتفق المفسرون على انها نزلت في علي واهل بيته وسبب
نزولها مشهور في كتب التفسير وغيرها وكفى بذلك شرفا الثامن روى انه لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي صلى الله عليه اللهم
اجعلها اذن علي ولا شك ان الرسول عليه السلام كان مجاب الدعوة ولذلك قال علي فما شككت في شيء سمعته بعد ذلك وذلك من اعظم الفضائل
التاسع من طرق الكل قول النبي صلى الله عليه في حقه اللهم ادر الحق مع علي حيث دار ولا شك في استجابة دعائه ومن كان الحق وجه
اقواله وافعاله فلا مزيد على فضله العاشر من طرق الكل قوله عليه السلام انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي والاستثناء
ههنا يشهد باثبات جميع المنازل التي كانت لهرون من موسى الا النبوة وما علم نفيه من الاخوة فبقي كونه وزيرا وناصرا وقائما
بناموس الشريعة ومفرعا لاحكامها الكلية وخليفة له كما كان هرون كذلك ومن ههنا تمسكت الشيعة بهذا الخبر في استحقاقه
للخلافة وكفى بهذه فضيلة الحادي عشر من طرق الكل قوله عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه وسواء كان المراد ههنا بالمولى الاولى
بالتصرف او الناصر فان الفضل حاصل الثاني عشر قوله عليه السلام في حقه اقضاكم علي ولا شك ان القضاء محتاج الى انواع العلم وكفى
بشهادة الرسول عليه السلام له بذلك فضلا الثالث عشر قوله عليه السلام اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع العلم وكفى بهذه الشهادة فضلا
الرابع عشر من طرق الشيعة انه خوطب بامرة المؤمنين في حيوة الرسول عليه السلام وانكره المحدثون من غيرهم وروى احمد في مسنده
وفي كتابه في فضايل الصحابة وكذلك ابراهيم الحافظ في كتاب حلية الاولياء ان رسول الله صلى الله عليه وآله خاطبه بيعسوب
[illegible] المؤمنين واليعسوب امير النحل وكل ذلك اشارة الى فضله الخامس عشر تربية رسول الله صلى الله عليه له من اول عمره الى
ان اعده لاعلى مراتب الكمالات النفسانية قال عليه السلام في تربية النبي صلى الله عليه له واتباعه اثره في خطبته المسماة بالقاصعة
وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا وليد يضمني الى صدره ويكنفني
في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن
الله به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله
ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويامرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في
كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وخديجة وانا
ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه فقلت يا
رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي

ولكنك

ولكنك وزير وانك لعلى خير الى آخر الكلام حتى صار بهذه الرتبة استاد العالمين بعده صلى الله عليه في جميع العلوم وبيان ذلك
اما جملة فلقول النبي صلى الله عليه وآله انا مدينة العلم وعلي بابها ولا شك ان المقصود انه صلى الله عليه هو المنبع الذي يفيض عنه العلوم
الاسلامية والاسرار الحكمية التي اشتمل عليها القرآن الحكيم والسنة الكريمة وهو مصدرها والمحيط بها لان شان المدينة بما يحتوي
عليه كذلك وان عليا هو المفزع لتلك الاسرار والمهتدي لتفاصيل جملها واحكامها الطيبة بحسب ما له من كمال الحدس وقوة الاستعداد
بحيث يصير تلك الاسرار سهلة التناول قريبة المأخذ لساير الخلق لان الباب هو الجهة التي منها ينتفع الخلق من المدينة ويمكنهم تناول
ما ارادوه منها واما تفصيلا فلانا بحثنا العلوم باسرها فوجدنا اعظمها واهمها هو العلم الالهي وقد ورد في خطبه عليه السلام من
اسرار التوحيد والنبوات والقضا والقدر واسرار المعاد كما ستبينه ما لم يات في كلام احد من اكابر العلماء واساطين الحكمة
ثم وجدنا جميع فرق الاسلام ينتهي في علومهم اليه اما المتكلمون فاما معتزلة وانتسابهم اليه ظاهر فان اكثر اصولهم ماخوذة
من ظواهر كلامه في التوحيد والعدل وايضا فانهم ينتسبون الى مشايخهم كالحسن البصري وواصل بن عطا وكانوا منتسبين الى علي عليه السلام
ومتلقفين عنه العلوم واما الاشعرية فمعلوم ان استادهم ابو الحسن البصري الاشعري وقد كان تلميذا لابي علي الجبائي وهو من
مشايخ المعتزلة الا انه بينه لما وراه اذهان المعتزلة تخالف استاده في مواضع نقلها من مذهبه واما الشيعة فانتسابهم اليه
ظاهر فانهم يتلقفون العلوم عن ائمتهم وائمتهم ياخذ بعضهم عن بعض الى ان ينتهي اليه وهو امامهم الاول واما الخوارج فهم وان
كانوا في غاية البعد عنه الا انهم ينتسبون الى مشايخهم وقد كانوا تلامذة علي عليه السلام واما المفسرون فرئيسهم ابن عباس رضي الله عنه وقد
كان تلميذا لعلي عليه السلام واما الفقهاء فمذاهبهم المشهورة اربعة احدها مذهب ابي حنيفة ومن المشهور ان ابا حنيفة قرا على الصادق عليه السلام
واخذ عنه الاحكام وانتهاء الصادق الى علي ظاهر الثاني مذهب مالك وقد كان مالك تلميذا لربيعة الراي وربيعة تلميذ عكرمة
وعكرمة تلميذ عبد الله بن عباس وكان تلميذا لعلي الثالث مذهب الشافعي وقد كان الشافعي تلميذا لمالك الرابع مذهب احمد بن حنبل
وقد كان احمد تلميذ الشافعي فرجع انتساب فقه الجميع الى علي عليه السلام ومما يؤيد كماله في الفقه قول الرسول صلى الله عليه وسلم اقضاكم علي
والاقضى لابد وان يكون افقه واعلم بقواعد الفقه واصوله واما الفصحاء فمعلوم ان جميع من ينسب الى الفصاحة بعده
يملؤون اوعية اذهانهم من الفاظه ويضمنونها كلامهم وخطبهم فيكون منها بمنزلة درر العقود كابن نباتة وغيره والامر في ذلك
ظاهر واما النحويون فاول واضع للنحو هو ابو الاسود الدؤلي وكان ذلك بارشاده له عليه السلام الى ذلك وبداية الامر ان ابا الاسود
سمع رجلا يقرا ان الله بريء من المشركين ورسوله بالكسر فانكر ذلك وقال نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من نقصان الايمان
بعد زيادته وراجع عليا عليه السلام في ذلك فقال له نحوت ان اضع للناس ميزانا يقومون به السنتهم فقال له عليه السلام انح نحوه
وارشده الى كيفية ذلك الوضع وعلمه اياه واما علماء الصوفية وارباب العرفان فنسبتهم اليه في تصفية الباطن وكيفية السلوك الى
الله تعالى ظاهرة الانتهاء واما علماء الشجاعة والممارسون للاسلحة والحروب فهم ايضا ينتسبون اليه في علم ذلك فثبت بذلك انه كان
استاد الخلق وهاديهم الى طريق الحق بعد رسول الله صلى الله عليه ومناقبه وفضايله اكثر من ان تحصر وبالله التوفيق الفصل الثاني
في بيان فضائله النفسانية وهي اما ان يعتبر بالنسبة الى قوته النظرية والى قوته العملية فاذن ههنا بحثان البحث الاول في انه
عليه السلام كان مستجمعا لكمال قوته النظرية قد علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال الحكمة النظرية وهي استكمال النفس الانسانية

بتصور المعارف الحقيقية والتصديق بالحقائق النظرية بقدر الطاقة البشرية ولا شك ان هذه [illegible]
الدرجة كانت ثابتة له عليه السلام وبيان ذلك ببيان انه عليه السلام كان [illegible]
سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلى الله عليه وان كان منتهى الدرجة الوصول وتحقيق ذلك انه قد ثبت في علم كيفية السلوك ان وصول
العارف انما يحق اذا غاب عن نفسه فلحظ جناب الحق من حيث انه هو فقط وان لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي متزينة
بزينة الحق ثم انه قد وجد في كلامه واشاراته ما يستلزم حصول هذه المرتبة ولنذكر منها مواضع ثلثة الاول قوله عليه السلام لو كشف الغطاء
ما ازددت يقينا وقد عرفت ان ذلك اشارة الى ان الكمالات النفسانية المتعلقة بالقوة النظرية قد حصلت له بالفعل وذلك يستلزم
تحقق الوصول التام الذي ليس في قوة الاولياء نيله الثاني قوله عليه السلام حكاية عن رسول الله صلى الله عليه في حقه انك تسمع ما اسمع وترى ما
ارى الا انك لست بنبي ولا اشكال ان النبي صلى الله عليه وآله كان له الاتصال التام بالحق تعالى فكان هذا الاتصال والوصول حاصلا
لعلي بمقتضى شهادة الرسول وان كان التفاوت بين المرتبتين قائما لان للاتصال بالجناب الاقدس المقدس درجات لا تتناهى
ولذلك قال الا انك لست بنبي وستعلم من تفاصيل كلامه عند الانتهاء اليه تحقق هذه المرتبة له الثالث قوله عليه السلام الهي ما عبدتك خوفا
من عقابك ولا رغبة في ثوابك ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وجد الاستدلال انه حذف كل قيد دنياوي واخروي عن
درجة الاعتبار سوى الحق تعالى وذلك مما تحقق له الوصول ومما يؤكد ذلك انا سنبين ان شاء الله تعالى تمكنه عليه السلام من الكرامات وصدورها عنه
وذلك من خواص الواصلين البحث الثاني في بيان كماله في قوته العملية وكما علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال الحكمة النظرية فكذلك كمال
القوة العملية انما هو باستكمال الحكمة العملية وهي استكمال النفس بكمال الملكة التامة على الافعال الفاضلة حتى يكون الانسان ثابتا على الصراط
المستقيم متجنبا لطرفي الافراط والتفريط في جميع افعاله ثم قد ثبت في علم الاخلاق ان اصول الفضايل الخلقية ثلثة احدها الحكمة الخلقية
وهي الملكة التي تصدر عنها الافعال المتوسطة بين الجربزة والغباوة اللذين هما طرفا الافراط والتفريط وانت تعلم من تصفح افعاله واقواله
وتدابيره في امور الحرب ونظام امور العالم ما يضطر معه الى الحكم بانه كان مستكملا لهذه الفضيلة وغير واقف دونها في حد الغباوة
ولا متجاوزها الى الطرف الجربزة كان خبث المتجربز يمنعه عن الترقي الى درجة الكمال ويأبى طبعه الا الشر وثانيها العفة وهي الملكة الصادرة
عن اعتدال حركة القوة الشهوية بحسب تصريف العقل العملي لها على قانون العدل وبها تصدر الافعال المتوسطة بين الخمود والفجور اللذين
هما طرفا الافراط والتفريط وبيان ان هذه الملكة كانت ثابتة له عليه السلام من وجهين الاول انه كان ازهد الخلق في الدنيا بعد الرسول
صلى الله عليه وآله وفيما على القبلة الحقيقية واقدر على حذف الشواغل الملتفتة عن لقاء الله وكل من كان كذلك كان مالكا لهواه مصرفا
لشهوته بيد عقله اما المقدمة الاولى فمعلومة بالتواتر واما الثانية فضرورية ايضا الثاني قول النبي صلى الله عليه وآله اللهم ادر الحق مع علي حيث
دار ولا شك في استجابة دعائه عليه السلام ومن كان الحق لازما لحركاته وتصرفاته استحال ان يلزمها باطل لان الامر الواحد لا يلزمه لازمان
مختلفان فاستحال ان يكون متبعا للهوى البتة وهو معنى العفة ومما يؤكد حصول هذه الملكة ما روي انه عليه السلام ما شبع من طعام
قط وانه كان من اخشن الناس ملبسا ومأكلا يقنع بقرص الشعير ولا ياكل اللحم الا نادرا وكان يقول لا تجعلوا بطونكم مقبرة ويقصد بذلك
التنفير عنه وكل ذلك زهادة في الدنيا ولذاتها وثالثها الشجاعة وهي الملكة الحاصلة للنفس عن اعتدال القوة الغضبية بحسب تصريف العقل
فيما يضبطها وبها تصدر الافعال المتوسطة بين افعال الجبن والتهور وثبوت هذه الفضيلة له عليه السلام معلوم بالتواتر حتى صارت

شجاعة

شجاعته يضرب بها المثل مبالغة في حق الرجل الشجاع واذا عرفت ان هذه الملكات الثلث ثابتة له كاملة ثم ما يمكن وثبت انها مستلزمة
لفضيلة العدالة ثبت ان فضيلة العدالة ثابتة له واما باقي اقسام الحكمة العملية كالحكمة السياسية والمنزلية فقد علمت ان فايدتهما ان
يعلم الانسان وجه المشاركة التي ينبغي ان يكون بين اشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الابدان ونظام مصالح المنزل والمدينة وقد كان
عليه السلم في ذلك سباق غايات وصاحب ايات ويكفيك في معرفة ذلك منه اما على سبيل الجملة فلان الشريعة المصطفوية سلام الله على شارعها
واردة بمقاصدهما بين الحكمتين على اتم الوجوه واكملها بحيث يرجع اكابر الحكماء اليها في نقلها ومعلوم ان عليا عليه السلم كان متمسكا بها ومقررا
لها وباسطا لاحكامها الكلية ومفصلا لاشاراتها الجملية لم يعش منها حرفا ولم يقف فيها دون غاية وذلك يستلزم ثبوتهما له على
اكمل وجه واتمه واما على سبيل التفصيل فعليك في معرفة انه كان اكمل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا العلم بمطالعة كتبه وعهوده الى
عماله وولاته وامرائه وقضاته خصوصا العهد الذي كتبه للاشتر النخعي فان فيه من لطايف تدبير امر المدينة ونظام احوال الخلق
ما لا يهتدى لحسنه ولا يوجد عليه مزيد في هذا الباب هذا مع ما تواتر من رجوع اكابر الصحابة المعترف بحسن تدبيرهم واياتهم الى
استشارته في امورهم ويعرف كيفية تدبير العساكر والحرب والمصالح الكلية والجزئية منه في مواضع كثيرة نقلها في هذا الكتاب في غرض
كرجوع عمر الى رايه في الخروج مع المسلمين الى غزو الروم وغير ذلك مما هو مشهور ماثور وما اشار عليهم من الاراء الكافلة بحسن
التدبير والايالة الوافية بنظام الحركات المدنية كما ستعلمه انشاء الله تعالى وبالله التوفيق **الفصل الثاني** في صدور الكرامات عنه
وفيه بحثان **البحث الاول** في اخباره عن الامور الغيبية والنظر اما في امكان ذكره او في سببه او في وقوعه منه فهنا اذن ثلث
مقامات **المقام الاول** في امكانه يجب عليك ايها الاخ المتبع لنفحات الله اذا ذكر ان خليفة من خلفاء الله او وليا من اوليائه اخبر عن
امر سيكون مبشرا به او منذرا مما لا ينبغي بدركه قوتك وحدك انت فالصواب ان لا تبادر الى التكذيب بامثال ذلك وتنكره فانك عند
مراجعة عقلك وتصفحك لاحوال نفسك تجد كل ذلك ممكنا واليه سبيلا بيان ذلك ان معرفة الامور الغيبية في النوم ممكنة فوجب
ان يكون في اليقظة كذلك اما الاول فلان الانسان كثيرا ما يرى في نومه شيئا ويقع بعده اما صريح تلك الرؤيا او تعبيرها وذلك
توضيح ما قلناه اما في حق الرائي فظاهر واما من يرزق ذلك في حال النوم فانه يعلمه بالتواتر من اكثر الخلق واما الثاني فلان
ذلك لما صح في حال النوم لم يمكن الجزم بامتناعه حال اليقظة فان الناس لو لم يجربوا ذلك في حال النوم لكان استبعادهم له في
تلك الحال اشد من استبعادهم لوقوعه في حال اليقظة فانه عند عدم التجربة لو قيل لانسان ان جماعة من الاولياء اجتهدوا في تلويح
فكرهم الصافية حال ما هم ايقاظ في تحصيل حكم غيبي فعجزوا ثم ان واحدا من الكفار ربما نام وصار كالميت حصل له ذلك الحكم
فلا بد وان يكذب بذلك ويستنكره لعدم حصوله مع كمال الحركة وسلامة الحواس عن العطلة وكمال العبادة وحصوله مع اضداد
ذلك فقد بان لك انه لما كان في حال النوم ممكنا كان في حال اليقظة كذلك **واما المقام الثاني** وهو بيان السبب في الاطلاع على الامور
الغيبية فاما في حال النوم فهو انه قد ثبت في العلم الالهي ان جميع الامور التي يصدق عليها انها كانت او ستكون معلومة لله تعالى وثبت ان
النفس الانسانية من شانها الاتصال بجناب الله تعالى وانما يعوقها عن ذلك استغراقها في تدبير البدن فاذا حصل لها ادنى فراغ من
ذلك كما في حال النوم وانغلقت عنها ابواب الحواس الظاهرة رجعت بطباعها الى الاتصال بالجناب المقدس فينطبع فيها من الصور
الحاصلة هناك ما هو الليق بها من احوالها واحوال ما يقرب منها من الاهل والولد وما يهتم به ثم ان المتخيلة التي في طباعها المحاكاة

تحاكي تلك المعاني الكلية الحاصلة للنفس وتمثلها بصور جزئية ويخطها الى لوح الخيال الحافظ للصور فيبقى تلك الصور مشاهدة
للحس المشترك ثم ان كانت تلك الصور شديدة المناسبة لتلك المعاني بحيث لا افتراق بينهما الا في الكلية والجزئية كانت الرؤيا غنية عن التعبير
وان كانت المناسبة حاصلة بوجه ما كما اذا تصور المعنى بصورة ضده او لازم من لوازمه احتيج حينئذ الى التعبير وفايدة التعبير
التحليل ورجوع الفكر بالعكس عن الصورة الخيالية الى المعنى النفساني وان لم يكن هناك مناسبة اصلا كانت الرؤيا اضغاث احلام واما في
حال اليقظة فالسبب في ذلك هو ان النفس الناطقة متى قويت وكانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة ولم يكن اشتغالها بتدبير البدن
عايقا لها عن ملاحظة مباديها والاتصال بالحضرة الالهية وكانت المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك وضبطه عن الحواس
الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا توجهت الى الجناب المقدس لاستعلام ما كان او ما سيكون افيضت عليها الصور الكلية لتلك
الامور ثم ان النفس تستعين في ضبط تلك الامور الكلية بالقوة المتخيلة فتحاكي تلك المعاني بما يشبهها من الامور المحسوسة ثم تحطها
الى خزانة الخيال فيصير مشاهدا للحس فربما سمع الانسان كلاما منظوما وشاهد منظرا بهيا يخاطبه بكلام فيما يجده من احواله
فان كان لا تفاوت بين تلك المعاني والصور الا في الكلية والجزئية كان ذلك وحيا صريحا والهاما والا احتاج الى التاويل واما
المقام الثالث وهو صدور الاخبار بالامور الغيبية عنه فستعلمها في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى لا يقال لا نسلم
ان ذلك علم الهمه الله اياه وافاضه عليه بل الرسول عليه السلام اخبره بوقايع جزئية من ذلك وحينئذ لا يبقى بينه وبين غيره فرق في
هذا المعنى فان الواحد منا لو اخبره الرسول عليه السلام بشيء من ذلك كان له ان يحكي ما قاله الرسول وان وقع المخبر به على وفق قوله
ويدل على ذلك قوله بعد وصف الاتراك وقد قال له بعض اصحابه في ذلك المقام لقد اعطيت يا امير المومنين علم الغيب وقال للرجل فضحك صح
وكان كلبيا يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه من قوله ان الله
عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام من ذكر وانثى وقبيح وجميل وشقي وسعيد ومن يكون للنار حطبا او في الجنان
للنبيين مرافقا فهذا علم الذي لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه وآله فعلمنيه ودعا لي بان يعيه الغيب صح
صدري ويضطم عليه جوانحي وهذا التصريح بانه تعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله لانا نقول انا لم ندع انه عليه السلام كان يعلم الغيب بل
المدعى انه كان لنفسه القدسية استعداد ان ينتقش بالامور الغيبية عن افاضة جود الله تعالى وفرق بين العلم الغيب الذي لا
يعلمه الا الله وبين ما ادعيناه فان المراد بعلم الغيب هو العلم الذي لا يكون مستفادا عن سبب يفيده وذلك انما يصدق في حق الله تعالى
اذ كل علم لذي علم عداه فهو مستفاد من جوده اما بواسطة او بغير واسطة فلا يكون علم غيب وان كان اطلاعا على امر غيبي
لا يتاهل للاطلاع عليه كل الناس بل يختص بنفوس خصت بعناية الهية كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من
رسول واذا عرفت ذلك ظهر ان كلامه مصادق ومطابق لما اردناه فانه نفى ان يكون ما قاله علم غيب لانه مستفاد من جود الله تعالى وقوله
وانما هو تعلم من ذي علم اشارة الى وساطة تعليم الرسول له وهو اعداد نفسه على طول الصحبة بتعليمه وارشاده له الى الكيفية
السلوك واسباب التطويع والرياضة حتى استعد للانتقاش بالامور الغيبية والاخبار عنها وليس التعليم هو ايجاد العلم
وان كان امرا قد يلزمه ايجاد العلم فتبين اذن ان تعليم رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن بمجرد توقيفه على الصور الجزئية بل اعداد
نفسه بالقوانين الكلية ولو كانت الامور التي تلقاها عن الرسول عليه السلام صورا جزئية لم يحتج الى مثل دعائه في فهمها فان فهم الصور

الجزئية

الجزئية امر ممكن سهل في حق من له ادنى فهم وانما يحتاج الى الدعاء واعداد الاذهان له بانواع الاعدادات هو الامور الكلية العامة للجزئيات وكيفية انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها واسباب تلك الامور المعدة لادراكها ومما يؤيد ذلك قوله عليه السلام علمني رسول الله صلعم الف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف باب وقول الرسول صلعم اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع العلم والمراد بالانفتاح ليس الا التفريع وانشعاب القوانين عن ما هو اعم منها والجوامع العلم ليس الا ضوابطه وقوانينه وفي قوله واعطي بالبناء للمفعول دليل ظاهر على ان المعطي لعلي ليس هو النبي بل الذي اعطاه ذلك هو الذي اعطاه النبي جوامع العلم وهو الحق سبحانه وتعالى واما الامور التي عدها الله سبحانه فهي من الامور الغيبية وقوله لا يعلمها احد الا الله كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وهو محتمل للتخصيص كما في قوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وهذا الامر واضح لا يحتاج العاقل في استكشافه الى كلفة وسيجيء في اثناء الشرح ما يزيد ذلك وضوحا ان شاء الله تعالى **البحث الثالث** في بيان صدور الافعال الخارقة للعادة عنه والنظر ايضا اما في امكان ذلك وفي سببه او في نفس وقوعه منه

المقام الاول في امكانه واسبابه واجب على من اهل الله سبحانه لاستنكاف انواره اذا سمعوا ان وليا من الاولياء اتى بفعل ليس في وسع غيره من ابناء نوعه الاتيان بمثله كالامساك عن الطعام المدة المديدة التي ليست في وسع ابناء نوعه وكالتحريك او الحركة الخارجة عن وسع مثله وكما يشاهد من طوفانات يقع باستدعائهم نوعه وزلازل واستنزال عقوبات وخسف بقوم حق عليهم القول واستشفاء المرضى واستسقاء العطشى وخضوع عجم الحيوانات وغيرها ان لا يبادر الى التكذيب فانه عند الاعتبار يجد تلك الامور ممكنة في الطبيعة اما الامساك عن القوت فتامل امكانه فينا بل وجوده عند عروض عوارض غريبة لنا اما بدنية كالامراض الحادة واما نفسانية كالخوف والغم وسبب الامساك في حال المرض اما في الامراض البدنية فان القوى الطبيعية تشتغل بهضم المواد الردية عن تحريك المواد المحمودة فتبقى المواد المحمودة حينئذ محفوظة قليلة التحلل غنية عن طلب البدل لما يتحلل فربما انقطع الغذاء عن صاحبها مدة لو انقطع مثله عنه في غير حالته تلك عشر تلك المدة هلك وهو مع ذلك محفوظ الحيوة واما النفسانية فانه قد يعرض بعروض الخوف للخائف سقوط الشهوة وفساد الهضم والعجز عن الافعال الطبيعية التي كان متمكنا منها قبل الخوف لوقوف القوى الطبيعية عن افعالها بسبب اشتغال النفس بما اهمها عن الالتفات الى تدبير البدن اذا عرفت امكان ذلك بسبب العوارض الغريبة فاعلم ان سبب تحققه في حق العارف هي توجه نفسه بالكلية الى عالم القدس المستلزم لتشييع القوى البدنية لها وذلك ان النفس المطمئنة اذا راضت القوى البدنية انجذبت القوى خلفها في مهماتها التي تنزعج اليها واشتداد ذلك الانجذاب بشدة الجذب فاذا اشتد الاشتغال عن الجهة المولى عنها وقفت الافعال الطبيعية المتعلقة بالقوة النباتية فلم يكن من التحليل الا دون ما يكون في حال المرض لاختصاص المرض في بعض بما يقتضي الاحتياج الى الغذاء كتحلل رطوبات البدن بسبب عروض الحرارة الغريبة المسماة بسوء المزاج الحار لان الغذاء انما يكون لسد بدل ما يتحلل من تلك الرطوبات وشدة الحاجة الى الغذاء انما يكون بحسب كثرة التحليل وكقصور القوى البدنية بسبب المرض المضاد له وانما الحاجة الى حفظ تلك الرطوبات لحفظ تلك القوى اذ كانت مادة الحرارة الغريزية المقتضية لتعادل الاركان الذي لا يقوم تلك القوى الا معه وشدة الحاجة الى ما يحفظ تلك القوى انما هي بحسب شدة فتورها **واما العرفان** فانه مختص بامر يوجب الاستغناء عن الغذاء وهو سكون البدن عند اعراض القوى البدنية عن افعالها حال متابعتها للنفس وانجذابها خلفها حال توجهها الى الجناب المقدس وتطعمها بلذة معارفه الحق واليه الاشارة بقوله عليه السلام

لست كاحدكم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني واذا عرفت ذلك ظهر ان المرض وان اقتضى الامساك الخارق للعادة الا ان العرفان بذلك الاقتضاء اولى واما القدرة على الحركة التي تخرج عن وسع مثله فهي ايضا ممكنة وبيانها انك علمت ان مبدأ القوى البدنية هو الروح الحيواني فالعوارض الغريبة التي تعرض للانسان تارة تقتضي انقباض الروح بحركة الى داخل كالخوف والحزن وذلك يقتضي انحطاط القوة وسقوطها وتارة يقتضي حركة الى خارج كالغضب وانبساطا معتدلا كالفرح المطرب والانتشاء المعتدل وذلك يقتضي ازدياد القوة ونشاطها واذا عرفت ذلك فاعلم انه لما كان فرح العارف ببهجة الحق اتم واعظم من فرح من علاه بما علاها وكانت الغواشي التي تغشاه وتحركه اعتزازا بالحق وحمية ربانية اعظم مما يعرض لغيره لاجرم كان اقتداره على حركة غير مقدورة لغيره امكن واما السبب في الامور الباقية فهو انه قد ثبت في غير هذا الموضع ان تعلق النفس بالبدن ليس بتعلق انطباع فيه انما هو على وجه انها مدبرة له مع تجردها ثم ان الهيئات النفسانية قد تكون مبادي لحدوث الحوادث وبيانه اما اولا فلانك تشاهد انسانا يمشي على جذع ممدود على الارض ويتصرف عليه كيف شاء ولو عرض ذلك الجذع بعينه على جدار عال لوجدته عند المشي عليه راجفا متزلزلا بداعيه وهمه بالسقوط مرة بعد اخرى لتصوره وانفعال بدنه عن وهمه حتى ربما سقط واما ثانيا فلان الامزجة تتغير عن العوارض النفسانية كثيرا كالغضب والخوف والحزن والفرح وغير ذلك وهو ضروري واما ثالثا فلان توهم المرض والصحة قد يوجب ذلك وهو ايضا ضروري اذا عرفت ذلك فنقول انه لما كانت الامزجة قابلة لهذه الانفعالات عن هذه الاحوال النفسانية فلا مانع ان يكون لبعض النفوس خاصية لاجلها يتمكن من التصرف في عنصر هذا العالم بحيث يكون نسبتها الى كلية العناصر كنسبة انفسنا الى ابداننا فيكون لها حينئذ تاثير في اعداد المواد العنصرية لان يفاض عليها صور الامور الغريبة التي تخرج عن وسعها وسع مثلها فاذا انضمت الى ذلك الرياضات فانكسرت سورة الشهوة والغضب وبقيتا اسيرتين في يد القوة العاقلة فلا شك انها حينئذ تكون اقوى على تلك الافعال وتلك الخاصية اما بحسب المزاج الاصلي او بحسب مزاج طار غير مكتسب او بحسب الكسب والاجتهاد في الرياضة وتصفية النفس الذي يكون بحسب المزاج الاصلي فذو المعجزات من الانبياء والكرامات من الاولياء فان انضم اليها الاجتهاد في الرياضة بلغت الغاية القصوى في ذلك الكمال وقد يغلب على مزاج من له هذه الخاصية ان يستعملها في طرف الشر في الامور الخبيثة ولا يزكي نفسه كالساحر فيمتنع خبثه عن الترقي الى درجة الكمال واعلم ان الشرط الاول للنبوة ان يكون الشخص مامورا من السماء باصلاح النوع ثم من لواحق مرتبة الانبياء امور الاول ان يستغنوا في اكثر علومهم عن معلم بشري بل يحصل لهم بحسب قواهم الحدسية القدسية الشريفة البالغة وشدة اتصال نفوسهم بالحق سبحانه الثاني ان يكون هيولى العالم طوعا لما اراد وامن الامور العجيبة الخارقة للعادة كالخسف والتحريكات والتسكينات الثالث ان يتمكنوا من الاخبار عن المغيبات والامور الجزئية الواقعة اما في الماضي او في المستقبل والشرط الاول هو العمدة في تميز درجة الانبياء عن غيرهم ولا شك ان اختصاصهم به انما هو لشدة اتصالهم فاذن هم اشد اتصالا بالمبدا الاول واكمل قوة من غيرهم وكذلك اختلاف مراتبهم عائد ايضا الى تفاوت نفوسهم في قربها من المبدا واتصالها به واما باقي الخصال فقد يشاركهم فيها الاولياء ويجتمع فيهم والى هذا المعنى اشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله علماء امتي كانبياء بني اسرائيل وكان التفاوت بين المعجزة والكرامة انما يرجع الى ان الخصال المذكورة ان صدرت عمن له الشرط الاول سميناها معجزا وان صدرت عن غيرهم كانت في حقه كرامة وتحقيق هذه المباحث مبنيا على مقدمات واصول ليس هذا موضع ذكرها فليطلب ذلك من مظانها وبالله التوفيق المقام الثاني في وقوع الفعل الخارق عنه عليه السلام واعلم ان الطريق الى ذلك هو النقل وقد نقل عنه ذلك في صور

بحره

ثبت بعضها بحسب التواتر وبعضها بخبر الاحاد فمن الامور الخارقة المنقولة عنه بحسب التواتر قلعه لباب خيبر لما انتهى اليه وكان
من صخرة واحدة يعجز الجماعة عن تحريكه وروي في كيفية حاله في ذلك انه لما اقتلعه دحا به اذرعا واجتمع عليه سبعون رجلا
وكان جهدهم ان اعادوه الى مكانه وروي انه قال عالجت باب خيبر وجعلته مجنًّا لي وقاتلت القوم فلما اخزاهم الله وضعت
الباب على حصنهم طريقا ثم رميت به في خندقهم فقال له رجل لقد حملت يا امير المؤمنين منه ثقلا فقال ما كان الا مثل جُنّتي
التي في يدي في غيرة ذلك المقام ومعلوم ان ذلك لم يصدر عن قوة بدنية والا لقدر على ذلك غيره ممن هو اقوى صورة منه ولذلك قال عليه السلم
والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة ربانية وللشعراء في هذه الاية اشعار كثيرة والقصة
مشهورة فهذا القدر يكفينا في بيان فضائله عليه السلم وعليك في باقي الامور المنقولة عنه في ذلك بالكتب المصنفة في بيان معجزات
الانبياء وكرامات الاولياء ولقد اجتهد بنو امية في اخفاء فضائله واطفاء نوره بالتحريف ووضع المعايب والمثالب
حتى سبوه على جميع المنابر ومنعوا ان يروى حديث يتضمن له فضيلة وان يسمى باسمه احد فلم تزدد بذلك الاخفاء الا
ظهورا ولم يثمر ذلك الاطفاء الا نورا ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وكان مولده عليه السلم قبل ظهور دعوة النبي صلى الله عليه وآله
بثلث عشر سنة وقيل اثنتي عشر سنة وقيل عشر سنين وقتل ليلة الجمعة لثلث عشرة ليلة بقين من شهر رمضان من سنة
اربعين من هجرة الرسول بجامع الكوفة وهو ابن ثلث وستين سنة فهذا ما اوردناه من هذه المقدمة ولنشرع بعدها
بعدها في تحرير المطالب وقبله نذكر نسب السيد الرضي رضي الله عنه ونبين ما عساه ان يشكل من لفظه في خطبة الكتاب
اما نسبه فهو السيد الشريف رضي الدين ذو الحسبين محمد بن الطاهر ذي المناقب ابي احمد الحسين بن [illegible] موسى بن محمد
بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلم ووصف بذي الحسبين
لاجتماع اصله الفاخر الذي هو منبع الحسب مع فضيلة نفسه وكمالها بالعلم والادب وكان مولده ببغداد سنة تسع وخمسين
وثلثماية وتوفي في المحرم سنة ست واربعماية بالكرخ من بغداد ودفن مع اخيه المرتضى في جوار جده الحسين عليه السلم

خطبة الكتاب. قال رضي الله تعالى عنه بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمنا لنعمائه ومعاذا من بلائه ووسيلا الى جنانه وسببا الى زيادة احسانه والصلوة
على رسوله نبي الرحمة وامام الائمة وسراج الامة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار المعرق
وفرع العلاء المثمر المورق وعلى اهل بيته مصابيح الظلم وعصم الامم ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة
صلى الله عليهم اجمعين صلوة تكون ازاء لفضلهم ومكافاة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم واصلهم ما انار فجر ساطع وخوى نجم طالع
فاني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن ابتدات بتاليف كتاب في خصايص الائمة عليهم السلم يشتمل على محاسن
اخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته امام الكلام وعاقت عن اتمام بقيته محاجزات
الايام ومماطلات الزمان وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا وفصلته فصولا فجاء في اخرها فصل يتضمن
محاسن ما نقل عنه عليه السلم من الكلام القصير في المواعظ والحكم والامثال والاداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة
فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدايعه ومتعجبين من نواصعه وسالوني عند ذلك ان

وفي نسخة عن الخصايص التي تخص امير المؤمنين عليه السلام

ابتدی بتالیف کتاب یحتوی علی مختار کلام امیر المؤمنین علیه السلام فی جمیع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وکتب ومواعظ
وادب علما ان ذلک یتضمن من عجایب البلاغة وغرایب الفصاحة وجواهر العربیة وثواقب الکلم الدینیة والدنیاویة ما
لا یوجد مجتمعا فی کلام ولا مجموع الاطراف فی کتاب اذ کان امیر المؤمنین علیه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومنشا البلاغة ومولدها
ومنه علیه السلام ظهر مکنونها وعنه اخذت قوانینها وعلی امثلته حذا کل قایل خطیب وبکلامه استعان کل واعظ بلیغ ومع ذلک
فقد سبق وقصروا وتقدم وتاخروا لان کلامه علیه السلام الکلام الذی علیه مسحة من العلم الالهی وفیه عبقة من الکلام النبوی فاجبتهم
الی الابتداء بذلک عالما بما فیه من عظیم النفع ومنشور الذکر ومذخور الاجر واعتمدت به ان ابین عن عظیم قدر امیر المؤمنین علیه
فی هذه الفضیلة مضافة الی المحاسن الدثرة والفضایل الجمة وانه علیه السلام انفرد ببلوغ غایتها من جمیع السلف الاولین
الذین انما یؤثر عنهم منها القلیل النادر والشاذ الشارد فاما کلامه علیه السلام فهو البحر الذی لا یساجل والجم الذی لا
یحافل واردت ان یسوغ لی التمثل فی الافتخار به علیه السلام بقول الفرزدق اولئک آبائی فجئنی بمثلهم ◦ اذا جمعتنا
یا جریر المجامع ◦ ورایت کلامه علیه السلام یدور علی اقطاب ثلثة اولها الخطب والاوامر وثانیها الکتب والرسایل وثالثها
الحکم والمواعظ فاجمعت بتوفیق الله تعالی علی الابتداء باختیار محاسن الخطب ثم محاسن الکتب ثم محاسن الحکم والادب
مفردا لکل صنف من ذلک بابا ومفصلا فیه اوراقا لیکون لاستدراک ما عساه یشذ عنی عاجلا ویقع الی آجلا واذا جاء — مقدمة خ
شیء من کلامه الخارج فی اثناء حوار او جواب کتاب او غرض آخر من الاغراض فی غیر الانحاء التی ذکرتها وقررت القاعدة — سؤال خ
علیها نسبته الی الیق الابواب به واشدها ملاحظة لغرضه وربما جاء فیما اختاره من ذلک فصول غیر متسقة ومحاسن کلم غیر
منتظمة لانی اورد النکت واللمع ولا اقصد التتالی والنسق ومن عجایبه علیه السلام التی انفرد بها وامن المشارکة فیها ان کلامه
الوارد فی الزهد والمواعظ اذا تامله المتامل وفکر فیه المتفکر وخلع من قلبه انه کلام مثله ممن عظم قدره ونفذ امره — والتذکیر والزواجر
واحاط بالرقاب ملکه لم یعترضه الشک فی انه من کلام من لا حظ له فی غیر الزهادة ولا شغل له بغیر العبادة قد قبع فی کسر
بیت او انقطع الی سفح جبل لا یسمع الا حسه ولا یری الا نفسه ولا یکاد یوقن بانه کلام من ینغمس فی الحرب مصلتا سیفه فیقط
الرقاب ویجدل الابطال ویعود به ینطف دما ویقطر مهجا وهو مع ذلک زاهد الزهاد وبدل الابدال وهذه من فضایله
العجیبة وخصایصه اللطیفة التی جمع بها بین الاضداد والف بین الاشتات وکثیرا ما اذاکر الاخوان بها واستخرج عجبهم
منها وهی موضع للعبرة بها والفکرة فیها وربما جاء فی اثناء هذا الاختیار اللفظ المردد والمعنی المکرر والعذر فی ذلک
ان روایات کلامه علیه السلام تختلف اختلافا شدیدا فربما اتفق الکلام المختار فی روایة فنقل علی وجهه ثم وجد بعد ذلک فی
روایة اخری موضوعا غیر وضعه الاول اما بزیادة مختارة او بلفظ احسن عبارة فتقتضی الحال ان یعاد استظهارا للاختیار
وغیرة علی عقایل الکلام وربما بعد العهد ایضا بما اختیر اولا فاعید بعضه سهوا ونسیانا لا قصدا واعتمادا ولا ادعی مع
ذلک انی احیط باقطار جمیع کلامه علیه السلام حتی لا یشذ عنی منه شاذ ولا یند ناد بل لا ابعد ان یکون القاصر عنی فوق الواقع
الی والحاصل فی ربقتی دون الخارج من یدی وما علی الا بذل الجهد وبلاغ الوسع وعلی الله سبحانه نهج السبیل وارشاد الدلیل — فیه صح
ان شاء الله ورایت من بعد تسمیة هذا الکتاب بنهج البلاغة اذ کان یفتح للناظر فیه ابوابها ویقرب علیه طلابها فیه

حاجة

حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ويمضي في اثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق ما
هو بلال كل غلة وشفاء كل علة وجلاء كل شبهة ومن الله سبحانه استمد التوفيق والعصمة واتنجز التسديد والمعونة واستعيذه من
خطاء الجنان قبل خطاء اللسان ومن زلة الكلم قبل زلة القدم وهو حسبي ونعم الوكيل اقول اما حرف يبتدا به الكلام المقسم الى قسمين
او اكثر ويصدر به الجمل فيخصص معه كل واحدة بحكم ليس للاخرى فقوله اما بعد حمد الله هو الجزء الثاني من الكلام وتقدير الكلام مع جزئه
الاول اما قبل الشروع في المطلوب فالحمد لله واما بعد حمد الله فاني كنت في عنفوان السن وانما حذف الجزء الاول اختصارا للكلام وايجازا
له ثم استمر ذلك الحذف وحسن استعماله في الكلمات الخطابية وغيرها حتى صار اظهار المحذوف ههنا مستهجنا بقدر ما يستحسن الحذف
وقال سيبويه انه مع الجملة التي يدخل عليها في قوة شرطي متصل فقال اذا قلت اما زيد فمنطلق فكانك قلت مهما يكن من شيء فزيد
منطلق ونبه على ذلك بلزوم الفاء الجواب بها وجعل فيها الكلام مشتملا على جملتين شرط وجزاء والمذكور ههنا ليس الا الجملة
الجزائية واما الشرط فمحذوف للاختصار وهذا الحرف ينوب عنه كما ناب ياء النداء مناب ادعوا ونعم مناب الجواب وانما
زحلقت الفاء عن موضعها والمبتدا الخبر لئلا يقع في صدر الكلام مع ان حقها التوسط اما بين مفردين او جملتين وقوله بعد
ظرف يستدعي متعلقا وتقديره واما قولي بعد حمد الله فهو كذا وكذا والحمد لفظ مشترك يصدق على معنى الشكر الذي هو
الاعتراف بالنعمة المتقدمة والثناء والتعظيم لزمها من الشاكر وعلى الثناء المطلق ابتداء لغير المحسن الى الحامد اذا ادى منه فعلا
جميلا دون ان يكون في حقه فهو اذن اعم من الشكر وهو اخص من المدح لاختصاص اطلاقه في حق العقلاء دون غيرهم اذ يقال
مدحت الفرس ولا يقال حمدته والمعاذ الملجاء والوسيل جمع وسيلة وهي كل ما قربك الى الله تعالى او الى غيره والصلوة لفظ مشترك
بين معان ومن الله تعالى رحمة والنبي ماخوذ اما من النبوة والنباوة وهي الارتفاع لكونه مرتفعا على الخلق رئيسا لهم فيكون اصله
غير الهمز واما من النباء وهو الخبر لانه يخبر عن الله تعالى والامة الجماعة والمنتجب المستخلص المصطفى وسلالة الشيء ما استل منه
واستخرج والنطفة سلالة الانسان ومنه السليل للولد والمجد في الاصل الكرم والمجيد الكريم وكذلك الماجد فاعرق الرجل
اذا صار عريقا وهو الذي له عرق في الكرم واصل والعصم جمع عصمة وهي المنع وفلان عصمة الخلق اذا منع الاذى عنهم وحماهم منه
والمنار علم الطريق وهو لفظ مفرد واصل الفه الواو وقد يستعمل جمعا للمنارة كما اراده الرضي ههنا ولذلك انث صفته وهذا الجمع على
غير قياس فان وزن منارة مفعلة وقياس مفعلة في الجمع مفاعل ولذلك كان الجمع الاصلي لمنارة مناور وقال الجوهري ومن قال
مناير وهمز فقد شبه الاصلي بالزائد وارادفي حذوه في الجمع والمثاقيل جمع مثقال وهو ما يوزن به الذهب والفضة ويكون حذاءها
ثم كثر استعماله حتى عدي الى الموزون ايض فيقال مثقال مسك ونحوه ثم عدي الى الامور المعقولة والمقادير منها فقيل مثقال فضل
وهذا الشيء ازاء الذاك حذاءه ومقابل وكذلك المكافاة والكفاء يقال كافات فلانا بالشيء اذا قابلته به وجزيته عليه وكفا الشيء
بالمد والهمز مثله ونظيره من جزاء ونحوه ومنه كفات الاناء اذا املاته وخوى النجم بالتخفيف سقط وبالتشديد اذا مال للمغيب
وعنفوان الشباب والسن اوله والغض الطري وغضاضة الغصن طراوته ولينه وحداني على كذا اي بعثني وحملني عليه وهو
ماخوذ من حدا الابل وهو زجرها والغناء لها الباعث لها على السير والحامل لها على السرعة فيه والخصايص جمع خصيصة
فعيلة بمعنى فاعلة وهي ما يختص بالانسان وغيره والمحاجزات جمع محاجزة وهي الممانعة من الطرفين كان الايام ممانعة عن العمل وهو ممانعها

امله
منوماله والمماطلات جمع مماطلة مفاعلة ايضا من الطرفين كان الزمان لاعزازه بطوله بعده بانجاز العمل فيخلف وكانه هو لطول
بعد الزمان بوقوع العمل فيه فيخلف واعجب فلان بكذا على البناء للمفعول فهو معجب اذا احبه ومال اليه وصار عنده في محل ان يتعجب
منه ومنه قولهم اعجب فلان برايه وعقله والبدايع جمع بديعة فعيلة بمعنى مفعولة وهي الفعل على غير مثال ثم صار يستعمل في الفعل الحسن
وان سبق اليه مبالغة في حسنه فكانه لكمال حسنه لم يسبق اليه والتعجب في تلك ما احسن كذا ونحوه من الالفاظ والنواصع جمع ناصعة
والناصع من كل شي خالصه ونصع الامر [illegible] وضح وبان معجبين ومتعجبين منصوبان على الحال والعجب بالشي بسبب
للتعجب منه وفنون الكلام انواعه واساليبه المختلفة وعلما منصوب على المفعول له او على انه مصدر سد مسد الحال اى عالمين والعامل
فيه قوله سالوني والقوانين جمع قانون وهو كل صورة كلية يتعرف منها احكام جزئيات المطابقة لها ولفظه معرب سريانى
وقيل انه عربي ماخوذ لكونه ثابتا باقيا اما من القن وهو العبد الذى ملك هو وابواه فهو ثابت فى الملك من جهتين او من القنقن
وهو الدليل الهادى والبصير بالماء فى حفر القنى وكذلك القناقن بضم القاف لكون القانون هاديا فى تعرف جزئياته ويقال على فلان
مسحة من جمال اى اثر وعلامة وهو خالص بالمدح قال رسول الله صلى الله عليه وآله فى جرير بن عبد الله البجلى عليه مسحة من ملك اى اثر ذلك
وقال ذو الرمة على وجه مى مسحة من ملاحة ، وتحت الثياب الشين لو كان باديا ، وعبق به الطيب اى لزق به وانتشرت
عنه رايحته والعبقة واحدة العبوق واعبقت اى فصدت والدثرة الكثيرة وكذلك الجمة والاثر ما بقى من رسم الشي وسنن رسول الله
صلى الله عليه وآله اثاره ويوثر عنهم ينقل عنهم من الاثار والشاذ المنفرد الذى لا يصحب امثاله وشرد البعير نفر عن الابل وخرج عن نظامها
والمساجلة المغالبة والمفاخرة فى سقى او جرى واصله من السجل وهو الدلو العظيمة اذا كان فيها ماء قال الفضل بن عباس ،،
من يساجلنى يساجل ماجدا ، يملاء الدلو الى عقد الكرب ، وحفل القوم واحتفلوا اى اجتمعوا والمحافلة مفاعلة من الطرفين
وقوله لا يحافل اى ليس فى كلام غيره مجمع للفضايل يقابل كلامه وقطب الرحى المسمار الذى عليه تدور ثم استعمل فى كل اصل ينتهى اليه
ويرجع فقيل قطب القوم لسيدهم لكونه عليه مدار امورهم وقطبا الفلك نهايتا محوره وهو الخط الذى يتوهم مارا بمركز الفلك منتهيا
فى الجهتين الى طرفيه وعليه يدور ولاقسام الكلام التى يدخل اجزاؤه تحتها ويدور عليه والخطبة اعم من الوعظ والوعظ التخويف
ويختص فى العرف بالتذكير بايام الله وامر الاخرة وعذاب النار ونحوه والرسالة اعم من الكتاب لجواز ان يكون بالقول
دون كونها مكتوبة والصنف فى اللغة والنوع واحد وان كان بينهما فى عرف اخر فرق والاجماع تصميم العزم على الامر وخلوصه
من التردد واثناء الشى تضاعيفه وهو جمع ثنى بكسر الثاء وسكون النون تقول انفذت كذا ثنى كتابى اى فى طيه والحوار
الخطاب والجواب والمحاورة والمجاوبة والترداد فى الكلام يقال كلمته فلم يحر جوابا والانحاء جمع نحو وهو القصد وقواعد
البيت الاحجار التى يؤسس عليها بناؤه قال تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقواعد الهودج اخشابه الاربع المعترضات
فى اسفله ثم عدى الى كل اصل يبنى عليه من كلام او غيره والملاحة المشابهة بهجة من قولهم فى ملامح من ابيه اى مشابه واصله من لمح
البصر وهو النظر الخفيف السريع الزوال وذلك ان الملمح مفعل وهو موضع اللمح والمشابه محال اللمح فلذلك اشتقت منها الملاحة
وروى ملاحة وهى الملائمة وروى ملائمة ايضا والمنتسق المنتظم يتلو بعضه بعضا واصله المنتسق فادغمت النون فى التاء
والنكت جمع نكتة وهى الاثر فى الشى يتميز به بعض اجزائه عن بعض ويوجب له الانقياد والتفات الذهن اليه كالنقطة فى

الجسم

الجسم والاثر فيه الموجب للاختصاص بالنظر ومنه رطبة منكتة اذا بدا ارطابها ثم عدي الى الكلام والامور المعقولة التي يختص بعضها
بالدقة الموجبة لمزيد العناية والفكر فيها فيسمى ذلك البعض نكتة واللمع جمع لمعة وهي البقعة من الكلاء وكذلك الجماعة من الناس
واصله من اللمعان وهو الاضاءة والبريق لان البقعة من الارض ذات الكلاء كانها تضيء لخضرتها ونضارتها دون ساير البقاع وعدي
ذلك الى محاسن الكلام وبليغه لاستنارة الاذهان به ولتميزه عن ساير الكلام فكانه في نفسه ذو ضياء ونور واعتراض الشك
خطوره بالبال المانع للجزم باحد طرفي المشكوك فيه وقبع القنفذ قبعا وقبوعا اذا ادخل راسه في جلده وكذلك الرجل اذا ادخل
راسه في قميصه واصله من قبوع القنفذ وكسر البيت اسفل شقة البيت التي تلي الارض من حيث تكسر جانباه من عن يمينك وشمالك
حكاه ابن السكيت وسفح الجبل سطوحه وجوانبه التي يسيل عليها الماء من اعلاه وقد يقال بالصاد ايضا وتوقن بعلم يقينا
وانما صارت الياء التي هي الاصل واوا للضمة قبلها وانغمس في الامر دخل فيه بكليته واصله من الدخول في الماء ونحوه من المايعات
واصلت سيفه جرده من غمده وقط الشيء قطعه عرضا وقده وشقه قطعه طولا والبطل الشجاع وجدله اي القاه على الجدالة وهي
الارض ونطف ينطف بضم الطاء في المستقبل نطفانا اي سال والمهج جمع مهجة وهي الدم [illegible] ويقال هي دم القلب خاصة
والمهجة الروح ايضا ودما ومهجا منصوبان على التمييز والابدال قوم صالحون لا تخلو الارض منهم اذا مات واحد بدل الله مكانه
بآخر قال ابن دريد الواحد بديل وقيل بدل ايضا والعبرة الاسم من الاعتبار وهو انتقال الذهن من امر الى امر والظهير المعين
والاستظهار للشيء الاستعانة بغيره لحفظه وبالشيء الاستعانة به وعلى الشيء الاستعانة بغيره لدفعه والغيرة بفتح الغين مصدر
قولك غار الرجل على اهله يغار غيرة وغارا ورجل غيور وامراة غيور ايضا اذا كانا كثيري الغيرة والغيرة الم نفساني يعرض لذي
الحق عن تخيل مشاركة غير المستحق لذلك الحق له فيه والعقايل جمع عقيلة وعقيلة كل شيء اكرمه واحسنه والاقطار جمع قطر وهي
الناحية والجانب وند البعير يند ندا ونديدا ونُدودا نفر وشرد والربق بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه عرى كثيرة تشد به
البهم الواحدة من العرى ربقة وفي الحديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والجد الحرص والاجتهاد
والبلاغ الاسم من التبليغ والبلوغ اقيم مقام المصدر والنهج الطريق الواضح والبغية بكسر الباء وضمها ما يراد ويبتغى من الشيء
والبلال بكسر الباء القدر الذي يبل به الحلق من ماء او لبن والغلة والغليل العطش الشديد وجلا السيف وغيره صقاله
وازالة ما يعرض له من الكدر وجلاء القلب والنفس ازالة ما يعرض لها من كدر الشبهة والجهل وتنجزت الامر سالت انجازه وقضاءه
الاستعاذة طلب العوذ وهو الالتجاء كقوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وزلت اللسان الخطاء في القول وزلة القدم
خطاء الطريق والانحراف عنه وعدم التثبت على الصراط المستقيم اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المعنى قوله اما بعد حمد الله الى قوله
وزيادة احسانه اقول ان حمد الله تعالى سواء كان عبارة عن الثناء والتعظيم المطلق او عن الشكر المستلزم لتقدم النعمة والاعتراف
بها وتعظيم ربها فان المستحق له في الحقيقة ليس الا الله سبحانه ومع ذلك فهو من اجل العبادات له واكملها اما الاول فلان كل محسن
من الخلق انما يحسن طلبا لجلب منفعة او دفع مضرة وهذا الاحسان في الحقيقة معاملة وان عد في العرف احسانا اما الحق سبحانه
فلما كان منزها عن طلب المنفعة ودفع المضرة لم يكن احسانه استفادة لاحدهما فكان المحسن الحق ليس الا هو فكان المستحق لكل
اقسام الحمد ليس الا هو واما الثاني فبيانه اما في الثناء المطلق لله تعالى وتعظيمه فلاستلزامه ملاحظة جلال الله وكبريائه وتصوره

الجهة التي باعتبارها كان مستحقا للثناء والتعظيم دون غيره وهو كونه الها وربا وخالقا لكل ما سواه ومنزها عن كل نقص مبرأ
عن كل عيب وهذه الملاحظة والاعتبار هو مطلوب الله سبحانه من جميع العبادات وهو جار منها مجرى الروح للجسد وكذلك الشكر لله سبحانه فانه
مستلزم لمعرفته ومحبته والالتفات اليه وملاحظة الجهة التي بها كان مستحقا للشكر وهي افاضة النعم التي لا تحصى على العبد ولا يقدر
غيره على مثلها وهذه الملاحظات هي الاسرار المطلوبة من العبادات وبها تكون نافعة واذا علمت ان الحمد من كل العبادات وانها لله تعالى
علمت ان عبادته سبحانه هي المطلوبة له من خلقه دون غيرها كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون علمت ان الحمد من كل المطالب لله
فالاتيان به يكون مستلزما لرضوان الله وما يستلزمه من الرضوان من الخيرات الدائمة والنعم الباقية واذا عرفت ذلك فاعلم ان السيد
رضي الله عنه اشار بهذه الفصول الاربعة الى اربعة انواع من تلك الخيرات الاول قبول الحمد ورضاه من العبد مع كونه ايسر شيء مؤنة
واخفه على اللسان كأنه ثمنا مقابلا كافيا للنعماء التي في حقه وذلك في الحقيقة نعمة اخرى وموهبة يستدعي حمدا اخر وهلم جرا فسبحان
الذي لا تحصى نعماؤه ولا تستقصى الاؤه وقوله ثمنا استعارة لطيفة ووجه المشابهة ان الثمن لما كان مستلزما لرضاء البايع
به عوضا من مبيعه وكان الحمد مستلزما لرضا الحق سبحانه في مقابلة نعمه لا جرم اشبه الثمن فاستعير لفظه له وفي الخبر ان الله تعالى
اوحى الى ايوب عليه السلام اني رضيت الشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل الثاني جعله الحمد معاذا من بلائه وبيانه اما اولا فلقوله
تعالى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فانه تعالى لما توعد بالعذاب من كفر نعمته مع ارادته للحمد والشكر وامره بهما في غير موضع علمنا ان الشكر
والحمد من اسباب الخلاص من العذاب الاليم والبلاء العظيم لاستلزامهما عدم سببه وهو الكفران واما ثانيا فلانك علمت ان الاتي بالحمد مستحق
لرضوان الله تعالى من جهة ما هو حامد والمستحق لرضوان الله ناج من عذاب الله فكان الحمد محلا للعوذ به من بلائه وسخطه الثالث
جعله الحمد وسيلا الى جنانه وبيانه اما اولا فلكونه من اتم العبادات وكون العبادة وسيلة الى الجنة ظاهر واما ثانيا فما روي
ان رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي يوم القيمة ليقم الحامدون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون
قال الذين يشكرون الله على كل حال فحكم بان الحامدين يدخلون الجنة بسبب حمدهم الرابع جعله الحمد سببا لزيادة احسانه وبيانه اما
اولا فلقوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم فعلق زيادة النعمة بمجرد الشكر واما ثانيا فلان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع وانما النقصان
من جهة العبد لعدم الاستحقاق واذا استعد لقبول النعم بالحمد افاض الله تعالى عليه نعمه ثم لا يزال يستعد بالحمد والشكر على النعم السابقة
للمزيد بالنعم اللاحقة الى ان يخرج كل كمال له بالقوة الى الفعل فيلحق بدرجة الكروبيين ومجاورة الملائكة المقربين المعتكفين
في حظيرة الجبروت وقد عرفت من هذا البيان ان كون هذه الامور لازمة للحمد انما هو بجعل الله تعالى ملاحظة لعباده بعين عنايته
وشمولا لهم بسعة رحمته قوله والصلوة على رسوله نبي الرحمة الى قوله وخوى نجم طالع اقول اردف حمد الله تعالى بالصلوة على رسوله محمد صلى الله عليه وآله
وذلك من الاداب الدينية التي استمرت عليها العادة في الخطب وذكر له صلى الله عليه وآله اوصافا سبعة الاول كونه نبي الرحمة ملاحظة لقوله
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وتفصيل هذه الرحمة من وجوه احدها انه الهادي الى سبيل الرشاد والقائد الى رضوان الله سبحانه وبسبب
هدايته يكون وصول الخلق الى المقاصد العالية ودخول جنات النعيم التي هي غاية الرحمة الثاني ان التكاليف الواردة على يديه صلى الله عليه وآله
اسهل التكاليف واخفها على الخلق بالنسبة الى ساير التكاليف الواردة على ايدي الانبياء السابقين لامهم قال عليه السلام بعثت بالحنيفية
السهلة السمحة وذلك عناية من الله ورحمة اختص بها امته على يديه الثالث انه ثبت ان الله يعفو عن عصاة امته ويرحمهم بسبب

شفاعته

شفاعته الرابع انه عليه السلام رحم كثيرا من اعدائه كاليهود والنصارى والمجوس ببذل الامان لهم وقبول الجزية منهم فقال صلى الله عليه وآله من اذى ذميا فقد
اذاني ولم يقبل احد من الانبياء الجزية قبله الخامس انه سال الله تعالى ان يرفع عن امته بعده عذاب الاستيصال ودفع العذاب رحمة السادس ان الله تعالى وضع في
شرعه عليه السلام الرخص تخفيفا ورحمة لامته الثاني كونه امام الائمة اما صدق كونه اماما فلوجهين احدهما ان الامام هو الرئيس المقتدى به في اقواله وافعاله
والانبياء عليهم السلام احق الخلق بهذه الصفة اذ هم الاصل في ذلك الثاني قوله تعالى لابراهيم عم اني جاعلك للناس اماما واما كونه امام الائمة فلقوله عليه السلام
ادم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة الثالث كونه سراج الامة ويدل عليه قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا وهذه استعارة لطيفة له عليه السلام فان السراج لما كان من خاصيته اضاءة ما حوله واهتداء الخلق به في الظلمة وكان النبي عليه السلام قد اضاء قلوب
العالم بانوار الوحي والرسالة حتى اهتدى الخلق به من ظلمة الجهالة لا جرم حسنت استعارة لفظ السراج له وهي استعارة لفظ المحسوس للمعقول
على سبيل الكناية عن كونه هاديا للخلق ومرشدا لهم الى الطريق الحق الرابع كونه منتجبا ومختارا من طينة الكرم وطينة الكرم كناية عن اصله
والكرم حقيقة في السخاء ومجاز في مطلق الشرف والمراد ان الله سبحانه اصطفاه من اصل هو محل الكرم والشرف الخامس كونه سلالة المجد الاقدم
واضافة سلالة الى المجد اما على تقدير حذف المضاف والاصح حتى يكون التقدير سلالة اهل المجد الاقدم واما ان يكون قد استعار لفظ المجد لاصله
عليه السلام فكانه تخيل ان الاصل كله مجد فاعطاه لفظة المجد واضاف اليه تعالى الاستعارة ثم وصف المجد بكونه اقدم لزيادته في الفضل على المحدث
بل على القديم السادس كونه مغرس الفخار المعرق وقد استعار لفظ المغرس الذي هو حقيقة في الارض لطبيعته وجبلته استعارة على وجه
الكناية عن شرفه وكماله ووجه المشابهة ان طبيعته عليه السلام محل لظهور الفخار عنها كما ان الارض المكرمة محل لظهور النبات الطيب الحسن عنها ووصفه
بكونه معرقا لزيادته على ما ليس كذلك وهذا من قبيل ترشيح الاستعارة فانه لما جعل للفخار مغرسا جعل له عرقا السابع كونه فرع العلاء
المثمر المورق لما استعار لفظ الفرع الذي هو حقيقة في اغصان الشجرة المتفرعة عن اصلها له عليه السلام من جهة ما هو فرع في الوجود عن ابائهم
اهل العلو والشرف اشار بما هو من كمال الفروع وهو كونه مثمرا مورقا وهو ترشيح للاستعارة ايضا فان الغصن الخالي عن الثمر والورق او عن
احدهما ناقص الكمال والحسن وهي استعارة على سبيل الكناية عن شرفه بالنظر الى شرف اصله واضافة الفرع ههنا الى العلاء كاضافة لفظ السلالة
الى المجد فالكلام فيهما واحد واما بيان صدق الاوصاف الاربعة الاخيرة ففي وجوه الاول ما روي عنه عليه السلام انه قال لم يزل الله تعالى ينقلني
من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات لم يدنسني بدنس الجاهلية وكفى بذلك شرفا وكرما الثاني انه صلى الله عليه وآله من ولد اسمعيل وابرهيم
عليهما السلام وكرمهما مشهور قال وهب وكان ابراهيم عم اول من اضاف الضيف واول من ثرد الثريد واطعم المساكين الثالث نسبه عليه السلام
من قريش وشرف قريش في العرب ظاهر فمنهم قصي الذي جمع قبائل قريش وانزلها مكة وبنا دار الندوة واخذ مفتاح الكعبة من خزاعة
ومنهم هاشم بن عبد مناف الذي هشم الثريد لقومه في عام المحل ومنه سمي هاشما واصل اسمه عمرو قال الشاعر فيه ❊ عمرو العلى هشم الثريد
لقومه ❊ ورجال مكة مسنتون عجاف ❊ ومنهم عبد المطلب بن هاشم وكان من حكماء العرب ومحصليها وهو سيد الوادي
وشيبة الحمد سجد له الفيل الاعظم وببركة النور الذي كان في صلبه دفع الله عن بيته كيد اصحاب الفيل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم
بحجارة من سجيل وببركة ذلك النور راى الرؤيا في تعريف موضع زمزم وهو الذي الهم النذر لما نذر ان يذبح العاشر من اولاده
وكيفية الفداء له حتى افتخر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك وقال انا ابن الذبيحين وكان يامر اولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم
على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان لشرفه وفضل عقله قد سلم اليه النظر في حكومات العرب وفصل الخصومات بينهم

وكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة ويحكم بينهم وجزئيات فضله وشواهد عقله كثيرة وله اشعار كثيرة واخبار تدل على انه
كان مقرّاً بالصانع الحكيم موحداً له معترفاً بامر المعاد من رامها طالع كتب التاريخ قوله وعلى اهل بيته الى قوله ومثاقيل الفضل الراجحة اقول
اختلف الناس في المراد باهل البيت في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقال الجمهور ان نساء النبي عليه السلام مرادون بهذه الآية ومن الناس من
خصها بهن مستدلين بسياق الكلام قبلها وبعدها واتفقت الشيعة على انها خاصة بعلي وفاطمة والحسن والحسين عم وهو قول ابي سعيد الخدري وهو
مراد الرضي ههنا مع من بعدهم من الائمة الاثني عشر وقد وصفهم باربعة اوصاف احدها كونهم مصابيح وهي استعارة لهم يكنى بها عن كونهم يهتدى
بهم من ظلمات الجهل كما يهتدى بالمصباح في الظلمة وثانيها كونهم عصماً للامم اي مانعين لهم بسبب هدايتهم لهم الى سلوك الصراط المستقيم عن التورط
في احد طرفي الافراط والتفريط وثالثها كونهم منار الدين الواضحة وقد عرفت ان المنار هي محال الانوار وهي ايضا استعارة حسنة كما مر ورابعها
كونهم مثاقيل الفضل الراجحة وهذه الاضافة اما بمعنى اللام اي مثاقيل للفضل اي اذا اعتبر فضل غيرهم ونسب بعضه الى بعض
كانوا مثاقيل راجحة لذلك الفضل يعتبر رجحان بعضه على بعض بالنسبة اليها او بمعنى من اي مثاقيل من الفضل مطبوعة ترجح على غيرها
ولفظ المثاقيل ههنا مستعار لهم ايضا ووجه المشابهة كونهم معيار الخلق وموازين لهم كما ان المثقال كذلك قوله صلى الله عليهم اجمعين الى قوله
نجم طالع اقول لما دعا الله سبحانه لهم بالصلوة نبه على استحقاقهم لها باعتبار ثلثة امور احدها اعتبار فضائلهم النفسانية كالعلوم والملكات
الخلقية الفاضلة وثانيها اعتبار اعمالهم الظاهرة كالعبادات البدنية وثالثها اعتبار طيب اصولهم الزاكية المطهرة ونزههم عنها بان هذه
الامور هي جهات استحقاق الرحمة قوله فاني كنت في عنفوان شبابي الى آخر الكلام اقول لما صدر الخطبة بذكر الله تعالى والثناء عليه والصلوة على
رسوله واهل بيته صلى الله عليهم شرع في اقتصاص حاله في جمع هذا الكتاب وذكر الاسباب الحاملة له على ذلك وفي مدح كلام علي عليه السلام ثم ذكر في ذلك
الاقتصاص امورا تحتاج الى التنبيه الاول ان هذا المجموع من الكلام جزء من كل كلامه عليه السلام وذلك في قوله ان ابتدي بتاليف كتاب يحتوي على من صح
مختار كلام امير المؤمنين عم وذلك امر ظاهر قال قطب الدين الراوندي رح سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول اني وجدت بمصر مجموعا من
كلام علي عليه السلام في نيف وعشرين مجلدا الثاني ان قوله جواهر العربية ويواقيت الكلم الدينية والدنيوية استعارتان لطيفتان لهذين
اللفظين عن الحجرين المخصوصين للمعنيين اللذين هما فصاحة الالفاظ والعربية والحكمة الفاضلة التي يشتمل عليهما كلامه عليه السلام ووجه
المشابهة هو ما اشتركا فيه من العزة والنفاسة كل بالنسبة الى جنسه فعزة الحجرين بالنسبة الى مطلق الاحجار وعزة الالفاظ الفصيحة
والحكمة البالغة بالنسبة الى ساير الالفاظ والمعاني المعقولة الثالث كونه عليه السلام مشرعا للفصاحة وموردها وهي ايضا استعارة
لهذين اللفظين اللذين هما حقيقة في النهر والعين ونحوهما له عليه السلام ووجه المشابهة ان الشريعة من الماء كما يردها العطشى للتروي
والاستقاء كذلك هو عليه السلام مرجع للخلق في استفادة الفصاحة ولو قال مصدرها وموردها لكان ابلغ اذ كان المشرع والمورد
مترادفين او قريبين من الترادف وكذلك قوله منشأ البلاغة ومولدها استعارة ايضا تشبيها لذهنها عليه السلام بالام وتشبيها
للفصاحة بالولد في الصدور عنه الرابع قوله لان كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي
قدر العلم الالهي كله حسنا وجمالا حتى جعل لكلامه عليه السلام اثرا منه وقدر الكلام النبوي طيبا كالمسك الاذفر حتى جعل في كلامه
عليه السلام عبقة منه واستلزم ذلك تخيل حاستي البصر والشم للعقل ليدرك بالاولى المسحة من العلم الالهي وبالثانية العبقة من الكلام
النبوي وهي استعارة على طريق الكناية فكنى بالمسحة عما ادركه العقل في كلامه من الحكمة المشابهة للقرآن الكريم والفصاحة

وكنى

ولكن عما ادركه من الاسلوب والطريقة الموجودة فيه مع الفصاحة والحكم في الكلام النبوي فكان العقل يبصر ويسمع بقوة اثر
العلم الالهي فيه ويشم رايحة الكلام النبوي منه قال ابو الحسن الكيذري رحمه الله انما خص الكلام الالهي بالمسحة والكلام النبوي بالعبقة
لان كلامه عليه السلم شديد الشبه بكلام الرسول صلى الله عليه وآله فهو كالجزء منه لانهما غصنا دوحة وفرعا ارومة ولما كان معنى عبق
الشيء بالشيء لزومه له والتصاقه به صار لشدة اتصاله به كالجزء منه فلذلك قال عبقة من الكلام النبوي ولما كان معنى المسحة الاثر
من الجمال ولم يكن مجرد الاثر من الشيء في الشيء يوجب لزومه له وشدة المشابهة به وكان كلام البارئ سبحانه بعيد الشبه بكلام
الخلق لاجرم خصه بالمسحة دون العبقة وهذا الفرق مع تلخيصنا له فيه تكلف ويمكن ان يقرر على وجه اخر فيقال ان العبقة
ادل على وجود العابق من المسحة على وجود ما هي منه فان العبقة تدل على وجود العابق للمحل في الظاهر وفي نفس الامر واما المسحة
من الشيء وهي الاثر منه فانما يدل على وجوده للمحل في الظاهر فقط الا ترى الى قوله على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب الشين
لو كان باديا وايضا فان اثر الجمال الثروة او الملك قد يدل عند بعض الاذهان ولا يدل عند بعض آخر واذا عرفت ذلك فنقول
لما كان كلام علي عليه السلم شديد المناسبة بكلام النبوة في الاسلوب الظاهر وفي الحكم الباطنة كان كالجزء منه فكانت استعارة
لفظ العبقة لكلام النبوة اولى لدلالتها على شدة تخيل وجود ما هي منه وهو كلام النبوة في كلام علي حتى كانه جزء منه
ولما كان الكلام الالهي بعيد المناسبة لكلام الخلق وكانت نسبة كلام علي عليه السلم اليه في بعض الجهات اما في اشتماله على بعض الحكم او على
الفصاحة دون الاسلوب وكان المسحة من الشيء انما يدل على وجوده من بعض الجهات وهي الظاهر فقط كانت استعارة
لفظ المسحة للكلام الالهي اولى والله اعلم الخامس قوله فهو البحر الذي لا يساجل استعار لفظ البحر لكلامه عليه السلم واشار الى وجه
المشابهة بقوله لا يساجل فان المساجلة لما كانت هي المغالبة في السقي والجري وكان كلامه عليه السلم اكثر جريانا في كلام البلغاء من غيره وكانت
اوعية اذهانهم قد امتلات من فيضه لاجرم اشبه البحر الذي لا يغلبه بحر آخر في سقي ولا جري اي لا يقاوم في فصاحة ولا حكمة وكذلك
قوله لا يحافل استعاره للفظ المحافلة التي هي وصف من اوصاف الانسان لكلامه تشبيها له بالرجل ذي المحفل الجم والجماعة الكثيرة
التي لا يمكن ان تكاثر بمثلها السادس قوله يسوغ الى التمثيل مجاز في الاسناد فان السوغ حقيقة في الشراب فاسناده الى التمثيل
مجاز ووجه العلاقة ان التمثيل بما يريد اذا حسن بين الناس وساد كان ذلك لذيذا عنده فاشبه في لذاذته وجريانه بين
الناس الماء الزلال في لذاذته وسهولة جريانه في الحلق فحسن اسناد لفظ السوغ اليه السابع قوله وخلع من قلبه الى كلام مثله
الى قوله لم يعترضه الشك الضمير في مثله راجع الى علي عليه السلم ومن قوله ممن لبيان الجنس ومعنى الكلام ان المفكر في كلامه اذا فرضنا انه
لم يعرف انه من كلامه عليه السلم او كلام شخص اخر مثله في كونه عظيم القدر نافذ الامر خايضا في غمرات الحروب مشافها بنفسه
تدبير امور الخلق ونظام احوالهم قد ملك الارض بل يفرض انه وجد هذا الكلام غير منسوب الى شخص معروف الحال فان والحال
هذه لا يعترضه شك في انه كلام مخلص معرض عن غرائه بقلبه غير مشغول بغيره بصدق بينه اذ الشك الذي عساه يعرض
لبعض الاذهان الضعيفة في انه ليس بكلامه انما ينشا من معرفته بانه كلام شخص خايض في تدبير الدنيا واحوالها
فيكون تلك المعرفة منشا لعروض الشك في ان هذا الكلام ليس بكلام رجل بهذه الحال وانما قاله قد قبع في كسر بيت وانقطع
الى سفح جبل لان ذلك من شعار الزهاد المعرضين عن الدنيا والضمير في قوله تسمع وحسه عايدان الى جزاى لا يسمع هو الا

حتى نفسه الثامن قوله ينغمس في الحرب مصلتا استعارة حسنة في النسبة اي في نسبة الانغماس الى الحرب فان الانغماس حقيقة في
الدخول في الماء وما في معناه الآن الحرب لما كانت في غمارها واختلاط المتحاربين فيها يشبه الماء المتراكم الجم صحت نسبة الانغماس
اليها كما صحت اليه فيقال انغمس في الحرب وخاض فيها ونحوه وقوله يقطر مهجا ان فسرنا المهجة بالدم كانت نسبة القطر اليها حقيقة
وان فسرناها بالروح كانت مجازا تشبيها للروح ~~[illegible]~~ بالمايعات الخارجة من الانسان كالدم ونحوه التاسع قوله وهو
مع ذلك زاهد الزهاد وبدل الابدال الخ وثبوت هذين الوصفين له عليه السلام معلوم من انتساب الصوفية واهل التجريد اليه وقد بينا
في مقدمة الكتاب انه عليه السلام كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وبينا ايضا ان نفسه القدسية كانت وافية بضبط
الجوانب المتجاذبة قوية عليها فلذلك لم يكن اشتغاله بتدبير امور الدنيا ومعاناة الحروب ونظام شمل المصلحة مانعا له من الاشتغال
بالعبادة التامة والاقبال بوجه نفسه القدسية على الانتقاش بانوار الله والاخلاص له والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وهذه
من فضائل نفوس الانبياء وكمالات نفوس الاولياء اما الزهد فهو الاعراض عن غير الله وقد يكون ظاهرا وقد يكون باطنا الا ان
المنتفع به هو الباطن قال صلى الله عليه وآله ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر قلوبكم ونياتكم وان كان لا بد من الزهد
الظاهري اولا اذ الزهد الحقيقي في مبدا السلوك لا يتحقق والسبب فيه ان اللذات البدنية حاضرة والغاية العقلية التي يطلبها
الزاهد الحقيقي غير متصورة له في مبدا الامر واما الظاهري فهو ممكن متيسر لمن قصره ليس غايته وهو الرياء والسمعة ولذلك قال صلى
الله عليه وآله الرياء قنطرة الاخلاص ولما تبينا ان عليا عليه السلام كان سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلا بد وان يكون زهده
حقيقيا وستعرف في اثناء كلامه بلوغه في درجة الزهد الغاية واما كونه مع ذلك بالشجاعة المشهورة عنه فهو انك علمت ان
نفس العارف يجب ان تكون مستلزمة للملكات الخلقية وقد عرفت ان الشجاعة اصل منها ولان المانع من الاقدام على الاهوال والمكاره
انما هو خوف الموت وحب البقاء والعارف بمعزل عن تقية الموت او كانت محبة الله شاغلة له عن الالتفات الى كل شيء بل ربما
يكون الموت مشتهى له لكونه وسيلة الى لقاء محبوبه الاعظم وغايته القصوى وقد بينا ذلك في تفصيل اخلاق العارفين من كتاب
مصباح العرفان واما الابدال فقد نقل انهم سبعون رجلا منهم اربعون بالشام وثلثون في ساير البلاد وفي الحديث عن علي عليه السلام
الابدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق يجتمعون فيكون بينهم حرب العاشر قوله واستخرج عجبهم اي بعجبهم منها من
القوة الى الفعل ومن روى عجبهم بضم العين فالمراد اني اذكرهم بهذه الفضيلة ليظهر محبتهم لها وميلهم اليها قال ابو الحسن الكيذري
واستخرج عجبهم اي اعرضهم انهم عاجزون عن امثالها فلا يبقى حينئذ عجب بانفسهم منها اي من اجل معرفتها وظاهر ان هذا اللفظ لا
يعطي هذا المعنى الحادي عشر قوله والعذر في ذلك ان روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافا شديدا اقول سبب الاختلاف يحتمل وجهين
احدهما انه عليه السلام ربما تكلم بالمعنى الواحد مرتين او اكثر بالفاظ مختلفة كما هو شان البلغاء واهل الفصاحة فينقله السامعون باللفظ
الاول والثاني فتختلف الرواية الثاني ان الناس في الصدر الاول كانوا يتلقفون الكلام من افواه الخطباء ويحفظونها على الولاء
وربما لا يتمكن السامع من حفظ كل اللفظ ومراعاة ترتيبه فيقع بسبب ذلك اختلاف في الترتيب او نقصان في الرواية وربما راعى
بعضهم حفظ المعنى فقط دون ضبط الالفاظ فاورد في اللفظ زيادة ونقصانا الثاني عشر قوله نهج البلاغة استعارة لطيفة
لهذا الكتاب لان النهج حقيقة في الطريق الواضحة المحسوسة ووجه المشابهة ان الطريق لما كانت محل الانتقال بالمشي وقطع الاحياز

المحسوسة

المحسوسة ووجه المشابهة ان الطريق لما كان ينفذ من واحد الى اخر كذلك الذهن ينتقل في هذا الكتاب من بعض لطائف البلاغة وشعب
البلاغة والفصاحة الى بعض انتقالا سهلا فلذلك صح نقل لفظ النهج اليه واستعارته له وبالله التوفيق فهذا بيان ما عساه يشكل في هذه
الخطبة وباقي كلامه ظاهر ولنشرع في شرح كلام علي عليه السلام باب المختار من خطب امير المؤمنين عليه السلام
واوامره وكلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحضورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها
ابتداء خلق السماء والارض وخلق ادم عليه السلام قوله الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون
الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا اجل ممدود فطر
الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده احد
وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة
فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزاه ومن جزاه فقد جهله ومن جهله فقد اشار اليه ومن اشار اليه فقد
حده ومن حده فقد عده ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلى منه كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنة
وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والالة بصير اذ لا منظور اليه من خلقه متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده
اقول اعلم ان هذه الخطبة مشتملة على مباحث عظيمة ونكت مهمة على ترتيب طبيعي فلنعقد فيها خمسة فصول الفصل الاول في تصديرها بذكر الله
جل جلاله وتمجيده والثناء عليه بما هو اهله وهو قوله الحمد لله الى قوله ولا يستوحش لفقده اقول المدح والمديح الثناء الحسن والمدحة
فعلة من المدح وهي الهيئة والحالة التي ينبغي ان يكون المدح عليها والاحصاء انهاء العد والاحاطة بالمعدود يقال احصيت الشيء اي
انهيت عده وهو من لواحق العدد ولذلك نسبه الى العادين والنعماء النعمة وهو اسم يقام مقام المصدر واديت حق فلان اذا قابلت
احسانه باحسان مثله والادراك اللحوق والنيل والاصابة والوصول والوجدان والهمة هي العزم الجازم والارادة يقال فلان
بعيد الهمة اذا كانت ارادته تتعلق بعليات الامور دون محقراتها والغوص الحركة في عمق الشيء من قولهم غاص في الماء اذا ذهب في عمقه
والفطن جمع فطنة وهي في اللغة الفهم وهو عند العلماء عبارة عن جودة استعداد الذهن لتصور ما يرد عليه وحد الشيء منتهاه
والحد المنع ومنه سمى العلماء تعريف الشيء باجزائه حدا لانه يمنع ان يدخل في المحدود ما ليس منه او يخرج منه ما هو منه والنعت الصفة
والاجل المدة المضروبة للشيء والفطر الشق والابتداع قال ابن عباس ما كنت ادري ما معنى قوله تعالى فاطر السموات والارض
حتى جاءني اعرابيان يختصمان على بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدعتها والخلائق جمع خليقة وهي اما بمعنى المخلوق يقال هم
خليقة الله وخلق الله اي مخلوقه او بمعنى الطبيعة لان الخليقة هي الطبيعة ايضا والنشر البسط ووتد بالفتح اي احكم ضرب
الوتد في حائط او في غيره والصخور الحجارة والميدان الحركة بتمايل وهو الاسم من ماد يميد ميدا ومنه غصن مياد يتمايل والدين
في اصل اللغة يطلق على معان منها العادة ومنها الاذلال يقال دانه اي اذله وملكه ومنه بيت الحماسة دناهم كما دانوا ومنها
المجازاة كقوله تعالى انا لمدينون اي مجزيون والمثل المشهور كما تدين تدان ومنها الطاعة يقال دان له اي اطاعه كقول عمرو بن كلثوم
عصينا الملك فينا ان ندينا ويطلق في العرف الشرعي على الشرايع الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام وقرنه اي جعل له قرينا
والمقارنة الاجتماع ماخوذ من قرني الثور وغيره ومنه القرن للمثل في السن وكذلك القرن من الناس اهل الزمان الواحد قال

الذي صح

اذا ذهب القرن الذي انت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب والمزايلة المفارقة وهي مفاعلة من الطرفين والمتوحد بالامر المنفرد
به عمن يشاركه فيه والسكن بفتح الكاف كل ما سكنت اليه والاستيناس بالشيء ميل الطبع اليه وسكونه وكذلك التانس ومنه الانيس وهو
المونس والاستيحاش ضد الاستيناس وهو نفرة الطبع بسبب فقد المؤانس واعلم انا نفتقر في بيان نظام كلامه عليه السلام في هذا الفصل
الى تقديم مقدمة فنقول الصفة امر يعتبره العقل لامر آخر ولا يمكن ان يعقل الا باعتباره معه ولا يلزم من تصور العقل شيئا
لشيء ان يكون ذلك المتصور موجودا لذلك الشيء في نفس الامر بيان ذلك ما قيل في رسم المضاف انه الامر الذي يعقل ماهيته بالقياس
الى غيره وليس له وجود معقوليته بالقياس الى ذلك الغير والصفة تنقسم باعتبار العقل الى حقيقية واضافية وسلبية وذلك لان
نسبة العقل للصفة الى غيرها اما ان يعقل معها نسبة من المنسوب اليه او لا يعقل فان كان الاول فهو المضاف الحقيقي وحقيقته
انه المعقول بالقياس الى غير يكون بازائه يعقل له اليه نسبة ولا يكون له وجود سوى معقوليته بالقياس اليه ككونه تعالى خالقا
ورازقا وربا فان حقيقة هذه الصفات هي كونها معقولة بالقياس الى مخلوقية ومرزوقية ومربوبية موازية وان كان الثاني
فالمنسوب اليه اما ان يكون موجودا للمضاف او ليس بموجود له والاول هو الصفات الحقيقية ككونه تعالى حيا فانه امر يعقل
بالقياس الى صحة العلم والقدرة وليس بازاء امر يعقل منه نسبة اليه والثاني هو الصفات السلبية ككونه تعالى ليس بجسم ولا بعرض
وغيرهما فانها امور يعقل له بالقياس الى امور غير موجودة له تعالى ثم نقول انه لا يلزم من اتصاف ذاته سبحانه بهذه الانواع الثلثة
من الصفات تركيب ولا كثرة في ذاته لانها اعتبارات عقلية تحدثها عقولنا عند المقايسة الى الغير ولم يلزم من ذلك ان
تكون موجودة في نفس الامر وان لم يعقل ولما كان داب العقلاء ان يصفوا خالقهم سبحانه بما هو اشرف طرفي النقيض لما
تقرر في عقولهم من عظمته ومناسبة اشرف الطرفين للاعظمية كان ما وصف به تعالى من الصفات الحقيقية والاضافية والسلبية
كلها كذلك اذا عرفت ما قلناه فاعلم انه عليه السلام شرع اولا في الاعتبارات السلبية وقدمها على الثبوتية لدقيقة وهي انه قد ثبت
في علم السلوك الى الله ان التوحيد المحقق والاخلاص المطلق لا يتقرر الا بنفض كل ما عداه عنه وتنزيهه عن كل لاحق له وطرحه
عن درجة الاعتبار وهو المسمى في عرف المجردين واهل العرفان بمقام التخلية والنفض والتنزيه وما لا يتحقق الشيء الا
به كان اعتباره مقدما على اعتباره ولهذا الترتيب كان اجل كلمة نطق بها في التوحيد قولنا لا اله الا الله اذ كان الجزء الاول
منها مشتملا على سلب كل ما عدا الحق سبحانه مستلزما لغسل درن كل شبهة لخاطر سواه وهو مقام التنزيه والتخلية حتى اذا انزاح
كل ما نعى محل عرفانه استعد بجوده للتحلية بنور وجوده وهو ما اشتمل عليه الجزء الثاني من هذه الكلمة ولما بينا انه عليه السلام كان
لسان العارفين والفاتح لاغلاق الطريق الى الواحد الحق تعالى والمعلم المرشد لكيفية السلوك وكانت الاوهام البشرية حاكمة بمثليته
تعالى لمدركاتها والعقول قاصرة عن ادراك حقيقته والواصل الى ساحل عزته والمنزه له عما يجوز عليه اذ الممكن وجوده نادرا
لم يكن للاوهام الواصفة له تعالى بما لا يجوز عليه معارض في اكثر الخلق بل كانت جارية على حكمها قائدة لعقولها الى تلك الاحكام
الباطلة كالمشبهة ونحوهم لا جرم بدا عليه السلام بذكر السلب اذ كان تقديمه مستلزما لغسل درن الحكم الوهمي في حقه تعالى عن لوح الخيال
والذكر حتى اذا اورد عقيب ذلك ذكره تعالى بما هو اهله ورد على الواح صافية من كدر الباطل فانتقشت بالحق كما قال
فصادف قلبا خاليا فتمكنا ثم انه عليه السلام بدا بتقديم حمد الله على الكل ههنا وفي ساير خطبه جريا على العادة في افتتاح الخطب

وتصويرها

وتصديرها وبترة ذلك تاديب للخلق بلزوم الثناء على الله تعالى والاعتراف بنعمته عند افتتاح كل خطاب لاستلزام ذلك ملاحظة حضرت
الجلال والالتفات اليها عامة الاحوال وقد بينا ان الحمد يفيد معنى الشكر ويفيد ما هو اعم من ذلك وهو التعظيم المطلق وهو بجميع اقسامه مراد هيهنا
لكون الكلام في معرض التمجيد المطلق قوله الذي لا يبلغ مدحته القائلون اقول اراد تنزيهه تعالى عن اطلاع العقول البشرية على كيفية مدحه سبحانه كما هي
وبيان هذا الحكم ان الثناء الحسن على الشيء انما يكون كما هو اذا كان ثناء عليه بما هو كذلك في نفس الامر وذلك غير ممكن في حق الواجب الوجود سبحانه
الا بتعقل حقيقته وما لها من صفات الجلال ونعوت الكمال كما هي وعقول البشر قاصرة عن هذا المقام فالقول وان صدر من المادحين
بصورة المدح المتعارف بينهم وعلى ما هو دابهم من وصفه تعالى بما هو اشرف طرفي النقيض فليس بكمال مدحه في نفس الامر لعدم اطلاعهم على ما به
يكون المدح الحق في حقه تعالى وان تصور بصورة المدح الحق والى تاديب الخلق وتنبيههم على بطلان ما يحكم به اوهامهم في حقه تعالى من الصفات وانه ليس
الامر كما حكمت به اشار عليه السلام في موضع اخر وقد ساله بعضهم عن التوحيد فقال التوحيد ان لا تتوهمه فجعل التوحيد عبارة عن سلب الحكم الوهمي في
حقه تعالى فاستلزم ذلك ان ما اجرى عليه حكما وهميا فليس بموحد له على الحقيقة والى هذا المعنى اشار الباقر محمد بن علي عليهما السلام مخاطبا
وهل سمي عالما قادرا الا لانه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين فكل ما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مصنوع
مثلكم مردود اليكم والباري تعالى واهب الحيوة ومقدر الموت ولعل النمل الصغار يتوهم ان لله تعالى زبانيتين كمالها فانها يتصور ان
عدمهما نقصان لمن لا يكونان له فهكذا شان الخلق فيما يصفون به باديهم فان اوهامهم حاكمة له بكل ما يعدونه كمالا في حقهم
ما لم يعق عقولهم عن رد بعض تلك الاحكام الوهمية ولولا رادع الشرع كقوله صلى الله عليه وآله تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق لصرحوا
بكثير من تلك الاحكام في حقه سبحانه وتعالى عما يصفون ويحتمل ان يكون المراد تنزيهه تعالى عن بلوغ العقول والاوهام تمام الثناء الحسن عليه
واحصائه اي ان العبد كلما بلغ مرتبة من مراتب المدح والثناء كان وراها اطوار من استحقاق الثناء والتعظيم اعلى كما اشار
اليه سيد المرسلين صلى الله عليه بقوله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وفي تخصيصه عليه السلام القائلين دون المادحين
بالذكر نوع لطف فان القائل لما كان اعم من المادح وكان سلب العام مستلزما لسلب الخاص من غير عكس كان ذكر القائلين ابلغ في التنزيه
اذ التقدير لا واحد من القائلين يبالغ مدحه الله سبحانه قوله ولا يحصي نعماه العادون اقول المراد ان جزئيات انعم الله تعالى وافرادها
لا يحيط بها حصر الانسان وعده لكثرتها وبيان هذا الحكم بالنقل والعقل اما النقل فقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهذه
الاية هي منشأ هذا الحكم ومصدره واما العقل فلان نعم الله تعالى على العبد منها ظاهرة ومنها باطنة كما قال تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة ويكفينا في صدق هذا الحكم التنبيه على بعض جزئيات نعم الله تعالى على العبد فنقول ان من جملة نعمه تعالى على الانسان ان اكرمه بملائكته وجعله
مسجودا لهم ومخدوما وجعلهم في ذلك على مراتب فليذكر اقربهم اليه واخصهم به وهم الملائكة الذين تعالى يتولون اصلاح بدنه والقيام
بمهماته وحوائجه وان كانوا في ذلك ايضا على مراتب فجعل سبحانه لهم رئيسا هو له كالوزير الناصح المشفق من شانه تمييز الاصلح والانفع
له والامر به وجعل بين يدي ذلك الوزير ملكا اخر هو كالحاجب له والمتصرف بين يديه من شانه تمييز صداقة الاصدقاء وللملك
من عداوة الاعداء له وجعل لذلك الحاجب ملكا خازنا يضبط عنده ما يتعرف من الامور ليطالعها الوزير عند الحاجة اليها ثم جعل بين
يديه ملكين اخوين احدهما ملك الغضب وهو كصاحب الشرطة موكل بالخصومات والغلبة والبطش والانتقام والاخر ملك اللذة
والمتولي لمشتهيات الانسان بالطلب والامر بالاستحضار وبين يديه ملائكة اخرى تسعى في تحصيل ما يامر به ويطلبه ثم جعل سبحانه

وراء هؤلاء سبعة اخرى من الملائكة دابهم اصلاح غذاء الانسان فالاول موكل بجذب الغذاء الى داخل المعدة اذ الغذاء لا يدخل بنفسه فان الانسان لو وضع اللقمة في فيه ولم يكن لها جاذب لم تدخل والثاني موكل بحفظه في المعدة الى تمام نضجه وحصول الغرض منه والثالث موكل بطبخه وتنضيجه والرابع موكل بتفريق صفوته وخلاصته في البدن سد البدل لما يتحلل منه والخامس موكل بالزيادة في اقطار الجسم على التناسب الطبيعي لما يوصله اليه الرابع فيها كالباني والمناول والسادس يفصل صورة الدم من الغذاء والسابع الذي يتولى دفع الفضلة الغير المنتفع بها عن المعدة ثم وكل تعالى خمسة اخرى في خدمة شانهم ان يوردوا عليه الاخبار من خارج وجعل لكل واحد منهم طريقا خاصا وفعلا خاصا به وجعل لهم رئيسا يبعثهم ويرجعون اليه بما علموه وجعل لذلك الرئيس خازنا كاتبا يضبط عنده ما يصل اليه من تلك الاخبار ثم جعل بين هذا الخازن وبين الخازن الاول ملكا آخر قويا على التصرف والحركة سريع الانتقال بحيث ينتقل في اللحظة الواحدة من المشرق الى المغرب ومن تخوم الارض الى السماء العليا قادرا على التصرفات العجيبة وجعله مؤتمرا للوزير تارة وللحاجب اخرى وهو موكل بتفتيش الخزانتين وما جمعه الخازنين باذن الوزير وواسطة الحاجب اذا اراد استعلام امر من تلك الامور فهذه هي الملائكة التي خص الله تعالى بها بدنه وجعلها اقرب الملائكة المتصرفين في خدمته اليه ثم ان وراء هؤلاء اطوارا اخرى من الملائكة الارضية كالملائكة الموكلين بانواع الحيوانات التي ينتفع بها الانسان وبها تكون مسخرة له وانواع النبات والمعادن والعناصر الاربعة والملائكة السماوية التي لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فان كل واحد منها موكل بفعل خاص وله مقام خاص لا يتعداه ولا يتجاوزه كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم وهم باسرهم متحركون بمصالح الانسان ومنافعه من اول حيوته الى حين وفاته باذن المدبر الحكيم دع ماسوى الملائكة من ساير الموجودات في هذا العالم المشتملة على منافعه وما افاض عليه من القوة العقلية التي هي سبب الخيرات الباقية والنعم الدائمة التي لا ينقطع موادها ولا يتناهى تعدادها فان كل ذلك في الحقيقة نعم الهية ومواهب ربانية للعبد بحيث لو اختل شيء منها لاختلت منفعته من تلك الجهة ومعلوم انه لو قطع وقته اجمع بالنظر الى آثار رحمة الله تعالى في نوع من هذه النعم لانتهى دونها فكره وقصر عنها احصاؤه وحصره وهو مع ذلك كله غافل عن ذكر الله جاهل بمعرفة الله مصر على معصية الله فحق ان يقول سبحانه وتعالى بعد تنبيهه له على ضروب نعمه والامتنان بها عليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ظلوم لنفسه بمعصية الله معاند للكفر بآلاء الله قتل الانسان ما اكفره ان الانسان لكفور مبين فسبحان الذي لا يحصي نعماؤه ولا يستقصي آلاؤه وغاية هذا الحكم تنبيه الغافلين من مراقد الطبيعة على لزوم شكر الله سبحانه والاعتراف بنعمه المستلزم لدوام اخطاره بالبال قوله ولا يؤدي حقه المجتهدون اقول هذا الحكم ظاهر الصدق من وجهين احدهما انه لما كان اداء حق النعمة هو مقابلة الاحسان بجزاء مثله وثبت في الكلمة السابقة ان نعم الله سبحانه لا تحصى لزم من ذلك انه لا يمكن مقابلتها بمثل الثاني ان كل ما يتعاطاه من افعالنا الاختيارية مستند الى جوارحنا وقدرنا وارادتنا وساير اسباب حركاتنا وهي باسرها مستندة الى جوده ومستفادة من نعمه وكذلك ما يصدر عنا من الشكر والحمد وساير العبادات نعمة منه فتقابل نعمة بنعمة وروي ان هذا الخاطر خطر لداود وكذلك لموسى عم فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي رواية اخرى وشكري لك نعمة اخرى يوجب علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فاما ما يقال في العرف من ان فلانا مؤد لحق

الله تعالى فليس المراد منه جزاء النعمة بل لما كانت المطلوبات لله تعالى من التكاليف الشرعية والعقلية يسمى حقوقا لا جرم سمى المجتهد في الامتثال
مود بالحق الله وذلك الاداء في الحقيقة من اعظم نعم الله تعالى على عبده اذ كان الامتثال وساير اسباب السلوك الموصل الى الله تعالى كلها مستندة الى جوده
وعنايته واليه الاشارة بقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وما كان في
الحقيقة نعمة لله لا يكون اداء لنعمة الله وجزاء لها وان اطلق ذلك في العرف اذ كان من شان الحق المفهوم المتعارف بين الخلق اسناد امره وجوب
الجزاء والاداء ليسارعوا الى الاتيان به رهبة ورغبة فيحصل المقصود من التكليف حتى لو لم يعتقدوا انه حق لله بل هو مجرد نفع خالص لم يهتموا يهتموا
به غاية الاهتمام اذ كانت غايته غير متصورة لهم كما هي وقلما تهتم النفوس بامر لا يتصور غايته ومنفعته خصوصا مع المشقة اللازمة في
تحمل الابتاعات فاهم من خارج قوله الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن اقول اسناد الغوص ههنا الى الفطن على سبيل الاستعارة
اذ الحقيقة اسناده الى الحيوان بالنسبة الى الماء وهو مستلزم لتشبيه المعقولات بالماء ووجه الاستعارة ههنا ان صفات الجلال
ونعوت الكمال لما كانت في عدم تناهيها والوقوف على حقايقها واغوارها نسبة البحر الخضم الذي لا يصل السابح له الى ساحل ولا ينتهي
الغايص فيه الى قرار وفيه السابح لذلك البحر والخايض في تياره هي الفطن الثاقبة لا جرم كانت الفطنة مشبهة بالغايص في البحر فاسند
الغوص اليها وفي معناه الغوص في الفكر والغوص في النوم ويقرب منه اسناد الادراك الى بعد الهمم اذ كان الادراك حقيقة في لحوق
جسم لجسم اخر واضافة غوص الى الفطن وبعد الى الهمم اضافة لمعنى الصفة بلفظ المصدر الى الموصوف والتقدير لا تناله الفطن
الغايصة ولا يدركه الهمم البعيدة ووجه الحسن في هذه الاضافة وتقديم الصفة ان المقصود لما كان هو المبالغة في عدم اصابة
ذاته تعالى بالفطنة من حيث هي ذات غوص وبالهمة من حيث هي بعيدة كانت تلك الحيثية مقصودة بالقصد الاول وقد بينا ان
البلاغة تقتضي تقديم الاهم والمقصود الاول على ما ليس كذلك وبرهان هذا المطلوب ظاهر فان حقيقته تعالى لما كانت بريئة عن جهات
التركيبات عرية عن اختلاف الجهات منزهة عن نكث المتكثرات وكانت الاشياء انما يعلم ما هي من جهة حدودها المؤلفة من
اجزائها فاذا صدق ان واجب الوجود ليس بمركب وما ليس بمركب فليس بمدرك الحقيقة صدق ان واجب الوجود ليس بمدرك الحقيقة
فلا يدركه همة وان بعدت ولا تناله فطنة وان اسندت فكل سابح في بحار جلاله غريق وكل مدع للوصول فبانوار كبريائه
حريق لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا قوله الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود اقول المراد ليس لمطلق ما نعبره
عقولنا له من الصفات السلبية والاضافية نهاية معقولة يقف عندها فيكون حدا له وليس لمطلق ما يوصف به ايضا وصف موجود
يجمعه فيكون نعتا له ومنحصرا فيه قال ابو الحسن الكندري رحمه الله ويمكن ان يأول قوله حد محدود على ما تأول به كلام العرب
ولا يرى الضب بها ينجحر اي ليس بها ضب فينجحر حتى يكون المراد انه ليس له صفة فتحد اذ هو تعالى واحد من كل وجه منزه عن الكثرة
بوجه ما فيمتنع ان يكون له صفة تزيد على ذاته كما في ساير الممكنات وصفاته المعلومة ليست من ذلك في شيء انما هي نسب
واضافات لا يوجب وصفه بها كثرة في ذاته قال ومما يؤكد هذا التأويل قوله بعد ذلك فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه وهذا التأويل
حسن وهو راجع الى ما ذكرناه في المعنى واما وصف الحد بكونه محدودا فللمبالغة على طريقة قولهم شعر شاعر وعلى هذا التأويل يكون
قوله لا نعت موجود سلبا للنعت عن ذاته سبحانه اذ التقدير ليس له صفة فتحد ولا نعت وقيل معنى قوله ليس لصفته حد اي ليس
لها غاية بالنسبة الى متعلقاتها كالعلم بالنسبة الى المعلومات والقدرة الى المقدورات قوله ولا وقت معدود ولا اجل ممدود اقول

وصف الوقت بكونه معدودا كقوله تعالى اياما معدودات وكقوله وما نؤخره الا لاجل معدود وهو المعلوم الداخل في الاحصاء والعد
وذلك ان العد لا يتعلق بالوقت الواحد من حيث هو واحد فانه من تلك الحيثية ليس معدودا بل مبدا للعدد وانما يتعلق به من حيث انه
داخل في الاوقات الكثيرة الموجودة في الزمان اما بالفرض او بالفعل التي يلحق جملتها عند اعتبار التفصيل كونها معدودة اذ يقال
هذا الفرد معدود في هذه الجملة اي داخل في عددها ومراده في هذين الحكمين نفي نسبة ذاته وما يلحقها الى الكون في الزمان وان يكون
ذات اجل ينتهي اليه فينقطع وجودها بانتهائه وبيان ذلك من وجهين احدهما ان الزمان من لواحق الحركة التي هي من لواحق
الجسم فلما كان الباري سبحانه منزها عن الجسمية استحال ان يكون ذلك في زمان الثاني انه تعالى ان اوجد الزمان وهو في الزمان لزم كون
الزمان متقدما على نفسه وهو محال وان اوجده بدون ان يكون فيه كان غنيا في وجوده عنه وهو المطلوب فاذن صدق هذين السلبين
في حقه سبحانه معلوم وقد حصل في هذه القراين الاربع السجع المتوازي مع نوع من التجنيس قوله الذي فطر الخلايق بقدرته ونشر
الرياح برحمة ووتد بالصخور ميدان ارضه اقول لما قدم الصفات السلبية شرع في الصفات الثبوتية وهذه الاعتبارات
الثلثة موجودة في القران الكريم اما الاول فقوله تعالى الذي فطركم اول مرة واما الثاني فقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي
رحمته واما الثالث فقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقوله وجعلنا الجبال اوتادا اما المراد بقوله فطر الخلايق بقدرته
فاعتباره من حيث اسناد المخلوقات الى قدرته ووجودها عنها ولما كانت حقيقة الفطر الشق في الاجسام كانت نسبته
ههنا الى الخلق استعارة وللامام فخر الدين في بيان وجه الاستعارة في امثال هذا الموضع بحث لطيف قال وذلك ان المخلوق قبل
دخوله في الوجود كان معدوما محضا والعقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا شق فاذا اخرج المبدع الموجد المبدع
من العدم الى الوجود فكانه بحسب التخيل والتوهم شق ذلك العدم وفطره واخرج ذلك الموجود منه قلت الا ان ذلك الشق والفطر
على هذا التقدير لا يكون للموجود المخرج بل للعدم الذي خرج هذا الموجود منه اللهم الا على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه حتى يكون التقدير الذي فطر عدم الخلايق وهو استعمال سايغ في العرف والعربية كثيرا وحسنه بين الناس ظاهر ومثله فالق
الحب والنوى على قول بعض المفسرين كما سنبينه وقال ابن الانباري لما كان اصل الفطر شق الشيء عند ابتدائه فقوله فطر الخلايق
اي خلقهم وانشاهم بالتركيب والتاليف الذي سبيله ان يحصل فيه الشق والتاليف عند ضم بعض الاشياء الى بعض ثم ان الفطر كما يكون شق اصلاح
كقوله تعالى فاطر السموات والارض كذلك يكون شق افساد كقوله تعالى اذا السماء انفطرت وهل ترى من فطور واما قوله ونشر الرياح برحمته فبيانه ان
نشر الرياح وبسطها لما كان سببا عظيما من اسباب بقاء انواع الحيوان والنبات واستعداد الامزجة للصحة والنمو وغيرها قال حتى صح
كثير من الاطباء انها تستحيل روحا حيوانيا وكانت عناية الله سبحانه وعموم رحمته شاملة لهذا العالم وهي مستند كل موجود لا جرم كان
نشرها برحمته ومن اظهر آثار الرحمة الالهية بنشر الرياح حملها للسحاب المترع بالماء واثارتها له على وفق الحكمة ليصيب الارض الميتة
فينبت بها الزرع ويملأ الضرع كما قال سبحانه وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقال ويرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته
وقال وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه والمراد تنبيه الغافلين على ضروب نعم الله بذكر هذه النعمة الجليلة ليستديموها
بدوام شكره والمواظبة على طاعته كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم ولقوله لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال بعض الفضلاء ان بعض العرب يستعمل الريح في العذاب والرياح في الرحمة وكذلك نزل القران الكريم قال

فقال

تشاديح صرصر وقال الريح العقيم وقال يرسل الرياح مبشرات والرياح لواقح وامثاله قوله ووتد بالصخور ميدان ارضه اقول المراد نسبة نظام الارض الى قدرته سبحانه وههنا بحثان البحث الاول ان قول القايل وتدت كذا بكذا معناه جعلته وتدا له والموتود ههنا في الحقيقة انما هو الارض وقد جعل الموتود هنا هو ميدان الارض وهو عرض من الاعراض لا يتصور جعل الجبل وتدا له الا انا نقول لما كان الميدان علة حاملة على ايجاد الجبال وايتاد الارض بها كان الاهتمام به اشد فلذلك قدمه واضافه اضافة الصفة الى الموصوف وان كان التقدير ووتد بالصخور ارضه المايدة البحث الثاني ان تعليل وجود الجبال بميدان الارض ورد ههنا وفي القران الكريم في مواضع كقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وكقوله والجبال اوتادا ولا بد من البحث عن وجه هذا التعليل وفيه خمسة اوجه الوجه الاول قال المفسرون في معنى هذه الايات ان السفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتتحرك فاذا وضعت الاجرام الثقيلة فيها استوت على وجه الماء وسكنت قالوا وكذلك لما خلق الله تعالى الارض على وجه الماء اضطربت ومادت فخلق الله عليها هذه الجبال ووتدها بها فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال قال الامام فخر الدين ويتوجه على هذا الكلام ان يقال لا شك ان الارض اثقل من الماء والاثقل من الماء يغوص فيه ولا يبقى طافيا عليه واذا لم يبق كذلك امتنع ان يقال انها تميد وتميل بخلاف السفينة اذ كانت مركبة من الاخشاب وداخلها مجوف مملو من الهواء فلذلك تبقى طافية على الماء فلا جرم تميل وتضطرب الى ان ترسى بالاجرام الثقيلة فاذن الفرق ظاهر الوجه الثاني ما ذكره هو قال انه قد ثبت بالدلايل اليقينية ان الارض كرة وثبت ايضا ان هذه الجبال على سطح الارض جارية مجرى خشونات وتضريسات حاصلة على وجه الكرة فاذا ثبت هذا فلو فرضنا ان هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الارض كرة حقيقية خالية عن الخشونات والتضريسات لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بادنى سبب لان الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحركا على نفسه وان لم يجب ذلك عقلا الا انها تصير بادنى سبب تتحرك بهذا الوجه اما اذا حصل على سطح كرة الارض هذه الجبال وكانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه بطبعه الى مركز العالم وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الوتد الذي يمنع كرة الارض من الاستدارة فكان تخليق هذه الجبال على الارض كالاوتاد المعدودة في الكرة المانعة لها من الحركة المستديرة الوجه الثالث ان يقول لما كانت فايدة الوتد ان يحفظ الموتود في بعض المواضع عن الحركة والاضطراب حتى يكون قارا ساكنا وكان من لوازم ذلك السكون في بعض الاشياء صحة الاستقرار على ذلك الشيء والتصرف عليه وكان من فايدة وجود الجبال والتضريسات الموجودة في وجه الارض ان لا تكون مغمورة بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار والتصرف عليها لا جرم كان بين الاوتاد والجبال الخارجة من الماء في الارض اشتراك في كونهما مستلزمين لصحة الاستقرار مانعين من عدمه لا جرم حسنت استعارة نسبة الايتاد الى الصخور والجبال واما اشعاره بالميدان فلان الحيوان كما يكون حادقا عليه انه غير مستقر على الارض بسبب انغمارها في الماء لو لم يوجد الجبال كذلك يصدق على الارض انها غير مستقرة تحته ومضطربة بالنسبة اليه فثبت حينئذ انه لولا وجود الجبال في سطح الارض لكانت مضطربة ومايدة بالنسبة الى الحيوان لعدم تمكنه من الاستقرار عليها الوجه الرابع قال بعض العلماء انه يحتمل ان يكون الاشارة بالصخور الى الانبياء والاولياء والعلماء وبالارض الى الدنيا اما وجه التجوز بالصخور عن الانبياء والعلماء فلان الصخور والجبال لما كانت على غاية من الثبات والاستقرار مانعة لما يكون تحتها من الحركة والاضطراب

فلو صح

الانبياء

عاصمة لما يلتجئ اليها من الحيوان عما يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه وقلقلته اشبهت الاوتاد من بعض هذه الجهات ثم لما كانت

والعلماء هم السبب في انتظام امور الدنيا وعدم اضطراب احوال اهلها كانوا كالاوتاد للارض فلا جرم صحت استعارة لفظ الصخور لهم ولذلك

يحسن في العرف ان يقال فلان جبل منيع ياوي اليه كل ملهوف اذا كان يرجع اليه في المهمات والحوايج والعلماء اوتاد الله في الارض الوجه الخامس

من جعل الجبال كالاوتاد في الارض ان يهتدي بها على طرقها والمقاصد فيها فلا تميد جهاتها المشتبهة باهلها ولا تميل بهم فيتيهون فيها عن

طرقهم ومقاصدهم وبالله التوفيق قوله اول الدين معرفته اقول لما كان الدين في اللغة الطاعة كما سبق وفي العرف الشرعي هو الشريعة الصادرة

بواسطة الرسل عليهم السلام وكان اتباع الشريعة طاعة مخصوصة كان ذلك تخصيصا من الشارع للعام باحد مسمياته ولكثرة استعماله

فيه صار حقيقة دون سائر المسميات لان المتبادر الى الفهم حالة اطلاق لفظ الدين وان معرفة الصانع سبحانه على مراتب فاولاها

وادناها ان يعرف العبد ان للعالم صانعا الثانية ان يصدق بوجوده الثالثة ان يترقى بجذب العناية الالهية الى توحيده وتنزيهه عن

الشركاء الرابعة مرتبة الاخلاص له الخامسة نفي الصفات التي يعتبرها الاذهان له عنه وهي غاية العرفان ومنتهى قوة الانسان وكل

مرتبة من المراتب الاربع الاولى مبدأ لما بعدها من المراتب وكل من الاربع الاخيرة كمال لما قبلها ثم ان المرتبتين الاوليين مركوزتان

في الفطر الانسانية بل فيما هو اعم منها وهي الفطر الحيوانية ولذلك فان الانبياء عليهم السلام لم يدعوا الخلق الى تحصيل هذا القدر من

المعرفة وايضا فلو كان هذا القدر من المعرفة متوقفا على دعوة الانبياء وصدقهم مع ان صدقهم مبني على معرفة ان هاهنا صانعا

للخلق ارسلهم للزم الدور وانما كانت اول مرتبة دعوا اليها من المعرفة هي توحيد الصانع ونفي الكثرة عنه المشتمل عليها اول كلمة

نطق بها الداعي الى الله وهي قول لا اله الا الله فقال صلى الله عليه وآله من قال لا اله الا الله [illegible] خالصا مخلصا دخل الجنة ثم لما

استقرت اذهان الخلق بما نطقت به من التوحيد الظاهر نبههم على ان فيها قوة استعداد لتوحيد اعلى واخفى من الاول فقال من قال

لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة وذلك اشارة الى حذف [illegible] كل قيد من الدرجة الاعتبار مع الوحدة المطلقة اذا عرفت

ذلك فاعلم انه يحتمل ان يكون مراده بالمعرفة المرتبة الاولى من مراتب المعرفة وحينئذ يكون المراد من كونها اول الدين هو اوليتها

في العقل وهو اشارة الى كونها علة غائية اذ العلة الغائية متقدمة في العقل على ما هي علة له وان تاخرت في الوجود وبيان ذلك

ان المعرفة التامة التي هي غاية سعي العارف غير حاصلة له في مبدأ الامر بل يحتاج في كمال ما حصل له من مراتب المعرفة وتحصيل

المعرفة التامة الى الرياضة بالزهد والعبادة وتلقي الاوامر الالهية بالقبول التي هي سبب تمام الدين فيستعد اولا بسببها للتصديق

بوجوده يقينا ثم لتوحيده ثم للاخلاص له بحسب ما في وسعه وبكمال المعرفة يتم الدين السفر الى الله قوله وكمال معرفته التصديق

به الى قوله نفي الصفات عنه اقول ترتيب هذه المقدمات على هذا الوجه يسمى قياسا مفصولا وهو القياس المركب الذي يطوى

فيه النتائج وعند ذكرها [illegible] تبين ان المقصود منها بيان ان كمال معرفته نفي الصفات عنه وهذا القياس ينحل الى قياسات

يشبه قياس المساواة لعدم الشركة بين مقدمتي كل منها في تمام الاوسط فيحتاج في انتاج كل منها الى قياس اخر والمطلوب

من التركيب الاول وهو قوله وكمال معرفته التصديق به كمال التصديق به توحيده ان كمال معرفته توحيده انما يلزم عن هذا المطلوب

بقياس اخر صورته ان معرفته كمالها توحيده وكلما كان كماله كمال توحيده كان كماله توحيده فينتج ان كمال معرفته

توحيده واما المقدمة الاولى فلان التوحيد كمال التصديق وهو كمال المعرفة واما الثانية فلان كمال كمال الشيء كمال للشيء

وهكذا

وهكذا في باقي التراكيب والمطلوب من تركيب هذه النتيجة مع المقدمة الثالثة وهي قوله وكمال توحيده الاخلاص له ان كمال معرفته الاخلاص له ومن تركيب هذه النتيجة مع المقدمة الرابعة وهي قوله وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه يحصل المطلوب واعلم ان في اطلاق الكمال ههنا تنبيها على ان معرفة الله تعالى مقولة بحسب التشكيك اذ كانت قابلة للزيادة والنقصان وبيان ذلك ان ذات الله تعالى لما كانت برية عن انحاء التركيب لم يكن معرفته ممكنة الا بحسب رسوم ناقصة تتركب عن سلوب واضافات تلزم ذاته المقدسة لزوما عقليا فتلك السلوب والاضافات لما لم تكن متناهية لم يمكن ان تقف المعرفة بحسبها عند حد واحد بل تكون متفاوتة بحسب زيادتها ونقصانها وخفائها وجلائها وكمال التصديق والتوحيد والاخلاص واذا تقرر ذلك فلنشرع في تقرير المقدمات اما المقدمة الاولى وهي ان كمال معرفته التصديق به وبيان ذلك ان المتصور لمعنى اله العالم عارف به من تلك الجهة معرفة ناقصة تمامها الحكم بوجوده ووجوبه اذ من ضرورة كونه موجدا للعالم كونه موجودا فان ما لم يكن موجودا استحال بالضرورة ان يصدر عنه اثر موجود فهذا الحكم اللاحق هو كمال معرفته واما الثانية وهي قوله وكمال التصديق به توحيده فبيانها ان من صدق بوجوده الواجب ثم جهل مع ذلك كونه واحدا كان تصديقه به تصديقا ناقصا تمامه توحيده اذ كانت الوحدة المطلقة لازمة لوجوده الواجب فان طبيعة واجب الوجود بتقدير ان تكون مشتركة بين اثنين فلابد لكل واحد منهما من مميز ورا ما به الاشتراك فيلزم التركيب في ذاتيهما وكل مركب ممكن فيلزم مع الجهل بكونه واجب الوجود وان تصور معناه وحكم بوجوده واما الثالثة وهي قوله وكمال توحيده الاخلاص له ففيها اشارة الى ان التوحيد المطلق للعارف انما يتم بالاخلاص له وهو الزهد الحقيقي الذي هو عبارة عن تنحية كل ما سوى الحق الاول عن سنن الايثار وبيان ذلك انه ثبت في علم السلوك ان العارف ما دام ملتفتا مع ملاحظة جلال الله وعظمته الى شيء سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول جاعل مع الله غيرا حتى ان اهل الاخلاص ليعدون ذلك شركا خفيا كما قال بعضهم من كان في قلبه مثقال خردلة سوى جلالك فاعلم انه مرض وانهم ليعتبرون في تحقق الاخلاص ان يغيب العارف عن نفسه حال ملاحظته لجلال الله وان لحظها فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي متزينة بزينة الحق فاذن التوحيد المطلق ان لا يعتبر معه غيره مطلقا وذلك هو المراد بقوله وكمال توحيده الاخلاص له واما المقدمة الرابعة وهي ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه فقد بين عليه السلام لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة الى قوله ومن جزاه فقد جهله وبيان صحة هذه المقدمات اما قوله لشهادة كل صفة انها غير الموصوف والمراد بالشهادة ههنا شهادة الحال فان حالة الصفة تشهد بحاجتها الى الموصوف وعدم قيامها بدونه وحال الموصوف يشهد بالاستغناء عن الصفة والقيام بالذات بدونها فلا تكون الصفة نفس الموصوف واما قوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه فهو ظاهر لانه لما قرر كون الصفة مغايرة للموصوف لزم ان تكون زائدة على الذات غير منفكة عنها فلزم من وصفه بها ان تكون مقارنة لها وان كانت تلك المقارنة على وجه لا يستدعي زمانا ولا مكانا واما قوله ومن قرنه فقد ثناه فلان من قرنه بشيء من الصفات فقد اعتبر في مفهومه امرين احدهما الذات والاخر الصفة فكان واجب الوجود عبارة عن شيئين او اشياء فكانت فيه كثرة وحينئذ ينتج هذا التركيب ان من وصف الله سبحانه فقد ثناه واما قوله ومن ثناه فقد جزاه واما قوله فقد جهله فلان كل ذي جزء فهو مفتقر الى جزئه وجزؤه

يغيب

غيره فكل ذي جزء فهو مفتقر الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن فالمتصور له جزءا متصور في الحقيقة لامر هو ممكن الوجود
لا الواجب الوجود بذاته فيكون اذن جاهلا به وضم هذه المقدمة الى نتيجة ما قبلها ينتج من وصف الله سبحانه فقد جهله وحينئذ
يتبين المطلوب وهو ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه اذ الاخلاص له والجهل به مما لا يجتمعان واذا كان الاخلاص
منافيا للجهل به الذي هو لازم لاثبات الصفة لان له معاندة اللازم تستلزم معاندة الملزوم واذا ابطل ان يكون الاخلاص
في اثبات الصفة له ثبت انه في نفي الصفة عنه وعند هذا يظهر المطلوب الاول وهو ان كمال معرفته نفي الصفات عنه وذلك هو
التوحيد المطلق والاخلاص المحقق الذي هو نهاية العرفان وغاية سعي العارف من كل حركة حسية وعقلية وما يكون في
نفس الامر من غير تعقل نقص كل ما عداه عن معه فهو الموحدة المطلقة المبراه عن كل لاحق وهذا مقام حسرت عنه نواقد الابصار
وكلت وحارت في تحقيقه صوارم الافكار واكثر الناس فيه الاقوال فانتهت بهم الحال الى اثبات المعاني وارتكاب
الارتكاب فلزمهم في ذلك الضلال ما لزمهم من المحال فان قلت هذا يشكل من وجهين احدهما ان الكتب الالهية والسنن
النبوية مشحونة بوصفه تعالى بالاوصاف المشهورة كالعلم والقدرة والحيوة والسمع والبصر وغيرها وعلى ما قلتم يلزم ان لا يوصف
سبحانه بشيء منها الثاني انه عليه السلام صرح باثبات الصفة له في قوله ليس لصفته حد محدود ولو كان مقصوده بنفي الصفات
ما ذكرتم لزم التناقض في كلامه فالاولى اذن ان يخص قوله نفي الصفات عنه بنفي المعاني كما ذهب اليه الاشعري وفي نفي الاحوال
كما يذهب اليه المثبتون من المعتزلة وبعض الاشعرية لينبغي للصفات المشهورة الجارية عليه تعالى ولاثباته عليه السلام الصفة له في
موضع آخر محمل او يخص بنفي صفات المخلوقين كما اشار اليه عليه السلام في اخر الخطبة لا يجرون عليه صفات المصنوعين وكما
ذكره الشيخ المفيد من الشيعة في كتاب الارشاد عنه جل ان تحله الصفات لشهادة العقول ان كل من حلته الصفات مصنوع
قلت قد سبق منا بيان ان كل ما يوصف به تعالى من الصفات الحقيقية والسلبية والاضافية اعتبارات تحدثها عقولنا عند مقايسة
ذاته سبحانه الى غيرها ولا يلزم تركيب في ذاته ولا كثرة فيكون وصفه تعالى بها امرا معلوما من الدين ليعم التوحيد والتنزيه كل طبقة من
الناس ولما كانت عقول الخلق على مراتب من التفاوت كان الاخلاص الذي ذكره عليه السلام اقصى ما ينتهي اليه القوى البشرية عند عرفانها
في انه اكبر بان الله وهو ان يعتبره فقط من غير ملاحظة شيء آخر وكان اثباته عليه السلام للصفة في موضع آخر ووصفه في الكتاب
العزيز والسنن النبوية اشارة الى الاعتبارات التي ذكرناها اذ كان من هو دون درجة الاخلاص لا يمكن ان يعرف
الله سبحانه بدونها وبالله التوفيق قوله ومن اشار اليه فقد حده ومن حده فقد عده اقول يشير الى البرهان على احد امرين
~~احد امرين~~ احدهما انه يحتمل ان يكون مراده امتناع العقلية اليه وتعلقها به فعلى هذا يكون تقرير المقدمة الاولى من هذا
البرهان ان من وجه ذهنه طالبا لكنه ذاته المقدسة وزعم انه وجدها واحاط بها واشار اليها من جهة ما هي فقد
اوجب لها حدا لعقد ذهنه عنده اذ الحقيقة انما تعلم من جهة ما هي ويشير العقل الى كنهها اذا كانت مركبة وقد علمت ان
كل مركب محدود في المعنى لان الاشارة العقلية ملونة بالاشارة الوهمية والخيالية مشوبة بهما وهما مستلزمان لاثبات
الحد كما سيأتي واما تقرير المقدمة الثانية فظاهر اذ كان حد الشيء دائما يتألف من كثرة معتبرة فيه وكل ذي كثرة معدود في
نفسه ونتيجة هذا البرهان ان من اشار اليه فقد عده واما استحالة ان يكون معدودا فلما علمت فيما سبق ان الكثرة

مستلزمة

مستلزمة للامكان الثاني انه يحتمل ان يكون مراده ايضا نفي الاشارة الحسية الظاهرة والباطنة اليه وبيان تنزهه عن الوحدة
العددية ويكون تقرير المقدمة الاولى ان من اشار اليه باحد الحواس فقد جعل له حدا او حدودا اي نهايات ليحيط به وذلك ان
كل ما يشار اليه بالحس الظاهر او الباطن فلا بد وان يشار اليه في حيز مخصوص وعلى وضع مخصوص وما كان كذلك فلا بد وان يكون له
حد او حدود فاذن لو كان مشارا اليه باحدهما لكان محدودا واما تقرير المقدمة الثانية فالمراد بالعدد ههنا جعله مبدا الكثرة
يصلح ان يكون عادا لها وذلك ان كل ما ادرك على وضع مخصوص في جهة فالعقل حاكم بامكان وجود امثاله فمن حده بالاشارة
الحسية فقد جعله مبدا الكثرة يصلح ان يعدها ويكون معدودا بالنسبة اليها واما كونه في نفسه معدودا وذلك كونه مركبا من
امور لان الواحد بهذا المعنى ليس مجرد الوحدة فقط والا لما تعلقت الاشارة الحسية به بل لا بد معها من الوضع كما علمت وعلى
الوجهين يكون مجتمعا من امرين او امور فيكون مركبا وكل مركب ممكن على ما مر واذا استحال ان يكون واحدا بهذا المعنى كانت
الاشارة اليه مطلقا يستلزم الجهل به من حيث هو واجب الوجود واعلم انه ليس اذا ابطل ان يكون واحدا فان للواحد مفهومات
اخر بها يقال له واحد لما لا يشاركه في حقيقته الخاصة به غيره ويقال واحد لما لا يتركب حقيقته وما يتالف من معاني متعددة
لا اجزاء قوام ولا اجزاء حد ويقال واحد لما لم يفته من كماله شيء بل كل كمال ينبغي ان يكون له فهو حاصل له بالفعل والباري سبحانه
واحد بهذه الاعتبارات الثلثة **قوله** ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلى منه **اقول** اصل فيم وعلام فيما وعلى ما حرفان
دخلا على ما الاستفهام فحذف الفها لاتصالها بهما تخفيفا في الاستفهام خاصة وهاتان القضيتان في تقدير شرطيتين متصلتين
يراد منهما تاديب الخلق ان يستفهموا عنه سبحانه على هذين الوجهين وبيان المراد منهما باستثناء نقيضي تاليهما وحذف الاستثناء
ههنا الذي هو كبرى القياس على ما هو المعتاد في قياس الضمير واعلم ان تقدير المتصلة الاولى لو صح السؤال عنه بفيم لكان له
محل يتضمنه ويصدق عليه انه فيه صدق العرض في المحل لكنه يمتنع كونه في محل فيمتنع السؤال عنه بفيم بيان الملازمة ان مفهوما
في لما كان موجودا في ما كان الاستفهام بفيم استفهاما عن مطلق المحل والظرف ولا يصح الاستفهام عن المحل لشيء الا اذا
صح كونه فيه بيان بطلان التالي انه لو صح كونه في محل لكان اما ان يجب كونه فيه فيلزم ان يكون محتاجا الى ذلك المحل والمحتاج
الى ذلك المحل والمحتاج الى الغير ممكن بالذات وان لم يجب حلوله فيه جاز ان يستغني عنه والغني في وجوده عن المحل يستحيل
ان يعرض له واذا استحال ان يكون في محل كان السؤال عنه بفيم جهلا واما تقدير المتصلة الثانية فانه لو جاز السؤال عنه بعلام
لجاز خلو بعض الجهات والاماكن عنه لكنه لا يجوز خلو مكانه فامتنع الاستفهام عنه بعلام بيان الملازمة ان مفهوم
على وهو العلو والفوقية لما كان موجودا في ما كانت ما استفهاما عن شيء فهو فوقه وعال عليه وذلك يستلزم امرين احدهما
بواسطة الآخر ولازم له فالذي هو بواسطة ولازم لها هو اخلاء ساير الجهات وانما جعل علام لازم هذه المتصلة
كونه قد اخلى منه ليستلزم من ابطال اللازم وهو الخلو عنه بطلان اختصاصه بالجهة المعينة ليلزم منه بطلان المقدم
وهو صحة السؤال عنه بعلام فاما بطلان التالي فلقوله وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم وقوله وهو معكم اينما
كنتم فان قلت ان مثبت الجهة لا يجهل هذه الايات بل له ان يقول لانه لا تنافي بين اثبات هذه الجهة المعينة وبين
مقتضى هذه الايات لان المقصود من كونه في السماء والارض اي بعلمه وكذلك في معيته للخلق وكونه في جهة فوق انما هو بذاته

فحينئذ لا تكون هذه الايات منافية لغرضه قلت انما جعل عليه السلام قوله فقد اخلى منه لازما في هذه القضية لان نفي هذا اللازم
بهذه الايات ظاهر وذلك ان مثبت الجهة انما يعتمد في اثباتها على ظواهر الايات الدالة على ذلك كقوله تعالى الرحمن على العرش
استوى فكانت معارضة مقتضاها بظواهر هذه الايات انفع في الخطابة وانجع في قلوب العامة من الدلائل العقلية على نفي
الجهة ودلالة هذه الايات على عدم خلو مكان من الامكنة منه تعالى يستلزم دلالتها على عدم اختصاصه بجهة فوق والمعارضة كما تكون
بما يقتضي ابطال لازم منتصفة فكانت مستلزمة لعدم جواز الاستفهام عنه بعلام ولو قال ومن قال بعلام فقد اثبت له جهة
لم يكن ابطال هذا اللازم الا بالدليل العقلي لكون الظواهر النقلية مشعرة باثبات الجهة له فلذلك عدل عليه السلام الى هذا اللازم
كما بيناه لوجود ما يبطله في القران الكريم وهي الايات المذكورة حتى اذا عدل المثبت للجهة عن ظواهر هذه الايات الى التاويل
باحاطة العلم مثلا الزمناه مثله في نحو قوله الرحمن على العرش استوى فقلنا المراد من الاستواء الاستيلاء بالقدرة او
العلم كما هو مذكور في الكتب الكلامية وانما خص عليه السلام جهة العلو بانكار اعتقادها والتحذير منه لكون كل معتقد لله جهة تخصصها
لما يتوهم من كونها اشرف الجهات ولانها التي نطق بها القران الكريم فكانت الشبهة في اثباتها اقوى فلذلك خصها بالذكر
قوله كاين لا عن حدث موجود لا عن عدم اقول الكاين اسم الفاعل من كان وهو يستعمل في اللغة على ثلثة اوجه احدها ان
يكون بصيغتها دالة على الحدث والزمان ويسمى في عرف النحاة كان التامة كقوله اذا كان الشتاء فادفئوني اي اذا
حدث ووجد الثاني ان يدل على الزمان وحده ويحتاج في الدلالة على الحدث الى خبر به وهو الناقصة واستعمالها هو
الاكثر كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله الثالث ان تكون زايدة خالية عن الدلالة على حدث او زمان كقوله
على كان المسومة العراب اي على المسومة اذا عرفت ذلك فاعلم ان مفهوم كاين انه شيء ما له كون ولما كان ذلك الشيء
هو ذات الله تعالى وكانت ذاته مقدسة عن الزمان استحال ان يقصد وصفه بالكون الدال على الزمان ولما احترز
بقوله لا عن حدث استحال ان يدل كونه على الحدث وهو المسبوقية بالعدم واذا بطل ان يكون كونه مستلزما للزمان
ومسبوقية العدم لم يكن له دلالة الا على الوجود المجرد عن هذين القيدين ومن هذا القبيل قوله تعالى وكان الله غفورا
رحيما وامثاله وقول الرسول صلى الله عليه وآله كان الله ولا شيء واما قوله موجود لا عن عدم فالمراد ايضا ان وجوده ليس
بحادث وبيانه ان الموجود من حيث هو موجود اما ان يكون وجوده مسبوقا بالعدم وحاصلا عنه وهو
المحدث او لا يكون وهو القديم فاما لمية هذا الحكم فلانه لو كان محدثا لكان ممكنا ولو كان ممكنا لما كان واجب الوجود
لكنه واجب الوجود فينتج انه ليس بمحدث اما المقدمتان فجليتان واما بطلان التالي فبمقتضى البراهين
الصحيحة واعلم ان هذه القضية موكدة لمقتضى القضية الاولى وليس مقتضاها عين ما افادته الاولى اذ كان في الكلمة
الاولى مقصود اخر وهو تعليم الخلق كيفية لفظ الكون على الله تعالى واشعارهم ان المراد منها ليس ما يتبادر اليه الذهن من
مفهومها حال اطلاقها وهو الحدث ويحتمل ان يكون مراده في الاولى نفي الحدوث الذاتي وما هو اعم منه ومن الزمان وفي
الثانية نفي الحدوث الزماني والله اعلم قوله مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة اقول ان كونه تعالى هو مع
غيره وغير غيره اضافتان عارضتان له بالنسبة الى جميع الموجودات اذ كل منه ويصدق عليه ان يقال انه معها

وهو انه متقدم عليهما ولكن باعتبارين وجزئيهما كما قال وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير والتقدم نسبة تحدثها
له باعتبار كونه علة لهما ثم لما كانت المعية اعم من المقارنة لاعتبار الزمان والمكان في مفهومها كانت مغايرة للاشياء غير
معتبر فيها المزايلة لتقدس ذاته عن الزمان والمكان فلذلك احترز بقوله لا بمزايلة الخ ان يؤول كونه تعالى غير كل شيء معناه
انه متميز بذاته عن كل شيء اذ لا يشارك شيئا من الاشياء في معنى جنسي ولا نوعي فلا يحتاج ان ينفصل عنها بفصل ذاتي او عرضي
بل هو مباين لها بذاته لا بمزايلة وكون معنى المزايلة المفارقة باحد الامور المذكورة بعد الاشتراك في احد الامور المذكورة
واعلم ان هذين القيدين كاسران للاحكام الوهمية بنحو باعتبار الزمان والمكان والاوصاف المخلوقة المتعارفة من
الخلق المعتبرة بينهم في مفهوم المعية والمغايرة منبهان للعقول على ما وراء حكم الوهم من عظمة الله سبحانه وتعالى وتقدسه انه
عن صفات الممكنات وكذلك قوله كاين لا عن حدث موجود لا عن عدم فانه رد للوهم الحاكم بما تلثر تعالى للمحل ثابت قوله فاعل
لا بمعنى الحركات والآلات اقول الحركة عبارة عن حصول المتحيز في حيز بعد ان كان في حيز اخر ان قلنا بثبوت الجوهر الفرد
والا فهي عبارة عن انتقال المتحيز من حيز الى حيز آخر او غيره من التعريفات والالة هي ما تؤثر في منفعلة القريب منه بواسطته
والمراد بيان انه فاعل الا ان ما صدر عنه تعالى من الاثار ليس بتوسط الة فبيانه من وجهين احدهما لو كان كذلك لكان
تلك الالة ان كانت من فعله فاما بتوسط الة اخرى او بدونها فان كانت بدونها فقد صدق انه فاعل لا بمعنى الالة
وان كان فعله لها بتوسط الة اخرى فالكلام فيها كالكلام في الاولى ويلزم التسلسل واما ان لم يكن تلك الالة من فعله
ولم يمكنه الفعل بدونها كان الباري تعالى مفتقرا في تحقق فعله الى الغير والمفتقر الى الغير ممكن بالذات فالواجب بالذات ممكن
بالذات هذا خلف الثاني انه تعالى لو فعل بالالة وهو النقص على الله تعالى محال فتوقف فعله على الالة محال فاذن هو الفاعل المطلق
بالابداع ومحض الاختراع المبرا عن نقصان الذات المنزه عن الحاجة الى الحركات والالات قوله بصير اذ لا منظور اليه من خلقه
اقول البصير فعيل بمعنى الفاعل من البصر والبصر حقيقة في حاسة العين مجاز في القوة التي بها العلم والمنظور اليه هو المشاهد
بتقليب الحدقة نحوه والمراد وصفه تعالى بكونه بصيرا احاطة ما لا يتحقق الله المبصرات واذ ليس بصيرا بمعنى ان له آلة البصر لتنزهه
عن الحواس ووجب العدول الى المجاز وهو ان يكون بصيرا بمعنى انه عالم وقرينة ذلك قوله اذ لا منظور اليه من خلقه لان البصير
اضافي يلحق ذاته بالنسبة الى مبصر وهو امر يلحق ذاته ازلا وابدا ولا شيء من المبصرات بالحس موجود ازلا لقيام البراهين
العقلية على حدوث العالم حتى يمكن ان يلحقه النسبة بالقياس اليه فوجب ان كان من حيث هو هو بصيرا بهذا المعنى ويحتمل
ان الاشارة باذ في قوله اذ لا منظور اليه من خلقه معه وهو عالم لذاته وبذاته مطلقا واذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو اذن
بصير بالصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات وبها تظهر الاسرار والخفيات هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه
ما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وهذه الالة وان عدت كمالا فانما هي كمال خاص بالحيوان وكماله بها وان
كان ظاهرا الا انه ضعيف قاصرا ذ لا يمتد الى ما بعد ولا يتغلغل في باطن وان قرب بل يتناول الظاهر ويقصر عن البواطن
وقد قيل ان الحظ الذهني للعبد من البصر امران احدهما انه يعلم انه خلق له البصر لينظر الى الايات وعجائب ملكوت السموات
فلا يكون نظره الا اعتبارا حكي انه قيل لعيسى عليه السلام هل من الخلق مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكرا فهو مثلي

ايضاً صح

الثاني أن يعلم أنه من الله بمرأى ومسمع فلا يستهين بنظره إليه واطلاعه عليه ومن أخفى من غير الله ما لا يخفيه عن الله تعالى فقد استهان بنظر
الله تعالى إليه والمراقبة أحد ثمرات الإيمان بهذه الصفة فمن قارف معصية وهو يعلم أن الله يراه فما أجرأه وما أخسره ومن
ظن أن الله تعالى لا يراه فما أكفره قوله متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده أقول المراد وصفه تعالى بالتفرد بالوحدانية
وأشار بقوله إذ لا سكن إلى اعتبار أن تفرده بالوحدانية لا على وجه الانفراد عن مثل له كما هو المفهوم المتعارف من انفراد بعض
الناس عن بعض فمن عادته مشاركته في مشاوراته ومحادثاته وانفراد أحد المتآلفين من الحيوانات عن الآخر وهو الأنيس الذي
يستأنس بوجوده معه ويستوحش لفقده وغيبته عنه إذ كان الاستيناس والاستيحاش متعلقين بميل الطبع إلى
الشيء ونفرته عنه وهما من توابع المزاج ولما كان الباري سبحانه منزهاً عن الجسمية والمزاج وجب أن يكون منزهاً عن
الاستيناس والتوحش فهو المتفرد بالوحدانية المطلقة لا بالقياس إلى شيء يعقل ذلك التفرد بالنسبة إليه واعلم أن القيود
الثلاثة الزائدة على قوله فاعل وبصير ومتوحد في الفصول الثلاثة يستلزم التنبيه على عظمة الله تعالى كما بيناه في قوله لا بمقارنة
ولا بمزايلة وذلك لأن الأوهام البشرية حاكمة بحاجة الفاعل إلى الآلة والبصير إلى الموجود المبصر والمتوحد إلى أن يكون
في مقابلة أنيس فقد انفرد عنه ولما كانت ذات الله سبحانه منزهة عن جميع ذلك أراد عليه السلام كسر الوهم ومعارضة أحكامه
بتنبيه العقول عليها فذكر هذه القيود الثلاثة وبالله التوفيق الفصل الثاني في نسبة إيجاد العالم إلى قدرة الله تعالى جملة وتفصيلاً
وفي كيفية ذلك وهو اقتصاص في معرض المدح قوله أنشأ الخلق إنشاء وابتدأه ابتداء بلا روية أجالها ولا تجربة استفادها
ولا حركة أحدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها أحال الأشياء لأوقاتها ولأم بين مختلفاتها وغرز غرائزها وألزمها أشباحها
عالماً بها قبل ابتدائها محيطاً بحدودها وانتهائها عارفاً بقرائنها وأحنائها ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء
وشق الأرجاء وسكائك الهواء فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره متراكماً زخاره حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة
فأمرها برده وسلطها على شده وقرنها إلى حده الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم
مهبها وأدام مربها وأعصف مجراها وأبعد منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار فمخضته مخض
السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء ترد أوله على آخره وساجيه على مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه
في هواء منفتق وجو منفهق فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً وعلياهن سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً
بغير عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب وأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمراً منيراً في فلك
دائر وسقف سائر ورقيم مائر ثم فتق ما بين السموات العلى فملأهن أطواراً من ملائكته منهم سجود لا يركعون وركوع لا
ينتصبون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة وصافون
النسيان ومنهم أمناء على وحيه وألسنة إلى رسله ومختلفون بقضائه وأمره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لأبواب
جنانه ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الأقطار أركانهم
والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم ناكسة دونه أبصارهم متلفعون تحته بأجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب
العزة وأستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالأماكن ولا يشيرون إليه

بالنظاير قوله لم اجد لاهل اللغة فرقا بين الانشاء والابتداء وهو الايجاد الذي لم يسبق بمثله الا انه يمكن ان يفرق ههنا بينهما
صونا للكلام عليكم عن التكرار بان يقال المفهوم من الانشاء هو الايجاد الذي لم يسبق عن الموجد اليه والمفهوم هو الابتداء بالايجاد الذي
لم يقع من الموجد قبل والروية الفكر وهمامة النفس اهتمامها بالامور ومن روى همامة نفس فالمراد ترديد العزم ماخوذ من الهممة
وهي ترديد الصوت الخفي وروي ايضا همة نفس والاحالة التحويل والنقل والتغيير والانقلاب من حال الى اخرى وروي اجال بالجيم
وروي ايضا اجل وقت والملائمة الجمع والغرائز جمع غريزة وهي الطبيعة التي طبع عليها الانسان كانها غرزت فيه والسنخ الاصل
وروي اشباحها جمع شبح وهو الشخص والقرائن جمع قرينة وهو ما يقترن بالشيء والاحناء جمع حنو وهي الناحية والاجواء
جمع جو وهو الفضاء الواسع وفتقها شقها والارجاء جمع رجا مقصور وهو الناحية والسكائك جمع سكاكة كذوابة وذوائب
وهي الفضا ما بين السماء والارض وكل مكان خال فهو هواء واجار اي اجرى ومن روى احار اي ادار وجمع وتلاطم الماء
امواجه وضرب بعضها بعضا والزخار مبالغة في الزاخر وهو الممتلي ومتن كل شيء ما صلب منه واشتد وعصف الريح شدة جريانها
وريح زعزع تحرك الاشياء بقوة وزعزعها والريح القاصفة الشديدة كانها لشدتها تكسر الاشياء وتقصفها وسلطها اي جعل
لها سلاطة وهي القهر والفتق المنفتق والدفق المندفق والاعتقام الشد والعقد واعتقم ايضا مهبها اي جعله خاليا لا تحت
به من قولهم عقمت الرحم اذا لم يقدر بها ولد وروي بفرتها اي جعلها عقيمة لا تلقح شجرا ولا سحابا والمرب الجمع والعصف الجري بقوة
وشدة والصفق والتصفيق المراد المصوت واثارة الموج دفعه وهيجه واصل البحر الماء المتسع الغمر وربما خص في العرف
بالمالح وتموج البحر اضطرابه وموجه ما ارتفع منه هيجانه وحركته والمخض التحريك والسقاء وعاء اللبن والماء ايضا والمائر
المتحرك والعباب بالضم معظم الماء وعب اي علا وتدفق والركام الماء المتراكم والمنفهق الواسع والتسوية التعديل والمكفوف
الممنوع من السقوط الجوهري السقف اسم للسماء وسمك البيت سقفه والسموك الارتفاع والعمد جمع كثرة لعمود البيت ودعامة
البيت عموده وما يمنعه من السقوط والدسار كل شيء ادخلته في شيء لتشده كمسمار وحبل ونحوهما والمستطير المنتشر والفلك
من اسماء السماء قيل ماخوذ من فلكة المغزل في الاستدارة والرقيم اسم للفلك ايضا واشتقاقه من الرقم وهو الكتابة والنقش
لان الكواكب تشبه الرقوم والاطوار الحالات المختلفة والانواع المتباينة قال الكسائي اصل الملك مالك بتقديم الهمزة من
الالوك والرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملاك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما جمعوه ردوها اليه
فقالوا ملائكة وملائك والسأم الملال والسدنة جمع سادن وهو الخادم ومرق السهم من الرمية اذا خرج من الجانب الاخر
والقطر الناحية والركن الجانب وتلفع بثوبه التحف به والنظاير الامثال ولنرجع الى المعنى فنقول انشاء الخلق انشاء وابتداه
ابتداء يشير الى كيفية ايجاد الخلق على الجملة عن قدرة الله بعد ان ينبه على اصل الايجاد بقوله فطر الخلائق بقدرته واتى
بالمصدرين بعد الفعلين تاكيدا لنسبة الفعلين الى الله تعالى وصدق هاتين القضيتين ظاهر فان الباري تعالى لما لم
يكن مسبوقا بغيره لا جرم صدق الانشاء منه ولما لم يكن العالم موجودا قبل وجوده لا جرم صدق ابتداؤه له قوله بلا روية
اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها اقول لما كانت هذه الكيفيات الاربع من
شرايط علوم الناس وافعالهم التي لا يمكن حصولها الا بها اراد تنزيه الله سبحانه عن ان يكون ايجاده للعالم موقوفا على

شيء منها اما الروية والفكر فلما كانت عبارة عن حركة القوة المفكرة في تحصيل المبادي المطالب والانتقال منها او عن تلك القوة
ايضا نفسها كان ذلك في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان القوة المفكرة من خواص نوع الانسان الثاني ان فايدتهما تحصيل المطالب
المجهولة والجهل على الله تعالى محال واما التجربة فلما كانت عبارة عن حكم العقل بامر على امر بواسطة مشاهدات متكررة مفيدة لليقين
بسبب انضمام قياس خفي اليها وهو انه لو كان هذا الامر اتفاقيا لما كان دايما ولا اكثريا كان توقف فعل الله تعالى على استفادة الاحكام
منها محالا لوجهين احدهما انها مركبة من مقتضى الحس والعقل من خواص نوع الانسان الثاني ان التجربة انما يفيد علما لم يكن فالمحتاج
الى التجربة لاستفادة العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها والمستكمل بالغير محتاج اليه فيكون ممكنا على ما مر وذلك على الله محال
واما الحركة فقد عرفت انها من خواص الاجسام والباري سبحانه منزه عن الجسمية فيمتنع صدق المتحرك عليه وان صدق انه
محرك الكل لان المتحرك ما قامت به الحركة والمحرك اعم من ذلك واما الهمامة والهمة فلما كانت ماخوذة من الاهتمام وحقيقته
الميل النفساني الجازم الى فعل الشيء مع التالم والغم بسبب فقده كان ذكره في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان الميل
النفساني من خواص الانسان طلبا لجلب المنفعة والباري سبحانه منزه عن الميول النفسانية وجلب المنافع الثاني انه مستلزم
للتالم بفقد المطلوب والتالم على الله تعالى محال واذ ليس ايجاده تعالى للعالم على احد الانحاء المذكورة فهو اذن بمحض الاختراع
والابداع البري عن الحاجة الى امر من خارج ذاته المقدسة بديع السموات والارض فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واعلم انه
عليه السلم اردف كلا من هذه الامور بما هو شرط وجوده فاردف الروية بالاجالة والتجربة بالاستفادة والحركة بالاحداث
والهمامة بالاضطراب لينتفي الكيفية بانتفاء ما هي له عن ذاته المقدسة وبالله التوفيق قوله اجال الاشياء لاوقاتها ولام
بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اسناخها اقول لما نبه على نسبة ايجاد العالم الى الله تعالى جملة اشار بعده الى ان
ترتيبه وما هو عليه من بديع الصنع والحكمة كان مفصلا في علمه وعلى وفق حكمته البالغة قبل ايجاده والمراد بقوله احال
الاشياء لاوقاتها الاشارة الى ربط كل ذي وقت بوقته بحسب ما كتب في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي بحيث لا يتاخر متقدم منها
ولا يتقدم متاخر ومعنى الاحالة نقل كل منها الى وقته وتحويله من العدم والامكان الصرف الى مرتبة المضروبة لوجوده واللام في
لاوقاتها لام التعليل اي لاجل اوقاتها اذ كل وقت يستحق بحسب قدرة الله وعلمه ان يكون فيه ما لا يكون في غيره وعلى النسخة
الاخرى فمعنى تاجيلها جعل اوقاتها اجالا لها لا يتقدم عليها ولا يتاخر عنها كما قال الله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون ونبه بقوله ولام بين مختلفاتها على كمال قدرة الله تعالى وبيان ذلك في صورتين احدهما ان العناصر
الاربعة متضادة الكيفيات ثم انها اذا اجتمعت بقدرة الله تعالى وعلى وفق حكمته حتى انكسرت سورة كل واحد منها بالاخر
وهو المسمى بالتفاعل على حصلت كيفية متوسطة بين الاضداد ومتشابهة وهي المزاج فامتزاج اللطيف بالكثيف
على ما بينهما من تضاد الكيفيات وغاية البعد بقدرته التامة من اعظم الدلايل الدالة على كمالها الثانية ان الملائمة بين
الارواح اللطيفة والنفوس المجردة التي لا حاجة بها في قوامها في الوجود الى مادة اصلا وبين هذه الابدان المظلمة الكثيفة
واختصاص كل نفس ببدن منها وتدبيره واستعمالها فيما يعود اليهما من المصالح على النظام الاقصد والطريق الارشد
مما يشهد بكمال قدرته ولطيف حكمته وقوله وغرز غرائزها اشارة الى ركز القوى الجسمانية والنفسانية فيما هي قوى له

وخلق

وخلق كل ذي طبيعة على خلقه ومقتضى قواه التي غرزت فيه من لوازمه وخواصه مثلا كقوة التعجب والضحك للانسان وكقوة
الشجاعة للاسد والجبن للارنب والمكر للثعلب وغير ذلك وعبر عن ايجادها فيها بالغرز وهو الركز استعارة لما يعقل من
المشابهة بينها وبين العود الذي يركز في الارض من جهة المبدا ومن جهة الغاية وذلك ان الله سبحانه لما غرز هذه الغرائز في
محالها واصولها وكانت الغاية من ذلك ما يحصل منها من الاثار الموافقة لمصالح العالم اشبه ذلك غرز الانسان العود في الارض
لغاية ان ينمو ثمرة منتفعا بها وقوله والزمها اسناخها اشارة الى انها لا تفارق اصولها ولا يمكن زوالها عنها لان اللازم
هذا شانه ومن روى اشباحها بالشين المعجمة فالمراد ان ما غرز في الاشخاص من اللوازم والغرائز لا تفارقها سواء كانت تلك
الغرائز من لوازم الشخص كالذكاء والفطنة بالنسبة الى بعض الناس والبلادة والغفلة لاخر ومن لوازم الماهيات وطباعها
لوجود الماهيات في اشخاصها هذا ان قلنا ان الضمير في قوله والزمها عائد الى الغرائز اما ان قلنا انه عائد الى الاشياء
كان المراد ان الله سبحانه لما اجال الاشياء لاوقاتها ولأم بين مختلفاتها وغرز غرائزها في علمه وقضائه الزمها بعد كونها كلية اشخاصها
الجزئية التي وجدت فيها لا يقال ان لوازم الماهيات مقتضى الماهيات فكيف يمكن نسبة الزامها لاصولها الى قدرة الله تعالى لانا
نقول المستند الى ماهية الملزوم ليس الا ماهية لازمه واما وجوده له فبقدرة الله تعالى فيكون معنى الزامها لاصولها ايجادها في
اصولها تبعا لايجاد اصولها على تقدير وجودها قوله عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها
اقول المنصوبات الثلثة معترضة لمثلها عقيب الافعال الثلثة الاول اذ كانت صالحة تكون احوالا عنها والمراد في القضية الاولى
اثبات الافعال الاربعة له حال كونه عالما بالاشياء قبل ايجادها حاضرة في علمه بالفعل كليها وجزئيها وفي القضية الثانية
نسبة تلك الافعال اليه حال احاطة علمه بحدودها وحقايقها المميزة لبعضها عن بعض وان كلا منه بحده واقف عنده وهو
نهايته وغايته ويحتمل ان يريد بانتهائها انتهاء كل ممكن الى سببه وانتهاء الكل في سلسلة الحاجة الى الله وفي القضية الثالثة
نسبة الافعال الى قدرته حال علمه بما يقترن الاشياء من لوازمها وعوارضها وعلمه بكل شيء يقترن بشيء اخر على وجه
التركيب والمجاورة كاقتران بعض العناصر ببعض احيازها الطبيعية على الترتيب الطبيعي وعلمه باحنائها وجوانبها التي
بها ينتهي ويقارن غيرها وبيان هذه الاحكام له تعالى ببيان انه عالم بكل المعلومات من الكليات والجزئيات وذلك مما
علم في العلم الالهي فان قلت اطلاق اسم العارف على الله تعالى لا يجوز لقول النبي صلى الله عليه وآله ان لله تسعة وتسعين اسما
من احصاها دخل الجنة واجماع علماء النقل على ان هذا الاسم ليس منها قلت الاشبه ان اسماء الله تعالى تزيد على التسعة والتسعين
لوجهين احدهما قول النبي صلى الله عليه وآله اسئلك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او
استأثرت به في علم الغيب عندك فان هذا صريح في انه استأثر ببعض الاسماء الثاني انه صلى الله عليه وآله قال في رمضان
انه اسم من اسماء الله تعالى وكذلك كان الصحابة يقولون فلان اوتي الاسم الاعظم وكان ينسب ذلك الى بعض الانبياء والاولياء
وذلك يدل على انه خارج من التسعة والتسعين فان كان كذلك كان كل الكلام في قوله عليه السلام ان لله تسعة وتسعين اسما
من احصاها دخل الجنة قضية واحدة معناها الاخبار بان من اسماء الله تعالى تسعة وتسعين من احصاها يدخل الجنة
ويكون تخصيصها بالذكر لاختصاصها بمزيد شرف لا يكون لها بالاسماء وهي كونها مثلا جامعة لانواع من المعاني المبنية عن

الكمال بحيث لا يكون لغيرها الا النبي ان يكون لله تعالى اسم غيرها واذا كان كذلك جاز ان يكون العارف غير تلك الاسماء كما يقال ان الاسم الاعظم
غير داخل فيها لاستتارها واختصاص معرفته بالانبياء والاولياء واذا كان كذلك فكيف يصدق عليها انها اشرف الاسماء لانا نقول يحتمل
ان يكون خارجا منها ويكون شرفها حاصلا بالنسبة الى باقي الاسماء التي في غيره ويحتمل ان يكون داخلا فيها الا انا لا نعرفه بعينه
ويكون ما يختص به النبي او الولي انما هو تعيينه منها قوله ثم انشاء سبحانه فتق الاجواء الى قوله فسوى منه سبع سموات اقول لما اشار عليه السلام في
الفصل المتقدم الى نسبة خلق العالم الى قدرة الله تعالى على سبيل الاجمال شرع بعده في تفصيل الخلق وكيفية ايجاده والاشارة الى
مباديه ولذلك حسن ايراد ثم ههنا وفي هذا الفصل ابحاث البحث الاول اعلم ان خلاصة ما يفهم من هذا الفصل ان الله سبحانه قدر
احيازا وامكنة اجرى فيها الماء الموصوف وخلق ريحا قوية على ضبطه وحفظه حملة عليها وامرها بضبطه ويفهم من قوله الهواء من تحتها
فتيق والماء من فوقها دفيق ان تلك الاحياز للماء هي سطح الريح الحاوي له وان تحت تلك الريح فضاء اخر واسعا وهي محفوظة
بقدرة الله تعالى كما ورد في الخبر ثم خلق سبحانه ريحا اخرى لاجل تموج ذلك فارسلها وعقد مجهها وادام حركتها وملازمتها التحريك
الماء واعتصف جريانها وابعد منشاها ثم سلطها على تموج ذلك الماء فلما عب عبابه وقذف بالزبد رفع تعالى ذلك الزبد في الفضاء
وكون منه السموات العلى البحث الثاني ان هذه الاشارة وردت في القرآن الكريم فانه اشير فيه الى ان السموات كونت من الدخان كقوله
تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان والمراد بخار الماء وكذلك وردت في اقوال كثيرة الاول ما روي عن الباقر محمد بن علي عليهما السلام
قال لما اراد الله سبحانه وتعالى ان يخلق السماء امر الرياح فضربن البحر حتى ازبد فخرج من ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه
من غير نار فخلق الله منه السماء الثاني ما نقل انه جاء في السفر الاول من التورية ان مبدأ الخلق جوهر خلقه الله تعالى ثم نظر اليه نظر الهيبة
فذابت اجزاؤه فصارت ماء فثار من الماء بخار كالدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد البحر فخلق منه الارض ثم
ارساها بالجبال وفي رواية اخرى فخلق منه ارض مكة ثم بسط الارض من تحت الكعبة ولذلك تسمى مكة ام القرى الثالث نقل عن
كعب ما يقرب من ذلك قال ان الله تعالى وكان عرشه على الماء الرابع ما نقل عن ثاليس الملطي وكان من مشاهير الحكماء القدماء فانه نقل عنه
بعد ان وحد الصانع الاول للعالم ونزهه انه قال لكنه ابدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها وسماه المبدع
الاول ثم نقل عنه ان ذلك العنصر الجسماني فذكر ان من جمود الماء تكونت الارض ومن انحلاله تكون الهواء ومن صفوته تكونت النار
ومن الدخان والابخرة تكونت السماء وقيل انه اخذ ذلك من التورية الخامس ما وجدته في كتاب بليناس الحكيم الذي سماه الجامع للعلل
الاشياء قريبا من هذه الاشارة وذلك انه قال ان الخالق تبارك وتعالى كان قبل الخلق واراد ان يخلق الخلق فقال ليكن كذا وكذا فكان ذلك كما
اراد بكلمته فاول الحوادث كلمة الله المطاعة التي كانت بها الحركة ثم قال بعده ان اول ما حدث بعد كلام الله تعالى الفعل فدل بالفعل على
الحركة ودل بالحركة على الحر ثم ذكر بعد ذلك ان طبايع العناصر الاربعة انما كانت من هاتين القوتين اعني الحر والبرد وقال ان ذلك ان
الحرارة حدث منها اللين ومن البرودة اليبس فكانت اربع قوى مفردات فامتزج بعضها ببعض فحدث من امتزاجها الطبايع الاربع
وكانت هذه الكيفيات قايمة بانفسها غير مركبة فمن امتزاج الحرارة واليبس حصلت النار ومن الرطوبة والبرد حدث الماء ومن الحرارة
والرطوبة حدث الهواء ومن امتزاج البرد واليبس حصلت الارض ثم قال ان الحرارة لما حركت طبيعة الماء والارض تحرك الماء للطفه
عن ثقل الارض وانقلت ما اصابه من الحر فصار بخارا بخارا لطيفا هوائيا رقيقا روحانيا وهو اول دخان طلع من اسفل

الماء

الماء وامتزج بالهواء فسما الى العلو لخفته ولطافته وبلغ الغاية في صعوده على قدر قوته ونزره من الحرارة فكان منه الفلك الاعلى وهو فلك زحل ثم حركت النار الماء ايضا فطلع منه دخان هو اقل لطفا مما صعد اولا واضعف فلما صار بخارا سما الى العلو بجوهره ولطافته ولم يبلغ لقلة لطافته عما قبله فكان منه الفلك الثاني وهو فلك المشتري وهكذا بين في طلوع الدخان مرة مرة وتكون الافلاك الخمسة الباقية عنه فهذه الاشارات كلها متطابقة على ان الماء هو الاصل الذي تكونت عنه السموات والارض وذلك مطابق لكلامه عليه السلام البحث الثالث قوله وادام مربها قال قطب الدين الراوندي رحمه الله ادام جمع الريح للماء وتسويتها له قلت تقرير ذلك ان الماء لما كان مقر الريح الذي انتهت اليه وعملت في تحريكه كان ذلك هو حقيقة مربها الى الموضع الذي لزمته واقامت به فقوله وادام مربها اي ادام حركة الماء واضطرابه ومخضه وهو محل اربابها ويحتمل ان يكون قد استعمل اسم الموضع استعمال المصدر والتقدير ادام اربابها اي ملازمتها لتحريك الماء وايضا فيحتمل ان يكون قد شبهها في كونها سببا للادرار للخير به وفي كثرتها وقوتها بالديمة فكان محلها ومقرها الذي يتصل اليه وتقيم به قد ادامه الله اي سقاه ديمة وقوله وابعد منشاءها قال اي ابعد ارتفاعها قلت المنشأ محل التسوية وهو الموضع الذي انشاءها منه فلا يفهم منه الارتفاع اللهم الا على استعماله لموضع الانشاء استعمال المصدر اي بلغ بانشائها غاية بعيدة والاقرب ان يشير انها انشاءه من مبدا بعيد ولا يمكن الوقوف على اوله وهو قدرة الحق سبحانه وجوده وقوله وامرها قال رحمه الله اي امر الموكلين بها من الملائكة بضرب الماء بعضه بعضا وتحريكه كمخض اللبن ليزبد اطلق الامر عليها مجازا لان امر الحكيم لا يامر الجماد قلت بل حمله على امر الريح اولى لان في التقدير الذي ذكره يكون التجوز في لفظ الامر فقط دون النسبة فكان اولى وقوله كمخض السقاء وعصفها بالفضاء اي ومثل مخض السقاء ومثل عصفها فحذف المضاف الذي هو صفة المصدر واقام المضاف اليه مقامه فلذلك نصبه نصب المصادر واعلم ان اللام في قوله بتصفيق الماء الماء للمعهود السابق في قوله ماء متلاطما اي الماءين واحد ومثل هذا التكرار جائز في الكلام الفصيح كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا فان قلت الاجواء والارجاء وسكائك الهواء امور عدمية فكيف يصح نسبتها الى الانشاء عن القدرة قلت ان هذه الاشياء عبارة عن الخلاء والاحياز والخلق في ان الخلاء والحيز والمكان هل هي امور وجودية او عدمية مشهور فان كانت وجودية كانت الى القدرة ظاهرة ويكون معنى فتقها وشقها شق العدم عنها كما مر في قوله فطر الخلائق بقدرته وان كانت عدمية معنى فتقها وشقها ونسبتها الى القدرة تقديرها وجعلها احيازا للماء ومقرا ومقارا لانه لما كان تميزها عن مطلق الهواء والخلاء بايجاد الله فيها الماء صار تعيينها له بسبب قدرته تعالى فصح نسبتها الى انشائه فكانه سبحانه شقها وفتقها بحصول الجسم فيها وروي ان زرارة وهشاما اختلفا في الهواء اهو مخلوق ام لا فرفع بعض موالي الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ليس هذا بخلاف يؤدي الى الكفر والضلال واعلم انه انما اعرض عن بيان ذلك لان اولياء الموكلين بايضاح سبيله وتثبيت خلقه على صراط المستقيم لا يلتفتون بالذات الا الى احد امرين احدهما ما يؤدي الى الهدى اوظاهرا واضحا والثاني ما يصرف عن الضلال ويرد الى سواء السبيل وبيان ان الهواء مخلوق او غير مخلوق لا ان صح يتعلق كثير فائدة في امر المعاد فلا يكون الجهل به مما يضر في ذلك فكان ترك بيانه والاشتغال بما هو اهم منه اولى

البحث الرابع ان القران الكريم نطق بان السماء تكونت من الدخان وكلامه عليه السلام ناطق بانها تكونت من الزبد وما ورد في الخبر ان ذلك الزبد هو الذي تكونت منه الارض فلا بد من بيان وجه الجمع هذه الاشارات فنقول وجه الجمع بين كلامه عليه السلام وبين لفظ القران

الكريم ما ذكره الباقر عليه السلام وهو قوله فخرج من ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق منه السماء ولا شك ان
القران لا يريد بلفظ الدخان حقيقته لان ذلك انما يكون عن النار واتفق المفسرون على ان هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفس
الماء وتبخيره بسبب تموجه فهو اذن استعارة للبخار الصاعد من الماء واذا كان كذلك فنقول ان كلامه عليه السلام مطابق للفظ
القران الكريم وذلك ان الزبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حرارة حركته الا انه ما دامت الكثافة غالبة عليه وهو باق على وجه
الماء لم ينفصل فانه يخص باسم الزبد وما لطف وغلبت عليه الاجزاء الهوائية فانفصل خص باسم البخار واذا كان الزبد
بخارا والبخار هو المراد بالدخان في القران الكريم كان مقصوده ومقصود القران واحدا فكان البخار المنفصل هو الذي تكونت
عنه السموات والذي لم ينفصل هو الذي تكونت عنه الارض وهو الزبد واما وجه المشابهة بين الدخان والبخار حتى لا يكاد
يفرق بينهما في الحس البصري والثاني معنوي وهو كون البخار اجزاء مائية خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حر النار
فكان الاختلاف بينهما ليس الا بالسبب فلذلك صح استعارة اسم احدهما للاخر وبالله التوفيق البحث الثامن قال المتكلمون ان
هذه الظواهر من القران وكلام علي عليه السلام لما دلت على ما دلت عليه من كون الماء اصلا تكونت عنه السموات والارض وغير ذلك
ثبت ان الترتيب المذكور في المخلوقات امر ممكن في نفسه وثبت ان الباري تعالى فاعل مختار قادر على جميع الممكنات
ثم لم يقم عندنا دليل عقلي يمنع من اجراء هذه الظواهر على ما دلت عليه بظاهرها وجب علينا القول بمقتضى تلك الظواهر ولا حاجة
لنا الى التاويل لا يقال ان جمهور المتكلمين متفقون على اثبات الجوهر الفرد وان الاجسام متركبة عنه فبعضهم يقول ان
الجواهر كانت ثابتة في عدمها والفاعل المختار كساها صفة التاليف والوجود وبعضهم وان منع ثبوتها في العدم الا انه
يقول ان الله تعالى يوجد اولا تلك الجواهر ثم يولف بينها فيوجد منها الاجسام فكيف يقال ان السموات والارض تكونت من
الماء لانا نقول هذا ظاهر لانه يجوز ان يخلق الله تعالى اولا الاجسام من تلك الجواهر ثم تكون باقي الاجسام عن الاجسام الاولى
واما الحكماء فلما لم يكن الترتيب الذي اقتضته هذه الظواهر في تكوين الاجسام موافقا لمقتضى ادلتهم لتاخر وجود
العناصر عندهم عن وجود السموات لا جرم عدل بعضهم الى تاويلها توفيقا بينها وبين مقتضى ادلتهم وذكروا من التاويل
وجهين الوجه الاول قالوا العالم عالمان عالم يسمى عالم الامر وهو عالم الملائكة الروحانية والمجردات وعالم يسمى عالم الخلق
وهو عالم الجسمانيات وعلى ذلك حملوا قوله تعالى الا له الخلق والامر ثم قالوا ما من موجود في عالم الجسمانيات الا وله نسبة الى عالم
الروحانيات وهو مثال له بوجه ما ولولا ذلك لانسد طريق الترقي الى العالم العلم الروحاني وتعذر السفر الى الحضرة الالهية
ثم كان من بحثهم ان سوا ان قدره الله سبحانه يرجع الى كون ذاته عالمة بالكل علما هو مبدا الكل مبدا ما منه بالذات غير
ماخوذة عن شيء ولا متوقفة على وجود شيء ثم لما دل دليلهم على ان رتبة صدور عالم الخلق انما هو بواسطة عالم الامر كان
باعتبار ايجاد عالم الامر عن القدرة امرا اولا واعتبار ايجاد عالم الخلق عنها امرا ثانيا متاخرا عنه فعند ذلك قالوا ان الذي
اشار اليه عليه السلام ههنا موافق لما اصلناه ومناسب له وذلك انه اشار بالاجواء والارجاء وسكائك الهواء الى سلسلة وجود
الملائكة المسماة بالعقول الفعالة على مراتبها متنازلة وبانشائه لها الى ايجادها وبفتقها وشقها الى وجودها وبالماء
المتلاطم المتراكم الى الكمالات التي وجبت عنه سبحانه وباجرائه فيها الى ان افاضه على كل واحد منها ما استحقه بواسطة ما

قبله

قبله وبالريح العاصف الى الامر الاول الذى اشرنا اليه من القدرة فاما وجه المناسبة بين هذه الامور وبين ما ذكرناه فاما فى التعبير
من العقول بالارجاء والاجواء والسكائك فمن جهة انها قابلة للفيض والكمالات عن مبداها الاول كما ان الارجاء والاجواء
وسكائك الهواء قابلة للماء من ما يخرج عنه من سحاب او ينبوع واما فى تشبيه الفيض بالماء فلانه لما لم يكن بحيث يتوقف صدوره
عن واهبه الاعلى تمام القابل لكون الفاعل تام الفاعلية فى ذاته ولان الماء لما كان به قوام كل حى جسمانى فى عالم الكون كذلك الفيض
الالهى هو مبدا قوامهم كل موجود قالوا ومثل هذا التشبيه جاء فى القران الكريم قال جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس رضى الله عنه
فى قوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها ان المراد بالماء هو العلم وبالاودية قلوب العباد وبانزاله افاضته على القلوب
وبقوله فسالت بقدرها ان لكل قلب منها يصل اليه مقدار ما يستحقه ويقبله قالوا وذلك ان الله سبحانه انزل من سماء الكبرياء
والجلالة والاحسان ماء بيان القران وعلومه على قلوب العباد لان القلوب يستقر فيها انوار علوم القران كما ان الاودية يستقر
فيها المياه النازلة من السماء وكما ان كل وادى فانما يحصل فيه من انوار علم القرآن مياه الامطار ما يليق بسعته وضيقه فكذلك
ههنا كل قلب انما يحصل من انوار علم القرآن ما يليق بذلك القلب من طهارته وخبثه وقوة فهمه وقصر فهمه وتمام التشبيه فى الاية
مذكور فى التفاسير واما فى تشبيه الامر الاول بالريح العاصفة فلان وقوعه لما كان دفعيا غير منسوب الى زمان يتوقف عليه
كان انسب ما يشبه به من الاجسام فى السرعة والنفوذ هو الريح العاصف لكونها اسرع الاجسام حركة ولذلك اكدها بوصف
العصف لتقرير السرعة التامة وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وبوصف الزعزعة والقصف تحقيقا للقوة الغالبة والشدة الشديدة
واما امره لها وتسليطها على شده فلانه لما صورها بصورة الريح ساغ ان يقال انه امرها وهو عبارة عن نسبة ذلك الامر
الى ذاته تعالى النسبة التى تحدثها عقولنا الضعيفة وفايدة الرد والشد ههنا هو ضبط امره سبحانه على وفق حكمته الكمالات
الفايضة عنه على كل مورد مورد بحسب نوعه المستلزم لرده عمن ليس له ذلك كما العين واما قربها الى حده فاشارة الى احاطة
امره سبحانه بما لتلك القوابل من الكمالات الفاضلة واشتماله عليها وقوله الهواء من تحتها فتيق اشارة الى قبول القوابل
المذكورة الماء من فوقها دفيق اشارة الى ما يحمله امر الله من الفيض المذكور ويلقيه على تلك القوابل وكان ذكر بترتيب
عقلى لا زمانى يلحقه فيعقل فيه التراخى واما الريح الثانية فاشار بها عليه السلام الى الامر الثانى ووصفها باعتقام مهبها اشارة
الى تعقل ذلك الامر وايقاعه على وفق الحكمة الالهية او الى عدم المانع لجريان ذلك الامر وبادامة مربها الى افاضة مقادير ذلك
الامر فكانه شبه الفيض الصادر بها الامر المستلزم مدله دايمة باقية واشار بعصف مجراها الى سرعة ذلك الامر كما وصف
به الريح الاولى وبعد منشاها الى عدم اولية مبادئه وبامره لهذا الريح الى نسبة ذلك الامر الى ذاته كما مر وبتصفيق
الماء الزخار واثارة امواج البحار الى نسبة فيضان صور الافلاك وكمالاتها الى امره سبحانه بواسطة تلك الكمالات
العقلية للملائكة وانها غير مستقلة بايجاد شئ بل هى شرايط بعضها لبعض ولغيرها وبالبحار الى تلك الملائكة
وبمخضها له مخض السقاء وعصفها به كعصفها بالفضاء وترديد بعضه على بعض والى قوة امر الله عليها وتصريفها
على حسب علمه بنظام الكل وتقديره الكل فلكل من الكمالات فى ذات كل مبدا من تلك المبادى وقوله حتى عب عبابه
اشارة الى بلوغ كمالات تلك الملائكة الحاصلة لها بالفعل من امر الله الى رتبة ان تعطى بواسطتها الفيض لغيرها وكذلك

قوله ويرمى بالزبد ركاما اشارة الى اعطاء صور الافلاك وكمالاتها بواسطتها ولما كانت صور الافلاك محتاجة في قيامها في الوجود الى الهيولى
كانت نسبتها الى الملائكة المجردة نسبة اخس الى اشرف فبالحرى ان علىها اسم الزبد ولان هذه الصورة حاصلة عن تلك الكمالات العقلية وفايضة
عنها كما ان الزبد منفصل عن الماء ومتكون عنه فتشابها واما دخانه دفعه في هواء منفتق وجو منفهق فاشارة الى الحاق صور الافلاك
بموادها المستعدة او الى تخصيص وجود الافلاك باحيازها ورفعها اليها وقوله فسوى منه سبع سموات اشارة الى كمال الافلاك بما
هي عليه من الوضع والتعديل والترتيب وانما تخصيصه بالسبع فلان الفلكين الباقيين التربية معروفان باسمين اخرين وهما العرش
والكرسي ثم قالوا والى هذا اشار الحكماء السابقون ايضا فان مراد ثاليس الملطي بالعنصر الاول هو المبدع الاول والواسطة في باقي
الموجودات وفيه صورها وعنه تفاض كمالاتها كما ان بالماء قوام كل حي عنصري وبواسطته يكون وكذلك سر ما جاء في التورية
فان المراد بالجوهر المخلوق ابتداء اولى هو المبدع الاول وكونه تعالى نظر اليه نظر الهيبة وذوبان اجزائه اشارة الى صدور الفيض عنه باذن
الله سبحانه وقدرته والزبد الذي تكونت منه الارض والدخان الذي تكونت منه السموات اشارة الى كمالات السموات والارض وصورها
الصادرة عن كمالات عللها صدور البخار والزبد عن الماء وكل منها تجوزات واستعارات يلاحظ في تفاوت حسنها قرب المناسبة
وبعدها الوجه الثاني قالوا يحتمل ان يكون مراده بالريح الاولى هو العقل الاول فانه الحامل للفيض الالهي الى ما بعده وهو المحيط بصور
الموجودات ويؤيد ذلك قوله الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق فان الهواء اشارة الى القوابل بعده بواسطته والماء
اشارة الى الفيض الصادر عن الاول سبحانه فان الدفق لما كان مستلزما للسرعة في حركة الماء وجريانه عبر به عن الفيض الذي لا توقف
فيه وبالريح الثانية عن العقل الثاني فانه هو الواسطة في افاضة انوار الله سبحانه على ما بعده من العقول التي بواسطتها تصدر السموات
السبع ووصف الريحين بالعصف والقصف اشارة الى ما يخص هذين المبدأين من القدرة وامر الريح الثانية بتصفيق الماء
الزخار واثارة موج البحار اشارة الى تحريك العقل الثاني للعقول التي بعده الى افاضة كمالات الافلاك باذن الله تعالى وباقي التاويل
كما في التاويل الاول قوله جعل سفلاهن موجا مكفوفا الى قوله وسقف سائر ورقيم مائر اقول هاهنا ابحاث البحث الاول هذا الكلام يجري
مجرى الشرح والتفسير لقوله فسوى لان التسوية عبارة عن التعديل والوضع والهيئة التي عليها السموات بما فيهن والغرض بهذا التفصيل
تنبيه الاذهان الغافلة عن حكمة الصانع سبحانه في ملكوت السموات وبدايع صنعه وضروب نعمه ليتذكروا نعمة ربهم فيواظبوا على عبادته
وحمده على تمام ذلك الاحسان كما قال تعالى لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فان
كل هذه نعم على العباد وهي وان كان فيها ما يبعد عن الاذهان الضعيفة كونه نعمة على العباد كحركات السموات مثلا فاني احسب كثيرا من
الغافلين يقولون وما فايدة حركة السماء في حقنا لكنه اذا تنبهت اذهانهم لذلك علمت انه لولا تلك الحركة لم يحصل شيء من المركبات
في هذا العالم اصلا فلم يكن العبد في نفسه فضلا عما يجري عليه من النعم الخارجة عنه الا ان تلك الحركة لم يحصل شي منه فقد تستلزم نعمة هي
اقرب الى العبد من غيرها كالاستضاءة بنور الكواكب والاهتداء بها في ظلمات البر والبحر واعدادها الابدان للصحة ونحو ذلك وقد
يستعمل نعما مستعمل وقد تستلزم نعما تستلزم نعما اخرى الى ان تتصل بالعبد كاعدادها الارض مثلا لحصول المركبات التي منها
قوام حياة العبد واعلم ان الله سبحانه ذكر امر السموات في كتابه في مواضع كثيرة ولا شك ان اكثار ذكرها دليل عظم شانها
وعلى ان لله سبحانه فيها اسرارا لا تصل اليها عقول البشر اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله عليه السلام وعلياهن سقفا محفوظا كقوله تعالى

اجعل

وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقوله وحفظناها من كل شيطان مارد وقوله وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها
كقوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها وقوله ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وقوله ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب
كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله فاجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا كقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس
سراجا البحث الثاني في هذا الفصل استعارات الاولى قوله جعل سفلاهن موجا مكفوفا استعار لفظ الموج للسماء لما بينهما من المشابهة
في العلو والارتفاع وما يتوهم من اللون وقال بعض الشارحين اراد انها كانت في الاول موجا ثم عقدها وكفها اي منعها من السقوط
الثانية قوله سقفا محفوظا استعارة لفظ السقف من البيت للسماء في الاصل لما بينهما من المشابهة في الارتفاع والاحاطة ثم كثر ذلك
الاستعمال حتى صار اسما من اسماء السماء ويحتمل ان لا يكون منقولا واراد بقوله محفوظا اي من الشياطين قال ابن عباس رض كانت
الشياطين لا تحجب عن السموات وكانوا يدخلونها ويتخبرون اخبارها فلما ولد عيسى ع منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وآله
منعوا من السموات كلها فما منهم من احد استرق السمع الا رمي بشهاب فذلك معنى قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من
استرق السمع فاتبعه شهاب مبين وسنشير الى سر ذلك ان شاء الله تعالى قوله بغير عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها اقول لما كان مقتضى قدرة
العبد وغايتها اذا تمكن من بناء بيت وانشاء سقف انه لا بد له من اساطين وعمد يقوم عليها ذلك السقف وروابط تشد بعضه
الى بعض وكانت قدرة الحق سبحانه اجل واعلى من الحاجة الى امثال ذلك اراد ان يشير الى عظمته سبحانه وقوة قهره بسلب صفات
المخلوقين عنه وشرايط آثارهم عن قدرته والمعنى ان هذه الاجرام العظيمة بقيت واقفة في الجو العالي ويستحيل ان يكون وقوفها
هناك لذواتها لان الاجسام المتساوية في الجسمية فلو وجب حصول جسم في حيز لوجب حصول كل جسم في ذلك الحيز ولان الاحياز
والخلاء متشابه فلا اختصاص فيه لموضع دون آخر ولا يجوز ان يقال انها معلقة بجسم آخر والا لكان الكلام في وقوف ذلك الجسم في الجو
كالكلام في الاول ويلزم التسلسل فلم يبق الا ان يقال ان وقوفها بقدرة الصانع الحكيم القادر المختار وان قلت قوله تعالى ترونها
يفهم منه ان هناك عمدا ولكنها غير مرئية لنا وذلك ينافي سلبه عليه السلام للعمد مطلقا قلت الجواب عنه من وجوه احدها انه يحتمل
ان يكون قوله ترونها كلاما مستانفا والتقدير بعمد وانتم ترونها كذلك الثاني انه يحتمل ان يكون في الكلام تقديم وتاخير كما نقل
عن الحسن البصري انه قال التقدير ترونها بغير عمد الثالث وهو الالطف ما ذكره الامام فخر الدين ره فقال ان العماد هو ما يعتمد عليه
والسموات معتمدة وقائمة على قدرة الله تعالى فكانت هي العمد التي لا ترى وذلك لا ينافي كلامه عليه السلام الرابع وهو الاحق ما ذكرته وهو انه قد
ثبت في اصول الفقه ان تخصيص الشيء بالحكم لا يدل على ان حكم غيره بخلاف ذلك الحكم فتخصيص العمد المرئية للسموات بالسلب لا يستلزم
ثبوت العمد غير المرئية لها الثالثة الثواقب استعارة في الاصل للشهب عن الاجسام التي تثقب جسما آخر وتنفذ فيه ووجه المشابهة
التي لاجلها سمي الشهاب ثاقبا انه يثقب بنوره الهواء كما يثقب جسم جسما لكنه لكثرة الاستعمال فيه صار اطلاقه عليه حقيقة او قريبا
منها الرابعة قوله سراجا مستطيرا استعاره للشمس ووجه المشابهة ان السراج القوي المستطير لما كان من شانه ان يضيء
ما حوله وينتشر في جميع نواحي البيت ويهتدي بها المتصرف فيه الخامسة قوله رقيم استعارة اصلية للفلك تشبيها له باللوح المرقوم
فيه ثم كثر استعمال هذا اللفظ في الفلك حتى صار اسما من اسمائه البحث الثالث اعلم ان هذه الاستعارات تستلزم ملاحظة
اخرى وهو تشبيه هذا العالم باسره ببيت واحد فالسماء كقبة خضراء نصبت على الارض وجعلت سقفا محفوظا محجوبا عن ان

تصل اليه مردة الشياطين كما تحمى غرف البيت بالسهام والحراب عن مردة اللصوص ثم هو مع غاية علوه وارتفاعه غير محمول بعمد
ولا منظوم بمسمار يشده بل بقدرة صانعه ومبدعه ثم ان تلك القبة متزينة بالكواكب وضيائها الذى هو احسن الزينة واكملها
فلو لم يحصل صور الكواكب فى الفلك لبقى سطحه مظلما فلما خلق الله تعالى هذه الكواكب المشرقة فى سطحه استنار وازدان بذلك النور
والضوء كما قال ابن عباس فى قوله بزينة الكواكب اى بضوئها وانت اذا تاملت هذه الكواكب المشرقة المضيئة فى سطح الفلك وجدتها عند
النظر اليها كجواهر موضوعة فى سطح من زمرد على اوصاف اقتضتها الحكمة او كما قال: وكان اجرام النجوم لوامعا: درر نثرن
على بساط ازرق ثم جعل فى جملتها كوكبين هما اعظم الكواكب جرما واشدها اشراقا واتمها ضياء ومع اشتمالها على تمام
الحسن والزينة جعل احدهما ضياء للنهار والاخر ضياء لليل ثم لم يجعل ذلك السقف ساكنا بل جعله متحركا ليكون اثر صنعه
فيه اظهر وصنع حكمته فيه ابدع ثم لم يجعل ذلك السقف طبقا واحدا بل طباقا اسكن فى كل طبق ملاء من جنوده وخواص ملكه
الذين ضربت بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة فلا يستطيع احد ان ينظر اليهم فضلا عن ان يتشبه بما لكهم
وخالقهم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا هذا هو الحكمة الظاهرة التى ينتبه لها من له ادنى فطنة فيحصل منها عبرة
شاملة لاصناف الخلق بحيث اذا لاحظوا مع جزئى من جزئيات اثار هذه القدرة اى اثر كان استعظم واستحسن من اى ملك
فرض من ملوك الدنيا لم يكن بينهما من المناسبة الا خيال ضعيف فان اى ملك فرض اذا هم بوضع بنيان وبالغ فى تحسينه وتزويق
سقوفه وترصيعها بانواع الجواهر وتزيينه بالاوضاع المعجبة لابناء نوعه وبذل فيه جهده واستفرغ فيه فكره لم يكن غاية الامر
يلحظ مما عمله نسبة ما خيالية بعيدة الى ظاهر هذا الصنع العجيب والترتيب اللطيف هذا مع ما اشتمل عليه من الحكم الخفية والاسرار
الالهية التى تعجز القوى البشرية عن ادراكها فيما لاح منها الى الطف قريحة وتوقد ذهن فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه
ترجعون فانظر ايها المستبصر بعين بصيرتك الى بيتك الذى تبنيه وهذا البيت العظيم وقس سراجك الى سراجه وزينتك الى
زينته ثم لاحظ مع ذلك انه انما خلقه لك ولابناء نوعك ليكون فيه ومنه قوتهم حياتهم ووجودكم وليستدلوا بملكوت ما خلق على
كمال قدرته وحكمته ارجعوا بذلك الى حضرته طاهرين من الرجس متشبهين بسكان سقف هذا البيت وغرفه لا ان
له حاجة اليه فانه الغنى المطلق الذى لا حاجة به الى شىء والعجب من الانسان انه ربما راى خطا حسنا او نقشا على حائط
فلا يزال يتعجب من حسنه وحذق صانعه ثم يرى هذا الصنع العجيب والابداع اللطيف فلا يدهشه عظمة صانعه وقدرته ولا يحيره
جلال مبدعه وحكمته البحث الرابع الشرع والبرهان قد تطابقا على ان ههنا تسع افلاك بعضها فوق بعض فمنها سبع سموات
ثم الكرسى والعرش بعبارة الناموس الالهى ثم اكثرها يشتمل على الكواكب وهى اجرام نورانية مستديرة مصمتة مركوزة فى اجرام
الافلاك فاول الافلاك مما يلينا ليس فيه من الكواكب الا القمر وليس فى الثانى الا عطارد وليس فى الثالث الا الزهرة وليس فى
الرابع الا الشمس وليس فى الخامس الا المريخ وليس فى السادس الا المشترى وليس فى السابع الا زحل وهذه هى المسماة بالكواكب السبعة
السيارة وما سواها من الكواكب فيشتمل عليها الفلك الثامن واما التاسع فخال عن الكواكب وان تلك الحركة دورية وكان كلامه
عليهم مطابقا بحيث ان كل فى فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر اذا عرفت ذلك فاعلم ان الله سبحانه خلق الموجودات كلها على اتم
انحاء الوجود واكمله فجميع ذلك الموجودات من الافلاك ومقاديرها واعدادها وحركاتها المختلفة وهيأتها وهيئة الارض

وما عليها من حيوان ونبات ومعدن ونحوه انما وجد على الوجه الذي وجد عليه لحصول النظام الكلي للعالم ولو كان بخلاف ما عليه لكان شرا
ونافصا فخلق الافلاك والكواكب وما هي عليه من الحركات والاوضاع وجعلها اسبابا لحدوث الحوادث في عالم الكون والفساد بواسطة كيفيات
يحدثها فيها من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة يوجب ذلك امتزاج بعضها الى بعض امتزاجات مختلفة مستعدة لقبول صور مختلفة من
حيوان من حرارة ومعدن واظهر الكواكب اثرا هو الشمس والقمر فان بحركة الشمس اليومية يحصل النهار والليل فالنهار وهو زمان طلوعها يكون
زمان التكسب والطلب للمعاش الذي به يحصل قوام الحياة ويكون سببا الى السعادة الاخروية ثم انها في مدة حركتها اليومية لا تزال تدور فتغشى
جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب وقد اخذت كل جهة من الجهات حظا من الاشراق والاستعداد بدوا ما الليل وهو زمان غروبها فان
فيه هدوء الخلق وقرارهم الذي يحصل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء كما قال تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار مبصرا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ثم كانت الشمس من جهة ضوئها كسراج يرفع لاهل كل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع
عنهم فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه مصلحة هذا العالم واما بحسب حركتها الجنوبية والشمالية فقد جعل سبحانه كذلك سببا
لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء يغور الحرارة والنبات فيتولد منها مواد الثمار ويكثر السحاب والامطار ويقوى ابدان الحيوانات بسبب
احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطبايع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان
للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار وتنحل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيا للبناء والعمارة وفي الخريف يظهر اليبس
والبرد فينتقل فيه الابدان على التدريج الى الشتاء فانه لو وقع الانتقال دفعة لهلكت وفسدت واما القمر فان بحركته تحصل الشهور والاعوام
كما قال سبحانه ولتعلموا عدد السنين والحساب فيتمكن العبد بالحساب من ترتيب معاشه بالزراعة والحراثة واعداد مهمات الشتاء والصيف
وباختلاف حاله في زيادته ونقصانه يختلف احوال الرطوبات في هذا العالم فلو انه سبحانه خلق الافلاك دون الكواكب لكان ان خلقها مظلمة
لم يحصل ما ذكرنا من اختلاف الفصول والحر والبرد فلم يتم في هذا العالم ما كانت اسبابا فيه من الاستعدادات ولم يتميز لنا قصد عن قصد كما قال
تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقوله هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وان خلقها مضية تنشأ بدا اثرها في الامكنة
والازمنة بل خلق فيها الكواكب ولم يخلقها ساكنة والا لافرط اثرها في موضع بعينه فيفسد استعداده ويخلو موضع اخر عن التاثير ولما
تميزت فصول السنة ولما حصل البرد المحتاج اليه والحر المحتاج اليه فلم يتم نشو النبات والحيوان وعلى الجملة فالنظام الكلي لا
يحصل الا بهذا الوجه فهو اكمل انحاء الوجود وكل ذلك يدل على كمال رحمة الله بخلقه وشمول عنايته لهم اذ كان جميع ما ذكرناه من المنافع
الحاصلة في هذا العالم مستندا الى علو تدبيره وكمال حكمته كما قال تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار واتاكم من كل ما
سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار لا يقال السؤال على ما ذكرتم من وجهين احدهما ان الترتيب الذي
ذكرتموه في تخصيص كل فلك ببعض الكواكب يشكل بقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الثاني ان الشهب الثواقب التي جعلت
رجوما للشياطين على ما نطق به القران الكريم اما ان يكون من الكواكب التي زينت بها السماء او لا يكون والاول باطل لان هذه
الشهب تبطل بالانقضاض وتضمحل فكان يلزم من ذلك على مرور الزمان في الكواكب نقصان اعدادها ومعلوم انه لم يوجد ذلك
النقصان البتة والثاني يشكل بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فانه نص على كون الشهب
التي جعلت رجوما للشياطين هي تلك المصابيح والكواكب التي زينت بها السماء لانا نجيب عن الاول لانه لا تنافي بين ظاهر الاية

وبين ما ذكرناه وذلك ان السماء الدنيا لما كانت لا تحجب ضوء الكواكب وكانت اوهام الخلق حاكمة عند النظر الى السماء ومشاهدة
الكواكب بكونها مزينة بها لا جرم صح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل مضيء حصل
في الجو العالي وفي السماء فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على طول الزمان وهي الثوابت ومنها متغيرة وهي هذه
الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين ويصدق عليها انها زينة السماء ايضا بالنسبة الى اوهامنا وبالله التوفيق قوله
ثم فتق ما بين السموات العلى الى قوله ولا يشيرون اليه بالنظائر وفيه ابحاث البحث الاول هذا الفصل ايضا من تمام التفسير لقوله
فسويهن سبع سموات اذ كان ما اشار اليه ههنا من فتق السموات الى طبقاتها واسكان كل طبقة منها ملاء معينا من ملائكته هو من تمام
التسوية والتعديل لعالم السموات فان قلت لم اخر ذكر فتق السموات واسكان الملائكة لها عن ذكر اجراء الشمس والقمر فيها وتزيينها بالكواكب
ومعلوم ان فتقها متقدم على اختصاص بعضها ببعض الكواكب قلت ان اشارته عليه السلم ان تسوية السماء اشارة جملية فكانه قرر اولا
ان الله خلق السموات كرة واحدة كما عليه بعض المفسرين لقوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا ثم ذكر علياهن وسفلاهن لجريانهما مجرى
السطحين الداخل والخارج لتلك الكرة ثم اشار الى بعض كمالاتها وهي الكواكب والشمس والقمر جملة ثم بعد ذلك اراد التفصيل فاراد الى تفصيلها ثم تمييز
بعضها عن بعض بالفتق واسكان كل واحدة منهن ملاء معينا من الملائكة ثم عقب ذلك بتفصيل الملائكة ولا شك ان تقديم الاجمال في
الذكر وتعقيبه بالتفصيل اولى في الفصاحة والبلاغة في الخطابة من العكس اذا عرفت ذلك فنقول قوله عليه السلم ثم فتق ما بين السموات العلى
كقوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وقوله فملأهن اطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون كقوله تعالى
ولله يسجد من في السموات وقوله وله يسجدون ونحوه وقوله صافون لا يتزايلون كقوله تعالى وانا لنحن الصافون والصافات صفا وقوله ومسبحون
لا يسامون كقوله تعالى يسبحون الليل والنهار وقوله ولا فترة الابدان كقوله تعالى لا يفترون وقوله ومنهم امناء على وحيه كقوله تعالى نزل به
الروح الامين على قلبك وقوله والسنة الى رسله كقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا وقوله مختلفون بقضائه وامره كقوله تنزل الملائكة
والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله تعالى تنزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقوله ومنهم الحفظة لعباده كقوله
تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقوله والسدنة لابواب
جنانه كقوله تعالى وقال لهم خزنتها وقوله والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم كقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وقوله باجنحتهم
كقوله تعالى اولى اجنحة البحث الثاني اعلم ان للناس في تفسير قوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اقوالا احدها قال
ابن عباس والضحاك وعطا وقتادة ان السماء والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتحها بها الثالث قال مجاهد والسدي
كانت السموات طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض الرابع قال عكرمة وعطية وابن عباس برواية اخرى عنه ان معنى
كون السماء رتقا انها كانت لا تمطر وكانت الارض رتقا اي لا تنبت نباتا ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات ويؤيد ذلك قوله تعالى
بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شيء حي ونظيره قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وقوله والارض ذات الصدع وقوله تعالى انا صببنا
الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا الخامس الاية قال بعض الفضلاء ان معنى قوله كانتا رتقا اي كانت امورا كلية في علم
الله تعالى وفي اللوح المحفوظ وقوله ففتقناهما اشارة الى تشخصاتهما في الوجود الخارجي وتميز بعضها عن بعض وهذا القول مناسب
للاقوال الثلثة الاول ويصلح تحقيقا لها وجمل الريح التي ذكرها كعب على امر الله تعالى استعارة لما بينهما من المشابهة في الرعد السادس قال

بعضهم

بعضهم ان معنى الرتق في هذه الآية هو انطباق دائرة معدل النهار على فلك البروج ثم ان الفتق بعد ذلك عبارة عن ظهور الميل قالوا وقد يناسب قوله
ابن عباس وعكرمة فانهم قالوا ان معنى كون السماء رتقا انها لا تمطر ومعنى كون الارض رتقا انها لا تنبت كان الفتق والرتق بالمعنى الذي ذكرناه
اشارة الى اسباب ما ذكروه اذ انطباق الدائرتين وهو الرتق يوجب خراب العالم السفلي وعدم المطر والنبات وظهور الميل الذي هو
الفتق يوجب وجود الفصول وظهور المطر والنبات وساير انواع المركبات اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله عليه السلام ثم فتق ما بين السموات
العلى موافق للاقوال الثلثة الاولى مع القول الخامس والتحقيق به اليق واما القول السادس فهو بعيد المناسبة لقوله عليه السلام وبيان ذلك ان قوله
ثم فتق ما بين السموات العلى انما هو في معرض بيان كيفية تخليق العالم الاعلى ولذلك اردفه وعقبه بالفاء في قوله فملاهن اطوارا من ملائكته
والرتق والفتق في هذا القول متاخر عن كمال الاجرام العلوية بما فيها وما يتعلق بها ولا يعقل بعدم ظهور الميل بوجه ما على وجود الملائكة
السماوية واسكانها اطباق السموات وبالله التوفيق البحث الثالث الملائكة على انواع كثيرة ومراتب متفاوتة فالمرتبة الاولى الملائكة المقربون
كما قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الثانية الملائكة الحاملون للعرش كقوله تعالى الذين يحملون العرش وقوله
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية الثالثة الحافون حول العرش كما قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش وقوله ومن حوله الرابعة ملائكة
السموات والكرسي الخامسة ملائكة العناصر السادسة الملائكة الموكلون بالمركبات من المعدن والنبات والحيوان السابعة الملائكة الحفظة
الكرام الكاتبون كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ويدخل فيهم المعقبات المشار اليه بقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن
خلفه يحفظونه من امر الله الثامنة ملائكة الجنة وخزنتها كما قال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم التاسعة ملائكة النار كما قال تعالى عليها
ملائكة غلاظ شداد وقال عليها تسعة عشر وقال وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اذا عرفت ذلك فنقول اتفق الكل على ان الملائكة ليس
عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة تجئ وتذهب كالناس والبهايم بل القول المحصل فيهما قولان الاول هو قول المتكلمين انها اجسام نورانية
الهية خيرة سعيدة قادرة على التصرفات السريعة والافعال الشاقة ذوات عقول وافهام وبعضها عند الله اقرب من البعض واكمل
درجة كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم والقول الثاني قول غيرهم وهي انها ليست باجسام لكن منها ما هو مجرد عن الجسمية
وعن تدبير الاجسام ومنها ما له الامر الاول دون الثاني ومنها من ليس بمجرد بل جسماني حال في الاجسام وقايم بها ولهم في تنزيل المراتب
المذكورة على قولهم تفصيل اما المقربون فاشارة الى الذوات المقدسة عن الجسمية والجهة وعن حاجتها الى القيام بها وعن تدبيرها واما
حملة العرش فالارواح الموكلة بتدبير العرش وقيل هم الثمانية المذكورة في القرآن الكريم ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم رؤساء
الملائكة المدبرين للكرسي والسموات السبع وذلك ان هذه الاجرام لها كالابدان فهي بابدانها اشخاص حاملون للعرش فوقهم واما فقيل صح
الحافون حول العرش هم صفوف واقربهم الى العرش هم الارواح الحاملة للكرسي الموكلة به والمتصرفة فيه واما ملائكة السموات فالارواح
الموكلة بها والمتصرفة فيها بالتحريك والادارة باذن الله عز وجل وكذلك ملائكة العناصر والجبال والبحار والبراري والقفار وساير
المركبات من المعدن والنبات والحيوان المسخر كل منها لفعله المخصوص على اختلاف مراتبها واما الملائكة الحافظون الكرام الكاتبون
فلهم فيها اقوال احدها قال بعضهم ان الله خلق الطبايع المتضادة ومزج بين العناصر المتنافرة حتى استعد ذلك الممتزج بسبب
ذلك الامتزاج لقبول النفس المدبرة والقوى الحسية والمحركة فالمراد بتلك الحفظة التي ارسلها الله تعالى هي تلك النفوس والقوى التي
تحفظ تلك الطبايع المقهورة على امتزاجاتها وهي الضابطة على انفسها اعمالها والمكتوب في الواحها صور ما تفعله لتشهد به على

انفسها يوم القيمة كما قال تعالى قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين وهم المعقبات من بين يدى الانسان
ومن خلفه الحافظون له عن امراته وقيل الحفظة للعباد غير الحفظة على العباد والكاتبين لاعمالهم وسنشير الى ذلك انشاء الله قال بعض القدماء ان
هذه النفوس البشرية والارواح الانسانية مختلفة بجواهرها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول فى البلادة والذكاء والنجوبة والعفة
الحزبية والسولة والشرف والدنائة وغيرها من الهيئات ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية سماوية هو لها كالاب المشفق والسيد
الرحيم يعينها على مهماتها فى يقظتها ومنامها تارة على سبيل الرؤيا واخرى على سبيل الالهامات وهو مبدء لما يحدث فيها من خير
وشر ويعرف تلك المبادى فى مصطلحهم بالطباع التام يعنى ان تلك الارواح الفلكية فى تلك الطبايع والاخلاق تامة كاملة بالنسبة الى هذه
الارواح السفلية وهى الحافظة لها وعليها كما قال تعالى فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة الثالث قول بعضهم ان للنفوس
المتعلقة بهذه الاجساد مشاكلة ومشابهة مع النفوس المفارقة عن الاجساد فيكون لتلك المفارقة ميل الى النفوس التى لم يفارق فيكون لها
تعلق ايضا بوجه ما بهذه الابدان بسبب ما بينها وبين نفوسها من المشابهة والموافقة فتصير معاونة لهذه النفوس على مقتضى طباعها
وشاهدة عليها كما قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد واما ملائكة الجنة فاعلم ان
الجنان المذكورة فى القرآن ثمان وهى جنة النعيم وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة المأوى وجنة عدن ودار السلام ودار
القرار وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ومن وراء الكل عرش الرحمن ذى الجلال والاكرام اذا عرفت ذلك فاعلم ان لهذه
الجنان سكانا وخزانا من الملائكة اما السكان فهم الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وهم الذين يتلقون عباد الله الصالحين المخلصين بالشفقة والبشارة بالجنة وذلك ان الانسان الطايع اذا كملت طاعته
وبلغ النهاية فى الصورة الانسانية واستحق باعماله الصالحة وما اكتسبه من الافعال الزكية صورة ملكية ورتبة سماوية تلقته الملائكة
الطيبون بالرأفة والرحمة وتقبلوه بالروح والريحان وقبلوه كما يقبل القوابل والدايات اولاد الملوك تغاخرا مور الدنيا وطيبات
روايحها من مناديل السندس والاستبرق وبالفرح والسرور مروا به الى الجنة فيعاين من البهجة والسرور ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ويبقى معهم على الدوام الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ويتصل باخوانه المؤمنين فى الدنيا اخباره واحواله
ويتراءى لهم فى منامهم بالبشارة والسعادة وحسن المنقلب واذا كان يوم القيمة الكبرى عرجت به ملائكة الرحمة الى جنان
السرور لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى فى غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
قال بعض حكماء الاسلام ان تلك الملائكة المتلقية له بالروح والريحان هى روحانيات الزهرة والمشترى وكان القايل يقول ان
النفوس الانسانية السعيدة اذا فارقت ابدانها وحملت القوة المتوهمة معها والهيئات المتخيلة التى حصلت من الوعد الكويد
فى دار الدنيا من الجنات والحدايق والانهار والثمار والحور العين والكاس المعين واللؤلؤ والمرجان والولدان والغلمان فانه يفاض عليه
بحسب استعدادها وطهارتها ورجاء ثواب الاخرة صور عقلية فى غاية البهاء والزينة مناسبة لما كانت بتخيله من الامور المذكورة
مناسبة ما ولما كان هذين الكوكبين اثر تام فى اعداد النفوس للتخيلات البهيجة الحسنة وللفرح والسرور كما ينسب فى المشهور الى
روحانيتهما من الافعال الحسنة نسب تلقى الانسان بعد المفارقة بالرأفة والرحمة والشفقة الى روحانيتهما والله اعلم واما
الخزنة للجنان فيشبه هم السكان لها ايضا باعتبار اخر وذلك انه لما كان الخازن هو المتولى لاحوال ابواب الخزنة بفتحها

وتنزيل ضروب الاحسان والنعم على مستحقها وحفظها ومنعها عن غير مستحقها والمسعد بالطاعة لها باذن الله وحكمه لاجرم صدق
انهم خزان الجنان بهذا الاعتبار وهم الذين يدخلون على المؤمنين من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعض الفضلاء
ان العبد اذا راض نفسه حتى استكمل مراتب القوة النظرية ومراتب القوة العملية فانه يسعد بكل مرتبة من تلك المراتب لكمال خاص يفاض
عليه من الله تعالى ويأتيه به الملائكة فيدخلون عليه من كل باب من تلك الابواب بالسلام والتحية والاكرام ثم ان الرضا بقضاء الله من خير وشر باب
عظيم من تلك الابواب فالملك الذي يدخل على الانسان منه برضا الله كما قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه هو رضوان خازن الجنان والله اعلم
وملائكة النار فقال بعض الفضلاء هي تسعة عشر نوعا من الزبانية لا يعصون الله ما امرهم وهم الخمسة الذين ذكرنا انهم يوردون عليه
الاخبار من خارج ورئيسهم والخازنان والحاجب والملك المتصرف بين يديه باذن ربهم وملكا الغضب والشهوة والسبعة الموكلون
بامر الغذاء وذلك انه اذا كان يوم الطامة الكبرى وكان الانسان ممن طغى واثر الحيوة الدنيا حتى كانت الجحيم هي الماوى كانت اولئك
التسعة عشر من الزبانية هم الناقلة له الى الهاوية بسبب ما استكثر من المشتهيات واقترف من السيئات واعرض عن قوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى واعلم وفقك الله ان هؤلاء الذين ذكر القائل انهم ملائكة النار ربما
كانوا ايضا مع انسان آخر من ملائكة الجنة وذلك اذا استخدمهم ذلك الانسان في دار الدنيا على وفق اوامر الله واوقفهم على طاعة الله دون ان يطلب
منهم فوق ما خلقوا لاجله وامروا به من طاعته ويعبر بهم الى معصية الله وارتكاب نواهيه ومحارمه وبالله التوفيق البحث الرابع انه عليه السلام ذكر
من الملائكة انواعا واشار بالسجود والركوع والصف والتسبيح الى تفاوت مراتبهم في العبادة والخضوع وذلك ان الله سبحانه قد خص كلا منهم
بمرتبة معينة من الكمال في العلم والقدرة لا يصل اليها من دونه وكل من كانت نعمة الله عليه اكمل واتم كانت عبادته اعلى وطاعته اوفى ثم السجود
والركوع والصف والتسبيح عبادات متعارفة بين الخلق ومتفاوتة في استلزام كمال الخضوع والخشوع ولا يمكن حملها على ظواهرها
المفهومة منها لان وضع الجبهة على الارض وانحناء الظهر والوقوف في خط واحد وحركة اللسان بالتسبيح امور مبنية على وجود هذه
الآلات التي هي خاصة بعض الحيوانات فبالحري ان يحمل تفاوت المراتب المذكورة لهم على تفاوت كمالاتهم في الخضوع والخشوع لكبرياء
الله وعظمته اطلاقا للفظ الملزوم على لازمه على ان السجود في اللغة هو الانقياد والخضوع اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قوله عليه السلام
منهم سجود اشارة الى مرتبة الملائكة المقربين لان درجتهم اكمل درجات الملائكة فكانت نسبة عبادتهم وخضوعهم الى خضوع من دونهم
كنسبة خضوع السجود الى خضوع الركوع فان قلت انه قد تقدم ان الملائكة المقربين مبرؤون عن تدبير الاجسام والتعلق بها فكيف يستقيم
ان يكونوا من سكان السموات ومن الاطوار المليئة بهم قلت ان علاقة الشيء بالشيء واضافته اليه يكفي فيها ادنى مناسبة بينهما والمناسبة
ههنا حاصلة بين الاجرام السماوية وبين هذا الطور من الملائكة وهي مناسبة العلة للمعلول او الشرط للمشروط فكما جاز ان ينسب
البارئ جل جلاله الى الاختصاص بالعرش والاستواء عليه في لفظ القرآن الكريم مع تنزهه تعالى وتقدسه عن هذا الظاهر ولم يجز في الحكمة
ان يكشف للخلق من عظمة الحق سبحانه اكثر من هذا القدر فكذلك جاز ان ينسب الملائكة المقربون الى الكون في السموات بطريق الاولى وان تنزهوا
عن الاجسام وتدبيرها لان علينا عليه السلام قاصد مقصد الرسول صلى الله عليه وآله وقصد القرآن الكريم وناطق به فليس له ان يفصح بما
ينبو عنه الافهام وبالله التوفيق قوله وركوع نسبة ان يكون اشارة الى حملة العرش اذ كانوا اكمل ممن دونهم فكانت نسبة عبادتهم
الى عبادة من دونهم كنسبة خضوع الركوع الى خضوع الصف قوله وصافون يحتمل ان يكون اشارة الى الملائكة الحافين من حول العرش

قيل انهم يصفون صفوفا لاداء العبادة كما اخبر تعالى عنهم وانا لنحن الصافون وتحقيق ذلك الصفوف ان لكل واحد منهم مرتبة معينة
ودرجة معينة من الكمال بحصة وتلك الدرجات باقية غير متغيرة وذلك نسبة الصفوف ومما يؤيد القول بانهم الحافون حول العرش
ما جاء في الخبر ان حول العرش سبعين الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم
مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم الا وهو يسبح قوله ومسبحون يحتمل ان يكون المراد منهم بعينهم الصافون وغيرهم من الملائكة
والواو العاطفة وان اقتضت المغايرة الا ان المغايرة حاصلة اذ هم من حيث هم صافون غيرهم من حيث هم مسبحون وتعدد هذه
الاعتبار يسوغ تعديد الاقسام بحسبها وعطف بعضها على بعض ويؤيد ذلك الجمع بين كونهم صافين وبين كونهم مسبحين في قوله تعالى وانا
لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ويحتمل ان يريد نوعا او انواعا اخر من ملائكة السموات فاما سلب الركوع عن الساجدين وسلب
الانتصاب عن الراكعين وسلب المزايلة عن الصافين وسلب السام عن المسبحين فاشارة الى كمال مراتبهم المعينة كل بالنسبة الى السجود
والانتصاب نقصان في حركة الراكع بالنسبة الى ركوعه وكذلك التزايل انفصال عن مرتبة الصف ونقص فيها وكذلك السام في التسبيح
نقصان فيه واعراض عن الجهة المقصودة بدوامه فالسام والملال عبارة عن اعراض بالشيء بسبب كلال بعض القوى الطبيعية عن
افعالها وذلك غير متصور في حق الملائكة السماوية واما سلب غشيان النوم عنه في قوله لا يغشاهم نوم العيون فهو ظاهر الصدق وبيانه
ان غشيان النوم لهم مستلزم لصحة النوم عليهم واللازم باطل في حقهم فالملزوم مثله اما الملازمة فظاهرة واما بطلان
اللازم فلان النوم عبارة عن تعطل الحواس الظاهرة عن افعالها لعدم انصباب الروح النفساني او رجوعها بعد الكلال والضعف
والملائكة السماوية منزهون عن هذه الاسباب والالات فوجب ان يكون النوم غير صحيح في حقهم فوجب ان لا يغشاهم واما
سلب سهو العقول وغفلة النسيان فاعلم ان الغفلة عبارة عن عدم التفطن للشيء وعدم عقليته بالفعل وهي اعم من السهو
والنسيان وكالجنس لهما بيان ذلك ان السهو هو الغفلة عن الشيء مع بقاء صورته او معناه في الخيال او الذكر بسبب اشتغال النفس
والتفاتها الى بعض مهماتها واما النسيان فهو الغفلة عنه مع انمحاء صورته او معناه عن احدى الخزانتين بالكلية ولذلك
ان يحتاج الناس للشيء الى تجشم كسب جديد وكلفة في تحصيله ثانيا وبهذا الوجه يظهر الفرق بين الغفلة والسهو
والنسيان واذا عرفت ذلك ظهر ان هذه الامور الثلثة من لواحق القوى الانسانية فوجب ان تكون مسلوبة عن الملائكة
السماوية لسلب معروضاتها عنهم ولما ذكر سهو العقول ونفاه عنهم اردفه بسلب ما هو اعم منه وهو الغفلة لاستلزام سلبها
سلب النسيان وقد كان ذلك كافيا في سلب النسيان الا انه اضاف الغفلة اليه ليتاكد سلبه بسببها واما قوله ولا فترة الابدان
فلان الفترة هي وقوف الاعضاء البدنية عن العمل وقصورها بسبب تحلل الارواح البدنية وضعفها ورجوعها للاستراحة
وكل ذلك من توابع المزاج الحيواني فلا جرم صدق سلبها عنهم قوله ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله مختلفون بقضائه
وامره تشبيه ان يكون هذا القسم داخلا في الاقسام السابقة من الملائكة وانما ذكره ثانيا باعتبار وصف الامانة على
الوحي والرسالة والاختلاف بالامر الى الانبياء عليهم السلام وغيرهم لان من جملة الملائكة المرسلين جبرئيل عليه السلام
وهو من الملائكة المقربين واعلم لما ثبت ان الوحي وساير الافاضات من الله تعالى على عباده انما هو بواسطة الملائكة
كما علمت كيفية ذلك لا جرم صدق ان منهم امناء على وحيه والسنة الى رسله اذ كان الامين هو الحافظ لما كلف بحفظه

على ما هو عليه ليؤديه الى مستحقه وافاضة الوحي النازل بواسطة الملائكة محفوظة نازلة كما هي مبراة عن الخلل المحكم الصادر عن سهو لعدم
معروضات السهو هناك او عن عمد لعدم الداعي اليه ولقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما كونهم السنة الى رسله
فهي استعارة حسنة اذ يقال فلان لسان قوم اي المفصح عن احوالهم والمخاطب عنهم فيطلق عليه اسم اللسان لكونه مفصحا عما في النفس
ولما كانت الملائكة وسايط بين الحق سبحانه وبين رسله في تادية خطابه الكريم اليهم لا جرم حسن استعارة هذا اللفظ لهم لما كان المشابهة
والمراد ههنا بالاختلاف التردد بامر الله وما قضى به مرة بعد اخرى وبالقضاء الامور المقضية اذ يقال هذا قضى الله اي مقضي الله
ولا يراد به المصدر فان معنى ذلك هو سطر ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي وذلك امر قد فرغ منه كما قال صلى الله عليه وآله
جف القلم بما هو كاين فان قلت كيف يصح ان يكون هذا القسم اخلاقي السجود لان من كان ابدا ساجدا كيف يتصور ان يكون مع ذلك
مترددا في الرسالة والنزول والصعود ومختلفا بالاوامر والنواهي الى الرسل عليهم السلام قلت انه بينا انه ليس المراد بسجود الملائكة
هو وضع الجبهة على الارض بالكيفية التي نحن عليها وانما هو عبارة عن كمال عبوديتهم لله تعالى وخضوعهم تحت قهر قدرته وذلتهم
والحاجة تحت ملك وجوب وجوده ومعلوم انه ليس بين السجود بهذا المعنى وبين ترددهم باوامر الله تعالى واختلافهم بقضائه على
وفق مشيته وامره منافاة بل كل ذلك من كمال عبوديتهم وخضوعهم لعزته واعترافهم بكمال عظمته قوله ومنهم الحفظة لعباده فاعلم
ان في هذا القسم مطلوبين احدهما الحفظة والثاني ما المراد منهم ثم الحفظة منهم حفظة للعباد كما قال تعالى له معقبات من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه من امر الله ومنهم حفظة على العباد قال تعالى ويرسل عليكم حفظة والمراد من الاولين حفظة العباد بامر الله تعالى من الافات التي
تعرض لهم ومن الاخرين ضبط الاعمال والاقوال من الطاعات والمعاصي كما قال كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وكقوله ما يلفظ من قول الا
لديه رقيب عتيد قال ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما على يمينه والاخر على يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على يمينه
واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله يتوب منها فان لم يتب كتبت عليه قال المفسرون فايدة ذلك ان المكلف اذا علم
ان الملائكة موكلون به يحصرون عليه اعماله ويكتبونها في صحايف تعرض على رؤس الاشهاد في موقف القيمة كان ذلك ازجر له عن القبايح واعلم
انه يحتمل ان يكون التعدد المذكور في الحفظة تعددا بحسب الذوات ويحتمل ان يكون بحسب الاعتبار قال بعض من زعم ان الحفظة للعباد
هي القوى التي ارسلها الله تعالى من سماء جوده على الابدان البشرية يحتمل ان يكون الحفظة على العباد هي مبادي تلك القوى ويكون معنى
كتبة السيئات والحسنات وضبطها على العباد اما اعتبارات ما يصدر ويتعود عن العبد من السيئات والحسنات في علم تلك المبادي
او يكون معناها كتبة صور الافعال الخيرية والشرية التي المنسوبة الى العبد بقلم الافاضة في لوح نفسه بحسب استعدادها لذلك قال
ويشبه ان يكون اشارة الى ابن عباس رض بانتظار ملك اليسار كاتب السيئات توبة العبد الى انه ما دامت السيئة حالة غير متمكنة
من جوهر نفس العبد فان رحمة الله تعالى تسعه فاذا تاب عليه من تلك السيئة لم يكتب في لوح نفسه وان لم يتب حتى صارت ملكة
راسخة في نفسه كتبت وعذب بها يوم تقوم الساعة قال ويحتمل ان يكون للحفظة على العباد هم باعيانهم من الحفظة لهم فان
النفس تحفظ في جوهرها ما يفعله من خير وشر وتحصيه يوم البعث على نفسها اذا زالت عنها الغواشي البدنية وتجده مصورا
مفصلا لا يغيب عنها منه شيء كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا وكما قال تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وكما قال فاذا بعثر

ما في القبور وحصل ما في الصدور قال واما معنى كونهم من ملائكة السماء فلان اصلهم من ملائكة السماء ثم ارسلوا الى الارض والله اعلم واما السدنة
لابواب جنانه فقد عرفت ما قيل فيهم قوله ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار
اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم فاعلم ان هذه الاوصاف وردت في صفة الملائكة الحاملين للعرش في كثير من الاخبار فيشبه
ان يكونوا هم المقصودون بها هاهنا روى عن ميسرة انه قال ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون
طرفهم هم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من اهل السماء السادسة وهكذا الى السماء الدنيا
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا منهم يقال له
اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله
حتى يصير كانه الوضع والوضع طاير صغير وعن ابن عباس ايضا انه قال لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا
فقال لهم قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوا ذلك استقل عرش ربنا فنفذت اقدامهم في الارض السابعة على متن الثرى
فلم تستقر فكتب في قدم كل ملك منهم اسما من اسمائه فاستقرت اقدامهم ووجه هذا الخبر ان وجود الملائكة وبقاءهم وحولهم وقوتهم
التي بها هم ما هم انما هو من حوله وقوته وهيبته فلو انه سبحانه خلقهم وقال لهم احملوا عرشي ولم يكن لهم استعانة ولا مدد بحول الله وقوته
ومعونته لم ينهضوا لحمل ذرة من ذاته ذوات مبدعاته ومكوناته فضلا عن تدبير العرش الذي هو اعظم الاجرام الموجودة في العالم
اذا عرفت ذلك فنقول اما من قال بان الملائكة اجسام كان حمل صفاتهم المذكورة في هذه الاخبار وفي كلامه عليه السلام على ظاهرها امرا ممكنا
والله تعالى قادر على جميع الممكنات واما من نزههم عن الجسمية فقال ان الله سبحانه لما خلق الملائكة السماوية مسخرين لاجرام السموات مدبرين
لها لما عالم الكون والفساد واسبابا لما يجري فيه كانوا محيطين باذن الله علما بما في السموات والارض فلا جرم كان منهم من يثبت
في تخوم الارض السفلى اقدام ادراكاتهم التي ثبتت واستقرت باسم الله الاعظم وعلمه الاعز الاكرم ونفذت في بواطن الموجودات
خبرا ومرقت من السماء العليا اعناق عقولهم وخرجت من اقطارها اركان قواهم العقلية وقوله المناسبة لقوائم العرش اكتافهم
يريد انهم مشبهون ومناسبون لقوائم العرش في بقائهم وثباتهم عن التزايل من تحته ابدا الى ما شاء الله فان قلت فهل هناك قوائم غير
الحاملين للعرش الذي اشار اليه وتكون هذه الطايفة من الملائكة مناسبة لتلك القوائم ام لا قلت قد جاء في الخبر ان العرش له قوائم
روى عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده عليهم السلام انه قال ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الاخرى خفقان الطير المسرع
ثمانين الف عام قال بعض المحققين ان هناك قوائم ثمانيا قد فوض الله تعالى الى كل ملك من الملائكة الثمانية الحاملين للعرش تدبير قائمة
منها وحملها وكلها اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قد اشار عليه السلام بقوله مناسبة لقوائم العرش اكتافهم الى اثبات قوائم
للعرش واثبات مناسبة اكتاف هؤلاء الملائكة مع تلك القوائم ووجه المناسبة ان الكتف لما كان محل القوة والشدة استعار
عليه السلام هاهنا للقدرة والقوة التي يختص كل ملك من تلك الملائكة وبها يدبر تلك القوائم من العرش ولا شك ان بين كل قائمة من تلك
القوائم وبين كل قدرة من تلك القدرة مناسبة ما لاجلها خص الله سبحانه ذلك الملك بحمل تلك القائمة وذلك معنى قوله المناسبة
لقوائم العرش اكتافهم ويحتمل ان يكون كما استعار لهم لفظ الاقدام استعار ايضا لهم لفظ الاكتاف ثم شبه قيامهم بامر الله في حملهم
للعرش بقيام اساطين التي يبنى عليها الواحد منها عرشه فهم مناسبون ومشابهون لقوائم العرش التي يبنى عليها من غير ان

يكون

يكون هناك تعرض لاثبات قوايم بل ما يشبه القوايم قوله ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم الضمير ان في دونه وتحته
راجعان الى العرش وقد جاء في الخبر عن وهب بن منبه قال ان لكل ملك من حملة العرش ومن حوله اربعة اجنحة اما
جناحان فعلى وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق واما جناحان فيهفوا بهما ليس لهما كلام الا التسبيح والتحميد وكنى عليهم بنكس
ابصارهم عن كمال خشيتهم حسبة لله تعالى واعترافهم بقصور عقولهم عن ادراك ما وراء كمالاتهم المقدرة لهم وضعفها عن قبول ما لا يحتمله
من انوار الله وعظمته المشاهدة في خلق عرشه وما فوقهم من مبدعاته فان شعاع ابصارهم منته واقفة دون حجب عزة الله وعن يزيد
الرقاشي ان لله تعالى ملائكة حول العرش يسمون المخلخلين تجري اعينهم مثل الانهار الى يوم القيمة يميدون كانما تنفضهم الرياح من
خشية الله تعالى فيقول لهم الرب جل جلاله ملائكتي ما الذي يخيفكم فيقولون ربنا لو ان اهل الارض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما
اطلعنا عليه ما ساغوا طعاما ولا شرابا ولا انبسطوا في فرشهم ولخرجوا الى الصحراء يخورون كما يخور الثور واعلم انه لما كان
الجناح من الطاير والانسان عبارة عن محل القوة والقدرة والبطش صح ان يستعار للملائكة على سبيل الكناية عن كمالهم في قدرهم
وقوتهم واليمن بها يطيرون في بيداء جلال الله وعظمته ويصدر بواسطتهم كمالات ما دونهم من مخلوقات الله وصح ان يوصف تلك
الاجنحة بالقلة والكثرة في احادهم ويكون ذلك كناية عن تفاوت مراتبهم وزيادة كمال بعضهم على بعض ولما استعار لفظ الاجنحة استلزم
ذلك ان يكون قد شبههم بالطاير ذي الجناح ثم لما كان الطاير عند قبض جناحه يشبه المتلفع بثوبه والملتحف به وكانت اجنحة الملائكة
التي هي عبارة عن كمالهم في قدرهم وعلومهم مقبوضة قاصرة عن التعلق بمثل مقدورات الله ومبدعاته واقفة دون جلاله وعظمته
في ضعفه لا جرم اشبه ذلك قبض الاجنحة المشبه للمتلفع بالثوب فاستعار عليهم لفظ التلفع ايضا وكناية عن كمال خضوعهم وانبهارهم
تحت سلطان الله وقوته المشاهد في صورة عرشه فان قلت انك بينت ان المراد بالركوع هم حملة العرش ايضا فان من كان اقدامهم
في تخوم الارضين واعناقهم خارجة من السموات السبع ومن الكرسي والعرش كيف يكون مع ذلك راكعا قلت الجواب عنه قد سبق في
قوله ومنهم امناء على وحيه فان الركوع ايضا المقصود منه الخشوع لعز الله وعظمته وذلك غير مناف للاوصاف المذكورة ههنا وبالله
التوفيق وقوله مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة اشارة الى ان الالات البشرية قاصرة عن ادراكهم والوصول
اليهم وذلك لتنزههم عن الجسمية والجهة وقربهم من عزة مبدعهم الاول جل جلاله وبعد القوى الانسانية عن الوقوف على اطوارهم المختلفة
ومتفاوتة واذا كان الحال في الملك العظيم من ملوك الدنيا اذا بلغ في التعزز والتعظم الى حيث لا تراه الا اجلاء خواصه وكان الحال
ايضا في بعض خواصه كذلك كالوزير والحاجب والنديم فانهم لا يصل اليهم كل الناس بل لا يصل اليهم الا من كانت له اليهم وسيلة تامة
وعلاقة قوية وكان منشاء ذلك انما هو عظمة الملك وهيبته وقربهم منه فكان الحايل بينهم وبين غيرهم انما هو حجب عزة الملك
واستار قدرته وقهره فكيف الحال في جبار الجبابرة ومالك الدنيا والاخرة وحال ملائكته المقربين ومن يليهم من حملة العرش الروحانيين
فبالحري ان ينسد عليهم وصول قوايا الضعيفة اليهم وادراكها لمراتبهم الى حجب عزة الله وعظمته لهم وكمال ملكه وتمام قدرته وما
اهلهم له من قوته ومطالعة انوار كبريائه من سلطانه ولا اله الا هو قوله ولا يتوهمون ربهم بالتصوير اشارة الى تنزههم عن الادراكات
الوهمية والخيالية في حق مبدعهم عن سلطانه اذ كان الوهم انما يتعلق بالامور المحسوسة ذات الصور والاحياز والمحال الجسمانية
فالوهم وان ارسل طرفه الى قبلة وجوب الوجود وبالغ في تقليب حدقته فلن يرجع الا بمعنى جزئي يتعلق بمحسوس حتى انه لا يقدر

نفسه ولا يدركها الا ذات مقدار وحجم ولما كان الوهم من خواص المزاج الحيواني لاجرم كان يرى ربه في جهة ويشير اليه متحيزا ذا مقدار
وصورة ولذلك وردت الكتب الالهية والنواميس الشرعية مشحونة بصفات التجسيم كالعين واليد والاصبع والاستواء على العرش ونحو ذلك
خطابا للخلق بما يدركه اوهامهم وتوطينا لهم وايناسا حتى ان الشارع لو اخذ في مبداء الامر يبين لهم ان الصانع الحكيم ليس داخل
العالم ولا خارجه ولا في جهة وليس بجسم ولا عرض لاشتد نفار اكثرهم عن قبول ذلك وعظم انكارهم له فان الوهم في طبيعته لا يثبت موجودا
بهذه الصفة ولا يتصوره ومن شانه ان ينكر ما لا يتصوره فكان منكرا لهذا القسم من الموجودات وللخطابات الشرعية وان وردت
بصفات التجسيم الا ان الالفاظ الموهمة لذلك كانت قابلة للتاويل محتملة له وافية بالمقاصد اذ العامي المغمور في ظلمات الجهل
يحمله على ظاهره ويحصل بذلك تقييده عن تشتت اعتقاده وذو البصيرة المترقي عن تلك الدرجة يحمله على ما يحتمله عقله من التاويل
وكذلك حال من هو اعلى منه والناس في ذلك على مراتب فكان ايرادها حسنا وحكمة **قوله** ولا يجرون عليه صفات المصنوعين **اقول**
اجراء صفات المصنوعين عليه انما يكون بمناسبته ومماثلته مع مصنوعاته ومكوناته ومع ذلك بقياس من الوهم ومحاكاة من
المتخيلة له بصورة المصنوع فكان الوهم يحكم اولا بكون البارى عز سلطانه مثل المصنوعات التى يتعلق ادراكه بها من المتحيزات
وما يقوم بها ويخيله بصورة منها ثم يساعده العقل في مقدمة اخرى وهى ان حكم الشيء حكم مثله فيجرى حينئذ عليه صفات مصنوعاته
التى تمثله بها ولما كانت الملائكة السماوية منزهين عن الوهم والخيال لاجرم وجب تنزههم عن ان يجروا عليه صفات مصنوعاته
سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وكذلك قوله ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر فان الحاكم بحده بالمكان
وتحيزه فيه والمشير اليه بالمثل المتصور له بالقياس الى نظير يشاكله ويشابهه انما هو الوهم والخيال ولما عرفت انهما يختصان
الحيوان العنصري لاجرم كانت هذه الاحكام مسلوبة عن الاحكام السماوية مطلقا وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في كيفية خلق
ادم عليه السلم **قوله** منها في صفة خلق ادم عليه السلم ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت
ولاطها بالبلة حتى لزبت فجبل منها صورة ذات احناء ووصول واعضاء وفصول اجمدها حتى استمسكت واصلدها
حتى صلصلت لوقت معدود واجل معلوم ثم نفخ فيها من روحه فمثلت انسانا ذا اذهان يجيلها وفكر يتصرف بها
وجوارح يختدمها وادوات يقلبها ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والاذواق والمشام والالوان والاجناس معجونا
بطينة الالوان المختلفة والاشباه المؤتلفة والاضداد المتعادية والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود
والمساءة والسرور واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم في الاذعان بالسجود له والخنوع لتكرمته
فقال اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس وقبيله اعترتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة وتعززوا بخلقة النار واستوهنوا
خلق الصلصال فاعطاه الله النظرة استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية وانجازا للعدة فقال انك من المنظرين الى يوم
الوقت المعلوم ثم اسكن سبحانه ادم دارا ارغد فيها عيشته وامن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته فاغتره ابليس
نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار
ندما ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاه كلمة رحمته ووعده المرد الى جنته فاهبطه الى دار البلية وتناسل الذرية
اقول الحزن من الارض ما غلظ واشتد كالجبل والسهل ما لان وعذبها ما طاب منها واستعد بالنبات والزرع والسبخ

والخضوع

ما ملح منها والمسنون الطين الرطب في قول ابن عباس وعن ابن السكيت عن ابي عمرو انه المتغير وقول ابن عباس انسب الى كلام علي عليه السلام
لان قوله وسنّها بالماء حتى لزب اي انه خلطها بالماء حتى صار رطبا يلتصق وصلصلت قال بعضهم الصلصال المنتن من
قولهم صل اللحم واصلّ اذا انتن وقيل هو الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل اذا توهمت
في صوته مدا فهو صليل واذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة ولاطها بالبلة اي خلطها بالرطوبة ومزجها والبلة بالكسر الندى
وبالفتح واحدة البل واللازب اللاصق واصل الباء الميم وجبل اي خلق والاحناء جمع حنو وهي الجوانب والوصول جمع
كثرة للوصل وهي المفاصل وجمع القلة اوصال والاعضاء جمع عضو بالكسر والضم كاليد والرجل للحيوان [illegible] واصلدها اي
جعلها صلدا وهي الصلبة الملساء والذهن في اللغة الفطنة والحفظ وفي الاصطلاح العلمي عبارة عن القوى المدركة من العقل
والحس الباطن والفكر جمع فكرة وهي قوة للنفس بها تحصل الادراكات العقلية ويشبه ان يكون اصل الانسان انس وهو الانيس والاصل
والنون في اصل لحوقها له للتثنية وذلك لان الانسان من نسبي لا يتحقق الا بين شيئين فصاعدا ولما كان كل واحد من الناس يانس
بصاحبه قيل انسان ثم كثر استعماله مبني فاجريت على النون وجوه الاعراب والمساءة الغم والجوارح الاعضاء والاختدام
والاستخدام بمعنى والادوات جمع اداة واصلها الواو ولذلك ردت في الجمع والاستيداء طلب الاداء والخنوع الخضوع واشتقاق
ابليس من الابلاس وهو الياس والبعد لبعده من رحمة الله والحمية الانفة واعترتهم اي غشيتهم والوهن الضعف والنظرة
بفتح النون وكسر الظاء الامهال والسخط الغضب واعتزه اي استغفله ونفست عليه بالامر نفاسة اذا لم تره مستحقا
له والعزيمة الاهتمام بالشيء والجذل السرور والاهباط الانزال اذا عرفت ذلك فنقول للناس في هذه القضية طريقان
الطريق الاول ان جمهور المسلمين من المفسرين والمتكلمين حملوا هذه القصة على ظاهرها ثم ذكروا فيها ابحاثا البحث الاول
ان هذه قد كررها الله سبحانه في كتابه الكريم في سبع سور وهي سورة البقرة والاعراف والحجر وسورة بني اسرائيل والكهف وطه وسورة
ص وذلك لما يشتمل عليه من تذكير الخلق وتنبيههم من مراقد الطبيعة التي جذبهم اليها ابليس والتحذير من فتنته وفتنة
جنوده والجذب الى جناب الله ومطالعة انوار كبريائه كما قال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة
الاية فقوله عليه السلام تربة كقوله تعالى خلقه من تراب وقوله سنّها بالماء كقوله تعالى من حمأ مسنون وقوله لاطها بالبلة حتى لزبت كقوله تعالى
من طين لازب وقوله حتى صلصلت كقوله تعالى من صلصال وقوله ثم نفخ فيه من روحه كقوله فاذا نفخت فيه من روحي وقوله ذا
اذهان يجيلها وفكر يتصرف فيها وجوارح يختدمها كقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وقوله واستادى
الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم كقوله تعالى فقعوا له ساجدين وقوله اسجدوا وقوله الا ابليس كقوله تعالى
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس وقوله اعترتهم الحمية الى قوله وتعززوا بخلقة النار واستوهنوا خلق الصلصال
كقوله تعالى حكاية عن ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله ااسجد لبشر خلقته من صلصال وقوله
واعطاه النظرة قبله حذف تقديره فسال النظرة وذلك قوله انظرني فاعطاه الله النظرة الى يوم الوقت المعلوم
كقوله تعالى فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقوله ثم اسكن سبحانه آدم دارا ارغد فيها عيشه كقوله تعالى
قلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقوله وحذره ابليس وعداوته كقوله تعالى فقلنا

القصه

يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وقوله فاغترّه ابليس لفا سدّ عليه بدار المقام ومرافقة الابرار كقوله فوسوس
اليه الشيطان الآية وقوله فدلّيهما بغرور وقوله فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه كقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما وقوله واستبدل بالجذل
وجلا وبالاغترار ندما كقوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين وقوله ثم بسط الله له في توبته
ولقّاه كلمة رحمته كقوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات الآية وقوله ووعده المردّ الى جنته ذلك الوعد في قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى
فمن تبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فاهبط الى دار البلية كقوله اهبطا منها جميعا
البحث الثاني ان الله تعالى اشار في موضع من كتابه الكريم الى خلق ادم من تراب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقال في
موضع اني خالق بشرا من طين وقال في موضع اخر ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ثم من صلصال قال المتكلمون وانما خلقه
تعالى على هذا الوجه اما لمحض المشية او لما فيه من دلالة الملائكة على كمال قدرته وعجيب صنعته لان خلق الانسان في هذه المراتب اعجب عندهم من خلقه
من جنسهم اذا عرفت ذلك فاعلم ان كلامه عليه السلام هنا يجري مجرى الترتيب والتفسير لهذه الايات فانه اشار اولا الى كونه من تراب بقوله
ثم جمع سبحانه من سهل الارض وحزنها وعذبها وسبخها تربة ويحقق ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ان الله خلق ادم من
قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب
واعلم ان جمهور المفسرين على ان الانسان في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو ابونا آدم عليه السلام ونقل عن محمد بن علي الباقر
عليهما السلام انه قال قد انقضى قبل آدم الذي هو ابونا الف الف آدم او اكثر قال بعض العلماء وهذا لا ينافي حدوث العالم فانه كيف كان لا بد من
الانتهاء الى انسان هو اول الناس فاما ان ذلك الانسان هو ابونا آدم فلا طريق الى اثباته الا من جهة السمع البحث الثالث اجمع المسلمون
على ان سجود الملائكة لادم لم يكن سجود عبادة لان العبادة لغير الله كفر ثم اختلفوا على ثلثة اقوال احدها ان ذلك السجود كان لله وكان ادم
كالقبلة ولا يحسن ان يقال سجد للقبلة بدليل قول حسان بن ثابت: ما كنت احسب ان الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن ابي حسن
اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالايات والسنن: فقوله صلى لقبلتكم نص على المقصود الثاني ان السجود كان لآدم تعظيما له
وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك كما يحيي المسلمون بعضهم بعضا وعن صهيب بن معاذ رضي الله عنه لما قدم
من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وآله فقال له يا ابن معاذ ما هذا فقال رايت اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها ورايت النصارى تسجد لقسيسها
وبطارقتها فقلت ما هذا فقالوا تحية الانبياء فقال صلى الله عليه وآله كذبوا على انبيائهم الثالث ان السجود في اصل اللغة عبارة عن الانقياد
والخضوع كما قال الشاعر: ترى الاكم فيها سجدا للحوافر اي ان تلك الجبال الصغار كانت مذللة لحوافر الخيل ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان
والقول الثاني يقتضي كلامه عليه السلام اذ فسر السجود به فقال والخنوع لتكرمته وبالله التوفيق البحث الرابع اختلفوا في الملائكة الذين امروا
بالسجود لادم فاستعظم بعضهم سجود ملائكة السماء له وقالوا المامورون بذلك هم الملائكة الذين هبطوا مع ابليس الى الارض قالوا
وذلك ان الله تعالى لما خلق السموات والارض وخلق الملائكة اهبط منهم ملأ الى الارض يسمون بالجن راسهم ابليس واسكنهم اياها وكانوا
اخف الملائكة عبادة فاعجب ابليس بنفسه وتداخله الكبر فاطلع الله عز وجل على ما انطوى عليه فقال له ولجنده اني خالق بشرا من
طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقال بعضهم ان المامورين بالسجود لآدم هم كل الملائكة بدليل قوله تعالى
فسجد الملائكة كلهم فاكد جمعهم باكمل وجوه التاكيد البحث الخامس اكثر المتكلمين من المعتزلة على ان ابليس لم يكن من الملائكة وقال جمهور

المفسرين ومنهم ابن عباس انه كان من [illegible] ملائكة الارض الذين اهبطوا قبل آدم حجة الاولين قوله تعالى الا ابليس كان من الجن والجن لم
يكونوا من الملائكة بدليل قوله تعالى للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقولهم الملائكة سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
اكثرهم واكثر من قال انه منهم باستثناء ابليس من الملائكة في غير موضع من القرآن الكريم والاستثناء يخرج من الكلام مالولاه لدخل
وذلك يدل على ان ابليس من الملائكة واجابوا عن حجة الاولين من وجهين احدهما المعارضة بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
وذلك الجعل هو قول قريش الملائكة بنات الله بدليل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فهذه الآية تدل على ان الملائكة
من الجن الثاني ان كون ابليس من الجن لا ينافي كونه من الملائكة لان الملائكة يصدق عليهم اسم الجن لان الجن ماخوذ من الاجتنان وهو
الاستتار ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن امه ومن المجنون لاستتار العقل فيه والملائكة مستترون عن الاعين فوجب اطلاق لفظ
الجن عليهم واعلم ان الخلاف لفظي فانه اذا ثبت ان الملائكة الذين اهبطوا الى الارض قبل آدم هم المسمون بالجن وابليس من الجن ثبت
ان ابليس من الملائكة وليس النزاع في انه من ملائكة الارض او من ملائكة السماء بل في كونه من الملائكة مطلقا فاذن بينهم خلاف في المعنى
البحث السادس اختلفوا في سبب عداوة ابليس لآدم فقال بعضهم انه الحسد وذلك ان ابليس لما راى ما اكرم الله به آدم من استجاد الملائكة
له وتعليمه مالم يطلع عليه الملائكة حسده وعاداه وقال آخرون ان السبب هو تباين اصليهما ولمنافرة الاصلين اثر قوي في منافرة
الفرعين قالوا وتباين اصليهما هو منشاء القياس الفاسد من ابليس حين امر بالسجود وذلك قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فكانه
في خطابه يقول ان آدم جسماني كثيف وانا روحاني لطيف والجسماني ادون حالا من الروحاني والادون كيف يليق ان يكون مسجودا
للاعلى وايضا فان اصل آدم من صلصال من حماء مسنون والصلصال في غاية الدناءة واصلي من اشرف العناصر واذا كان اصلي خيرا من
من اصله وجب ان اكون خيرا منه واشرف والاشرف يقبح ان يؤمر بالسجود للادون فكان ذلك قياسا منه فاول من قاس هو ابليس فاجابه
الله تعالى جوابا على سبيل التنبيه دون التصريح بقوله اخرج منها مذموما مدحورا قال بعض الفضلاء وتقريره ان الذي قاله تعالى نص بحكم
الحكمة الالهية والقدرة الربانية والذي قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان مرجوما ملعونا البحث السابع احتج الاشعرية
على انه خلق الكفر في الكافر من هذه القصة بوجهين احدهما انه تعالى انظر ابليس مع انه يعلم انه انما قصده اغواء بني آدم ولو اهلكه
لاستراحوا وعدم الشر الحاصل منه ومن ذريته الثاني انه قال اغويتني فنسب الاغواء الى الله تعالى مع انه تعالى لم ينكر عليه هذا الاغواء وهذا
صريح في انه تعالى يفعل الاغواء اجابت المعتزلة عن الاول بان الله تعالى خلق آدم وذريته قادرين على دفع ابليس عن انفسهم فهم
الذين اختاروا الكفر والفساد اقصى ما في الباب ان يقال ان الاحتراز عن القبيح حال عدم ابليس اسهل منه حال وجوده الا ان على
هذا التقدير يصير وسوسته سببا لزيادة المشقة في اداء الطاعات فيزداد المكلف بتكلفها ثوابا كما قال عليه السلام افضل الاعمال احمزها
اي اشقها وذلك لا يمنع الحكيم من فعله كما ان انزال الآلام والمشاق وانزال المتشابهات صار سببا لزيادة الشبهات ومع ذلك لم يمتنع
فعلها من الله تعالى وهذا الوجه قريب من قوله عليه السلام استمتاما للبلية وعن الثاني ان المراد من قوله بما اغويتني اي بما خيبتني من رحمتك وقيل
معنى اضافة غوايته الى الله تعالى ان الله تعالى لما امره بالسجود لآدم عصى وغوى فكان الباري هو الاصل في حصول الاغواء له فلذلك
نسبه اليه واحتج ايضا من جوز الخطاء على الانبياء عليهم السلام من هذه القصة لقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى واجاب من اوجب
عصمتهم من حين الولادة بانه لما دل الدليل على وجوب عصمتهم وجب صرف هذا اللفظ ونحوه على ترك الاولى وهو في حقهم سيئة ومعصية وان

كان في حق غيرهم حسنة كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ومن اوجب عصمتهم من حين الرسالة فله ان يحمل هذه المعصية على ما قبل
الرسالة والمسئلة مستقصاة في الكلام البحث الثامن قال القفال اصل التلقي في قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وقوله عليه السلام تلقاه
كلمة رحمة هو التعرض للقادم وضع في موضع الاستقبال للمسيء والجاني ثم وضع موضع القبول والاخذ قال تعالى وانك لتلقى القران من لدن حكيم
عليم اي يلقنه ويقال تلقينا الحاج اي استقبلناهم وتلقيت هذه الكلمة من فلان اي اخذتها منه واذا كان هذا اصل الكلمة وكان من تلقى
رجلا فتلاقيا لقي كل واحد منهما صاحبه واضيف بالاجتماع اليهما معا فصلح ان يشتركا في الوصف بذلك فكل ما تلقيته فقد تلقاك فجاز ان
يقال تلقى ادم من ربه كلمات اي اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول ولقاه الله اياها اي ارسلها اليه وواجهه بها ثم ذكر المفسرون في
تلك الكلمات اقوالا الاول روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه ان ادم عليه السلام قال يا رب الم تخلقني بيدك بلا واسطة قال بلى
قال الم تسكني جنتك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ان تبت واصلحت اتردني الى الجنة قال نعم وهو قوله فتلقى ادم من ربه كلمات
الثاني قال النخعي اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقاها ادم من ربه قال علم الله تعالى آدم وحوا امر الحج والكلمات التي تقال فيه
فحجا فلما فرغا اوحى الله تعالى اليهما قد قبلت توبتكما الثالث قال مجاهد وقتادة في احدى الروايتين عنهما هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الرابع قال سعيد بن جبير انها قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي
انك خير الغافرين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك ارحم الراحمين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت
سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم الخامس قول عايشة لما اراد الله تعالى ان يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا
والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى ركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني
سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسئلك ايمانا تباشر به قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني
بما قسمت لي فاوحى الله تعالى اليه يا ادم قد غفرت لك ذنبك ولن ياتي احد من ذريتك فيدعوني بمثل ما دعوتني به الا غفرت
ذنوبه وكشفت همومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها البحث التاسع في حقيقة التوبة قال الامام الغزالي رحمه الله
التوبة عبارة عن معنى مركب من ثلثة امور مترتبة علم ثم حال ثم ترك اما العلم فان يعلم العبد ضرر الذنوب وكونها حجابا بينه وبين الله
وقيدا يمنعه من دخول الجنة فاذا علم ذلك بيقين غالب على قلبه فان ذلك يوجب له تالما نفسانيا بسبب فوات الخير العظيم المطلوب
لكل عاقل فيسمى تالمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ومطلوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب اوجب له القصد الى امرين احدهما
ترك الذنوب التي كان ملابسا لها اولا والثاني العزم على ترك الذنب المفوت لمطلوبه في المستقبل الى اخر العمر فهذه حقيقتها وينشاء ذلك تلافي
ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر والعلم هو الاصل في هذه الخيرات فان القلب اذا ايقن بان الذنوب كالسموم المهلكة والحجب الحايلة
بينه وبين محبوبه فلا بد ان يتم نور ذلك اليقين فيستعل فيه نيران الندم فيتالم به القلب وحينئذ ينبعث من تلك النار طلب الانتهاض للتدارك
فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلثة   ن مرتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها وربما اطلق
اسم التوبة على الندم وحده وجعل العلم كالباعث والترك كالثمرة المتاخرة وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وآله الندم توبة اذ الندم مستلزم
لعلم اوجبه ولعزم تبعه واما وجوبها فمن وجهين احدهما ان التوبة مرضاة للرحمن مسخطة للشيطان مفتحة لابواب الجنان
معدة لاشراق شموس المعارف الالهية على الواح النفوس مستنزلة للمواهب الربانية من الملك القدوس الثاني الاوامر الواردة بها في

القران الكريم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا والوعد الصادق على فعلها عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من
تحتها الانهار والوعيد الحتم على تركها ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ونحوه مما يدل على وجوبها واما قبولها فمن وجهين
احدهما قوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وقوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب الثانى قال رسول الله صلى الله عليه وآله
افرح بتوبة من العبد المذنب والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وقال صلى الله عليه وآله لو عملتم الخطايا الى السماء ثم ندمتم عليها لتاب الله
عليكم البحث العاشر فيما عساه يبقى من المقاصد المشكلة فى هذه القصة الاول الوديعة والوصية التى اسداها الله سبحانه من الملائكة فى
قوله عليه السلم واستادى الله سبحانه من الملائكة وديعته لديهم اشارة الى قوله تعالى لهم فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فكانه تعالى قد
عهد اليهم بهذا القول واوصاهم بمقتضاه ثم استاداه منهم بما ذكره عليه السلم من قوله تعالى فقلنا اسجدوا لادم الثانى قوله فاغتره ابليس فالاغترار
طلب الغرة من آدم والتماسها منه بالوسوسة التى القاها اليه كما سنبين معنى الوسوسة ان شاء الله الثالث قوله دار المقام هى جنة الخلد
ومرافقة الابرار اشارة الى مصاحبة الملائكة فى مقعد صدق عند مليك مقتدر الرابع قوله فباع اليقين بشكه للشارحين فيه قوال اولها
ان معيشة آدم كانت فى الجنة على حال يعلمها يقينا وما كان يعلم كيف معاشه فى الدنيا اذا انتقل اليها ولا حاله بعد مفارقة الجنة ثم ان ابليس
شككه فى صدق مقالة انى لكما لمن الناصحين فنسى ما كان عنده يقينا مما هو فيه من الخير الدايم وشك فى نصح ابليس فكانه باع اليقين بالشك بمتابعته
وهى استعارة حسنة على سبيل الكناية عن استعاضة آدم الشك عن اليقين الثانى قالوا لما اخبره الله عن عداوة ابليس له تيقن ذلك فلما وسوس له
ابليس شك فى نصحه فكانه باع يقين عداوته بالشك فى ذلك الثالث قول من نزه آدم عليه السلم ان ذلك مثل قديم للعرب لمن عمل عملا لا يغنيه وترك ما
ينبغى له ان يفعله تمثل به امير المؤمنين عليه السلم هيهنا ولم يرد ان آدم عليه السلم شك فى امر الله تعالى الرابع قوله والعزيمة بوهنه قال ابن عباس فى قوله تعالى
ولم نجد له عزما اى لم نجد له حفظا لما امر الله به وقال قتادة صبرا وقال ضحاك صريمة امر وحاصل هذه الاقوال يعود الى انه لم يكن
له قوة على حفظ اوامر الله فكانه باع العزم الذى كان ينبغى له والقوة التى كان ينبغى ان يتحفظ بها عن متابعة ابليس بالضعف
والوهن عن تحمل ما امر الله به الخامس قوله دار البلية هى دار الدنيا اذ كانت دار المحنة والابتلاء بمقاساة ابليس ومجاهدته وسجن الصالحين
كما قال عليه السلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر واعلم ان فى ذكر هذه القصة تحذيرا عن المعاصى وذلك من وجوه احدها ان تصور ما جرى على
آدم بسبب اقدامه على هذه الزلة كان على وجل شديد من المعاصى قال الشاعر، يا ناظرا نورا بعينى راقد، ومشاهد للامر غير مشاهد،
تصل الى الذنوب وترتجى، درك الجنان ونيل فوز العابد، انسيت ان الله اخرج آدما، منها الى الدنيا بذنب واحد، وعن فتح
الموصلى انه قال كنا قوما من اهل الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التى اخرجنا منها وثانيها
التحذير عن الاستكبار والحسد والحرص عن قتادة فى قوله تعالى قال حسد عدو الله ابليس آدم على ما اعطاه الله تعالى من الكرامة فقال انا نار
وهذا طين ثم القى الحرص والحسد فى قلب ابن آدم حتى حمله على ارتكاب المنهى عنه وثالثها انه تعالى بين العداوة الشديدة بين ذرية آدم
وابليس وهذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر وبالله التوفيق الطريق الثانى واعلم ان من الناس من سلط التاويل على هذه القصة
وقيل بيان تاويلها ذكروا مقدمات المقدمة الاولى فى الاشارة الى مقدمات التركيب الخارجى للانسان وكيفية تركيبها قالوا ان العناصر
الاربعة اجسام بسيطة وهى اجزاء اولية لبدن الانسان فمنها اثنان خفيفان وهما النار والهواء واثنان ثقيلان وهما
الارض والماء قالوا والموضع الطبيعى للارض هو وسط الكل وهى باردة يابسة فى طبعها ووجودها فى الكاينات مفيد للاستمساك

والثبات وحفظ الشكل والهيئة والموضع الطبيعي للماء هو ان يكون شاملا للارض وثقله اضافي وطبعه بارد رطب ووجوده في
الكاينات ليسهل الهيئات التي بها تكوينها من التشكل التشكيل والتخطيط والتعديل فان الرطب كما انه سهل الترك للهيئات الشكلية
فانه سهل القبول كما ان اليابس عسر القبول للهيئات الشكلية عسر الترك لها ومهما تخمر اليابس بالرطب استفاد اليابس منه قبول التمديد
والتشكيل سهولة واستفاد الرطب باليابس عن سيلانه والموضع الطبيعي للهواء فوق الماء وتحت النار وخفته اضافية وطبعه
حار رطب ووجوده في الكاينات ليتخلخل ويتلطف ويستقل والموضع الطبيعي للنار فوق الاجرام العنصرية كلها ومكانها
الطبيعي هو مقعر فلك القمر وخفتها مطلقة وطبعها حار يابس ووجودها في الكاينات لتصلح المركبات ويجري فيها الجوهر الهوائي
ولتكسر من برد العنصرين الثقيلين برد هما عن العنصرية الى المزاجية والثقيلان انفع في تكوين الاعضاء ثم قالوا والمزاج
كيفية تحدث من تفاعل الكيفيات المتضادة في هذه العناصر اذا تفاعلت بقواها بعضها في بعض فانكسرت سورة كل واحد
منها بالاخر حتى حدثت عنها كيفية متشابهة في جميعها هي المزاج والقوى الاولية في تلك الاركان اربع الحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة وهي التي يكون عنها المزاجات في الاجسام الكاينة الفاسدة ثم ان واهب الوجود اعطى كل حيوان وكل عضو من المزاج
ما هو اليق به واصلح لافعاله واحواله بحسب احتمال الامكان له واعطى الانسان اعدل الامزجة الممكنة في هذا العالم مع مناسبة
لقواه التي بها يفعل وينفعل واعطى كل عضو ما يليق به من افعاله فجعل بعض الاعضاء احر وبعضها ابرد وبعضها ارطب وبعضها
ايبس وامدها بالاخلاط وهي اجسام رطبة سيالة يستحيل اليها الغذاء اولا وهي منحصرة في اربعة اجناس احدها الدم
وهو افضلها والثاني البلغم والثالث الصفراء والرابع السوداء ثم قسم الاعضاء الى عظام وغضاريف واعصاب واوتاد
وجعل اول الاعضاء المتشابهة الاجسام الاجزاء العظم وخلق صلبا لانه اساس البدن ودعامة الحركات ثم الغضروف
وهو الين من العظم وفايدته ان يحسن به اتصال العظام بالاعضاء اللينة فلا يتاذى اللين بالصلب عند الضغطة
والضربة بل يتوسط بينهما ما يناسب كلا منهما وليحسن به تجاور المفاصل المحاكة فلا تتراض لصلابتها ثم العصب وهي اجسام
تنبت من الدماغ والنخاع بيض لدنة في الانعطاف صلبة في الانفصال وفايدتها ان يتم به الاعضاء للاحساس والحركة
ثم الاوتاد وهي اجسام تنبت من اطراف العضل شبيهة بالعصب تلاقي الاعضاء المتحركة فيجذبها تارة وتبسطها اخرى
بحسب انبساط ~~العضل~~ العضلة وانقباضها ثم الرباطات وهي ايضا اجسام شبيهة بالعصب والحكمة فيها ظاهرة وهو
ارتباط بعض الاعضاء الى بعض واستمساكها وليس لشيء منها حس لئلا يتاذى الى كثرة ما يلزمه من الحركة والحك ثم الشريانات
وهي اجسام نابتة من القلب ممتدة مجوفة طولا عصبانية رباطية الجوهر لها حركات منبسطة ومنقبضة خلقت لترويح
القلب ونفض البخار الدخاني عنه ولتوزيع الروح الى اعضاء البدن ثم الاوردة وهي تشبه الشريانات ونباتها من الكبد
وفايدتها توزيع الدم على اعضاء البدن ثم الاغشية وهي اجسام منتسجة من ليف عصباني غير محسوس رقيقة مستعرضة
تغشي سطوح اجسام اخرى ولها فوايد منها ان يحفظ جملتها على شكلها وهيئتها ومنها ان تعلقها على اعضاء اخرى
وتربطها بها بواسطة العصب ومنها ان يكون للاعضاء العديمة الحس في جواهرها سطح حساس بالذات لما تلاقيه
وبالعرض لما يحدث في الجسم الملفوف فيه كالرية والطحال والكبد والكليتين فانها لا تحس بجواهرها وانما تحس بالامور

الصادمة

المصادمة لها الاغشية التي عليها بالذات ويحس ايضا بالعرض ما يحدث فيها مثلا الريح للتمدد الذي يحدث فيها ثم اللحم وهو
حشو خلل تلك وضع الاعضاء في البدن فصار البدن مشتملا على ثلثة ضروب من الاعضاء احدها الالات الغذاء وهي المعدة
والكبد وجداولها كالعروق والطرق اليها كالفم والمري وعنها كالمعا والثاني الالات الحرارة الغريزية وحفظها وهي القلب
والراس والرية والصدر وساير الالات النفس والثالث الالات الحس والحركة والافعال العقلية وهي الدماغ والنخاع
والعصب والعضل والاوتاد ونحوها مما يحتاج اليه في المعاونة على تمام فعل العقل ثم لما كان من ضرورة البدن ان يقع
فيه افعال مختلفة وجب في الحكمة ان يكون هناك استعداد لقوى متعددة هي مبادي تلك الافعال احدها النفس الطبيعية
ويخصها قوى منها مخدومة ومنها خادمة اما المخدومة فجنسان احدهما يتصرف في الغذاء ويحته نوعان احدهما
القوة المسماة بالغاذية وغايتها ان تغذو الشخص مدة بقائه باحالة الغذاء الى مشابهة المغتذي ليخلف بدل
ما يتحلل والثاني القوة المسماة بالغادية وغايتها ان تزيد في اقطار البدن على التناسب الطبيعي الى تمام نشوه والجنس
الثاني يتصرف في الغذاء لبقاء النوع ويحته نوعان احدهما القوة المسماة بالصورة وهي التي تفيد المني بعد استحالته في الرحم
الصور والقوى والاعراض الحاصلة للنوع الذي انفصل وعنه المني واما الخادمة الصرفة في القوى الطبيعية فهي خوادم
القوة الغاذية وهي اربع احدها الجاذبة وخلقت لتجذب النافع الى محالها وهي موجودة في المعدة والمري والكبد والرحم
وساير الاعضاء والثاني الماسكة وخلقت لتمسك النافع ريثما يتصرف فيه القوى المغيرة والمحيلة الثالث الهاضمة وهي التي تحيل ما
امسكته الماسكة الى قوام مهيا لفعل القوة المغيرة فيه والى مزاج صالح للاستحالة الى الغذائية بالفعل الرابع الدافعة وهي
تدفع الفاضل من الغذاء الذي لا يصلح للاغتذاء او بفضل عن الكافي ويستغني عنه بعد الفراغ من استعماله كالبول ولهذه الاربع
ايضا خوادم اربع اعني الكيفيات الاربع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة على تفصيل يعلم من مظانه الثاني النفس
الحيوانية ويختص بها قوتان محركة ومدركة والمحركة اما باعثة على فاعلة والباعثة هي القوة النزوعية المذعنة لمدركات كالوهم
والخيال او النفس فيحمل الادراك لها على البعث الى طلب وهرب بحسب السوانح ولها شعبتان شهوانية وهي الباعثة على التحريك الى
جانب اشياء ضرورية او نافعة نفعا ما طلبا للذة وغضبية وهي الحاملة على دفع وهرب عما لا يلايم طلبا للغلبة وتخدمها
القوة المسماة بالقدرة وهي قوة تنبعث في الاعصاب والعضل من شانها ان تشنج العضلات بجذب الاوتار والرباطات
وارخائها والقوى المدركة قسمان ظاهرة وباطنة اما الظاهرة فالحواس الخمس احدها اللمس وهو قوة منبثة في جلد البدن كله
تدرك ما تماسه وتؤثر فيه بالمضادة كالكيفيات الاربع وغيرها وثانيها الذوق وهي قوة مرتبة في العصب المفروش على سطح اللسان
بها يدرك الطعوم من الاجرام المماسة المخالطة للرطوبة العذبة التي في الفم وثالثها الشم وهي قوة مرتبة في زايدتي مقدم
الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي بها يدرك الروايح بتوسط الهواء المنفصل عن ذي الرايحة ورابعها السمع وهي قوة في العصب
المفروش في باطن الصماخ وهي تدرك الاصوات والحروف بواسطة الهواء وخامسها البصر وهي قوة مرتبة في العصبتين
المجوفتين يدرك ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من الصور بتوسط جرم شفاف واما الباطنة من القوى فهي ايضا خمس وهي اما مدركة
فقط اما للصورة الجزئية وهي القوة المسماة حسا مشتركا المرتبة في التجويف الاول من الدماغ عندها يجتمع صور المحسوسات ثم

القوة المسماة خيالا وهي خزانة للحس المشترك مودعة في اخر التجويف المقدم من الدماغ يجتمع فيها مثل المحسوسات ويبقى فيها بعد الغيبة
عن الحواس واما مدركة للمعاني الجزئية وهي اما الوهم وهي قوة مرتبة في التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعاني الجزئية الغير
المحسوسة الموجودة في المحسوسات كادراك الشاة معنى في الذئب يوجب لها الهرب واما الحافظة وهي قوة مرتبة في التجويف
الاخير من الدماغ يحفظ الاحكام الجزئية المدركة للوهم وهي خزانة واما مدركة ومتصرفة وهي المسماة متخيلة باعتبار
استعمال الوهم لها ومفكرة باعتبار استعمال العقل لها ومحلها مقدم البطن الاوسط من الدماغ من شانها التركيب والتفصيل
لبعض الصور ببعض وعن بعض وكذا المعاني بالصور وهي المحاكية للمدركات والهيئات المزاجية والحكمة الالهية اقتضت ان تكون
متوسطة بين مقتنص الصور الجسمانية والمعاني الروحانية متصرفة في جوانبهما بالحكم والاسترجاع للامثال المنمحية من الجانبين ثم
ان لكل واحد من هذه الالات روح تختص به وهو جرم حار لطيف متكون عن لطافة الاخلاط على نسبة محدودة وهو حامل
للقوى المدركة وغيرها الثالث النفس الناطقة ونسبتها الى هذا البدن نسبة الملك الى المدينة والبدن وجميع اجزائه وقواه المذكورة
الالات لها وربما القاجوهر مجرد يتعلق بالابدان تعلق المدبر وهي المشار اليها بقوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من
امر ربي وبقوله عليه السلام الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ولهذا الجوهر قوتان يختص بهما
نظرية وعملية وقد سبقت الاشارة اليهما في مقدمة الكتاب وتحقيق الكلام في هذا الجوهر والبرهان على وجوده وتجرده وكمالاته
من العلوم والاخلاق مستقصى في مظانه وبالله التوفيق المقدمة الثانية قد علمت ان الملك عندهم اسم مشترك يقع على حقائق مختلفة
فاما لفظ الجن فهو وان صدق في اصل اللغة على كل الملائكة لكونه ماخوذا من الاجتنان وهو الاستتار وكون الملائكة
مستترين عن الاعين فانهم يخصصون في عرفهم هذا اللفظ بالارواح التي تخص عالم العناصر فتارة يطلقون عليها انها ملائكة
باعتبار كونهم مرسلين من عند الله فاعلين لما امر الله جارين على نظام العقل وتارة يطلقون عليها انها جن باعتبار الاجتنان
وهم جن مسلمون باعتبار موافقة العقل والتصرف على وفق مصلحة العالم ونظامه وكفار وشياطين باعتبار مخالفتها لذلك
فاما صدق اسم الجن على النفوس الناطقة الانسانية فقد يعتبر من جهة اخرى وهي كونها عالمة ترى بنور العلم من حيث لا ترى
فهي محتجبة مجوبة عن ابصار الجاهلين ثم هي اما ان تكون عالمة او جاهلة وعلى التقديرين فاما ان تكون موافقة لظواهر الشريعة
منقادة لها متمسكة بها اوليس كذلك فهذه اقسام اربعة اولها النفوس العالمة العاملة بمقتضى الشريعة وهذه الطايفة هم الجن
المسلمون والمومنون قالوا وهم الذين امر الله تعالى نبيه بالاخبار عنهم في قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا
عجبا يهدي الى الرشد فامنا به الى اخر الايات قالوا ومما يبين ذلك ان السماء التي اخبر الجن عنها انهم التمسوها هي سماء الحكمة وهي الشريعة
التي سترت فيها قالوا ولمسهم لها عبارة عن اعتبارهم امر الشريعة في مبدا ظهورها هل يصح لهم معها اظهار الحكمة ويمكنهم اخذها
واعطاوها بالتعلم والتعليم كما كان يفعل قبل ذلك ام لا وقولهم فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اشارة الى حفظة
الشريعة وهم علماء الشريعة والملوك الصالحون الملازمون لناموس الشريعة وقوانينها وقولهم وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
اشارة الى انهم كانوا قبل ظهور الشرايع يتدارسون الحكمة ويتعلمونها ولم يكن عليهم انكار وقولهم فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اشارة
الى ان المظهر للحكمة بعد وجود الشريعة التارك لظهور ما جاءت به الانبياء يجد من حرسة الدين وحفظتها شهابا يحرقه ويوذيه

وثانيهما

وثانيها النفوس العالمة المخالفة شريعة والنواميس الالهية المتابعة لقواها في مقتضى طباعها وهؤلاء هم من شياطين ومردتها وثالثها النفوس الجاهلة الا انها متمسكة بظاهر الشريعة منقادة لها وهؤلاء هم المسلمون من الانس ورابعها النفوس الجاهلة التاركة للشريعة والعمل بها التابعة لمقتضى الطبيعة وهؤلاء هم شياطين الانس قالوا وبهذا البيان لا يبقى بين قول الله سبحانه الا ابليس كان من الجن وبين استثنائه من الملائكة المقتضي لدخوله فيهم وكونه منهم فرق بل هو من الملائكة باعتبار ومن الجن باعتبار والشيطان قد يكون ملكا في اصله ثم ينتقل الى الشيطانية بارتفسوقه عن امر ربه وكذلك الجني والله اعلم المقدمة الثالثة قالوا كل ما يتوالد فلا يستحيل في اصله ان يكون متولدا ثم ضربوا لذلك امثلة فقالوا ان العقرب متولد من الباذروج ولباب الخبز والنحل من العجل المحرق المنكسر عظامه والفار من المدر والطين ونحو ذلك ثم يتوالد عن هذا المتولد اشخاص اخرى ويبقى نوعه متوالدا فلا مانع اذن ان يكون الانسان في اول خلقه كذلك فيحدث شخص من نوعه ويكون من التراب ثم يحصل ما بعده من نوعه عنه بالتوالد اذا عرفت ذلك فاعلم ان لفظ ادم اذا اطلق في عباراتهم فتارة يراد به امر جزئي وتارة يراد به امر كلي اما الجزئي فيراد به اول شخص يكون من هذا النوع وعلى ذلك يحملون قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ويحملون قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة وما في معناه على ما يتوالد منه وقد يراد به اول شخص استخلف في الارض وامر بنشر الحكمة في ناموس الشريعة واما الكلي فتارة يراد بادم مطلق نوع الانسان وعلى ذلك قوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي وقد يراد به صنف الانبياء والدعاة الى الله كما نقل عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله كل نبي فهو ادم ومنه قوله صلى الله عليه انا وانت يا علي ابوا هذه الامة ويمكن ان يكون قول الباقر محمد بن علي عليهما السلم قد انقضى قبل ادم الذي هو ابونا الف الف ادم واكثر هذا المعنى اذا ثبت هذا فنقول ان لكل ادم بالمعاني المذكورة ملائكة تخصه وهي مامورة بالسجود له وابليس في مقابلته ومعارضته اما ادم بالمعنى الاول والثاني فملائكته المامورون بالسجود له هي قواه البدنية ونفوس اهل زمانه المامورين باتباعه المستمعين لقوله وساير القوى في اقطار هذا العالم فانها باسرها ملائكة مامورة بالخضوع له والسعي في مهماته وحوايجه بين يديه والمعاونة له على مراده واما ابليس المعارض له القوة الوهمية منها المعارضة لمقتضى عقله العملي الساعية في الارض فسادا والنفوس المتمردة عن قبول الحق والاستماع لقوله الخارجة عن طاعته وهم شياطين الانس والجن الذي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وكذلك ملائكة ادم وابليس ادم الذي هو صنف الانبياء والدعاة الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة واما آدم الذي هو نوع الانسان فكل الملائكة الذين ذكرناهم في هذا العالم هم المامورون بالسجود له وابليس كل شخص من هذا النوع هو وهمه المعارض لعقله وجنوده ما تحته من القوى الشهوية والغضبية وغيرهما اذا عرفت هذه المقدمات فلنرجع الى المتن فنقول الاولى ان يحمل ادم فيما ذكره عليه السلم ههنا في هذه القصة على مطلق النوع الانساني فقوله ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة مزجها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت اشارة الى اصل امتزاج العناصر وانما خص هذين العنصرين وهما الارض والماء دون الباقيين لانهما الاصل في تكون الاعضاء المشاهدة التي يدور عليها صورة الانسان المحسوسة وقوله حتى خلصت لزبت الى بلوغها في الاستعداد الغاية التي معها يفاض صورة ما يكون وقوله فجبل منها صورة ذات احناء ووصول واعضاء وفصول اشارة الى خلق الصورة الانسانية وافاضتها بكمال اعضائها

ومفاصلها وما يقوم به صورة وقوله منها الضمير راجع الى التربة ويفهم من ظاهر اللفظ ان الصورة الانسانية هي المفاضة على كمال استعداد التربة من غير واسطة انفعالات اخر في اطوار الخلقة وانما يتم ذلك اذا حملنا ادم على اول شخص يكون من هذا النوع فاما اذا حملناه على مطلق النوع كان المراد انه جبل منها الصورة الانسانية بوسايط من صور تردّدت في اطوار الخلقة كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالصورة الانسانية جبلت من النطفة المتولدة من فضل الهضم الرابع المتولد من الاغذية وهي اما حيوانية او نباتية والحيوانية ينتهي الى النباتية والنباتية انما تتولد من صفو الارض والماء وهي التربة المستعدة للانبات وليس في ذلك مخالفة للظاهر فان تلك التربة بعد ان توارد[ت] عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت منيا فصدق عليها ان الصورة الانسانية جبلت منها
وقوله اجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصلت الضمير في الجملتين راجع الى الصورة وما يتعلق بها من الاعضاء فالاجماد لغاية الاستمساك راجع الى بعضها كاللحم والاعصاب والعروق واشباهها والاصلاد لغاية راجع الى بعض اخر كالعظام والاسنان واسناد ذلك الى المدبر الحكيم سبحانه لان علة الاولى وان كان هناك لهذه الاثار اسباب قريبة طبيعية كالحار الغريزي فانه المستعد لتحريك المواد ويتبعه البرد ليسكنه عن الكلالات من التخلق وكالرطوبة فانها هي التي تتخلق وتتشكل ويتبعها اليبوسة لحفظ الاشكال وافادة التماسك
وقوله لوقت معدود واجل [illegible] معلوم يحتمل ان يراد به ان لكل مرتبة من مراتب تركيب بدن الانسان وانتقاله في ادوار الخلقة وقتا معدودا يقع فيه واجلا معلوما يتم به ويحتمل ان يراد بالوقت المعدود والاجل المعلوم الوقت الذي يعلم الله سبحانه انحلال هذا التركيب كما قال تعالى وما نوخره الا لاجل [illegible] معدود وقوله ثم نفخ فيها من روحه افرد الضمير المونث الراجع الى الصورة وقد علمت ان هذه الاشارة جارية في القران الكريم في قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي والمراد بالتسوية افاضة تمام اعداد البدن وتهيئته لقبول النفس والمراد بالنفخ ههنا افاضة النفس عليه عند كمال ذلك الاستعداد واستعمال النفخ ههنا استعارة حسنة فان النفخ له صورة وهو اخراج الهواء من فم النافخ الى المنفوخ فيه ليشتعل فيه النار ولما كانت حقيقة النفخ ممتنعة في حق الله تعالى وجب العدول الى حمل لفظه على ما يشبهه ولما كان استعمال نور النفس في فتيلة البدن عن الجود الالهي المعطي لكل قابل ما يستحقه يشبه بحسب محاكاة خيالنا الضعيف ما نشاهد من اشتعال النار في المحل القابل لها عن صورة النفخ لا جرم حسن التعبير والتجوز بلفظ النفخ عن افاضة الجود الالهي للنفس على البدن لمكان المشابهة المتخيلة وان كان الامر اجل مما عندنا واعلى واما نسبة الروح الى الله تعالى فاعلم ان الروح يحتمل ان يراد به احد ثلثة معان الاول جبريل عليه السلام وهو روح الله الامين ونسبته اليه ظاهرة واما نسبة النفخ الى الله حينئذ فلكونه العلة الاولى وجبريل واسطة جعله الله تعالى مبدءا في هذا اللفظ لنفخ النفس في صورة ادم منه الثاني جود الله ونعمه وفيضه الصادر على ادم وغيره وانما كان ذلك روحا لانه مبدء كل حيوة فهو الروح الكلية التي بها قوام كل وجود ونسبته اليه ظاهره ويكون من ههنا للتبعيض الثالث ان يراد بالروح النفس الانسانية ويكون من زايدة وانما نسب اليه دون ساير مصنوعاته اللطيفة لما علمت ان الروح منزه عن الجهة والمكان وفي قوته العلم بجميع الاشياء والاطلاع عليها وهذه مضاهاة ومناسبة بوجه ما مع العلة ليست حاصلة لما عدا هذا الجوهر مما هو جسم او جسماني فلذلك شرفها باضافتها اليه وقوله فمثلت انسانا اشارة الى الصورة المجبولة وفيه لطيفة وهي انها انما كانت انسانا بنفخ الروح فيها ولذلك رتب صيرورتها انسانا بالفاء على نفخ الروح فيها وقوله ذا اذهان يجيلها اشارة الى ما للانسان من القوى الباطنة المدركة والمتصرفة ومعنى اجالتها تحريكها وبعثها في انتزاع الصور الجزئية كالحس المشترك او المعاني الجزئية كالوهم وقوله

ولكن يتصرف بها اشارة الى القوى المفكرة في احاد النوع الانساني وتصريفها في تفتيش الخزائن وتركيب بعض مودعاتها ببعض وتحليلها وقوله
وجوارح يخدمها اشارة الى عامة الاعضاء التي بيّنّا انها كلها خادم للنفس والادوات التي يقلبها من تلك تشبه ان تختص بالايدي كقوله تعالى
فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها ويمكن ان يكون اعم من ذلك كالبصر والقلب كقوله عليه السلم يا مقلب القلوب والابصار فيصدق عليها اسم التقليب وقوله
ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل اشارة الى استعداد النفس لدرك المعقولات الثانية المسمى عقلا بالملكة بحسب ما يحصل من المعارف الاولى اعني
البديهيات فان الحق والباطل امور كلية وليس للقوى البدنية في ادراك الامور الكلية حظ ويحتمل ان يشير بالمعرفة الى القوة الاستعدادية
الاولى للانسان المسماة عقلا هيولانيا وقوله والاذواق والمشام والالوان والاجناس نبه ههنا على ثلثة امور احدها ان للانسان آلة
بها يدرك المذوقات واخرى بها يدرك المشمومات واخرى لها يدرك الالوان وقد بيّنّا ذلك الثاني نبه على ان النفس مدركة للجزئيات بواسطة
هذه القوى اذ عدّها في سوق ما يتصرف فيه النفس وتوقف بينه وبين غيره الثالث انه اخر قوله والاجناس بينها على ان النفس تنتزع
الامور الكلية من تصفح الجزئيات فان الاجناس امور كلية والنفس تعمد ادراك الجزئيات وتصفحها تنبيه لمشاركات بينها ومباينات
فتنزع منها تصورات كلية وتصديقات كلية وكانه عنى بالاجناس ههنا الامور الكلية مطلقا لا بعضها كما هو في الاصطلاح
العلمي وقوله معجونا بطينة الالوان المختلفة النصب على الحال من قوله انسانا او الصفة له والمراد الان اختلاف الابدان النوع بعضها
مع بعض بالالوان بسبب قوة استعدادها لذلك كما قال صلى الله عليه وآله فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود كما سبق وطينة الالوان
اصلها وبجنسها مزجه بها وتهيئة واعداده لقبولها على اختلاف وكذلك الحال في البدن الواحد فانه ليس لجملة اجزائه لون واحد
فان امتزاج بعض الاعضاء يقتضي ان يكون ابيض كالعظام والاسنان وبعضها احمر كالدم وبعضها اسود كالحدقة والشعر
وكذلك اختلاف الاشخاص في الصفات المكنى بها عن الاختلاف الوارد في تمام الخبر من قوله والسهل والحزن والخبيث والطيب يرجع
الى ان الارض لما كانت اكثر العناصر شركة في هذه الابدان كان لاختلاف بقاعها اثر تام في تفاوت الامتزاج لقبول الاخلاف
بالسهولة والحزونة والخبيث بالطيب وقوله والاشباه المؤتلفة والاضداد المتعادية والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود
والمساءة والسرور اما الاشباه المؤتلفة فكالعظام والاسنان واشباهها فانها اجسام متشابهة ايتلف بعضها مع بعض وبها قامت
الصورة البدنية وامتزجت بطينتها واما الاضداد المتعادية فكالكيفيات الاربع التي ذكرها عليه السلم وهي الحرارة والبرودة والرطوبة
التي هي البلة واليبس الذي هو الجمود وعبر عنه بلازمه وهو الجمود على ان الجمود في اللغة هو اليبس ايضا واما الاخلاط المتباينة فهي الاخلاط
الاربعة كما عرفت من الدم والبلغم والصفراء والسوداء واما المساءة والسرور فهما من الكيفيات النفسانية وماهية كل منهما ظاهرة
اما اسبابها فاعلم ان للسرور سببا جسمانيا معدا وهو كون حامله الذي هو الروح النفساني على كمال احواله في الكمية كان زيادة الجوهر في الكم
يوجب زيادة القوة في الكيفية وهو ان يكون معتدلا في اللطافة والغلظ وان يكون شديد الصفا واما السبب الفاعلي له فالاصل فيه
تخيل الكمال كالعلم والقدرة والاحساس بالمحسوسات الملايمة والتمكن من تحصيل المراد والقهر والاستيلاء على الغير والخروج عن المولم وتذكر
الملذات واما اسباب الغم فمقابلات هذه اما السبب المعد الجسماني فهو اما قلة الروح كما للناقهين والمنهوكين بالامراض والمشايخ واما
غلظة فكما للسوداويين واما رقته فكما للنساء واما الفاعلي فمقابل اسباب السرور وقد يستند كل منهما بعد الاسباب المذكورة بتكرره
فيصير السرور والغم ملكة ويسمى صاحبه مزاحا او محزانا ومقصوده عليه السلم التنبيه على ان طبيعة الانسان فيها قوة قبول واستعداد

لهذه الكيفيات وامثالها وتلك القوة هي المراد بطينة المسأة والسرور والفرق بينها وبين الاستعداد ان القوة تكون على الضدين والاستعداد
لا يكون الا لاحدهما قوله واستادى الله سبحانه وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم الى قوله الا ابليس قوله لما كان الذى يشير اليه كل انسان بقوله انا هو
النفس الناطقة كان آدم عندهم عبارة عن النفس الناطقة ثم قالوا المراد بالملائكة الذين امروا بالسجود لآدم هي القوى البدنية التي امرت
بالخضوع والخشوع لتكرمة النفس العاقلة والانقياد تحت حكمها وهو الامر الذى لاجله خلقوا اما عهد الله لديهم ووصيته اليهم فهو المشار
اليه بقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين والخطاب ههنا خطاب الحكمة
الالهية بالقضاء الازلى قبل الوجود والاستيداع لذلك العهد وتلك الوصية هو طلب المامور به اولا في الانقياد والخضوع من تلك القوى بعد الوجود
على السنة الرسل عليهم السلام بالوحى المنزل وهو قوله فاسجدوا لآدم قوله فسجدوا اشارة الى القوى المطيعة لنفوسها العاقلة في اشخاص عباد
الله الصالحين وقوله الا ابليس وقبيله اشارة الى الوهم وساير القوى التابعة له في معارضة العقل في اشخاص الكفار والفاسقين
عن اوامر الله سبحانه وقد عرفت ان الوهم رئيس القوى البدنية فهى اذن عند معارضة العقل ومتابعتها له جنود ابليس وقبيله واما
قوله اعترتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة وتعززوا بخلق النار واستوهنوا خلق الصلصال فقالوا ان المراد بكون ابليس وقبيله خلقوا من نار ان
الارواح الحاملة لهذه القوى كما عرفت اجسام لطيفة تتكون عن لطافة الاخلاط وهي حارة جدا مايلة الى الافراط والنارية والهوائية
عليها اغلب تولدها عنهما اسهل وهى اجزاء اجزاء البدن وكذلك القلب الذى هو منبعها فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه فلذلك نسب ابليس
الى النار فقال تعالى حكاية عنه خلقتنى من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم اى قدرنا قبل وجوده ان تكون النارية والهوائية
على وجوده اغلب وقال بعضهم انه لما كانت النار الطف العناصر وكانت هذه القوى وارواحها الطف الامور الجسمانية وتكونها عن الطف
الاخلاط كانت نسبتها الى النار اولى من ساير العناصر لمكان المشابهة في اللطافة فجاز ان يطلق على اصله انه نار لا يقال اذا كان آدم هو النفس
الناطقة فما معنى قول ابليس وخلقته من طين لانا نقول كما صدق ان ابليس مخلوق من نار بمعنى ان الغالب على الروح الحامل له هو عنصر النار
كذلك يصدق ان ادم من طين بمعنى ان الغالب على بدنه الارضية وايضا فان الوهم لا يدرك الا المعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات فلا يصدق
حكمه ومساعدته الا فيما كان محسوسا ولما ثبت ان النفس جوهر مجرد لم يكن اعتقاد ابليس ان الانسان شيء غير هذا البدن المتكون عن الطين
اذا ثبت ذلك فنقول اعتزاء الحمية والتعزز بالانتساب الى عنصر النار نسبة مجازية اذ العادة جارية بان يانف الانسان من الاصل
الناقص وان يفتخر ويتعزز بالاصل الشريف والانتساب اليه فكان لسان حال ابليس والقوى المتابعة له يقول على جهة الاستنكاف
والاستكبار لا اسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وانا مخلوق من النار التى هى اشرف العناصر قالوا ولما علم الله تعالى ذلك من حال
ابليس لعنه وطرده واخرجه من الجنة وذلك قوله تعالى فقال اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قالوا وذلك انك علمت ان
الجنة تعود الى معارف الحق سبحانه والابتهاج بمطالعة انوار كبريائه ودرجات الجنة هي المراتب ينتقل العقل فيها في مقامات السلوك
الى حظاير القدس ومجاورة الملاء الاعلى وعلمت ان حال الوهم قاصر عن الانتقال في تلك المراتب فطرده ولعنه وتحريم الجنة وقطوفها والقضاء
عليه بذلك قالوا ومما ينبه على ذلك قوله رب بما اغويتنى لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اى بما خلقتنى
هذه الجبلة لا اهتدى لدخول الجنة ولا يمكن منها لاجذبنهم الى المشتهيات وتزيين الملذات الجاذبة لهم عن عبادتك حتى لا يهتدوا الى الجنة
التى لاجلها خلقتهم ولا يلتفتوا اليها من عصمته منى وجعلت له سلطانا على قهرى وغلبتى وهم عبادك الصالحون المخلصون اى النفوس الكاملة

المطهرة عن متابعة قواها المتسلطة على قهر شياطينها وكذلك قوله فانظرني الى يوم يبعثون فانه لما كان البعث الاول هو مفارقة النفوس
لابدانها وانبعاثها الى عالمها وكانت طبيعة الوهم قاضية بمحبة البقاء في دار الدنيا اذ لا حظ له في غيرها حسن من لسان حاله ان يقول رب انظرني
الى يوم يبعثون وقوله فاعطاه الله النظرة لما كان الوهم باقيا في البدن هو وجنوده الى يوم البعث حسن من لسان الحكمة الالهية ان يقول انك من
المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك معنى اعطائه النظرة وقوله استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية وانجازا للعدة فقد عرفت ان البلية
نصب على المفعول له ثم ان فساد الوهم وابتلاء الخلق به والشر الصادر عنه امور داخلة في القضاء الالهي بالعرض فيصدق عليه انه مراد
وان الانظار والامهال وكذلك استحقاق السخطة وانجاز العدة واطلاق لفظ السخط استعارة فان السخط لما كان عبارة عن
حالة للانسان تستلزم وجود مغضوب عليه غير مرضي بافعاله وكان حال ابليس في انظار الله اياه وفسوقه عن امر ربه مستلزما لاعراض
الله سبحانه عنه وعمن عصاه بما بعده كان هناك نوع مشابهة تحسن لاجلها اطلاق لفظ السخطة اما العدة فتعود الى قضاء الحكمة الالهية
ببقاء الوهم الى يوم البعث وانجازها يعود الى موافقة القدر لذلك القضاء وقال بعضهم انه لما كان ههنا صورة مطرود ومبعد وملعون
حسن اطلاق السخطة واستحقاقها وانه انما انظر لاجلها وهو ترشيح لكلا استعارة قوله ثم اسكن الله سبحانه ادم دارا ارغد فيها عيشه
وامن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته اقول الدار التي اسكن فيها ادم هي الجنة والاشارة ههنا الى ان الانسان من اول زمان افاضة
القوة العاقلة عليه الى حين استرجاعها ما دام مراعيا لاوامر الحق سبحانه غير منحرف عن فطرته الاصلية ولا معرض عن عبادته ولا ملتفت الى غيره فانه
في الجنة وان كانت الجنة على مراتب كما قال تعالى لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار ولذلك قال صلى الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة وانما
ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه اذ كانت نفسه قبل الجواذب الخارجية عن القبلة الحقيقية غير مدنسة من الاعتقادات الفاسدة والهيئات
الرديئة وان كانت المرتبة السامية والغرفة العالية انما تنال بعد المفارقة واستحصال النفس لكمال زادها واما ارغاد العيش فيعود الى
ابتهاجها بالمعقولات والمعارف الكلية واما المحلة فامانه في الجنة ان يعرض له خوف او حزن ما دام فيها واما تحذيره من ابليس وعداوته
فظاهر من الاوامر الشرعية ولسان الوحي ناطق كما قال تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك ووجه العداوة فظاهر مما قلنا فان النفس لما كانت من عالم
المجردات وكان الوهم بطبعه منكرا لهذا القسم من الممكنات كان منكرا لما يأمر به النفس من الامور الكلية التي لا حظ له في ادراكها وذلك من مقتضيات
العداوة ولان نظام النفس ومصلحتها لا يتم الا بقهر الوهم والقوى البدنية عن طباعها وتمام مطالب القوى لا تحصل الا بانقهار النفس وكانت بينهما
مجاذبة طبيعية وعداوة اصلية اذ لا معنى للمعاداة الا المجاذبة لما يتصور كونه موذيا قوله فاغتره ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة
الابرار اقول يقال ان الله تعالى لما حذره ابليس وعداوته كان قد نهاه عن اكل شجرة يقال انها شجرة البر واعلمه ان اكل منها كان ظالما لنفسه مستحقا
لسخط الله عليه وذلك قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين قالوا وتلك الشجرة هي الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار
وهي عائدة الى المشتهيات الدنيوية الفانية واللذات البدنية الخارجة عن الحدود التي في اوامر الله ونواهيه والعبور فيها الى طرف الافراط عن
وسط القانون العدلي واما كونها شجرة البر فقالوا ان البر لما كان هو قوام الابدان وعليه الاعتماد في انواع المطعومات والملاذ البدنية
حسن ان يعبر به عنها فيقال هي شجرة البر كناية عن الفرع بالاصل فاما اغترار ابليس له فاعلم ان حقيقة الغرور هو سكون الى ما يوافق الهوى
ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من ابليس فاغتراره يعود الى اشتغال النفس بالوسوسة التي حكى الله تعالى عنها فوسوس لهما الشيطان
قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولنبحث عن حقيقة الوسوسة فنقول ان الفعل انما يصدر عن الانسان بواسطة

امور مترتبة ترتيبا طبيعيا اولها تصور كون الفعل ملايما وهو المسمى بالداعي ثم ان ذلك الشعور يترتب عليه ميل النفس الى الفعل المسمى
ذلك الميل ارادة فيترتب على ذلك الميل حركة القوة التي وعيه المحركة للقوة المسماة قدرة المحركة للعضل الى الفعل اذا عرفت ذلك فنقول صدور
الفعل عن مجموع القدرة والارادة امر واجب فليس للشيطان فيه مدخل ووجود الميل عن تصور كونه نافعا ومضا امر لازم فلا مدخل
للشيطان ايضا فيه فلم يبق له مدخل الا في القاء ما يتوهم كونه نافعا او لذيذا الى النفس فما يخالف امر الله سبحانه فذلك الالقاء في الحقيقة هو الوسوسة
وهو يعني ما حكى الله سبحانه عنه بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي اذا عرفت ذلك فاعلم ان متابعة ابليس يعود الى انقياد
النفس لجذب الوهم والقوى البدنية التي هي الشياطين عن الوجهة المقصودة والقبلة الحقيقية وهي عبادة الحق سبحانه وفتنتها لها بتزيين ما
حرم الله عليها فاما ما يقال ان ابليس لم يكن له تمكن من دخول الجنة وانما توسل بالحية ودخل في فمها الى الجنة حتى تمكن من الوسوسة لآدم عم
واغتراره فقالوا المراد بالحية هي القوة المتخيلة وذلك ان الوهم انما يتمكن من التصرف وبعث القوى المحركة كالشهوة والغضب التي هي جنوده
وشياطينه على طلب الملاذ البدنية والشهوات الحسية الدنية وجذب النفس اليها بتصوير كونها لذيذة نافعة بواسطة القوة المتخيلة المنافذ صح
ووجه تشبيهها بالحية ان الحية لما كانت لطيفة سريعة الحركة تتمكن من الدخول في الاماكن الضيقة وتقدر على التصرف الكثير وهي مع
ذلك سبب من اسباب الهلاك بما تحمله من السم وكانت المتخيلة في سرعة حركاتها وقدرتها على التصرف السريع والادراك اللطيف من ساير
القوى وهي الواسطة بين النفس والوهم وكانت بما اشتملت عليه من تحمل كيد ابليس والقاء الوسوسة بواسطتها الى النفس سببا قويا
للهلاك السرمد والعذاب المؤبد لا جرم كان اشبه ما تشبه به الحية لما بينهما من المناسبة فحسن اطلاق لفظ الحية عليها وقوله نفاسة عليه
ترشيح الاستعارة لانه لما كان جذب الوهم للنفس الى الجنبة السافلة مانعا لها من الكرامة بدار المقامة ومستنزلا لها عن درجة موافقة
الملاء الاعلى وكان ذلك اعظم ما يتنافس به كما قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وعرفت ان ذلك الجذب عن صورة معاداة كما سبق وكان
من لوازم المعاداة النفاسة على العدو بكل ما يعد كمالا له لا جرم حسن اطلاق النفاسة ههنا ترشيحا لاستعارة العداوة والنصب على
المغرور له وقوله باع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه اي لما حصلت الوسوسة والاغترار لآدم فانقاد لها كان قد بدل ما تيقنه من ان شجرة
الخلد والملك الذي لا يبلى هو نور الحق والبقاء في جنته ودوام مطالعة كبريائه بالشك فيه بواسطة وسوسة ابليس وذلك ان الامور
الموعودة من متاع الاخرة وما اعد الله لعباده الصالحين امور خفيت حقايقها على اكثر البصاير البشرية وانما الغاية في تشويقهم اليها
ان تمثل لهم بما هو مشاهد لهم من اللذات البدنية الحاضرة فترى كثيرا منهم لا يخطر ببالهم ان يكون في الجنة امر زايد على هذه اللذات
فهو يجتهدون في تحصيلها اذ لا يتصور وراءها اكثرهم ثم ان صدق بها على سبيل الجملة تصديقا للوعد الكريم فانه لا يتصور كثيرا تفاوت
بين الموعود به والحاضر بحيث يرجح ذلك التفاوت عنده ترك الحاضر لما وعد به بل يكون ميل طبعه الى الحاضر وتوهم كونه انفع واولى به
اغلب عليه وان تيقن باصل عقله ان الاولى به والانفع له والابقى هو متاع الاخرة فتارة يطرا على ذلك اليقين غفلة عنه ونسيان له بسبب
الاشتغال باللذات الحاضرة والانهماك فيها وذلك معنى قوله تعالى فنسي وتارة لا يحصل الغفلة الكلية بل يكون الوهم المذكور قويا فيعارض
ذلك اليقين بحيث يوجب في مقابلته شبهة وشكا وذلك معنى قوله عليه السلام فباع اليقين بشكه ولا منافاة بين قوله تعالى فنسي وبين الشك
ههنا وقوله والعزيمة بوهنه اي تعوض من العزم والتصميم الذي كان ينبغي له في طاعة الحق سبحانه بالضعف والتقاعد عن تحمله كما قال تعالى
ولم نجد له عزما واطلاق لفظ البيع ههنا استعارة حسنة اذ كان مدار البيع على استعاضة شيء بشيء سواء كان المستعاض جل

او انقص

او انقص ومثله قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وقوله فاستبدل بالجذل وجلا و
بالاغترار ندما الى قوله وتناسل الذرية فاستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما ثم اناب الى الله فبسط له في توبته ولقاه كلمة رحمته
ووعده المرد الى جنته وذلك لان الاهباط عقيب الزلة واستبدال الجذل بالوجل بعد الاهباط من الجنة والاخراج منها وقد ورد في
القران الكريم بعض النظم في سورة البقرة وهو قوله فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه قلنا اهبطوا ثم قال عقيبه فتلقى ادم من ربه
كلمات فتاب عليه وورد ايضا على النظم الذي ذكره عليه السلام في سورة طه وذلك قوله فعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
قال اهبطوا فقدم الاجتباء والتوبة على الاهباط وكلاهما حسن في الواو ومعنى الاهباط له هو انزاله عن دار كرامته واستحقاق
افاضة نعيم الجنة وذلك ان النفس الناطقة اذا اعرضت عن جناب الحق سبحانه والتفتت الى متابعة الشيطان وابناء الجن وموافقة ابليس
بعدت عن رحمة الله وتسود لوجهها عن قبول الانوار الالهية وامداد ابليسية وتناسل الذرية فاشارة الى الدنيا فان الانسان اذا
التفت بوجهه اليها واقبل بكليته عليها هبط من اعلى عليين الى اسفل سافلين ولم يزل مبتلى ببلاء اثر بلاء اذ لا يعدم في كل لحظة
ووقت فوت مطلوب او فقد محبوب بطلب ما لا يدركه ويجد ما لا يطلب وكفى بانقطاعه عن الله تعالى بالتفاته اليها بلاء واعظم شقاء
اذ كان سبب البعد عن رحمته والطرد عن ابوابه فان قلت لم ذكر تناسل الذرية في معرض الاهانة لادم مع انه في الحقيقة من
الامور الخيرية الذي كان ادم فيه في الجنة فان تناسل الذرية خير اضافي عرضي بالنسبة الى الكمال الذي يحصل لابناء النوع وذريته
ثم النسبة ان حصلت فنسبة اخص الى الاشرف فان انزاله واهباطه عن استحقاق تلك المراتب السامية والافاضات العالية
الى هذه المرتبة التي يشاركه فيها البهيمة وساير انواع الحشرات نقصان عظيم وخسران مبين قوله واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار
ندما ظاهر فان المقبل بوجهه على عباده الحق سبحانه المستشرف لانوار كبريائه المعرض عما سواه ابدا مسرور مبتهج فاذا اعرض عما
يوجب السرور والفرح والتفت الى خسايس الامور بسبب شيطان قاده اليها وزينها لعينه فانكشف عنه ستر الله وبدت
سوءته للناظرين يعني العاقبة من عباد الله الصالحين ثم اخذت بصيغة العناية الالهية وتداركه الرحمة الربانية من رقدة
الغافلين في مراقد الطبيعة فرأى السلاسل والاغلال قد احاطت به وشاهد الجحيم مسعرة عن جنبتي الصراط المستقيم
وتذكر قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيمة اعمى الايات فلابد وان يصبح وجلا قلقا يقلب كفيه حسرة وندما ووجلا ما لحقه من سخط الله نادما
على ما فرطت في جنب الله وقوله ثم بسط الله له في توبته ولقاه كلمة رحمته فالمراد الاشارة الى ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع
من جهته وانما النقصان من جنبة القابل وعدم استعداده فاذا استعدت النفس لتدارك رحمة الله التي لقاها
ادم فيعود الى السوانح الالهية التي تسنح للعبد فتكون سببا لجذبه عن مهاوي الهلاك وتوحشه عن الجند السافلة الى
القبلة الحقيقية وامداده بالملائكة حالا فحالا ورفعه في مدارج الجلال التي هي درجات الجنة وقوله ووعده المرد الى جنته
فاشارة الى وعد القضاء الالهي الناطق عنه لسان الوحي الكريم فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وكذلك ساير انواع
وعد الناسي فهذا ما يتعلق بهذه القصة من التاويل وبالله العصمة والتوفيق الفصل الرابع قوله

واجتالتهم الشياطين صح

واصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم لما بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم فجهلوا حقه واتخذوا
الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله وواتر اليهم انبياءه ليستادوهم ميثاق
فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ويروهم ايات المقدرة من سقف فوقهم
مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعايش تحييهم واجال تفنيهم واوصاب تهرمهم واحداث تتتابع عليهم ولم يخل الله
سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل او حجة لازمة او محجة قائمة رسل لا يقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين
لهم من سابق سمي له من بعده او غابر عرفه من قبله على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور وسلفت الاباء وخلفت
الابناء الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله لانجاز عدته وتمام نبوته ماخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة
سماته كريما ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق متشتتة بين مشبه لله بخلقه او ملحد في
اسمه او مشير الى غيره فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه وآله لقاءه ورضي له ما عنده
فاكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقارنة البلوى فقبضه اليه كريما صلى الله عليه وآله وسلم وخلف فيكم ما خلفت الانبياء
في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم كتاب ربكم مبينا حلاله وحرامه وفضائله وفرائضه وناسخه ومنسوخه
ورخصه وعزائمه وخاصه وعامه وعبره وامثاله ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسرا جمله مبينا غوامضه
بين ماخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله وبين مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه وواجب في السنة
اخذه مرخص في الكتاب تركه وبين واجب لوقته وزائل في مستقبله ومباين بين محارمه من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير
ارصد له غفرانه وبين مقبول في ادناه وموسع في اقصاه اقول الاصطفاء الاستخلاص والانداد الامثال واجتالتهم
اي ادارتهم واجتذبتهم وواتر اي ارسل وترا بعد وتر اي واحدا بعد اخر والفطرة الخلقة والمهاد الفراش والاوصاب الامراض
والاحداث المصائب وتخصيصها بذلك عرفي والحجة ما يحتج به الانسان غيره اي يغلبه به والمحجة جادة الطريق والغابر الباقي
والماضي ايضا وهو من الاضداد والقرن الامة ونسلت اي درجت ومضت ماخوذ من نسل ريش الطائر ونسل الوبر اذا وقع والعدة
الوعد وانجازها قضاؤها والسمة العلامة وميلاد الرجل محل ولادته من الزمان او المكان والملحد العادل عن الاستقامة على الحق
والنسخ في اللغة الازالة والرخصة التساهل في الامر والعزيمة الجد وهذه الالفاظ الثلثة مخصوصة في العرف الاخر كما نذكره
وارصدت له كذا اي هيأته له وههنا ابحاث البحث الاول الضمير في ولده راجع الى آدم عليه السلام ثم ان كانت الاشارة بادم الى النوع
الانساني فنسبة الولادة اليه في العرف ظاهرة صادقة فان كل اشخاص نوع هم ابناء ذلك النوع في اصطلاح اهل التاويل وكذلك
ان كان المراد به اول شخص ولد واعلم ان اصطفاء الله سبحانه للانبياء يعود الى افاضة الكمال النبوي عليهم بحسب ما وهب لهم العناية
الالهية من القبول والاستعداد واخذه على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم هو حكم الحكمة الالهية عليهم بالقوة على ما كلفوا
به من ضبط الوحي في الواح قواهم وجذب ساير النفوس الناقصة الى جناب عزته بحسب ما افاضه من القوة على ذلك والاستعداد
له وما منحهم من الكمال الذي يقدرون معه على تكميل الناقصين من ابناء نوعهم ولما كانت صورة العهد واخذ الامانة في العرف
الى ان يوعز الى الانسان بامر ويوكل الى القيام به بالايمان واشهاد الحق سبحانه وكان الحكم الالهي جاريا بارسال النفوس الانسانية الى

هذا العالم

هذا العالم وكان مراد العناية الالهية من ذلك البعث ان يظهر ما في قوة كل نفس من كمالها وتكميل الى الفعل وكان ذلك لا يتم الا بواسطة
بعضها للبعض كان الوجه الذي بعث عليه مشبها للعهد والميثاق المأخوذ والامانة المودعة كل ما في قوته وما اعد له فحسن اطلاق هذه الالفاظ
واستعارتها ههنا قوله لما بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم
عن عبادته الى اخره اشارة الى وجه الحكمة الالهية في وجود الانبياء عليهم السلم ولوازمه وهي شرطية متصلة قدم فيها التالي لتعلق ذكر الانبياء عم
بذكر ادم والتقدير لما بدل اكثر خلق الله عهده اليهم اصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم فبعثهم في الخلق وذلك العهد هو
المشار اليه بقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال ابن عباس لما خلق الله آدم مسح على ظهره بذريته فاخرج منه كل
نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة واعلم ان اخذ الذرية يعود الى احاطة
اللوح المحفوظ بما يكون من وجود النوع الانساني باشخاصه وانتقاشه بذلك عن قلم القضاء الالهي ولما كان بالانسان تمام العالمين في الوجود
الخارجي فكذلك هو في التقدير القضائي المطابق له وبه يكون تمام التقدير وجفاف القلم واما اشهادهم على انفسهم فيعود الى انطاق امكانهم
بلسان الحاجة اليه وانه الاله المطلق الذي لا اله غيره واما بيان ملازمة الشرطية فلانه لما كان الغالب على الخلق حب الدنيا والاعراض عن مقتضى
الفطرة الاصلية التي فطرهم عليها والالتفات عن القبلة الحقيقية التي امروا بالتوجه اليها وذلك بحسب ما ركب فيهم من القوى البدنية المنازعة
الى كمالاتها لا جرم كان من شأن كونهم على هذا التركيب المخصوص ان يبدل اكثرهم عهد الله سبحانه اليهم من الدوام على عبادته والاستقامة على صراط
المستقيم وعدم الانقياد لعبادة الشيطان كما قال سبحانه الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان الاية وان يجهلوا حقه للغفلة بحاضر
لذاتهم عما يستحقه من دوام الشكر وان يتخذوا الانداد معه لنسيانهم العهد القديم وان يجتذبهم الشياطين عن معرفته التي هي الثمار الجنية
وان تقتطعهم عن عبادته التي هي المرقاة الى اقتطاف تلك الثمرة ولما كان من شانهم ذلك وجب في الحكمة الالهية ان يختص صنفا منهم بكمال الشرف
يقتدر معه ابناء ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتجاذبة وعلى تكميل الناقصين ممن دونهم وهم صنف الانبياء عليهم السلم والغاية منهم ما اشار
اليه عليه السلم بقوله ليستادوهم ميثاق فطرته اي ليبعثوهم على اداء ما خلقوا لاجله وفطروا عليه من الاقرار بالعبودية ويجذبوهم عما التفتوا
اليه من اتباع الشهوات الباطلة واقتناء اللذات الوهمية الزايلة وذلك البعث والجذب تارة يكون بتذكيرهم نعم الله الجسيمة وتنبيههم
على شكر ما اولاهم من منته العظيمة وتارة يكون بالترغيب فيما عنده سبحانه مما اعده لاوليائه الابرار وتارة بالترهيب مما اعده لاعدائه
الظالمين من عذاب النار وتارة بالتنفير عن خسايس هذه الدار وبيان وجوه الاستهانة بها والاستحقار والى ذلك الاشارة بقوله
ويذكروهم منسي نعمته ولا بد للمجادلة والمخاطبة من احتجاج مقنع ومفحم فيحتجوا عليهم بتبليغ رسالات ربهم وانذارهم لقاء يومهم
الذي يوعدون ويثيروا لهم وجوه الادلة على وحدانية المبدع الاول وتفرده باستحقاق العبادة وهو المراد بدفائن العقول
وكنوزها واستعمال الدفاين ههنا استعارة لطيفة فانه لما كانت جواهر العقول ونتايج الافكار موجودة في النفوس بالقوة
اشبهت الدفاين فحسن استعارة لفظ الدفينة لها ولما كانت الانبياء هم الاصل في استخراج تلك الجواهر لاعداد النفوس لاظهارها
حسنت اضافة اثارتها اليهم وكذلك ليرشدوهم الى تحصيل مقدمات تلك الادلة والبراهين وموادها وهي ايات القدرة الالهية
واثارها من سقف فوقهم محفوظ مرفوع مشتمل على بدايع الصنع وغرايب الحكم ومهاد تحتهم موضوع فيه ينتشرون وعليه يتصرفون
ومعايش بها يكون قوام حياتهم في الدنيا وبلاغ المدة بقائهم لما خلقوا له واجال لهم مقدرة بها يكون فناؤهم ورجوعهم الى ربهم

واعظم الى ما لاجل اية راد عنه وتعذيرا جاذبا الى الله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وآله اكثروا من ذكر هادم اللذات الى غير ذلك من الامراض
التي تضعف قواهم وتهرمهم والمصائب التي تتابع عليهم فان كل هذه الاثار موارد احتجاج الانبياء على الخلق لينبهوهم بصدورها
عن العزيز الجبار عن سلطانه على انه هو الملك المطلق الذي له الخلق والامر وليقرروا في اذهانهم صورة ما نسوه من العهد الماخوذ عليهم في
الفطرة الاصلية من انه سبحانه هو الواحد الحق المنفرد باستحقاق والى ذلك اشار القران الكريم وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن
اياتها معرضون وقوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء
ماء فاحيا به الارض بعد موتها الاية وقوله تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء
خلقنا زوجين لعلكم تذكرون الى غير ذلك من الايات الدالة على احتجاج الخالق سبحانه على خلقه بالسنة رسله وتراجمة وحيه بهذه
الالطاف من القرب من ساحل عزته والوصول الى حضرة قدسه سبحانه وتعالى عما يشركون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم
كفار قوله ولم يخل الله سبحانه خلقه الى قوله وخلفت الابناء اقول المقصود الاشارة الى بيان عناية الله سبحانه بالخلق حيث لم يخل امة منهم
من نبي مرسل يجذبهم الى جناب عزته كما قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير او كتاب منزل يدعوهم الى عبادته ويذكرهم فيه منسي
عهده ويتلو عليهم فيه اخبار الماضين والعبر اللاحقة والاولين ويحتج عليهم فيه بالحجج البالغة والدلائل القاطعة ويوضح لهم فيه امور
نظامهم وينبههم على مبداهم ومعادهم والانفصال ههنا انفصال مانع من الخلو كما هو مصرح به قوله رسل لا يقصر بهم قلة عددهم ولا
كثرة المكذبين لهم اي هم رسل كذلك والمراد الاشارة الى انهم وان كانوا قليلي العدد بالنسبة الى كثرة الخلق وكان عدد المكذبين لهم كثيرا
كما هو المعلوم من ان كل نبي بعث الى امة فلا بد فيهم من فرقة تنابذه وتعانده وتكذب مقالته فان ذلك لا يولهم قصورا عن اداء ما كلفوا
القيام به من حمل الخلق على ما يكرهون مما هو مصلحة لهم في معاشهم ومعادهم بل يقوم احدهم وحده ويدعو الى طاعة بارئه ويتحمل
اعباء المشقة التامة في مجاهدة اعداء الدين وينشر دعوته في اطراف الارض العناية الازلية والحكمة الالهية ويبقى اثارها محفوظة
وسنتها قائمة الى ان تقتضي الحكمة وجود شخص اخر منهم يقوم ذلك المقام رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل قوله من سابق سمي له من بعده تفصيل الانبياء ومن ههنا للتمييز والتبيين والمراد ان السابق منهم قد اطلعه الله تعالى على العلم
بوجود اللاحق له بعده فبعضهم كالمقدمة لتصديق البعض كعيسى عليه السلام حيث قال ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وبين لاحق
سماه من قبله كمحمد عليه السلام وعلى ذلك اي على ذلك الوتيرة والاسلوب والنظام الالهي مضت الامم وسلفت الاباء وخلفتهم الابناء
قوله الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله الى قوله من الجهالة واعلم انه عليه السلام ساق هذه الخطبة من لدن آدم الى ان انتهى الى محمد صلعم
كما هو الترتيب الطبيعي اذ هو الغاية من طينة النبوة وخاتم النبيين كما نطق به القران الكريم ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله
وخاتم النبيين ثم شرع بعد ذلك في التنبيه على كيفية اهتداء الخلق به وانتظام امورهم في معاشهم ومعادهم بوجوده كل ذلك
استدراج لاذهان السامعين وتمهيد لما يريد ان يقرره عليهم من مصالح دينية او دنيوية فاشار الى انه الغاية من طينة النبوة
وتمام لها بقوله الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله لانجاز عدته لخلق على السنة رسله السابقين بوجوده واتمام نبوته صلى الله
عليه وآله قوله ماخوذا على النبيين ميثاقه النصب ههنا على الحال من بعث وذو الحال محمدا وكذلك الحال في المنصوب بين الباقيين
والمراد باخذ ميثاقه عليهم ما ركز وقرر في فطرهم من الاعتراف بحقية نبوته عليه السلام وتصديقه فيما سيجيء به اذ كان ذلك من تمام

عبادة

عبادة الحق سبحانه فبعث عليهم حال ما كان ذلك الميثاق ماخوذا على الانبياء ومن علائم وحال ما كانت امارات ظهوره والبشارة بمقدمه مشهورة
بينهم مع زكا اصله وكرم مادة حملته وشرف وقت سمح به عليهم بعد ذلك ان يريد بعثه محمد صلى الله عليه وآله تعظيما وبيين فضيلة شرعه وكيفية
انتفاع الخلق به فقال واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق والواو في قوله واهل الارض للحال ايضا وموضع الجملة
نصب وقوله واهواء خبر مبتدا محذوف تقديره اهواؤهم اهواء متفرقة وكذلك قوله وطرائق اى وطرائقهم طرائق متشتتة اى بعثه
وحال اهل الارض يومئذ يوم بعثه ما ذكر من تفرق الاديان وانتشار الآراء واختلافها وتشتيت الطرق والمذاهب واعلم ان الخلق عند مقدم
محمد صلى الله عليه وآله اما من علماء الشرائع او غيرهم اما الاولون فاليهود والنصارى والصابئة والمجوس وقد كانت اديانهم اضمحلت من ايديهم وانما
بقوا متشبهين باهل الملل وقد كان الغالب عليهم دون التشبيه ومذهب كما حكى القرآن الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء
الله واحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا
والمجوس اثبتوا اصلين اسندوا الى احدهما الخير والى الثاني الشر ثم زعموا انه جرت بينهما محاربة ثم ان الملائكة توسطت واصلحت بينهما
على ان يكون العالم السفلي للشر بمدة سبعة الاف سنة الى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم واما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة والطرائق المتشتتة
فهم على اصناف شتى فمنهم العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم معطلة ومنهم محصلة اما المعطلة فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة
وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين حكى القرآن عنهم وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وقصروا
الحيوة والموت على تحلل الطبايع المحسوسة وتركبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وصنف منهم
اقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه وانكروا البعث والاعادة وهم المحكي عنهم في القرآن الكريم وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي
العظام وهي رميم قل يحييها الآية وصنف منهم اعترفوا بالخالق ونوع من الاعادة لكنهم عبدوا الاصنام وزعموا انهم شفعاؤهم عند
الله كما قال ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب
اللات بالطائف وقريش وبنو كنانة وغيرهم اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل الاصنام على صور الملائكة ويتوجه بها الى الملائكة ومنهم من كان
يعبد الملائكة كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن واما المحصلة فقد كانوا في الجاهلية على ثلثة انواع من العلوم احدها علم الانساب والتواريخ
والاديان والثاني علم تعبير الرؤيا والثالث علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن النبي صلى الله عليه وآله من قال مطرنا بنوء كذا فقد
كفر بما انزل على محمد ومن غير العرب البراهمة من اهل الهند ومدار مقالتهم على التحسين والتقبيح العقليين والرجوع في كل الاحكام الى العقل
وانكار الشرائع وانتسابهم الى رجل منهم يقال له براهام ومنهم اصحاب البدده والبد عندهم شخص في هذا العالم لا يولد ولا ينكح ولا يطعم
ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم اهل الفكرة وهم اهل العلم منهم بالفلك واحكام النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات الذين اثبتوا وسائط
روحانية تاتيهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب فتامرهم وتنهاهم ومنهم عبدة الكواكب ومنهم عبدة الشمس ومنهم عبدة
القمر وهؤلاء يرجعون بالآخرة الى عبادة الاصنام اذ لا يستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويرجعون اليه في مهماتهم
ولهذا كان اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما على صورها فكان الاصل في وضع الاصنام ذلك اذ يبعد ممن له ادنى
فطنة ان يعمل خشبا بيده ثم يتخذه الها الا ان الخلق لما عكفوا عليها وربطوا حوائجهم بها من غير اذن شرعي ولا حجة ولا برهان
من الله تعالى كان عكوفهم ذلك وعبادتهم لها اثباتا لالهيتها ووراء ذلك من اصناف الآراء الباطلة والمذاهب الفاسدة اكثر من ان تحصى وهي

مذكورة في الكتب المصنفة في هذا الفن واذا عرفت ذلك ظهر معنى قوله عليه السلام من شبه الله بخلقه كالمجسمة من اصحاب الملل السابقة فانهم وان
اثبتوا صانعا الآن اذ هانهم مكيفة له بكيفية بعض مصنوعاته في نفس الامر من الجسمية وتوابعها ومن ملحد في اسمه كالذين عدلوا عن الحق في اسماء
الله بتحريفها عما هي عليه الى اسماء اشتقوها لاوثانهم وزادوا فيها ونقصوا كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا
التاويل مذهب ابن عباس ومنهم من فسر الملحدين في اسماء الله بالكاذبين في اسمائه وعلى هذا كل من سمى الله بما لم يسم به نفسه ولم ينطق به كتاب
ولا ورد اذن شرعي فهو ملحد في اسمائه وقوله ومن مشير الى غيره كالدهرية وغيرهم من عبدة الاصنام والانفصال ههنا لمنع الخلو ايضا فلما اقتضت
العناية الالهية بعثته صلى الله عليه وآله ليهتدوا سبيل الحق وينفسوا من ضلالهم القديم الى سلوك الصراط المستقيم ولينقذهم ببركة نوره من
ظلمات الجهل الى انوار اليقين فقام بالدعوة الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن فجلا الله بنوره صداء قلوب
الخلق وازهق باطل الشيطان بما جاء به من الحق والصدق وانطلقت الالسن بذكر الله واستنارت البصائر بمعرفة الله وكمل به دينه
في اقصى بلاد العالم واتم به نعمته على كافة عباده كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا احب الله سبحانه
لقاه كما احب هو لقاء الله كما قال صلى الله عليه وآله من احب لقاء الله احب الله لقاه ورضي له ما عنده من الكرامة التامة والنعمة العامة
في مقعد صدق عند مليك مقتدر فاكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مجاورة البلوى ومقام الادنى فقبضه اليه عند انتهاء اجله كريما عن
ادناس الذنوب طاهرا وفي ولادته الجسمانية والروحانية صلى الله عليه وآله ما برق بارق وذر شارق قوله وخلف فيكم ما خلفت
الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم اقول لما كان هذا الشخص الذي هو النبي ليس مما يتكون وجود مثله في كل وقت
لما ان المادة التي تقبل كمال مثله انما يقع في قليل من الامزجة وجب اذن ان يشرع للناس بعده في امور المصالح الانسانية تدبيرا والغاية من
ذلك التدبير هو بقاء الخلق واستمرارهم على معرفة الصانع المعبود ودوام ذكره وذكر المعاد وحسم وقوع النسيان فيه مع انقراض
القرن الذي يلي النبي ومن بعده فواجب ان ياتيهم بكتاب من عند الله فيكون وافيا بالمطالب الالهية والاذكار الجاذبة الى الله سبحانه والاخطار
بالبال في كل حال مشتملا على انواع من الوعد على طاعة الله ورسوله بجزيل الثواب عند المصير اليه والوعيد على معصيته بعظيم العقاب عند
القدوم عليه ولا بد ان يعظم امره وييسر على الخلق تكراره وحفظه او بعضه ودراسته وتعلمه وتعليمه وتفهم معانيه ومقاصده
ليدوم به التذكر لله سبحانه والملاء الاعلى من ملائكته ثم يسن عليهم افعالا واعمالا تتكرر في اوقات مخصوصة متقاربة ويتلو بعضها بعضا
مشفوعة بالفاظ تقال ونيات تنوى في الخيال ليحصل بها دوام تذكر المعبود الاول وينتفع بها في امر المعاد والا فلا فايدة وهذه الافعال
كالعبادات الخمس المفروضة على الناس وما يلحقها من الوظايف ولما بدا عليه السلام ههنا بذكر الكتاب العزيز لكونه مشتملا على ذكر ساير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله
اما مطابقة او التزاما وفي بسط قوانينه الكلية بحسب السنة النبوية ووفائه بجميع المطالب الالهية فنحن نبدا بذكر شرفه ووظايفه وشرايط
تلاوته ونؤخر الكلام في باقي العبادات الى مواضعها البحث الثاني في فضيلة الكتاب اما الفضيلة فمن وجوه الاول قوله تعالى
وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون وقوله وهذا الكتاب كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب وقوله وما كان
هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون الثاني قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من قرا القران ثم راى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظم الله تعالى الثالث قوله صلى الله عليه وآله ما من شفيع افضل منزلة
عند الله تعالى يوم القيمة من القران لا نبي ولا ملك ولا غيره وتلوح لك من سر هذه الاشارة ان ذلك انما هو في حق من تدبره وسلك المنهج

المطلوب

وعلمت ان

المطلوب منه المشتمل عليه وصل به الى جناب الله في جوار الملائكة المقربين ولا غاية من الشفاعة الى الوصول الى نيل الرضوان من المشفوع
تمام رضوان الله بغير سلوك الطريق المشتمل عليها الكتاب العزيز لا يحصل ولا ينفع فيه شفاعة شافع كما قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
فما لهم عن التذكرة معرضين الرابع قال صلى الله عليه وآله لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار والمراد اي ظرف وعاه وتدبره وسلك طريقه لم
تمسه النار اما نار الآخرة فظاهر واما نار الدنيا فلان الواصلين من اولياء الله الكاملين في قوتيهم النظرية والعملية يبلغون حدا ينفعل
العناصر عن نفوسهم فيتصرف فيها كتصرفهما في ابدانها فلا يكون لها في ابدانهم تاثير وقد عرفت اسباب ذلك في المقدمات الخامس قال صلى الله عليه وآله
افضل عبادة امتي القرآن واهل القرآن هم اهل الله وخاصته والمقصود مع شرائطها التي سنذكرها البحث الثالث في وظائفه اما
مداومة الكتاب بالتلاوة والدرس فيحتاج الى وظائف والا لم ينتفع بها كما قال انس رب تال للقرآن والقرآن يلعنه والذي ينبغي
ان يوظف في ذلك ما لخصه الامام ابو حامد الغزالي في كتاب الاحياء فانه لا مزيد عليه وهي امور عشرة اولها ان يتصور الانسان حال سماعه
للتلاوة عظمة كلام الله سبحانه وافاضة كماله ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام الخلق في ايصال معاني كلامه الذي اذهانهم
وكيف تجلت لهم الحقائق الالهية في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى مدارج الجلال ونعوت الكمال
الا بوسيلة ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى من عظمة سلطانه وسبحات
نوره فالصوت والحروف للحكمة جسد وهي بالنسبة نفس وروح اليه لما كان شرف الاجساد وعزها بشرف ارواحها فكذلك شرف الحرف
والصوت لشرف الحكمة فيها الثاني التعظيم للمتكلم وينبغي ان يحضر في ذهن القارئ عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرؤه ليس كلام البشر وان في
تلاوة كلام الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الغير المتطهر
فكذلك باطن معناه كلمة عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا ان يستضيء بنوره الا اذا كان متطهرا عن كل رجس مستنيرا بنور التعظيم
والتوقير عن ظلمة الشرك وكما لا يصلح للمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل انسان ولحمل انواره كل قلب ولاجل هذا
الاجلال كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف يغشى عليه ويقول هو كلام ربي فيعظم الكلام بتعظيم المتكلم وعلمت ان عظمة
المتكلم لا تخطر في القلب بدون الفكر في صفات جلاله ونعوت كماله وافعاله واذا خطر ببالك الكرسي والعرش والسموات
والارضون وما بينهما وعلمت ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها هو الله الواحد القهار وان الكل في قبضته والسموات
مطويات بيمينه والكل صائر اليه وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي فانك تستحضر من ذلك
عظمة المتكلم عظمة الكلام الثالث حضور القلب وترك حديث قيل في تفسير قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد
واخذه بالجد يتجرد عند قراءته بحذف جميع المشتغلات والهموم عنه وهذه الوظيفة تحصل مما قبلها فان المعظم للكلام
الذي يتلوه يستبشر به ويستانس اليه ولا يغفل عنه فان في القرآن ما يستانس به القلب ان كان التالي له اهلا وكيف يطلب الانس
بالفكر في غيره وفيه بساتين العارفين ورياض الاولياء وميادين اولي الالباب الرابع التدبر وهو طور وراء حضور القلب
فان الانسان قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه ولا يتدبرها والمقصود من التلاوة التدبر قال سبحانه
افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال ورتل القرآن
ترتيلا لان الترتيل يمكن الانسان من تدبر الباطن وقال صلى الله عليه وآله لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم

بشرف صح

ظلمة صح

يمكن التدبر الا بالترديد فليردد قال ابو ذر قام رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة يردد قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم الثامن التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وافعاله واحوال انبيائه والمكذبين لهم واحوال
ملائكته وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار والوعد والوعيد فليتأمل معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها دفائن الاسرار
وكنوز الحقائق والى ذلك اشار علي عليه السلام بقوله ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال
ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فعليه بالقرآن واعلم ان اعظم علوم القرآن تحت اسماء الله تعالى وصفاته ولم يدرك الخلق منها الا بقدر
افهامهم واليه الاشارة بقوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها واحتمل السيل زبدا رابيا فالماء هو العلم انزله من سماء جوده ففاضت اودية
كل على حسب استعداده وامكانه وان كان وراء ما ادركوه اطوار اخر لم يقفوا عليها وكنوز لم يعثروا على اغوارها اما افعاله تعالى وما
اشار اليه من خلق السموات والارض وغيرها فالذي ينبغي ان يفهم التالي هو جلاله لاستلزام الفعل الفاعل فيستدل بعظمة فعله على عظمته ليلاحظ
بالآخرة الفاعل فيستدل بعظمته فعله على عظمته ليلاحظ بالآخرة الفاعل دون الفعل فيقرأ في المقام الاول هذا خلق الله فاروني ماذا خلق
الذين من دونه ويقرأ في المقام الثاني كل شيء هالك الا وجهه فمن عرف الحق يراه في كل شيء ومن بلغ الى حذق العرفان على درجة الاعتبار لم ير معه غيره
فاذا تلا قوله تعالى افرأيتم ما تمنون افرأيتم الماء الذي تشربون افرأيتم النار التي تورون فلا ينبغي ان يقتصر على النطفة والماء والنار بل ينظر في المني
وهو نطفة ثم كيفية انقسامها الى اللحم والعصب والعروق وغيرها ثم في كيفية اشكال اعضائها المختلفة من المستدير والطويل والعريض والمستقيم
والمنحني والرخو والصلب والرقيق والغليظ وما اودع في كل من القوة وهيئته من المنفعة التي لو اختل شيء منها لاختل امر البدن ومصالح الانسان
فيتأمل في هذه العجائب وامثالها ليترقى [illegible] فيها الى عجيب قدرة الله تعالى والمبدأ الذي صدرت عنه هذه الآثار فلا يزال يشاهد الكمال
الصانع في كل صنعه واما احوال الانبياء عليهم السلام فليفهم من سماع كيفية تكذيبهم وقتل بعضهم صفة استغناء الله تعالى عنهم ولو هلكوا باجمعهم لم يتضرر
بذلك ولم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرتهم فليفهم ان ذلك بتأييد الحق كما قال تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا
فنجي من نشاء واما احوال المكذبين لهم كعاد وثمود وكيفية اهلاكهم فليتنبه من سماعه لاستشعار الخوف من سطوة الله ونقمته وليكن حظه منه
الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب فربما ادركته النقمة ونفذت فيه القضية حيث لا ينفع مال ولا بنون وكذلك اذا سمع احوال الجنة
والنار فليحصل منهما على خوف ورجاء وليتصور انه بقدر ما يبعد عن احدهما يقرب من الاخرى وليفهم منها ومن ساير القرآن ان استقصاء
ما هنالك من الاسرار الالهية غير ممكن لعدم نهايته قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مددا وقال علي عليه السلام لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فمن لم يفهم معاني القرآن في تلاوته وسماعه ولو
في [illegible] ادنى المراتب دخل في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وقوله افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وتلك الاقفال هي
الموانع التي سنذكر التاسع التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا من فهم القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فحجبت عن
عجائب اسراره قال صلى الله عليه وآله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن واسراره من جملة
الملكوت والحجب المانعة اولها الاشتغال بتحقيق الحروف واخراجها من مخارجها والتشدق بها عن ملاحظة المعنى وقيل ان المتولي
لحفظ ذلك شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف ويخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فيكون
تأمله مقصورا على مخارج الحروف فمتى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس وثانيها ان يقلد

مذهبا سمعه وتفسيرا ظاهرا نقل اليه عن ابن عباس او مجاهد او غيرهما فيحمل على التعصب له من غير علم فيصير نظره موقوفا على مسموعه حتى لو لاح
له بعض الاسرار حمل عليه شيطان التقليد جهله ولم يسوغ له مخالفة ابائه ومعلميه في تركه ما هو عليه من الاعتقاد والى مثل هذا اشارة الصوفية
بقولهم العلم حجاب وعنوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بالتعليم والتقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب
والقوها اليهم لا العلم الحقيقي الذي هو المشاهدة بانوار البصيرة ثم ذلك التقليد قد يكون باطلا كمن يحمل الاستواء على العرش على ظاهره
وان خطر له في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من استقرار ذلك الخاطر في نفسه حتى تنساق الى
كشف ثان وثالث ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره ويجعله وسوسة وقد يكون ايضا مانعا من الفهم لان الحق الذي كلف الخلق طلبه له
مراتب ودرجات وظاهر وباطن فجمود الطبع على ظاهره يمنع من الوصول الى الباطن فان قلت كيف يجوز ان يتجاوز الانسان المسموع وقد قال
صلى الله عليه وآله من فسر القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار وفي النهي عن ذلك اثار كثيرة قلت الجواب عنه من وجوه الاول انه معارض بقوله صلى الله عليه وآله
ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا وبقول علي عليه السلام الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن ولو لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما فائدة ذلك
الفهم الثاني انه لو لم يكن غير المنقول لاشترط ان يكون مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وآله الا في بعض القرآن واما ما يقوله ابن مسعود وغيرهم من انفسهم فينبغي ان لا
يقبل ويقال هو التفسير بالراي الثالث ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن بينهما وسماع
ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف يكون الكل مسموعا الرابع انه عليه السلام دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل
مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فلا معنى لتخصيص ابن عباس بذلك الخامس قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت للعلماء استنباطا
ومعلوم انه وراء المسموع فاذن الواجب ان يحمل النهي عن التفسير بالراي على احد معنيين احدهما ان يكون للانسان في الشيء راي
وله اليه ميل بطبعه فيتأول القرآن على وفق رايه حتى لو لم يكن له ذلك الميل لما خطر ذلك التأويل له وسواء كان ذلك الراي مقصدا
صحيحا او غير صحيح وذلك كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيستدل على تصحيح غرضه من القرآن بقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى
ويشير الى ان قلبه هو المراد بفرعون كما يستعمله بعض الوعاظ تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع الثاني ان يتسرع الى تفسير القرآن
بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الالفاظ المبهمة وما يتعلق به من الاختصار
والحذف والاضمار والتقديم والتأخير والمجاز فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية ربما يظن ان المراد ان
الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء والمعنى آية مبصرة ثم لا يدري انهم اذا ظلموا غيرهم ومن ذلك المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور
سينين اي وطور سيناء وكذلك باقي اخوات البلاغة فكل مكتف في التفسير بظاهر العربية من غير استظهار بالنقل وهو مفسر برايه
فهذا هو المنهي عنه دون التفهم لاسرار المعاني وظاهر ان النقل لا يكفي فيه وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر صفاء
عقولهم وشدة استعدادهم له وللتطلب والفهم والتفهم وملاحظة الاسرار والعبر ويكون لكل واحد منهم حد في الترقي الى درجة
منه بعد الاشتراك في الظاهر ومثاله ما فهم بعض العارفين من قوله صلى الله عليه وآله في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك
من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى در قربه
الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان متضادان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه
فرقي الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به على ساير القرب فالتجا الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك ثم

علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تسنح للعارفين لا تفهم من تفسير الظاهر وليس مناقضا له وانما
هو استكمال المانحة من الاسرار الثالث من الموانع ان يكون مبتلى من الدنيا بهوى مطاع فان ذلك سبب لظلمة القلب وكالصدا على
المراة فيمنع جلية الحق ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب القلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اكثر تراكما على القلب كان البعد
عن اسرار الله اكثر ولذلك قال صلى الله عليه وآله الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احداهما يبعد من الاخرى **السابع** ان يخصص نفسه
بكل خطاب من القران في امر او نهي او وعد او وعيد ويقدر ان المقصود به وكذلك ان سمع قصص الاولين والانبياء عليهم السلم علم ان
السمع غير مقصود وانما المقصود الاعتبار ولا يعتقد ان كل خطاب خاص في القران فالمراد به الخصوص فان القران وساير الخطابات
الشرعية واردة "باياك اعني واسمعي يا جارة" وهي كلها نور وهدى ورحمة العالمين ولذلك امر الحق تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب
فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واذا قدر انه المقصود لم يتخذ دراسة القران عملا
بل قراءة كقراءة العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتدبره ويعمل بمقتضاه كما قال حكيم هذا القران رسايل اتتنا من قبل ربنا
بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات **الثامن** التاثر وهو ان
يتاثر قلبه باثار مختلفة بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به عند ما يوجه نفسه في كل حالة الى الجهة التي فهمها
فيها من خوف او حزن او رجاء او غيره فيستعد بذلك وينفعل ويحصل له التاثر والخشية ومهما قويت معرفته كانت الخشية اغلب
الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على العارفين فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشرط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى واني
لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى فانه قرن المغفرة بهذه الشروط الاربعة وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي
خسر السورة ذكر فيها اربعة شروط وحيث اوجز واقتصر ذكر شرطا واحدا جامعا للشرايط فقال تعالى ان رحمة الله قريب من
المحسنين اذ كان الاحسان جامعا لكل الشرايط وتاثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الاية المتلوة فعند الوعيد يتضال من
خشية الله وعند الوعد يستبشر فرحا بالله وعند صفات الله واسمائه يتطاطا خضوعا لجلاله وعند ذكر الكفار في حق الله ما يمتنع عليه
كالصاحبة والولد يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح افعالهم ويكبر الله ويقدسه عما يقول الظالمون وعند ذكر الجنة ينبعث بباطنه
شوقا اليها وعند ذكر النار يرتعد فرايصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرا علي قال فافتتحت سورة النساء
فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رايت عينيه تذرفان من الدمع فقال لي
حسبك الآن وذلك لاستغراق تلك الحالة لقلبه بالكلية وبالجملة فانما يراد بهذه الاستجلاب الى القلب والعمل بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقرؤوا القران ما ايتلفت عليه قلوبكم ولانت عليه جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا والا فالمؤنة في تحريك اللسان خفيفة قال بعضهم قرات على شيخ لي ثم رجعت اقرا
عليه ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراة علي عملا اذهب فاقرا على الله تعالى وانظر ماذا يامرك وماذا ينهاك ومات رسول الله
عليه وآله الفا من الصحابة لم يكن يحفظ القران منهم غير ستة واختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين
وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم كل ذلك لاشتغالهم بتتبع معاني القران عن حفظه كله وجاء اليه واحد ليعلمه
القران فانتهى الى قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني وانصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

انضر في الرجل وهو فقيه فالعزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله تعالى بها على القلب عقيب تفهم الآية فاما التالي باللسان المعرض عن العمل
فجدير بان يكون المراد بقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وانما حظ اللسان تصحيح
الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والايتمار التاسع الترقي وهو ان يوجه
قلبه وعقله الى القبلة الحقيقية فيسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه ودرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرأ
على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد
بقلبه كانه سبحانه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه وهو في مقام الحياء والتعظيم لمن الله والاصغاء اليه والفهم عنه
الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات ولا ينظر الى قلبه ولا الى قرائته ولا الى التعلق بالانعام من حيث هو منعم عليه بل يقصر
الهم على المتكلم ويوقف فكره عليه ويستغرق في مشاهدته وهذه درجة المقربين وعنها اخبر الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فقال لقد
تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما افاق قيل في الدرجة تعظم صح
ذلك فقال ما زلت اردد هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الحلاوة ولهذا
الترقي يكون العبد ممتثلا لقوله ففروا الى الله وبمشاهدة المتكلم دون ما عداه يكون ممتثلا لقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر
فان روية غير الله معه شرك خفي لا يخلص منه الا بروئيته وحده العاشر التبري والمراد به ان يبرأ من حوله وقوته ويلتفت الى نفسه بعين
الرضاء والتزكية فاذا تلا آيات الوعد ومدح الصالحين حذف نفسه عن درجة الاعتبار وشهد فيها الموقنين والصديقين ويتشوق
الى ان يلحقه الله تعالى بهم واذا تلا آيات المقت والذم للمقصرين شهد نفسه وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا قيل ليوسف بن اسباط
اذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا ادعوا استغفر الله عن تقصيري سبعين مرة من راى نفسه بصور التقصير في القراءة كان
ذلك سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى [illegible] درجة اعلى في القرب ومن شهد القرب في البعد مكر به
امنه الى درجة ادنى في البعد مما هو فيه ومهما شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه
ولم يشاهد الا الله وحده في قرائته انكشف له الملكوت والمكاشفات بحيث يتلو آيات الرجاء يغلب عليه الاستبشار وتنكشف
له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله تعالى وارد باللطف
والسهولة والشدة والعنف والرجاء والخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانعام والبطش فبحسب مشاهدة
الكلمات والصفات ينقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد لنوع من المكاشفة مناسب لتلك الحالة
اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام رضا وكلام غضب وكلام انعام وكلام انتقام وكلام
جبروت وتكبر وكلام حنة وتعطف فهذه هي وظايف التلاوة ولنرجع الى المتن فنقول قوله وخلف فيكم ما خلفت الانبياء
في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قايم اشارة الى وضع ما يجب وضعه في الحكمة الالهية على السنة الرسل عليهم السلم
من العبادات الشرعية والقوانين الكلية التي بها يتبع ذكر الله سبحانه محفوظا واستعمال لفظ العلم القايم ههنا استعارة حسنة
للآثار الباقية عن الانبياء التي يهتدى بها والاوصياء الاولياء الذين يرجع اليهم الخلق قوله كتاب ربكم عطف بيان لما في قوله
ما خلفت الانبياء ولا ينبغي ان يفهم من ما تشخص الكتاب حتى يكون ما اتى به محمد عليه السلام من الكتاب هو عين ما اتت به الانبياء

السابقون عليهم السلام وتشخصه فان ذلك محال بل المراد بما نوع ما خلقت الانبياء في امهما من الحق وما جاء به محمد عليه السلم تشخص من اشخاص ذلك النوع وبيان ذلك ان القوانين الكلية اشتركت في اتيان جميع الانبياء عليهم السلم من التوحيد والتنزيه لله تعالى واحوال البعث والقيمة وساير القواعد الكلية التي يتوقف بها يكون النظام الكلي للعالم كتحريم الكذب والظلم والقتل والزنا وغير ذلك مما لم يخالف فيه نبي نبيا بمنزلة ماهية واحدة كلية وجدت في اشخاص وكما يعرض لبعض اشخاص الماهية عوارض لا تكون للشخص الاخر وبها يكون الاختلاف بين الاشخاص بحسب المواد التي تنشات منها الصور الشخصية كذلك الكتب المنزلة على السنة الانبياء عليهم السلم بمنزلة اشخاص اشتملت على ماهية واحدة وتختلف الزيادات والعوارض على تلك الماهية بحسب اختلاف الامم والاوقات المشتملة على المصالح المختلفة باختلافها قوله مبينا منصوب على الحال والعامل خلف وذو الحال الفاعل وهو ضمير النبي عليه السلم قوله حلاله وحرامه وفضائله وفرائضه اشارة الى الاحكام الخمسة الشرعية التي يدور عليها علم الفقه وهي الوجوب والندب والحظر والكراهة والاباحة وعبر بالحلال عن المباح والمكروه وبالحرام عن المحظور وبالفضائل عن المندوب وبالفرائض عن الواجب وبالنسخ عن رفع الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم اخر مثله فالناسخ هو الحكم الرافع كقوله اقتلوا المشركين هو الحكم المرفوع لقوله لا اكراه في الدين وبالرخص عما اذن في فعله مع قيام السبب المحرم له لضرورة او غيرها كقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد الاية وبالعزايم عما كان من الاحكام الشرعية جاريا على وفق سببه الشرعي كقوله فاعلم انه لا اله الا الله وبالعام هاهنا عن اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد كقوله تعالى والله بكل شي عليم وكقوله على الناس حج البيت وبالخاص عما لم يتناوله الجميع بالنسبة الى ما يتناوله كقوله من استطاع اليه سبيلا والخاص المطلق هو ما يمنع تصور مفهومه من وقوع الشركة فيه كما عرفته والعبر جمع عبرة وهي الاعتبار واشتقاقهما من العبور وهو انتقال الجسم من موضع الى اخر ولما كان الذهن ينتقل من الشي الى غيره حسن اطلاق العبرة عليه واكثر ما يختص اطلاق العبرة بانتقال ذهن الانسان من المصايب الواقعة بالغير والامور المكروهة له الى نفسه فيقدرها كانها نازلة به فيحصل له بسبب ذلك انزعاج عن الدنيا وانتقال ذهنه الى ما وراه من امر المعاد والرجوع الى باريه فيسمى ذلك عبرة وكذلك من المصايب اللاحقة له في نفسه المذكرة له بجناب العزة والملفتة له بتكرارها عن دار البلوى والمحن فينتقل ذهنه بسببها الى ان الدنيا دار البوار وان الاخرة هي دار القرار وذلك كقصة اصحاب الفيل وكقوله انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وان كان قد يستعمل العبرة في كل ما يفيد اعتبارا من طرف الاحسان ايضا كقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها الاية وكقوله تعالى فية تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة فجعل سبحانه نصر المؤمنين على قلتهم وخذلان المشركين على كثرتهم ومشاهدة المسلمين لكونهم مثليهم محلا للعبرة اذ يحصل بذلك انتقال الذهن من نعمه الا انه الاله المطلق المستحق للعبادة المنفرد بالقدرة على ما يشاء اهل الرحمة والجود وافاضة تمام الجود واما الامثال فظاهرة كقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي الاية وكقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ونحوه واراد بالمرسل الالفاظ المطلقة والمهملة وهي الالفاظ التي لا يمنع نفس مفهومها وقوع الشركة فيها لكنها لم يبين فيها كمية الحكم ومقداره ولم يقيد بقيد العموم ولا الخصوص وهي محتملة لهما كاسماء الجموع في النكرات كقوله تعالى وعلى الاعراف رجال وكالمفرد المعرف بالالف واللام او المنكر كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر وكقوله اذا جاءكم فاسق وقوله فتحرير رقبة فان كل هذه الالفاظ يراد بها الطبيعة دون الكل او البعض الا بدليل

منفصل

منفصل والفرق بينها وبين العام ان لكل شيء ماهية هو بها ما هو وهي مغايرة لكل ما عداها فان مفهوم الانسان مثلا ليس الا انه انسان
فاما انه واحد او كثير او ليس احدهما فمفهوم آخر مغاير لماهيته اذا عرفت ذلك فاللفظ الدال على الحقيقة من حيث هي من غير دلالة على شيء آخر
معها هو اللفظ المطلق والمهمل والدال معها على العموم بحيث يفهم منه تعدد الماهية وتكثرها في جميع مواردها هو اللفظ العام او في بعض مواردها
هو الخاص وان كان العموم والخصوص بالذات والمعنى واراد بالمحدود المقيد كقوله تعالى في الكفارة في موضع آخر فتحرير رقبة مؤمنة واما المحكم والمتشابه
والمجمل والمبين فقد سبق بيانها في المقدمة مثال المحكم قوله تعالى الا ما يتلى عليكم وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم مثال المبين قوله بعد ذلك ان تبتغوا باموالكم
الآية والتفسير هو التبيين والغوامض دقايق المسائل وانما اضاف هذه المعاني كلها الى الكتاب لاشتماله عليها وكونه مبدا لها ولما كانت محتاجة الى
البيان كان الرسول صلى الله عليه وآله هو المبين لها بسنته الكريمة قوله بين مأخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله الى آخره الضماير
تعود الى الاحكام المذكورة المشتمل عليها الكتاب العزيز وذكر منها انواعا احدها ما يجب تعلمه وغير موسع للعباد في للخلق في جهله
كوحدانية الصانع وامر المعاد والعبادات الخمس وشرايطها وثانيها ما لا يتعين على كافة الخلق العلم به بل يعذر بعضهم في الجهل كوحدانية
الصانع ويوسع لهم في تركه كالآيات المتشابهات وكاوايل السور كقوله تعالى كهيعص وحم عسق ونحوهما وثالثها ما هو مثبت في الكتاب فرضه
معلوم في السنة نسخه وذلك كقوله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في
البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا وقوله واللذان ياتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فكانت الثيب
اذا زنت في بدو الاسلام تمسك في البيت الى الممات والبكر تؤذى بالكلام ونحوه بمقتضى هاتين الآيتين ثم نسخ ذلك في حق الثيب
بالرجم وفي حق البكر بالجلد والتغريب بحكم السنة ورابعها ما هو بعكس ذلك اي مثبت في السنة اخذه ماذون في الكتاب في تركه وذلك (بالجلد صح)
كالتوجه الى بيت المقدس في ابتداء الاسلام فانه كان ثابتا في السنة ثم نسخ بقوله تعالى فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وكثبوت صلوة الخوف في القرآن حال القتال الرافع لجواز تاخيرها في السنة الى انجلاء
القتال وخامسها ما يجب لوقته ويزول في مستقبله كالحج الواجب في العمر مرة وكالنذر والمقيدة بوقت معين وامثالها فان وجودها
تابع لوقتها المعين ولا يتكرر بتكرر امثاله قوله ومباين بين محارمه عطف على المجرورات السابقة والياء مفتوحة وفي معنى الكلام
وتقريره لطف فان المحارم لما كانت هي محال الحكم المسمى بالحرمة صار المعنى وبين حكم مباين بين محاله هو الحرمة وقوله من كبير اوعد
عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه او بيان لتلك المحال واشارة الى تفاوتها بالشدة والضعف في كونها مبعدة عن رحمة الله على سبيل
الجملة والاول كالقتل في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا الآية وكذلك ساير الكباير من الظلم والزنا وغيرها
والثاني فالفقها كالتطفيف بالحبة وسرقة باقة من بصل ونحو ذلك وارصاد الغفران بازاء هذه وامثالها في الكتاب العزيز كقوله تعالى
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وساير آيات الوعد بالمغفرة فانها ان كانت عامة في كل الذنوب فالصغاير داخلة بطريق
الاولى والا كانت محمولة على الصغاير وسر اولويتها بالغفران انها لا يكاد يكتسب النفس ملكة الافراط والخروج الا عن بعد بعيد
وتكرار طويل بخلاف الكباير فان الاقدام عليها في غالب الاحوال لا يقع الا عن نفس مستعدة للشر بعيدة عن رحمة الله وبالله
العصمة والتوفيق الفصل الخامس منها قوله وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للانام يردونه ورود الانعام
ويألهون اليه ولوه الحمام جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته واختار من خلقه سماعا اجابوا

اليه دعوته وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف انبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه يحرزون الارباح في متجر عبادته ويبادرون عنده
موعد مغفرته جعله سبحانه للاسلام علما وللعائذين حرما فرض حجه واوجب حقه وكتب عليكم وفادته فقال سبحانه ولله على الناس حج حقه
البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين اقول بالهون اليراى يستند اليه وجدهم وشوقهم اليه واصل الهمزة ههنا
الواو من وله يوله اذا تحير من شدة الوجد والسماع جمع سامع كسامر وسمار والمبادرة المسارعة والوفادة القدوم للاسترفاد والانتفاع
واعلم انا لما بينا وجوب العبادات واشرنا الى وجه الحكمة فيها فالحري ان نشير الى وجه الحكمة في خصوص الحج من جملتها ونؤخر تفصيل
باقيها الى مواضعه ان شاء الله فاما الحج فانك لما عرفت ان الغرض الاول من العبادات هو جذب الخلق الى جناب الحق بالتذكير له ودوام
اخطاره بالبال ليتجلى لكل الاسرار على طول التذكار وينتهي في ذلك من احدث العناية به الى مقام المخلصين فمن جملة اسرار الله سبحانه
المنزلة على لسان رسوله تعيين موضع من البلاد وانه اصلح المواضع لعبادة الله وانه خاص له ولا بد ان يبتني مثل هذه الاوضاع
على اشارات ورموز الى مقاصد حقيقية يتنبه لها من اخذ التوفيق بزمام عقله اليها ولا بد من تعيين افعال تفعل في ذلك المكان وانها
انما تفعل في ذات الله سبحانه وانفع المواضع في هذا الباب ما كان ماوى الشارع ومسكنه فان ذلك مستلزم لذكره وذكره مستلزم لذكر الله
سبحانه وذكر ملائكته واليوم الآخر ولما لم يكن في الماوى الواحد ان يكون مشاهدا لكل احد من الامة فالواجب اذن ان يفرض اليه مهاجره
وسفر وان كان فيه نوع مشقة وكلفة من تعب الاسفار وانفاق المال ومفارقة الاهل والولد والوطن والبلد ونحن نذكر فضيلته
من جهة السمع ثم نشير الى ما ينبغي ان يوصف فيه من الاداب الدقيقة والاعمال الباطنة عند كل حركة وركن من اركان الحج مما يجري من
تلك الاركان مجرى الارواح للابدان فاذن ههنا ابحاث البحث الاول اما الفضيلة فمن وجوه الاول قوله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك
رجالا وعلى كل ضامر من كل فج عميق قال قتادة لما امر الله عز وجل خليله ابراهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس نادى يا ايها الناس ان لله
بيتا فحجوه وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في المواسم والاجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة
الثاني قال عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقد عرفت كيفية نفع العبادات في الخلاص من الذنوب الثالث عليهم صه
قال صلى الله عليه وآله ما راى الشيطان في يوم هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة اسنده الصادق الى الرسول صلى الله عليه وآله
وكان سر ذلك ما يحصل من رحمة الله ويفاض على اسرار العباد التي قد صفت بشدة الاستعداد الحاصل من ذلك الموقف العظيم الذي يجتمع
فيه العالم اشد اجتماع فان الاجتماع سبب عظيم في الانفعال والخشية لله وقبول انواره كما سنبينه ان شاء الله الرابع قال
صلى الله عليه وآله الحجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها اجر الا الجنة قال صلى الله عليه وآله الحجاج والعمار وفد
الله وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوه استجاب لهم وان شفعوا اليه شفعهم السادس روى عنه صلى
الله عليه وآله من طرق اهل بيته عليهم السلام اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة وظن ان الله لم يغفر له وفي فضل جزئيات الحج اخبار
كثيرة تطلب من مظانها البحث الثاني في الآداب الدقيقة وهي عشرة الاول ان تكون النفقة حلالا وتخلو القلب عن تجارة تشغله سوى الله تعالى
وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي تتصور ان تتصل بالحج فكل ذلك مانع لفضيلة الحج ومقصود الشارع منه الثاني ان لا يساعد
الصادين عن سبيل الله والمسجد الحرام بتسليم المكوس اليهم فان ذلك اعانة على الظلم وتسهيل لاسبابه وجراه على سائر السالكين الى الله
وليحتل في الخلاص فان لم يقدر فالرجوع اولى من اعانة الظالمين على البدعة وجعلها سنة الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس في البذل

والانفاق

والانفاق بالعدل دون البخل والتبذير فان بذل الزاد في طريق مكة انفاق في سبيل الله قال صلى الله عليه وآله الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل يا رسول الله ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام الرابع ترك الرفث والفسوق والجدال كما قال تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج والرفث كل لغو وفحش من الكلام وفي ذلك محادثة النساء بشأن الجماع المحرم فانها تهيج داعيته وهي مقدمة له فتحرم ومن لطف الشارع اقامة مظنة الشيء حسما لمادته والفسوق الخروج عن طاعة الله والجدال هو المماراة والخصومة الموجبة للضغائن والاحقاد وافتراق كلمة الحق وكل ذلك ضد مقصود الشارع في الحج وشغل عن ذكر الله الخامس ان يحج ماشيا مع القدرة ونشاط النفس فان ذلك افضل فان اضعفه او ادى الى سوء خلقه وقصوره عن العمل فالركوب افضل لان المقصود توفر المقصود على ذكر الله تعالى وعدم المشغلات عنه السادس ان يركب الزاملة دون المحمل لاشتماله على زي المترفين والمتكبرين ولانه اخف على البعير اللهم الا لعذر حج رسول الله صلى الله عليه وآله على راحلته وتحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمته اربعة دراهم على الراحلة لينظر الناس الى هيئته وشمائله وخذوا عني مناسككم السابع ان يخرج رث الهيئة اقرب الى الشعث غير مستكثر من الزينة واسباب التفاخر فيخرج بذلك عن حزب المساكين وشعار الصالحين روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال انما الحاج الشعث التفث يقول الله تعالى للملائكة انظروا الى زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وتقليم الاظفار الثامن ان يرفق بالدابة ولا يحملها ما لا تطيق كان اهل الورع لا ينامون على الدابة الا غفوة من قعود قال صلى الله عليه وآله لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وسر ذلك مراعاة الرقة والرحمة والتخلي عن القسوة والظلم ولانه يخرج بالعسف عن قانون العدل ومراعاة عناية الله وشمولها فانها كما لحقت الانسان لحقت سائر الحيوان التاسع ان يتقرب باراقة دم ويجتهد ان يكون سمينا ثمينا روي ابن عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله ما من عمل آدمي يوم النحر احب الى الله عز وجل من اهراقه دما وانها لتأتي يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الارض فطيبوا بها نفسا العاشر ان يكون طيب النفس بما انفقه من هدي وغيره بما اصابه من خسران ونقيصة مال ان اصابه ذلك فانه يكون مكتفيا الى الله سبحانه عن كل ما انفقه معوضا عنه ما علم الله وذلك علامة لقبول حجه البحث الثالث في الوظائف القلبية عند كل عمل من اعمال الحج اعلم ان اول الحج فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة عنه ثم تهيئة اسباب الوصول اليه من الزاد والراحلة ثم السير ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال المشهورة وفي كل حالة من هذه الحالات تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق واشارة للفطن الحاذق الى اسرار يقف عليها بصفاء قلبه وطهارة باطنه ان ساعده التوفيق اما الفهم فاعلم انه لا وصول الى الله الا بتنحيه ما عداه عن القصر من المشتهيات البدنية واللذات الدنيوية والتجريد في جميع الحالات والاقتصار على الضرورات ولهذا انفرد الرهبان في الاعصار السالفة عن الخلق في قلل الجبال توحشا من الخلق وطلبا للانس بالخالق واعرضوا عن جميع ما سواه ولذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات والاقبال على الدنيا والالتفات عن الله بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وآله لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله اهل الملل الرهبانية والسياحة في دينه فقال ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون فقال سبحانه الحج رهبانية لهذه الامة

تشرف البيت العتيق باضافته الى نفسه ونصبه مقصداً لعباده وجعل ما حوله حرماً لبيته تفخيماً لامره وتعظيماً لشانه وجعل عرفات
كالميدان على باب حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق شعثاً
غبراً متواضعين لرب البيت مستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن ان يحويه مكان ليكون
ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالاً لا تانس بها النفوس ولا تهتدى الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار
والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية بخلاف ساير العبادات كالزكوة التى
هى انفاق في وجه معلوم وللعقل اليه ميل والصوم الذى هو كسر للشهوة التى هى عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل
وكالركوع والسجود في الصلوة الذى هو تواضع لله سبحانه بافعال على هيئات التواضع وللنفوس انس
بتعظيم الله تعالى واما امثال هذه الاعمال فانه لا اهتداء للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه المعين على الفعل فان
كل ما ادرك العقل وجه الحكمة في فعله مال الطبع اليه ميلاً فيكون ذلك الميل معيناً للامر وباعثاً على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد
ولذلك قال صلى الله عليه وآله في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً ولم يقل ذلك في الصلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط
نجاة الخلق بكون اعمالهم على خلاف اهوية طباعهم وان تكون ازمتها بيد الشارع فيترددون باعمالهم على سنن الانقياد ومقتضى
الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات واما الشوق فباعثه الفهم ان البيت بيت الله وانه وضع على مثال
حضرة الملوك فقاصده قاصد لله تعالى ومن قصد حضرة الله تعالى بالمثال المحسوس فجدير ان يترقى منه بحسب شوقه سوقه
الى الحضرة العلوية والكعبة الحقيقية التى هى في السماء وقد بني هذا البيت على قصدها فيشاهد وجه ربه الاعلى بحكم
وعده الكريم واما العزم فليستحضر في ذهنه انه بعزمه مفارق للاهل والولد هاجر للشهوات واللذات مهاجر الى ربه متوجه
الى زيارة بيته اعظم قدر البيت لقدر رب البيت وليخلص عزمه لله ويبعده عن شوايب الريا والسمعة فان ذلك
شرك خفي وليتحقق انه لا يقبل من عمله وقصده الا الخالص وان من اقبح القبايح ان يقصد بيت الملك وحرمه مع اطلاع ذلك
الملك على خائنة الاعين وما تخفى الصدور ويكون قصده غيره فان ذلك استبدال للذى هو ادنى بالذى هو خير اما قطع
العلايق فحذف جميع الخواطر عن قلبه عن قصد عبادة الله والتوبة الخالصة عن الظلم وانواع المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل
وكل علاقة خصم حاضر متعلق به ينادى عليه ويقول اتقصد بيت ملك الملوك وهو مطلع على تضييع امره لك في منزلك هذا
وتستهين به ولا تلتفت الى نواهيه وزواجره ولا تستحيى ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيغلق دونك ابواب رحمته
ويلقيك في مهاوى نقمته فان كنت راغباً في قبول زيارتك فابرز اليه عن جميع معاصيك واقطع علاقة قلبك عن الالتفات
الى ما وراءك ليتوجه اليه بوجه قلبك كما انت متوجه الى بيته بوجه ظاهرك وليذكر عند قطعه العلايق لسفر الحج قطع
العلايق لسفر الآخرة فان كل هذه امثلة قريبة يترقى منها الى اسرارها واما الزاد فيطلبه من موضع حلال فاذا
احس من نفسه بالحرص على استكثاره وطيبه وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير قبل بلوغ المقصد فليذكر ان سفر الآخرة
اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه لا يصلح زاداً ولا يبقى معه الا ديماً هو في هذا المنزل وليحذر ان يفسد
اعماله التى هى زاده الى الآخرة بشوايب الريا وكدورات التقصير فيدخل في قوله تعالى قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالاً الذين

ضل

ضلّ سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكذلك فليلاحظ عند ركوب دابته تسخير الحيوان له وحمله عنه
الاذى ويتذكر منته تعالى بشمول عنايته ورأفته حيث يقول وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف
رحيم فيشكره سبحانه جزيل هذه النعمة وعظيم هذه المنّة ويستحضر نقلته من محمله الى منازل الاخرة الذي لا شك فيه ولعله اقرب من
ركوبه الحاضر فيحتاط في امره وليعلم ان هذه امثلة محسوسة يترقى منها الى مراكب النجاة مشقة الكبرى وهي عذاب الله سبحانه واما ثواب
الاحرام وشراؤه ولبسه فليتذكر معه الكفن ودرجه فيه ولعله اقرب اليه وليتذكر منها التسربل بانوار الله التي لا مخلص من عذابه الا بها
فيجتهد في تحصيلها بقدر امكانه واما الخروج من البلد فليستحضر عنده انه يفارق الاهل والولد متوجها الى الله سبحانه في سفر غير اسفار الدنيا
وليستحضر ايضا غايته من ذلك السفر وانه متوجه الى ملك الملوك وجبار الجبابرة في جملة الزائرين الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا
وقطع لها العلائق وفارق الخلائق واقبلوا على بيت الله طلبا لرضا الله وطمعا في النظر الى وجهه الكريم وليحضر ايضا في قلبه
رجاء الوصول الى الملك والقبول له بسعة فضله وليعتقد انه ان مات دون الوصول الى البيت لقي الله وافدا عليه لقوله تعالى
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ثم ليتذكر في اثناء طريقه من مشاهدة عقبات
الطريق الاخرة من السباع والحيوة حشرات القبر ومن وحشة البراري وحشة القبر وانفراده عن الانس فان كل هذه الامور جاذبة
الى الله سبحانه وتذكرة له امر معاده واما الاحرام والتلبية من الميقات فليستحضر انه اجابة نداء الله في قبول اجابته بين خوف ورجاء
مفوضا امره الى الله متوكلا على فضله قال سفين بن عيينة حج زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام فلما احرم واستوت به
راحلته اصفرّ لونه ورفعت عليه الرعده ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما
لبى غشي عليه وسقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه فانظر رحمك الله الى هذه النفس الطاهرة حيث بلغ بها
الاستعداد لافاضة انوار الله لم تزل الغواشي الالهية والنفحات الربانية تغشاها فتغيب عن كل شيء سوى جلال الله
وعظمته وليتذكر عند اجابته بدائه بالنفخ في الصور وحشر الخلق من القبور وازدحامهم في عرصات القيمة مجيبين
لندائه منقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومرددين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج
في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج ام لا اما دخول مكة فليستحضر عنده انه قد انتهى الى حرم الله آمنا
وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون من اهل القرب وليكن رجاؤه اغلب فان الكرم عميم وشرف
البيت عظيم وحق الزائر مرعى وذمام اللائذ المستجير غير مضيع خصوصا عند اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وليستحضر ان
هذا الحرم مثال للحرم الحقيقي ليترقى من الشوق الى دخول هذا الحرم والامن بدخوله من العقاب من الشوق الى دخول ذلك
الحرم والمقام الامن واذا وقع بصره على البيت فليستحضر عظمته في قلبه وليترق بفكره الى مشاهدة حضرة رب البيت
في جوار الملائكة المقربين وليتشوق ان يرزقه النظر الى وجهه الكريم كما رزقه الوصول الى بيته العظيم وليكثر
من الذكر والشكر على تبليغ الله اياه هذه المرتبة وبالجملة فلا يغفل عن تذكر احوال الآخرة في كل ما يراه فان كل احوال الحج
ومنازله دليل يترقى منه مشاهدة احوال الآخرة واما الطواف بالبيت فليستحضر في قلبه التعظيم والخوف والخشية
والمحبة وليعلم انه بذلك متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود

طواف جسمك بالبيت بل طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يبتدى بالذكر الا منه ولا يختم الا به كما يبتدا بالبيت ويختم به
واعلم ان الطواف المطلوب هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي هي عالم الغيب كما ان الانسان الظاهر
مثال ظاهر في عالم الشهادة للانسان الباطن الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مرقاة ومدرج
الى عالم الملكوت لمن فتح له باب الرحمة واخذه العناية الالهية بيده لسلوك الصراط المستقيم والى هذه الموازنة وقعت الاشارة
الالهية بان البيت المعمور في السماء بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت مرتبة اكثر
الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم ثم كثيرا ما يزداد ذلك بالتشبيه
الى ان يصير في قوة المشبه به والذي يبلغ تلك المرتبة فهو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رواه بعض المكاشفين
لبعض اولياء الله واما الاستلام فليستحضر عنده انه مبايع لله بطاعته مصمم عزيمته على الوفاء ببيعته ومن نكث فانما ينكث
على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحجر الاسود يمين الله في الارض
يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه ولما قبله عمر قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى
يقبلك لما قبلتك فقال له علي عليه السلام مه يا عمر بل يضر وينفع فان الله سبحانه لما اخذ الميثاق على بني آدم حيث يقول واذ اخذ ربك من
بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الآية القمه هذا الحجر ليكون شاهدا عليهم باداء امانتهم وذلك معنى قول الانسان
عند استلامه امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي عند ربك بالموافاة واما التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم
فليستحضر فيه طلب القرب حبا لله وشوقا الى لقائه تبركا بالمماسة ورجاء للتحصن من النار في كل جزء من البيت ولتكن
النية في التعلق بالستر الالحاح في طلب الرحمة وتوجيه الذهن الى الواحد الحق وسؤال الامان من عذابه كالمذنب المتعلق باذيال
من عصاه المتضرع اليه في عفوه عنه له بانه لا ملجأ له الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو
وبذل الطاعة في المستقبل واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فمثال التردد بها العبد بفناء دار الملك جائيا
وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري
ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول او رد فيكون تردده رجاء ان يرحم في الثانية ان لم يكن في الرحمة في الاولى وليتذكر عند
تردده بين كفتي الميزان في عرصة القيمة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين
ملاحظا للرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران واما الوقوف بعرفة فليتذكر بعرفة بما يرى من ازدحام الناس
وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيمة
واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة اثر نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين
الرد والقبول واذا تذكر ذلك فليلزم قلبه الضراعة والابتهال الى الله ان يحشر في زمرة الفائزين المرحومين وليكن
رجاؤه اغلب فان الموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلايق بواسطة النفوس الكاملة من اوتاد الارض
ولا يخلو الموقف عن طائفة من الابدال والاوتاد وطوائف من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة
نفوسهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم يرمقون بابصارهم جهة الرحمة طالبها فلا تظنن انه يخيب سعيهم من رحمة تغمرهم

ويلوح لك ان اجتماع الامم بعرفات والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد هو السر الاعظم في الحج
ومقاصده فلا طريق الى استنزال رحمة الله واستدرارها اعظم من اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد واما
رمي الجمار فليقصد به الانقياد لامر الله واظهار الرق والعبودية ثم ليقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه
شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر له ان الشيطان عرض لابراهيم ولم يعرض له فليعلم ان
هذا الخاطر من الشيطان وهو الذي القاه على قلبه ليخيل اليه انه لا فايدة في الرمي وانه يشبه اللعب ولتطرده على نفسه بالجد والتشمير والرمي فيه
برغم انف الشيطان فانه وان كان في الظاهر رميا للعقبة بالحصى فهو في الحقيقة رمي لوجه ابليس وقصم لظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثال
امر الله تعظيما لمجرد الامر واما تعظيم الهدي فليعلم انه يتقرب الى الله تعالى بعلم الامتثال فليستكمل الهدي واجزاءه وليرج ان يعتق الله بكل جزء
منه جزءا من النار هكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكثر واوفر كان الفداء به من النار اتم واعم وهو يشبه التقرب الى الملك بالذبح له
واتمام الضيافة والقرى والغاية منه تذكر المعبود الاول سبحانه عند الذبح واعتقاد انه متقرب به واجزائه الى الله فهذه هي الاشارة النية في صح
الى اسرار الحج واعماله اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن فقوله عليه السلام وفرض عليكم حج بيته الحرام اشارة الى وجوب الحج على الخلق ان يفعلوه الا
ينبغي من مناهي الشرع وقوله الذي جعله قبلة للانام مستنده قوله تعالى فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره وقوله يردونه ورود الانعام مبالغة في تشبيه ورود الخلق البيت بورود الانعام ووجه التشبيه ان الخلق يردون البيت
بازدحام من حرص وشوق اليه كحال الانعام عند ورودها الماء وقيل ان وجه الشبه ما بيناه من عدم اطلاع الخلق على اسرار الحج وعلى ما يشتمل عليه
المناسك من الحكمة الالهية ولما كان العقل الذي به يميز الانسان عن الانعام وساير الحيوان معزولا عن ادراك هذه الاسرار كاد ان لا يكون بين
الانسان وبين مركوبه فرق في الورود الى البيت وساير المناسك فيه بعد وقوله ويالهون اليه ولوه الحمام اشارة الى شوق الخلق في كل عام الى ورود
البيت كاشتياق الحمام الذي تسكنه وقد راى عليه السلام في هذه القراين الاربع السجع وقوله جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم
لعزته اشارة الى ما ذكرنا من ان العقل لما لم يكن ليهتدي الى اسرار هذه الافعال لم يكن الباعث عليها الا الامر المجرد وقصد امتثاله
من حيث هو واجب الاتباع فقط وفيه كمال الرق وخلوص الانقياد لله فمن فعل ما امر به من اعمال الحج كذلك فهو المخلص الذي ظهرت
عليه علامة المخلصين والمذعن المتواضع لجلال رب العالمين ولما كان الحق سبحانه عالم الغيب والشهادة لم يكن ان يقال ان تلك العلامة
مما يستفيد بها علما باحوال عبيده من طاعتهم ومعصيتهم فاذن يتعين ان يكون معناها راجعا الى ما به تميز النفوس الكاملة التي انقادت
لاوامر الله واخلصت له العبادة عما عداه فان هذه العبادة من اشرف ما استعدت به النفس الانسانية وافادتها كمالا تميزت به
عن ابناء نوعها فهي اذن علامة لها يتميز من اتسم بها عن غيره وقوله واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته اشارة الى الحاج في قوله تعالى
واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق وفي الاثار ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت جاءه جبرئيل عليه السلام
فامره ان يؤذن الناس بالحج فقال ابراهيم يا رب وما يبلغ صوتي قال الله اذن وعلي البلاغ فعلا ابراهيم المقام واشرف به حتى صار
كاطول الجبال واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ونادى يا ايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم فاجابه
من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء لبيك اللهم لبيك وفي الاثر اشارات لطيفة فانه يحتمل ان يراد بقوله ابراهيم وما
يبلغ صوتي الاشارة الى حكم الوهم الانساني باستبعاد عموم هذه الدعوة وانقياد الخلق لها وقصور الطبع عن ذلك وبقول الحق سبحانه

وعلى البلاغ الاشارة الى تاييد الله سبحانه له بما اوحى اليه من العلم ببسط دعوته وابلاغها الى من علم بلوغها اليه وبعلو ابراهيم
المقام حتى صار كالطول الجبال واقباله بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ودعوته اشارة الى اجتهاده في التبليغ
للدعوة وجذب الخلق الى هذه العبادة بحسب امكانه واستعانته في ذلك باولياء الله التي بعين له واما اجابة من كان في
اصلاب الرجال وارحام النساء ومن بعده من الانبياء وهم المراد بالسماع الذين اختارهم الله سبحانه من خلقه حتى اجابوا
دعوته الى بيته بحجهم اليه بعد ما اهلهم لذلك قرنا بعد قرن وامة بعد اخرى قوله وصدقوا كلمته اشارة الى مطابقة افعالهم
لما جاءت به الانبياء من كلام الله سبحانه وعدم مخالفتهم وتكذيبهم لهم قوله ووقفوا مواقف انبيائه اشارة الى متابعتهم لهم
في مواقف الحج وفي ذكر الانبياء هاهنا استدراج حسن للطباع اللطيفة المشتوقة الى لقاء الله والتشبه بانبيائه ع
وملائكته قوله وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه اشارة الى ما ذكرنا من ان البيت المعمور بازاء الكعبة في السماء وان
طواف الخلق بهذا البيت يشبه طواف الملائكة واحداقهم بالبيت المعمور والعرش والبيت المعمور قوله يحرزون الارباح في متجر
عبادته ويبادرون عنده موعد مغفرته شبه عليه السلم العبادة بالبضاعة التي يتجر بها فالتاجر هو النفس وراس المال هو العقل
ووجوه تصرفاته حركاته وسكناته الحسية والعقلية المطلوبة منه بالاوامر الشرعية والعقلية والارباح هي ثواب الله وما اعد
للمحسنين في جنات النعيم واقبح بمملوك بعد تصرفه في خدمة سيده متجرا يطلب به التكسب والربح واحسن به اذا نظر الى انه اهل للعبادة فحذف
جميع الاغراض والخواطر في خدمته عن درجة الاعتبار وجعلها خالصة له لانه هو فاما كلامه عليه السلم بذكر الربح هاهنا فاستدراج حسن
لطباع الخلق بما يفهمونه ويميلون اليه من حب الارباح في الحركات ليشتاقوا فيعبدوا قوله وجعله للاسلام علما اي علما للطريق الى
الله وسلوك صراط المستقيم وهي الاسلام الحقيقي يهتدى بها عليها كما يهتدى بالعلم المرفوع للعسكر والمارة على مقاصدهم قوله فرض
عليكم حجه واوجب عليكم وفادته الى اخره تاكيد لما سبق وذكر للخطاب الموجب للحج وهو قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلم بعد انصرافه من صفين احمده استتماما لنعمته واستسلاما لعزته واستعصاما
من معصيته واستعينه فاقة الى كفايته انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه فانه ارجح ما وزن
وافضل ما خزن واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها نتمسك بها ابدا ما
ابقانا وندخرها لاهاويل ما يلقانا فانها عزيمة الايمان وفاتحة الاحسان ومرضاة الرحمن ومدحرة الشيطان واشهد
ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالدين المشهور والعلم المأثور والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع والامر
الصادع ازاحة للشبهات واحتجاجا بالبينات وتحذيرا بالايات وتخويفا للمثلات والناس في فتن انجذم فيها حبل
الدين وتزعزعت سواري اليقين واختلف النجر وتشتت الامر وضاق المخرج وعمي المصدر فالهدى خامل والعمى شامل
عصي الرحمن ونصر الشيطان وخذل الايمان فانهارت دعائمه وتنكرت معالمه ودرست سبله وعفت شركه اطاعوا
الشيطان فسلكوا مسالكه ووردوا مناهله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه في فتن داستهم باخفافها
ووطئتهم باظلافها وقامت على سنابكها فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران نومهم
سهود وكحلهم دموع بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم اقول صفين اسم موضع صوابه صفين ماء بين العراق والشام
بالشام

والنوبذ بحر منحرف للنابت
تاج ابن الحرير

بالمنام والاستسلام الانقياد ووال فلان يئل والا ووؤولا على فعول اذا لجأ فيها ومنه الموئل الملجأ والفاقة الفقر ولا فعل لها ومصاص كل
شيء خالصه والذخيرة المخبية والاهاويل الامور المخوفة التي يعظم اعتبار النفس لها وعزيمة العقد عقد القلب عليه والمدحرة محل الدحر
وهو الطرد والابعاد والماثور المقدم على غيره والماثور ايضا المنقول والمثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء وهي العقوبة والفتن
جمع فتنة وهي كل امر صرف عن قصد الله واشغل عنه من بلاء ومحنة وهوى متبع والحذم القطع والزعزعة الاحتراز والاضطراب
والسواري الاساطين والبحر الطبع والاصل والمعالم الاثار لانها يعلم الشيء ويستدل عليه والشرك جمع شركة بفتح الشين والراء
وهي معظم الطريق ووسطها والخامل الساقط والمناهل المشارب وانهارت انهدمت والسنابك اطراف مقدم الحوافر الواحد
سنبكة والهجود مصدر كالجمود مرادف للسهاد والارق واعلم ان المراد بالحمد ههنا الشكر واستتماما وما بعدها من المنصوبات
منصوبات على المفعول له وقد جعل عليه السلام لحمده ههنا غايتين الاولى منهما الاستتمام لنعم الله وذلك لان العبد يستعد بمزيد
الشكر لمزيد النعمة وهو في ذلك ناظر الى قوله تعالى لازيدنكم كما تشتمل عليه الاية من البعث على رجاء المزيد والثانية الاستسلام
لعزته فان العبد ايضا يستعد بكمال الشكر لمعرفة المشكور وهو الله سبحانه وهي مستلزمة للانقياد لعزته والخضوع لعظمته وهو
في ذلك ناظر الى قوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد لما تشتمل عليه الاية من التخويف المانع من مقابلة نعم الله تعالى بالكفر ثم لما كان الاستعداد لتمام
النعم والتاهل لكمال الخضوع والانقياد لعزة الله سبحانه انما يتم بعد ان تكون العناية الالهية اخذة لضبعي العبد وجاذبة له عن
ورطات المعاصي مبعدة له عن اسباب التورط فيها بكفاية المؤون والاسباب الداعية الى ارتكاب احد طرفي الافراط والتفريط جعل عليه السلام
للحمد غاية اخرى هي الوسيلة الى الغايتين المذكورتين وهي الاستعصام بالله سبحانه من معصيته وعقب ذلك الشكر بطلب المعونة منه على
تمام الاستعداد لما سال وشكر لاجله وجعل لتلك الاستعانة علة حاملة وهي الفاقة نحو غاية هي كفاية دواعي التفريط والافراط
بالجذبات الالهية ولا شك ان الغايتين المذكورتين لا تتم بدون عصمته والمعاونة بكفايته وذلك قوله واستعصاما من معصيته واستعينه
فاقة الى كفايته وقوله انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه تعليل لطلبه المعاونة على تحصيل الكفاية فانه لما كان
حصول الكفاية مانعا من دواعي طرفي التفريط والافراط كان العبد مستقيم الحركات على سواء ~~الطريق~~ الصراط وذلك هدى الله
يهدي به من يشاء فكانه قال واستعينه على ان يرزقني الكفاية المستلزمة للهداية التي هي الغنى الحقيقي والملك فانه لا يضل من هداه
ولا ينجو من عذابه من عاداه واعرض عن شكره والاستعانة به وانما اطلق عليه السلام ههنا لفظ المعاداة لله كما اطلقها القران الكريم
على ما هو من لوازمها وهو الاعراض عن عبادته والبغض لها ولمن تلبس بها من عباده مجازا قوله فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن
الضمير يعود الى الله سبحانه ولما كانت ذاته مقدسة عن الوزن والخزن اللذين هما من صفات الاجسام فبالحري ان يكون المقصود
رجحان عرفانه في ميزان العقل اذ لا يوازنه عرفان ما عداه بل لا يخطر ببال العارف عند الاخلاص سواه حتى يصدق
هناك موازنة يقال فيها ارجح ويكون المراد بالخزن خزن ذلك العرفان في اسرار النفوس القدسية وقيل الضمير يرجع الى ما
دل عليه احمده من الحمد على طريقة قولهم من كذب كان شرا له قوله واشهد ان لا اله الا الله هذه الكلمة اشرف كلمة وحد بها
الخالق عز اسمه وقد اشرنا في الخطبة الى ما تضمنه تركيبها من حسن الوضع المؤدي للمقصود منها وبالجملة فهي منطبقة على
على جميع مراتب التوحيد وقد زعم النحويون ان فيها شيئا مقدرا ليكون خبرا للا قالوا وتقديره لا اله لنا الا الله ولا اله موجود الا الله

واعلم ان يقدر تقدير ههنا منه مخرج لهذه الكلمة عما يفيده اطلاقها وتقييدها تخصيصها لم يكن وهو مما يجده انسان في نفسه
عند الاعتبار فالاولى ان يكون خبرلا هو قولنا الا الله وحينئذ لا حاجة الى تقدير او زايد وقد وردت لهذه الكلمة فضايل الاولى
قوله صلى الله عليه وآله افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله الثانية عن ابن عمر قال صلى الله عليه وآله ليس على اهل لا اله الا الله وحشة
في الموت ولا عند النشر وكاني انظر الى اهل لا اله الا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
الثالثة يروى ان المامون لما انصرف من مرو يريد العراق واجتاز بنيشابور وكان مقدمه علي بن موسى الرضا عليه السلام فقام اليه قوم من
المشايخ وقالوا انسالك بحق قرابتك من تحدثنا بحديث ينتفعا فروى عن ابيه عن ابائه عن رسول الله صلعم عن جبرئيل عن ربه انه قال لا اله
الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي الرابعة قال صلى الله عليه وآله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال بعض العلماء ان الله تعالى جعل العذاب عذابين احدهما السيف في يد المسلمين
والثاني عذاب الاخرة والسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لا يرى فقال تعالى لرسوله عليه السلام من اخرج لسانه من المرئي وهو الفم فقال لا
اله الا الله ادخلنا السيف في الغمد المرئي ومن اخرج لسانه قلبه من الغلاف الذي لا يرى وهو غلاف الشرك فقال لا اله الا الله ادخلنا سيف
عذاب الاخرة في غمد الرحمة واحدة بواحدة جزاء ولا ظلم اليوم قوله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها مصدر وصف
بوصفين جريا على غير من هي له والممتحن المختبر اراد انه مختبر بنفسه في اخلاص هذه الشهادة واخذها عرية عن شبهات الباطل
معرضة عن كل خاطر سوى الحق سبحانه متمثلة فيها حلية التوحيد وخالصة مبراة عن شوايب الشرك الخفي كما عرفت من التوحيد المطلق
والاخلاص المحقق قوله نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل ما يلقانا فانها عزيمة الايمان الى قوله ومدحرة الشيطان
اشارة الى انه يجب التمسك بها مدة البقاء في دار الدنيا لعظايم الامور والاستعداد بها لاهوال الاخرة وشدايدها ثم عقبها بذكر
علة التمسك بها وادخارها وذكر اربعة اوصاف توجب ذلك اولها انها عقيدة الايمان وعزيمة المطلوب لله سبحانه من خلقه وكل
ما عداها مما وردت به الشريعة من قواعد الدين وفروعه فهي حقوقها وتوابع لها ومتممات ومعينات على الوقوف
على سرها والوصول الى اخلاصها وثانيها انها فاتحة الاحسان فانها اول كلمة افتتحت بها الشريعة واستعبد العقل بالسلوك
في طريق اخلاصها لافاضة احسان الله ونعمه شيئا فشيئا وكما انها اول مطلوب لله من خلقه في فطرهم الاصلية وعلى السنة رسله
عليهم السلام فهي ايضا غايتهم التي ينالون باخلاصها واستصفاء مصاصها السعادة الباقية وثالثها انها مرضاة الرحمن وذلك
ظاهر اذ هي محل رضوان الله والسبب المستنزل لتمام رحمته ومزيد نعمه على محل تنورها ورفع السخط عنه كما قال صلعم امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الخبر ورابعها انها مدحرة الشيطان وذلك ايضا ظاهر فان غاية دعوة الشيطان او صح
هو الشرك الظاهر والخفي وهذه الكلمة انما وضعت في مقابلة دعوته فظاهرها دافع لظاهر ما يدعو اليه وباطنها قامع لباطن
ما يدعو اليه وكما ان الشرك على مراتب لا تتناهى فكذلك الاخلاص في هذه الكلمة فبقدر كل مرتبة من السلوك في اخلاصها يسقط
في مقابلته مرتبة من الشرك ويبطل سعي الشيطان في تلك المرتبة الى ان يتم الاخلاص بقدر الامكان وقد انهدمت قواعد
الشيطان بكليتها وصار ابعد مطرود عن قبول ما يقول ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك
انت الوهاب قوله واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال رسول الله صلعم من قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله

بجزل

يجري بها لسانه واطمأن بها قلبه حرمت النار عليه وانما قرنت هذه الكلمة بكلمة التوحيد لانك عرفت ان غرض الشريعة
انما هو اخلاص تلك الكلمة ولن يحصل اخلاصها الا بسلوك مراتبها ولن يحصل ذلك الا بمعرفة كيفية السلوك وعلمت ان مدار ارسال
الرسل ووضع الشرايع لتعريف كيفية السلوك في درجات الاخلاص فكانت الشهادة والاقرار بصدق المبلغ لهذه الرسالة والمبين
لطريق الاخلاص اجل كلمة بعد كلمة الاخلاص لانها بمنزلة الباب لها فلاجل ذلك قرنت بها قوله ارسله بالدين المشهور الى دينه المشتمل
على تعريف كيفية سلوك الصراط المستقيم وبالعلم المأثور الى اعتبار كون ذلك الدين هاديا للخلق يهتدون به الى حضرة القدس هي مقصود
جميع الشرايع اذ ذلك هو شان العلم وكونه مأثورا اشارة اما كونه مقدما على ساير الاديان كما يقدم العلم ويهتدى به قوم بعد قوم
او الى نقله من قرن الى قرن وبالكتاب المسطور الى القران المسطورة حقايقه في الواح النفوس وبالنور الساطع وبالضياء اللامع
الى الشرع الذي جاء به الرسول عليه السلام بحسب هذه الطريقة وامر بقصده منها وهو نور يشرق في مرائي النفوس الصافية عن ظلم الشبهات
وكدورات الشرك وبخصوصية الامر وصدعه بكونه صادعا الى اعتبار قهره باوامر الله ووعده لمن لم يسلك الطريق المامور بسلوكها
عن رغبة واختيار حتى مشى بالامر الالهي وجه باطله وصدع ما كان ملتبسا من بناء فساده كما قال تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض
عن المشركين قوله ازاحة للشبهات الى قوله وتخويفا بالمثلات اشارة الى الوجوه القريبة للمقاصد وذكر عليه السلام منها ثلثة مقاصد
اولها ازاحة الشبهات وهواجسها فان حذف شواغل الدنيا وشبهات الباطل عن قلوب الخلق اهم مقاصد الشارع الثاني بسبب تلك
الازاحة وهو الاحتجاج على الخلق بالحجج الواضحة لهم والخطابات الواصلة الى افهامهم اذ هاتهم كما قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن
الثالث التحذير بالايات النازلة بالعصاة والتخويف بالعقوبات الواقعة باهل الجنايات كما قال تعالى اولم يروا كم اهلكنا قبلهم من
القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهى وهذا الانذار مؤيد للحجج والخطابات الشرعية في حق من لم يرزق
صفاء ذهن يؤثر فيه مجرد الخطاب فيحتاج الى التحذير والانذار قوله والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين الى قوله يرد دون اقول
يحتمل ان يكون الواو في قوله والناس للابتداء ويكون ذلك شروعا منه عليه السلام في ذم احوال اهل زمانه وما هم فيه من البلاء والمخلوق والحروب
بسبب تشتت اهوائهم واختلاف آرائهم وغرضه عليه السلام تنبيه السامعين على ما عساهم غافلين عنه مما هم فيه من الفتن المشتملة على المذام
التي حصل الناس عليها بسبب ما هم فيه من الفتن امور ترجع حاصلها الى ترك مراسم الشريعة وعدم سلوك سبيل الحق وارتكاب طريق
الباطل فانقطاع حبل الدين اشارة الى انحراف الخلق عن سواء السبيل وعدم تمسكهم باوامر الله سبحانه حال وقوع تلك الفتن
واستعمل لفظ الحبل ههنا وفي التنزيل الالهي تمسكوا فاعتصموا بحبل الله جميعا استعارة لقانون الشريعة المطلوب منها والتمسك
بها وكذلك استعمال لفظ السواري اما لقواعد الدين واركانه المامور بتشييدها كالجهاد الذي هو اقوى مطالبه عليه السلام في ذلك الوقت
من الناس ويكون المراد بتزعزعها عدم استقرار الناس عليها مجازا واما لاهل الدين الذي به يقوم ورجاله العاملون به الذين
لم ياخذهم في الله لومة لائم وتزعزعها موت اولئك او خوفهم من الاعداء المارقين وكل ذلك استعارة لطيفة ووجوه المشابهة
فيها ظاهرة واشار باختلاف النجر الى اختلاف الاصل الذي كان يجمع الفطرة التي فطر الناس عليها وورود الشريعة بلزومها
فانها كانت متفقة بوجود الرسول صلعم فاختلف بعده بسلوك كل فرقة مذهبا غير الاخرى على ان النجر هو بحسب ايضا والحسب هو
الدين فيحتمل ان يريد واختلف الدين واشار بتشتت الامر الى تفرق كلمة المسلمين وبقوله وضاق المخرج وعمي المصدر الى ان الخلق

بعدم نور ظهر في فتن الشبهات الموجبة لتفرق كلمتهم ضاق مخرجهم منها وعمى عليهم مصدرهم منها والعمى ههنا هو المشار اليه بقوله تعالى
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهو استعارة حسنة اذ العمى حقيقة عبارة عن عدم ملكة البصر ووجه المشابهة
ان الاعمى كما لا يهتدي لمقاصده المحسوسة بالبصر لعدمه كذلك اعمى البصيرة لا يهتدي لمقاصده المعقولة لاختلال بصيرته وعدم عقله
لوجوه رشده واشار بخمول الهدى الى عدم ظهوره بينهم حال عماهم عن مصدرهم من ضلالهم اذ كان ضوؤه ساقطا بينهم غير موجود
والفاء لعطف الجملة الاسمية على الفعلية واشار بشمول العمى الى اشتراكهم في عدم رؤيتهم لسبيل الحق الذي به يخرجون من شبهات
الباطل وظلمه ثم اشار بعصيانهم للرحمن ونصرهم للشيطان الى ان ما هم فيه جور عن الحق ونصرة للباطل الذي هو مامور
الشيطان فبالحري ان يكون نصرة للشيطان وعصيانا للرحمن ومن نصر الشيطان بالذب عن الباطل فقد خذل الايمان بتركه تشييد
قواعده والذب عنه وبترك الايمان وخذلانه لا يبقى له دعامة يقوم بها ويحمله والاشارة بالدعائم والمعالم الى دعاة الحق وحملة
الايمان وبانهيارها الى عدمهم او عدم قبول قولهم وبتنكر المعالم الى عدم معرفتهم في الخلق لقلتهم ويحتمل ان يراد بالدعائم القواعد التي
للدين كالجهاد وغيره وانهيارها عدمه وبتنكر المعالم الى امحاء اثر القلوب التي هي معالم الدين وبدروس سبله وعفاء شركه الى
انه لم يبق له اثر يعرف به وكل ذلك عبارة مبالغة في ضعف الدين ومسالك الشيطان ومناهله ما يجرهم اليه من مناهي الله تعالى فيتبعونها
واعلام الشيطان ولواؤه اما القادة اليه والدعاة الى باطله المقتدى بهم او صور الباطل التي تصورت في اذهان الخلق وصارت
غايات لهم فانقادوا لها واتبعوها فهي كالاعلام والالوية في الحروب وغيرها قوله في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها
وقامت على سنابكها يحتمل ان يكون في فتن متعلقا بقوله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه ويحتمل ان يكون يتعلق بمقدر يكون
خبرا ثانيا للقول والناس وهذه الفتن هي التي اشار اليها اولا وانما اوردها ثانيا بزيادة اوصاف فبالغ عليهم في تشبيهها
بانواع الحيوان فاستعار لها اخفافا واظلافا وحوافر وجعل لها دوسا ووطئا وقياما على الحوافر ويحتمل ان يكون هناك
اضمار اي داستهم باخفاف ابلها ووطئتهم باظلاف بقرها وقامت على سنابك خيلها فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
وحينئذ يكون التجوز في نسبة الوطء والدوس والقيام اليها فقط وهو المجاز في الاسناد قوله فيها تايهون الفاء واشار فهم صح
بتيههم الى ضلالهم عن القصد في ظلمات الفتن وبحيرتهم الى ترددهم في ان الحق في اي جهة وعدم درايتهم اهو مع علي ام مع معاوية
وبجهلهم الى عدم علمهم بالحق واعتقاد بعضهم الباطل عن شبهة تحكيم الحكمين واعتقاد اخرين له عن شبهة دم عثمان وامثال
ذلك مما هو جهل مركب وبكونهم مفتونين الى فتنة غيرهم لهم واضلاله عن الحق وهو الشيطان واتباعه قوله في خير دار وشر جيران
هذا الظرف يجوز ان يكون كالذي قبله في كونه خبرا ثالثا ويجوز ان يتعلق بقوله تايهون او ما بعده من الافعال وقد اختلف
الشارحون بكلامه عليه السلام في مراده بخير دار فقال بعضهم اراد الشام لانها الارض المقدسة واهلها القاسطون وقال معنى
قوله نومهم سهود وكحلهم دموع اي انهم لا ينامون اهتماما بامورهم واعدادا انفسهم للقتال ويبكون قتلاهم وقوله بارض عالمها
ملجم يريد نفسه والناصرون للحق وجاهلها مكرم وقال اخرون اراد بخير دار العراق وشر جيران بعض اصحابه المستصرخ
للجهاد وانما كانوا شر جيران اي شر متجاورين لتخاذلهم عن الحق ونصرة الدين لان خير المنيا ودين المتعاضدون في الله وقوله
ونومهم سهود اي خوفا من الحرب وحيرة في التدبير وكحلهم دموع اي يبكون قتلاهم ايضا وقيل نفاقا لان من تم نفاقه ملك

عينه

عينيه وقال آخرون اراد بها الدنيا لانها دار العمل واكثر الخلق بها اشرار جهال وليس المقصود بكونها خير تفضيلها على غيرها
لتوهم انها افضل من الآخرة بل اثبات فضيلتها فقط فان افعل التفضيل كما ترد لاثبات الافضلية كذلك لاثبات الفضيلة
والدار دار فاضلة لمن قام فيها باوامر الله وراعى ما خلق لاجله وهي مزرعة الآخرة كما ورد به الحديث وكون اهلها شر
جيران فاما شر متجاورين كما سبق او شر جيران لمن التجأ اليهم وجاورهم للانتصار بهم على اعداء الذين وذلك بعدم نصرتهم له والقيام
معه وقوله نومهم سهود وكحلهم دموع ظاهره عموم لفظ الناس في اصحابه واصحاب معوية ومن عناه امر الحرب ودخل فيها وقد بالغ عليها
في وصفهم بقلة النوم لخوف الحرب وهجوم بعضهم على بعض وشدة اهتمامهم بامر القتال وحيرتهم في تيه الباطل حتى الحق فلذلك نومهم بالسهاد لاستلزامه
عدم النوم فاستعار له لفظه وصرح هو هو وقوله وكحلهم دموع بالغ في تشبيه دموعهم بالكحل وصرح هو هو ووجه المشابهة ان الدموع لكثرتها
منهم وملازمتها اجفانهم اشبه في ذلك الكثير المعتاد لعيونهم وهو الكحل فلذلك استعار لفظ الكحل له وقوله بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم
الجار والمجرور حكمه حكم الظرف الذي قبله فيما يتعلق به ثم ان حملنا خير دار على الدنيا كان قوله بارض تخصيصا لمكان الناس من الدنيا وكانه قال
والناس في خير دار هي الدنيا وهم منها بارض من حالها ان عالمها ملجم بلجام من اهلها عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم العلم بينهم وغلبة
الجهل عليهم وجاهلها مكرم لمناسبته لهم في الجهل وموافقته لهم على الباطل ويكون المراد بتلك الارض اما الشام او العراق وان حملنا خير دار
على الشام او العراق كان قوله بارض من حالها كذا يجري مجرى البيان لها ويكون الذم اللاحق من هذا الكلام راجعا الى اهل تلك الارض
لتعلق الجام العالم واكرام الجاهل بهم وان نسب ذلك اليها لكونهم بها اذ لو رددنا الذم الى الارض لنافى ذلك وصفه لها بانها خير دار ويحتمل
ان يكون الواو في قوله والناس للحال والعامل ارسله والفتن المشار اليها هي فتن العرب في الجاهلية وحال البعثة وخير دار يعني
مكة وشر جيران يعني قريشا والعالم الملجم هو من كان حينئذ عالما بصدق الرسول وحق بعثته فهو ملجم بلجام التقية والخوف والجاهل
المكرم هو من كذبه وهذا الاحتمال احسن واعلم ان الذي يتبادر الى الذهن ان هذا القدر الذي اورده السيد من هذه الخطبة
فصول ملتقطة ليست على نظامها الذي خرجت عليه وان كان كذلك فربما يلوح لها لو انتظمت مقاصد توضح ما اورده الناس واختلفوا
فيه منها والله اعلم منها ويعني آل النبي صلى الله عليه وآله هم موضع سره ولجأ امره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال
دينه بهم اقام انحناء ظهره واذهب ارتعاد فرائصه اقول اللجأ الملجأ والموئل المرجع من آل يؤول الى كذا اذا رجع وانتهى
اليه والانحناء الاعوجاج والفرائص جمع فريصة وهي اللحمة التي من الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة وقد وردت هذه القرائن
الاربع بالسجع المتوازي والضماير المفردة ههنا كلها راجعة الى الله تعالى الا الضمير في ظهره وفرائصه فانهما للرسول صلعم واشار
بكونهم موضع سره الى كمال استعداد نفوسهم عليهم السلام لاسرار الله وحكمه اذ الموضع الحقيقي للشيء هو ما قبله واستعد له وبكونهم
ملجأ امره الى انهم الناصرون له والقائمون باوامر الله والذابون عن الدين فاليهم يلتجئ وبهم يقوم سلطانه وكونهم عيبة علمه مرادف
لكونهم موضع سره اذ يقال في العرف فلان عيبة العلم اذا كان موضع اسراره ولفظ العيبة استعارة لنفوسهم الشريفة ووجه
المشابهة ظاهر اذ العيبة لما كان من شانها حفظ ما يودع فيها وصيانته عن التلف والادناس وكانت اذهانهم الطاهرة
حافظة للعلم عن عدمه وصيانة له عن تدنسه باذهان غير اهله لا جرم حسنت استعارة لفظ العيبة لاذهانهم وبكونهم
موئل حكمه الى كونهم مرجعا للحكمة اذا ضلت عن اذهان غيرهم فمنهم تطلب وعنهم تكتسب وبكونهم كهوف كتبه الى انهم اهل حفظها ودراستها وتفسيرها

وعندهم علمها وتأويلها والكتب اشارة الى القرآن وما قبله من كتب الله كما نقل عنه عليه السلام في موضع آخر لو كسرت لي الوسادة وجلست عليها لحكمت بين اهل التورية
بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بر او بحر او سهل او جبل او
سماء او ارض او ليل او نهار الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي وقت نزلت واستعار لفظ العيبة وبكونهم جبال دينه الى ان دين الله سبحانه بهم
يعتصم عن وصمات الشياطين وتبديلهم وتحريفهم كما يعتصم الخائف بالجبل ممن يؤذيه وهي استعارة لطيفة وقوله بهم اقام انحناء ظهره اشارة
الى ان الله سبحانه جعلهم له اعضادا يشدون ازره ويقومون ظهره ويؤيدون امره وانحناء الظهر كناية عن ضعفه في بدو الاسلام
فبالحري ان يكون اقامتهم لانحناء ظهره تقويتهم لذلك الضعف بالدين والذب عنه وقوله واذهب ارتعاد فرايصه اي ان الله ازال
عنه بمعونتهم خوفه الذي يتوقعه من المشركين على حوزة الدين وهو كناية عن الشيء ببعض لوازمه اذ كان ارتعاد الفرايص من لوازم شدة
الخوف وكل هذه الامور ظاهرة لاهله الادنين من بني هاشم كالعباس وحمزة وجعفر وعلي بن ابي طالب في الذب عن الدين الرسول ص
والهداية اليه والسلام في الدين والله اعلم ومنها زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من
هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا هم اساس الدين وعماد اليقين اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصايص
حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة الان اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله اقول الغرور الغفلة والثبور الهلاك والفيء نسبة الشيء
الى الشيء والحاقه به في الحكم وفاء يفيء رجع والغلو تجاوز الحد الذي ينبغي الى ما ينبغي والتالي التابع والولاية الاسم من قولك وليت الامر
اليه وليا واصله القرب من الشيء والدنو منه والخصايص جمع خصيصة وهي فعيلة بمعنى فاعلة اي خاصة او مختصة واعلم ان قوله زرعوا
الفجور وسقوه الغرور استعارة لطيفة فان الفجور لما كان الخروج عن ملكة العفة والزهد وتجاوزها الى طرف الافراط منهم وكان معنى
الزرع القاء الحب في الارض استعار عليه السلام لفظ الزرع لبذر الفجور في اراضي قلوبهم وكان انتشاره عنهم ونموه فيهم يشبه نمو الزرع وانتشاره
في الارض ولما كان غرورهم وغفلتهم عن الطريق المستقيم هو سبب عدولهم عنها وتجاوزهم الى طرف الافراط ومهاوي الهلاك وهو مادة تماديهم
في غيهم وزيادة فجورهم وعدولهم عن سواء السبيل اشبه الماء الذي هو سبب حياة الزرع ونموه ومادة زيادته ولاجلها حسنت
استعارة لفظ السقي الذي هو خاصة الماء له ونسبته اليهم ثم لما كانت غاية ذلك الفجور هلاكهم في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بعذابها
لا جرم اشبهت تلك الغاية الثمرة فاستعير لكونها غاية لهم لفظ الحصاد ونسب اليهم وقد اشتملت هذه الالفاظ مع حسن الاستعارة
على الترصيع قال الوبري رحمه الله الاشارة بهذا الكلام الى الخوارج وقيل في المنافقين كما ورد مصرحا به في بعض النسخ واقول يحتمل ان يكون
متناولا لكل من نابذه عليه السلام وخرج عن طاعته زاعما انه بذلك متعصب للدين وناصر له وذلك لان الفجور كما عرفت عبور وتجاوز للعفة
الى طرف الافراط وكل من نابذه عليه السلام وهو مدعي انه طالب للحق فقد خرج في طلبه للحق عن حاق العدل وتعداه الى طرف الفجور والغلو ويدخل
في ذلك القاسطون وهم اصحاب معوية والمارقون وهم الخوارج ومن في معناهم اذ زعم الكل انهم بقتاله طالبون للحق ناصرون له قوله
لا يقاس بآل محمد عليهم السلام من هذه الامة احد الى آخره مدح لهم مستلزم لاسقاط غيرهم عن بلوغ درجتهم واستحقاق منزلتهم والكلام
وان كان عاما في تفضيل آل محمد على كل من عداهم من الامة الا انه خرج على سبب وهو قتاله عليه السلام مع معوية فاذن هو مشير الى تفضيل
نفسه على معوية وعدم ترشحه للخلافة فقوله لا يقاس بآل محمد من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا اشارة
الى عدم مناسبة غيرهم لهم في الفضل والنعمة ههنا نعمة الدين والارشاد اليه والحكم ظاهر الصدق فان المنعم عليه بمثل هذه النعمة

التي لا يمكن احدا ان يقابل الجزاء الا بنا هل ابدا ان يصير في قوة المنعم وخواصه الذين اختصهم بمزيدها على حسب استحقاقهم واستعدادهم التام
الوافر علينا هل غيرهم لها ولا يبلغ درجتهم حتى يقوم مقامهم مع وجودهم في افاضة هذه النعمة واعداد سائر الامة لها وتعليمهم وارشادهم
الى الكيفية الوصول بها الى الله سبحانه وقوله هم اساس الدين اشارة الى ان بهم استقامته وثباته وتفرعه عنهم كما يقوم البناء على اساسه وكذلك
قوله وعماد اليقين وقوله اليهم يفيء الغالي اشارة الى ان المتجاوز للفضائل الانسانية التي مدارها على الحكمة والعفة والعدالة والشجاعة عن
الى طرف الافراط يرجع اليهم ويهتدي بهم في تحصيل هذه الفضائل لكونهم عليها اذا اخذ التوفيق بيده واشار بقوله وبهم يلحق التالي الى ان المقصر
عن بلوغ هذه الفضائل المرتكب لطرف التفريط في تحصيلها يلحق بهم عند طلبه لها ومعونة الله له بالهداية الى ذلك وقوله ولهم خصائص حق
الولاية اشارة الى ان ولاية امور المسلمين وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله لها خصائص هي موجودة فيهم وشروط بها يتاهل الشخص لها
ويستحقها وتلك الخصائص ما نبهنا عليه في الفضائل الاربع النفسانية ولا شك في صدق عليهم في ذلك فان هذه الفضائل وان وجد
بعضها او كلها في غيرهم فعنهم اخذ واليهم فيها انتسب وهل يقاس بين البحر والوشل **قوله** وفيهم الوصية والوراثة اشارة الى اختصاصه عليه السلم
بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله واختصاص اهله بوراثته وقيل اراد بالوراثة ما يراه هو انه اولى به من امر الخلافة وقوله الآن اذ رجع
الحق الى اهله ونقل الى منتقله وفي بعض النسخ قد رجع وذلك عليه السلم الى ان الامامة كانت في غير اهلها وانه هو اهلها والآن وقت رجوعها
اليه بعد انتقالها عنه ولفظ الحق وان كان يحتمل حقا آخر غير الامامة الا انها المتبادرة الى الذهن من اللفظ هنهنا وبالله التوفيق
والعصمة **ومن خطبة له عليه السلم المعروفة بالشقشقية** وتعرف بالمقمصة اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلي منها
محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت ارتأي بين ان
اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى فيها ربه فرايت ان الصبر على
هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى ارى تراثي نهبا حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده ثم تمثل
بقول الاعشى فقال شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها
لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار
منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض
فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم فيا لله وللشورى متى اعترض
الريب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه
ومال الآخر لصهره مع هن وهن الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه
يخضمون مال الله تعالى خضم الابل نبتة الربيع الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني الا والناس
الي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطافي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت
بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وفسق آخرون كانهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا
يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وراقهم
زبرجها اما والذي فلق الحبة وبرا النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء الا يقاروا على كظة

در نسخه

در عطفای

ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز

قالوا وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فأقبل ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال

له ابن عباس رحمه الله عليه يا أمير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث أفضيت فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت

ثم قرت قال ابن عباس فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على ذلك الكلام ألا يكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث أراد **أقول**

اعلم أن هذه الخطبة وما في معناها مما يشتمل على شكايته عليه السلام وتظلمه في أمر الإمامة هو محل الخلاف بين الشيعة وجماعة من مخالفيهم فإن جماعة من الشيعة ادعوا أن هذه الخطبة وما في حكمها مما اشتمل عليه هذا الكتاب منقول على سبيل التواتر وجماعة من السنة بالغوا في إنكار ذلك حتى قالوا إنه لم يصدر عن علي عليه السلام شكاية في هذا الأمر ولا تظلم أصلا ومنهم من أنكر هذه الخطبة خاصة ونسبها إلى السيد الرضي رضي الله عنه والتصدي للحكم في هذا الموضع هو محل التهمة للشارحين وأنا مجرد لعهد الله على أني لا أحكم في هذا الكلام إلا بما أجزم به أو يغلب على ظني أنه من كلامه أو هو مقصوده فأقول إن كل واحد من الفريقين المذكورين خارج عن العدل أما المدعون لتواتر هذه الألفاظ من الشيعة فهم في طرف الإفراط وأما المنكرون لوقوعها أصلا فهم في طرف التفريط أما ضعف كلام الأولين فلأن المعتبرين من الشيعة لم يدعوا ذلك ولو كان كل واحد من هذه الألفاظ منقولا بالتواتر لما اختص به بعض الشيعة دون بعض وأما المنكرون لوقوع هذا الكلام منه عليه السلام فيحتمل إنكارهم وجهين أحدهما أن يقصدوا بذلك توطية العوام وتسكين خواطرهم عن إثارة الفتن والتعصبات الفاسدة ليستقيم أمر الدين ويكون الكل على نهج واحد فيظهر لهم أنه لم يكن بين الصحابة الذين هم أشراف المسلمين وسادتهم خلاف ولا نزاع ليقتدي بحالهم من سمع ذلك وهذا مقصد حسن ونظر لطيف لو قصد والثاني أن ينكروا ذلك عن اعتقاد أنه لم يكن هناك خلاف بين الصحابة ولا منافسة في أمر الخلافة والإنكار على هذا الوجه ظاهر البطلان لا يعتقده إلا جاهل بسماع الأخبار لم يعاشر أحدا من العلماء فإن أمر السقيفة وما جرى بين الصحابة من الاختلاف وتخلف علي عليه السلام عن البيعة أمر ظاهر لا يدفع ومكشوف لا يتقنع حتى قال أكثر الشيعة إنه لم يبايع أصلا ومنهم من قال إنه بايع بعد ستة أشهر كرها وقال مخالفوهم إنه بايع بعد أن تخلف في بيته مدة ودافع طويلا وكل ذلك مما تقضي الضرورة معه بوقوع الخلاف والمنافسة بينهم ولأن المنافسة كانت ثابتة بين علي عليه السلام وبين من تولى أمر الخلافة في زمانه والشكاية والتظلم الصادر عنه في ذلك أمر معلوم بالتواتر المعنوي فإنا نعلم بالضرورة أن الألفاظ المنقولة عنه المتضمنة للتظلم والشكاية في أمر الخلافة قد بلغت الكثرة والشهرة بحيث لا يكون بأسرها كذبا بل لا بد أن يصدق واحد منها وأيها صدق ثبت فيه الشكاية أما خصوصيات الشكايات بألفاظها المعينة فغير متواترة وإن كان بعضها أشهر من بعض فهذا ما عندي في هذا الباب بعد التحري والاجتهاد وعلى هذا التقدير لا يبقى لإنكار هذه الخطبة صادرة عنه عليه السلام ونسبتها إلى الرضي معنى فإن مستند ذلك الإنكار هو ما يشتمل عليه من التصريح بالتظلم والشكاية ومستند إنكار ذلك منه عليه السلام هو اعتقاد أنه لم يكن له منافسة في هذا الأمر وأنت تعلم أن ذلك اعتقاد فاسد على أن هذه الخطبة خاصة قد اشتهرت بين العلماء قبل وجود الرضي روي عن مصدق بن شبيب النحوي قال لما قرأت هذه الخطبة على شيخي أبي محمد بن الخشاب ووصلت إلى قول ابن عباس ما أسفت على شيء قط كأسفي على هذا الكلام قال لو كنت

كون صح

خاصة

هاض لعلت لابن عباس وهل ترك ابن عمك في نفسه شيئا لم يقله في هذه الخطبة فانه ما ترك لا الاولين ولا الاخرين قال مصدق
وكانت فيه دعابة فقلت له يا سيدي فلعلها منحولة اليه قال لا والله اني اعرف انها من كلامه كما اعرف انك مصدق قال فقلت
له ان الناس ينسبونها الى الشريف الرضي فقال لا والله ومن اين للرضي هذا الكلام وهذا الاسلوب فقد راينا كلامه في
نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا ينتظم في سلكه على اني قد رايت هذه الخطبة بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل
ان يخلق ابو الرضي فضلا عنه واقول وقد وجدتها في موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة احدهما انها مضمنة كتاب
الانصاف لابي جعفر بن قبة تلميذ ابي القسم الكعبي احد شيوخ المعتزلة وكانت وفاته قبل مولد الرضي الثاني اني وجدتها بنسخة
عليها خط الوزير ابي الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان وزير المقتدر بالله وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة
والذي يغلب على ظني ان تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن فنقول
قوله تقمصها اي لبسها كالقميص وقطب الرحا مسمارها الذي عليه تدور وسدلت الثوب ارخيته والكشح بفتح الكاف الخاصرة
وطفقت اخذت وجعلت وارتأى في الامر اذا فكر طلبا للراي الاصلح وصال حمل نفسه على الامر بقوة ويدا جذا
بالدال المهملة والمعجمة مقطوعة او مكسورة والطخية الظلمة كقولهم ليلة طخياء اي مظلمة وتركيب هذه الكلمة يدل على ظلمة
الامور وانغلاقها ومنه كلمة طخياء اي عجمية لا تفهم والهرم شدة كبر السن والكدح السعي والعمل وهاتا لغة في هاتي
وهي لغة في هذي وهذه واحجى اولى بالحجى واخلق وهو العقل والقذى هو ما تتاذى به العين من غبار ونحوه
والشجى ما ينشب في الحلق من غصة غبن او غم والتراث كالميراث وهو اسم ما يورث وادلى فلان بكذا اي تقرب به والقاه وشتان ما هما اي بعد
وشتان ما عمرو وزيد اي بعد ما بينهما وكور الناقة رحلها والاقالة فك عقد البيع ونحوه والاستقالة طلب ذلك وشد الامر صعب وعظم وتشطرا اي
اخذ كل شطرا وهو البعض والحوزة الطبيعة والحوزة الناحية والكلم بفتح الكاف الجرح وعثر يعثر عثورا وعثارا اذا اصابت رجله في المشي
حجرا ونحوه والصعبة الناقة لم تذلل بالمحمل ولا بالركوب وشنق الناقة بالزمام واشنقها اذا جذبه الى نفسه وهو راكب ليمسكها عن الحركة العنيفة
والخرم الشق واسلس لها اي ارخى وتقحم في الامر اذا القى بنفسه فيه بقوة ومني الناس اي ابتلوا والخبط الحركة على غير استقامة والشماس بكسر السين
كثرة النفار والاضطراب والتلون اختلاف الاحوال والاعراض ضرب من التلون واصله المشي في عرض الطريق يقال مشى فلان العرضنى اذا مشى في عرض
الطريق خابطا عن مرح ونشاط والشورى مصدر كالنجوى مرادف للمشاورة واسف الطاير اذا دنا من الارض في طيرانه والضغن الميل بكسر
والضغنى
الضاد وسكون الغين وفتحها ايضا الحقد والاصهار عن ابن الاعرابي المتحرمون بجوار او نسب او تزوج وبعض العرب لا يطلقه الا على اهل بيت
الزوجين وعن الخليل انه لا يطلق الا على من كان من اهل المراة وهن على وزن اخ كلمة كناية عن شيء واصله هنو تقول هذا هنك اي شيئك والحضن
الجانب ما بين الابط والخاصرة والنفج قريب من النفخ والنثيل الروث والمعتلف والمعلف موضع الاعلاف والخضم الاكل بجميع
الفم وقيل المضغ باقصى الاضراس تقول خضم بكسر الضاد يخضم والنبتة بكسر النون النبات وانتكث انتقض واجهز على الجريح قتله واسرع
وكبا الفرس سقط لوجهه والبطنة شدة الامتلاء من الطعام والروع الخلد والذهن وراعني اورعني وانثال الشيء اذا وقع يتلو بعضه
بعضا والعطفان الجانبان وروي عطفاي وعطفا الرجل جانباه من لدن راسه الى وركيه والربيض والربيضة الغنم بر عاتها المجتمعة في مرابضها
ومروق السهم خروجه من الرمية وراقه الامر اعجبه والزبرج بكسر الزاي والراء الزينة والنسمة الانسان وقد يستعمل فيما عداه من الحيوان والمقارة

اذا ركل واحد صاحبه على الامر وتراضيهما به والكظة البطنة والغارب اعلى كتف الناقة والعفطة من الشاة كالعطاس من الانسان وقيل
هي الحبقة والشقشقة لهاة البعير ويقال للخطيب ذو شقشقة اذا كان صاحب دربة وبضاعة في الكلام واعلم ان المشار اليه بقوله فلان
هو ابو بكر كما هو مصرح به في بعض النسخ ولما بالغ عليه السلام في تلبس ابي بكر بالخلافة استعار لها وصف القميص وكنى عن تلبسه بها بالتقمص والضمير المنصوب
راجع الى الخلافة ولم يذكرها لظهورها كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب ويحتمل ان يكون ذكرها فيما قبل ذلك والواو في قوله وانه ليعلم ان محلي منها
واو الحال ولما كان قطب الرحى هو الذي به نظام حركاتها وبه يحصل الغرض منها وكان هو عليه السلام الناظم لامور المسلمين على وفق الحكمة الالهية
والعالم بكيفية السياسة الشرعية لاجرم شبه محله من الخلافة بمحل القطب من الرحى وقد جمع هذا التشبيه انواع التشبيه الموجودة في كلام العرب وهي
ثلثة احدها تشبيه محله بمحل القطب من الرحى وهو تشبيه للمعقول بالمعقول فان محل القطب هو كونه نظام احوال الرحى وذلك امر معقول وثانيها
تشبيه نفسه بالقطب وهو تشبيه للمحسوس بالمحسوس وثالثها تشبيه الخلافة بالرحى وهو تشبيه المعقول بالمحسوس ولما كانت حاجة الرحى الى القطب ضرورية
ولا يظهر نفعها الا به فهم من تشبيه محله بمحله انه قصد ان غيره لا يقوم مقامه في امر الامامة ولا يتاهل لها مع وجوده كما لا يقوم غير القطب مقامه في
موضعه ثم اكد ذلك بقوله ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فاستعار لنفسه وصفين احدهما كونه ينحدر عنه السيل وهو من اوصاف الجبل والاماكن
المرتفعة وكنى به عن علوه وشرفه مع فيضان العلوم والتدبيرات السياسية عنه واستعار لتلك الكمالات لفظ السيل والثاني انه لا يرقى اليه الطير فكان ذلك
علوا اذ يد كما قال ابو تمام ؞ مكارم لججت في علو كانما ؞ تحاول ثارا عند بعض الكواكب قوله فسدلت دونها ثوبا كناية عن احتجابه عن طلبها
والمبالغة فيها بحجاب الاعراض عنها واستعار لذلك الحجاب لفظ الثوب استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك قوله وطويت عنها كشحا تنزيل
لها منزلة الماكول الذي منع نفسه من اكله فلم يشتمل عليه كشحه وقيل اراد بطي الكشح التفاته عنها كما يفعل المعرض عمن الى جانبه فاطوى كشحه عنه
واعرض جانبا قوله وطفقت ارتاي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يريد اني جعلت اجيل الفكر في تدبير امر الخلافة واردده بين
نقيضين اما ان اصول على من حازها دوني او ان اتركها وفي كل واحد من هذين القسمين خطر اما القيام فبيد جذاء وهو غير جائز لما فيه من التغرير
بالنفس وتشويش نظام المسلمين من غير فائدة واستعار لفظ الجذاء لعدم الناصر ووجه المشابهة ان قطع اليد لما كان مستلزما لعدم القدرة
على التصرف بها والصولة وكان عدم الناصر لها والمؤيد مستلزما لذلك لاجرم حسنت الاستعارة واما الترك ففيه الصبر على مشاهدة التباس الامور
واختلاطها وعدم تمييز الحق وتجريده عن الباطل وذلك في غاية الشدة والبلاء ايضا واستعار لذلك الالتباس لفظ الطخية وهو استعارة
لفظ المحسوس للمعقول ووجه المشابهة ان الظلمة كما لا يهتدى فيها للمطلوب كذلك اختلاط الامور ههنا لا يهتدى معها لتمييز الحق وكيفية السلوك
الى الله ووصف الطخية بالعمى ايضا على وجه الاستعارة فان الاعمى لما لم يكن ليهتدي لمطالبه كذلك هذه الظلمة لا يهتدى فيها للحق ولوازمه ثم كنى عن
شدة ذلك الاختلاط ومقاساة الخلق بسبب عدم انتظام احوالهم وطول مدة ذلك باوصاف احدها انه يهرم فيها الكبير والثاني انه يشيب فيها الصغير
والثالث ان المؤمن المجتهد في لزوم الحق والذب عنه يقاسي من ذلك الاختلاط شدايد ويكدح فيها حتى يلقى ربه وقد يدأب ويجتهد في الوصول الى حقه
فلا يصل حتى يموت ثم اشار بعد ذلك الى ترجح رايه في اختيار القسم الثاني وهو الصبر وترك القيام في هذا الامر بقوله فرايت ان الصبر على هاتا احجى
واليق بنظام الاسلام ووجه الترجيح ظاهر فانه لما كان مقصوده عليه السلام من هذه المنافسة انما هو اقامة الدين واجراء قواعده على القانون
المستقيم ونظام امور الخلق كما هو المقصود من مقالات الشارعين صلوات الله عليهم اجمعين وكانت صولته ومحاربته لمنافسه في الامامة
بغير ناصر يثمر القيام به ومع ذلك ففيه انشعاب امور المسلمين وتفرق كلمتهم وثوران الفتن بينهم خصوصا والاسلام غض ولم ترسخ محبته في

قلوب

قلوب كثير من الخلق ولم يطيعوا احلاوته وفيهم المنافقون والاعداء المشركون في غاية القوة من كل الاقطار لاجرم لم يمكنه مع ملاحظة هذه الاحوال اثارة الحرب والمنازعة لاداء ذلك الى ضد ما هو مقصود له بحركته ومحاربته واما الصبر وترك المقاومة وان كان فيه بحسب رايه ما ذكره من اختلال الدين وانه لو كان هو القايم بهذا الامر لكان انتظامه به اتم وقوامه به اكمل الا انه اقل بالنسبة الى الاختلال الذي كان يحصل لو نازع في هذا الامر وقام في طلبه وبعض الشر اهون من بعض قوله فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى الواوان للحال والجملتان كنايتان عن شدة ما اضمره من الاذى والغبن بسبب سلبه ما يرى انه اولى به من غيره وما يعتقده من الخبط في الدين بيد غيره قوله ارى تراثي نهبا قيل اراد بتراثه ما خلفه رسول الله صلعم لابنته كفدك فانه يصدق عليها ميراثه لان مال الزوجة في حكم مال الرجل والنهب اشارة الى منع الخلفاء الثلثة لها بالخبر الذي رواه ابو بكر نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة وقيل اراد منصب الخلافة ويصدق عليه لفظ الارث كما صدق في قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام يرثني ويرث من آل يعقوب فانه اراد يرث علمي ومنصبي في النبوة فكان اسم الميراث صادقا على ذلك قوله حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده اراد بالاول ابا بكر وبفلان عمر واشار بالادلاء الى نص ابي بكر على ان يكون عمر هو الخليفة بعده ومضيه لسبيله انتقاله الى الدار الآخرة وسلوكه السبيل الذي لا بد منه لكل انسان واما البيت فهو للاعشى قيس واسمه ميمون بن جندل من بني قيس من قصيدة اولها: علقم ما انت الى عامر: الناقض الاوتار والواتر: وحيان وجابر ابنا السمين بن عمرو من بني حنيفة وكان حيان صاحب الحصن باليمامة وكان سيدا مطاعا يصله كسرى في كل سنة وكان في نعمة ورفاهية مصونا من وعثاء السفر لانه ما كان يسافر ابدا وكان الاعشى ينادمه واراد ما ابعد ما بين يومي يومي على كور المطية اداب وانصب في الهواجر وبين يومي منادما حيان اخي جابر وادعا قارا في نعمة وخفض ويروى ان حيان عاتب الاعشى في تعريفه بنسبته الى اخيه فاعتذر اليه الاعشى بان القافية قادته الى ذلك فلم يقبل عذره واليوم الاول في موضع رفع باسم الفعل والثاني بالعطف عليه واما غرض التمثيل بالبيت فافاد السيد المرتضى رضه اراد بذلك ان القوم لما فازوا بمقاصدهم ورجعوا بمطالبهم وظفروا بها وهو في اثناء ذلك كله محقوق في حقه مكد في نصيبه كما اشار اليه بقوله وفي العين قذى وفي الحلق شجى كان بين حالهم وحاله بعد بعيد وافتراق شديد فاستشهد عليه السلام بهذا البيت واستعار لفظ اليومين وكنى عن حاله وحالهم ووجه المشابهة في هذا المثل ان حاله استلزم المتاعب كيومه على كور الناقة مسافرا قلقا ويحتمل ان يكون قد استعار يوم حيان لعهده مع رسول الله صلعم وما كان يحصل له في مدة صحبته من الفوائد الجسيمة والكمالات من العلوم والاخلاق ويوم كونه على كور الناقة لزمانه بعد الرسول صلعم وما لحقه فيه من مقاساة المحن ومتاعب الصبر على الاذى ووجه المشابهة ما يشتمل عليه يوم حيان وعهد الرسول من المسار وما يشتمل عليه يوم كونه على كور الناقة واوقاته بعد الرسول من المضار قوله فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته الاشارة الى ابي بكر وطلبه الاقالة هو قوله اقيلوني فلست بخيركم ووجه التعجب هيهنا ان طلب ابي بكر للاقالة عن هذا الامر انما هو لثقله وكثرة شرايطه وشدة مراعاة اجراء احوال الخلق مع اختلاف طباعهم واهوائهم على قانون واحد وخوفه ان تعثر به مطايا الهوى فتردي به في موارد الهلاك وعلى هذا التقدير فكلما كانت مدة ولاية الانسان في هذا الامر اقصر كان خوفه اقل وكانت متاعبه ايسر واسهل وسبيل طالب الاقالة من هذا الامر وامثاله ومقتضى طلبه لذلك ان يتحرى قلة متاعب هذا الامر ويجتهد في الخلاص منه مهما امكنه ذلك فاذا رايناه متمسكا بهذا الامر مدة حياته وعند وفاته يعقده لآخر بعده فيتحمل مضار هذا الامر في حال الحيوة وبعد الوفاة فلا بد وان يغلب على الظن ان طلبه للاقالة لم يكن عن قصد صحيح فيصير ذلك الظن مقابلا لما اشتهر عنه من العدالة وذلك محل التعجب وهذا بخلاف من اشتهر بالفسق والنفاق

فانه لا يتعجب من فعله لو خالف قوله قوله لشد ما تشطرا ضرعيها اللام للتأكيد وما مع الفعل بعدها في تقدير المصدر وهو فاعل شد
والجملة من تمام التعجب وقد استعار عليه السلام لفظ الضرع ههنا للخلافة وهي استعارة مستلزمة لتشبيهها بالناقة ووجه المشابهة
المشاركة في الانتفاع الحاصل منهما والمقصود وصف اقتسامهما لهذا الامر المشبه لاقتسام الحالبين اخلاف الناقة بالشدة على من
يعتقد انه احق بها منهما او على المسلمين الذين يشبهون الاولاد لها وقوله فصيرها في حوزة خشناء كنى بالحوزة عن طباع عمر فانها
كانت توصف بالجفاوة والغلظ في الكلام والتسرع الى الغضب وذلك معنى خشونتها قوله يغلظ كلمها ويخشن مسها استعار
لتلك الطبيعة وصفين احدهما غلظ الكلم وهو كناية عن خشونة طباعه المانعة من ميل الطباع اليه المستلزمة للاذى كما يستلزم
مس الاجسام الخشنة قوله ويكثر العثار والاعتذار منها اشارة الى ما كان يتسرع اليه عمر من الاحكام ثم يعاود النظر فيها فيجدها
غير صائبة فيحتاج الى الاعتذار والضمير في منها يعود الى الطبيعة المعبر عنها بالحوزة فمن ذلك ما روي انه امر برجم امراة زنت
وهي حامل فعلم علي عليه السلام بذلك فجاء اليه وقال له ان كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها دعها حتى تضع ما في بطنها
ثم ترضع ولدها فعذرها فقال عمر لولا علي لهلك عمر وتركها وكذلك ما روي انه امر ان يؤتى بامراة لحال اقتضت ذلك وكانت حاملا
فانزعجت من هيبته فاجهضت جنينا فجمع جمعا من الصحابة وسالهم ما ذا يجب عليه فقالوا انت مجتهد ولا نرى انه يجب عليك شيء
فراجع عليا في ذلك واعلمه بما قال بعض الصحابة فانكر ذلك وقال ان كان ذلك عن اجتهاد منهم فقد اخطاوا وان لم يكن عن اجتهاد
فقد غشوك ارى عليك الغرة فعندها قال لا عشت لمعضلة لا يكون لها ابا الحسن ومنشا ذلك وامثاله غلبة القوة الغضبية وغلظ الطبيعة قوله
فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم قيل الضمير في صاحبها يعود الى الحوزة المكنى بها عن طبيعة عمر واخلاقه والمراد على هذا
الوجه ان المصاحب لتلك الاخلاق في حاجته الى المداراة وفي صعوبة حاله كراكب الصعبة ووجه المشابهة ان راكب الصعبة كما يحتاج الى الكلفة الشاقة
في مداراة احوالها فهو معها بين خطرين ان والى الجذبات في وجهها بالزمام خرم انفها وان اسلس في القياد تقحمت به المهالك كذلك اخلاق
مصاحب الرجل والمبتلي بها ان اكثر عليه انكار ما يتسرع اليه ادى ذلك الى مشاقة وفساد الحال بينهما وان سكت عنه وتركه وما يصنع ادى
ذلك الى الاخلال بالواجب وذلك من موارد الهلكة وقيل الضمير في صاحبها للخلافة وصاحبها هو كل من تولى امرها اذا كان عادلا مراعيا
لحق الله ووجه شبهه براكب الصعبة ان المتولي لامر الخلافة يضطر الى الكلفة الشاقة في مداراة احوال الخلق ونظام امورهم على القانون الحق
وان يسلك بهم طريق العدل المحبوسة بطرف التفريط والتقصير المشبه لاسلاس قياد الصعبة وبطرف الافراط في طلب الحق والاستقصاء
فيه الذي يشبه شنقها فان المتولي لامر الخلافة ان فرط في المحافظة على شرايطها واهمل امرها القاه التفريط في موارد الهلكة كما نسبه الصحابة
الى عثمان حتى فعل به ما فعل فكان في ذلك كراكب صعبة اسلس قيادها وان افرط في حمل الخلق على اشد مراتب الحق وبالغ في الاستقصاء
عليهم في طلبه اوجب ذلك تضجرهم منه ونفار طباعهم وتفرقهم عنه وفساد الامر عليه لميل اكثرهم الى حب الباطل وغفلتهم عن فضيلة الحق وان
صعب فيكون في ذلك كمن اشنق للصعبة التي هو راكبها حتى خرم انفها من التشبيهات اللطيفة وقيل اراد بصاحبها نفسه وبشبهه براكب
الصعبة لانه ايضا بين خطرين اما ان يبقى ساكتا عن طلب هذا الامر والقيام فيه فيتقحم بذلك في موارد الذل والصغار كما يتقحم راكب الصعبة
المسلس لها قيادها واما ان يقوم فيه ويتشدد في طلبه فيتشعب امر المسلمين بذلك وتنشق عصاهم فيكون في ذلك كمن اشنق لها فخرم انفها والاول
اليق بسياق الكلام ونظامه والثاني اظهر والثالث محتمل قوله فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض اشارة الى ما ابتلوا به من اضطراب

الرجل

الرجل وحركاته التي بنيتها عليه فكنى بالخبط عنها وبالشماس عن جفاوة طباعه وخشونتها وبالتلون والاعتراض عن انتقاله من حالة الى اخرى في اخلاقه
وهي استعارات وجه المشابهة فيها ان خبط البعير وشماس الفرس واعتراضها في الطريق حركات غير منظومة فاشبهها ما لم يكن منظوما من حركات
الرجل التي ابتلى الناس بها ولا شك انه كان صعبا عظيم السطوة والهيبة وكان اكابر الصحابة يتحامونه وقيل لابن عباس لما اظهر قوله في مسئلة العول
بعد موت عمر هلا قلت ذلك وعمر حي قال هبته وكان رجلا مهيبا وقيل ان ذلك اشارة الى ما ابتلى به الناس من اضطراب الامور وتفرق الكلمة وجري امورهم
على غير نظام بسبب تفرق كلمتهم ثم اردف ذلك بذكر صبره على ما صبر عليه مع الثاني كما صبر مع الاول وذكر امرين احدهما طول مدة تخلف الامر عنه
والثاني شدة المحنة بسبب فوات حقه وما يعتقده من لوازم ذلك الفوت وهو عدم انتظام احوال الدين واجرائه على قوانينه الصحيحة ولكل واحد
من هذين الامرين حصة في استلزام الاذى الذي يحسن في مقابلته الصبر قوله حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم اقول حتى هنا لانتهاء
الغاية والغاية لزوم تالي الشرطية لمقدمها اعني جعله لها في جماعة لمضيه لسبيله واشار بالجماعة الى اهل الشورى وخلاصة حديث الشورى
ان عمر لما طعن دخل عليه وجوه الصحابة وقالوا له ينبغي ان تعهد عهدك ايها الرجل وتستخلف رجلا ترضاه فقال لا احب ان اتحملها حيا
وميتا قالوا افلا تشير علينا فقال اما ان اشير فان احببتم قلت فقالوا نعم فقال الصالحون لهذا الامر سبعة نفر سمعت رسول الله صلعم
يقول انهم من اهل الجنة احدهم سعيد بن زيد وانا مخرجه منهم لانه من اهل بيتي وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير
وعثمان وعلي فاما سعد فلا يمنعني منه الا عنفه وفظاظته واما من عبد الرحمن بن عوف فلانه قارون هذه الامة واما من طلحة
فكبره ونخوته واما من الزبير فشحه ولقد رايته بالبقيع يقاتل على صاع من شعير ولا يصلح لهذا الامر الا رجل واسع واما من
عثمان فحبه لقومه وعصبيته لهم واما من علي فحرصه على هذا الامر ودعابة فيه ثم قال يصلي صهيب بالناس ثلثة ايام وتخلو الستة
في بيت ثلثة ايام ليتفقوا على رجل منهم فان استقام امر خمسة وابى رجل فاقتلوه وان استقام امر ثلثة وابى ثلثة فكونوا مع الثلثة
الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ويروى فاقتلوا الثلثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف ويروى فتحاكموا الى عبد الله بن عمر فاي الفريقين
قضى له فاقتلوا الفريق الاخر فلما خرجوا عنه واجتمعوا لهذا الامر قال عبد الرحمن ان لي ولابن عمي سعد من هذا الامر الثلث فنحن نخرج
انفسنا منه على ان نختار رجلا هو خيركم للامة فقال القوم رضينا غير علي فانه اتهمه في ذلك وقال ارى وانظر فلما ايس من رضى علي
رجع الى سعد فقال له هلم نعين رجلا ونبايعه فالناس يبايعون من بايعته فقال سعد ان بايعك عثمن فانا لكم ثالث وان اردت نعين
ان تولي عثمن فعلي احب الي فلما ايس من رضا وعن سعد كف عنهم وجاءهم ابو طلحة في خمسين رجلا من الانصار يحثهم على التعيين
فاقبل عبد الرحمن على علي عليه السلم واخذ بيده وقال ابايعك على ان تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين ابي بكر وعمر فقال الا
تبايعني على ان اعمل بكتاب الله وسنة رسوله واجتهد رائي فترك يده ثم اقبل على عثمان فاخذ يده فقال له مثل مقالته لعلي فقال نعم
فكرر القول على كل منهما ثلثا فاجاب بما اجاب اولا فبعدها قال عبد الرحمن هي لك يا عثمن وبايعه ثم بايعه الناس وفي بعض
زعم اني سادسهم ثم اردف حكاية الحال بالشورى والواو اما زائدة او للعطف على محذوف مستغاث له ايضا كانه قال فيالله لعمر
وللشورى اولي وللشورى ونحوه والاستفهام عن وقت عروض الشك لان الخلق في ان الاول هل بينا وبه استفهاما على سبيل
الانكار والتعجب من عروض لادنائهم الى غاية ان قاسوه بالخمسة المذكورين وجعلوهم نظرا وامثالا له في المنزلة واستحقاقا
هذا الامر قوله لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذا طاروا استعارة لاحوال الطاير من الاسفاف والطيران لاحواله من مقارنته

اى مال

لمرادهم وتصرفه على قدر اختيارهم اولا واخرا قوله فصغا رجل منهم لضغنه اشارة الى سعد بن ابى وقاص فانه كان منحرفا عن علي عليه السلم
وهو احد المتخلفين عن بيعته بعد قتل عثمن وقوله ومال الآخر لصهره اشارة الى عبد الرحمن بن عوف فانه مال الى عثمان لمصاهرة كانت
بينهما وهي ان عبد الرحمن كان زوجا لام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وهي اخت عثمن لامه اروى بنت كريز قوله مع هن وهن
يريد ان ميله اليه لم يكن لمجرد المصاهرة بل لاشياء اخرى يحتمل ان يكون نفاسة علي وغبطة له بوصول هذا الامر اليه او غير ذلك
وقوله الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه اراد به عثمان وكنى بقيامه عن حركته في ولاية امر الخلافة واثبت له
وصفا لا يستلزم تشبيه بالبعير واستعاره وصفه له وهو نفج الحضنين وكنى بذلك عن استعداده للتوسع ببيت مال المسلمين
وحركته في ذلك كما نسب اليه تشبيها له بالبعير ينتفج جنباه بكثرة الاكل كذلك الموسع في الاكل والشرب وربما قيل ذلك للمتكبر المنتفج
كبرا وكذلك قوله بين نثيله ومعتلفه وهو متعلق بقام اى قام بين معتلفه وروثه وهو من اوصاف البهايم والاستعارة
ان البعير او الفرس لما لا اهتمام له اكثر من ان يكون بين الاكل والروث كذلك نسبه لانه لم يكن اكبر همه الا الرفه والتوفر في المطعم
والمشرب وساير مصالح نفسه واقاربه دون ملاحظة امور المسلمين ومراعاة مصالحهم كما نقم عليه قوله وقام معه بنو ابيه
يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع يخضمون في موضع الحال وعنى بمال الله بيت المال واراد ببني ابيه بني امية بن عبد شمس
ويحتمل ان يريد اقرباءه مطلقا وخص بني ابيه تغليبا للذكورة وكنى بالخضم عن كثرة توسعهم بمال المسلمين من بعد عثمن وقد نقلت
عنه من ذلك صور احدها انه دفع الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته اربعمائة الف دينار وثانيها انه لما فتح افريقية
اعطى مروان بن الحكم مائة الف دينار ويروى خمس افريقية وثالثها روي من عدة طرق ان ابا موسى الاشعري بعث اليه بمال عظيم
من البصرة فجعل يفرقه في ولده وكان ذلك بحضرة زياد بن عبيد مولى الحرث بن كلدة الثقفي فبكى زياد لما راى فقال له لا تبك
فان عمر كان يمنع قرابته ابتغاء وجه الله وانا اعطي قرابتي ابتغاء وجه الله ورابعها روي انه ولى الحكم بن ابي العاص صدقات
قضاعة فبلغت ثلثماية الف فوهبها له حين اتاه بها وخامسها روى ابو مخنف ان عبد الله بن خالد بن اسيد قدم على عثمن من
مكة ومعه ناس فامر لعبد الله بثلثماية الف ولكل واحد منهم بماية الف وصك بذلك على عبد الله بن الارقم وكان حينئذ خازن
بيت المال فاستكثر ذلك ورد الصك فقال له عثمن ما حملك على رده وانما انت خازن قال كنت اراني خازن بيت مال
المسلمين ابدا وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر فدفعها عثمن الى مولاه نابل وروى الواقدي ان عثمن امر زيد بن ثابت ان يحمل من بيت
المال الى عبد الله بن الارقم عقيب ما فعل ثلث ماية الف درهم فلما دخل عليه بها قال له يا ابا محمد ان امير المؤمنين ارسل اليك يقول انا
شغلناك عن التجارة ولك ذو رحم اهل حاجة ففرق هذا المال فيهم واستعن به على عيالك فقال عبد الله ما لي اليه حاجة وما عملت لان يثيبني
عثمن فان كان من بيت المال فما بلغ قدر عملي ان اعطى ثلثماية الف وان كان من ماله فلا حاجة لي به وبالجملة فمواهبه لاهله
ودونه مشهورة وقد شبه عليه السلم خضمهم لمال الله بخضم الابل نبت الربيع ووجه التشبيه ان الابل لما كانت تستلذ نبت الربيع
بشهوة صادقة وتملا منه احناكها وذلك لمجيئه عقيب يبس الارض وطول مدة الشتاء ومع ذلك طيبه ونضارته كما الخذ اقارب
عثمن من بيت المال مشبها لذلك من جهة كثرته وطيبه لهم عقيب صبرهم وفقرهم وكل ذلك في معرض الذم والتوبيخ المستلزم لارتكاب
مناهي الله المستلزم لعدم التاهل للخلافة قوله الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته اشارة الى غاياته

اهلا وصح

من قيامه

من فبابه في المحال المذكورة واستعار لفظ القتل وهو برم الحبل لما كان يبرمه من الراي والتدبير ويستبد به دون الصحابة وكنى به عنه وكذلك لفظ
الانتكاث لانتقاض تلك التدابير ورجوعها عليه بالفساد والهلاك وقوله واجهز عليه عمله على مجاز في الافراد والتركيب اما في الافراد فلان استعمال الاجهاز
انما يكون حقيقة في قتل يقيد مد جرح المقتول او اثخان تضرب ونحوه ولما كان قتل عثمن مسبوقا بطعن اسنة الالسنة والجرح بحداد سيوفها لا جرم
اشبه قتله الاجهاز فاطلق عليه واما في التركيب فلان اسناد الاجهاز الى العمل ليس حقيقة لصدور القتل عن القاتلين لكن لما كان عمله هو السبب الحامل
لهم على قتله صح اسناد الاجهاز اليه اسناد الفعل السبب الفاعلي الى السبب الحامل وهو من وجوه المجاز وكذلك قوله وكبت به بطنته مجاز ايضا في
الاسناد والتركيب وذلك لان الكبو انما هو حقيقة في الاسناد الى الحيوان ولما كان ارتكابه للامور التي نقمت عليه وتوسعه في المجال المكني عنه ذلك
بالبطنة واستمراره على ذلك مدة خلافته سليما يشبه ركوب الفرس واستمراره سليما من العثار والكبو كانت البطنة مشبهة للمركوب من هذه
الجهة فلذلك صح اسناد الكبو اليها مجازا قوله فما راعني الا والناس الى كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب الى متعلق بمحذوف تقديره مقبلون
الى وفاعل راعني الاقبال الناس الى الجملة وهو من فروع مذهب البصريين اذ منعوا كون الجملة فاعلا ونظيره قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات
ليسجننه حتى حين وينثالون اما خبر ثان للمبتدا او حال عن راعني او العامل في الى وصفا ازدحام الناس عليه للبيعة بعد قتل عثمن وقد شبههم
في اقبالهم اليه وازدحامهم عليه بعرف الضبع ووجه ذلك ان الضبع ذات عرف كثير قايم الشعر والعرب تسمي الضبع عرفا لعظم عرفه فكان حال
الناس في اقبالهم عليه متتابعين يتلو بعضهم بعضا فيما يشبه عرف الضبع قوله حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي اشارة الى غاية ازدحامهم عليه
وهي ولداه الحسن والحسين عليهما السلم وشق ردايه بالجذب عن خطابه والجلوس على جانبيه واما على الرواية الاخرى فالمراد بالشق اما الاذى
الحاصل للصدر والمنكبين او شق قميصه بالجلوس على جانبيه واطلاق لفظ العطفين على جانبي القميص مجاز اطلاقا لاسم المجاور على مجاوره
او المتعلق على متعلقه ومن عادة العرب ان يكون امراوهم كسايرهم في قلة التوقير والتعظيم في المخاطبات وفعلهم ذلك اما فرح به
عليهم او لجلافة طباع رعاعهم وحكى السيد المرتضى رضي الله عنه ان ابا عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب روى في قوله عليه السلم وطئ الحسنان انهما
الابهامان وانشد للشنفرى * مهضومة الكشحين خرماء الحسن * وروى ان امير المومنين انما كان يومئذ جالسا محتبيا وهي
جلسة رسول الله صلعم المسماة بالقرفصاء وهي جمع الركبتين وجمع الذيل فلما اجتمعوا اليه ليبايعوه زاحموه حتى وطئوا ابهاميه وشقوا
ذيله بالوطي ولم يعن الحسن والحسين وهما رجلان كساير الحاضرين وهذا القول يويد الرواية الاولى واعلم ان ارادته الحسن والحسين اظهر قوله
مجتمعين حولي كربيضة الغنم مجتمعين منصوب على الحال كالذي قبله والعامل واحد او بقوله وطئ وشق وقد شبه اجتماعهم حوله بربيضة
الغنم ووجه التشبيه ظاهر ويحتمل ان يلاحظ في وجه التشبيه مع الهيئة زيادة وهي انه شبههم بالغنم لغفلتهم عن وضع الاشيا في مواضعها
وقلة فطانتهم وعدم استعمالهم للادب معه او مطلقا والعرب تصف الغنم بالغباوة وقلة الفطانة قوله فلما نهضت بالامر نكثت طايفة
ومرقت اخرى وفسق اخرون اراد بالناكثين طلحة والزبير لانهما بايعاه ونقضا بيعته بخروجهما عليه وكذلك من تبعهما ممن بايعه
وبالمارقين الخوارج وبالقاسطين او الفاسقين اصحاب معوية وهذه الاسما سبقت من الرسول صلعم اذ حكي في موضع خبر انه اخبره بانه
سيقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين بعده وانما خص الخوارج بالمروق لان المروق هو مجاوزة السهم للرمية وخروجه منها ولما كانت
الخوارج اولا منتظمين في سلك الحق الا انهم بالغوا بزعمهم في طلبه الى ان نفذوه وتجاوزوه لا جرم حسن ان يستعار لهم لفظ المروق ولمكان
المناسبة وقد اخبر الرسول صلعم عنهم بهذا اللفظ اذ قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية واما تخصيص اهل الشام بالقاسطين فلان

بمفهوم الفسق او الفسق هو الخروج عن سنن الحق وقد كانوا كذلك بمخالفة علي والخروج عن طاعته فكان اطلاق احد اللفظين عليهم لذلك قوله كانهم لم
يسمعوا الله تعالى يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين تنبيه لاذهان الطوائف الثلث المذكورة
ومن عساه يتخيل ان الخوض في سلوك مسالكهم على ان ما فعلوه من المخالفة عليه والقتال له انما هو طلب للعلوم والمفاخرة في الدنيا المستلزم للسعي في
الارض بالفساد واعراض عن الدار الآخرة وحسم لمادة اعذارهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين فيقولوا عذرنا لعلهم لو سمعنا هذه
الآية ووعيناها لما ارتكبنا هذه الافعال ويزعمون ان الحق في هذه المتصلة هو استثنا نقيض تاليها لينتج لهم نقيض مقدمها وتقديره عليهم
لهذا العذر لهم على سبيل التهكم بهم وانه لا عذر لهم في الحقيقة عما فعلوه ثم اراد عليه السلام تكذيبهم في ذلك العذر على تقدير اعتذارهم به فاشار الى مكذب
النتيجة بوضع نقيضها موكدا بالقسم البار والى منع لزوم هذه المتصلة بقوله بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكن حليت الدنيا في اعينهم ونبه
على ان وضع المقدم المذكور في المتصلة لا يستلزم تاليها مطلقا بل استلزامه له موقوف على زوال مانع هو حاصل لهم الان وذلك المانع
هو غرور الدنيا لهم بزينتها واعجابهم بها وعلى تقدير حصول المانع المذكور جاز ان يجتمع هذا المقدم مع نقيض التالي المذكور وهو ارتكاب ما ارتكبوه
من الافعال قوله اما والذي فلق الحبة وبرا النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء الى اخره اقول لما ذكر من
حال القوم وحاله معهم ما ذكر من الشكاية والتظلم في امر الخلافة وذم الشورى وما انتهى اليه من الحال التي اوجبت نزوله عن مرتبته الى ان قرن
بالجماعة المذكورين اردف ذلك ببيان الاعذار الحاملة له عليه السلام على قبوله لهذا الامر والقيام به بعد تخلفه عنه الى هذه الغاية وقدم على ذلك
شاهدا هذا القسم العظيم بها بين الاضافتين وهما فالق الحبة وبارئ النسمة واعلم ان وصف الاول قد ورد في القرآن الكريم وهو قوله فالق الحب
والنوى وانما خص الحبة والنسمة بالتعظيم بالنسبة الى الله تعالى لما يشتملان عليه مع لطف الخلقة وصغر الحجم من اسرار الحكمة وبدايع الصنع الدالة على
وجود الصانع الحكيم اما فلق الحبة ففيه قولان احدهما قال ابن عباس والضحاك فالق الحب اي خالقه فعلى هذا يكون معنى قوله عليه السلام فلق الحبة كقوله
فطر الخلايق بقدرته الثاني وهو الذي عليه جمهور المفسرين ان فلق الحبة هو الشق الذي في وسطها وتقرير هذا القول ان الحبة من الحنطة مثلا
لما كانت من غايتها ان تكون شجرة مثمرة ينتفع بها الحيوان جعل الله سبحانه في وسطها ذلك الشق حتى اذا وقعت في الارض الرطبة ثم مرت
بها مدة من الزمان جعل سبحانه الطرف الاعلى من ذلك الشق مبدا الخروج الشجرة الصاعدة الى الهواء والطرف الاسفل للعروق الهابطة
الى الارض التي منها مادة تلك الشجرة وفي ذلك بدايع من الحكمة شاهدة بوجود المدبر الحكيم احدها ان طبيعة تلك الحبة ان كانت تقتضي الهوي في
عمق الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة في الهواء وعلى العكس فلما تولد منها امران متضادان علمنا ان ذلك ليس لمجرد الطبيعة بل
بمقتضى الحكمة الالهية وثانيها انا نشاهد اطراف تلك العروق في غاية الدقة واللطافة بحيث لو دلكها الانسان بادنى قوة لصارت كالماء
ثم انها مع غاية تلك اللطافة تقوى على خرق الارض الصلبة وتنفذ في مسام الاحجار فحصول هذه القوة الشديدة لهذه الاجرام
اللطيفة الضعيفة لا بد وان تكون بتقدير العزيز الحكيم وثالثها انك قد تجد الطبايع الاربع حاصلة في الفاكهة الواحدة كالاترج
فان قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس فتولد هذه الطبايع المتضادة عن الحبة الواحدة
لا بد وان يكون بتدبير الفاعل الحكيم ورابعها انك اذا نظرت الى ورقة من اوراق الشجرة المبدعة عن الحبة وجدت في وسطها خطا مستقيما
كالنخاع بالنسبة الى بدن الانسان ثم لا يزال ينفصل الى شعب وعن الشعب شعب اخرى الى ان يستدق وتخرج تلك الخطوط عن
ادراك البصر والحكمة الالهية انما اقتضت ذلك لتقوى القوى الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية

في تلك

فى تلك المجارى الضيقة اذا وقفت على عناية الله سبحانه فى كون تلك الورقة الواحدة علمت ان عنايته فى جملة الشجرة اكمل وان عنايته فى جملة النبات
اكمل ثم اذا علمت انه انما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوانات علمت ان عنايته فى خلق الحيوان اكمل واذا علمت ان المقصود من خلق الحيوان انما
هو الانسان علمت ان الانسان هو اعز مخلوقات هذا العالم عند الله واكرمه عليه وانه قد اكرمه بانواع الاكرام كما قال تعالى ولقد كرمنا بنى آدم الآية
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واما النسمة فعليك فى مطالعة عجايب صنع الله ببدن الانسان بكتب التشريح وقد اشرنا الى طرف من ذلك فى الخطبة
الاولى اذا عرفت ذلك فاعلم انه عليه السلام ذكر من تلك الاعذار ثلثة احدها حضور الحاضرين للمبايعة والثانى قيام الحجة عليه بوجود الناصر له فى طلب الحق
لو ترك القيام الثالث ما اخذ الله على العلماء من العهد على انكار المنكرات وقمع الظالمين ودفع الظلامات عند التمكن والعذران الاولان هما
شرطان فى الثالث اذ لا يتعين ولا يجب انكار المنكر بدونهما وكنى بكظة الظالم عن قوة ظلمه وبسغب المظلوم عن قوة ظلامته قوله لالقيت
حبلها على غاربها استعارة وصف من اوصاف الناقة للخلافة اولا ثم كنى بها عن تركها واهماله لامرها ثانيا كاهمال الراكب لها ولما استعار
لها لفظ الغارب جعل لها حبلا يلقى عليه وهو من ترشيح الاستعارة واصله ان الناقة يلقى زمامها على غاربها وتترك لترعى قوله ولسقيت
آخرها بكاس اولها استعار لفظ السقى للترك المذكور ايضا ورشح تلك الاستعارة بذكر الكاس ووجه تلك الاستعارة ان السقى بالكاس لما
كان مستلزما لوجود السكر غالبا وكان اعراضه او كان مستلزما لوقوع الناس فيما ذكر من الطخية العمياء المستلزمة للحيرة كبير من الحلو وظلاهم
الذى يشبه السكر اشد منه لا جرم حسن ان يعبر عن ذلك الترك بالسقى بالكاس قوله ولالفيتم دنياكم هذه عندى اهون من عفطة عنز عطف
على ما قبله ويفهم منه انه عليه السلام طالب للدنيا ولها عنده قيمة الان طلبه لها والحرص على الامرة فيما ليس لاتقاء هو بل لما ذكرناه من نظام الخلق
واجراء امورهم على القانون العدل الماخوذ على العلماء كما اشار اليه ونظم هذا الكلام فى صورة متصلة هكذا لو لم يحضر الحاضر ولم يقم
الناصر ولم يوخذ على العلماء ما اخذ عليهم من انكار المنكرات اذا تمكنوا الترکت اخرها كما تركت ولوجدتم دنياكم هذه اهون عندى مما لا قيمة
له وهو عفطة العنز واما الحكاية المتعلقة بهذه الخطبة فاراد باهل السواد سواد اهل العراق قال ابو الحسن الكيدرى رحمه الله وجدت فى
الكتب القديمة ان الكتاب الذى دفعه الرجل الى امير المؤمنين عليه السلام كان عدة مسايل الاولى ما الحيوان الذى خرج من بطن حيوان
آخر وليس بينهما نسب فاجاب عليه السلام بانه يونس بن متى عليه السلام خرج من بطن الحوت الثانية ما الشىء الذى قليله مباح وكثيره حرام فقال عليه السلام هو
نهر طالوت لقوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده الثالثة ما العبادة التى ان فعلها واحد استحق العقوبة وان لم يفعلها احد استحق ايضا
العقوبة فاجاب بانها صلوة السكارى الرابعة ما الطاير الذى لا فرخ له ولا فرع ولا اصل فقال طاير عيسى عليه السلام فى قوله تعالى واذ تخلق
من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيه فيكون طيرا باذنى الخامسة رجل عليه من الدين الف درهم وله فى كيسه الف درهم فضمنه ضامن بالف
درهم فحال عليهما الحول فالزكوة على اى المالين تجب فقال ان ضمن الضامن باجازة من عليه الدين فلا يكون عليه وان ضمنه من غير اذنه فالزكوة
مفروضة فى ماله السادسة حج جماعة ونزلوا فى دار من دور مكة واغلق واحد منهم باب الدار وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم
الى الدار فالجزاء على ايهم يجب فقال عليه السلام على الذى اغلق الباب ولم يخرجهن ولم يضع لهن ماء السابعة شهد شهود اربعة على محصن بالزنا فامرهم
الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلثة الباقين ووافقه قوم اجانب فى الرجم فرجع من رجمه عن شهادته والمرجوم لم
يمت ثم مات فرجع الاخرون عن شهادتهم ثم عليه بعد موته فعلى من تجب ديته فقال تجب على من رجمه من الشهود ومن وافقه الثامنة
شهد شاهدان من اليهود على يهودى انه اسلم فهل تقبل شهادتهما ام لا فقال لا تقبل شهادتهما لانهما يجوزان تغيير كلام الله وشهادة

الزور التاسعة شهد شاهدان من النصارى على نصراني او مجوسي او يهودي انه اسلم فقال لا تقبل شهادتهما لقول الله سبحانه ولتجدن اقربهم
مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى الاية ومن لا يستكبر عن عبادة الله لا يشهد الزور العاشرة قطع انسان يدا خر فحضر اربعة
شهود عند الامام وشهدوا على قطع يده وانه زنا وهو محصن فاراد الامام ان يرجمه فمات قبل الرجم فقال على من قطع يده دية يده بحسب
ولو شهدوا انه سرق نصابا لم تجب دية يده على قاطعها والله اعلم ومن خطبة له عليه السلم بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا
انفجرتم عن السرار وقر سمع لم يفقه الواعية كيف يراعي النبأة من اصمته الصيحة ربط جنان لم يفارقه الخفقان ما زلت انتظر بكم
عواقب الغدر واتوسمكم بحلية المغترين سترني عنكم جلباب الدين وبصرنيكم صدق النية اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة تلتقون
حيث تلتقون ولا دليل وتحتفرون ولا تميهون اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان عزب راي امرئ تخلف عني ما شككت
في الحق مذ اريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل من
وثق بماء لم يظمأ اقول روي ان هذه الخطبة خطب بها امير المؤمنين عليه السلم بعد قتل طلحة والزبير تسنمتم اي ركبتم سنامها وسنام كل شيء
اعلاه والسرار الليلة او الليلتان تكون في اخر الشهر يستتر فيها القمر ويخفى والوقر الثقل في السمع ووقرت الاذن فهي موقورة والواعية
الصارخة والنبأة الصوت الخفي والسمة العلامة وسنن الحق وجهه وطريقه وماهت البئر خرج ماؤها وعزب اي غاب فاوجس
يجس واجس والظماء العطش واعلم ان هذه الخطبة من افصح كلامه عليه السلم وهي مع اشتمالها على كثرة المقاصد الواعظة المحركة للنفس في
غاية وجازة اللفظ بم من عجيب فصاحتها وبلاغتها ان كل كلمة منها يصلح كان تفيد على سبيل الاستقلال وهي على ما نذكره من حسن
النظم وتركيب بعضها مع بعض قوله بنا اهتديتم في الظلماء الضمير المجرور راجع الى ال الرسول صلعم والخطاب لحاضري الوقت من قريش
والمخالفين له مع طلحة والزبير وان صدق في حق غيرهم والمراد انا سبب هدايتكم بانوار الدين وما انزل الله من الكتاب والحكمة وهدى
للناس وبينات من الهدى والفرقان حيث كنتم في ظلمات الجهل وتلك الهداية هي الدعوة الى الله وتعليم الخلق كيفية السلوك الى حضرة
قدسه وقوله تسنمتم العلياء اي بتلك الهداية وشرف الاسلام علا قدركم وشرف ذكركم ولما استعار وصف السنام للعلياء ملاحظة
لشبهها بالناقة رشح تلك الاستعارة بذكر التسنم وهو ركوب السنام وكنى به عن علوهم قوله وبنا انفجرتم عن السرار استعار لفظ السرار
لما كانوا فيه من ليل الجهل في الجاهلية وخمول الذكر ولفظ الانفجار عنه لخروجهم من ذلك الى نور الاسلام واشتهارهم في الناس وذلك
لتشبيههم بالفجر الطالع من ظلمة السرار في الضياء والاشتهار قوله وقر سمع لم يفقه الواعية التفات الى الدعاء بالوقر على سمع لا يفقه
صاحبه بواسطته علما ولا يستفيد من السماع به مقاصد الكتب الالهية وكلام الانبياء عم والدعاة الى الله وحق لذلك السمع ان تكون
الفايدة منه المقصودة من الحكمة الالهية اكتساب النفس من جهته ما يكون سببا لكمالها وقوتها على الوصول الى جناب الله وساحل
عزته فاذا كانت النفس معرضة عما يحصل من جهته من الفايدة وربما كانت مع ذلك متلقية منه ما يؤدي به من الشرور الجاذبة لها
الى الجنبة السافلة فحقيق به ان يكون موقورا من روي دق على ما لم يسم فاعله فالمراد اوقره الله وهو كلام على سبيل التمثيل اورده
في معرض التوبيخ لهم والتبكيت بالاعراض اوامر الله وطاعته وكنى بالواعية عن نفسه اذ صاح فيهم بالموعظة الحسنة والحث
على الالفة وان لا يشقوا عصى الاسلام فلم يقبلوا ووجه نظام هذه الكلمة مع ما قبلها انه لما اشار اولا الى وجه شرفه عليهم
وانه ممن اكتسب عنه الشرف والفضيلة وكان ذلك في مقابلة نفادهم واستكبارهم عن طاعته اردف ذلك بهذه الكلمة المستلزمة

للدعاء

للدعاء عليهم كيف لم يفقهوا بيانه للوجوه الموجبة لاتباعه ويقبلوه بعد ان سمعوه وهذا كما يقول احد العلماء لبعض تلامذه
المعاندين له المدعى لمثل فضيلته انكم جاهديت من الجهل وعلا قدرك فى الناس وانا سبب الشرف فتتكبر علىّ وقد سمعكم لم لا تتفقه
قولى وتقبله قوله كيف يراعى النباة من اصمته الصيحة استعار لفظ النباة لدعائه لهم وندائه الى سبيل الحق والصيحة الله ورسوله
وهى استعارة على سبيل الكناية عن ضعف دعائه بالنسبة الى قوة دعاء الله ورسوله لهم وتقدير ذلك ان الصوت الخفى لما كان لا
يسمع عند الصوت القوى اذ من شان الحواس ان لا تدرك الاضعف مع وجود الاقوى المماثل فى الكيفية لاشتغالها به وكان
كلامه عليه السلام اضعف فى جذب الخلق وفى قبولهم له من كلام الله وكلام رسوله جرى الصوت الخفى بالنسبة اليه واسناد الاصمام الى الصيحة
من ترشيح الاستعارة وكنى به عن بلوغ تكرار كلام الله على اسماعهم الى حد انها مجته وملت سماعه بحيث لا يسمع بعده ما هو فى
معناه خصوصا ما هو اضعف كما لا يسمع الصوت الخفى من اصمته الصيحة وقد وردت هذه الكلمة مورد الاعتذار لنفسه فى عدم
فايدة وعظه والاعتذار لهم فى ذلك ايضا على سبيل التهكم والذم ووجه نظامها مع ما قبلها انه لما كان تقدير الكلمة الاولى وقرب
اسماعكم كيف لا تقبلون قولى الفقت عنه وقال كيف يسمع قولى من لم يسمع كلام الله ورسوله على كثرة تكراره على اسماعهم وقوة اعتقادهم
وجوب قبوله وكيف تواجدون بسماعه وقد اصمهم نداء الله قوله وربط جنان لم يفارقه الخفقان دعاء للقلوب الخايفة الوجلة
التى لا تزال تخفق من خشية الله والاشفاق من عذابه بالثبات والسكينة والاطمينان والتقدير ربط جنان نفسه ومن روى بضم الواو
على ما لم يسم فاعله فالتقدير فاعله ربط الله جنانا كذلك وهو جذب لهم الى درجة الخايفين وتنبيه على ملاحظة نواهى الله فيفيئوا الى طاعته
ووجه اتصاله بما قبله ان ذكر الشريف وصاحب الفضيلة فى معرض التوبيخ لمن يراد منه ان يسلك مسلكه ويكون بصفاته من اعظم الجواذب
له الى التشبيه به ومن احسن الاستدراجات له فكانه قال كيف يلتفت الى قولى من لا يلتفت الى كلام الله لله در الخايفين من الله الراغبين
لاوامره الوجلين من وعيده لا ضركم لو تشبهتم بهم فرجعتم الى الحق وقمتم به قيام رجل واحد قوله ما زلت انتظر بكم الغدر وانوسمكم بحلية
المغترين اشارة الى انه عليه السلام كان يعلم عاقبة امرهم اما باطلاع الرسول صلعم له على انهم بعد سعيهم له يغدرون به او لانه كان يلوح له من حركاتهم
واحوالهم بحسب فراسته الصايبة فيهم كما اشار اليهم بقوله وانوسمكم بحلية المغترين ولانه فهم انهم من اهل الغرة وقبول عن ادنى شبهة
بما لاح له من صفاتهم الدالة على ذلك وكان علمه بذلك منهم مستلزما لعلمه بغدرهم بعهده ونقضهم لبيعته فكان ينتظر ذلك منهم قوله
سترنى عنكم جلباب الدين وارد مورد الوعيد للقوم فى قتالهم له ومخالفتهم لامره والمعنى ان الدين حال بينى وبينكم وسترنى عن اعين
بصايركم ان يعرفونى بما اقوى عليه من العنف بكم والغلظة عليكم وسائر وجوه تقويمكم وردعكم عن الباطل وراءها وقفنى عن الدين من
الرفق والشفقة وسحب ذيل العفو عن الجرايم فكان الدين غطاء بينهم وبين معرفته فاستعار له لفظ الجلباب وروى سترنا كم عواى
عصمهم الاسلام من دماكم واتباع مدبركم وان اجيز على جريحكم وغير ذلك مما يفعل من الاحكام فى حق الكفار قوله وبصرنيكم صدق
النية اراد بصدق نيته اخلاصه لله تعالى وصفاء مرآة نفسه وانه بحسب ذلك افيض على بصير بصيرته نور معرفة احوالهم وما
يؤل اليه عاقبة امرهم كما قال النبى عليه السلام المؤمن ينظر بنور الله قوله اقمت لكم على سنن الحق فى جواد المضلة تنبيه لهم على وجوب اقتفاء
اثره والرجوع الى لزوم اشعة انواره فى سلوك سبيل الله واعلام لهم انه واقف لهم على سبيل سواء سبيل الحق فى الطرق التى هى
مزال الاقدام ليردهم عنها وليتبين ذلك فى المثل المشهور عن رسول الله صلعم روى انه قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى

جنبتي الصراط سور فيه ابواب مفتحة وعلى تلك الابواب ستور مرخاة وعلى راس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تعوجوا قال فالصراط هو الاسلام والستور حدود الله والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي هو القرآن فيقول لما كان علي عليه السلام هو الواقف على اسرار الكتاب والملي بجوامع علمه وحكمه والمطلع على اصول الدين وفروعه كان هو الناطق بالكتاب والداعي به الكتاب على راس سبيل الله والمقيم عليها ولما كان سبيل الله وصراط المستقيم في غاية الوضوح والبيان له وكان مستبينا بما لها من الحدود والمقومات مستجلها لمزال الاقدام فيها وما ينشاء عليها من الشكوك والشبهات كان بحيث قوته المدبرة لهذا العالم بعد رسول الله صلى الله عليه هو الواقف على تلك الابواب المفتحة التي هي موارد الهلاك وابواب جهنم وجواد المضلة والساتر لها بحدود الله وبيان نواهيه بتعظيم وعيده والذايد لاذهان السالكين للصراط عنها وذلك حيث تلتفت اذهانهم في الظلمات الجهل فلا تبصر دليلا هناك سواه ويطلبون ماء الحيوة بالبحث والفحص في اودية القلوب فلا يجدون ﷺ بها ماء الا معه واستعار لفظ الاحتفار للبحث عن مظان العلم ولفظ الماء للعلم كما سبق بيان وجه المشابهة قوله اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان كنى بالعجماء ذات البيان عن الحال التي يشاهدونها من العبر الواضحة والمثلات التي حلت بقوم فسقوا امر ربهم وعن ما هو واضح من كمال فضله عليه السلام بالنسبة اليهم وما ينبغي لهم ان يعتبروه من حال الدين ومقتضى اوامر الله التي يحثهم على اتباعها فان كل هذه الاحوال امور لا نطق لها فشبهها لذلك بالعجماء اذ عبر هو بلسانه مقاله عنها ما كانت تقتضيه وتشاهده من نظر اليها بعين بصيرتها وهو كقولهم سل الارض من شق انهارك واخرج ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وكقولهم الحايط للوتد لم يشقني قال سل من يدقني وقال بعضهم العجماء صفة لمحذوف تقديره واراد بها ما ذكر في هذه الخطبة من الرموز وشبهها بالحيوان اذ لا نطق لها في الحقيقة ومع ذلك يستفيد الناظر فيها اعظم الفوايد فهي ذات بيان عند اعتبارها قوله عزب راي امرء تخلف عني اشارة الى ذم من تخلف عنه وحكم عليه بالسفه وعدم اصابة الراي حالة تخلفه عنه وذلك ان المتخلف لما فكر في اي الامور انفع له ان يكون من متابعيه او المتخلفين عنه ثم راى ان التخلف عنه او قوله كان ذلك اسوء الاراء واقبحها فهو في الحقيقة كمن اقدم على ذلك بغير راي يحضره او لان الراي الحق بمكان عازبا عنه وهو ذم في معرض التوبيخ للقوم على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جاره قوله ما شككت في الحق مذ رايته بيان لبعض اسباب وجوب اتباعه وعدم التخلف عنه واعلان التمدح بعدم الشك عما اراه الله من الحق وافاضه على نفسه القدسية من الكمال مستلزم للاخبار بكمال قوته على استثبات الحق الذي راه وشدة جلايه له بحيث لا يعرض له شبهة فيه والامامية تستدل بذلك على وجوب عصمته وطهارته عن الارجاس التي منشاؤها ضعف اليقين قوله ولم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اشفق افعل التفضيل منصوب على الصفة لخيفة لان الاشفاق خوف والتقدير ولم يوجس موسى اشفاقا على نفسه اشد من غلبة الجهال والمقصود التنبيه على ان الخوف الذي يخافه عليكم منهم وقيام دول الضلال منمحي طريق الهدى ويندرس مسالك الحق كما خاف موسى عليه السلام من غلبة جهال السحرة حيث القوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وقيل ان اشفق فعل ماض والمعنى ان خوف موسى عليه السلام من السحرة لم يكن على نفسه وانما خاف من غلبة الجهال فكانه قال لكن اشفق او انما اشفق ودول كدولة فرعون واتباعه الضالين عن سبيل الله وقولهم اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل المواقفة مفاعلة من الطرفين والخطاب لمقابليه في القتال والمراد اني واقف على الحق وانتم واقفون على سبيل الباطل داعون اليه وهو سفيرهم عما هم عليه الى ما هو عليه قوله من وثق بماء لم يظما مثل نبه على وجوب الثقة بما عنده اي انكم ان سكنتم الى قوله ووثقتم به كنتم اقرب الى اليقين والهدى وابعد عن

الضلال صح

الضلال

الضلال والردى كما ان الواثق بالماء فى اداوته امن من العطش وخوف الهلاك وبعيد عنهما بخلاف من لم يثق بذلك وكنى بالماء عما اشتمل عليه من
العلم بكيفية الهداية الى الله فان الماء الذى لا ظماء معه ومن كلام له عليه السلم لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وابو سفيان بن حرب
فى ان يبايعا له بالخلافة ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة افلح من نهض
بجناح او استسلم فاراح ماء اجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتنى الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه فان اقل يقولوا حرص
على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتى والله لابن ابى طالب انس بالموت من الطفل بثدى امه بل اندمجت
على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية فى الطوى البعيدة اقول سبب هذا الكلام ما روى انه لما تم فى سقيفة بنى ساعدة
لابى بكر امر البيعة اراد ابو سفيان بن حرب ان يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضا فيكون ذلك دمارا للدين فمضى الى العباس
فقال له يا ابا الفضل ان هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الامر من بنى هاشم وجعلوه فى بنى تيم وانه ليحكم فينا غدا هذا الفظ الغليظ من
بنى عدى فقم بنا حتى ندخل على على عليه السلم ونبايعه بالخلافة وانت عم رسول الله وانا رجل مقبول القول فى قريش فان دافعونا عن ذلك قاتلناهم
وقتلناهم فاتيا امير المؤمنين عليه السلم فقال له ابو سفيان لا تغافل عن هذا الامر متى كنا اتباعا لتيم الاراذل وكان عليه السلم يعلم من حاله انه لا يقول
ذلك غضبا للدين بل للفساد الذى رواه فى نفسه فاجابه عليه السلم بهذا الكلام عرجوا اى ميلوا وانحرفوا والفلاح الفوز والنجاة والاجن
تغير الماء وفساده وغص باللقمة يغص بفتح الغين اذا وقفت فى حلقه فلم يسغها وايناع الثمرة ادراكها واندمجت على كذا انطويت عليه
وسترته فى باطنى وباح بالشىء اظهره والطوى البئر والرشاء حبلها قوله شقوا امواج الفتن بسفن النجاة شبه عليه السلم الفتنة بالبحر الملاطم
فلذلك استعار له الامواج وكنى به عن حركة الفتنة وقيامها ووجه المشابهة ظاهر لاشتراك البحر والفتنة عند هيجانهما فى كونهما سببا
لهلاك الخائضين فيهما واستعار بسفن النجاة لكل ما يكون وسيلة الى الخلاص من الفتنة من مهادنة او حيلة مخلصة او صبر ووجه
المشابهة كون كل منهما وسيلة الى السلامة اذا جاد الطريق المذكورة طرق السلامة من ثوران الفتنة والهلاك فيها كما ان السفينة
سبب للخلاص من امواج البحر قوله وعرجوا عن طريق المنافرة امرهم بالعدول عن طريق المنافرة الى السكون والسلامة وما يوجب سكون
الفتنة وكذلك قوله وضعوا تيجان المفاخرة امر بطريق اخر من طرق النجاة وهى ترك المفاخرة فان المفاخرة مما يهيج الاضغان
ويثير الاحقاد ويوجب قيام الفتنة ولما كان اكبر ما ينتهى اليه ارباب الدنيا من المفاخر هو لبس التيجان وكانت الوصول الى الشرف بعد
والانساب الكريمة والقنيات الحسنة هى اسباب الافتخار الدنيوى ومنشاؤه وكانت المشابهة بينها وبين التيجان حاصلة
فاستعار عليه السلم لفظها لها وامرهم بوضعها قوله افلح من نهض بجناح او استسلم فاراح لما نهى عليه السلم عن الفتنة وبين ان المنافرة والمفاخرة
ليسا طريقين محمودين اردف ذلك بالاشارة الى انه كيف ينبغى ان يكون طريق فوزه بمطالبه او النجاة له فحكم بالفوز لمن نهض
بجناح واستعار لفظ الجناح للاعوان والانصار ووجه المشابهة ظاهر فان الجناح لما كان محل القدرة على الطيران والتصرف
وكانت الاعوان والانصار بهم القوة على النهوض الى الحرب والطيران فى ميدانها لاجرم حصلت المشابهة فاستعير لهم لفظ الجناح وحكم بالنجاة
للمستسلم عند عدم الجناح وكلاهما يشملها اسم الفلاح وفى هذا الكلام تنبيه على قلة ناصره فى هذا الامر وتقدير الكلام انه ليس الطريق ما
ذكرتم بل الصواب فيما يفعل ذو الراى فى هذا الامر انه اما ان يكون ذا جناح فينهض به فيفوز بمطلوبه او لا يكون فيستسلم وينقاد
فيسلم او يريح نفسه من تعب المطالب قوله ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها تنبيه على ان المطالب الدنيوية وان عظمت فهى مشوبة بالكدر

ای صح

اما ان صح

والتغير والنغص واشار الى امر الخلافة في ذلك الوقت وتشبيهها بالماء واللقمة ظاهر اذ عليهما مدار الحيوة وامر الخلافة اعظم اسباب
الدنيا فتشابها فاستعار لفظهما لما يطلب منها وكنى بهما عنه ولما كان اجون الماء والغصص باللقمة مما ينغصهما ويوجب نفار النفس
عن قبولها وكانت المنافسة في امر الخلافة والتجاذب والمنافرة بين المسلمين فيها وكونها في معرض الزوال مما يوجب التنفير عنها وتبغيضها وعدم
الالتذاذ بها نبه عليه السلام بالاجون والغصص باللقمة على تلك الامور وكنى بهما عنها ليسكن بذلك فورة من استنهضه في هذا الامر من بني هاشم فكانه قال
انها لقمة منغصة وجرعة لا يسيغها شاربها قوله ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه تنبيه على ان ذلك الوقت ليس وقت
الطلب لهذا الامر اما لعدم الناصر او لغير ذلك وكنى بمجتني الثمرة عن طالبها فاستلزم ذلك تشبيهها بالثمرة ايضا لاشتراكهما في كونهما محلا للالتذاذ
او نحوه شبه مجتني الثمرة لغير وقتها بالزارع بغير ارضه ووجه الشبه عدم الانتفاع في الموضعين اذ كان الزارع بغير ارضه في محل ان يمنع من
ذلك التصرف فيبطل سعيه ولا ينتفع بها فكذلك طالب الخلافة في ذلك الوقت قوله فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت
شكاية من الالسنة والاوهام الفاسدة في حقه وردت في معرض الكلام واشارة الى انه سواء طلب هذا الامر او سكت عنه فلا بد من ان يقال
في حقه وينسب الامر في القيام والطلب ينسب الى الحرص على الامرة والاهتمام بامر الدنيا وفي السكوت الى الذلة والعجز وخوف الموت واوهام
الخلق والسنتهم لا تزال مولعة بامثال ذلك بعضهم في حق بعض قوله هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابي طالب انس بالموت من الطفل
بثدي امه ورد مورد التكذيب للاوهام الحاكمة في سكونه بجزع اي بعد ما يقولون واللتيا والتي كنايتان عن الشدائد والمصائب العظيمة
والحقيرة واصل المثل ان رجلا تزوج امراة قصيرة صغيرة الخلق فقاسى منها شدائد فطلقها وتزوج طويلة فقاسى منها اضعاف ما قاسى من
الصغيرة القصيرة فطلقها وقال بعد اللتيا والتي لا اتزوج ابدا فسار ذلك مثلا للداهية الكبيرة والصغيرة وتقدير مراده ابعد ملاقاة
كبار الشدائد وصغارها انسب الي الجزع من الموت بعد ما يقولون ثم اكد تكذيبهم لا في دعوى جزعه من الموت بالقسم البار انه انس بالموت
من الطفل بثدي امه وذلك امر بين من حاله عليه السلام اذ كان سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ورئيس الاولياء وقد عرفت ان محبة الموت
والانس به امر متمكن من نفوس اولياء الله لكونه وسيلة لهم الى لقاء اعظم محبوب والوصول الى كل مطلوب وانما كان انس به من الطفل
بثدي امه لان محبة الطفل للثدي وانسه به وميله اليه ميل طبيعي حيواني في معرض الزوال وميله الى لقاء ربه والوسيلة اليه ميل عقلي
باق فاين احدهما من الاخر قوله بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة اشارة الى سبب جملي
لتوقفه عن الطلب والقيام غير ما نسبوه اليه من الجزع والخوف من الموت وهو العلم الذي انطوى عليه فان علمه بعواقب الامور وادبارها
وتطلعه الى نتايج الحركات بعين بصيرته التي هي كمرآة صافية حوذي بها صور الاشياء في المرائي العالية فارتسمت فيها كما هي مما
يوجب توقفه عما يعلم ان فيه فساد [illegible] وتسرعه الى ما لم يعلم فيه مصلحة بخلاف الجاهل الذي يقدم على عظائم الامور بفطير الراي لا عن بصيرة
قادته الى ذلك ثم نبه على عظم قدر العلم الذي اندمج عليه بقوله لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية والجملة الشرطية في موضع الجر صفة للعلم
واشار باضطرابهم على ذلك التقدير الى تشتت آرائهم عند ان يكشف لهم ما يكون من امر الخلافة والى من ينتهي والى ما يؤول اليه حال
الناس اذ كان ذلك مما وقف عليه الرسول صلى الله عليه وآله واعده لفهمه فان كثيرا منهم في ذلك الوقت كانوا ممن ... عمر واخرون عن عثمن فضلا عن
معوية ومنهم من كان يوهل نفسه للخلافة في ذلك الوقت ويطلبها لنفسه في بعد عقدها لابي بكر كان يرجوان تؤول اليه بعده
واذا كان الامر كذلك فظاهر انه عليه السلام لو باح لهم بما علمه من عاقبة هذا الامر لم يكن لهم ذلك النظام الحاصل في ذلك

الوقت

الوقت لياس بعضهم من وصول ذلك الامر اليه وخوف بعضهم من غلظة عمر ونفورهم منه ونفار آخرين من بني امية وما يكون منهم وشبه اضطراب
آرائهم على ذلك التقدير باضطراب الارشية في الطوى البعيدة مبالغة وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس وذلك ان الطوى كلما كانت اعمق كان اضطراب
الحبل فيها اشد لطوله فكذلك حالهم حينئذ اي يكون لكم اضطراب قوي واختلاف شديد وقيل اراد ان الذي يمنعني من المنافسة في هذا الامر والقتال عليه
هو شغلي بما انطويت عليه من العلم باحوال الآخرة وشاهدته من نعيمها وبؤسها مما لو كشفته لكم لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة خوفا
من الله ووجلا من عقابه وشوقا الى ثوابه ولذهلتم عما انتم فيه من المنافسة في امر الدنيا وفي هذا الوجه تحتمل الارادة من هذا الكلام ولعل في تمام هذا
الكلام لو وجد ما يوضح المقصود منه ولم اقف عليه ومن كلام له عليه السلام لما اشير اليه بان لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال والله لا اكون كالضبع تنام
على طول اللدم حتى يصل اليها طالبها ويختلها راصدها ولكني اضرب بالمقبل الى الحق المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المريب ابدا حتى
ياتي علي يومي فوالله ما زلت مدفوعا عن حقي مستاثرا علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا اقول روى ابو عبيدة قال
اقبل امير المؤمنين عليه السلام يريد الطواف وقد عزم على اتباع طلحة والزبير وقتالهما فاشار عليه ابنه الحسن عليه السلام ان لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال
فقال في جوابه هذا الكلام وروي في سبب نقضهما البيعة انهما دخلا عليه بعد ان بايعاه بايام وقالا قد علمت جفوة عثمان لنا وميله الى
بني امية مدة خلافته وطلبا منه ان يوليهما المصرين الكوفة والبصرة فقال لهما حتى انظر ثم استشار عبد الله بن عباس فنهاه عن ذلك فعاوداه
فمنعهما فسخطا وفعلا ما فعلا قال الاصمعي اللدم بسكون الدال ضرب الحجر او غيره على الارض ليس بالقوي ويحكى ان الضبع تستغفل في جحرها
بمثل ذلك فتسكن حتى تصاد ويحكى في كيفية صيدها انهم يضعون في جحرها حجرا ويضربون بايديهم بابه فتحسب الحجر شيئا تصيده فتخرج ويصاد
ويقال انها من احمق الحيوان ويبلغ من حمقها ان يدخل عليها فيقال ليست هذه ام عامر او يقال خامري ام عامر فتسكن حتى توثق رجلها
بحبل معد لصيدها والختل الخديعة واستاثرت بالشيء انفردت به واشار اولا الى رد ما اشير عليه به من تاخير القتال ومفهوم التشبيه انه لو
تاخر لكان ذلك سببا لتمكن الخصم مما قصده فيكون هو في ذلك شبيها بالضبع التي تنام وتسكن على طول حيلة راصدها فاقسم انه لا
يكون كذلك اي لا يسكن على كثرة الظلم والبغي وطوله قاعدا عن حقه ثم اردف ذلك بما هو الصواب عنده وهو المقاومة ~~المقاتلة~~ والقتال بمن
اطاعه لمن عصاه فقال لكني اضرب بالمقبل الى الحق وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع وجه العاصي المريب ابدا وراعى المقابلة ههنا
فالعاصي في مقابلة المطيع والمريب في مقابلة السامع لان المرتاب في الحق مقابل للقابل له ثم فسر الابد بغاية عمره لانه الابد الممكن له
وذلك قوله حتى ياتي علي يومي واشار بيومه الى وقت ضرورة الموت كناية ثم اردف ذلك بالتظلم والشكاية في دفاعه عن هذا الامر والاستئثار
عليه به المحوج له الى هذه المقاومة والشكايات واشار الى مبدا ذلك الدفاع ومنتهاه واكد ذلك بالقسم البار والاشارة بالحق المدفوع
عنه الى امر الخلافة وهي شكاية موكدة للشكايات السابقة وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا واتخذهم
له اشراكا فباض وفرخ في صدورهم ودب ودرج في حجورهم فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل فعل
من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه اقول ملاك الامر ما يقوم به ومنه القلب ملاك الجسد والاشراك يجوز ان
يكون جمع شريك كشريف واشراف ويجوز ان يكون جمع شرك وهو حبائل الصائد كجبل واجبال والدبيب المشي الضعيف والدرج
اقوى منه والخطل الفاسد من القول وشركه بفتح الشين وكسر الراء شاركه وهذا الفصل من باب المنافرة وهو ذم للمنابذين له والمخالفين
عليه فاشار اولا الى انقيادهم بنفوسهم لشياطينها الى حد جعلوها مدبرة لامورهم فيها قوام احوالهم وعزلوا عقولهم عن تلك المرتبة فهم اولياؤهم

في الحيوة الدنيا كما قال تعالى انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون ثم اردف ذلك بالاشارة الى بعض لوازم تمليك الشيطان لامورهم بقوله
واتخذهم له اشراكا وذلك انه اذا ملك امورهم وكان قيامها بتدبيره فهم كيف شاء واستعمال الاشراك ههنا على تقدير كونها جمع شرك
استعارة حسنة فانه لما كان فائدة الشرك اصطياد ما يراد صيده وكان هؤلاء القوم بحسب ملك الشيطان لارائهم وتصرفه فيهم على حسب
حكمه اسبابا للدعوة للخلق الى مخالفة الحق ومنابذة امام الوقت وخليفة الله في ارضه اشبهوا الاشراك لاصطيادهم الخلق بالسنتهم واموالهم
وجذبهم الى الباطل بالاسباب الباطلة التي القاها اليهم الشيطان ونطق بها على السنتهم فاستعار لفظ الاشراك واما على التقدير الثاني فظاهر
ثم اردف ذلك ببيان ملازمته لهم فشبههم بالطائر الذي بنى عشه في قلوبهم وصدورهم واستعار لفظ البيض والافراخ ووجه المشابهة
ان الطائر لما كان يلازم عشه فيبيض ويفرخ فيه اشبه الشيطان في اقامته في صدورهم وملازمته لهم وكذلك قوله ودب ودرج في حجورهم
استعارة كنى بها ايضا عن تربيتهم للباطل وملازمة ابليس وعدم مفارقته لهم ونشوه معهم كما يدب الولد في حجر والديه وراعى في هذه
القرائن الاربع السجع ففي الاولين السجع المطرف وفي الاخريين السجع المتوازي قوله فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم اشارة الى وجوه تصرفه في
اجزاء ابدانهم بعد القائهم مقاليد امورهم اليه وعزله عقولهم عن التصرف فيها بدون مشاركته ومتابعته قوله فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل
اشارة الى ثمرة متابعته وهي اصابته مقاصده منهم من الخروج عن اوامر الله في الافعال وهو المراد بارتكابهم الزلل وفي الاقوال وهو المشار اليه
بتزيينه لهم الخطل قوله فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه اشارة الى ان الافعال والاقوال الصادرة عنهم على
خلاف اوامر الله انما تصدر عن مشاركة الشيطان والضمير في سلطانه يعود الى من اي من قد شاركه الشيطان في سلطانه الذي جعله الله له
الاعمال والاقوال وانتصاب فعل على المصدر اما عن فعل محذوف تقديره فعلوا ذلك فعلا او عن اتخذوا لانه في معنى فعلوا فهو مصدر له من غير لفظه
وراعى في هاتين القرينتين ايضا السجع المطرف والله اعلم بالصواب. ومن كلام له عليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك يزعم انه بايع بيده ولم
يبايع بقلبه فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة فليات عليها بامر يعرف والا فليدخل فيما خرج منه اقول الوليجة الدخيلة في الامر وهذا
الفصل صورة مناظرة له مع الزبير وهو يشتمل على تقرير حجة سابقة له عليه وصورة نقض لتلك الحجة من الزبير وصورة جواب له عليه السلام
عن ذلك اما الحجة فكانه عليه السلام لما نكث الزبير وخرج لقتاله احتج عليه بلزوم البيعة له اولا فكان جواب الزبير ما حكاه عنه
بقوله من انه بايع بيده ولم يبايع بقلبه اشارة الى التورية والتعريض في العهود والايمان ونحوهما وهما من الزبير ان ذلك امر بقلبه
النية فاجاب عليه السلام بقياس حذف كبراه كما علمت من قياس الضمير وهو ما اشار اليه بقوله فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة اي اقر بما هو
معروف ومحكوم بلزومه له شرعا وادعى انه اضمر في باطنه ما يفسده من الوليجة فهذه صغرى القياس وتقدير الكبرى وكل من فعل ذلك
احتاج في بيان دعواه الى بينة تتوقف صحتها فينتج انه محتاج الى بينة كذلك واشار الى هذه النتيجة بقوله فليات عليها بامر يعرف
اي على دعواه الوليجة وهيهات له ذلك اذ التورية امر باطن لا يمكن الاحتجاج ولا اقامة البرهان عليه ثم اشار بقوله والا فليدخل فيما
خرج منه امره بالدخول في طاعته وحكم بيعته التي خرج منها على تقدير عدم قدرته على برهان دعواه وبالله التوفيق ومن كلام له
عليه السلام وقد ارعدوا وابرقوا ومع هذين الامرين الفشل ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر اقول الفشل الجبن والضعف
والاشارة الى طلحة والزبير واتباعهما والكلام في معرض الذم واستعار لفظ الارعاد والابراق لوعيدهم وتهديدهم له بالحرب يقال
ارعد الرجل وابرق اذا تهدد وتوعد قال الكميت: ارعد وابرق يا يزيد، فما وعيدك لي بضائر، ووجه الاستعارة كون الوعيد من

الامور المزعجة كان الرعد والبرق كذلك قوله ومع هذين الفشل اشارة الى وجه الرذيلة وذلك ان التهديد والتوعد قبل ايقاع الحرب والضوضاء
والجلبة امارة للجبن والعجز والصمت والسكون امارة الشجاعة كما اشار عليه السلام في تعليم كيفية الحرب مخاطبا لاصحابه واميتوا اصواتكم فانه
اطرد للفشل وروى ان ابا طاهر الجنابي سمع جلبة عسكر المقتدر وهو في الف وخمسمائة فارس والمقتدر في عشرين الفا فقال لبعض
اصحابه ما هذا الزجل قال فشل قال اجل وكانت الغلبة له فاستدل عليه السلام بتلك الامارة على الفشل قوله فلسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل
حتى نمطر اشارة الى نفي تلك الرذيلة عن نفسه واثباته واصحابه الفضيلة لهم وكان فضيلة السحاب ان يقترن وقوع المطر منه برعده وبرقه
واسالته بامطاره كذلك اقواله مقرونة بافعاله لا خلف فيها واسالته عذابه مقرونة بامطاره ومفهوم ذلك ان خصمه تهدده بالحرب
من غير قوة نفس ولا ايقاع لها فاشبه ذلك الرعد من غير ايقاع للمطر والسيل عن غير مطر وكانه قال كما لا يجوز سيل بلا مطر فكذلك ما يدعونه
ويهددون به من ايقاع الحرب بلا شجاعة ولا قوة عليها وفي ذلك شيمة التحدي ومن خطبة له عليه السلام الا وان الشيطان قد جمع
حزبه واستجلب خيله ورجله وان معي لبصيرتي ما لبست على نفسي ولا لبس علي وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون
عنه ولا يعودون اليه اقول هذا الفصل ملتقط ملفق من خطبة له عليه السلام لما بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وهو غير منتظم
وقد اورد السيد منها فصلا آخر وسنذكرها بتمامها اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى الاستجلاب في معنى الجمع والبصيرة العقل
وافرطت الحوض افرطه بضم الراء ملأته والماتح بالماء المستقي وربما يلتبس بالمايح وهو الذي ينزل البير فيملأ الدلو والفرق
بينهما ان نقطتي فوق للفوقاني والصدور الرجوع عن الماء وغيره ويقابله الورود وهو العود اليه ومدار هذا الفصل على
ثلثة امور اولها الذم لاصحاب الجمل والتنفير عنهم والثاني التنبيه على فضيلة نفسه والثالث الوعيد لهم واشار الى الاول بقوله الا وان
الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله واراد ان الباعث لهم والجامع على مخالفة الحق انما هو الشيطان بوسوسته
لهم وتزيينه الباطل في قلوبهم وقد عرفت كيفية وسوسته واضلاله فكل من خالف الحق ونابذه هو من حزب الشيطان وجنده
خيلا ورجلا واما الثاني فاشار اولا الى كمال عقله وتمام استعداده لاستجلاء الحق واستيضاحه بقوله وان بصيرتي لمعي ثم
اكد ذلك بالاشارة الى عدم انخداع نفسه القدسية للشيطان فيما يلبس به على الحق من الشبه الباطلة على البصائر الضعيفة فيعميها
بذلك عن ادراكه وتميزه من الباطل سواء كانت مخادعة الشيطان وتلبيسه بغير واسطة وهو المشار اليه بقوله ما لبست على نفسي
اي لا تلبيس على نفسي المطمئنة ما تلقيه اليها نفس الامارة او بواسطة وهو المشار اليه بقوله ولا لبس علي اي ان احدا ممن تبع ابليس تلقف
عنه الشبه فصار في قوته ان تلبس الحق صورة الباطل لا يمكنه ان يلبس علي واما الثالث فاشار اليه بقوله وايم الله لافرطن لهم حوضا انا
ماتحه الى آخره واستعار افراط الحوض لجمعه الجند وتهيئته اسباب الحرب وكنى بقوله انا ماتحه عن انه هو المتولي لذلك ولما كانت الحرب قد
تشبه بالبحر وبالماء الجم فيستعار لها اوصافه فيقال فلان خواض غمرات وفلان منغمس في الحرب جاز ان يستعار ههنا لفظ الحوض
ورشح تلك الاستعارة بالمتح والفرط والاصدار والايراد وفي تخصيص نفسه بالمتح تاكيد بتهديد لعلمهم ببأسه وشجاعته وقد
حذف المضاف اليه ماتح في الحقيقة وتقديره انا ماتح مائه اذ الحوض لا يوصف بالمتح ثم اردف ذلك بوصف استعداده لهم بالشدة
والصعوبة عليهم فكنى بقوله لا يصدرون عنه عن الموارد منهم لا ينجو منه بمنزلة من يغرق فيه فلا يصدر عنه ولا يعودون اليه
اي ان من نجا منهم لا يطمع في الحرب مرة اخرى فلا يردون الى ما اعد لهم مرة ثانية واكد ذلك الوعيد بالقسم البار واصل ايم يمن

اليه صح

جمع يمين حذفت النون تخفيفا كما حذفت في لم يك وقيل هو اسم براسه وضع للقسم وتحقيقه في مسائل النحو ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية رضوان الله عليه لما اعطاه الراية يوم الجمل تزول الجبال ولا تزل عض على ناجذك اعر الله جمجمتك تد في الارض قدمك ارم ببصرك اقصى القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله سبحانه اقول الناجذ السن بين الناب والضرس وقال الجوهري هو اقصى الاضراس وقيل الاضراس كلها نواجذ واعلم انه عليه السلام اشار في هذا الفصل الى انواع اداب الحرب وكيفية القتال فنهاه اولا عن الزوال واكد عليه ذلك بقوله تزول الجبال ولا تزل والكلام في صورة شرطية متصلة محرفة تقديرها لو زالت الجبال لا تزل وهو نهي عن الزوال مطلقا لان النهي عنه على تقدير زوال الجبال مستلزم للنهي عنه على تقدير اخر بطريق الاولى اذ القصد به المبالغة في النهي ثم اردف ذلك بخمسة اوامر احدها ان يعض على ناجذه وذلك لاستلزامه امرين احدهما ربط الجاش عن الفشل والخوف والانسان يشاهد ذلك في حال البرد والخوف الموجبين للرعدة فانه اذا عض على اضراسه تسكن رعدته ويتماسك بدنه الثاني ان الضرب مع ذلك في الراس لا يوثر كثير ضرر كما قال عليه السلام في موضع اخر وعضوا على النواجذ فانه انبا للسيوف عن الهام وكان ذلك لما فيه من جمع القوة والتصلب الثاني ان يعير الله جمجمته وهي استعارة لطيفة وتشبيه لجمجمته بالالة التي تستعار للانتفاع بالعارية قال بعض الشارحين وفي ذلك تنبيه لمحمد رضي الله عنه على انه لا يقتل في ذلك الحرب اذ ما اعير لله لا بد من رده وبكلام السلام وفيه تثبيت لجاشه وربط لقلبه الثالث ان يلزم قدمه الارض ويجعله كالوتد وذلك لاستلزامه امرين احدهما ربط الجاش واستصحاب العزم على الثبات الثاني ان ذلك مظنة الشجاعة وامارة الصبر على المكاره فيكون من موجبات انفعال العدو وانقهاره الرابع ان يرمي ببصره اقصى القوم وذلك ليعلم على ماذا يقدم ولينظر مخاتل المخاتل ومقاتل المقاتل الخامس ان يغض بصره بعد مده وذلك لكونه علامة السكينة والثبات وعدم الطيش ولان مد النظر الى بريق السيوف مظنة الرهبة وربما خيف على البصر ايضا والنظر المحمود في الحرب ان يلحظ شزرا فعل المحنق المترصد للفرصة كما قال عليه السلام في غير هذا الموضع ولاحظوا الشزر ثم لما ثبته بهذه الاوامر الخمسة امره ان يعلم ان النصر من عند الله كما قال وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليتاكد ثباته بثقته بالله عند ملاحظة قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ونحوه ومن كلام له عليه السلام لما ظفر باصحاب الجمل وقد قال له بعض اصحابه وددت ان اخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على اعدائك فقال عليه السلام اهوى اخيك معنا فقال نعم فقال له

قال فقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في اصلاب الرجال وارحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الايمان اقول قوله اهوى اخيك معنا اي محبته وميله وقوله فقد شهدنا حكم بالحضور بالقوة او بحضور نفسه وهمته وعلى تقدير محبته للحضور وكم انسان يحصل بحضور همته وان لم يحضر ببدنه كثير نفع اما باستجلاب الرجال او بتاثير الهمة في تفريق اعداء الله كما تفعله همم اولياء الله بحيث لا يحصل مثل ذلك النفع من ابدان كثيرة حاضرة وان قويت وعظمت وقوله ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في اصلاب الرجال وارحام النساء تاكيد لحضور اخ القايل بالاشارة الى من سيوجد من انصار الحق الذابين عنه وعباد الله الصالحين شاهدون معه عليه السلام ايضا والشهادة شهادة بالقوة اي انهم موجودون في اكنان المواد بالقوة ومن كان في قوة ان يحضر من انصار الله فهو بمنزلة الحاضر الموجود بالفعل في نصرته له اذا وجد قوله سيرعف بهم الزمان استعار لفظ الرعاف وهو الدم الخارج من انف الانسان لوجودهم وفيه تشبيه للزمان بالانسان وانما نسب وجودهم الى الزمان لانه من الاسباب المعدة لقوابل وجودهم ونحوه قول الشاعر وما رعف الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضريبا وقوله ويقوى بهم الايمان

ظاهر

ظاهر وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام في ذم البصرة واهلها كنتم جند المرأة واتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم فهدبتم ١٤
دقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق المقيم بين اظهركم مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه
كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها وفي رواية اخرى وايم الله لتغرقن بلدتكم
حتى كأني انظر الى مسجدها كجؤجؤ سفينة او نعامة جاثمة وفي رواية اخرى كجؤجؤ طير في لجة بحر اقول هذا الفصل مع فصول بعده
من خطبة خطبها عليه السلام بالبصرة بعد ما فتحها روي انه لما فرغ من امر الحرب لاهل الجمل امر مناديا ينادي في اهل البصرة ان الصلوة الجامعة
لثلثة ايام من غد ان شاء الله ولا عذر لمن تخلف الا من حجة او علة فلا تجعلوا على انفسكم سبيلا فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج
فصلى بالناس الغداة في المسجد الجامع فلما قضى صلوته قام فاسند ظهره الى حائط القبلة على يمين المصلى فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه بما
هو اهله وصلى على النبي صلى الله عليه وآله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم قال يا اهل البصرة يا اهل المؤتفكة
ائتفكت باهلها ثلثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة واعوان البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم دقاق وماؤكم زعاق
بلادكم انتن بلاد الله تربة وابعدها من السماء بها تسعة اعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله كأني انظر الى قريتكم
هذه وقد طبقها الماء حتى ما يرى منها الا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر فقام اليه الاحنف بن قيس فقال يا امير المؤمنين
متى ذلك قال اذا صارت آجامكم قصورا واعلم ان بعد هذا الفصل من الخطبة فصولا لا تعلق لها بهذا الموضع وربما تعلقت بفصول
اوردها السيد بعد هذا الفصل وسنذكرها معها ان شاء الله اصل البصرة الحجارة البيض الرخوة وصارت علما للبلدة لوجدان
تلك الحجارة بها قيل انها بالمربد كثيرة وائتفكت البلدة باهلها انقلبت بهم والمؤتفكة من الاسماء القديمة للبصرة كما سنذكره في تمام
هذه الخطبة والرغاء صوت الابل خاصة والعقر الجرح والدق من كل شئ حقيره وصغيره والشقاق الخلاف والافتراق والنفاق
الخروج من الايمان بالقلب واصله ان اليربوع يرقق موضعا من الارض من داخل جحره فاذا اوتي من قبل بابه وهو القاصعاء
ضرب ذلك الموضع برأسه فانتفق اي خرج ويسمى ذلك النافقاء فاشتق لفظ النفاق منه والزعاق المالح وطبقها الماء اي
عمها واتى على جميعها وجؤجؤ السفينة صدرها وكذلك الطاير واعلم انه عليه السلام ذكر في موضع ذمهم امورا نبه فيها على وجوه ارتكابهم
للرذائل اولها كونهم اهل المؤتفكة ائتفكت باهلها ثلثا ومعلوم ان انقلاب البلد باهلها وخسفها بهم انما يكون لفسادهم واستحقاقهم
بذلك عذاب الله وقوله وعلى الله تمام الرابعة دعاء عليهم بايقاع الخسف بهم الثاني كونهم جند المرأة واراد عائشة فانهم جعلوها
عقد نظامهم ولما كانت اقوال النساء وآراؤهن امورا مذمومة بين العرب وساير العقلاء لضعف آرائهن ونقصان عقولهن
كما قال الرسول صلى الله عليه وآله انهن ناقصات عقول ناقصات دين ناقصات حظ اما نقصان عقولهن فلان شهادة ثنتين منهن بشهادة رجل
واحد لتذكر احديهما الاخرى واما نقصان دينهن فلان احداهن تقعد في بيتها شطر دهرها اي في ايام حيضها لا تصوم
ولا تصلي واما نقصان حظهن فلان ميراثهن على النصف من ميراث الرجال وكان مع ذلك مستشارهن وتابعهن اضعف رأيا منهن
كما هو شان التابع بالنسبة الى متبوعه لا جرم حسن توبيخهم بكونهم جندا لها واعوانا الثالث كونهم اتباع البهيمة واراد بالبهيمة
الجمل الذي كان تحت عائشة فان حالهم شاهدة باتباعه مجيبين لرغائه وهاربين لعقره وهو اشنع من الاول وادخل في الذم وكنى
برغائه عن دعوته لهم الى القتال اذا اقدمت عليهم راكبة له الرابع دقة اخلاقهم واشار بها الى كونهم على رذائل الاخلاق ونحاق

الوسط ولما كانت اصول الفضايل الخلقية كما علمت ثلثة الحكمة والعفة والشجاعة وكانوا على طرف الجهل بوجوه الاداء المصلحية
وهو طرف التفريط من الحكمة العملية وعلى طرف الجبن وهو طرف التفريط من الشجاعة وعلى طرف الجور وهو طرف الافراط من ملكة العفة
والعدالة لاجرم صدق انهم على رذايل الاخلاق ودقاقها الرابع النفاق في العهود والنكث لها ومصداق ذلك نكثهم لعهده وخلافهم
لبيعته وذلك من الغدر الذي هو رذيلة بازاء ملكة الوفا الخامس النفاق في الدين ولما كانوا خارجين على الامام العادل محاربين
له لاجرم كانوا خارجين عن الدين وربما كان ذلك خطابا خاصا لبعضهم اذ المنافق في العرف هو الخارج عن الاسلام بقلبه المظهر له بلسانه
فيكون ذلك خطابا لمن كان منهم بهذه الصفة السادس ما يتعلق بذم بلدهم وهو كون مائهم ملحا وسبب ملوحته قربه من البحر وامتزاجه
به ودخول ذلك في معرض ذمهم ربما يكون لسوء اختيارهم ذلك المكان والاقامة به مع كون مائهم بتلك الحال المستلزم لامراض
كثيرة في استحالته كسوء المزاج والبلادة وفساد الطحال والحكة وغير ذلك مما يذكره الاطباء وكان ذلك من اسباب التنفير عن
المقام معهم وتكثير سوادهم السابع كونها انتن البلاد تربة وذلك لكثرة ركوب الماء لها وتعفنها به الثامن كونها ابعد من البلاد
عن السماء وسيجيء بيانه التاسع كونها بها تسعة اعشار الشر ويحتمل ان يريد به المبالغة في ذمها دون الحصر وذلك انه لما عدد
بها شرورا وانكادا يجتمع في غيرها حكم بان فيها تسعة اعشار الشر مبالغة كنى به عن معظم الشر ويحتمل ان يريد بالشر مجموع الرذايل
الخلقية المقابلة لاصول الفضايل النفسانية التي هي العلم والشجاعة والعفة والسخاء والعدل اذ كل منها مقابل برذيلتين
كما علمت فتلك عشر رذايل واشبه ما يخرج عنهم منها ما لا يناسب غرضه هاهنا ذمهم به كالتبذير ونحوه وهذا الاحتمال وان
كان لطيفا الا ان فيه بعدا العاشر كون المقيم بين اظهرهم مرتهنا بذنبه وذلك ان المقيم بينهم لا بد وان ينخرط في سلكهم ويستعد
لقبول مثل طباعهم وينفعل عن رذايل اخلاقهم وحينئذ يكون موثوقا بذنوبه الحادي عشر كون الشاخص عنهم متداركا برحمة من
ربه وذلك لاعانة الله له بالخروج ليسلم من الذنوب التي يكتسبها المقيم بينهم وتلك رحمة من الله واي رحمة وكل ذلك في معرض التنفير
عنهم والمفهوم من الرواية الثانية وهي قوله المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله غير ما ذكرناه اذ يفهم من قوله المحتبس فيها بذنبه
ان احتباسه بينهم يجري مجرى العقوبة له بذنب سبق منه والخارج منها قد عفا الله عنه بخروجه وقد راعى في هاتين القرينتين
السجع المتوازي وكذلك في القرائن الاربع قبلهما ثم اشار بعد ذلك الى ان بلدتهم سيغرقها الماء وشبه يقينه بذلك ومشاهدته بنور
بصيرته القدسية لمسجدهم مغمورا بالماء وقد طبق ارضهم بمشاهدته الحسية في الجلاء والظهور وقد حكى توقيف الرسول صلعم على
احوالهم في فصل اخر من هذه الخطبة وذلك انه عقيب ذمه لاهل البصرة وجوابه للاحنف في الفصل الذي ذكرناه قال مادحا
لهم يا اهل البصرة ان الله لم يجعل لاحد من امصار المسلمين خطة شرف ولا كرم الا وقد جعل فيكم افضل ذلك وزادكم من فضله
بمنه ما ليس لهم انتم اقوم الناس قبلة قبلتكم على المقام حيث يقوم الامام بمكة وقاريكم اقرا الناس وزاهدكم ازهد الناس
وعابدكم اعبد الناس وتاجركم اتجر الناس واصدقهم في تجارته ومتصدقكم اكرم الناس صدقة وغنيكم اشد الناس بذلا
وتواضعا وشريفكم احسن الناس خلقا وانتم اكرم الناس جوارا واقلهم تكلفا لما لا يعنيه واحرصهم على الصدقات في جماعة
في جماعة ثمرتكم اكثر الثمار واموالكم اكثر الاموال وصغاركم اكيس الاولاد ونساؤكم اقنع النساء واحسنهن تبعلا سخر
لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحا لمعاشكم والبحر سببا لكثرة اموالكم فلو صبرتم واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلا

وظلا

وظلا ظليلا وغير ان حكم الله فيكم ماضي وقضاؤه نافذ لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب يقول الله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل
يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا واقسم لكم يا اهل البصرة ما الذي ابتدأتكم من التوبيخ الا تذكرة وموعظة
لما بعد لكي لا تسرعوا الى الوثوب في مثل الذي وثبتم وقد قال الله تعالى لنبيه صلوات الله عليه وآله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ولا الذي ذكرت
فيكم من المدح والتطرية بعد التذكير والموعظة رهبة مني لكم ولا رهبة في شيء مما قبلكم فاني لا اريد المقام بين اظهركم لامور ان شاء الله
قد يحضرني القيام بها فيما بيني وبين الله فيما عذر لي في تركها ولا علم لكم بشيء منها حتى يقع مما اريد ان اخوضها مقبلا ومدبرا فمن اراد ان
ياخذ بنصيبه منها فليفعل فلعمري انه للجهاد الصافي لنا كتاب الله ولا الذي اردت به من ذكر بلادكم موجدة مني عليكم لما شاقفتموني
غير ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوما وليس معه غيري يا علي ان جبرئيل الامين حملني على منكبه الايمن حتى اراني الارض ومن عليها واعطاني
اقاليدها وعلمني ما فيها وما قد كان على ظهرها وما يكون الى يوم القيمة ولم يكبر ذلك علي كما لم يكبر على ابي آدم علمه الاسماء كلها ولم تعلمها
الملائكة المقربون واني رايت بقعة على شاطئ البحر تسمى البصرة فاذا هي ابعد الارض من السماء واقربها من الماء وانها لاسرع الارض خرابا
واخبثها ترابا واشدها عذابا ولقد خسف بها في القرون الخالية مرارا وليأتين عليها زمان وان لكم يا اهل البصرة وما حولكم من القرى
من الماء ليوما عظيما بلاؤه واني لاعرف موضع منفجره من قريتكم هذه ثم امور قبل ذلك تدهمكم عظيمة اخفيت عنكم وعلمناها فمن خرج عنها
عند دنو غرقها فبرحمة من الله سبقت له ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه وما الله بظلام للعبيد واما تشبيه ما يخرج من الماء من شرفات
المسجد بصدر السفينة وفي الرواية الاخرى بالنعامة الجاثية وفي الرواية الثالثة بالطائر في لجة البحر فتشبيهات ظاهرة فاما وقوع ذلك
الغرق المخبر عنه فالمنقول انها غرقت مرة في ايام القادر بالله ومرة في ايام القائم بامر الله غرقت باجمعها وغرق من في ضمنها وخربت دورها
ولم يبق منها الا اعلى مسجدها الجامع حسب ما اخبر به عليه السلم وكان غرقها من قبل بحر فارس ومن ناحية الجبل المعروف بجبل السنام فكان ذلك
مصداق كلامه عليه السلم وفي ذلك نظر لانه اشار الى ان ذلك الماء ينفجر من ارضهم بقوله واني لاعرف منفجره من قريتكم هذه وظاهر ذلك يقتضي انه لا
يكون من ناحية اخرى والله اعلم ومنها في مثل ذلك ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء خفت عقولكم وسفهت حلومكم فانتم غرض لنابل
واكلة لآكل وفريسة لصائد اقول السفه رذيلة تقابل الحلم وتعود الى الطيش وعدم الثبات والاكلة اسم للماكول وقد علمت ان
قوله ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء مما حكاه عليه السلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الفصل المتقدم اما قرب ارضهم من الماء
فاشارة الى انها موضع هابط مستفل من الارض وقريب من البحر فهو بصدد ان يعلوها بملاقاة دجلة وذلك مشاهد في دخول
الماء حدائقهم وسقيه بساتينهم في كل يوم مرة او مرتين واما كونها بعيدة من السماء فيجب استفالها عن غيرها من الارض وقيل ان
من ابعد موضع في الارض عن السماء الايلة وان ذلك مما دلت عليه الارصاد وبرهن عليه اصحاب علم الهيئة وقال بعضهم ان كون
ذلك في معرض الذم يصرفه عن ظاهره وانما الاشارة به الى انهم لما كانوا بالاوصاف المذمومة التي عددها فيهم كانوا بعداء عن نزول
الرحمة عليهم من سماء الجود الالهي مستعدين لنزول العذاب ويصدق في العرف ان يقال فلان بعيد عن السماء اذا كان كما ذكرناه قوله
خفت عقولكم اشارة الى قلة استعدادهم لدرك وجوه المصالح وضعف عقولهم عن تدبير احوالهم وتسرعهم الى ما لا ينبغي لغفلتهم
عما ينبغي وهو وصفهم برذيلة الغباوة قوله وسفهت حلومكم اشارة الى وصفهم برذيلة السفه والخفة المقابلة للحلم قوله
فانتم غرض لنابل واكلة لآكل وفريسة لصائد هذه الاوصاف الثلثة لازمة عن خفة عقولهم وسفه حلومهم ولذلك عقبها بها

في نسخة صح

موضع صح

لصائل

لان طمع القاصدلهم بانواع الاذى انما ينشأ من علمه بقلة غفلتهم لوجوه المصالح وسفههم فيقصدهم بحسن تدبيره والاول من هذه الاوصاف
كناية عن كونهم مقصد المن يريد اذاهم والثاني كناية عن كونهم في معرض ان يطمع في اموالهم ونعمتهم ويا كلها من يقصدا كلها والثالث عن كونهم
بصدد ان يفترسهم من يقصد قتلهم واهلاكهم واستعار لفظ الغرض والاكلة والفريسة لهم ووجود المشابهة فيها ظاهرة وقد راعى في هذه
القراين السجع ففي الاولين السجع المطرف وفي الاخرين بعدهما والثالث السجع المتوازي ومن كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من
قطايع عثمن والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فان في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه
اضيق اقول هذا الفصل مع فصول بعده من خطبة خطبها بالمدينة لما قتل عثمن وبويع له وقد ورد ههنا بزيادة ونقصان
واول هذا الفصل في الخطبة الا وان كل قطيعة قطعها عثمن او مال اخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم
ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان فانه ان لم يسعه الحق والباطل اضيق عنه وسنورد الخطبة بتمامها في احد
الفصول التي بحر منها ان شاء الله تعالى واعلم انه اشار اولا الى العزم الجازم المؤكد بالقسم على رد القطايع التي كان عثمان اقطعها
اقاربه ثم نبه المقتطعين بقوله فان في العدل سعة على ان عدل الله يسعهم في رد ما اقتطعوه وكنى بسعة عن اقتضاء امر العدل
رد ذلك وغيره من المظالم فعليهم ان يدخلوا في مقتضى اوامر الله وعدله فان فيه سعة لهم اذ به نظام العالم باسره وهو محل المظلوم
بايصال حقه اليه ولرضا الظالم العلمه بانه عند الانتزاع منه اخذ ما ليس له وتاكد ذلك العلم بالوعيد الصادق فهو وان قام شيطانه
حال انتزاع الظلامة منه وضاق عليه العدل فهو في محل الرضا فان لم يرض لضيق العدل عليه فالجور عليه اضيق في الدنيا والاخرة
وربما انتزعت منه قهرا وكان جوده سببا للتضيق عليه في ذلك ولان الاوامر والنواهي الالهية محيطة به سادة عليه وجوه التصرف
الباطل ولانه اذا انزل عليه عدلا اعتقد انه قد اخذ منه ما ينبغي اخذه منه واذا انزل عليه جورا اعتقد انه اخذ منه ما لا ينبغي اخذه ولا
شك ان اخذ ما لا ينبغي اخذه اصعب على النفس واضيق من اخذ ما ينبغي وهو امر وجداني والمعنى في الالفاظ التي اوردناها من
الخطبة قريب مما ذكرناه ههنا غير ان الضمير في قوله فانه ان لم يسعه يعود الى المال واعلم انه قد كان عثمن اقطع جماعة
من بني امية وغيرهم من اصحابه كثيرة من ارض بيت المال وكذلك فعل عمر ذلك مع قوم لهم وقايع مشهورة في الجهاد في سبيل الله ترغيبا
في الجهاد لكن لما اختلف غرضا الامامين لم يرد عليه السلام الا ما اقطعه عثمن وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة
ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم ان من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات
الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن
سوط القدر حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا
سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها
اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم
الجنة حق وباطل ولكل اهل فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما ادبر شيء فاقبل اقول
في هذا الفصل فصول من الخطبة التي اشرنا اليها في الكلام الذي قبله وكذلك في الفصل الذي بعده ونحن نوردها بتمامها ليتضح ذلك
وهي الحمد لله احق محمود بالحمد واولاه بالمجد الها واحدا صمدا اقام اركان العرش فاشرق بضوئه شعاع الشمس خلق فاتقن

واقام

واقام فذلت له وطأة المستمكن واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالنور الساطع
والضياء المنير اكرم خلق الله حسبا واشرفهم نسبا لم يتعلق عليه مسلم ولا معاهد بمظلمة بل كان يظلم اما بعد فان اول من بغا على
الارض عناق ابنة آدم كان مجلسها من الارض جريبا وكان لها عشرون اصبعا وكان لها ظفران كالمنجلين فسلط الله عليها
اسدا كالفيل وذئبا كالبعير ونسرا كالحمار وكان ذلك في الخلق الاول فقتلها وقد قتل الله الجبابرة على اسوأ احوالهم وان الله
اهلك فرعون وهامان وقتل قارون بذنوبهم الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم والذي بعثه بالحق
لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن
سباقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا اليوم وهذا المقام الا وان الخطايا
خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار فهم فيها كالحون الا وان المطايا التقوى مطايا ذلل
حمل عليها اهلها فسارت بهم تاودا حتى اذا جاوا ظلا ظليلا فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين الا وقد سبقني الى هذا الامر من لم اشركه فيه ومن ليست له توبة الا بنبي مبعث ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله اشفى
منه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ايها الناس كتاب الله وسنة نبيه لا يرعى مرعى الا على نفسه شغل من الجنة والنار
امامه ساع نجا وطالب يرجوا ومقصر في النار ولكل اهل ولعمري لئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما
ادبر شيء فاقبل ولئن رد امركم عليكم لسعدا وما علينا الا الجهد قد كانت امور مضت ملتم فيها ميلة كنتم عندي فيها غير محمودي
الراي ولو اشاء ان اقول لقلت عفا الله عما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همه بطنه ويله لو قص جناحاه وقطع راسه
كان خيرا له شغل عن الجنة والنار امامه ساع مجتهد وطالب يرجوا ومقصر في النار ثلثة واثنان خمسة ليس فيهم سادس ملك
طار بجناحيه ونبي اخذ الله بضبعيه هلك من ادعى وخاب من افترى اليمين والشمال مضلة ووسط الطريق المنهج عليه باقي الكتاب
وآثار النبوة الا وان الله قد جعل ادب هذه الامة السوط والسيف ليس عند امام فيهما هوادة فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات
بينكم والتوبة من ورائكم ابدا صيحته للحق الا وان كل قطيعة اقطعها عثمن او مال اخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود
عليهم في بيت مالهم ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه اقول قولي واستغفر
الله لي ولكم وقد ذكرنا هذا الفصل فيما قبل ولنرجع الى التفسير فنقول الذمة الحرمة والذمة العهد ايضا والرهينة المرهونة والزعيم
الكفيل وفي الحديث الزعيم غارم والمثلات العقوبات والحجاز والحجز المنع وتقحم في الامر وتقحم رمى بنفسه فيه والهيبة الصفة
والبلبلة الاختلاط والغربلة نخل الدقيق وغيره والغربلة القتل ايضا وساط القدر اذا ما قلب فيها من طعام بالمحراك
وادراه والوشمة بالشين المعجمة الكلمة وبغير المعجمة العلامة والاثر والشمس جمع شموس وهي الدابة تمنع ظهرها والتاود
السير الثقيل بالثبات والذلول الساكنة والكلوح بكسر في عبوس وامر الباطل بكسر الميم كثر وفلان يرعى على نفسه اذا كان
يتفقد احوالها واعلم انه اشار اولا في هذا الفصل الى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى ونبه على انه وسيلة اليه ومستلزم
له في صورة شرطية متصلة وهي قوله من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات وبيان
الملازمة ان من اخذت العناية بزمام عقله فاعدت نور بصيرته لمشاهدة ما صرحت به آفات الدنيا وكشفت عن عبرها

يفيض

من تبدل حالاتها وتغير انقياعها من اوقف عليها همه واتخذها دار اقامة فشاهدان كل ذلك امور باطلة واظلال زايلة فلا بد ان
الله على قلبه صورة خشية ويقواه فيستلزم تلك الخشية توقفه وامتناعه عن ان يلقى نفسه في تلك الامور الزايلة والشبهات الباطلة لاشراق نور الحق
الواضح على لوح نفسه والاعتبار والتقوى اللازم عنه هو الحاجز عن ذلك التقحم واشار بالشبهات الى ما يتوهم كونه حقا نافعا باقيا من الامور الفانية
الزايلة واللذات الدنيوية الباطلة فالوهم يصورها ويشبهها بالحق فلذلك سميت شبهات والعقل الخارج من اسر الهوى قوي على نقد الحق وتميزه
من الشبهة والكلام على هذه الملازمة مرهون ذمته على صحتها وكفالته بصدقها وذلك قوله ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم واستعمال الرهن ههنا
استعارة كقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة واعلم انه ربما التبس عليك حقيقة التقوى فنقول التقوى بحسب العرف الشرعي يعود الى خشية الحق سبحانه
المستلزمة للاعراض عن كل ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا وزينتها وتنحيه ما دون وجهه عن جهة القصد ولما كان الترك والاعراض
المذكور هو الزهد الحقيقي كما علمت وكان التقوى وسيلة اليه علمت انه من اقوى الجواذب الى الله الرادعة عن الالتفات الى ما سواه وقد ورد التقوى
بمعنى الخشية من الله تعالى في اول النساء يا ايها الناس اتقوا ربكم ومثله في اول الحج وفي الشعراء اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون وكذلك قول هود وصالح
ولوط وشعيب لقومهم وفي العنكبوت وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه وقوله اتقوا الله حق تقاته وتزودوا فان خير الزاد التقوى وكذلك في
ساير ايات القران وان كان قد حمله بعض المفسرين تارة على الايمان كما في قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى وتارة على التوبة كما في قوله ولو ان اهل القرى امنوا
واتقوا وتارة على ترك المعصية كما في قوله واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله اذا عرفت ذلك فاعلم انه لما نبههم على لزوم التقوى وانه مخلص من تقحم الشبهات
نبههم بعده على انهم في الشبهات مغمورون بقوله الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه واشار ببليتهم الى ما هم عليه من اختلاف الاهواء
وتشتت الاراء وعدم الالفة والاجتماع في نصرة الله عن شبهات يلقيها الشيطان على الاذهان القابلة لوسوسته المقهورة في يده وذلك من اعظم الفتن
التي بها يبتلي الله عباده ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وهي امور يشبه ما كان الناس عليه حال بعثة الرسول صلعم وفي ذلك تنبيه لهم على انهم ليسوا
من تقوى الله في شيء اذ عرفت ان مجانبة الشبهة من لوازم التقوى فكان وقوعهم فيها مستلزما لسلب التقوى عنهم ثم لما بين وقوعهم في البلية كما كانت
اقسم بالقسم البار ليتنزلن بهم ثمرة ما هم فيه من عدم التناصر واتباع الاهواء الباطلة وذكر امورا ثلثة احدها البلبلة وكنى بها عما توقع بهم بنو امية
وغيرهم من امراء الجور من الظهور المزعجة وخلط بعضهم ببعض ورفع اراذلهم وحط اكابرهم على ما يستحق كل من المراتب الثاني الغربلة وكانها
كناية التقاط احادهم وقصدهم بالاذى والقتل كما فعل بكثير من الصحابة والتابعين وفي ذلك تشبيه لفعلهم ذلك بغربلة الدقيق ونحوه لتمييز
شيء منه عن شيء ولذلك استعير له لفظها وفي هاتين القرينتين السجع المتوازي الثالث ان يساطوا كما يساط القدر الى العود اسفلهم اعلاهم وبالعكس
واستعار لفظ السوط ههنا مع غايته المذكورة لتصريف ايمة الجور لهم ممن ياتي بعده بسائر اسباب الاهانة وتغيير القواعد التي هم عليها
في ذلك الوقت وهو قريب من الاول قوله وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا اشارة الى بعض نتايج تقلب
الزمان بهم قال بعض الشارحين انه اشار بالمقصرين الذين يسبقون الى قوم قصروا عن نصرته في مبدا الامر حين وفاة الرسول صلعم ثم نصروه
في ولايته وقاتلوا معه في ساير حروبه وبالسابقين الذين يقصرون الى من كانت له في الاسلام سابقة ثم يخذله وينحرف عنه ويقاتله ويشبه
ان يكون مراده اعم من ذلك فالمقصرون الذين يسبقون كل من اخذت العناية الالهية بيده وقاده زمام التوفيق الى الجد في طاعة الله
واتباع ساير اوامره والوقوف عند نواهيه وزواجره بعد تقصيره في ذلك وعكس هولاء من كان في مبدا الامر مشمرا في سلوك سبيل
الله ثم جذبه هواه الى غير ما كان عليه وسلك به الشيطان مسالكه فاستبدل بسبقه في الدين تقصيرا وانحرافا عنه قوله والله ما كتمت وشمة

ولا كذبت

ولا كذبت كذبة اقسم انه لم يكتم اثرا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى او كلمة مما تتعين عليه انه كما هو وذلك قوله ولقد نبئت بهذا المقام اي مقام
بيعة الخلق له وهذا اليوم اي يوم اجتماعهم عليه وكل ذلك تنفير لهم عن الباطل الى الحق وتثبيت لهم على اتباعه ثم لما امرهم بالتقوى وانبأهم بما يسكون من
عاقبة امرهم في لزومهم لبليتهم وتورطهم في الشبهات اردف ذلك بالتنفير عن الخطايا والترغيب في التقوى بالتنبيه على ما يعود اليه كل منها قوله الا
وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار استعار لفظ الخيل للخطايا ثم وصفها بالوصف المنفر وهو الشموس
المانعة لذي العقل من ركوبها وهي كونها مع شموسها مخلوعة اللجم ووجه الاستعارة ظاهر فان الشموس التي خلع لجامها لما كانت من شانها
ان تتقحم براكبها المهالك وتجري به على غير نظام فكذلك راكب الخطيئة لما جرى به ركوبها على غير نظام الشريعة وخلع بذلك لجام الاوامر
الشرعية حدود الدين لا جرم كانت غاية من ركوبه لها ان تتقحم اعظم موارد الهلاك وهي نار جهنم وذلك من لطيف الاستعارة قوله الا وان
التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة استعار ايضا لفظ المطايا بالوصف الحسن الموجب للميل اليها وهو
كونها ذللا وبالهيئة التي ينبغي للراكب وهو اخذ الزمام واشار بالازمة الى حدود الشريعة التي يلزمها صاحب التقوى ولا يتجاوزها
ولما كانت المطية الذلول من شانها ان تتحرك براكبها على وفق النظام الذي ينبغي ولا يتجاوز الطريق المستقيم بل يصير فيها بزمامها وتسيرة
على تؤده فيصل بها الى مقاصده كذلك التقوى فتسهل له طريق السالك الى الله بالتقوى ورادعة عن جموح الهوى به في موارد الهلكة يشبه ذلة
المطية وحدود الله التي بها يملك التقوى ويستمر عليه يشبه ازمة المطايا التي بها تملك وكون التقوى موصلا لصاحبه سلامة الى السعادة
الابدية التي هي اسنى المطالب يشبه غاية سير المطي الذلول براكبها والاستعارة في الموضعين استعارة لفظ المحسوس للمعقول ثم لما بين
ان هاهنا طريقين مركوبين مسلوكين طريق الخطايا وطريق التقوى ذكر بعده انهما حق وباطل فكانه قال وهما حق وهو التقوى
وباطل وهو الخطايا ثم قال ولكل اهل اي ولكل من طريقي الباطل والحق قوم اعدهم القدر لسلوكها بحسب ما جرى في اللوح المحفوظ بقلم
القضاء الالهي كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له قوله فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل ارداف لذلك بما يشبه
الاعتذار لنفسه ولاهل الحق في قلته ذم وتوبيخ لاهل الباطل على كثرته اي ان كثرة الباطل وقلة الحق في ذلك الوقت ليس بدعا حتى اجهد نفسي في
الانكار على اهله ثم لا يسمعون ولا ينتهون وفي قوله لربما ولعل تنبيه على ان الحق وان قل فربما يعود كثيرا ثم اردف حرف التقليل وهو
ربما بحرف التمني وكان في هذه الاحرف الوجيزة اخبار بقلة الحق وعدم بقوته مع نوع تشكيك في ذلك وتمني لكثرته قوله ولقل ما ادبر شيء فاقبل
استبعاد لرجوع الحق الى الكثرة والقوة بعد قلته وضعفه على وجه كلي فان زوال الاستعداد في الامر مستلزم لزوال صورته وصورة
الحق انما افيضت على قلوب صفت واستعدت لقبوله فاذا اخذ ذلك الاستعداد في النقصان بموت اهله او بموت قلوبهم وتسود الواح
نفوسهم بشبه الباطل فلابد وان ينقص نور الحق ويكثر ظلمة الباطل بسبب قوة الاستعداد لها وظاهر ان عود الحق واضاءة نوره بعد ادباره
واقبال ظلمة الباطل امر بعيد وقل ما يعود مثل ذلك الاستعداد لقبول مثل تلك الصورة للحق ولعله يعود بقوة فتصبح الواح النفوس وارضها
مشرقة بنور الحق ويكر على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وما ذلك على الله بعزيز وفي ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق وبعث على القيام به كيلا
يضمحل بتخاذلهم عنه فلا يمكنهم تداركه وبالله التوفيق منها شغل من الجنة والنار امامه ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر
في النار هوى اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب واثار النبوة ومنها منفذ السنة واليها مصير
العاقبة هلك من ادعى وخاب من افترى من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا الا يعرف قدره لا يهلك على التقوى

ومن خطبة له

ادم

سنخ اصل ولا يظمأ عليه زرع قوم فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه
قال السيد رضي الله عنه ان في هذا الكلام الادنى من مواقع الاحسان ما لا يبلغه مواقع الاستحسان وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به
وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ولا يطلع فجها انسان ولا يعرف ما اقول الا من ضرب في هذه الصناعة
بحق وجرى فيها على عرق وما يعقلها الا العالمون اقول قد عرفت كون هذا الفصل من الخطبة التي ذكرناها والجادة معظم الطريق والصفحة
الجانب والسنخ الاصل وذات البين حقيقته والخيبة عدم حصول المطلوب واعلم ان تقرير القضية الاولى ان من كانت النار والجنة امامه
فقد جعل له بهما شغل بكيفية عن كل ما عداه فيجب عليه ان لا يشتغل الا به واشار بذلك الشغل الى ما يكون وسيلة الى الفوز بالجنة
والنجاة من النار مما نطقت به الكتب المنزلة وحث على لزومه الرسل واشار بكون الجنة والنار ملاحظين له متذكرا لهما مدة وقته
فهما امامه ونصب خياله ومن كان كذلك فهو في شغل بهما عن غيرهما الثاني ان يكون كونهما امامه اي انه لما كان الانسان من مبدأ عمره الى
منتهاه مسافرا الى الله تعالى فهو في انقطاع سفره لا بد وان ينتهي اما الى الجنة او الى النار فكانتا امامه في ذلك السفر وغايتين يأمهما الانسان
وينتهي اليهما ومن كان ابدا في السفر الى غاية معينة فكيف يليق به ان يشتغل بغير مهمات تلك الغاية والوسيلة اليهما وانما قال شغل بالبناء
للمفعول لان المقصود ههنا ليس الا ذكر الشغل او لانه لما كان الشاغل هو الله تعالى بايجاد الجنة والنار والترغيب في احديهما والترهيب من
الاخرى كان ترك ذكره للتعظيم والاجلال او لظهوره ثم انه لما نبه على وجوب الاشتغال بالجنة والنار عن غيرهما قسم الناس بالنسبة الى
ذلك الاشتغال الى ثلثة اقسام وذلك قوله ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار ووجه الحصر في هذه القسمة ان الناس
بعد الانبياء عليهم السلم اما طالبون لله او تاركون والطالبون اما بغاية جدهم واجتهادهم وبذل وسعهم وطاقتهم في الوصول الى رضوانه او بالبطء
والتواني فهذه ثلثة اقسام لا مزيد عليها وان كان في قسمي الطالبين على مراتب ودرجات متفاوتة والقسم الاول هم الفائزون بفضل السبق
والناجون من عذاب النار كما قال تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم فاكهين بما اتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب
الجحيم وهذا القسم يشمل الانبياء عليهم السلم لولا افراده لهم في قسم رابع اذ قسم الخلق في الخطبة الى خمسة اقسام والثالث المقصر الذي وقف به
الشيطان حيث اراد اخذا بحجزته عن سلوك سبيل الله تعالى فاذ قابه في موارد الهلاك ومنازل الشقاء وظاهر انه في النار واما الذين
شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما القسم الثاني فذو
وصفين متجاذبانه من جهتي السفالة والعلو فطلب الجنة بحركته وسلوكه الى الله وان ضعف جاذب له الى جهة العلو وبطء الشيطان
جاذب له الى جهته الا ان رجاءه لعفو الله ونظره اليه بعين رحمته اذا انضاف الى حركته البطيئة كانت السلامة عليه اغلب وجهة
العلو منه وينبغي ان يشير الى حقيقة الرجا ليتضح ما قلناه فنقول الرجا هو ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو
حالة لها تصدر عن علم ويقتضي عملا بيان ذلك ان ما يتصوره النفس من محبوب او مكروه فاما ان يكون موجودا في الماضي او في الحال
او يوجد في الاستقبال والاول يسمى ذكرا وتذكرا والثاني يسمى وجدانا لوجدان النفس له في الحال والثالث وهو ان يغلب على ظنك
وجود شيء في الاستقبال لنفسك به تعلق فيسمى ذلك انتظارا وتوقعا فان كان مكروها حدث منه في القلب تالم يسمى خوفا وان كان
محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به لذة للنفس وارتياح باخطار وجوده بالبال يسمى ذلك الارتياح رجاء ولكن ذلك المتوقع
لا بد وان يكون بسبب فان كان توقعه لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الغرور والحمق عليه اصدق وان كانت اسبابه غير معلومة

الوجود

معنى الوجود ولا الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره اذا عرفت ذلك فاعلم ان ارباب العرفان قد علموا ان الدنيا مزرعة الاخرة فالنفس الارض وبذرها حب المعارف الالهية وساير انواع الطاعات جارية مجرى اصلاح هذه الارض من تقليبها واعدادها لسياقة الماء اليها والنفس المستغرقة بحب الدنيا والميل اليها كالارض السبخة التي لا تقبل الزرع والانبات لمخالطة الاجزاء الملحية ويوم القيمة يوم الحصاد فلا حصاد الا من زرع ولا زرع الا من بذر وكما لا ينفع الزرع في ارض سبخة كذلك لا ينفع ايمان مع خبث النفس وسوء الاخلاق فينبغي ان يقاس رجاء العبد لرضوان الله برجاء صاحب الزرع وكما ان من طلب ارضا طيبة وبذرها في وقت الزراعة بذرا غير متعفن ولا متاكل ثم امده بالماء العذب وساير ما يحتاج اليه في اوقاته ثم طهره عن مخالطة ما يمنع نباته من شوك ونحوه ثم انتظر من فضل الله رفع الصواعق والافات المفسدة الى تمام زرعه وبلوغ غايته كان ذلك رجاء في موضعه واستحق اسم الرجاء اذ كان في مظنة ان يفوز بمقاصده من ذلك الزرع ومن بذر في ارض كذلك الا انه بذر في اخريات الناس ولم يبادر اليه في اول وقته او قصر في بعض اسبابه ثم اخذ ينتظر ثمرة ذلك الزرع ويرجو الله في سلامته له فهو في جملة الراجين ايضا ومن لم يحصل على بذر او بذر في ارض سبخة او ذات شاغل عن الانبات ثم اخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء انما يصدق على انتظار ما حصلت جميع اسبابه او اكثرها الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما لا يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات كذلك حال العبد ان بذر المعارف الالهية في ارض نفسه في وقته وهو مقتبل العمر ومبدأ التكليف ودام على سقيه بالطاعات واجتهد في طهارة نفسه عن شوك الاخلاق الردية التي تمنع نماء العلم وزيادة الايمان وانتظر من فضل الله تعالى ان يثبته على ذلك الى زمان وصوله وحصاد عمله فذلك الانتظار هو الرجاء المحمود وهو درجة السابقين وان القى بذر الايمان في نفسه لكنه قصر في بعض اسبابه اما ببطوءه في البذر او في السقي الى غير ذلك مما يوجب ضعفه ثم اخذ ينتظر الحصاد ويتوقع من فضل الله تعالى ان يبارك له فيه ويعتمد على انه هو الرزاق ذو القوة المتين فيصدق عليه ايضا انه راج اذ اكثر اسباب المطلوب التي من جهته حاصلة وهذه درجة القسم الثاني وهو الطالب الراجي البطيء وان لم يزرع من قواعد الايمان في نفسه شيئا اصلا او زرع ولم يسقه بماء الطاعة او ترك نفسه مشغولة بشوك الاخلاق الرذيلة وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة والفضل من الله فذلك الانتظار غرور وليس برجاء في الحقيقة وذلك هو القسم الثالث وهو المقصر في اسباب الزراعة وتحصيل زاد الاخرة الهالك اسفا يوم الحسرة والندامة يقول يا ليتني قدمت لحيوتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد وفي المعنى ما قيل اذا انت لم تزرع وعاينت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وانما خصص عليه السلام القسم الثاني بالرجاء اذ كان كما علمت عمدته لضعف عمله وقلة الاسباب من جهته والى هذه الاقسام الثلثة اشار القران الكريم بقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير وان اختلفت مبادي الرسم قوله اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة لما قسم الناس الى السابقين سابقين ولاحقين ومقصرين والراجين والمقصرين اشار لهم الى الطريق التي اخذ الله عليهم سلوكها او نصب لهم عليها اعلام الهدى ليصلوا بها الى جناب عزته سالمين عن تخطفات الشياطين وميزها عن طريق الضلال ولما علمت ان طريق السالكين الى الله اما العلم او العمل فالعلم طريق القوة النظرية والعمل طريق القوة العملية وكل منهما محفوف برذيلتين هما طرفا التفريط والافراط كما علمته والوسط منهما هو العدل والطريق الوسطى وهي الجادة الواضحة لمن اهتدى وفي

الذی علیها ما فی الکتاب الالهی من المقاصد الحکمیة وعلیها اثار النبوة ومنفذ السنة ای طریقها ومبداؤها الذی منه یخرج والیها مصیر عاقبة
الخلق فی الدنیا والاخرة وان من العدل بذات السنة وانتشرت فی الخلق والیه مرجع امورهم اما فی الدنیا فلان نظام امورهم فی حرکاتهم
وسکناتهم مبنی علیه فی القوانین الشرعیة والی تلک القوانین والقواعد ترد عواقب امورهم فی الدنیا وعلیها یحملون واما فی النسبة
الیه بتبیین خسران الخاسرین وفوز الفایزین فیحکم لمن سلکه وتمسک به اوقات سیره الی الله بجنات النعیم ولمن اخرج عنه وتجاوزه
بالعذاب الالیم فی نار الجحیم وکل واحد من طرفی التفریط والافراط بالنسبة الیه هو المراد بالیمین والشمال من ذلک الوسط وهما طریقا المضلة
لمن عدل الیهما ومورد الهلاک لمن سلکها قوله هلک من ادعی وخاب من افتری یحتمل ان تکون القضیتان دعاء ویحتمل ان تکون اخبارا
ای هلک من ادعی ما لیس له اهلا وعنی الهلاک الاخروی وخاب من کذب ای لن یحصل مطلوبه اذا جعل الکذب وسیلة الیه واعلم ان
الدعوی اما ان تکون مطابقة لما فی نفس الامر او لیس کذلک والثانیة محرمة مطلقا واما الاولی فاما ان یدعو الیها حاجة او لیس والقسم
الاول هو المباح فقط دون الثانی وانما حرم هذان القسمان اما الاول وهی الدعوی غیر المطابقة لانها تصدر عن ملکة الکذب تارة عن
الجهل المرکب تارة کالجاهل بالامر المدعی لحصوله عن شبهة رسخت فی ذهنه وکلاهما من اکبر الرذایل واعظم المهلکات فی الاخرة
واما الثانیة وهی المطابقة لا عن حاجة فلانها تکاد لا تصدر من الانسان الا عن رذیلة العجب وستعلم انه من المهلکات قال رسول الله ص
ثلث مهلکات شح مطاع وهوی متبع واعجاب المرء بنفسه واما خیبة المفتری فلان الفریة اختلاق ما لیس بحق وظاهر ان الکذب
لا ثمرة له اما فی الاخرة فظاهر واما فی الدنیا فقد یکون ولا یکون وان کانت ففی معرض الزوال ومستلزمة لسخط الله فهی بمنزلة
ما لم یکن وصاحبها اشد خیبة من عادمها وطلب الامر بالفریة علی کل تقدیر خاسر خایب قال بعض الشارحین اراد هلک من
ادعی الامامة من غیر استحقاق وخاب من افتری فی دعواه لها لان کلامه فی هذه الخطبة کثیرا ما یعرض فیه بامر الامامة قوله
من ابدی صفحته للحق هلک عند جهلة الناس وکفی بالمرء جهلا ان لا یعرف قدره تنبیه علی ان المتجرد لاظهار الحق فی مقابلة کل باطل
ورد من الجهال وجهلهم علی مر الحق وصعبه فی کل وقت یکون فی معرض الهلاک بایدیهم والسنتهم اذ لا یعدم منهم من تولیه المکروه ویسعی
فی دمه ثم اراد التنبیه علی الجهل فذکر ادنی مراتبه ونبه بها علی ان اقل الجهل کان فی الرذیلة فکیف بکثیره وذلک قوله وکفی بالمرء
جهلا ان لا یعرف قدره واراد مرتبته فی الناس وعدم تصوره لدرجة نفسه ومنزلتها بالنسبة الی احادهم وکفی بهذا القدر
مهلکا فانه منشأ کثیر من الرذایل المهلکة کالکبر والعجب وقول الباطل وادعاء الکمال للناقصین وتعدی الطور فی اکثر الاحوال
کما قال علیه السلام فی موضع اخر رحم الله امرا عرف قدره ولم یتعد طوره وفی هذه الکلمة تنفیر للسامعین عن الجهل بقدر ما یتصورونه
من وجود التجرد للحق ونصرته وربما یستفهم منها تعلیم کیفیة استجلاب طباع الجهال وتانیسهم وهو انه لا ینبغی ان یقابلوا
بالحق دفعة ویتجرد فی مقابلتهم به علی کل وجه فان ذلک مما یوجب نفادهم وعدم نظام احوالهم بل ینبغی ان یونسوا به علی
التدریج قلیلا قلیلا وربما لم یمکن تانیسهم بالحق فی بعض الامور اما لغموض الحق بالنسبة الی افهامهم او لقوة اعتقادهم
الباطل فی مقابلته فیحتاج عوض ذلک بالحق فی صورة الباطل وظاهره وذلک کما ورد فی القران الکریم والسنن النبویة من صفات
التجسیم وما لا یجوز ان یحمل علی ظاهره فی حق الصانع الحکیم فان حمله علی ظاهره کما یتصوره جهال الناس امر باطل لکنه لما کان
سبب ایناسهم وجمع قلوبهم علی اعتقاد الصانع وبه نظام امورهم ورد الشرع به قوله لا یهلک علی التقوی سنخ اصل ولا یظما

علی

عليه زرع قوم تنبيه على لزوم التقوى باعتبارين احدهما ان كل اصل بني في التقوى فمحال ان يهلك او يلحق بانيه خسران كما قال تعالى افمن
اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الثاني ان من زرع زرعا اخرويا كالمعارف الالهية في
ارض نفسه مثلا او دنيويا كالاعمال التي بها يقوم صالح الانسان في الدنيا وسقاها ماء التقوى وجعله مادتها فانه لا يلحق ذلك الزرع
ظماء بل عليه ينشأ باقوى ساق وازكى ثمرة واستعار الزرع والاصل كناية عما ذكرناه قوله واستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم
والتوبة من ورائكم قد عرفت ان هذا الفصل مقدم في الخطبة على قوله في الاولى صفحة للحق هلك وهو مسبوق بالتهديد الوارد في موضع
وهو قوله الا وان الله قد جعل ادب هذه الامة السوط والسيف ليس عند امام فيهما هوادة اي مصالحة وسكون فاستتروا
ببيوتكم وهو حسم لمادة الفتنة بينهم بلزوم البيوت عن الاجتماع للمنافرات والمشاجرات ولذلك اردفه بقوله واصلحوا ذات
بينكم فان قطع مادة الفتنة سبب لاصلاح ذات البين قوله والتوبة من ورائكم تنبيه للعصاة على الرجوع الى التوبة عن الجري في
ميدان المعصية واقتفاء اثر الشيطان وكونها وراء لان الجواذب الالهية اذا اخذت بقلب العبد فجذبته عن المعصية حتى اعرض عنها
والتفت بوجه نفسه الى ما كان معرضا عنه في الدوام على المعصية والتوجه الى القبلة الحقيقية فانه يصدق عليه اذن ان التوبة
وراءه الى وراء عقليا وهو اولى من قول من قال من المفسرين ان وراءكم بمعنى امامكم قوله ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا
نفسه تاديب لهم بالتنبيه على قصر الحمد والثناء على الله دون غيره وانه مبدا كل نعمة يستحق بها الحمد كما سبقت اليه الاشارة وعلى قصر
اللائمة على النفس عند انحرافها عن جهة القبلة الحقيقية الى متابعة ابليس وقبولها لدعوته من غير سلطان والى اصل هاتين الكلمتين
اشار القرآن الكريم ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فكل حسنة اصابت العبد من ربه فهي مبدا الحمد وشكره
وكل سيئة اصابته من نفسه فهي مبدا للائمة نفسه فائدة قال السيد رحمه الله ان في هذا الكلام من مواقع الاحسان ما لا يبلغه
مواقع الاستحسان الى اخره فالاحسان مصدر قولك احسن الرجل احسانا اذا فعل فعلا حسنا ومواقع الاحسان محاسن
الكلام التي اجاد فيها واحسن ومواقع الاستحسان اما سائر محاسن كلام العرب وما يقع عليه الاستحسان منها لا يوازي
هذا الكلام ولا يبلغه او يشير بمواقع الاستحسان الى الفكر من الناس فانها محال الاستحسان ايضا اذ الاستحسان من صفات
المستحسن اي ان الفكر لا يصل الى محاسن هذا الكلام وقوله وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به يريد ان تعجب الفصحاء من حسنه
وبدايعه اكثر من عجبهم باستخراج محاسنه وذلك لان فيه من المحاسن وراء ما يمكنهم التعبير عنه امورا كثيرة فهم يجدونها من
انفسهم وان لم يمكنهم التعبير عنها فيكون تعجبهم من محاسنه اكثر من اعجابهم من انفسهم بما يقدرون على استخراجه منها او يريد بالكثرة
من عجبهم به اي اكثر من محبتهم له وميلهم اليه وباقي كلامه ظاهر وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى
للحكم بين الامة وليس لذلك باهل ان ابغض الخلائق الى الله تعالى رجلان رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد
السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حياته
وبعد وفاته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا موضع في جهال الامة غار في اغباش الفتنة عم بما في
عقد الهدنة قد سماه اشباه الناس عالما وليس به بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من ماء اجن
واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره فان نزلت به احدى المبهمات هيأ لها

حسوا رنا من زانه ثم قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطا ان اصاب خاف ان يكون قد اخطا وان
اخطا رجا ان يكون قد اصاب جاهل خباط جهالات عاش ركاب عشوات لم يعض على العلم بضرس قاطع يذري الروايات اذراء الريح
الهشيم لا ملي والله باصدار ما ورد عليه لا يحسب العلم في شيء مما انكره ولا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره وان اظلم عليه امر اكتتم
به لما يعلم من جهل نفسه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث الى الله اشكوا من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا
ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا سلعة انفق بيعا ولا اغلى ثمنا من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم
انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر **اقول** وكله الى نفسه جعل توكله عليها والجائر العادل عن الطريق وفلان مشغوف بكذا بالغين المعجمة
اذا بلغ حبه الى شغاف قلبه وهو غلافه وبغير المعجمة اذا بلغ الى شعفة قلبه وهي عند معلق النياط والقمش جمع الشيء المتفرق والجمع قماش
والموضع بفتح الضاد المطرح وبكسرها المسرع والغار الغافل واغباش الليل ظلمته وقال ابو زيد الغبش البقية من الليل وروى اغطاش
الفتنة والغطش ايضا الظلمة والهدنة الصلح والمبهمات المشكلات وامر مبهم اذا لم يعرف والرث الضعيف البالي وعشوة الطريق بضوء
النار اذا تبعه على ضعف والهشيم اليابس من نبت الارض المتكسر والعج رفع الصوت والبائر الفاسد واعلم انه اخذ اولا في التنفير عن رجلين
المشار اليهما بذكر انهما من ابغض الخلق الى الله تعالى ولما كانت ارادته للشيء ومحبته له عائدة الى علمه بكونه على وفق النظام الكلي التام
للعالم كان كراهيته وبغضه له عائدة الى علمه بكونه على ضد مصلحة العالم وخارجا عن نظامه فبغضه اذن لهذين الرجلين علمه
بكون افعالهما واقوالهما خارجة عن المصلحة ... رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل الى قوله بخطيئته بيان لاحد رجلين وتميز
له وذكر له اوصافا الاول انه وكله الله الى نفسه اي جعله متوكلا عليها دونه واعلم ان التوكل ماخوذ من الوكالة يقال وكل فلان امره الى فلان اذا
فوضه اليه واعتمد عليه فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده اذا عرفت ذلك فنقول من اعتقد جزما او ظنا بان نفسه او احدا
غير الله تعالى ممن ينسب اليه التاثير والقدرة هو التمكن من الفعل وانه تام القدرة على تحصيل مراده والوفاء به فان ذلك من اقوى الاسباب
المعدة لان يفيض الله على قلبه صورة الاعتماد على المعتقد فيه والتوكل عليه فيما يريده وذلك معنى قوله وكله الله الى نفسه وكذلك
معنى الوكول الى الدنيا بحسب اعتقاد الانسان ان المال والقنيات الدنيوية وافية بمطالبه وتحصيلها معينة له عما وراءها وبحسب قوة
ذلك التوكل وضعفه يكون تفاوت بغض الله تعالى للعبد ومحبته له وبعده وقربه منه فلن يخلص اذن العبد من بغض الله الا بالتوكل عليه حق
توكله قال تعالى ان الله يحب المتوكلين وهو اعظم مقام وسم صاحبه بمحبة الله فمن كان الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز
العظيم فان المحبوب لا يبغض ولا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا
يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله تعالى اليها وصورة التوكل عليه ان تثبت في نفسك بكشف او اعتقاد جازم ان استناد جميع الاسباب
والمسببات اليه سبحانه وانه الفاعل المطلق تام العلم والقدرة على كفاية العباد تام العطف والرحمة والعناية بخلقه بحيث لا يكون وراء
قدرته وعلمه وعنايته رحمة وعناية ولم يقع في نفسك التفات الى غيره توجد حق نفسك وحولك وقوتك فانك في الحال بهذه تجد من
نفسك تسليم امورها بالكلية اليه والبراءة من التوكل على احد الا عليه فان لم تجد من نفسك ذلك هذه الحال فسبب ذلك ضعف الاسباب
المذكورة او بعضها وغلبة الوهم على النفس في معارضة تلك اليقين وبحسب ضعف تلك الاسباب وشدتها وزيادتها ونقصانها
يكون تفاوت درجات التوكل على الله تعالى الثاني كونه جائرا عن قصد السبيل اي عن قصد سبيل الله العدل وصراط المستقيم وقد علمت ان الجور

هو طرف

هو طرف الافراط من فضيلة العدل الثالث كونه مشغوفا بكلام بدعة اى معجب بما يخطر له ويبتدعه من الكلام الذى لا اصل له فى الدين ويدعو الى
به الى الضلالة والجور عن القصد وهذا الوصف لازم عما قبله فان من جار عن قصد السبيل بجهله وهو يعتقد انه على سواء السبيل فكان ما يتخلله من
ذلك الكمال الذى هو نقصان فى الحقيقة مستلزما لمحبة قول الباطل وابتداع المحال فهو من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا الرابع كونه فتنة لمن افتتن به وهو ايضا لازم عن الوصف الثالث فان محبة قول الباطل والدعوة الى الضلالة سبب لكونه فتنة
لمن اتبعه الخامس كونه ضالا عن هدى من كان قبله وهذا الوصف كالاول فان الضال عن الهدى جائر عن قصد السبيل الا ان ههنا زيادة الى الجائر عن
القصد قد يجور ويضل حيث لا هدى يتبعه والموصوف ههنا جائر وضال مع وجود هدى لما قبله مامور باتباعه وهو كتاب الله وسنة
رسوله واعلام هداه العاملون لدينه الناطقون عن مشكاة النبوة وذلك ابلغ فى الايمة واكد فى وجوب عقوبته السادس كونه مضلا لمن اهتدى
به فى حيوته وبعد وفاته وهذا الوصف مسبب عما قبله اذ ضلال الانسان فى نفسه سبب لاضلاله غيره ويفهم منه ما يفهم من الرابع مع زيادة فان
كونه فتنة لغيره هو كونه مضلا لمن اهتدى به واما الزيادة فكون ذلك الاضلال فى حيوته وهو ظاهر وبعد موته لبقاء العقايد الباطلة
المكتسبة عنه فهى سبب ضلال الضالين بعده السابع كونه حمالا لخطايا غيره وهو لازم عن السادس فان حمله لاوزار من يضله انما هو
بسبب اضلاله الثامن كونه رهنا بخطيئته اى موثوق بها عن الصعود الى حضرة جلال الله والى هذين الامرين اشار القران الكريم بقوله ليحملوا اوزارهم يوم القيمة
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون وقول الرسول صلعم ايما داع دعى الى الهدى فاتبع كان له مثل اجر من تبعه لا ينقص من اجورهم شىء وايما
داع دعى الى الضلالة فاتبع كان عليه مثل وزر من تبعه ولا ينقص منه شىء واعلم انه ليس المراد من ذلك انه تعالى يوصل العقاب الذى يستحقه الاتباع الى القادة
والرؤساء لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولما دخل احد من الناس النار ابدا بل كانت مقصورة على ابليس وحده
بل المعنى ان الرئيس المضل اذا وضع سنة سيئة يكون فتنة للناس وضلالا لهم لم تصدر تلك السيئة الا عن نفس قد استولى عليها الجهل المركب المضاد
لليقين وصار ملكة من ملكاتها فسودها وجعله حجابا عن قبول الانوار الالهية وصار ذلك حجابا بينها وبين الرحمة بحيث يكون ذلك الحجاب فى القوة
والشدة اضعاف حجب التابعين له والمقتدين به الناشئة عن فتنته فان تلك الحجب الطارية على قلوب التابعين مستندة الى ذلك الحجاب وهو
اصلها فلا جرم يكون وزره وسيئته فى قوة اوزار اتباعه وسيئاتهم التى حصلت بسبب اضلاله لا كل سيئاتهم من كل جهة ولذلك قال تعالى
ومن اوزار الذين يضلونهم اى بعض اوزارهم وذلك يناقض قوله صلى الله عليه وآله من غير ان ينقص من اوزارهم شىء قلت هذا وان كان حسنا
الا ان الالزام الذى ذكره غير لازم على كونها للتبعيض لان القايل بكونها كذلك يقول ان المراد وليحملوا بعض امثال اوزار التابعين لا بعض
اعيان اوزارهم واذا فهمت ذلك فى جانب السيئات فافهم مثله فى جانب الحسنات وهو ان الواضع لحسنة وهدى يهتدى به انما يصدر عن
نفس ذات صفاء واشراق لكمال نورها فاشرق على غيرها من النفوس التابعة لها فاستضاءت به وتلك السنة الماخوذة من جملة انوارها
الفايضة عنها على نفس اقتبسها فكان فى النفس المتبوعة من الاستكمال بنور الله الذى هو راس كل هدى ما هو فى قوة جميع الانوار المقتبسة
عن تلك السنة ومثل لها فكان لها من الاجر والثواب مثل ما للتابعين لها من غير نقصان فى اجر التابعين وهذا هو الحاصل لهم والى مثل
هذا المعنى الاشارة الواردة فى الخبر ان حسنات الظالم تنقل الى ديوان المظلوم وسيئات المظلوم تنقل الى ديوان الظالم فانك
ان علمت ان السيئة والحسنة اعراض لا يمكن نقلها من محل الى محل فليس ذلك نقلا حقيقيا بل على وجه الاستعارة كما يقال انتقلت الخلافة
من فلان الى غيره وانما المقصود من نقل سيئات المظلوم الى الظالم حصول امثالها فى قلب الظالم ونقل حسنات الظالم الى المظلوم حصول

امثالها في قلبه وذلك لان للطاعة تاثيرا في النفس بالتنوير وللمعاصي تاثيرا بالقسوة والظلمة وبانوار الطاعة تستحكم مناسبة النفس
واستعدادها لقبول المعارف الالهية ومشاهدة حضرة الربوبية وبالقسوة والظلمة تستعد للبعد والحجاب عن مشاهدة الجمال الالهي فالطاعة
مولدة لذة المشاهدة بواسطة الصفاء والنور الذي يحدث في النفس والمعصية مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة التي تحدث فيها
وبين الحسنات والسيئات تضاد وتعاقب على النفس كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال لا تبطلوا اعمالكم وقال صلى الله عليه وآله اتبع
السيئة الحسنة تمحها والالام ممحصات للذنوب ولذلك قال صلى الله عليه وآله ان الرجل ليثاب حتى بالشوكة التي تصيب رجله وقال الحدود
كفارات لاهلها فالظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه ما يقسي القلب ويسود لوح النفس فيمحو اثر النور الذي فيه من طاعته فكانه احبط طاعته
والمظلوم يتألم وتنكسر شهوته ويستكين قلبه ويرجع الى الله تعالى فتفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من اتباع الشهوات فكان النور
انتقل من قلب الظالم الى قلب المظلوم وانتقل السواد والظلمة الى قلب الظالم وذلك انتقال على سبيل الاستعارة كما علمت وكما يقال انتقل
ضوء الشمس من مكان الى مكان وقد تلخص من هذا التقرير ان الحسنات المنقولة الى المظلوم من ديوان الظالم هي استعداداته لقبول الرحمة
والتنوير الحاصل له بسبب ظلم الظالم والسيئات المنقولة من ديوان المظلوم الى الظالم هي استعداداته بالحجب والقسوة عن قبول انوار الله
والثواب والعقاب الحاصلان لهما هو ما استعد له من تلك الانوار والظلمات واعلم ان ذلك النقل وحمل الظالم اوزار المظلوم وان
كان امرا حاصلا في الدنيا الا انه انما ينكشف للبصائر الا في يوم القيمة لا جرم خصص بيوم القيمة وانما قال حمالا وزنه فعال للمبالغة
والتكثير اي انه كثيرا ما يحمل خطايا غيره واما الرجل الآخر فميزه بعشرين وصفا ا كونه قمش جهلا وهي استعارة لفظ الجمع المحسوس
للجمع المعقول ب كونه موضعا في جهال الامة مطرحا ليس من اشراف الناس ويفهم من هذا الكلام انه خرج في حق شخص معين وان عمه
وغيره ج كونه غاديا في اغباش الفتنة اي ساعيا في اوايل ظلماتها او روي غارا اي غافلا في ظلمات الخصومات لا يهتدي لوجه
تخليصها د كونه اعمى البصيرة بما في عقد الصلح والمسالمة بين الناس من نظام امورهم ومصالح العالم فهو جاهل بوجوه المصالح
مثيرا للفتن بينهم ه كونه قد سماه اشباه الناس عالما وليس بعالم والواو للحال واشباه الناس الجهال واهل الضلال وهم الذين يشبهون
الناس الكاملين في الصورة الحسية دون الصورة التمامية التي هي كمال العلوم والاخلاق و كونه بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر
روي من جمع منونا وغير منون اما مع التنوين فالجملة بعده صفة له واستعمل المصدر وهي جمع في موضع اسم
المفعول اي من مجموع ويحتمل ان يكون المقصود هو المصدر نفسه واما مع الاضافة فقيل ان ما هاهنا يحتاج في تمام الكلام الى تقدير
مثلها معها حتى يكون ما الاولى هي المضاف والثانية هي المبتداء والتقدير من جمع ما الذي قل منه خير مما كثر لكنه لما كان اظهار ما
الثانية يشبه التكرار ويوجب هجنة في الكلام وكانت ما الواحدة تعطي المعنى عن المقدرة كان حذفها اولى وقيل ان المقدر المحذوف
ان على طريقة قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي من جمع ما ان قل منه خير مما كثر وعنى بالتبكير الى الاستكثار من ذلك السبق في اول
العمر الى جمع الشبهات والاراء التي قليلها خير من كثيرها وباطلها اكثر من حقها ز كونه اذا ارتوى من ماء آجن واكتنز من غير طائل
جلس بين الناس قاضيا ولما كان الآجن صفة للماء والكمالات النفسانية التي هي العلوم كثيرا ما يعبر عنها بالماء الصافي
والزلال فكان الجهل والآراء التي حصل عليها بجمعها مع العلم جامع الاعتقاد فهي والعلم داخلان تحت جنس الاعتقاد كان
الماء الآجن اشبه ما يستعار لتلك الآراء التي ليست بصحيحة ولا متينة فهي تشبه الماء الآجن الذي لا غناء فيه للشارب ورشح تلك الاستعارة

بذكر

بذكر الارتواء وجعل غاية المشار اليها من ذلك الاستكثار جلوسه بين الناس قاضيا ح كونه ضامنا لتخليص ما التبس على غيره اى واثق من نفسه
بفصل ما يعرض بين الناس من القضايا المشكلة وضامنا حال ثانى او صفة للاول ط كونه اذا نزلت به احدى القضايا المبهمة الملتبسة جعل فصلها
هيأ لها حشوا ضعيفا من رأيه ثم جزم به والحشو الكلام الكثير الذى لا طايل تحته ولين حال المشكل المبهمة ى كونه من لبس الشبهات فى مثل نسج العنكبوت
مثل للامور الواهية ووجه هذا التمثيل ان الشبهات التى تقع على ذهن مثل هذا الموصوف اذا قصد حل قضية مبهمة يكثر فيلتبس على ذهنه
وجه الحق منها فلا يهتدى له لضعف ذهنه فتلك الشبهات فى الوها تشبه نسج العنكبوت وذهنه فيها يشبه الذباب الواقع فيه فكما لا يتمكن الذباب
من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل اذا وقع فى الشبهات لا يتخلص وجه الحق منها لقلة عقله وضعفه عن ادراك وجوه
الخلاص يا انه لا يدرى اصاب فيما حكم به ام اخطاء فان اصاب خاف ان يكون قد اخطاء وان اخطاء رجا ان يكون قد اصاب وخوف الخطاء
ورجاء الاصابة من لوازم الحكم مع عدم الدراية يب كونه جاهلا خباط جهالات والجهلات جمع جهلة فعلة من الجهل وقد تقدم بيان ان وزن
فعال يبنى للفاعل من الامور المعتادة التى يكثر فعلها وذكر الجهل هاهنا زيادة وهى كثرة الخبط فيه وكنى بذلك عن كثرة الاغلاط التى يقع فيها فى القضايا
والاحكام فيمشى فيها على غير طريق حق من القوانين الشرعية وذلك معنى خبطه يج كونه عاشيا ركابا بعشوات وهى اشارة الى انه لا يستضئ بنور الحق فى ظلمات
الشبهات الا على ضعف لنقصان ضوء بصيرته فهو يمشى فيها على ما يتخيله دون ما يتحققه وكثيرا ما يكون حاله كذلك ولما كان من شان العاشى الى الضوء فى
الطرق المظلمة تارة يلوح له فيمشى عليه وتارة يخفى عنه فيضل عن القصد ويمشى على الوهم والخيال كذلك حال السالك فى طرق الدين من غير ان يستكمل نور
بصيرته بقواعد الدين ويعلم كيفية سلوك طرقه فانه تارة يكون نور الحق فى المسئلة ظاهرا فيدركه وتارة يغلب عليه ظلمات الشبهات فيعمى عليه الموارد
والمصادر فيبقى فى الظلمة خابطا عن القصد حايرا يد كونه لم يعض على العلم بضرس قاطع كناية عن عدم اتقانه للقواعد الشرعية واحاطته بها يقال
فلان لم يعض على الامر الفلانى بضرس اذا لم يحكمه واصله ان الانسان يمضغ الشئ ثم لا يجيد مضغه تمثيل به من لم يحكم ما يدخل فيه من الامور يه
كونه يذرى الروايات اذراء الريح الهشيم ووجه التشبيه ان الريح لما كانت تذرى الهشيم وهو ما تكسر من نبت الارض ويبس فتخرجه عن
حد الانتفاع به كذلك المتصفح للروايات لما لم يهتد الى وجه العمل بها ولم يقف على الفايدة منها فهو يقف على رواية بعد اخرى ويمشى عليها من غير
فايدة يو انه غير ملى باصدار ما يرد عليه اشارة الى انه ليس له قوة على اصدار الاجوبة عما يرد عليه من المسايل فهو فقير منها يز كونه لا يحسب العلم
فى شئ مما انكره يقال فلان لا يحسب فلانا فى شئ بالضم من الحساب اى لا يعده شيئا ويعتبره خاليا من الكمال والفضيلة والمراد انه ينكر العلم كسائر ما
انكره فهو لا يعده شيئا ولا يعتد به بالحساب والاعتبار وعنى العلم الحقيقى الذى ينبغى ان يطلب ويجتهد فى تحصيله لا ما يعتقده الموصوف علما
مما تمسه وجمعه فان كثيرا من الجهال ممن يدعى العلم بفن من الفنون قد ينكر غيره من ساير الفنون ويشنع على معلميه ومتعلميه كاكثر الناقلين
للاحكام الفقهية والمتصدرين للفتوى والقضاء بين الخلق فى زماننا وما قبله فانهم يبالغون فى انكار العلوم العقلية ويفتون
بتحريم الخوض فيها وتكفير من يتعلمها وهم غافلون عن ان احدهم لا يستحق ان يسمى فقيها الا ان يكون له مادة من العلم العقلى المتكفل
ببيان صدق الرسول واثبات النبوة الذى لا يقوم شئ من الاحكام الفقهية التى يدعون انها كل العلم الا بعد ثبوتها وروى
يحسب بكسر السين من الحسبان وهو الظن ان لا يظن العلم اذا فضيلة يجب اعتقادها واعتبارها انها فهو مما انكره يح كونه لا يرى
ان وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره اى انه اذا غلب على ظنه حكما فى القضية جزم به وربما كان لغيره فى المسئلة قول اظهر من قوله يعضده
فلا يعتبره ويمضى على ما بلغ فهمه اليه يط كونه ان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه وكثيرا ما يراعى قضاة السوء وعلماؤه واكتام

ما يشكل عليهم امره من المسائل والتغافل عن سماعها اذا وردت عليهم لئلا يظن جهلا بين اهل الفضل مراعات لحفظ المناصب كونه
تصرخ من جور قضائه الدماء واولياء المواريث فيكون حقيقة او على سبيل استعارة لفظ الصراخ والعج لنطق الدماء والمواريث بلسان
حالها المفصح عن مقالها ووجه الاستعارة ان الصراخ والعجيج لما كانا انما يصدران عن تظلم وشكاية وكانت الدماء المهراقة بغير حق والمواريث
المستباحة بالاحكام الباطلة ناطقة بلسان حالها مفصحة بالشكاية والتظلم لا جرم حسنت استعارة اللفظين ههنا ثم نبه ان خص الرجلين
المذكورين بما خص به كلا منهما من الاوصاف المنفرة على سبيل التفصيل اردف ذلك بالتنفر عنهما على سبيل الجملة بما يعمهما وغيرهما من الجهال الشكوى او
البراءة وذلك قوله الى الله من معشر اي الى الله اشكو كما هو في بعض النسخ او الى الله ابرأ وذكر اوصافا مبدؤها البقاء على الجهل والعيش فيه
وكنى بالعيش عن الحيوة وقابله بذكر الموت وقوله ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته الى اخره اي اذا فسر و[illegible] حمل على الوجه
الذي انزل اعتقدوه فاسدا واطرحوه بجهلهم عن درجة الاعتبار على ذلك الوجه واذا حرف عن مواضعه ومقاصده ونزل على حسب لفظ صح
اغراضهم ومقاصدهم ترّوه على ذلك الوجه باغلى ثمن وكان من انفق السلع بينهم واستعار له السلعة ووجه المشابهة ظاهر ومنشأ كل ذلك
هو الجهل وكذلك ليس عندهم انكر من [illegible] المعروف وذلك انه لما خالف اغراضهم ومقاصدهم اطرحوه حتى صار بينهم منكرا يستقبحون
فعله ولا اعرف من المنكر لموافقة اغراضهم ومحبتهم [illegible] له لذلك واعلم انه عليه السلام قسم الناس في موضع اخر الى ثلثة اقسام عالم ومتعلم
وهمج رعاع اتباع كل ناعق والرجلان المشار اليهما [illegible] بالاوصاف المذكورة ههنا ليسا من القسم الاول لكونهما على طرف
الجهل المضاد للعلم ولا من القسم الثالث لكونهما متبوعين داعيين الى اتباعهما وكون الهمج تابعين كما صرح به فتعين ان يكونا من القسم
الثاني وهم المتعلمون واذا عرفت ذلك فنقول المراد بالمتعلم هو من ترفع عن درجة الهمج من الناس بطلب العلم واكتسب ذهنه شيئا من الاعتقادات
عن مخالطة من اشتهر بسمة العلم ومطالعة الكتب ونحو ذلك ولم ينته الى درجة العلماء الذين يقتدرون على التصرف والقيام بالحجة
فاعتقاداته حينئذ اما ان تكون مطابقة كلها او بعضها او غير مطابقة اصلا وعلى التقديرات فاما ان لا ينصب نفسه لشيء من المناصب
الدينية كالفتوى والقضاء ونحوهما او ينصب فهذه ستة اقسام احدها من اعتقد اعتقادا مطابقا ولم يعرض نفسه لشيء من
المناصب الدينية الثاني من كان اعتقاده كذلك لكنه نصب نفسه للافادة الثالث من اعتقد جهلا ولم ينصب نفسه لها الرابع من اعتقد جهلا
وغير جهل ولم ينصب نفسه للافادة السادس من كان اعتقاده كذلك ونصب نفسه لها والقسم الاول وحده هو الخارج عن هذين الرجلين
باوصافهما والثاني والرابع والسادس منهم يكون الرجلان المذكوران فالاول منهما في ترتيبه عليه السلام هو من نصب نفسه [illegible] لسائر مناصب
الافادة دون منصب القضا والثاني هو [illegible] من نصب نفسه له وانما بالغ في ذمهما ونسبهما الى الجهل والضلال وان كان
بعض اعتقاداتهما حقا لكون القدر الذي حصلا عليه مغمورا في ظلمة الجهل فضلالهما واضلالهما اغلب وانتشار الباطل عنهما
اكثر واما القسم الثالث والخامس فداخلان فيمن برئ الى الله منهم وذمهما اخيرا بالعيش في الجهل والموت على الضلال وما بعده والله اعلم
بالصواب ومن كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد
تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة عند امامهم الذي استقضاهم فيصوب اراءهم جميعا والههم
واحد وكتابهم واحد افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله دينا ناقصا فاستعان
بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وادائه والله

بد تكدم الامام

ونبيهم واحد صح

سبحانه

سبحانه بقوله ما فرّطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان كل شيء وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ولو كان من الظلمات صح
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات الا به **اقول**
الانيق الحسن المعجب وفي هذا الكلام تصريح بانه عليه السلم كان يرى ان الحق في جهة وانه ليس كل مجتهد مصيبا وهذه المسئلة مما انتشر الخلاف
فيها بين علماء اصول الفقه فمنهم من يرى ان كل مجتهد مصيب اذا راعى شرايط الاجتهاد وان الحق بالنسبة الى كل واحد من المجتهدين
ما ادّى اليه اجتهاده وغلب في ظنه فجاز ان يكون في جهتين او جهات وعليه الامام الغزالي وجماعة من الاصوليين ومنهم من ينكر
ذلك ويرى ان الحق في جهة والمصيب له واحد وعليه اتفاق الشيعة وجماعة من غيرهم وربما فصل بعضهم والمسئلة مستقصاة
في اصول الفقه واعلم ان قوله ترد على احدهم القضية الى قوله فيصوّب اراءهم جميعا بيان لصورة حالهم التي ينكرها وقوله
والههم واحد ونبيّهم واحد وكتابهم واحد شروع في دليل بطلان ما يرونه وهذه هي المقدمة الصغرى من قياس الضمير
وتقدير كبراه وكل قوم كانوا كذلك فلا يجوز لهم ان يختلفوا في حكم شرعي وقوله افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه الى آخره
حجة في تقرير المقدمة الكبرى اذ الصغرى مسلمة وتقريرها ان ذلك الاختلاف اما ان يكون بامر من الله اطاعوه او بنهي منه
عصي فيه او بسكوت منه عن الامرين وعلى التقدير الثالث فجواز اختلافهم في دينهم والحاجة الى ذلك اما ان يكون مع نقصانه او مع
تمامه وتقصير الرسول في ادائه وعلى الوجه الاول فذلك الاختلاف انما يجوز على احد وجهين احدهما ان يكون تماما لذلك النقصان
او على وجه انهم في ذلك وهو كونهم شركاؤه في الدين فعليه ان يرضى بما يقولون ولهم ان يقولوا اذ شان الشريك ذلك فهذه وجوه
خمسة وحصر الاقسام الثلثة الاخيرة ثابت بحسب استقراء وجوه الحاجة الى الاختلاف والاقسام كلها باطلة واشار الى بطلانها
ببقية الكلام اما بطلان الاول فلان مستند الدين هو كتاب الله تعالى ومعلوم انه يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فلا ينشعب
عنه من الاقوال والاحكام الى ما يكون كذلك ولا شيء من اقوالهم المختلفة كذلك فينتج انه لا شيء مما استند الى كتاب الله تعالى بقولهم فلا
يكون اقوالهم من الدين واما بطلان القسم الثاني فلان عدم المعصية لله بالاختلاف يستلزم لعدم جواز الاختلاف وهو عين النزاع الدليل
واما بطلان الثالث وهو نقصان دين الله فلقوله تعالى ما فرّطنا في الكتاب من شيء وقوله وانزلنا عليك الكتاب تبيانا واما الرابع
والخامس فظاهر البطلان فلا يمكنهم دعواهما فلذلك لم يورد في بطلانهما ثم ارادف ذلك بتنبيههم على ان الكتاب واف بجميع
المطالب اذا تدبروا معناه ولاحظوا اسراره وتطلعوا على غوامضه فيحرم عليهم ان يفزعوا الى قول ما لم يستند اليه وذلك
في قوله ظاهره انيق حسن معجب بانواع البيان واصنافه وباطنه عميق لا ينتهي الى جواره الا اولوا الالباب ومن ايده الله
بحكمه وفصل خطابه ولا تفنى الامور المعجبة ولا تنقضي النكت الغريبة فيه على تواردها صوارم الاذهان وخواطف البصاير ولا يكشف
ظلمات الشبه الناشية من ظلمة الجهل الا بسواطع انواره ولوامع اسراره وقد راعى في هذه القراين الاربع السجع المتوازي وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم قاله للاشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الاشعث فقال يا
امير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض اليه بصره عليه السلم ثم قال وما يدريك ما علي مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين
حايك بن حايك منافق بن كافر والله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك
وان امرءا دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري ان يمقته الاقرب ولا يامنه الابعد قال السيد قدس الله روحه

خاطب به الاشعث

يريد انه اسر في الكفر مرة وفي الاسلام مرة واما قوله عليه السلام دل على قومه السيف فاراد به حديثا كان للاشعث بن قيس مع خالد بن الوليد فى صح
باليمامة فانه غر قومه ومكر بهم حتى اوقع خالد بهم وكان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار وهو اسم للغادر عندهم قوله الكلام الذى
اعترضه الاشعث انه عليه السلام كان في خطبة يذكر امر الحكمين فقام اليه رجل من اصحابه وقال له نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندرى اى
الامرين ارشد فصفق عليه السلام باحدى يديه على الاخرى وقال هذا جزاء من ترك العقدة اى جزائى حيث وافقتكم على ما الزمتمونى به من
التحكيم وتركت الحزم فوجد الاشعث بذلك شبهة في تركه عليه السلام وجه المصلحة واتباع الاراء الباطلة واراد افحامه فقال هذه عليك
لا لك وجهل او تجاهل ان وجه المصلحة قد يترك محافظة على امر اعظم منه ومصلحة اهم فانه عليه السلام لو لم يترك العقدة لاخوف من اصحابه ان كان صح
يقتلوه كما سنذكره في قصصهم وقيل مراده عليه السلام هذا جزاكم حيث تركتم الحزم فظن الاشعث انه اراد هذا جزائى فقال الكلمة
والحتف بالتاء الهلاك وروى بالياء وهو الميل والمقت البغض قوله وما يدريك ما على مما لى اشارة الى انه جاهل وليس للجاهل
ان يعترض عليه وهو استاد العلماء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله واما استحقاقه اللعن فليس بمجرد اعتراضه ولا لكونه ابن كافر بل لكونه مع ذلك
من المنافقين بشهادته عليه السلام والمنافق مستحق للعن والابعاد عن رحمة الله بشهادة قوله تعالى اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون قوله حايك ابن حايك استعارة اشار بها الى نقصان عقله وقلة
استعداده لوضع الاشياء في غير مواضعها وتاكيد لعدم اهليته للاعتراض عليه اذ الحياكة مظنة نقصان العقل وذلك لان
ذهن الحايك عامة وقته متوجه الى صنعته مصوب الفكر الى اوضاع الخيوط المتفرقة وترتيبها ونظامها محتاج الى حركة رجليه
ويديه وبالجملة فالمشاهد يعلم من حاله انه مشغول الفكر عما وراء ما هو فيه فهو ابلد فيما عداه له وقيل كان معاملة الحايك ومخالطته
لضعفاء العقول من النساء والصبيان ومن كانت معاملته لهؤلاء فلا شك في ضعف رايه وقلة عقليته للامور روى عن الصادق
جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال عقل اربعين معلما عقل حايك وعقل حايك عقل امراة والمراة لا عقل لها وعن موسى بن جعفر
عليه السلام انه قال لا تستشيروا المعلمين ولا الحوكة فان الله تعالى قد سلبهم عقولهم وذلك محمول على المبالغة في نقصان عقولهم وقيل
انما عيره بهذه الصنعة لانها صنعة دنية تستلزم صغر الهمة وخبثها وتشتمل على رذايل الاخلاق فانها مظنة الكذب
والخيانة روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله دفع الى حايك من بنى النجار غزلا لينسج له صوفا فكان يمطله ويأتيه عليه السلام متقاضيا
ويقف على بابه فيقول ردوا علينا ثوبنا لنتجمل به في الناس ولم يزل يمطله حتى توفى صلى الله عليه وآله وقد علمت ان
الكذب راس النفاق ومن كانت لوازم هذه الصنعة اخلاقه فليس له ان يعترض في مثل ذلك المقام وقد اختلف في ان
الاشعث هل كان حايكا اوليس فروى قوم انه كان هو وابوه ينسجان برود اليمن وقال الاخرون ان الاشعث لم يكن حايكا
فانه كان من ابناء ملوك كندة واكابرها وانما عيره بذلك لانه كان اذا مشى تلك المشية يحرك منكبيه ويفحج بين رجليه وهذه
المشية تعرف بالحياكة يقال حاك يحيك حيكا وحيكانا وحياكة فهو حايك اذا مشى تلك المشية وامراة حايكة اذا
تبخترت في مشيها والاقرب ان ذلك له على سبيل الاستعارة كنى بها عن نقصان عقله كما سبق اولا واما قوله والله لقد
اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك فتاكيد لنقصان عقله واشارة الى انه
لو كان له عقل لما حصل فيما فيه من الاسر مرتين ما فداه اى ما نجاه من الوقوع في واحدة منهما ماله ولا حسبه ولم يرد

الفداء

الفداء بعد الاسر فان الاشعث فدى في الجاهلية وان مراد المّا قتلت اباه خرج ثايرا طالبا بدمه فاسر ففدى نفسه بثلثة الاف بعير ووفد على النبي صلى الله عليه وآله في سبعين رجلا من كنده فاسلم على يديه وذلك الاسر هو مراده عليه السلم باسر الكفر له واما اسره في الاسلام فانه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ارتد بحضرموت ومنع اهلها تسليم الصدقة وابى ان يبايع لابي بكر فبعث اليه زياد بن لبيد بعد رجوعه عنهم وقد كان عاملا قبل ذلك على حضرموت ثم اردفه بعكرمة بن ابي جهل في جمع عظيم من المسلمين فقاتلهم الاشعث بقبايل كنده قتالا شديدا في وقايع كثيرة وكانت الدايرة عليه فالتجا بقومه الى حصنهم فحصرهم زياد حصرا شديدا وبلغ بهم جهد العطش فبعث الاشعث الى زياد يطلب منه الامان لاهله ولبعض قومه وكان من غفلته انه لم يطلب لنفسه بالتعيين فلما نزل اسره وبعث به مقيدا الى ابي بكر بالمدينة فسال ابا بكر ان يستبقيه لحربه ويزوجه اخته ام فروة ففعل ذلك ابو بكر وهما يدل على عدم مراعاته لقواعد الدين انه بعد خروجه من مجلس عقده بام فروة اصلت سيفه في ازقة المدينة وعقر كل بعير راه وكل شاة استقبلها للناس والتجا الى دار من دور الانصار فصاح به الناس من كل جانب فقالوا قد ارتد الاشعث مرة ثانية فاشرف عليهم من السطح وقال يا اهل المدينة اني غريب ببلدكم وقد اولمت بما نحرت وذبحت فليأكل كل انسان منكم ما وجد وليغد الى من كان له على حق حتى ارضيه وفعل ذلك فلم يبق دار من دور المدينة الا وقد دخلها بسبب تلك الجهلة فضرب اهل المدينة به المثل وقالوا اولم من الاشعث وفيه قال الشاعر

لقد اولم الكندى يوم ملاكه ۞ وليمة حمال لثقل العظايم

قوله وان امرا دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري ان يمقته الاقرب ولا يامنه الابعد اشارة الى غدره بقومه وذلك انه لما طلب الامان من زياد بن لبيد طلبه لنفر يسير من وجوه قومه فظن الباقون انه اخذ الامان لجميعهم فسكتوا ونزلوا من الحصن على ذلك الظن فلما خرج الاشعث لم يطلب الامان الا لعشرة من قومه فقتل من قتل منهم ثم وافاه من كتاب ابي بكر بالكف عنهم وحملهم اليه فحملهم وذلك معنى قوله عليه السلم دل على قومه السيف وقاد اليهم الحتف اذ قادهم الى الحرب واسلمهم للقتل ولا شك ان من كان كذلك فحقيق ان يمقته قومه ولا يامنه غيرهم فاما ما حكاه السيد رحمه الله من انه اراد به حديثا كان للاشعث مع خالد بن الوليد باليمامة وانه غر قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد فلم اقف على شيء من ذلك في وقايع خالد باليمامة وحسن الظن بالسيد يقتضي تصحيح نقله ولعل ذلك في وقعة لم اقف على اصلها واعلم انه عليه السلم ذمه في هذا الفصل بجميع الرذايل النفسانية فنبه على الجهل والغباوة الذي هو طرف التفريط من الحكمة بالحياكة التي هي مظنة لقلة العقل واشار الى الفجور الذي هو الافراط من فضيلة العفة بكونه منافقا وكونه ابن كافر تاكيدا لنسبة النفاق اليه واشار الى الفشل وقلة التثبت التي هي في طرف التفريط والافراط من فضيلة الشجاعة بكونه قد اسر مرتين وكان فيه اشارة الى ذلك ففيه ايضا اشارة الى نقصان عقله كما قلناه واشار الى الظلم والغدر الذي هو رذيلة مقابلة لفضيلة الوفاء بقوله وان امرا دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف وباستجماعه لهذه الرذايل كان مستحقا للعن واما استعارته لعرف النار فلان العرف عبارة عن كل عال مرتفع والاعراف في القران الكريم سور بين الجنة والنار ولما كان من شان كل مرتفع عال ان يستر ما وراءه وكان الغادر يستر بمكره وحيلته امورا كثيرة وكان هو قد غر قومه بالباطل وغدر بهم صدق عليه بوجه الاستعارة لفظ عرف النار لستره عنهم ما وراءه من نار الحرب او نار الاخرة اذ حملهم على الباطل والله اعلم ومن خطبة له عليه السلم فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم واطعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم بحق اقول لكم لقد جاهرتكم

بدل منكم

العبر وزجرهم بما فيه مزدجر وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر اقول الوهل بالتحريك الفزع يقال وهل يوهل وهلا فزع

واعلم ان النفس ما دامت ملتحفة بجلباب البدن فانه محجوب بظلمة الهيئات البدنية والمعارضات الوهمية والخيالية عن مشاهدة انوار عالم الغيب والملكوت وذلك الحجاب امر قابل للزيادة والنقصان والقوة والضعف والناس فيه على مراتب فاعظمهم حجابا واكثفهم حجابا الكفار كما اشار اليه القران الكريم مثلا في حجبهم او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض الاية فمثل الكافر كرجل وقع في بحر لجي صفته كذلك فاشار بالبحر اللجي الى الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة والموج الاول موج الشهوات الداعية الى الصفات البهيمية فبالحري ان يكون هذا الموج مظلما اذ حبك الشيء يعمي ويصم والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والحقد والحسد والمباهاة فبالحري ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحري ان يكون هو الموج الاعلى لان الغضب في الاكثر مستولي على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عنها والسحاب هو الاعتقادات الباطلة والخيالات الفاسدة التي صارت حجابا للبصيرة الكافر عن ادراك نور الحق اذ خاصية الحجاب السحاب ان يحجب نور الشمس عن الابصار الظاهرة واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحري ان تكون ظلمات بعضها فوق بعض واما اخفهم حجبا وارقهم حجابا فهم الذين بذلوا جهدهم في لزوم اوامر الله ونواهيه وبالغوا في تصفية بواطنهم وصقال الواح نفوسهم والعاجب الغفلة والنسيان الهيئات البدنية فاشرقت عليهم شموس المعارف الالهية وسالت الى اودية قلوبهم مياه الجود الرباني المعطي لكل قابل ما يقبله فهؤلاء وان كانوا قد بلغوا الغاية في الجهد في جذب وغسل درن الباطل عن نفوسهم الا انهم ما داموا في هذه الابدان فهم في اغطية من هيأتها وحجب من استارها وان ضعفت تلك الحجب ورقت تلك الاغشية وما بين هاتين المرتبتين درجات من الحجب متفاوتة ومراتب متصاعدة ومتنازلة وبحسب تفاوتها يكون تفاوت النفوس في الاستضاءة بانوار العلوم وقبول الاستيناس بالمعارف الالهية والوقوف على اسرار الدين وبحسب تفاوت هذه الحجب يكون تفاوت ورود النار كما قال تعالى وان منكم الا واردها ولن يخلص الانسان من شوائب هذه الحجب وظلمتها الا بالخلاص عن هذا البدن وطرحه وحينئذ يجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا فتكون مشاهدة بعين اليقين ما اعد لها من خير وما هيئ لها من شر بحسب استعدادها بما كسبت من قبل فاما قبل المفارقة فان حجاب البدن مانع لها من مشاهدة تلك الامور كما هي وان حصلت على اعتقاد جازم برهاني او نوع من المكاشفة الممكنة كما في حق كثير من اولياء الله الان ذلك الوقوف والاطلاع يكون كالمشاهدة لا انها مشاهدة حقيقية اذ لا تنفك عن شائبة الوهم والخيال ولذلك قال صلى الله عليه وآله حاكيا عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اي وراء ما اطلعتم عليه وهو اشارة الى طور المشاهدة الخالصة عن الشوائب التي هي عين اليقين بعد الموت وقد يسمى ما ادركه اهل المكاشفات بمكاشفاتهم في حيوتهم الدنيا عين اليقين فاما ادراك من دون هؤلاء لتلك الامور فما كان منها موكدا بالشعور بعدم امكان النقيض فهو علم اليقين وقد يختص علم اليقين في عرف الصوفية بما يميل النفس الى التصديق به ويغلب عليها ويستولي حتى يصير هو المحكم المتصرف فيها بالتحريص والمنع فيقال فلان ضعيف اليقين بالموت اذا لم يهتم بالاستعداد له فكانه غير موقن به مع انه لا يتطرق اليه فيه شك وقوي اليقين اذا غلب ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالتهيؤ له اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله عليه السلم فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم شرطية متصلة نبه فيها على ان وراءهم من اهوال الاخرة وعذابها مما شاهده من سبق منهم الى الاخرة ما لا يشاهدونه الان بعين وان علموه يقينا وبين فيها لزوم جزعهم وفزعهم وسمعهم وطاعتهم لداعي الله على تقدير مشاهدتهم بعين اليقين لتلك الامور

وهذه

وهذه الملازمة مما شهد البرهان بصحتها واشار التنزيل الالهي الى حقيقتها وذلك قوله تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
وفي موضع اخر ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وذلك مقتضى شهادتهم لاهوال الاخرة وفزعهم وجزعهم من تلك المشاهدة فيجيبهم لسان
العزة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير قوله لكن محجوب عنكم ما قد عاينوا استثناء للملزوم نقيض
تالي هذه المتصلة اذ حجب تلك الاهوال عن بصايرهم مستلزم لعدم فزعهم وجزعهم وهو في صورة اعتذار منهم نطق به لسان حالهم قوله وقريب ما
يطرح الحجاب ما مصدرية في موضع رفع بالابتداء وقريب خبره وهو اشارة الى نحو تزييف لذلك العذر في صورة التهديد لهم ان جعلوا ذلك الخيال
عمدة في التقصير عن العمل فانه عما قليل يرفع حجاب الابدان عن احوال القيمة واهوال يوم الطامة وتكشط سماء اغطيتها عن بصاير النفوس
فتشاهد الجحيم قد سعرت والجنة قد ازلفت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وكما قال تعالى
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قوله ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم اشارة الى ما يشبه جوابا ثانيا
عن صورة العذر السابق لحالهم وهو وجود الحجاب المانع من مشاهدة ما يوجب الجزع والفزع وذلك ان الحجاب وان كان قايما الان وساترا
لتلك الامور عنكم فقد بصرتم بها واوضحت لكم بالعبر والامثال على السنة الرسل عليهم السلام واسمعتم اياها في الكتب الالهية والسنن النبوية
وهديتم عليها بالدلايل الواضحة والحجج القاطعة بحيث صارت كالمشاهدة لكم والمعلوم عيانا لا تشكون فيها فلا عذر اذن بالحجاب
وتخصيص السمع والبصر بالذكر لانهما الالتان اللتان عليهما مدار الاعتبار بامور الاخرة واشار بالهداية الى حظ العقل من نظر
الى الة ونبه بايراد ان الشرطية في المواضع الثلثة على انه يجب الشك في ابصارهم لما بصروا به وسماعهم لما اسمعوا واهتدايهم بما هدوا
به وكل ذلك تقريع لهم على القرار على الغفلة وتنبيه على الفرار الى الله في طرق الاعتبار قوله بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر
لما قدم انهم بصروا واسمعوا ابدا بالزجر بما فيه مزدجر وهي النواهي المؤكدة المردفة بالوعيدات الهايلة والعقوبات الحاضرة
التي في امثالها ازدجار لذوي الالباب كما قال تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر قوله وما يبلغ عن الله
بعد رسل السماء الا البشر اشارة الى انه ليس في الامكان وراء ما جذبتم به الى الله تعالى على السنة رسله طريق اخرى تدعون بها اذ ما يمكن
دعوتكم به من الوعد والوعيد والتذكير بالعبر اللاحقة لقوم حقت عليهم كلمة العذاب ونحو ذلك لا يمكن ايضا احدكم مشافهة الا على السنة
الرسل البشرية عليهم السلام فلا يمكن ان يبلغ اليكم رسالات ربكم بعد رسل السماء التي هي الملايكة الا هم فينبغي ان يكون ذلك امرا كافيا
لكم في الالتفات الى الله ومن خطبة له عليه السلام فان الغاية امامكم وان وراءكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم اخركم
قال السيد رحمه الله واقول ان هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحا وبرز عليه سابقا
فاما قوله عليه السلام تخففوا تلحقوا فما سمع كلام اقل منه مسموعا ولا اكثر محصولا وما ابعد غورها من كلمة وانقع نطفتها من حكمة
وقد نبهنا في كتاب الخصايص على عظم قدرها وشرف جوهرها اقول لا شك ان هذه الكلمات اليسيرة قد جمعت وجازة الالفاظ
جزالة المعنى المشتملة على الموعظة الحسنة والحكمة البالغة وهي اربع كلمات الاولى ان الغاية امامكم واعلم انه لما كانت الغاية من
وجود الخلق ان يكونوا عبادا لله كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكان المقصود من العبادة انما هو الوصول الى
جناب عزته والطيران في حظاير القدس باجنحة الكمال مع الملايكة المقربين كان ذلك هو غاية الانسان المطلوبة منه والمقصودة
له والمامور بالتوجه اليها بوجهه الحقيقي فان سعى لها سعيها ادركها وفاز بحلول جنات النعيم وان قصر في طلبها وانحرف سواء الصراط

محصول کلام امام علیه السلام آنکه غایات و نتایج در پیش است هر که رو در راه نشاید ... مقدم است بر آن

دیگری پس فی الحقیقة ثمره ... الاکثر اسم ... مران صادق است مجاز ... کتب ... مقدمه و کسب ... غایه

وای غایة مقدمه است ... وان غایة السلف وان معدوم است بر آن ... وان معدم است بر آن کسب سعادة

الموصل الیها وقد علمت ان ابواب جهنم عن جنبتی الصراط مفتحة کان فیهما الهاوین وکانت غایة فیدخلها مع الداخلین فاذن ظهر ان

غایة کل انسان امامه الیها یسیر وبها یصیر الثانیة قوله وان وراءکم الساعة تحدوکم والمراد بالساعة القیمة الصغری وهی ضرورة الموت

فاما کونها وراءهم فلان الانسان لما کان بطبعه ینفر من الموت ویفر منه وکانت العادة فی الهارب من الشیٔ ان یکون وراءه مهرب منه

وکان الموت متاخرا عن وجود الانسان ولاحقا تاخرا ولحوقا عقلیا اشبه المهروب منه المتاخر اللاحق هربا وتاخرا ولحوقا حسیا فلاجرم

استعیر له لفظ الجهة المحسوسة وهی الوراء واما کونها تحدوهم فلان الحادی لما کان من شانه سوق الابل بالحداء وکان تذکر الموت وسماع نوادبه

متعلقا من عجائب النفوس الی الاستعداد لامور الاخرة والهیئة للقاء الله سبحانه فهو یحملها علی قطع عقبات طریق الاخرة کالحمل الحادی الابل

علی قطع الطریق البعیدة الوعرة لاجرم اشبه الحادی فاسند الحداء الیه الثالثة قوله تخففوا تلحقوا ولما نبههم بکون الغایة امامهم وان الساعة

تحدوهم فی سفر واجب وکان السابق الی الغایة من ذلک السفر الی الفائز برضوان الله وقد علمت ان التخفیف وقطع العلائق فی الاسفار

سبب للسبق والفوز بلحوق السابقین لاجرم امرهم بالتخفیف لغایة اللحوق فی کلمتین فالاولی منهما قوله تخففوا وکنی بهذا الامر عن الزهد الحقیقی

الذی هو اقوی اسباب السلوک الی الله سبحانه وهو عبارة عن حذف کل شاغل عن التوجه الی القبلة الحقیقیة والاعراض عن متاع الدنیا

وطیباتها وتنحیة کل ما سوی الحق الاول عن مستن الایثار فان ذلک تخفیف لاثقال الاوزار المانعة عن الصعود فی درجات الابرار

والموجه لحلول دار البوار وهو کنایة وباللفظ المستعار وهذا الامر فی معنی الشرط والثانیة قوله تلحقوا وهو جزاء الشرط ای تخففوا

تلحقوا والمراد تلحقوا بدرجات السابقین الذین هم اولیاء الله والواصلون الی ساحل عزته وملازمة هذه الشرطیة قد علمت

بیانها فان الجود الالهی لابخل فیه ولا قصور من جهته والزهد الحقیقی اقوی اسباب السلوک الی الله کما سبق فاذا استعدت النفس

بالاعراض عما سوی الحق سبحانه وتوجهت الی استشراق انوار کبریائه فلابد ان یفاض علیها ما تقبله من الصورة التمامیة فیلحق بدرجة

السابقین ویتصل بساحل العزة فی مقام امین الرابعة قوله فانما ینتظر باولکم اخرکم انما ینتظر بالبعث الاکبر والقیمة الکبری

للذین ماتوا اولا وصول الباقین وموتهم وتحقیق ذلک الانتظار انه لما کان نظر العنایة الالهیة الی الخلق نظرا واحدا والمطلوب

منهم واحدا وهو الوصول الی جناب عزة الله الذی هو غایتهم اشبه طلب العنایة الالهیة وصول الخلق الی غایتهم انتظار

الانسان لقوم یرید حضور جمیعهم وترقبه باوائلهم وصول اواخرهم فاطلق علیه لفظ الانتظار علی سبیل الاستعارة ولما

صورههنا صورة ... انتظار لوصولهم جعل ذلک علة لحثهم علی التخفیف وقطع العلائق ولاشک ان للعقول لاولی الالباب

من ذلک الانتظار حاثا لهم ایضا علی التوجه بوجوه انفسهم الی الله والاعراض عما سواه فهذا ما حضرنی من هذه الکلمات وکفی

بکلام السید رضی الله عنه مدحا لها وتنبیها علی عظم قدرها وقد استعار لفظ النطفة وهی الماء الصافی للحکمة وبالله التوفیق والعصمة

ومن خطبة له علیه السلام الا وان الشیطان قد ذمر حزبه واستجلب جلبه لیعود الجور الی اوطانه ویرجع الباطل الی نصابه

والله ما انکروا علی منکرا ولا جعلوا بینی وبینهم نصفا وانهم لیطلبون حقا هم ترکوه ودما هم سفکوه فلئن کنت شریکهم فیه

فان لهم لنصیبهم منه ولئن کانوا ولوه دونی فما التبعة الا قبلهم وان اعظم حجتهم لعلی انفسهم یرتضعون اما قد فطمت

ویحیون بدعة قد امیتت یا خیبة الداعی من دعاه والی ما اجیب والی لراض بحجة الله علیهم وعلمه فیهم فان ابوا

اعطیتهم حد السیف وکفی به شافیا من الباطل وناصرا للحق ومن العجب بعثتهم الی ان ابرز للطعان وان اصبر للجلاد

... ای جزء از زمان ... دیگر ... هبلتهم

هبلتهم الهبول لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب واني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني اقول اكثر هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا انه عليه السلام خطبها حين بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وفيه زيادة ونقصان وقد اورد السيد بعضه فيما قبل وان كان قد نثره في خطبة على سبيل التكرار والاختلاف بالزيادة والنقصان ونحن نورد الخطبة بتمامها بالنسخ المقصود وهي بعد حمد الله والثناء عليه والصلوة على رسوله صلى الله عليه وآله ايها الناس ان الله افترض الجهاد فعظمه وجعله نصرته وناصره والله ما صلحت دنيا ولا دين الا به وقد جمع الشيطان حزبه واستجلب خيله ومن اطاعه ليعود له دينه وسنته وخدعه وقد رايت امورا قد تمخضت والله ما انكروا على منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا تركوه ودما سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وان اول عدلهم لعلى انفسهم ولا اعتذر مما فعلت ولا اتبرأ مما صنعت وان معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس على وانها للفئة الباغية فيها الحم والحمة طالت جلبتها وانكفت جونتها ليعودن الباطل في نصابه يا خيبة الداعي من دعا ولو قيل ما انكر من ذلك وما امامه وفيمن سنته والله اذن لزاح الباطل عن نصابه وانقطع وما اظن الطريق له فيه واضح حيث نهج والله ما تاب من قتلوه قبل موته ولا تنصل من خطيئته وما اعتذر اليهم فعذروه ولا دعاه فنصروا وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون حسوة ابدا وانها لطيبة نفسي بحجة الله عليهم وعلمه فيهم واني داعيهم فمعذر اليهم فان تابوا وقبلوا واجابوا وانابوا فالتوبة مبذولة فالحق مقبول وليس على كفيل وان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من باطل وناصرا للمؤمن ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها والله ان الزبير وطلحة وعايشة ليعلمون اني على الحق وهم مبطلون ذمر مخففا ومشددا اي حث والجلب الجماعة من الناس وغيرهم تجمع وتؤلف وتمخضت تحركت والنصف بكسر النون وسكون الصاد النصفة وهي الاسم من الانصاف والتبعة ما يلحق الانسان من درك والحم بفتح الحاء وتشديد الميم بقية الالية التي اذيبت واخذ دهنها والحمة السواد وهما استعارتان لاراذل الناس وعوامهم والجلبة الاصوات وجونتها بالضم سوادها وانكفت واستكفت اي استدارت وزاح وانزاح تنحى والنصاب الاصل وتنصل من الذنب تبرأ منه والعب الشرب من غير مص والحسوة بضم الحاء قدر ما يحسى مرة والجلاد المضاربة بالسيوف والهبول الثكلى والهبل الثكل واعلم انه عليه السلام نبه اولا على فضل الجهاد لان غرضه استنفارهم لقتال اهل البصرة فاشار اولا الى وجوبه من الله تعالى والكتاب العزيز مشحون بذلك كقوله تعالى جاهدوا في سبيل الله باموالكم وانفسكم ونحوه ثم اردفه بذكر تفضيل الله تعالى له وذلك كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ثم يذكر ان الله جعله نصرة له وناصرا وذلك قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم والمراد نصرة دين الله وعباده الصالحين اذ هو الغني المطلق الذي لا حاجة به الى معين وظهير ثم بالقسم الصادق انه ما صلحت دنيا ولا دين الا به اما صلاح الدنيا به فلانه لولا الجهاد في سبيل الله ومقاومة اهل العلية لخربت الارض والبلاد كما قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين واما صلاح الدين فظاهر انه انما يكون بمجاهدة اعداء دين الله الساعين في هدم قواعده فاما قوله وقد ذمر الشيطان حزبه واستجلب جلبه ومن اطاعه فقد سبق بيانه وقوله ليعود له دينه وسنته وخدعه وظاهر ان غاية سعي الشيطان من وسوسته تمكنه من

الخداع وعود المذاهب الباطلة كما كانت قبل الرسول صلى الله عليه وآله دينه وطريقته وكل ذلك تنفير للسامعين عما عليه من خالفه وجذب لهم الى
الى الحرب قوله وقد رأيت امورا قد تمخضت اشارة الى تعيين ما يستفزهم اليه وتلك الامور هي ما يحس به من مخالفة القوم واهبتهم لقتاله
قوله والله ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا الى قوله سفكوه اشارة الى ما ادعوه منكرا ونسبوه اليه من قتل عثمان والسكوت عن
التنكير على قاتليه فانكروا اولا انكارهم عليه تخلفه عن عثمان الذي زعموا انه منكر ولما لم يكن منكرا كما ستعلم ذلك كان الانكار عليه هو المنكر
واشار بقوله ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا الى انهم لو وضعوا العدل بينهم وبينه لظهر ان دعواهم باطلة وقوله وانهم ليطلبون حقا هم تركوه
ودما هم سفكوه اشارة الى طلبهم لدم عثمان مع كونهم شركا فيه روى ابو جعفر الطبري في تاريخه ان عليا عليه السلام كان في ماله بخيبر لما اراد الناس
حصر عثمان فقدم المدينة والناس مجتمعون على طلحة في داره فبعث عثمان اليه يشكو امر طلحة فقال عليه السلام انا اكفيكه فانطلق الى دار
طلحة وهي مملوة بالناس فقال له يا طلحة ما هذا الامر الذي صنعت بعثمان فقال طلحة يا ابا الحسن ابعد ان مس الحزام الطبيين هما حلما
ضرع الوى فانصرف الى بيت المال فامر بفتحه فلم يجدوا المفتاح فكسر الباب وفرق ما فيه على الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى
بقي وحده فسر عثمان بذلك وجاء طلحة الى عثمان فقال له يا امير المؤمنين اني اردت امرا فحال الله بيني وبينه وقد جئتك تائبا
فقال والله ما جئت تائبا ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة وروى ابو جعفر ايضا انه كان لعثمان على طلحة بن عبيد الله
خمسون الفا فقال له طلحة يوما قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك عونا على مروتك فلما حصر عثمان قال علي عليه السلام لطلحة انشدك الله الا
كففت عن عثمان فقال لا والله حتى تعطي بنو امية الحق من انفسها فكان علي يقول بعد ذلك لحا الله ابن الصعبة اعطاه عثمان ما اعطى وفعل
به ما فعل وروى ان الزبير لما برز لعلي يوم الجمل قال له ما حملك يا ابا عبد الله على ما صنعت قال الطلب بدم عثمان فقال له انت وطلحة
وليتماه وانما توبتك من ذلك ان تقدم نفسك وتسلمها الى ورثته وبالجملة فدخولهم في قتل عثمان ظاهر وهذه مقدمة من الحجة عليهم
وقوله فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم تمام للحجة وتقريرها انهم
دخلوا في دم عثمان وكل من دخل فيه فاما بالشركة او بالاستقلال وعلى التقديرين فليس لهم ان يطلبوا به احدا واشار الى القسم
الاول بقوله فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه اي على تقدير كونهم شركائي في ذلك فعليهم ان يبدؤوا بتسليم انفسهم الى اوليائه
واشار الى الثاني بقوله وان كانوا ولوه دونه فما الطلبة الا قبلهم وقوله وان اول عدلهم للحكم على انفسهم زيادة تقرير للحجة اي ان
العدل الذي يزعمون انهم يقيمونه في الدم المطلوب ينبغي ان يضعوه اولا على انفسهم قوله ولا اعتذر مما فعلت ولا ابرأ مما صنعت
اي ان الاعتزال الذي فعلته في وقت قتل عثمان لم يكن على وجه تقصير في الدين يوجب الاعتذار والتبري منه فاعتذر وابرأ والا سنبين
وجه ذلك ان شاء الله وقوله وان معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي تقدم بيانه وقوله وانها للفئة الباغية فيها الحما والحمة استعار
هاتين اللفظتين لاسقاط واراذلهم الذين جمعوا القتاله ووجه الاستعارة مشابهتهم حمأ الآبار وما اسود منها في
قلة المنفعة والخبث وقوله طالت جلبتها اي ارتفعت اصواتها وهي كناية عما ظهر من القوم من تهديدهم وتوعدهم بالقتال
وقوله وانكفت جونتها اي استدار سوادها واجتمع وهو كناية ايضا عن تجمع جماعتهم لما يقصدون وقوله يرتضعون اما
قد فطمت استعار لفظ الام لنفسه عليه السلام من الصلات والتفضيلات مثل ما كان عثمان يصلهم به ويفضل بعضهم على بعض ومنعه لهم
من ذلك وقوله ويحيون بدعة قد اميتت اشارة الى ذلك التفضيل فانه كان بخلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسنة الشيخين والبدعة مقابلة

للسنة

للسنة واما بها تركه عليهم لذلك في ولايته قوله ليعودن الباطل الى نصابه توعد لهم بعود ما كانوا عليه من الباطل في الجاهلية واستنفار للسامعين
الى القتال وقوله يا خيبة الداعي من دعا حرج مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاة الى قتاله ومن دعا والى ما اجيب استفهام على سبيل
الاستحقار للمدعوين لقتاله والناصرين اذا كانوا عوام الناس ورعاعهم وللمدعو اليه وهو الباطل الذي دعوا النصرته وقوله لو قيل ما انكر
لذلك وما امامه وفيمن سنته اذا انزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه متصلة معناها لو سال سائل مجادلا لهؤلاء الدعاة
الى الباطل عما انكروه من امري وعن امامهم الذي به يقتدون وفيمن سنتهم التي اليها يرجعون لشهد لسان حالهم باني انا امامهم
وفي سنتهم فانزاح باطلهم الذي اتوا به وانقطع لسانه واستعمال لفظ اللسان ههنا حقيقة على تقدير حذف المضاف اي انقطع
لسان صاحبه عن الجواب به وتكون الاستعارة في لفظ الانقطاع للسكوت او مجازا في العبارة عن الباطل والتكلم به اي انقطع
الجواب الباطل قوله وما اظن الطريق له فيه واضح حيث نهج الجملة عطف على قوله وانقطع لسانه وواضح مبتدا وفيه خبره والجملة في
موضع النصب مفعول ثاني لاظن اي وما اظن لو سال السائل عن ذلك الطريق الذي يرتكبه المجيب له فيه مجال بين ومسلك فيه واضح حيث
سلك بل كيف توجه عن الجواب انقطع وقوله والله ما تاب من قتلوه الى قوله فنصروه اشارة الى عثمن وذم لهم من جهة طلبهم بدم
من اعتذر اليهم قبل موته فيعذروه ودعاهم الى نصرته في حصاره فلم ينصروه مع تمكنهم من ذلك وقوله وايم الله لافرطن لهم حوضا انا
ماتحه ثم لا يصدرون عنه بري ولا يعبون بعده في حسي قد تقدم تفسيره وقوله ولا يعبون حسيه ابدا كناية عن علام تمكينهم من هذا الامر او شيء منه كما تقول الخصم
في شيء والله لا تذوق منه ولا تشرب منه جرعة وقوله واني الطيبة نفسي بحجة الله عليهم وعلمه فيهم نفسي منصوب بدلا من الضمير المتصل بان
او باضمار فعل تفسيرا له وحجة الله اشارة الى اوامره بقتال الفئة الباغية كقوله تعالى فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي
حتى تفيء الى امر الله وكذلك كل امر لله او نهي عصى فيه فهو حجة له وكل حجة للحق فهي حجة لله اي اني راض بقيام حجة الله عليهم وعلمه بما
يصنعون واي رضى للعاقل اتم وطيبة نفس اعظم من كونه لازما للحق وكون خصمه على الباطل خارجا عن طاعة الله وهو القايم على كل نفس بما
كسبت وقوله فاني داعيهم فمعذر الى قوله وناصرا المومن واضح بين وقوله وليس على كفيل اي لا احتاج فيما ابدله لهم من الصفح والامان على تقدير
انابتهم الى ضامن وشافيا وناصرا منصوبان على التمييز وقوله ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها الواو للحال اي الهم ان لم يرجعوا
اعطيتهم حد السيف والملائكة الكرام الكاتبون الذين يعلمون ما تفعل يكتب كل منهم اعمال من وكل به في صحيفته ويشهد بها في محفل القيمة وقوله
ومن العجب بعثتهم الي ان ابرز للطعان وان اصبر للجلاد تعجب من تهددهم له بذلك مع علمهم بحاله في الشجاعة والحرب والصبر على المكاره وهو محل الاستهزاء
والتعجب منهم وقوله هبلتهم الهبول اي ثكلتهم الثواكل وهي من الكلمات التي تدعوا بها العرب وقوله لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب اي
من حيث كنت انا كذلك وقوله واني لعلى يقين من ربي وفي غير شبهة من امري تاكيد لعلوه على الحرب واقدامه على الجلاد وجذب لقلوب السامعين الى النفرة
بانهم على بينة من الله وبصيرة في متابعته على القتال والحرب فان الموقن بانه على الحق ناصر لله ذاب عن دينه عارض غبار الشبه الباطلة في وجه
يقينه يكون اشد صبرا واقوى جلادا واثبت في المكاره ممن لا يكون كذلك فيقدم على القتال بشبهة غطت على عين بصيرته او هوى لزخرف
الدنيا وباطلها قاده الى ذلك وبالله التوفيق والعصمة وبه الحول والقوة تم المجلد الاول من الشرح الكبير لنهج البلاغة من تصانيف الشيخ العالم العامل
كمال الدين ميثم البحراني تغمده الله برحمته من نسخة نسخت على رسم خزانة كتب الجليل الفقيه العالم النبيل حسام الدين حسن بن عز الدين علي
بن عز الدين نزيل الغري رحمه الله زبره الفقير الى الله عبد الله بن عبد محمد الجزايري في اليوم الواحد والعشرين من شهر رجب سنة الف ومايه و اثنين وعشرين والحمد لله رب العالمين

تم المجلد [illegible]

المجلد الثاني من الشرح الكبير

بسم الله الرحمن الرحيم ومن خطبة له عليه السلام

اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر الى كل نفس بما قسم لها من زيادة ونقصان فاذا راى احدكم لاخيه غفيرة في اهل
او مال او نفس فلا تكونن له فتنة فان المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها اذا ذكرت ويغرى بها لئام الناس كالفالج الياسر كان
الذي ينتظر اول فوزة من قداحه توجب له المغنم ويرفع عنه بها المغرم وكذلك المرء المسلم البرئ من الخيانة ينتظر من الله احدى
الحسنيين اما داعي الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو اهل ومال ومعه دينه وحسبه ان المال والبنين حرث
الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة وقد يجمعهما الله لاقوام فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه واخشوه خشية ليست بتعذير
واعملوا في غير رياء ولا سمعة فان من يعمل لغير الله يكله الله الى من عمل له نسال الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة
الانبياء ايها الناس انه لا يستغني الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بايديهم والسنتهم وهم اعظم الناس حيطة
من ورائه والمهم لشعثه واعطفهم عليه عند نازلة ان نزلت به ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره
اقول الغفيرة الكثرة والزيادة وروى عفوة كل شئ بكسر العين صفوته وغرى يغرى بالامر اذا ولع به واغريته به اذا حسنت له
الدخول فيه والفالج الفائز والياسر اللاعب بالميسر وسنذكر كيفيته والقداح سهام الميسر التي يلعب بها والتعذير اظهار العذر ممن لا
عذر له في الحقيقة وعشيرة الرجل قبيلته والمعاشرون له والحيطة بالكسر الحفظ والرعاية واللم الجمع والشعث تفرق الامور وانتشارها
واعلم ان مدار هذا الفصل على تاديب الفقراء بترك الحسد ونحوه اولا وعلى تاديب الاغنياء بالشفقة على الفقراء ومواساتهم بالفضل من
المال وتزهيد جميعهم ثانيا تنبيها لاصحابه على ما عساهم فيه من فقر وجذبا عن معوية بتحقير ما يبذله للناس ليتنفروا اليه فقوله اما
بعد فان الامر ينزل الى قوله او نقصان صدر الخطبة اورده ليبني عليه غرضه وحاصله الاشارة الى ان كل ما يحدث من زيادة
او نقصان ويتجدد فيما يكون به صلاح حال الخلق في معاشهم ومعادهم من صحة او مال او علم او جاه او اهل فانه صادر عن
القسمة الربانية المكتوبة بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ الذي هو خزانة كل شئ والمراد بالامر حكم القدرة الالهية على الممكنات
بالوجود وهو المعبر عنه بقوله تعالى في قوله انما امرنا لشئ اذا اردناه الاية وينزله نسبة حصوله الى كل نفس بما قسم لها وهي
نسبته المسماة بالقدر في قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم والمراد بالسماء سماء الجود الالهي وبالارض الموضعين مشاركة
عالم الكون والفساد على سبيل استعارة هذين اللفظين للمعنيين المعقولين من المحسوسين ووجه الاستعارة في المعنيين
المذكورين للسماء والارض في معنيي العلو والاستقلال كل بالنسبة الى الاخر وانما لم تكن الحقيقة مرادة لان الامر النازل ليس
الامر في جهة هي مبدا نزوله والا لكان الامر في جهة تعالى الله عن ذلك ويحتمل ان يراد حقيقة السماء والارض على معنى ان
الحركات الفلكية لما كانت شرايط معدة يصدر بواسطتها ما يحدث في الارض كانت السماء مبادي على بعض الوجوه لنزول
الامر فاما تشبيهه بقطر المطر فوجه التشبيه ان حصول الرزق والاهل ونحوهما لكل نفس وقسمها منها مختلف بالزيادة
والنقصان كما ان قطر المطر بالقياس الى كل واحدة من البقاع كذلك وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس وقوله فاذا راى احدكم
لاخيه المسلم غفيرة في اهل او مال او نفس فلا تكونن له فتنة شروع في تاديب من حصل في حقه النقصان في احد
الامور المذكورة بالنهي لهم عن الافتتان بحال من حصلت له الزيادة او النفاسة في احدها من المال او الاهل او النفس قال

بعض

١٧٩

بعض الشارحين انه اراد بالنهي عن الفتنة ههنا النهي عن الحسد والتحقيق ان يقال ان الفتنة هي الضلال عن الحق بمحبة امر ما من الامور
الباطلة والاشتغال به عن ما هو الواجب من سلوك سبيل الله ولما كان حال الفقراء من احد الامور المذكورة بالنسبة الى من عرضت له
الزيادة في احدها منهم من يوهل نفسه لتلك الزيادة فيرى انه احق بها ممن عرضت له فيعرض انه يحسده او يرى انه يستحق مثلها فيعرض
له ان يغبطه ومنهم من يقصر نفسه عن ذلك لكنه يميل بطبعه الى خدمة من له تلك الزيادة وينجذب بكليته الى موالاتهم ككثير من
الفقراء الذين بطباعهم الى خدمة الاغنياء ويخلصون السعي لهم ليس لامر سوى ما حصلوا عليه من مال او جاه او نحو ذلك ولعل
تلك الغاية تشوبها توهم الانتفاع بهم مما حصلوا عليه وكانت هذه الامور ونحوها اعني الحسد والغبطة والميل اليهم
لاجل ما حصلوا عليه من الزيادة في احد الامور المذكورة رذايل اخلاق مشغلة عن التوجه الى الله تعالى ومضلة عن سواء الطريق
السبيل كان المنهي عنه في الحقيقة هو الضلال باحد الرذايل المذكورة وهو المراد بلفظ الفتنة وقوله فان المرء المسلم الى قوله
ومعه دينه وحسبه اقول اعراب هذا الفصل ان ما ههنا بمعنى المدة وكالفالج خبر ان وتظهر صفة لدناءة وقوله فيخشع ان
حملنا الخشوع على المعنى اللغوي وهو غض الطرف مثلا والنظر من كان عطفا على تظهر وان حملنا على المعنى العرفي وهو الخضوع
لله والخشية منه فالفاء للابتداء والياسر صفة للفالج واذا للمفاجاة اذا عرفت ذلك فاعلم انه عليه السلم لما نهى عن الفتنة باحد
الامور المذكورة والشغل بها اراد ان ينبه على فضيلة الانتهاء عنها فنبه على كونها دناءة بقوله ما لم يغش دناءة ثم عقب بالتنفير
عن الدناءة والترغيب في التنزه عنها بما ذكره ومعناه ان المسلم مهما لم يرتكب امرا خسيسا يظهر عنه فيكسب بنفسه خلقا رديا ويلزم من ارتكابه
الخجل من ذكره بين الخلق اذا ذكر والحياء من التعيير به ويغرى به لئام الناس وعوامهم في فعل مثله وقيل في هتك ستره فانه
يشبه الفالج الياسر هذا ان حملنا الخشوع على معناه اللغوي وان حملناه على المعنى العرفي الشرعي كان المراد انه ما لم يغش
دناءة فيخشع لها اي بل يخشع لله ويخضع له عند ذكرها ويتضرع اليه هربا من الوقوع في مثلها وخوفا من وعيده على المعاصي
يكون كالياسر الفالج ويكون قوله ويغرى به لئام الناس عطفا على يظهر موخرا فاما التشبيه من هذه صفته بالياسر الفالج فلنشر
اولا الى كيفية اللعب المسمى ميسر ليتضح به وجه التشبيه فنقول المنقول ان الخشبات المسميات قداحا وهي التي كانت
لايسار الجزور سبعة اولها الفذ بالذال المعجمة وفيه فرض واحد وثانيها التوام وفيه فرضان وثالثها الضريب بالضاد
المعجمة وفيه ثلثة فروض ورابعها الحلس بكسر الحاء ونقل احمد بن فارس في المجمل الحلس بفتح الحاء وكسر اللام وفيه اربعة فروض
وخامسها النافس وفيه خمسة فروض وسادسها المسبل وفيه ستة فروض وسابعها المعلى وله سبعة فروض وليس
بعده قدح فيه شيء من الفروض الا انهم يدخلون مع هذه السبعة اربعة اخرى تسمى اوغادا لا فروض فيها وانما يتثقل بها
القداح واسماؤها المصدر ثم المضعف ثم المنيح ثم السفيح فاذا اجتمع ايسار الحي اخذ كل منهم قدحا وكتب عليه اسمه او علمه
بعلامة ثم اتوا بجزور فينحرها صاحبها ويقسمها عشرة اجزاء على الوركين والفخذين والعجز والكاهل والزور والملحاء
والكتفين ثم يعمد الى الطفاطف وخرز الرقبة فيقسمها على تلك الاجزاء بالسوية فاذا استوت وبقي منها عظم او بضعة
لحم انتظر به الجازر من اراده ممن يفوز قدحه فان اخذه عير به والا فهو للجازر ثم يوتى برجل معروف انه لم ياكل
لحما قط بثمن الا ان يصيبه عند غيره ويسمى الحرضة فيجعل على يديه ثوب ويعصب رأسه او اصابعه بعصابة كيلا يجد مس

ظ
بميلون

الملحاء ما بين الصلب من الكاهل الى العجز
والزور وسط الصدر قاموس

الفروض ثم يدفع اليه القداح ويقوم خلفه رجل يقال له الرقيب فيدفع اليه قدحا قدحا منها من غير ان ينظر اليها فمن خرج قدحه اجزاء صح
اخذ من اجزاء الجزور بعدد الفروض التي في قدحه ومن لم يخرج قدحه حتى استوفيت الجزور غرم بعدد فروض قدحه كاجزاء تلك
الجزور من جزور اخرى لصاحب الجزور الذي نحرها فان اتفق ان خرج المعلى اولا فاخذ صاحبه سبعة اجزاء من الجزور ثم
خرج المسبل فلم يجد صاحبه الا ثلثة اجزاء اخذها وغرم له من لم يفز قدحه ثلثة اجزاء من جزور اخرى واما القداح
الاربعة الاوغاد فليس في خروج احدها غنم ولا في عدم خروجه غرم والمنقول عن الايسار انهم كانوا يحرمون ذلك اللحم
على انفسهم ويعدونه للضيافة اذا عرفت ذلك فاعلم ان وجه الشبه هو ما ذكره عليه السلام وذلك ان الفائز الياسر الذي ينتظر
قبل فوزه اول فوزة من قداحه اوجبت له فوزة المغنم ونفي عنه المغرم فكذلك المسلم البرى من الخيانة الضابط لنفسه عن ارتكابه
مناهي الله لما كان لا بد له في انتظاره لرحمة الله وصبره عن معصيته ان يفوز باحدى الحسنيين وهي اما ان يدعوه الله
اليه بالقبض عن الشقاء في هذه الدار فما عند الله مما اعده لاوليائه الابرار خير له فيفوز اذن بالنعيم المقيم ولما كان فوزه مستلزما
لعدم خسرانه ظهر حسن تشبيهه بالياسر الفالج في فوزة المستلزم لعدم غرمه ويحتمل ان يريد بداعي الله لا الموت بل الجواذب
الالهية والخواطر الربانية التي تسنح له فتجذبه الى طرف الزهد الحقيقي والالتفات عن حبائل هذه الدار الى ما وعد به
المتقون واما ان يفتح الله عليه ابواب رزقه فيصبح وقد جمع الله له بين المال والبنين مع حفظ الحسب والدين فيفوز ايضا صح
الفوز العظيم ويامن العقاب الاليم فالتشبيه هيهنا واقع موقعه وكلا الوجهين افضل عند العاقل من الفتنة بالغير
والالتفات عن الله تعالى وتدنيس لوح النفس برذايل الاخلاق من الحسد ونحوه ولما كان هذا الفصل مستلزما للنهي عن الحسد ونحوه
من الفتن المضلة كذلك هو مستلزم للامر بالصبر على البلاء وانتظار رحمته قوله ان المال والبنين حرث الدنيا الى قوله لاقوام اقول
لما بين فيما سبق من التشبيه وغيره ان تارك الرذايل المذكورة ونحوها المنتظر للحسنى من الله فائز اردف ذلك بالتنبيه على تحقير
المقتنيات التي ينشأ من التنافس فيها الرذايل المذكوره فذكر اعظمها واهمها عند الناس وهو المال والبنون فانهما اعظم
الاسباب الموجبة لصلاح الحال في الحيوة الدنيا واشرف القنيات الحاضرة كما قال تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ونبه
على تحقيرها بالنسبة الى العمل الصالح بكونهما من حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة والمقدمة الاولى من هذا الاحتجاج بالنسبة الى صح
صغرى ضمير تقدير كبراه وحرث الدنيا حقير عند حرث الاخرة فينتج ان المال والبنين حقيران عند حرث الاخرة
وقد ثبت في المقدمة الثانية ان حرث الاخرة هو العمل الصالح فاذن المال والبنون حقيران بالنسبة الى العمل الصالح
اما المقدمة الاولى فظاهرة اذ لا حصول للمال والبنين في غير الدنيا واما بيان الثانية فمن وجهين احدهما قوله تعالى
وما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل وظاهر انه لا يريد قلة الكمية بل المراد حقارته بالنسبة الى متاع الاخرة ولذتها
الثاني ان حرث الدنيا من الامور الفانية وحرث الاخرة من الامور الباقية الموجبة للسعادة الابدية والفانيات الطالحات
ظاهرة الحقارة بالنسبة الى الباقيات الصالحات كما قال تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ثم نبه السامعين
بقوله وقد يجمعهما الله لاقوام على وجوب الالتفات الى الله تعالى والتوكل عليه وذلك ان الجمع بين حرث الدنيا والاخرة لما
كان في طباع كل عاقل طلب تحصيله وكان حصوله انما هو من الله دون غيره لمن يشاء من عباده ذكر عليه السلام ذلك ليفرغ

الطالبون

الطالبون للسعادة الى جهة تحصيلها وهو التوسل الى الله تعالى بوجوه الوسايل والاعراض عما لا يجدى طايلا من
الحسد ونحوه ثم اكد ذلك الحث بالتحذير مما حذره الله من نفسه والامر بالخشية الصادقة البرية من التعذير المستلزمة لتحرك محارمه
ولزوم حدوده الجاذبة الى الزهد الحقيقى ثم اردف ذلك بالامر بالعمل لله البرى من الرياء والسمعة وهو اشارة الى العبادة
الخالصة لله المستلزمة لتطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وقد ثبت فى علم السلوك الى الله تعالى ان الزهد والعبادة
كيف يوصلان الى السعادة التامة الابدية وقوله فانه من يعمل لغير الله يكله الله الى من عمل له تعليل لوجوب ترك الرياء والسمعة
فى العمل فان العامل للرياء والسمعة قاصدا ان يراه الناس ويسمعوا بحاله ليعود اليه منهم ما يتوقعه من مال او جاه ونحوه
من الاغراض الباطلة والاعراض الزايلة وقد علمت ان التفات النفس الى شىء من ذلك شاغل لها عن تلقى رحمة الله والاستعداد
لها محجوبة عن قبول فضله ولما كان هو سبب الاسباب ومنتهى سلسلة الممكنات لا جرم اكدت المطالب من غيره
خرج منه التهديد بالوكول الى من سواه ممن عمل له العاملون لاستلزامه الخيبة والحرمان وخسر العاملون الا له وخاب
المتوكلون الا عليه وقد سبق منا بيان معنى كون العامل لغير الله موكولا الى نفسه والى من عمل له فى الفصل الذى ذم
فيه عليهم من يتصدى للحكم بين الامة وليس من اهله وقوله نسأل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء
لما كانت همة عليهم مقصورة على طلب السعادة الاخروية طلب هذه المراتب الثلث وفى ذلك جذب للسامعين الى الاقتداء به
فى طلبها والعمل لها وبدا عليهم بطلب اسهل المراتب الثلث للانسان وختم باعظمها فان من حكم له بالشهادة غايته ان يكون
سعيدا والسعيد غايته ان يكون فى زمرة الانبياء رفيقا لهم وهذا هو الترتيب اللايق من المؤدب الحاذق فان المرتبة
العالية لا تنال دفعة دون نيل ما هو ادون منها وقوله ايها الناس الى قوله يورثه غيره اقول لما اشار الى تاديب الفقراء
عن التعرض للاغنياء بما يوجب لهم ملكات السوء من الحسد ونحوه اردف ذلك بتاديب الاغنياء واستدراجهم فى حق الفقراء
ذوى الارحام واهل القبلة ونحوهم من الاصحاب بالامر بالمواساة فى المال والعقوبة لهم لينتظم شمل المصلحة من
الطرفين فاستدرجهم بامرين احدهما بيان انهم لا يستغنون عنهم وان كانوا اصحاب ثروة فان الرجل لا يستغنى بماله
عن اعوان له يذبون عنه بايديهم صولة صايل ويدفعون عنه بالسنتهم مشتمة قايل بل من المعلوم ان اشد الناس
حاجة الى الاعوان والاصحاب والمعاضدين هم اكثر الناس ثروة وانظر الى الملوك والمتشبهين بهم من ارباب الاموال
واحق الناس بعدم الاستغناء عنهم عشيرة الرجل واصحابه فانهم اعظم الناس شفقة عليه واشدهم دفاعا عنه وحفظا
لجانبه ولمهم لشعثه اى اشدهم جمعا لتفرق حاله واعطفهم عليه نزلت به نازلة من فقر ونحوه وذكر ان قربهم منه باعث
لدواعى الشفقة عليه الثانى التنبيه بذكر غايتى انفاق المال وجمعه وتفضيل احدهما على الآخر وذلك قوله ولسان الصدق
للمرء الى اخره فلسان الصدق هو ذكر الجميل بين الناس وهو من غايات البذل والانفاق وغاية جمع المال هو توريثه للغير
واما افضلية البذل على الجمع فظاهرة من تصورها تين الغايتين وانما رغب عليهم فى البذل بما يستلزمه من غاية الذكر
الجميل بين الناس وان لم يكن مقصوده من الحث على البذل الا مصلحة الفقراء وسد خلتهم وتاديب الاغنياء وتعويدهم
بالبذل والنزول عن محبة المال لان توقع الذكر الجميل من الناس ادعى الى البذل واكثر فعلا فى النفوس من الغايات التى يقصدها عليهم

وذلك من الاستدراجات الحسنة حتى اذا انفتح باب البذل وتمرنت النفوس عليه وجدت ان اولى المقاصد التي يصرف فيها المال هي
المقاصد التي يقصدها الشارع ويحث عليها من سد خلة الفقراء التي ينتظم بها شمل المصلحة ويتحد الناس بعضهم ببعض خصوصا
العشيرة فانه من الواجب في السيرة العادلة التي بها صلاح حال الانسان في الدارين انه لما كان لا غناء له عن عشيرته واصحابه وكان
اكرامهم ومواساتهم بالمال هو الذي يؤكد الانتفاع بهم ويستحقونه في مقابلة حفظهم لجانبه وحياطتهم له فبالحري ان يجب مواساتهم
واكرامهم بما ينظم احوالهم من فضل المال وكفى بذكر غاية جمع المال وهي توريث الغير المستلزمة لذكر هادم اللذات باعثا على بذل
المال والنزول عن محبته وجمعه لمن لمح بعين بصيرته عاقبة امره وبالله التوفيق منها الا لا يعدلن احدكم عن القرابة يرى بها
الخصاصة ان يسدها بالذي لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته فانما يقبض منه عنهم
يد واحدة ويقبض منهم عنه ايدي كثيرة ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة قال السيد ما احسن هذا المعنى

الذي اراده عليه السلام بقوله ومن يقبض يده عن عشيرته الخ صح

فان الممسك خيره عن عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافدتهم قعدوا عن نصرته
وتثاقلوا عن صوته فمنع ترافد الايدي الكثيرة وتناهض الاقدام الجمة اقول العدول الانحراف والخصاصة الفقر والحاجة
وحاشية الرجل جانبه وحاشيته ايضا خدامه واتباعه الذين هم حشو بيته وقوله يرى في موضع النصب على الحال وان
يسدها في موضع الجر بدلا من القرابة واعلم ان المقصود بهذا الفصل هو ما ذكرناه قبله ولو وصلناه به لصلح تتمة له وحاصله

قوله صح

الى كثرة النهي عن العدول عن سد خلة الاقرباء واولي الارحام ذوي الحاجة بالفضل من المال وصرفه في غير وجهه من
المصارف الغير المرضية لله سبحانه وكنى بالسد الذي هو حقيقة في منع جسم لجسم عن المنع المعقول وهو منع الاختلال الواقع في
حال الانسان كناية بالمستعار وقوله لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه على ظاهره اشكال فانه يحتمل ان يقال كل جزء
من المال فان بقاه زيادة فيه وعدمه نقصان منه وجوابه من وجهين احدهما ان يقال انه عليه السلام لم يرد هاهنا مطلق الزيادة
والنقصان في المال بالنسبة الى المال فان الضميرين المنصوبين في يزيده وينقصه عايدان الى الشخص المعبر عنه باحدكم المأمور
بالانفاق وانما اراد الزيادة والنقصان فيه اللذين لا يعتبر باثرهما في صلاح حال الانسان وعدم صلاحه فان
الفضل الزايد في مال الانسان على القدر الذي يدفع ضرورته بحسب الشرع بعد ليس زيادة معتبرة في صلاح حاله ولا نقصانه
معتبرا في فساد حاله فلا يزيده اذن ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه وهذا كما يقول الانسان لمن يريد ان يسهل عليه امرا

عليه

حقيرا يتشدد في طلبه ان هذا الامر لا يضرك ان تركته ولا ينفعك ان اخذته اي بالنسبة الى صلاح حالك الثاني انه يحتمل
ان يريد الزيادة والنقصان في الثواب والاجر في الاجل والثناء والذكر في العاجل اي لا يزيده صلاح حال عند الله
وعند الناس بل يكون سببا لفساد حاله اما عند الله فلان امساك الفضل من المال عمن له اليه ضرورة من عباد الله سبب للشقاء
العظيم والعذاب الاليم في الآخرة لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم الاية
واما عند الناس فعليك بمطالعة مقالاتهم في ذم البخل والبخلاء وكذلك لا ينقصه اي لا ينقص من صلاح حاله اما عند الله
فلما وعد به اهل الانفاق في سبيله الاجر الجميل والثواب الجزيل لقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى الاية واما عند الناس فلما اتفقوا عليه من مدح اهل الكرم والسخاء وملأوا به الصحف من النظم والنثر

فهم

فيهم فاما قوله ومن يقبض يده عن عشيرته الى آخره فمعناه ما ذكره السيد رضي الله عنه وهو ان الممسك خيره عن عشيرته انما يمسك عنهم
نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عنه فمنع ترافد الايدي الكثيرة الا ان هذا البيان يحتاج الى
تقرير وهو ان الانسان لما كان انتفاعه بالايدي الكثيرة اتم واولى بصلاح حاله واكثر من النفع الحاصل له بقبض يده عن
النفع بها وجب عليه ان يستجلب بمدّ يده بالنفع مدّ الايدي الكثيرة الى نفعه والا لكان بسبب طلبه لنفع ما من امساك يد
الواحدة عنهم المستلزم لامساك ايديهم الكثيرة عنه مضيعا على نفسه منافع عظيمة فيكون بحسب قصده لنفع ما مضيعا لما
هو اعظم منه فيكون مناقضا للغرض وذلك جهل وسفه قوله ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة من تمام تاديب
الاغنياء بما يعود عليهم نفعه وينتظم به شمل المصلحة في العالم من التواضع ولين الجانب للخلق فاستدرجهم الى التواضع بذكر
ثمرته اللازمة عنه التي هي مطلوبة لكل عاقل وهي استدامة مودة الناس المستلزمة لنفعهم ولعدم مضرتهم المستلزمين
لصلاح حال المتواضع فيما يقصده وبمثل ذلك ادب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله حيث قال واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين وقد عرفت ان سر ذلك استجلاب الالفة لهم والمحبة بينهم عند سكونهم اليه ليجتمعوا على قبول اقواله وظاهر ان
شيئا من ذلك لا يحصل عند جفاوة الخلق والتكبر كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم في الامر وان حمل لفظ الحاشية على الاتباع والاخوان كان ذلك تاديبا لهم بالتواضع من جهة
اخرى وذلك ان حاشية الرجل وخاصته هم حرسة عرضه وميزان عقله وعليهم يدور تدبير صلاح حاله فبحسب شدتهم
وغلظتهم ولينهم وتواضعهم للناس يكون قرب الناس وبعدهم منه وبغضهم ومحبتهم له وانسهم ونفارهم عنه وقال بعض
الحكماء ان سبيل الحزم والقوام من الناس سبيل الجوارح من الجسد فحاجب الرجل وجهه وكاتبه قلبه ورسوله لسانه وخادمه
يده ورجله وعينه لان من كفاه تعاطي كل واحد من الافعال المحتاج اليها فقد قام مقامه فيها وكما يلحقه الذم من العقلاء
بترك اصلاح افعاله الصادرة عن احد جوارحه كذلك يلحقه الذم منهم على ترك اصلاح من يقوم مقامه في تلك الافعال بتوليته
له اياها وكما يستديم مودة اخوانه ويستجلب مودة الناس بتواضعه بنفسه ولين جانبه لهم كذلك يستديمها بتاديب
حاشيته وخدمه بالآداب المتفق عليها على حسنها بين الناس واهمها وانفعها بذلك لين الجانب وترك الكبر المنفر فان اوهام
الخلق حاكمة بنسبة كل خير وشر يجري من حاشية الرجل اليه وان كان صدق هذا الحكم وان كان اكثريا وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام ولعمري ما علي في قتال من خالف الحق وخابط الغي من ادهان ولا ايهان فاتقوا الله عباد الله وفروا
الى الله من الله وامضوا في الذي نهجه لكم وقوموا بما عصبه بكم فعلي ضامن لفلجكم اجلا ان لم تمنحوه عاجلا **اقول** الادهان
والمداهنة المصانعة والايهان مصدر اوهنه اي اضعفه وخابط الغي بلفظ المفاعلة يخبط كل منهما في الآخر
وقد مر ان الخبط هو المشي على غير استقامة والغي الجهل ونهجه اي اوضحه وعصبه بكم وربطه والفلج الفوز والمنحة العطية
وفي هذا الفصل رد لقول من قال انه متابعته عليه السلام لمحاربيه ومخالفيه ومداهنتهم اولى من محاربتهم فرد ذلك بقوله لعمري ما
علي الى قوله ولا ايهان اي ليس مصانعتهم بواجبة علي من طريق المصلحة الدينية وليسوا بمضعفين لي ولا علي في قتالهم عجز
وفي ذكره عليه السلام لهم بصفة مخالفة الحق ومخابطة الغي والبغي تنبيه للسامعين واستدراج لهم لقيام عذره في قتالهم اذ كانت

مقابلة من هذه صفة واجبة ولا يمكن انكاره وقوعها منه ثم اردف ذلك باوامر اولها الامر بتقوى الله وقد علمت ان تقوى الله هو
خشية المستلزمة للاعراض عن كل ما هية المبعدة عنه وهو الزهد الحقيقي كما سبقت الاشارة اليه الثاني الامر بالفرار الى الله وهو
امر بالاقبال على الله وتوجيه وجه النفس الى كعبة وجوب وجوده واعلم ان فرار العبد الى الله تعالى على مراتب فاولاها الفرار من بعض
اثاره الى بعض كالفرار من اثر غضبه الى اثر رحمته كما قال تعالى حكاية عن المؤمنين في التضرع اليه ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف
عنا واغفر لنا وارحمنا الآية فكانهم لم يروا الا الله وافعاله ففروا من بعضها الى بعض الثانية ان يفنى العبد عن مشاهدة الافعال
ويترقى في درجات القرب والمعرفة الى مصادر الافعال وهي الصفات فيفر من بعضها الى بعض كما ورد عن زين العابدين عليه السلم
اللهم اجعلني اسوة من قد انهضته بتجاوزك من مصارع المجرمين فاصبح طليق عفوك من اسر سخطك والعفو والسخط صفتان
فاستعاذ باحديهما من الاخرى الثالث ان يترقى عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها كقوله تعالى لا ملجأ من الله
الا اليه وكالوارد في الدعاء في القيام الى الصلوة منك وبك ولك واليك اي منك بدء الوجود وبك قيامه ولك ملكه واليك رجوعه
ثم اكد ذلك بقوله لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك وقد جمع الرسول صلعم هذه المراتب حين امر بالقرب في قوله تعالى واسجد واقترب فقال
في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك وهو كلام عن مشاهدة فعل الله فاستعاذ ببعض افعاله من بعض والعفو كما يراد به صفة
العافي كذلك قد يراد به الاثر الحاصل عن صفة العفو في المعفو عنه كالخلق والصنع ثم لما قرب ففنى عن مشاهدة الافعال وترقى
الى مصادرها وهي الصفات قال واعوذ برضاك من سخطك ثم راى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب وترقى عن مقام مشاهدة
الصفات الى ملاحظة الذات فقال واعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه مع قطع النظر عن الافعال والصفات وهو اول
مقام الوصول الى ساحل العزة ثم للسباحة في لجة الوصول درجات اخر لا تتناهى ولذلك لما ازداد صلى الله عليه وآله
قربا قال لا احصي ثناء عليك فكان ذلك حذفا لنفسه عن درجة الاعتبار في ذلك المقام واعترافا منه بالعجز عن الاحاطة بما له من
صفات الجلال ونعوت الكمال وكان قوله بعد ذلك انت كما اثنيت على نفسك كمالا للاخلاص وتجريدا للكمال المطلق الذي به هو عن
ان يلحقه حكم لغيره وهمي او عقلي اذا عرفت ذلك ظهر ان مقصوده عليه السلم بقوله ففروا الى الله من الله امر بالترقي الى المرتبة الثالثة
من المراتب المذكورة الثالث الامر بالمضي فيما نهجه لهم من السبيل الواضح العدل الذي هو واسطة بين طرفي الافراط والتفريط
والصراط المستقيم المدلول عليه بالاوامر الشرعية وقد علمت ان الغرض من سلوك هذا السبيل وامتثال التكاليف التي لزم
الانسان بها وعصبت به انما هو تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة بحيث تصير مؤتمرة لها ومتصرفة تحت حكمها
العقلي منقادة لها عن الانهماك في ميولها الطبيعية ولذاتها الفانية وحينئذ تعلم ان هذه الاوامر الثلثة هي التي عليها مدار
الرياضة والسلوك الى الله تعالى والامر الاول والثالث امر بما هو معين على حذف الموانع عن الالتفات الى الله وعلى
تطويع النفس الامارة والامر الثاني هو الامر بتوجيه السر الى الله وقد تبين فيما مر ان هذه الامور الثلثة هي الاغراض التي تتوجه
نحوها الرياضة المستلزمة لكمال الاستعداد المستلزم للوصول التام ولذلك قال عليه السلم فعلى ضامن لفلجكم آجلا ان
لم تمنحوه عاجلا اي اذا قمتم بواجب ما امرتم به من هذه الاوامر كان ذلك مستلزما لفوزكم في دار القرار بجنات تجري من تحتها
الانهار التي هي الغايات الحقيقية ولمثلها يعمل العاملون وفيها يتنافس المتنافسون ان لم يتم تاهلكم للفوز في الدار العاجلة فتمنحوه

فيها

لما ازداد صح

فيها وقد يتم الفوز بالسعادتين العاجلية والاجلية لمن وفقت قوته بالقيام بهما وكمل استحقاقه لذلك في علم الله ولما كان حصول السعادة
والفوز عن لزوم الاوامر المذكورة امرا واجبا واضح الوجوب في علمه عليه السلام لاجرم كان ضامنا له فان قلت فما وجه اتصال هذه الاوامر
بصدر الفصل قلت لما كان مقتضى صدر الفصل الى قوله ولا ايمان هو الاعذار الى السامعين في قتال مخالفي الحق وكان مفهوم ذلك هو
الحث على جهادهم والتنفير عما هم عليه من الطريق الجائر كان يعقب ذلك بذكر الطريق الواضح المامور بسلوكه ولزوم حدود الله فيه هو اللائق الواجب
وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام وقد تواترت عليه الاخبار باستيلاء اصحاب معوية على البلاد وقدم عليه عاملاه من
اليمن وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن ارطاة فقام الى المنبر ضجرا بتثاقل اصحابه عن الجهاد
ومخالفتهم له في الراي فقال عليه السلام ما هي الا الكوفة اقبضها وابسطها ان لم تكوني الا انت تهب اعاصيرك فقبحك الله وتمثل
بقول الشاعر: لعمر ابيك الخير يا عمرو انني على وضر من ذي الاناء قليل: انبئت بسراً واني والله لاظن هؤلاء القوم
سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل وبادائهم الامانة الى
صاحبهم وخيانتكم وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم فلو ائتمنت احدكم على قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته اللهم اني قد
مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني فابدلني بهم خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء اما والله
لوددت ان لي بكم الف فارس من بني فراس بن غنم: هنالك لو دعوت اتاك منهم: فوارس مثل ارمية الحميم: ثم نزل عليه السلام من
المنبر قال السيد رضي الله عنه الارمية جمع رمي وهو السحاب والحميم في هذا الموضع وقت الصيف وانما خص الشاعر سحاب الصيف
بالذكر لانه اشد جفولا واسرع خفوفا لانه لا ماء فيه وانما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء وذلك لا يكون في الاكثر
الا في زمان الشتاء وانما اراد الشاعر وصفهم بالسرعة اذا دعوا والاغاثة اذا استغيثوا والدليل على ذلك قوله هنالك لو دعوت
اتاك منهم اقول السبب ان قوما بصنعاء كانوا من شيعة عثمن يعظمون قتله فبايعوا عليا على دخل فلما اختلف الناس عليه
بالعراق وكان العامل له يومئذ على صنعاء عبيد الله بن العباس وعلى الجند بها سعيد بن نمران ثم قتل محمد بن ابي بكر بمصر وكثرت
غارات اهل الشام تكلم هؤلاء ودعوا الى الطلب بدم عثمن فانكر عليهم عبيد الله بن عباس فتظاهروا ونابذوه على حبسهم فكتبوا الى
اصحابهم بالجند فعزلوا سعيد بن نمران عنهم واظهروا امرهم فانضم اليهم خلق كثير ارادوا منع الصدقة فكتب عبيد الله وسعيد
الى امير المؤمنين يخبرانه الخبر فكتب الى اهل اليمن والجند كتابا يتهددهم فيه ويذكرهم الله تعالى فاجابوه بانا مطيعون ان عزلت عنا
هذين الرجلين عبيد الله وسعيدا ثم كتبوا الى معوية فاخبروه فوجه اليهم بسر بن ارطاة وكان فظا سفاكا للدماء فقتل في طريقه
بمكة داود وسليمن ابني عبيد الله بن العباس وبالطايف عبد الله بن المدان وكان صهرا لابن عباس حتى انتهى الى صنعاء وقد
خرج منها عبيد الله وسعيد واستخلفا عليها عبد الله بن عمرو بن اراكة الثقفي فقتله بسر واخذ صنعاء فلما قدم ابن عباس وسعيد
على علي عليه السلام بالكوفة عاتبهما على تركهما قتال بسر فاعتذرا اليه بضعفهما عنه فقام عليه السلام الى المنبر ضجرا من مخالفة اصحابه له في الراي
فقال ما هي الا الكوفة الفصل اذا عرفت ذلك فنقول الاعصار ريح تهب فتثير التراب والوضر بفتح الضاد الدرن الباقي في
الاناء بعد الاكل ويستعار لكل بقية من شيء ويقل الانتفاع بها والالاء بالفتح شجر حسن المنظر مر الطعم واطلع اليمن اي غشيها
سيدالون اي يصير الامر اليهم والدولة لهم والقعب القدح الضخم وماث الشيء اذابه واعلم ان الضمير في قوله ما هي للكوفة وان

قد اطلع اليمن صح

ثم تمثل عليه السلام صح

لم يجر لها ذكر في اللفظ الآن تضجره من اهلها قبل ذلك وخوضه في تدبيرها مرارا وحضورها في ذهنه يجري مجرى الذكر السابق لها واقبضها
خبر ثان او لمبتدا محذوف تقديره انا ويحتمل ان يكون ضمير القصة واقبضها خبر عن الكوفة ونظيره في الاحتمالين قوله تعالى انها لظى نزاعة
ويفهم من هذا الكلام حصر ما بقي له من البلاد التي يعتمد عليها في الحرب ومقاتلة العدو في الكوفة وهو كلام في معرض التحقير لما هو فيه من امر الدنيا وما بقي
له في التصرف الحق بالنسبة الى ما لغيره من التصرف الباطل واقبضها وابسطها كناية عن وجوه التصرف فيها اي ان الكوفة والتصرف فيها بوجوه
التصرف حقيرة بالنسبة الى ساير البلاد التي غلب عليها الخصم فما عسى اصنع بتصرفي فيها وما الذي ابلغ به في دفع الخصم ومقاومته وهذا كما يقول الرجل في
تحقيره ما في يده من المال القليل اذا رام به امرا كثيرا انما هو بهذا الدينار فما عسى ابلغ به من الغرض وقوله فان لم تكوني الا انت تهب اعاصيرك عدول
من الغيبة الى الخطاب والضمير بعد الا تاكيد للذي قبلها والجملة الفعلية بعده في موضع الحال وخبر كان محذوف ولفظ الاعاصير يحتمل ان يحمل على حقيقته
حقيقة فان الكوفة معروفة بهبوب الاعاصير فيها ويحتمل ان يكون مستعارا لما يحدث من اراء اهلها المختلفة التي هي منبع الغدر به والتثاقل
عن ندائه ووجه المشابهة ما يستلزمه المستعار منه وله من الاذى والازعاج وتقدير الكلام فان لم تكوني الا انت عدة لي وجنة القى
بها العدو وحظا من الملك والخلافة مع ما عليه حالك من المذام فقبحك الله وهو ذم لها بعد ذكر وجه الذم ولاجل استصغاره لامرها
تمثل بالبيت لعمر ابيك الخير ومعنى تمثيله به اني على نقية من هذا الامر كالوضر الباقي في الاناء وهو تمثيل على وجه الاستعارة فاستعار لفظ الاناء
للدنيا ولفظ الوضر القليل فيه للكوفة ووجه المشابهة ما يشترك فيه الكوفة والوضر من الحقارة بالنسبة الى ما استولى عليه خصمه من الدنيا وما اشتمل
عليه الاناء من الطعام ومن روى الا فانما اراد اني على نقية من هذا الامر كالقدر الحاصل لناظر الاناء من حسن المنظر مع عدم انتفاعه
منه بشيء ويكون قد استعار لفظ الاناء لساير بلاد الاسلام ولفظ الوضر لما في يده هو من حسن المنظر استعارة في الدرجة الثانية وانما
خص الكوفة دون البصرة وغيرها لان جمهور من كان يعتمد عليه في الحرب اذ ذاك هم اهل الكوفة وقوله انبئت بسرا الى قوله منكم شروع في
استنفارهم الى الجهاد فاعلمهم اولا بحال بسر وخروج اليمن من ايديهم ثم خوفهم بما حكم به من الظن الصادق ان سيدال القوم منهم ثم اعقب
ذلك بذكر اسباب توجب وقوع ما حكم به وهي الامارات التي عنها حكم فذكر اربعة امور من قبلهم هي اسباب الانقهار واربعة امور من
قبل الخصم مضادة لها هي اسباب القهر ورتب كل امر عقيب ضده ليظهر لهم المناسبة بين افعالهم وافعال خصومهم فيدعوهم داعي
الدين المروة الى الفرار من سوء الراي فالاول من افعال الخصم الاجتماع والتوازر وان كان على باطل وهو التصرف الغير الحق في البلاد
والاول من افعالهم ما يضاد ذلك وهو تفرقهم عن حقهم اي تصرفهم المستحق لهم باذن ولي الامر الثاني من افعال الخصم الطاعة للامام
الجاير فيما يامر به من الباطل ومن افعالهم معصية الامام الحق في امره بالحق الثالث للخصم تاديتهم للامانة الى صاحبهم وهي لزوم
عهده والوفاء ببيعته ومن افعالهم ضد ذلك من الغدر والخيانة في العهد بتركهم لموازرته في القتال وعصيانهم كما مر حتى صار الغدر
مثلا لاهل الكوفة الرابع صلاح القوم في بلادهم اي انتظام امورهم فيها الناشي عن طاعة امامهم ومن افعالهم ما يضاد ذلك من فسادهم
في بلادهم لخروجهم عن طاعة امامهم وظاهر ان الامور الاربعة المذكورة من افعال الخصم من اسباب صلاح الحال وانتظام الدولة والغلبة
والقهر وان الامور الاربعة المضادة لها من افعالهم من اقوى الاسباب الموجبة للانغلاب والانقهار وقوله فلو ائتمنت احدكم على قعب
لخشيت ان يذهب بعلاقته مبالغة في ذمهم بالخيانة على سبيل الكناية عن خيانتهم لامامهم في عهده على قبول اوامره وقوله اللهم اني قد
مللتهم وملوني شكاية الى الله سبحانه منهم وعرض لما في ضميره وضمايرهم بحسب ما شهدت به قراين احوالهم والملال والسام مترادفان وحقيقته

القليل صح

اعراض

اعراض النفس عن الشيء اما لفتور القوى البدنية وكلالها عن كثرة الافاعيل واما لاعتقاد النفس عن دليل او امارة تتبين لها ان ما يطلبه غير
ممكن لها وهذان السببان كانا موجودين لسأمه عليه السلام من افعالهم فانه لم يترك منهم ولم يدع عليهم حتى عجزت قواه عن التطلع الى وجوه صلاحهم
واضرقت نفسه عن معالجة احوالهم لاعتقاده ان تقويمهم غير ممكن له واما سأمهم منه فاما لاعتقادهم ان مطلوباتهم التي كانوا ارادوه لها غير
ممكنة منه او لكثرة تكرارا وامره بالجهاد والذب عن دين الله والمواظبة على اوامر الله على قواهم الضعيفة التي هي مع ضعفها مشغولة بغير الله
فلذلك تنصرف نفوسهم عن قبول قوله وامتثال اوامره ثم اردف تلك الشكاية بالتضرع الى الله تعالى في الخلاص منهم ثم بالدعاء عليهم فدعا الله لنفسه اولا
ان يبدله خيرا منهم اما في الدنيا فقوما صالحين ينظرون بنور الله نعمه عليهم فيخلصون له الدين واما في الاخرة فقوما غرقوا في مطالعة انوار كبريائه
الله فاصطفاهم على منازل جنته واسنى مراتب كرامته قوما انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا وطلب الخير منه في الدنيا هو الارجح في الذهن لما يتمناه بعد من فوارس بني فراس ثم دعا الله عليهم ان يبدلهم شرا منه فان قلت ان
صدور مثل هذا الدعاء منه عليه السلام مشكل من وجهين احدهما انه يقتضي ان يكون هو ذا شر وقد ثبت انه كان منزها عن الشرور الثاني انه ووجود صح
كيف يجوز منه ان يدعو بوجود الشرور للاشرار قلت الجواب عن الاول من وجهين احدهما ان صيغة افعل التفضيل كما ترد لاثبات
الافضلية كذلك قد ترد لاثبات الفضيلة وحينئذ يحتمل ان يكون مراده من قوله شرا مني اي ابدلهم بمن فيه شر غيري الثاني ان يكون شرا مني
بحسب عقايدهم ان في شرا عليهم واعتقادهم انه ذو شر لا يوجب كونه كذلك وعن الثاني من وجهين احدهما انه لما كان في دعاء الله ان يبدلهم من هو
شر منه مصلحة تامة حسن منه ذلك وبيان المصلحة من وجهين احدهما ان صدور ذلك الدعاء منه عليهم بمشهد منهم ومسمع من اعظم الاسباب المخوفة
الجاذبة لاكثرهم الى الله تعالى وذلك مصلحة ظاهرة الثاني ان نزول الامر المدعو به عليهم بعده مما ينبههم على فضله ويذكرهم انهم لم يصبهم ذلك
الا لترك اوامر الله تعالى وخروجهم عن طاعته فيتنبهوا عن مسالك البغي والفساد الى واضح سبيل الرشاد ويكون ذلك بلاء من الله لهم الثاني
لعله انما دعى عليهم لعلمه انه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا لاجله مما يدعوهم اليه ومن يرجى صلاح حاله مع فساد نظام العالم بوجوده ولزومه
لما يضاده مطلوب الله منه فعدمه اولى من وجوده فكان دعاؤه عليهم اذن مندوبا اليه وعلى ذلك يحمل ايضا دعاؤه عليهم اللهم مث قلوبهم
كما يماث الملح في الماء ونحوه وذلك تأسي منه عليه السلام بالسابقين من الانبياء صلى الله عليهم في التضجر من قومهم والشكاية منهم الى الله تعالى ودعائهم
عليهم كنوح اذ قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا الايات رب انهم عصوني ثم ختم بالدعاء على من لم يرج
صلاحه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الاية وكلوط اذ قال لقومه اني لعملكم من القالين وغيرهما من الانبياء والمراد
بالميث المدعو به يشبه ان يكون ما يحصل في القلب من الانفعال عن الغم والخوف ونحوهما وذلك ان الغم اذا وقع لزمه تكاثف الروح القلبي
للبرد الحادث عند انطفاء الحرارة الغريزية لشدة انقباض الروح واحتقانه فيحس في القلب بانفعال شبيه بالعصر والمرس وذلك
في الحقيقة الم ومستلزم له فيحسن ان يكون مراده ويحتمل ان يكون كناية عن اسبابه من الغم والخوف فكانه طلب من الله ان ينقص منهم
اذ ماثوا قلبه بفساد افعالهم ويروى ان اليوم الذي دعا عليهم فيه ولد فيه الحجاج بن يوسف وروي انه ولد بعد ذلك اليوم باوقات
يسيرة وفعل الحجاج باهل الكوفة ظاهر ودماؤه لها مشهور وقوله اما والله لوددت ان لي بكم الف فارس من بني فراس بن غنم
يصلح تعيينه لمن ذكر بيانا للخير منهم الذي طلبه او كان من الله محلا عوضا منهم وبنو فراس حي من تغلب ابوهم غنم بفتح الغين وسكون النون
وهو غنم بن تغلب ابن وائل وانما خص هذا البطن لشهرتهم بالشجاعة والحمية وسرعة اجابة الداعي فاما البيت هنالك لو دعوت

فمعناه ما ذكره السيد الرضي رض ووجه تمثله عليه السلام بهذا البيت ان هولاء القوم الذين ود انهم كانوا له عوضا من قوم بصفة الفوارس الذين
اشار اليهم الشاعر في المبادرة الى اجابة الداعي والاجتماع على دفع الضيم عنهم ونصرة حقهم فلذلك تمناهم عوضا ومقصوده في جميع ذلك ذمهم
وتوبيخهم وتحقيرهم وتفضيل غيرهم عليهم تنفير الطباعهم عما هي عليه من التثاقل عن دعوته للذاب عن دين الله وبالله التوفيق والعصمة ومن
خطبة له عليه السلام ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين وامينا على التنزيل وانتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار
منيخون بين حجارة خشن وحيات صم تشربون الكدر وتاكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون ارحامكم والاصنام فيكم
منصوبة والآثام بكم معصوبة اقول الاناخة المقام بالمكان والحية الصماء هي التي لا تنزجر بالصوت كانها لا تسمع وربما يراد بها
الصلبة الشديدة والجشب هو الطعام الغليظ الخشن ويقال هو الذي لا ادام معه ومعصوبة مشدودة واعلم انه عليه السلام اقتص امورا
وقعت للجنس من جهاد ونهها فبدا بذكر النبي صلعم وذكر بعض اسباب غاية البعثة فانه لما كانت الغاية منها هو جذب الخلق عن دار الغرور الى الواحد
الحق وكان ذلك الجذب تارة بالنذارة وتارة بالبشارة ذكر هيهنا النذارة وخصها بالذكر لانها السبب الاقوى في الردع فان عامة الخلق
وجمهورهم قلما يلتفتون الى ما وعدوا في الآخرة اذا قابلوا ذلك بلذاتهم الحاضرة فان تلك امور غير متصورة لهم الا بحسب الوصف الذي انما يكشف
لهم عن امور محسوسة تشبه ما هم فيه او اضعف عندهم ثم ان نيلها مشروط بشرايط صعبة في الدنيا تكدر عليهم ما هم فيه من حاضر لذاتهم
مع بعد انهاء عن الشروط والتكاليف الشاقة فلذلك قل ما يلتفتون الى الوعد عما هم فيه فكان السبب الاقوى في الردع والالتفات الى الله
انما هو الانذار والتخويف فاذا انضم اليه الوعد افاد المجموع الغاية ولما كان مقصوده عليه السلام في هذا الموضع التوبيخ المطلق للعرب وترقيق الذلة والمنقصة قاموس
قلوبهم المشتملة على الفظاظة والقسوة كان الاليق هيهنا ذكر انذار النبي للعالمين ليتذكروا بذلك تفصيل الانذارات الواردة في
القرآن والسنة ثم اردف ذلك بكونه امينا على التنزيل ليتذكروا ان الانذارات الواردة هي عن الله تعالى اتى بها الرسول غير خاين
فيها بتبديل او زيادة او نقصان فيتاكد في قلوبهم ما قد علموه من ذلك ليكون ادعى لهم الى الانفعال عن اقوالهم ثم شرع بعد في
اقتصاص احوالهم التي كانوا عليها والواو في قوله وانتم للحال اي حال ما كنتم بهذه الصفات بعث محمدا وذكر احوالهم في معرض الذم لها فذكر انهم
كانوا على شر دين وهو عبادة الاصنام من دون الله واعظم بذلك انقضاضا لمن عقل منهم اسرار الشريعة وعرف الله سبحانه فلا احسبه عند سماع
هذا التوبيخ الا خجلا بما فرط في جنب الله ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ثم اردف ذلك بتذكيرهم ما كانوا فيه من شر دار واراد نجدا
وتهامة وارض الحجاز وبين كونها شرا ببيان فساد احوالهم اما في مساكنهم فبانا ختهم بين الحجارة السود الخشن التي لا نداوة
بها ولا نبات والحيات الصم التي لا علاج لسمومها ووصفها بالصم لان حيات الارض على غاية من القوة وحدة السموم لاستيلاء
الحرارة واليبس عليها واما في مشربهم فلان الغالب على المياه التي يشربونها ان تكون كدرة لا يكاد يغترف المعتاد بها ان يقبل عليها
مع العطش الا عند الضرورة والسبب الغالب في ذلك عدم اقامتهم بالمكان الواحد بل هم ابدا في الحل والارتحال ولا يتخيرون المياه
ويصلحونها الا ريث ما هم عليها فربما كان بعضهم يحتفر وبعضهم يشرب ومشاهدتهم توضح ذلك واما في ماكلهم فجشوبتها ظاهرة
فانك تجد عامتهم ياكل ما دب من حيوان وسئل بعض العرب اي الحيوانات تاكلون في البادية فقال نأكل ما دب ودرج الا
ام حبين فقال السائل لتهن ام حبين السلامة قال صاحب المجمل وام حبين دويبة قدر الكف كف الانسان وبعضهم يخلط
الشعير بنوى التمر ويطحنهما ويتخذ منها خبزا وروي انهم كانوا في ايام المجاعة يلوثون اوبار الابل بدم القراد ويخفونها

فاذا

فاذا ابيت دقوها وصنعوها طعاما واما فى سفكهم الدماء بعضهم لبعض وقطع ارحامهم فظاهر ايضا فان الولد كان يقتل اباه وبالعكس
واما نصبهم للاصنام وعصب الاثام بهم فى جاهليتهم فغنى عن البيان ولفظ العصب مستعار للزوم الاثام لهم فى تلك الحال عن معناه الاصلى وهى
استعارة لفظ نسبة بين محسوسين لنسبة بين معقولين او بين معقول ومحسوس وانما ذكرهم عليه السلام بهذه الاحوال لينبههم لنسبة ما كانوا عليه قبل
الى ماهم عليه فى تلك الحال من اضداد ذلك كله اذ بدلوا بما كانوا فيه من فساد احوالهم فى الدنيا صلاح حالهم فيها ففتحوا المدن وكسروا الجيوش وقتلوا الملوك
وغنموا اموالهم كما قال تعالى فى المنة عليهم وتذكيرهم انواع ما انعم عليهم به واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وجعل لهم
الذكر الباقى والشرف الثابت كل ذلك زيادة على هدايته لهم الى الاسلام الذى هو طريق دار السلام وسبب السعادة الباقية وانما كان ذلك بسبب
مقدم محمد صلى الله عليه وآله اليهم واعلم ان سياق هذا الكلام يقتضى مدح النبى ص فيما حذف من الفصل بعده ليبنى عليه مقصوده عليه السلام وفيه تنبيه على دوام
ملاحظة السامعين لنعماء الله عليهم ۞ فيلاحظوا استحقاقه لتمام العبادة عامة احوالهم ويكونوا فى وجل من خوفه وشوق اليه والله
يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ومنها فنظرت فاذا ليس لى معين الا اهل بيتى فضننت بهم عن الموت واغضيت على القذى وشربت
على الشجى وصبرت على اخذ الكظم وعلى امر من طعم العلقم اقول ضننت بكسر النون اى بخلت ونقل الفراء بالفتح ايضا واغضيت على كذا
اى اطبقت عليه جفنى والقذى ما يسقط فى العين فيؤذيها والشجى ما يعرض فى الحلق عند الغبن ونحوه لا يكاد يسيغ الانسان معه الشراب وقد
مر تفسيرهما واخذ بكظمه اى بمجرى نفسه والعلقم شجر بالغ المرارة ويصدق بالعرف على كل مر واعلم ان هذا الفصل يشتمل على اقتصاص
صورة حاله بعد وفاة رسول الله ص فى امر الخلافة وهو اقتصاص فى معرض التظلم والشكاية ممن يرى انه احق منه بالامر فانتار
الى انه فكر فى امر المقاومة والدفاع عن هذا الحق الذى يراه اولى به فراى انه لا ناصر له الا اهل بيته وهم قليلون بالنسبة الى من لا يعينه
ومن يعين فانه عليه ولم يكن معين يغلب على الظن الا بنى هاشم كالعباس وبنيه وابى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهو يخصهم لو صح
وضعفهم وقلتهم عن مقاومة جمهور الصحابة ظاهر فضن بهم عن الموت لعلمه انه لو قاوم بهم لقتلوا ثم لا يحصل على مقصوده ولما ضن
بهم عن الموت لزمه ما ذكره من ذكر من الامور وهى الاغضاء على القذى وكنى بالاغضاء عن القذى عن صبره على المقاومة كناية بالمستعار
ووجه المشابهة بينهما استلزامهما للالم البالغ وبالقذى عما يعتقده ظلما فى حقه وكذلك قوله وشربت على الشجى ملاحظة لوجه الشبه
بين ما يجرى له من الامور التى توجب له الغضب والغبن وبين الماء الذى يشرب على الشجى وهو استلزامهما الاذى وعدم التلذذ
والاساغة ولذلك استعار له لفظة الشرب وكذلك قوله وصبرت على اخذ الكظم وعلى امر من العلقم فيه استعارات حسنة
للفظ اخذ الكظم كنى بها عن اخذ الوجوه عليه وتضييق الامر فيما يطلبه وللفظ المرارة التى هى حقيقة فى الكيفية المخصوصة
للاجسام لما يجده من الالم بسبب فوت مطلوبه ووجه المشابهة فى هاتين الاستعارة لزوم الاذى ايضا واما ان الذى
وجده امر من العلقم فظاهر اذ لا نسبة للالم البدنى فى الشدة الى الالم النفسانى واعلم انه قد اختلف الناقلون لكيفية حاله بعد
وفاة رسول الله ص فروى المحدثون من الشيعة وغيرهم اخبارا كثيرة ربما خالف بعضها بعضا بحسب اختلاف الاهواء منها وهو
الذى عليه جمهور الشيعة ان عليا عليه السلام امتنع من البيعة لابى بكر بعد وفاة الرسول وامتنع معه جماعة بنى هاشم كالزبير
وابى سفيان بن الحرث والعباس وبنيه وغيرهم وقالوا لا نبايع الا عليا وان الزبير شهر سيفه فجاء عمر فى جماعة من الانصار
فاخذ سيفه فضرب به الحجر فكسره وحملت جماعتهم الى ابى بكر فبايعوه وبايع معهم على كرها وقيل ان عليا اعتصم ببيت فاطمة ع

وعلموا انه منزه منزلة كوه وروى نصر بن مزاحم فى كتاب صفين انه كان يقول لو وجدت اربعين ذوى عزم لقاتلت ومنها وهو الذى عليه
جمهور المحدثين من غير الشيعة انه امتنع من البيعة ستة اشهر حتى ماتت فاطمة فبايع بعد ذلك طوعا وفى صحيحى مسلم والبخارى كانت
وجوه [illegible] الناس تختلف اليه وفاطمة لم تمت بعد فلما ماتت انصرفت وجوه الناس عنه فخرج وبايع ابا بكر وعلى الجملة
فحال الصحابة فى اختلافهم بعد وفاة رسول الله وما جرى فى سقيفة بنى ساعدة وحال على فى طلب هذا الامر ظاهر والعاقل اذا طرح العصبية
والهوى عن نفسه ونظر فيما نقله الناس فى هذا المعنى علم ما جرى بين الصحابة من الاختلاف والاتفاق وهل بايع على طوعا او كرها وهل ترك
المقاومة عجزا او اختيارا ولما لم يكن غرضنا الا تفسير كلامه كان الاشتغال بغير ذلك تطويلا وفضولا خارجا عن المقصود ومن رام ذلك
فعليه بكتب التواريخ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عمرو بن العاص ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا فلا ظفرت يد
المبايع وخزيت امانة المبتاع فخذوا للحرب اهبتها واعدوا لها عدتها فقد شب لظاها وعلا سناها واستشعروا الصبر
فانه ادعى الى النصر اقول خزيت اى ذلت وهانت والاهبة الاستعداد والاعداد واعدوا اى هيئوا وعدة الحرب ما يعد لها من
الالات والسلاح وشب لظاها اى اوقدت نارها واثيرت وروى شب بالبناء للفاعل اى ارتفع لهبها والسنا مقصور
الضوء والشعار ما يلى الجسد من الثياب ويلازمه واعلم ان هذا فصل من اقتصاص كلام ذكر على عليه السلام فيه حال عمرو بن العاص مع
معوية فذكر انه لم يبايعه حتى شرط عليه ان يؤتيه على بيعته ثمنا وذلك انه لما نزل على عليه السلام بالكوفة بعد فراغه من البصرة كتب الى معوية فيه صح
كتابا يدعوه الى البيعة فاهمه ذلك فدعا قوما من اهل الشام الى الطلب بدم عثمان فاجابوه واراد الاستظهار فى امره فاشار
عليه اخوه عتبة بن ابى سفيان بالاستعانة بعمرو بن العاص وكان بالمدينة فاستدعاه فلما قدم عليه وعرف حاجته اليه
تباعد عنه وجعل يمدح عليا فى وجهه ويفضله ليخدعه عما يريد منه فمن ذلك ان معوية قال له يوما يا با عبد الله انى ادعوك
الى جهاد هذا الرجل الذى عصى الله وشق عصا المسلمين وقتل الخليفة واظهر الفتنة وفرق الجماعة وقطع الرحم فقال عمرو
ومن هو قال على فقال والله يا معوية ما انت وعلى حملى بعير ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا علمه والله
ان له مع ذلك لحظا فى الحرب ليس لاحد غيره ولكنى قد تعودت من الله احسانا وبلاء جميلا فما تجعل لى ان تابعتك على
حربه وانت تعلم ما فيه من الغرر والخطر قال له حكمك قال له مصر طعمة فلم يزل معوية يتلكأ عليه ويماطله وهو يمتنع عن
مساعدته حتى رضى معوية ان يعطيه مصر فعاهده على ذلك وبايع عمرو معوية وكتب له بمصر كتابا فذلك معنى قوله عليه السلام
ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا ثم اردف ذلك بالدعاء على البايع ولاينه وهو عمرو بعدم الظفر فى الحرب او بالثمن بقوله
ولا ظفرت يد البايع والحقه بالتوبيخ والذم للمبتاع بذكر هوان امانته عليه وهى بلاد المسلمين واموالهم التى افاها الله عليهم ويحتمل
ان يكون اسناد الخزى الى الامانة اسنادا مجازيا او على سبيل اضمار الفاعل بغيره المبتاع فى امانته بخيانته لها وذهب بعض
الشارحين الى ان المراد بالبايع معوية وبالمبتاع عمرا وهو ضعيف لان الثمن اذا كان مصرا فالمبتاع هو معوية ثم لما ظهرت
دعوة معوية لاهل الشام ومبايعة عمرو له كان ذلك مؤذنا لا بل الحرب فلذلك امر عليه السلام اصحابه بالتاهب لها واعداد عدتها وكنى
عما ذكرناه من امارات وقوعها بقوله فقد شب لظاها وعلا سناها كناية بالمستعار ووجه المشابهة بين لهب النار وسناها
وامارات الحرب كونها علامة على امرين هما مظنة الهلاك ومحل الفتنة ويحتمل ان يكون اطلاق لفظ السنا ترشيحا للاستعارة

ثم اردف

ثم اردف ذلك بالامر بالصبر في الحرب واستشعاره اما ان يراد به اتخاذه شعارا على وجه استعارة من الثوب الملازم للجسد او يراد اتخاذه
علامة لان شعار القوم علامتهم ايضا ويحتمل ان يكون اشتقاقه من الشعور اي ليكن في شعوركم الصبر وان كان الاشتقاقيون يردون
الشعار بالمعنى الثاني الى الشعور قوله فان ذلك ادعى الى النصر بيان لفايدة اتخاذ الصبر شعارا او علامة اما ان كان المقصود
الزموا انفسكم الصبر فظاهر ان لزوم الصبر من اقوى اسباب النصر وان كان المقصود اتخذوه علامة فلان من كان الصبر في الحرب
علامة له يعرف الخصم بها كان الخصم يتصورها منه ادعى الى الانقهار وكان المستشعر لتلك العلامة ادعى الى الغلبة والنصر وان كان
المراد اخطاره بالبال فلانه سبب لزومه ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة
اوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث
بالصغار والقماء وضرب على قلبه بالاسهاب واديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف الا واني قد دعوتكم
الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم
الا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الاوطان هذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار
وقد قتل حسان بن حسان البكري وازال خيلكم عن مسالحها ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المراة المسلمة
والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه الا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا
وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا اريق لهم دم فلو ان امرءا مسلما مات من بعد هذا اسفا ما كان به ملوما بل كان عندي به
جديرا فيا عجبا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا
حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم بالسير اليهم في ايام
الحر قلتم هذه حمارة القيظ امهلنا يسبخ عنا الحر واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر امهلنا
ينسلخ عنا البرد كل هذا فرارا من الحر والقر فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فانتم والله من السيف افر يا اشباه الرجال ولا رجال
حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفة والله جرت ندما واعقبت ذما قاتلكم الله
لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني نغب التهمام انفاسا وافسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى
قالت قريش ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله ابوهم وهل احد منهم اشد لها مراسا واقدم فيها
مقاما مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها انا قد ذرفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع اقول هذه الخطبة
مشهورة ذكرها ابو المبرد وغيره والسبب المشهور لها انه ورد عليه علج من اهل الانبار فاخبره ان سفيان بن عوف الغامدي
قد ورد في خيل لمعوية الى الانبار وقتل عامله حسان بن حسان البكري فصعد عليه السلام المنبر وخطب الناس وقال ان اخاكم
البكري قد اصيب بالانبار وهو معتز لا يخاف ما كان واختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا اليهم حتى تلاقوهم فان اصبتم
منهم طرفا انكلتموهم عن العراق ابدا ما بقوا ثم سكت رجاء ان يجيبوه بشيء فلم ينبس احد منهم بكلمة فلما رأى صمتهم نزل وخرج يمشي
راجلا حتى اتى النخيلة والناس يمشون خلفه حتى احاط به قوم من اشرافهم وقالوا ارجع يا امير المؤمنين ونحن نكفيك فقال
ما تكفونني ولا تكفون انفسكم فلم يزالوا به حتى ردوه الى منزله فبعث سعيد بن قيس الهمداني في ثمانماية الاف في طلب

سفيان بن عوف فخرج حتى انتهى الى ادانى ارض قنسرين وقد فاتوه فرجع وكان علي عليه السلام في ذلك الوقت فلم يقو على القيام في الناس بما
يريده من القول فجلس بباب السدة التي تصل الى المسجد ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر ودعى سعدا مولاه فدفع اليه
كتابا كتب فيه هذه الخطبة وامره ان يقرأها على الناس بحيث يسمع عليه السلام ويسمعون وفي رواية المبرد انه لما انتهى اليه ورود خيل
معوية الانبار وقتل حسان بن حسان خرج مغضبا يجر رداءه حتى اتى النخيلة ومعه الناس فرقى رباوة من الارض فحمد الله
واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال الخطبة ورواية المبرد اليق بصورة الحال واظهر وروي انه قام اليه رجل في آخر
الخطبة ومعه ابن اخ له فقال يا امير المؤمنين اني وابن اخي فقال عليه السلام رب اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرك فوالله لننتهين
اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد فدعا لهما وقال واين انتما مما اريد ولنرجع الى التفسير فنقول الجنة ما الذي صح
استترت به من سلاح او غيره وديث اي ذلل ومنه الديوث الذي لا غيرة له والصغار الذل والضيم والقماء ممدود مصدر قمؤ فهو
قماه فهو قمي الحقارة والذل وروى الراوندي القما بالقصر وهو غير معروف واسهب الرجل بالبناء للمفعول اذا ذهب عقله
من اذى يلحقه واديل الحق من فلان اي غلبه عليه عدوه وسام خسفا بضم الخاء وفتحها اي اولاه ذلا وكلفه المشقة والنصف بكسر النون
وسكون الصاد الاسم من الانصاف وضم النون لغة فيه وعقر الشيء اصله والتواكل ان يكل كل واحد منهم الامر الى صاحبه ويتكل عليه
فيه وشن الغارة واشنها فرقها في كل وجه وغامد قبيلة في اليمن وهي من الازد ازد شنوءة والمسالح جمع مسلحة وهي الحدود
التي يرتب فيها ذوو الاسلحة لمحافظة عادية العدو كالثغر والمعاهدة الذمية والحجل بكسر الحاء وفتحها الخلخال والقلب
السوار المصمت والرعاث ايضا ضرب من الخرز والحلي والاسترجاع قول انا لله وانا اليه راجعون والاسترحام منا الرحم
والوافر التام والكلم الجرح والترح الحزن والغرض الهدف وحمارة القيظ بتشديد الراء شدة حره وسبخ الحر فتر وخف وصبارة
القر بتشديد الراء ايضا شدة البرد وينسلخ ينقضي وربات الحجال النساء والحجال جمع حجلة وهي بيت العروس يزين
بالستور والثياب والسدم الحزن مع الندم والقيح ما يكون في القرحة من المدة والصديد وشحنتم ملأتم والنغب جمع نغبة
بضم النون وهي الجرعة والتهمام بالفتح الهم والمراج العلاج وذرفت بتشديد الراء على الستين اي زدت واعلم ان قوله اما
بعد الى قوله ومنع النصف صدر الخطبة بين فيه غرضا اجماليا وهو الحث على الجهاد فانه لما ذكر فيه امر الجهاد وتعظيمه وخطاء
من قصر عنه علم من ذلك انه يريد ان يحث السامعين على جهاد عدوهم فذكر من مدائح الجهاد امورا احدها انه باب من ابواب
الجنة وبيانه ان الجهاد تارة يراد به جهاد العدو الظاهر كما هو الظاهر ههنا وتارة يعنى به جهاد العدو الخفي وهو النفس
الامارة بالسوء وكلاهما بابان من ابواب الجنة والثاني منهما مراد بواسطة الاول اذ هو لازم له وذلك انك علمت ان لقاء الله سبحانه
ومشاهدة حضرة الربوبية هي ثمرة الجنة وغاية سعي عباد الله الابرار ثم قد ثبت بالضرورة من دين محمد عليه السلام ان الجهاد احد
العبادات الخمس وتبين في مبادي علم السلوك الى الله ان العبادات الشرعية هي المتممة والمعينة على تطويع النفس الامارة
بالسوء للنفس وان التطويع كيف يكون وسيلة الى الجنة التي وعد المتقون فيعلم من هذه المقدمات ان الجهاد الشرعي باب
من ابواب الجنة اذ منه يعبر المجاهد السالك الى الله الى الباب الاعظم للجنة وهو الرياضة وقهر الشيطان ومن وقوفك على هذا السر
تعلم ان الصلوة والصوم وساير العبادات كلها ابواب للجنة اذ كان امتثالها على الوجه المامور بها مستلزما للوصول الى

الجنة

الجنة فان باب كل شيء هو ما يدخل اليه منه ويتوصل به اليه منه ونحوه قول الرسول صلعم في الصلوة انها مفتاح الجنة وفي الصوم ان
للجنة بابا يقال له الريان لا يدخله الا الصايمون الخ ثم اوصاف الجهاد انه باب فتحه الله لخاصة اوليائه والمراد بخواص الاولياء
وذلك ان المرء المسلم اذا فارق اهله وولده وماله واقدم على من يغلب على ظنه انه اقوى منه كما امر المسلمون بان يثبت احدهم
لعشرة من الكفار ثم انه لو قهره لقتله واستباح ذريته وهو في كل تلك الاحوال صابر شاكر معترف بالعبودية لله مسلم امره الى الله
فذلك هو الولي الحق الذي قد اعرض عن غير الله راسا وقد شيطانه قهرا وايسه ان يطيع له امرا فان قلت اذا كان الغرض من العبادات
هو جهاد الشيطان والاخلاص لله وكان تخصيص الجهاد بالوصفين المذكورين لاستلزامه ذلك المعنى لم يبق حينئذ لساير
العبادات مزية عليه فما معنى قول الصحابة لما وقد رجعوا من جهاد المشركين رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قلت يحتمل
معنيين احدهما ان الجهاد الظاهر ليس كل غرضه الذاتي هو جهاد النفس بل ربما كان من اعظم اغراضه الذاتية هو قهر العدو الظاهر
ليستقيم للناس على الدين وينتظم امرهم في سلوكه ولذلك دخل فيه من لا يراد منه الا ذلك كالمؤلفة قلوبهم وان كانوا كفارا وذلك بخلاف ساير
العبادات اذ غرضها ليس الا جهاد النفس ولا شك انه هو الجهاد الاكبر اما اولا فباعتبار مضرة العدوين فان مضرة العدو الظاهر
مضرة دنياوية ومضرة الشيطان مضرة اخروية باقية ومن كانت مضرته اعظم كان جهاده اكبر واهم واما ثانيا فلان الشيطان مجاهد
عدو لازم ومع ذلك فلا يزال يخادع اعزار الاباء عرضه الا بالخروج في ذي الناصحين الاصدقاء ولا شك ان الاحتراز من مثل
هذا العدو اصعب وجهاده اكبر من جهاد عدو مظهر للعداوة ويقاتله الانسان في عمره مرة او مرتين فحسن لذلك تخصيص الجهاد بالاصغر
ومجاهدة النفس بالاكبر المعنى الثاني انا وان قلنا ان الغرض من الجهاد الاصغر هو جهاد النفس الا ان جهادها في حال جهاد العدو الظاهر
قد يكون اسهل وذلك ان القوى البدنية كالغضب والشهوة يثوران عند مناجزة العدو وطلب الدفع وتصيران مطيعتين للنفس الانسانية
فيما تراه وتامر به فلا يكون عليها كثير كلفة في تطويع تلك القوى بخلاف ساير العبادات فان طباع تلك القوى معاكسة فيها لراي النفس
فلذلك كان جهادها في ساير العبادات اصعب واكبر من جهادها في حال الحرب والله اعلم الثالث كونه لباس التقوى ودرع الله
الحصينة وجنته الوثيقة واستعار له لفظ اللباس والدرع والجنة ثم رشح الاستعارتين الاخيرتين بوصفي الحصانة والوثاقة
ووجه المشابهة ان الانسان يتقي به شر العدو او سوء العذاب يوم القيمة كما يتقي بثوبه ما يؤذيه من حر وبرد وبدرعه
وجنته ما يخشاه من عدوه ثم اردف ذلك بما هو مادح الجهاد بتوعد من تركه رغبة عنه من غير عذر يوجب تخلفه بامور منفور
عنها طبعا منها سيتعد بالترك كان يلبسه الله ثوب الذل واستعار لفظ الثوب للذل ولفظ اللباس لشموله له ووجه
المشابهة واحاطة الذل به احاطة الصفة بالموصوف كاحاطة الثوب بلابسه وان يشمله بلاء العدو فيذلله بالصغار
والقماء وان يضرب على قلبه بالاسهاب اي يذهب وجه عقله العملي في تدبير مصالحه اما لحوق الذل به فلان كثرة غارات
العدو وتكررها منه موجب لتوهم قهره وقوته وذلك مما ينفعل عنه النفس بالانقهار والذل وحينئذ تذعن لشمول بلائه
وتذهب وجه عقلها في استخراج وجوه المصالح في دفعه ومقاومته اما لغفلة اهتمامها بذلك عن علم طمعها في مقاومته او لتشويشها
لخوفه عن ملاحظة وجه المصلحة واطلاق لفظ الضرب على قلبه استعارة كقوله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة ووجه الشبه
فيها احاطة قلة العقل به كاحاطة القبة المضروبة بمن فيها او لزوم قلة العقل له كلزوم الطين المضروب على الحائط ويحتمل ان

مجاهدة صح

براد بالاسهاب كثرة الكلام من غير فايدة فان الانسان حال الخوف والذل كثيرا ما يخبط فى القول ويكثره من غير اصابة فيه وكذلك الخوف
باقى الامور منه كادالة الخوف منه وعليه العدو له وعدم انتصافه منه امر ظاهر عن ترك المجاهد جهاد عدوه مع التمكن من ذلك وهى امور منفور
عنها طبعا ومضرة بحال من تلحقه فى الدارين وقد ورد فى التنزيل الالهى من فضل الجهاد والحث عليه امور كثيرة كقوله تعالى لا يستوى القاعدون
من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وقوله فضل الله المجاهدين على القاعدين
اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وقوله وجاهدوا فى الله حق جهاده وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ونحو ذلك
قوله الا وانى قد دعوتكم الى آخره لما ذكر فى صدر الخطبة اردفه بتفصيل غرضه مما اجمله فيه وهو حثهم على الجهاد وتوبيخهم على تركه
اولاصح فنبههم اولا على ما كان دعاهم اليه قبل من قتال معوية واصحابه مرارا كثيرة وذكرهم نصيحته السابقة لهم فى امرهم بغزو عدوهم قبل
ان يغزوهم ويذكرهم بما كان اعلمهم من القاعدة الكلية المعلومة بالتجربة والبرهان وهو انه ما غزى قوم قط فى عقر دارهم الا
ذلوا وقد اشرنا الى علة ذلك وهو ان للاوهام افعالا عجيبة فى الابدان تارة بزيادة القوة وتارة بنقصانها حتى ان
الوهم ربما كان سببا للمرض الصحيح لتوهمه المرض وبالعكس فكان السبب فى ذل من غزى فى داره وان كان معروفا بالشجاعة
هو الاوهام اما اوهامهم فلانها تحكم بانه لم يقدم على غزوهم الا لقوة غازيهم واعتقاده فيهم الضعف بالنسبة اليه فتنفعل
اذن نفوسهم عن تلك الاوهام وتنقهر عن المقاومة وتضعف عن الانبعاث وتزول غيرتها وحميتها فيحصل على طرف الذل رذيلة
الذل واما اوهام غيرهم فلان الغزو الذى يلحقهم يكون باعثا لكثير الاوهام على الحكم لضعفهم ومحركا للطمع كل طامع فيهم فيثبت
ذلك لهم احكاما وهمية يعجزهم عن المقاومة ويضعف عن الانبعاث وتزول غيرتها وحميتها فيحصل على طرف رذيلة الذل واما اوهام
غيرهم فلان الغزو الذى يلحقهم يكون باعثا لكثير الاوهام على الحكم بضعفهم ومحركا للطمع كل طامع فيهم فيثبت ذلك لهم احكاما وهمية
يعجزهم عن المقاومة ثم انه اردف ذلك بما قابلوا به نصيحته من تواكلهم وتخاذلهم عن العمل بمقتضى امره الى غاية ظهور العدو عليهم
وتوزيع الغارات من كل جانب على اوطانهم وحدودهم ثم عقب ذكر العدو المطلق بذكره فى شخص معين مشاهد ونبههم عليه
ليكونوا الى التصديق بظهور العدو عليهم ما احدث من ورود خيله ديارهم وقتله لعامله وازالة خيلهم عن ثغورهم ومسالحهم
وهتك المسلمات والمعاهدات وسلب اموال المسلمين وسائر ما عدده على الوجه المذكور مما هو مستغن عن الايضاح ثم ختم ذلك
الفصل بما الاولى ان يلحق المسلم الحق ذا الغيرة والحمية تدعن الاسف ويلحقه الحزن المميت له بسبب ما يشاهد من الاحوال المنكرة
الواقعة بالمسلمين مع تقصيرهم عن مقاومة عدوهم كل ذلك التقرير ليمهد قانونا يحسن معه توبيخهم وذمهم على التقصير فيما ينبغى
لهم من امتثال امره وقبول مشورته فيما هو الاولى والاصلح لهم ثم اردف ذلك بالتعجب من حالهم تاكيدا لذلك التمهيد فنادى التعجب من
حالهم منكرا للتعجب له كانه غير متعين فى حال ندائه ثم تعين بندائه وحضر فكرره ليصفه بالشدة ونصبه على المصدر كانه لما حضر
وتعين قال عجبت عجبا من شانه كذا ونحو هذا المنادى قوله تعالى يا بشرى فى قراءة من قرى بغير اضافة ويحتمل ان يكون العجب الاول
نصبا على المصدر ايضا والثانى للتاكيد لما ذكرناه ويكون المنادى محذوفا تقديره يا قوم او نحوه واما وصفه له بانه
يميت القلب ويجلب الهم فاعلم ان السبب فى التعجب من الامر هو عدم اطلاع النفس على اسبابه لغموضها مع كونه فى نفسه امرا غريبا
ولذلك وضع اهل اللغة قوله ما افعله صيغة للتعجب كقولك ما احسن زيدا وعلمت ان التقدير فيها السؤال عن اسباب حسنه وكلما

كان

كان الامر اغرب واسبابه اخفى كان اعجب فاذا كان امر اخطر فيها وانبعث النفس في طلب سببه فقد تعجز في تحصيله وتكل
القوة المتخيلة عن تعيينه فيحدث بسبب عدم الاطلاع على سببه هم وغم لانه كالمرض الذي لا يمكن علاجه الا بالوقوف على سببه
فيسمى ذلك الهم موتا للقلب لحيوانه تجوزا بلفظ الموت في الهم والغم تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه او اطلاق الاسم المسبب اذا عرفت
ذلك فنقول ان حاله عليه السلام في تعجبهم عن حقهم مع علمهم بحقيقته وحال اجتماعهم على باطلهم مع اشتراكهم في الشجاعة وكون قومه واثقين
برضا الله لو امتثلوا امره من العجب المميت للقلب الذي لا يهتدي لسببه واما انه يجلب الهم فظاهر اذ كان حاله عليه السلام معهم كحال طبيب
المرضى الزم بعلاجهم مع خطر امراضهم وعدم لزومهم لما يأمرهم به من حمية او شرب دواء وظاهر ان تلك الحال مما يجلب الهم الطبيب ثم
لما اظهر لهم التعجب ووصفه بالشدة اعقبه بذكر الامر المتعجب منه ليكون في نفوسهم اوقع ثم اردف ذلك بالدعاء عليهم بالبعد
عن الخير وبالحزن بسبب تفريطهم واعقبهم بالتوبيخ لهم والتبكيت بما يانف منه اهل المروة والحمية ويوجب لهم الخجل والاستحياء
من حيث انهم بسبب تقصيرهم غرضا للرماة يغار عليهم وكان الاولى ان يغزوا ويغزون وقد كانوا هم اولى بالغزو ويعصى الله مع
رضاهم بذلك ثم حكى صور اعذارهم في التخلف عن امره وهي تارة شدة الحر وتارة شدة القر ونحوها من الاعذار التي يذوق العاقل
منها طعم الكسل والفتور وانه لم يكن له بها مقصود الا المدافعة ثم تسلم تلك الاعذار منهم واستثناها وجعلها مبادي الاحتجاج عليهم
بقوله فانتم والله من السيف افر وذلك اقرار الفادر من الاهون فارا من الاشد بطريق الاولى اذ لا مناسبة لشدة الحر والبرد مع القتل
والمجالدة بالسيف ثم اردف ذلك التبكيت بالذم لهم بثلثة اوصاف احدها انه نفى عنهم صفة الرجولية لاستجماعها ما ينبغي من صفات
الكمال الانساني كالشجاعة والانفة والحمية والغيرة هذه الكمالات فيهم وان كانوا بالصور المحسوسة للرجال الموجبة لتشبههم بهم
وذلك قوله يا اشباه الرجال ولا رجال وثانيها انه وصفهم بحلوم الاطفال وذلك ان ملكة الحلم ليس بحاصل للطفل وان كانت
قوة الحلم حاصلة له لكن قد يقصر يحصل له ما يتصوره الحلم كعدم التسرع الى الغضب عن خيال يرضيه واغلب احواله ان يكون
ذلك في غير موضعه وليس يحصل له ملكة تكسب نفسه طمانينة كما في حق الكاملين فهو اذن نقصان ولما كان تاركوا امره
عليه السلام بالجهاد قد تركوا القتال ومنه حلما عن ادنى خيال كتركهم الحرب بصفين عن خدعة اهل الشام لهم بالمسالمة وطلب المحاكمة
الى كتاب الله ورفع المصاحف فقالوا اخواننا في الدين فلا يجوز لنا قتالهم كان ذلك في غير موضعه حتى كان حزامهم ما كان
فاشبه رضى الصبيان فاطلق اسمه عليه وثالثها الحاق عقولهم بعقول النساء وذلك للمشاركة في النقصان وعدم عقليتهم
لوجوه المصالح المختصة بتدبير المدن والحرب ثم عرفهم محبته لعدم رؤيتهم وعدم معرفتهم لاستلزامها ندمه على الدخول في امرهم
والحزن من تقصيرهم في الذب عن الدين لان المتولي لامر يغلب على ظنه استقامته حتى اذا دخل فيه وطلب انتظامه وجده غير
ممكن له لا بد وان يندم على تضييع الوقت به ويحزن على عدم امكانه له وهذه حاله عليه السلام مع اصحابه ولذلك حزنت الانبياء عليهم السلام
على تقصير اممها حتى عاتبهم الله تعالى على ذلك كقوله لمحمد صلى الله عليه وآله ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون لعلك باخع نفسك
ان لا يكونوا مؤمنين ثم عاد الى الدعاء عليهم والشكاية منهم وذلك قوله قاتلكم الله الى اخره واعظم بما دعا عليهم به فان
المقاتلة لما كانت مستلزمة للعداوة والعداوة مستلزمة لاحكام كاللعن والطرد والبعد والشفقة والخير من جهة
العدو وكان اطلاق المقاتلة والعداوة على الله تعالى بحسب حقيقتهما غير ممكن كان اطلاق لفظ المقاتلة والعداوة مقصودا

بها
به لوازمها كالابعاد عن الرحمة مجازا فال المفسرون معنى قول العرب قاتلكم الله اى لعنكم وقال ابن الانبارى المقاتلة من القتل فاذا اخبر الله
كان معناها اللعنة منه لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك وقوله لقد ملاتم قلبى قيحا اشارة الى بلوغ الغاية فى التالم الحاصل له
من شدة الاهتمام بامرهم مع تقصيرهم وعدم طاعتهم لاوامره فعبر بالقيح عن الم قلبه مجازا من باب اطلاق اسم الغاية على ذى الغاية
اذ كان غاية الم العضو ان يتقيح وكذلك اطلاق لفظ الشحن على فعلهم المولم لقلبه مجاز لان الشحن حقيقة فى نسبة بين جسمين وكذلك
قوله وجرعتمونى نغب التهمام انفاسا اى جلبتم لى الهم وقتا فوقتا مجاز لان التجريع عبارة عن ادخال الماء او نحوه فى الحلق وطريان
الهم من الالام البدنية على بدنه وتكراره ذلك منهم يشبه طريان المشروب وتجريعه وقوله انفاسا مجاز فى الدرجة الثانية فان النفس
حقيقة لغوية فى الهواء الداخل والخارج فى بدن الحيوان من قبل الطبيعة ثم استعمل عرفا لمقدار ما يشرب من الشراب فى مرة ادخال
الهواء بقدر الحاجة اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق ثم استعمله ههنا من كل مقدار من الهم يرد عليه من قبل اصحابه وقتا فوقتا
وهى درجة ثانية من المجاز وقوله وافسدتم راى بالعصيان من تمام شكايته منهم ومعنى افسادهم له خروجه بسبب عدم التفاتهم
اليه عن ان يكون منتفعا به لعجزهم حتى قالت قريش وان كان رجلا شجاعا الا انه غير عالم بالحروب فان للحلو اذا راوا من قوم
سوء التدبير ومقتضى راى فاسد كان الغالب ان ينسبوه الى رئيسهم ومقدمهم ولا يعلمون انه عليه السلام الالمعى الذى يرى الراى كان
قد راى وقد سمع وان التقصير من قومه ثم اردف ذلك بالرد على قريش ونسبتها له الى قلة العلم بالحرب بقوله لله ابوهم الى اخره وهى كلمة
من ممادح العرب ثم سالهم عن وجود من هو اشد للحرب معالجة او اقدم منه فيها مقاما سوالا على سبيل الانكار عليهم وبنه على صدقه
بنهوضه فى الحرب ومعاناته احوالها عامة عمره وهو من قبل بلوغ العشرين الى اخر عمره ثم نبه على ان السبب فى فساد حال اصحابه
ليس ما تخيله قريش فيه من ضعف الراى فى الحرب كما يزعمون بل عدم طاعتهم له فيما يراه ويشير عليهم به وذلك قوله ولكن لا راى لمن لا
يطاع فان الراى الذى لا يقبل بمنزلة الفاسد وان كان صوابا والمثل له عليه السلام ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان
الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع الا وان اليوم المضمار وغدا السباق
والسبقة الجنة والغاية النار افلا تائب من خطيئته قبل يوم منيته الا عامل لنفسه قبل يوم بوسه الا وانكم فى ايام امل من
ورائه اجل فمن عمل فى ايام امله قبل حضور اجله فقد نفعه عمله ولم يضره اجله ومن قصر فى ايام امله قبل حضور اجله
فقد خسر عمله وضره اجله الا فاعملوا فى الرغبة كما تعملون فى الرهبة الا وانى لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها
الا وانه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ومن لم يستقم به الهدى يجر به الضلال الى الردى الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم
على الزاد وان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل تزودوا فى الدنيا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا قال
السيد رحمه الله واقول انه لو كان كلام ياخذ بالاعناق الى الزهد فى الدنيا ويضطر الى عمل الاخرة لكان هذا الكلام وكفى به
قاطعا لعلائق الامال وقادحا زناد الاتعاظ والازدجار ومن اعجبه قوله عليه السلام الا وان اليوم المضمار وغدا السباق
والسبقة الجنة والغاية النار فان فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سرا عجيبا ومعنى لطيفا
وهو قوله عليه السلام والسبقة الجنة والغاية النار فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ولم يقل والسبقة النار كما قال والسبقة
الجنة لان الاستباق انما يكون الى امر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا فى النار نعوذ

باالله

لا يستقيم
الرضى
والازدجار

الهاصح

بالله منها فلم يجز ان يقول والسبقة النار بل قال والغاية النار لان الغاية قد ينتهي اليها من لا يسره الانتهاء اليها ومن يسره ذلك
فصلح ان يعبر بها عن الامرين معا فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل قال الله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ولا يجوز في
هذا الموضع ان يقال فان سبقتكم الى النار فتامل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد وكذلك اكثر كلامه عليه السلام وقد جاء في رواية
اخرى والسبقة الجنة بضم السين فالسبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق اذا سبق من مال او عرض والمعنيان متقاربان لان
ذلك لا يكون جزاء على فعل الامر المذموم وانما يكون جزاء على فعل الامر المحمود اقول هذا الفصل من الخطبة التي في اولها الحمد لله غير
مقنوط من رحمته وسيجي بعد وانما قدمه الرضي عليها لما سبق من اعتذاره في خطبة الكتاب انه لا يراعي التتالي والنسق في كلامه
عليه السلام قوله ادبر وادبر اي ولى دبره اذنت اي اعلمت واشرفت اي اطلعت والمضمار المدة التي يضمر فيها الخيل للمسابقة اي تعلف
حتى تسمن ثم ترد الى القوت والمدة اربعون يوما وقد يطلق على الموضع الذي يضمر فيه ايضا والسباق مصدر مرادف للمسابقة وهو ايضا
جمع سبقة كنطفة ونطاف او سبقة كجلة وجلال او سبق كجمل وجمال والسبقة اسم لما يجعل للسابق من مال او عرض والمنية الموت
عن صح
والبوس شدة الحاجة ويحرزون يتحفظون واعلم ان هذا الفصل يشتمل على احد عشر تنبيها الاول على وجوب النفار عن الدنيا
عدم الركون اليها وذلك بقوله الا وان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع واشار بادبار الدنيا واعلامها بالوداع الى تقضي
الاحوال الحاضرة بالنسبة الى كل شخص شخص من الناس من صحة وشباب وجاه ومال وكل ما يكون سببا لصلاح حال الانسان
وان كل ذلك اجزاء للدنيا لدنوها من الانسان ولما كانت هذه الامور ابدا في التغير والتقضي المقتضي لمفارقة الانسان لها
وبعدها عنه لا جرم حسن اطلاق اسم الادبار على تقضيها وبعدها استعارة تشبيها لها بالحيوان في ادباره فقيل لكل امر يكون
الانسان فيه من خير او شر اذا كان في اوله اقبل واذا كان في اخره وبعد تقضيه ادبر وكذلك اسم الوداع فان التقضي لما استلزم
المفارقة وكانت مفارقة الدنيا مستلزمة لاسف الانسان عليها ووجده بها اشبه ذلك ما يفعله الانسان في حق صديقه المرتحل عنه
في وداعه له من الاسف على فراقه والحزن والبكاء ونحوه فاستعير اسم الوداع وكنى باعلامها عن الشعور الحاصل بمفارقتها من تقضيها
شيئا فشيئا وهو اعلام بلسان الحال الثاني التنبيه على الاقبال على الاخرة والتيقظ للاستعداد لها بقوله الا وان الاخرة قد
اقبلت واشرفت باطلاع ولما كانت الاخرة عبارة عن الدار الجامعة للاحوال التي يكون الناس عليها بعد الموت من سعادة
وشقاوة والم ولذة وكان تقضي العمر مقربا بالوصول الى تلك الدار والحصول فيما يشتمل عليه من خير او شر حسن اطلاق لفظ
الاقبال عليها مجازا ثم نزلها لشرفها على الدنيا في حال اقبالها منزلة عال على سافل فاسند اليها لفظ الاشراف ولاجل احصاء
الاعمال الدنيوية فيها منزلة عالم مطلع فاطلق عليها لفظ الاطلاع ويحتمل ان يكون اسناد الاشراف بكيفية الاطلاع الى رب الاخرة
وانما عبر بالاخرة عنه تعظيما لجلاله كما يكنى عن الرجل الفاضل بمجلسه وحضرته ويكون كيفية الاطلاع هي قرينة ذلك الثالث التنبيه على
وجوب الاستعداد بذكر ما يستعد لاجله وهو السباق وذكر ما يستبق اليه وما هو غاية المقصر المتخلف عن بذاء الله وذلك قوله
الا وان المضمار الى قوله والغاية النار وكنى باليوم عن مدة عمر الانسان الباقية له واخبر بالمضمار عنها واعلم انه قد ورد المضمار والسباق
مرفوعين ومنصوبين فاما رفع المضمار فلانه خبر ان واليوم اسمها وانما اطلق اسم المضمار على تلك المدة لما بينهما من المشابهة فان الانسان
في مدة عمره يستعد بالتقوى ويرتاض بالاعمال الصالحة لتكمل قوته فيكون من السابقين الى لقاء الله والمقربين في حضرته كما يستعد

الزمن بالتضمير ليسبق مثله واما نصبه ففيه شك اذ يحتمل ان يقال ان المضمار زمان واليوم زمان فلو اخبرنا عنه باليوم لكان ذلك اخبارا
بوقوع الزمان في الزمان فيكون الزمان محتاجا الى زمان آخر وذلك محال وجوابه ان لا نسلم ان الاخبار بوقوع الزمان في الزمان
محوج للزمان الى زمان آخر فان بعض اجزاء الزمان قد يخبر عنها بالزمان بمعنى انها اجزاؤه فالجزء في الكل لا بمعنى انها حاصلة
في زمان آخر وان كان انما يحسن الاخبار عنها به اذا قيدت بوصف او اشتملت على احداث تتخصص بها كما يقول ان مصطبح القوم
اليوم فكذلك للمضمار لما كان وقتا مشتملا على التضمير وهو حدث صح الاخبار عنه باليوم واما نصب السباق فلانه اسم ان اي وان
غدا السباق وكنى بغد عما بعد الموت واما رفعه فلا وجه له الا ان يكون مبتدا خبره غدا ويكون واسم ان ضمير الشان وقال
بعض الشارحين يجوز ان يكون خبر ان وهو ظاهر الفساد لان الحكم بشيء على شيء اما بمعنى انه هو هو كما يقال الانسان هو
الضحاك وهو ما يسميه المنطقيون حمل المواطاة او على ان المحكوم عليه ذو المحكوم به كما يقال الجسم ذو بياض وهو ما يسمونه حمل
الاشتقاق ولا واحد من المعنيين بحاصل في الحكم بالسباق على غد فيمتنع ان يكون خبر ان اللهم الا على تقدير المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه اي وان غدا وقت السباق لكن لا يكون السباق هو الخبر في الحقيقة ثم ان قلنا ان السباق مصدر كان التقدير ضمروا انفسكم اليوم
فانكم غدا تستبقون وتحقيق ذلك ان الانسان كلما كان اكمل في قوتيه النظرية والعملية كان وصوله الى حضرة القدس قبل وصول من هو
انقص منه ولما كان مبدا النقصان في هاتين القوتين انما هو محبة ما بعد الواحد الحق واتباع الشهوات والميل الى انواع اللذات الفانية
والاعراض بسبب ذلك عن توجه القبلة الحقيقية ومبدا الكمال فيهما هو الاعراض عما عدا الواحد الحق من الامور المعدودة والاقبال عليه بالكلية
وكان الناس في محبة الدنيا وفي الاعراض عنها والاستكمال بطاعة الله تعالى على مراتب مختلفة ودرجات متفاوتة كان كون اليوم هو المضمار وغدا السباق
متصورا جليا فان كل من كان اكثر استعدادا وقطع لعلائق الدنيا عن قلبه لم يكن له بعد الموت عائق يعوقه عن الوصول الى الله وما اعد له في الجنة
من الثواب الجزيل بل كان خفيف الظهر ناجيا من ثقل الوزر كما اشار اليه الرسول صلعم بقوله نجا المخففون وكما سبق من اشارة علي عم الى ذلك
بقوله تخففوا تلحقوا فيكون بعد الموت سابقا لمن كان اضعف استكمالا منه ممن لسبت عقارب الهيئات البدنية [illegible] والملكات
الردية قلبه والاوزار ظهره واوجب له التخلف عن درجة السابقين الاولين وكذلك يكون سبق هذا بالنسبة الى من هو اقل استعدادا
منه واشد علاقة للدنيا بقلبه فكان معنى المسابقة ظاهرا وان كان استعارة من السباق المتعارف بين العرب واما ان قلنا ان السباق
جمع سبقة اسم لما يستبق اليه ويجعل للسابق فالمعنى ايضا ظاهر فان ما يستبق اليه انما يحصل الوصول اليه بعد المفارقة ويكون الاستباق
اما قبل المفارقة وهو السعي في درجات الرياضات كما اشار اليه سبحانه بقوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض
اعدت للذين امنوا وقوله فاستبقوا الخيرات او بعد المفارقة كما اشرنا اليه ويكون قوله بعد ذلك والسبقة الجنة تعيينا للمستبق
اليه بعد التنبيه عليه اجمالا واما قوله والغاية النار فالذي ذكره الرضي رضي الله عنه في تخصيص الجنة بالسبقة والنار بالغاية حسن وكاف
في بيان مراده عليه السلام الا انه يبقى ههنا بحث وهو ان هذه الغاية من اي الغايات هي وهل هي غاية حقيقية او لازمة للغاية فنقول
ان ما ينتهي اليه قد يكون بسوق طبيعي وقد يكون بسوق ارادي وكل واحد منهما قد يكون ذاتيا وقد يكون عرضيا فالسوق الذاتي غاية اما صح
منهما يقال له طبيعية كاستقرار الحجر في حيزه عن حركته بسوق طبيعته له وما اراد به كغايات الانسان من حركاته المنتهي اليه
بالسوق العرضي فهو من لوازم احدى الغايتين وقد يسمى غاية عرضية فاللازم عن الطبيعة كمنع الحجر غيره ان يحل بحيث هو فان

ذلك من

ذلك من لوازم استقراره فى حيزه وعن الارادية كاستضاءة الجار بسراج جاره فان ذلك من لواحق استضائته وهلاك الطاير فى
حبائل الصياد عن الميل الى التقاط حبة اذا عرفت ذلك فنقول ان كون النار غاية بهذا المعنى الرابع وبيان ان محبة الدنيا والميل اليها
والانهماك فى مشتهياتها سواء كان معها مسكة للانسان بالله تعالى او لم يكن فان من لوازمها الانتهاء الى النار الا ان يشاء الله كما قال تعالى
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب وكان المقصود الاول للانسان هو نيل اللذات الحاضرة لكن لما كان من
لوازم الوصول ان تلك اللذات والاقبال عليها دخول النار والانتهاء اليها كانت غاية عرضية الرابع التنبيه على التوبة قبل الموت وهو قوله الا صح
تائب من خطيئته قبل منيته ولا شك انها يجب ان تكون متقدمة على الاعمال لانك علمت ان التوبة انزجار النفس العاقلة عن متابعة النفس الامارة
بالسوء الجاذب الالهى اطلعت معه على قبح ما كانت عليه من اتباع شياطينها وهو من مقام الزهد والتخلى وقد علمت فى بيان كيفية السلوك الى الله تعالى ان فوام
التحلية مقوم على مقام التخلية فلذلك كان الامر بها مقدما على الامر باسباب الطاعات الخامس التنبيه على العمل للنفس قبل يوم البؤس والاشارة الى ما بعد
الموت والعذاب اللازم للنقصان اللازم عن التقصير فى العمل اذ الواصل الى يوم بؤسه على غير عمل اسير فى يد شياطينه وقد علمت ان غاية الاسير الهالك
فى يد الشيطان دخول النار والحجب عن لقاء رب العالمين ولما كان العمل هو المعين على قهر الشيطان والمخلص من اسره نبه عليه ثم اردفه بالتنبيه على
وجود الزمان الذى يمكنهم فيه العمل وهو ايام امالهم للعمل وغيره وعلى ان ذلك الزمان منقطع بلحوق الاجل ثم اردفه ببيان فايدة العمل
فى ذلك الزمان وهى المنفعة بالثواب فى الآخرة وما يلزمها من عدم مضرة الاجل وبيان ثمرة التقصير فى العمل فيه وهى خسران العمل المستلزم لمضرة
الاجل واحسن باستعارته على لفظ الخسران لفوات العمل فان الخسران فى [illegible] البيع لما كان هو النقصان فى راس المال او ذهاب جملته وكان
العمل هو راس مال العامل الذى به يكتسب الكمال والسعادة الاخروية لا جرم حسنت استعارة لفظ الخسران لعدم العمل واما استلزام المنفعة
لعدم مضرة الموت واستلزام الخسران لمضرته فهو امر ظاهر اذ كان الكامل فى قوته المعرض عن متاع الدنيا غير ملتفت اليها بعد المفارقة
فلم يحصل له بسببها تعذيب فكانت المضرة منفية عنه وكان المقصر عن الاستكمال فيهما من ضرورة طباعه الميل الى اللذات الحسية فاذا قصر عن
العمل والتعلق بطاعة الله الجاذبة اليه فلا بد وان يستضر بحضور الاجل اذ كان الاجل قاطعا لزمان الاستكمال وحائلا بين الانسان
وبين ما هو معشوق له من حاضر اللذات السادس التنبيه على وجوه التسوية للعامل بين العمل فى الرغبة والعمل فى الرهبة وفيه شمة التوبيخ
للعبد على غفلته عن ذكر الله واعراضه عن عبادته فى حال صفات اللذات الحاضرة له ولجائه اليه وفزعه عند نازلة ان نزلت به فان ذلك ليس
من شان العبودية الصادقة لله والى مثل هذا التوبيخ اشار التنزيل الالهى بقوله واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى
البر اعرضتم وكان الانسان كفورا او غيره من الآيات بل من شان العابد لله المخلص له ان يساوى عبادته فى ازمان شدته ورخائه فيقابل الشدة
بالصبر والرخاء بالشكر وان يعبده لا لرغبة ولا لرهبة وان عبده فيهما السابع قوله الا وانى لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها واعلم
ان الضمير فى قوله طالبها وهاربها يعودان الى المفعول الاول لرايت المحذوف المشبه فى الموضعين والتقدير لم ار نعمة كالجنة نام طالبها ولا نقمة
كالنار ونام فى محل النصب مفعولا ثانيا ومعنى هذا الكلام انه نفى علمه بما يشبه الجنة وما يشبه النار ولم ينف علمه بذات الشبيه بل علمه
به من جهة الشبه وهى نوم الطالب والهارب ولذلك استدعت ارى بمعنى اعلم هنا مفعولين اى لم ار نعمة كالجنة تصفه نوم الطالب
لها فنبه على وجه الشبه بقوله نام طالبها ثم نفى الشبه عن تلك الجهة وكذلك قوله ولا كالنار تصفه نوم هاربها والمفعول الثانى فى الجملتين
صفة جارية على غير من هى له وهى تنبيه للمؤمنين بالجنة والنار على كونهم نائمين فى مراقد الطبيعة لينتبهوا منها ويستعدوا للاستعداد

بالعمل التام لما وراءهم من مرغوب ومرهوب وفيه تشبيه المتعجب من جمع الموقن بالجنة والنار بين علمه بما في الجنة من تمام النعم وتقصيره عن
طلبها بما يؤدي اليها من الاعمال الصالحة وجمع الموقن بالنار بين علمه بما فيها من عظيم الاهوال العذاب وبين تقصيره وغفلته عن الهرب
الى ما يخلص منها في ذلك الثامن قوله الا انه من لم ينفعه الحق يضره الباطل فالضمير في انه ضمير الشان واراد بالحق الاقبال على الله بلزوم
الاعمال الصالحة المطابقة للعقايد المطابقة وبالباطل الالتفات عنه الى غير ذلك مما لا يجدي نفعا في الآخرة وهو تنبيه على استلزام
عدم منفعة الحق لمضرة الباطل في صورة شرطية متصلة وبيان الملازمة فيها ظاهر فان وجود الحق مستلزم لمنفعته فعدم منفعته
اذن مستلزم لعدمه وعدمه مستلزم لوجود الباطل لان اعتقاد المكلف وعمله الا ان يطابقا اوامر الله تعالى او ليس والاول هو
الحق والثاني هو الباطل وظاهر ان عدم الاول مستلزم لوجود الثاني ثم ان وجود الباطل مستلزم لمضرته فيظهر بهذا البيان ان عدم منفعة
الحق مستلزمة لوجود مضرة الباطل واذا ثبت ذلك فنقول مراده عليه السلام المشورة بلزوم الحق المستلزم لمنفعته ولنفي الباطل المستلزم لعدم
مضرته فان لزوم الطاعة لله بامتثال اوامره والاقبال عليه مستلزم للوصول الى جواره المقدس والالتفات الى ما عداه المعبر عنه بالباطل
مستلزم للنقصان الموجب للتخلف عن السابقين والهوي في درك الهالكين وذلك المضرة وظهر اذن سر قوله عليه السلام انه من لم ينفعه الحق
يضره الباطل ومن غفلة بعض من يدعي العلم عن بيان هذه الملازمة ذهب الى ان الوعيدات الواردة في الكتب الالهية انما جاءت للتخويف
دون ان يكون هناك شقاوة للعصاة محتجا على ذلك بتمثيلات خطابية غير مشهورات في بادي الراي اذا تعقبها النظر زالت شهرتها
التاسع ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال الى الردى اراد بالهدى نور العلم والايمان وبالضلال الجهل والخروج عن اوامر الله والمعنى ان
من لم يكن الهدى دليله القايد له بزمام عقله في سبيل الله ويستقيم به في سلوك صراطه المستقيم فلا بد وان ينحرف به الضلال عن سواء
الصراط الى احد جانبي التفريط والافراط وملازمة هذه الشرطية ايضا ظاهرة لان وجود الهدى لما استلزم وجود استقامته
بالانسان على سواء السبيل كان عدم استقامة الهدى به مستلزما لعدم الهدى المستلزم لوجود الضلال المستلزم للجور بالانسان الى مهاوي
الردى والعدول به عن الصراط المستقيم الى سواء الجحيم العاشر قوله الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد وهو تنبيه على ملاحظة
الاوامر الواردة بالظعن كقوله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين وكقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وعلى الامر باتخاذ الزاد كقوله
تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واحسن باستعارة الظعن للسفر الى الله واستعارة الزاد لما يقرب اليه ووجه الاستعارة
الاولى ان الظعن لما كان عبارة عن قطع المراحل المحسوسة بالرحل والحمل ونحوه وكذلك السفر الى الله عبارة عن قطع المراحل المعقولة
بقدم العقل ووجه الثانية ان الزاد لما كان انما يعد ليتقوى به الطبيعة على الحركة وكانت الامور المقربة الى الله تعالى مما تتقوى به النفس
على الوصول الى جنابه المقدس كان ذلك من تمام المشابهة التي يقرب معها اتحاد المتشابهين وبحسب قوة المشابهة يكون حسن الاستعارة
الحادي عشر التنبيه على اخوف الامور التي ينبغي ان تخاف ليجتنب وهو الجمع بين اتباع الهوى وطول الامل وسيذكر عليه السلام هذا الكلام
في موضع آخر مع ذكر علة التحذير من هذين الامرين وسنوضح معناه هناك ويكفي هاهنا ان يقال انما حذر منهما عقيب التنبيه على الظعن
وعدم اتخاذ الزاد لخوف منهما ان يجتنبا فيحصل مع اجتنابهما الاقبال على اتخاذ الزاد والاهبة للظعن ولذلك اردف التخويف
منهما بالامر باتخاذ الزاد في قوله من الدنيا في الدنيا لطف فان الزاد الموصل الى الله تعالى اما علم او عمل وكلاهما يحصلان من الدنيا
في الدنيا اما العمل فلا شك انه عبارة عن حركات وسكنات يستلزم هيئات مخصوصة انما يحصل بواسطة هذا البدن وكل ذلك

من الدنيا

للمشاركات

من الدنيا في الدنيا واما العلم فلان الاستكمال به انما يحصل بواسطة هذا البدن ايضا اما بواسطة الحواس الظاهرة والباطنة وتفطن النفس
بين المحسوسات ومباينات بينها وظاهر ان ذكر من الدنيا في الدنيا واشار بقوله ما تحرزون به انفسكم غدا الى كل زاد اعد به الانسان نفسه
للوصول الى جوار الله فقد تدرع به من عذابه وحفظ به نفسه يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد اشتمل هذا الفصل على استدراجات لطيفة لانفعالات
عن اوامر الله وزواجره واذا تاملت اسلوب كلامه عليه السلام وراعيت ما فيه من فخامة الالفاظ وجزالة المعاني المطابقة للبراهين العقلية وحسن
الاستعارات والتشبيهات ومواقعها وصحة ترتيب اجزائه ووضع كل منها مع ما يناسبه وجدته لا يصدر الا عن علم لدني وفيض رباني واعلمك
حينئذ الفرق بين كلامه عليه السلام وكلام غيره والتمييز بينهما بسهو وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة
اهواؤهم كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء تقولون في مجالسكم كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم حيدي حياد ما عزت
دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم اعاليل باضاليل وسالتموني التطويل دفاع ذي الدين المطول لا يمنع الضيم الذليل
ولا يدرك الحق الا بالجد اي دار بعد داركم تمنعون ومع اي امام بعدي تقاتلون المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب
ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم ولا اوعد العدو بكم ما بالكم ما دواؤكم ما طبكم الطمع
القوم رجال امثالكم اقولا بغير علم وغفلة من غير ورع وطمعا في غير حق اقول روي ان السبب في هذه الخطبة هو غارة الضحاك بن قيس
بعد قصة الحكمين وعزمه على المسير الى الشام وذلك ان معوية لما سمع باختلاف الناس على علي عليه السلام وتفرقهم عنه وقتله من قتل من الخوارج
بعث الضحاك بن قيس في نحو من اربعة الاف فارس واوعز اليه بالنهب والغارة فاقبل الضحاك يقتل وينهب حتى مر بالثعلبية فاغار على الحاج
فاخذ امتعتهم وقتل عمرو بن عميس بن مسعود بن اخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله وقتل معه ناسا من اصحابه فلما بلغ عليا عليه السلام
ذلك استصرخ اصحابه على اطراف اعماله واستشارهم الى لقاء العدو فتلكأوا وراى منهم تخاذلا وفشلا فخطبهم هذه الخطبة ولنرجع
الى المتن فالاهواء الاراء والوهي الضعف وكيت وكيت كناية عن الحديث وحاد عن الامر عدل عنه قال الجوهري قولهم حيدي حياد
كقولهم فيحي فياح ونقل ان فياح اسم للغارة كقطام وحياد ايضا اسم لها والمعنى اعدلي عنا ايتها الحرب ويحتمل ان يكون حياد من
اسماء الافعال كنزال فيكون قد امر بالتنحي مرتين بلفظين مختلفين والاعاليل والاضاليل جمع اعلال واضلال وهما جمع علة اسم
لما يتعلل به من مرض وغيره وضلة اسم من الضلال ومعنى الباطل والمطول كثير المطال وهو تطويل الوعد وتسويفه والجد
الاجتهاد والاخيب الاشد خيبة وهي الحرمان والافوق السهم المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه والناصل الذي لا نصل فيه
والمقصود انه عليه السلام نبههم على ما يستقبح في الدين ومراعاة حسن السيرة من احوالهم واقوالهم وافعالهم اما احوالهم فاجتماع
ابدانهم مع تخلف ارائهم الموجب لتخاذلهم عن الذب عن الدين والمرء لشمل مصالحهم واما اقوالهم فكلامهم الذي يكاد يضعف
عند سماعه القلوب الصلبة الثابتة ويظن سامعه ان تحته نجدة وثباتا وهو قولهم مثلا في مجالسهم انه لا يحل الخصم منا وانا سنفعل
بهم كذا وكذا وسيكون منا كذا وكذا وامثاله واستعار لفظي الصم الصلاب من اوصاف الحجارة للقلوب التي تضعف من سماع كلامهم
كما شبه القران بها فهي كالحجارة او اشد قسوة واما افعالهم فهو تعقبه هذه الاقوال عند حضور القتال ودعوتهم الى الحرب
بالتخاذل وعدم التناصر والتقاعد عن اجابة داعي الله وكراهيتهم للحرب والفرار عن مقابلة العدو وكنى بقوله قلتم حيدي حياد
عن ذلك وهي كلمة كانت تستعملها العرب عند الفرار ثم اردف ذلك بما العادة ان يلزم منه من تطلب الانتظار به على وجه التضجر منهم عن كثرة

تقاعدهم عن نصرته وذلك قوله ما عزت دعوة من دعاكم المستلزم للحكم بذلة داعيهم ولا استراح قلب من قاساكم للحكم بتعبه وقوله اعاليل باضاليل خبر مبتدا
محذوف اي واذا دعوتكم الى القتال تعللتم وهي اعاليل باطلة ضلالا عن سبيل الله وسالتموني التاخير وتطويل المدة دفاع وقوله دفاع ذي الدين المطول
له فاتهم فيكون مرفوعا ووجه الاستعارة ان المدين المطول لا يزال مشتهيا لعدم المطالبة ويود بنفسه ان لا يراه غريمه فكذلكم علم منهم انهم كانوا يحبون ان
لا يعرض لهم بذكر القتال ولا يطالبهم به فاستعار لدفاعهم الدفاع المذكور لمكان المشابهة ثم نبههم على قبح الذل ليبعثوا الى فضيلة الشجاعة بذكر بعض
لوازم المنفردة وهو ان صاحبه لا يتمكن من دفع الضيم عن نفسه وعلى قبح التواني والتخاذل بانه لا يدرك الانسان حقه الا بالجد وذلك دعوى الجد والتشمير
في طلب الحق ثم اعقب ذلك بالسؤال على جهة الانكار والتقريع عن تعيين الدار التي ينبغي لهم حمايتها بعد دار الاسلام التي لا نسبة لغيرها اليها في العز والكرامة
عند الله ووجوب الدفع عنها والتي هي موطنهم ومحل دولتهم وكذلك قوله ومع اي امام بعدي تقاتلون وفيه تنبيه على افضليته وما وثقوا به من اخلاص
نفسه لله في جميع حركاته وتثبيت على طاعته اذ كان عليه السلام يتوهم في بعضهم الميل الى معاوية والرغبة فيما عنده من الدنيا ثم اردف بذلك بذم من اغتر
بكلامهم ونسبته الى الغرور والغفلة ثم بالاخبار عن سوء حال من كانوا حربه ومن يقاتل بهم اما الاول فهو قوله المغرور والله من غررتموه والمقصود
بالحقيقة ذمهم وتوبيخهم على خلف المواعيد والمماطلة بالنفار الى الحرب لانه انما ينسب من وثق بهم الى الغرور بعد خلفهم في وعدهم له بالنهوض معه
وجعل المغرور مبتدا ومن خبره ابلغ في اثبات الغرة لمن اغتر بهم من العكس لاقتضاء الكلام اذن انحصار المغرور في من اغتر بهم ولا كذلك لو
كان من مبتدا واما الثاني فهو قوله ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل وقد شبه نفسه وخصومه كاللاعبين
بالميسر ولاحظ شبه حصولهم في حصته بخروج احد السهام الخائبة التي لا غنم لها كالاوغاد والتي فيها غرم كالتي لم يخرج حتى استوفيت اجزاء الجزور وحصل
لصاحبها غرم وخيبة فلاجل ملاحظة هذا الشبه استعار لهم لفظ السهم بصفة الاخيب واطلاق الفوز هنا مجاز في حصولهم له من باب
اطلاق اسم احد الضدين على الاخر كتسمية السيئة جزاء وكذلك لاحظ المشابهة بين رجال الحرب وبين السهام في كون كل منها عدة للحرب
ودفع العدو ولاحظها ايضا بين ارسالهم في الحرب وبين الرمي بالسهام فلاجل ذلك استعار اوصاف السهم من الافوق والناصل واستعار لفظ
الرمي لمقاتلته بهم ثم خصصهم بارذل اوصاف السهم التي تبطل معها فايدته لمشابهتهم ذلك السهم في عدم الانتفاع بهم في الحرب وكانه ايضا خصص
بعثه لهم على الحرب باستعارة الرمي بالسهم الموصوف لزيادة الشبه وهي عدم انبعاثهم في امره وتجاوزهم اوطانهم كالرمي بالسهم الذي لا
فوق ولا نصل فانه لا يكاد يتجاوز عن القوس مسافة وهي من لطايف ملاحظات المشابهة والاستعارة عنها والمعنى ان من حصلتم
في حزبه فالخيبة حاصلة له فيما يطلب بكم ومن قاتل بكم عدوه فلا يقع له فيكم ثم اردفه بالاخبار عن نفسه بامور نشات عن اساءة ظنه
بهم وعدم وثوقه باقوالهم لكثرة خلفهم ومواعيدهم الباطلة بالنهوض معه وهي انه لا يصدقهم لانه من اكثر من شيء عرف به ومن امثالهم ان الكذوب
لا يصدق وانه لا يطمع في نصرهم وانه لا يوعد بهم عدوهم اذ كان وعيده بهم مع طول تخلفهم وشعور العدو بذلك مما يوجب
جراته وتسلطه واهانته في المقاومة ثم اردفه بالاستفهام على سبيل الاستنكار والتقريع عن حالهم التي توجب لهم التخاذل والتصام
عن ندائه وهو قوله ما بالكم ثم عن دوائهم الصالح للمرض الذي هم فيه ثم عن كيفية علاجهم منه بقوله ما دواؤكم ما طبكم وقيل اراد بقوله
ما طبكم اي ما عادتكم والاول اظهر والقوي ثم نبههم على ما عساهم يتوهمونه من قوة خصومهم وباسهم بانهم رجال امثالكم في الرجولية
التي هي مظنة الشجاعة والباس فلا مزية لهم عليكم فلا معنى للخوف منهم ثم عاد الى سؤالهم على جهة التقريع وبنبههم به على امور لا ينبغي
منفور عنها مستقبحة في الشريعة والعادة فاولا عن قولهم ما لا يفعلون وهو اشارة الى ما يعدونه به من النهوض في الحرب ولا يفعلون

وذلك

وذلك بقوله اولا بغير عمل تذكيرا لهم بما يستلزم ذكره من المقت عند الله كما اشير في القرآن الكريم لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون وعلى الرواية الثانية وهي اقولا بغير علم اي يقولون بالسنتكم ما ليس في قلوبكم ولا تعتقدونه وتحرمون به من انا سنفعل كذا
وكذا ويحتمل ان يكون معناه انقولون انا مخلصون لله وانا مسلمون ولا تعلمون شرايط الاسلام والايمان وثانيا عن غفلتهم التي ليست عن
ورع وهي عدم تعقلهم للمصالح التي ينبغي ان يكونوا عليها وهي طرف التفريط من فضيلة الفطانة وهذه بخلاف الغفلة مع الورع فان
تلك نافعة في المعاد اذ كان الورع عبارة عن لزوم الاعمال الجميلة المسعدة في الآخرة فالغفلة معه عن الامور الدنيوية والمصالح المتعلقة
بجزئياتها ليست بضارة بل ربما كانت سببا للخلاص من العذاب في الآخرة وثالثا عن طمعهم في غير حق اي في غير منحهم ما لا يستحقونه
لينهضوا معه ويجيبوا دعوته وكانه عليه السلام علق في بعضهم ان احد اسباب تخلفهم عن نداءه انما هو في طمعهم في ان يوفر عطياتهم
او يمنحهم زيادة على ما يستحقونه كما فعل غيره مع غيرهم فاشار الى ذلك ونبههم على قبحه من حيث انه طمع في غير حق والله اعلم ومن كلام له
عليه السلام في معنى قتل عثمن لو امرت به لكنت قاتلا او نهيت عنه لكنت ناصرا غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول خذله من انا خير
منه ومن خذله لا يستطيع ان يقول نصره من هو خير مني وانا جامع لكم امره استاثر فاساء الاثرة وجزعتم فاسأتم الجزع
ولله حكم واقع في المستاثر والجازع اقول المستاثر بالشيء المستبد به ومقتضى هذا الفصل تبرئة عليه السلام من الدخول في دم عثمن بامر
او نهي كما نسبه اليه معوية وغيره فقوله لو امرت به لكنت قاتلا قضية شرطية بين فيها لزوم كونه قاتلا لكونه امرا وهذا اللزوم
عرفي اذ يقال في العرف للآمر بالقتل قاتل والآمر شريك الفاعل وان كان الفاعل في اللغة هو المباشر للفعل والذي صدر عنه وكذلك بين
في قوله لو نهيت عنه لكنت ناصرا لزوم كونه ناصرا لكونه ناهيا وهو ظاهر وقد عرفت ان استثناء نقيض اللازم يستلزم نقيض
الملزوم واللازمان في هاتين القضيتين هما القتل والنصرة ومعلوم ان القتل لم يوجد منه عليه السلام بالاتفاق فان غاية ما يقول
الخصم ان قعوده عن نصرته دليل على ارادته لقتله وذلك باطل لان القعود عن النصرة يكون لاسباب اخر كما سنبينه ثم لو سلمنا
ان القعود عن النصرة دليل ارادة القتل لكن ارادة القتل ليس بقتل فان كل احد يحب قتل خصمه لكن لا يكون بذلك قاتلا وكذلك
ظاهر كلامه يقتضي ان النصرة لم توجد منه واذا انتفى اللازمان استلزما نفي امره بقتله ونهيه عنه ويحتمل ان يريد في القضية
الثانية استثناء عين مقدمها لينتج عين تاليها اي لكني نهيت عنه فكنت ناصرا لا يقال لا يخلو اما ان يكون مرتكب المنكر هو
عثمن او قاتليه وعلى التقديرين فيجب على علي عليه السلام القيام والانكار اما على عثمن بالمساعدة عليه ان كان هو مرتكب المنكر او على
قاتليه بالانكار عليهم ونصرته فقعوده عن احد الامرين يستلزم الخطاء لكنه لم يخطئ فلم يكن تاركا لاحد الامرين فلا يثبت
التبري والجواب البري من العصبية في هذا الموضع ان عثمن احدث امورا نقمها جمهور الصحابة عليه وقاتلوه احدثوه حدثا
يجب انكاره اما احداث عثمن فلم يبلغ في نظر علي عليه السلام الى حد يستحق بها القتل وانما استحق في نظره ان ينبه عليها فلا شك ورد
في النقل انه انكرها عليه وحذر من الناس غير مرة كما سيجيء في كلامه عليه السلام فان صح ذلك النقل ثبت انه انكر عليه
ما احدثه لكنه لا يكون بذلك داخلا في دمه لاحتمال انه لما حذره الناس ولم ينته اعتزله وان لم يثبت ذلك النقل فالانكار
ليس من فروض الاعيان بل من فروض الكفايات اذا قام به البعض سقط عن الباقين وقد ثبت ان جمهور الصحابة انكروا
تلك الاحداث من عثمن فلا تتعين وجوب الانكار على علي واما احداث قاتليه فهو قتله فان ثبت انه عليه السلام ما انكر عليهم قلنا ان من

جملة شروط انكار المنكرات ان تعلم المنكر او يغلب على ظنه قبول قوله او يمكنه من الدفع بيده فلعله عليه السلام علم من حالهم انه لا يفيد انكاره معهم
وظاهر ان الامر كان كذلك اما عدم فائدة انكاره بالقول معهم فلانه نقل عنه عليه السلام انه كان يعد الناس باصلاح الحال بينهم وبين عثمن
وازالة ما نقموه عليه وتكرر منه وعده لهم بذلك ولم يتمكن منه وظاهر انهم بعد تلك المواعيد لا يلتفتون الى قوله واما انكاره بيده
فمعلوم بالضرورة ان الانسان الواحد والعشرة لا يمكنهم دفع الجمع العظيم من عوام العرب ورعاعهم خصوصا عن طباع ثارت
وبالغت وجمعها اشد جامع وهو ما نسبوه اليه من تفرقة مال المسلمين الذي هو قوام حياتهم سواء كان ما نسبوه اليه حقا او باطلا
ثم من المحتمل ان يكون قد غلب على ظنه انه لو قام في نصرته لقتل معه ولا يجوز للانسان ان يعرض نفسه للاذى والقتل في دفع بعض المنكرات
الجزئية واما ان ثبت انه انكر عليهم كما نقل حملنا ذلك النهي على نهيه لهم حال اجتماعهم لقتله قبل حال قتله وكان قوله ولو نهيت عنه لكنت
ناصرا دالا على عدم المنع من قتله حال قتله لعدم تمكنه من ذلك وعدم افادة قوله قال بعض الشارحين هذا الكلام بظاهره يقتضي
انه ما امر بقتله ولا نهى عنه فيكون دمه عنده في حكم الامور المباحة التي لا يومر بها ولا ينهى عنها قلت هذا سهو لان التبري من الامر
بالشيء والنهي عنه غاية ما يفهم منه عدم الدخول فيه والسكوت عنه ولا يلزم من ذلك الحكم بانه من الامور المباحة لاحتمال ان اعتزاله
هذا الامر كان لاحد ما ذكرناه وبالجملة فان اهل التحقيق متفقون على ان السكوت عن الامر لا يدل على حال الساكت
بمجرده وان دل بقرينة اخرى ومما يدل على انه كان متبريا من الدخول في دم عثمن بامر ونهي ما نقل عنه لما سئل اساءك
قتل عثمن ام سرك فقال ما ساءني ولا سرني وقيل له ارضيت بقتله فقال لم ارض فقيل اسخطت قتله فقال لم اسخط وهذا كله كلام حق
يستلزم عدم التعرض بامره فان من اعرض عن شيء ولم يدخل فيه يصدق ان يقول اني لم اسخط به ولم ارض ولم اساءه ولم اسر فان السخط عن نفسه صح
والرضا والاساءة والسرور حالات تتوارد على النفس باسباب تتعلق بها فخالع تلك الاسباب في امر من الامور كيف يعرض له احد هذه
الحالات فيه فان قلت ان كان قتل عثمن منكرا كان مستلزما لسخطه عليه السلام ومساءته منه وقد نقل عنه انه لم يسخط له وذلك يقتضي
احد امرين احدهما انه عليه السلام لا يسخط للمنكر وهو باطل للاتفاق الثاني ان قتل عثمن لم يكن عنده منكرا والتقدير انه منكر قلت ان
قتل عثمن يستلزم سخطه لكن لا من حيث انه قتل عثمن بل من جهة كونه منكرا والمنقول انه لم يسخط لقتل عثمن ولا ساءه ذلك اي من جهة
كونه قتل عثمن وذلك لا ينافي ان يسوءه ويسخطه من جهة كونه منكرا وفي الجواب غموض فليفطن له ولاجل اشتباه هذه الحال خبط
الجهال وفيها يقول شاعر اهل الشام ؎ وما في علي لمستعتب ؎ مقال سوى ضمه المحدثينا ؎ وايثاره اليوم اهل الذنوب ؎
ورفع القصاص عن القاتلينا ؎ اذا سئل عنه حدا شبهة ؎ وعمى الجواب على السائلينا ؎ فليس براض ولا ساخط ؎
ولا في النهاة ولا الامرينا ؎ ولا هو ساءه ولا سره ؎ ولا بد من بعض ذا ان يكونا ؎ فاما تفصيل الاعتراضات والاجوبة
في معنى قتل عثمن وما نسب الى علي من ذلك فمبسوط في كتب المتكلمين كالقاضي عبد الجبار وابي الحسين البصري والسيد المرتضى شيء من صح
وغيرهم ولا نطول بذكرها وربما اشرنا الى ذلك فيما بعد وقوله غير ان من نصره لا يستطيع الى قوله خير مني فاعلم ان هذا الفصل
ذكره عليه السلام جوابا لبعض من انكر بحضرته قعود من قعد عن نصرة عثمن وجعلهم منشاء الفتنة وقال انهم لو نصروه وهم
اكابر الصحابة لما اجترى عليه طغام الامة وجهالها وان كانوا راوا ان قتله وقتاله هو الحق فقد كان يتعين عليهم ان يعرفوا
الناس ذلك حتى ترتفع عنهم الشبهة ففهم عليه السلام ان القائل يعنيه بذلك فاجاب بهذا الكلام تلويحا لا تصريحا اذ كان في محل يلزمه

التوقي

المتوفى فقرر اولا انه ما امر في ذلك الامر ولا نهى ثم عاد الى الاستثناء فقرر في هاتين القضيتين ان الذين خذلوه كانوا افضل من الناصرين ١
له اذ لا يستطيع ناصروه كمروان واشباهه ان يفضلوا على خاذليه كعلي بزعم المنكر وكطلحة وساير اكابر الصحابة اذ العقل والعرف
يشهد بافضليتهم وكذلك لا يستطيع الخاذلون ان يفضلوا الناصرين على انفسهم اللهم الا على سبيل التواضع وليس الكلام فيه فكانه عليه السلام
سلم تسليم جدل انه دخل في عثمن وكان من الخاذلين له ثم اخذ في الرد على المنكر بوجه اخر فقال غير انى لو سلمت انى ممن خذله لكن [illegible]
الخاذلون افضل من الناصرين واثبت هذه المقدمة بما بين القضيتين وحذف الثانية للعلم بها وتقديرها والافضل يجب على من
عداه اتباعه والاقتداء به فينتج هذا القياس انه كان يتعين على من نصره ان يتبع من خذله وهذا عكس اعتقاد المنكر وقال بعض
النقاد ان هذه كلمة قرشية واراد بذلك انه عم على الناس في كلامه قال ولم يرد التبرؤ من امره وانما اراد ان الخاذلين لم تلحقهم
المفضولية بكونهم خاذلين له وان الناصرين له لا تلحقهم الافضلية بنصرته والذى ذكره بعيد الفهم من هذا الكلام ويمكن ان يحمل على
وجه اخر وهو ان ذلك انما قرر افضلية الخاذلين على الناصرين ليسلم هو من التخصيص باللائمة في القعود عن النصرة فكانه قال واذا
كان الخاذلون له افضل من نصره تعين عليهم السؤال عن التخلف وان يستشهد عليهم بحال الناصرين له مع كونهم مفضولين فلم خصصت
باللائمة من بينهم والمطالبة بمدلولات الاغراض الفاسدة وقوله وانا جامع لكم امره الى قوله الاثرة اشار عليه السلام في هذا اللفظ الوجيز
اجمالا الى ان كل واحد من عثمن وقاتليه كان على طرف الافراط من فضيلة العدالة اما عثمن فاستيثاره واستبداده برايه فيما
الامة شركا فيه والخروج في ذلك الى حد الافراط الذى فسد معه نظام الخليفة عليه وادى الى قتله واما قاتلوه فلخروجهم في الجزع من
فعله الى طرف التفريط عما كان ينبغى لهم من التثبت وانتظار صلاح الحال بينهم وبينه بدون القتل حتى استلزم ذلك الجزع ارتكابهم
لرذيلة الجور في قتله فلذلك كان فعله اساءة للاستيثار وفعلهم اساءة للجزع وقيل اراد انكم اساتم الجزع عليه بعد قتله وقد كان ينبغى
منكم ذلك الجزع له قبل قتله وقوله ولله حكم واقع في المستاثر والجازع المفهوم من ذلك انه يريد بالحكم الواقع لله في المستاثر هو الحكم المقدر
اللاحق لعثمن بالقتل المكتوب بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ وفي الجازع هو الحكم اللاحق لقاتليه من كونهم قاتلين او قاتلين
وجازعين وفي نسبة هذه الاحكام الى الله تعالى تنبيه على تبريه من الدخول في امر عثمن وقاتليه بعد الاشارة الى السبب المعد
لوقوعها في حقهم وهو الاساءة في الاستيثار والجزع ويحتمل ان يريد الحكم في الاخرة اللاحق لكل من ثواب او عقاب عما ارتكبه
من خطاء او صواب كما قال تعالى والله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز كلا بما يستحقه من سعادة او شقاوة وبالله
التوفيق والعصمة ومن كلام له عليه السلام لما انفذ عبد الله بن عباس الى الزبير قبل وقوع حرب الجمل ليستفيئه الى طاعته
لا تلقين طلحة فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فانه الين
عريكة فقل له يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا قال الرضي رض وهو عليه السلام اول من
سمعت منه هذه الكلمة اعني فما عدا مما بدا اقول يستفيئه اى يسترجعه من فاء اذا رجع وفي رواية ان تلقه تلقه من الفئة
على وكذا اذا وجدته عليه والعقص الاعوجاج وعقص الثور قرنه بالفتح متعد وعقص قرنه بالكسر لازم والصعب الدابة
الجموح الشغبة والذلول السهلة الساكنة والعريكة فعيلة بمعنى مفعولة والتاء لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية الصرفة
واصل العرك ذلك الجلد بالدباغ وغيره وعدا جاوز وبدا ظهر واعلم انه عليه السلام لما نهى ابن عباس عن لقاء طلحة بحسب ما راى في ذلك

در السيد

من المصلحة نبّهه على علّة وجه نهيه عنه بقوله فانك ان تلقه تجده كذا وقد شبهه [illegible] بالثور واشار الى وجه الشبه بعقص القرن
واستعار لفظ القرن وكنى به عن شجاعته ولفظ العقص لما يتبع تعاطيه بالقوة والشجاعة من منع الجانب وعدم الانقياد تحت طاعة
الغير اللازم عن الكبر والعجب بالنفس الذي قد يعرض للشجاع ووجه الاستعارة الاولى ان القرن آلة القوة للثور ومنع ما يراد به عن
نفسه كذلك الشجاعة يلزمها الغلبة والقوة ومنع الجانب ووجه الاستعارة الثانية ان الثور عند ارادة الخصام يعقص قرنيه اي يرجع
راسه ويعطف قرنيه ليصوبهما الى جهة خصمه ويقارن ذلك منه هيج صادر عن توهم غلبة لمقاومه وشدة عليه وانه لا قدر له
عنده كذلك المشبه هاهنا علم منه عليه السلام انه عند لقاء ابن عباس له ويكون مانعا جانبه متهيئا للقتال متأبيا للخشونة وعدم الانقياد
له الصادر عن عجبه بنفسه وغروره بشجاعته فلذلك حسن التشبيه ويحتمل ان يكون وجه الشبه هو التواء طلحة في ارائه وانحرافه
عنه عليه السلام التشبيه بالتواء القرن وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس ويقال ان الكبر الذي تداخل طلحة لم يكن فيه قبل يوم احد وانما حدث به
في ذلك اليوم وذلك انه ابلى فيه بلاء حسنا ثم اشار عليه السلام على ابن عباس بلقاء الزبير واشار له الى وجه الراي في ذلك وهو كونه الين عريكة ويكنى
بالعريكة عن الطبع والخلق كناية بالمستعار فيقال فلان لين العريكة اذا كان بالضد بذلك وظاهر ان الزبير كان سهل الجانب فلاجل
ذلك امر بلقائه لما عهده من طبيعة انها اقبل للاستدراج واقرب الى الانفعال عن الموعظة وتذكر الرحم واحسن بهذه الاستمالة
بذكر النسب المستلزم تصوره للميل والانعطاف من الطباع السليمة ونحو قوله تعالى حكاية قول هرون لموسى عليهما السلام يا ابن ام لا تاخذ
بلحيتي ولا براسي قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني فان فيه من الاستمالة والاسترقاق بتذكيره حق الاخوة مما يدعو الى عطفه عليه مما لا
يوجد في كلام آخر واما كون علي عليه السلام ابن خال الزبير فلان ابا طالب وصفية ام الزبير من اولاد عبد المطلب بن هاشم قوله فما عدا مما
بدا قال ابن ابي الحديد عدا بمعنى صرف ومن هاهنا بمعنى عن ومعنى الكلام فما صرفك عما كان بدا منك اي ظهر اي ما الذي صدك عن طاعتي
بعد اظهارك لها وحذف الضمير المفعول كثير كقوله تعالى واسئل من ارسلنا قبلك اي من ارسلناه وقال القطب الراوندي له معنيان احدهما
ما الذي منعك مما كان قد بدا منك من البيعة قبل هذه الحالة الثاني ما الذي عاقك من البدا الذي يبدو للانسان ويكون المفعول الثاني
لعدا محذوفا يدل عليه الكلام اي ما عداك يريد ما شغلك وما منعك عما كان بدا لك من نصرتي قال ابن ابي الحديد ليس في الوجه الثاني مما ذكره
القطب زيادة على الوجه الاول الا زيادة فاسدة اما انه لا زيادة فلانه فسر عدا في الوجهين بمعنى منع وفسر قوله مما كان بدا منك
في الوجهين ايضا بتفسير واحد فلم يبق بينهما تفاوت واما الزيادة الفاسدة فظنه ان عدا يتعدى الى مفعولين وهو باطل باجماع
النحاة واقول الوجه الذي ذكره ابن ابي الحديد هو الوجه الاول من الوجهين اللذين ذكرهما الراوندي لان الصرف والمنع لا كثير تفاوت
بينهما وان كان يفهم ان المنع الاعم واما اعتراضه عليه بانه لا فرق بين الوجهين [illegible] اللذين ذكرهما فهو سهو عليه لان معنى بدا في
الوجه الاول معنى ظهر للناس منك من البيعة له ومراده به في الثاني ما ظهر لك من الراي من نصرتي وطاعتي وفرق بين ما يظهر من الانسان
لغيره وبين ما يظهر له في نفسه او من غيره فاما ما ذكره ان زيادة فاسدة فالاظهر ان لفظة الثاني في قوله المفعول الثاني زيادة
من قلمه او قلم الناسخ سهوا ويؤيده اظهاره للمفعول الاول وتفسيره لقوله ويكون المفعول لعدا محذوفا فتأمل اقول وهذه وان احتملت
ان يكون تفسيرا الا ان في كل واحد عدولا عن الظاهر من وجه اما الوجه الذي ذكره المدائني فلانه لما حمل عدا على حقيقتها وهي المجاوزة
وحمل ما بدا على الطاعة السابقة احتاج ان يجعل من بمعنى عن وهو خلاف الظاهر واما الراوندي فانه فسر عدا بمعنى منع او

عاق

عائق ولتشغل وحمل ما بدالك على الطاعة السابقة او على البيعة ولا يتم ذلك الا ان يكون من بمعنى عن والجواب تعال ان
عدا بمعنى جاوز ومن لبيان الجنس والمراد ما الذى جاوز بك عن بيعتى مما بدالك بعدها من الامور التى ظهرت لك
وحينئذ يبقى الالفاظ على اوضاعها الاصلية مع استقامة المعنى وحسنه وروى عن الصادق جعفر بن محمد
عليهما السلم عن ابيه عن جده قال سالت ابن عباس رضى الله عنه عن تلك الرسالة فقال بعثنى فاتيت فقلت له فقال انى اريد ما تريد
كانه يقول الملك ولم يزد فى على ذلك فرجعت الى امير المومنين عليه السلام فاخبرته وعن ابن عباس عما يعنى الزبير بقوله هذا فقال يقول انا على
الخوف لنطمع ان نلى من الامر ما وليتم وقد فسر غيره ذلك بتفسير اخر فقال اراد انا مع الخوف الشديد من الله نطمع ان يغفر لنا هذا الذنب كنود
ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس انا قد اصبحنا فى دهر عنود وزمن شديد يعد فيه المحسن مسيئا ويزداد الظالم فيه
عتوا لا ننتفع بما علمنا ولا نسال عما جهلنا ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا فالناس على اربعة اصناف منهم من لا يمنعه الفساد فى
الارض الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشره والمجلب بخيله ورجله قد اشرط نفسه
واوبق دينه لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه ولبئس المتجر ان ترى الدنيا لنفسك ثمنا ومما لك عند الله عوضا
ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الاخرة ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف من نفسه
للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضئولة نفسه وانقطاع سببه فقصرته الحال على حاله
فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس اهل الزهادة وليس من ذلك فى مراح ولا مغدى وبقى رجال غض ابصارهم ذكر
المرجع واراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد ناد وخائف مقموع وساكت مكعوم وداع مخلص وثكلان موجع
قد اخملتهم التقية وشملتهم الذلة فهم فى بحر اجاج افواههم ضامزة وقلوبهم قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا
حتى قلوا فلتكن الدنيا اصغر فى اعينكم من حثالة القرظ وقراضة الجلم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم وارفضوها
ذميمة فانها قد رفضت من كان اشغف بها منكم قال السيد رض وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له الى معوية وهى من كلام
امير المومنين عليه السلام الذى لا شك فيه واين الذهب من الرغام والعذب من الاجاج وقد دل على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد
البصير عمرو بن بحر الجاحظ فانه ذكر هذه الخطبة فى كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها الى معوية ثم تكلم من بعدها بكلام
فى معناها جملته انه قال وهذا الكلام بكلام على عليه السلام اشبه وبمذهبه فى تصنيف الناس وفى الاخبار عما هم عليه من القهر
والاذلال ومن التقية والخوف اليق قال ومتى وجدنا معوية فى حال من الاحوال يسلك فى كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد
اقول عنود جائر وكنود كفور والعتو الكبر والقارعة الخطب العظيم ومهانة النفس حقارتها وكل حد السيف وغيره اذا وقف
عن القطع ونضيض وفره قلة ماله والمصلت بسيفه الماضى فى الامور بقوته والمجلب المستعين على الامر بالجمع والرجل جمع راجل
واشرط نفسه لكذا اى اعلمها واعدها له واوبق دينه اى اهلكه والحطام متاع الدنيا واصله ما تكسر من اليبس والانتهاز
الاختلاس والاستلاب بقدر الامكان والمقنب بكسر الميم وفتح النون الجمع من الخيل ما بين الثلثين الى الاربعين
وفرع المنبر يفرعه اى علاه وطامن من شخصه اى خفض والاسم الطمانينة وشمر من ذيله اذا رفعه وزخرف اى زين
وتمو وضؤلة نفسه حقارتها والمراح المكان الذى تاوى اليه الماشية بالليل والمغدى هو الذى تاوى اليه بالغداة

والشريد المشرود وهو المطرود والمناد الذاهب على وجهه والقمع الاذلال والمعكوم الذى لا يمكنه الكلام كانه
شد فوه بالكعام وهو شئ يجعل في فم البعير عند الهياج والنكل الحزن على فقد بعض الحاب واخملتهم اى اسقطتهم وارذلتهم بين
الناس والتقية والتقوى لخوف والاجاج الملح والضامزة بالزاى الساكنة والحثالة الثفل والوظ ورق السلم يدبغ به والجلم
المقراض يجز به اوبار الابل وقراضة ما سقط من قرضه واعلم ان نسبة الخير الى بعض الازمنة والشر الى بعض آخر وتفضيل بعض
الازمنة على بعض نسبة صحيحة لما ان الزمان من الاسباب المعدة لحصول ما يحصل في هذا العالم من الامتزاجات وما يتبعهما مما
يعد خيرا او شرا وقد تتفاوت الازمنة في الاعداد لقبول الخير والشر وفي بعضها يكون بحسب الاستواء وما يعد شرا اكثر فيقال زمان
صعب وزمان جاير خصوصا زمان ضعف الدين والنواميس الشرعية التى هى سبب نظام العالم وبقائه وسببه الحيوة الابدية
في الدار الاخرة وفي بعضها يكون ما يعد خيرا اكثر فيقال زمان حسن وزمان عادل وهو الزمان الذى يكون احوال الخلق
فيه منتظمة صالحة خصوصا زمان قوة الدين وظهوره وبقاء ستر ناموس الشريعة مسدولا هذا وان كنا اذا اعتبرنا اجزاء
الخير واجزاء الشر الواقعة في كل العالم بحسب كل زمان زمان لم يكن هناك كثير تفاوت بين الازمنة فيما يعد خيرا فيها وشرا ولذلك قال
افلاطون الناس يتوهمون بكل زمان انه آخر الازمنة ويثبتون تقصيره عما تقدمه وليس يوفون الزمان الماضى والمقيم حقهما وذلك ان مثل
انهم يقيسون الاحداث في الزمان المقيم الى من شاهدوه وتجاربه في الزمان الماضى وينظرون الى قصور المروات في الزمان المقيم
واتساعها في الماضى من غير ان ينظروا الى الاعراض في الزمانين وما يوجبه كل واحد منهما واذا يتبع هذا بعدل واستقصى تصريف
الزمانين من القوى والجدات والامن والخوف والاسباب والاحوال كانا متقاربين اذا عرفت هذا فنقول قوله عليه السلام انا اصبحنا
الى قوله حتى تحل بهم ذم للزمان بوصف الجور والشدة لما اعد لكما عدد فيه من الاوصاف المعدودة شرا بالقياس الى نظام العالم وبقائه
وذكر من تلك الاوصاف خمسة اولها انه يعد فيه المحسن مسيئا وذكر من حساب المسيئين الكسالى عن القيام بطاعة الله فيعدون
انفاق المحسن لماله رياء وسمعة او خوفا او رغبة في مجازاة وكذلك ساير فضائله رذايل كل ذلك طعنا في فضيلته وحسدا
ان ينال رتبة اعلى فيلحقونه بدرجاتهم في الاساءة وثانيها انه يزداد الظالم فيه عتوا وذلك ان منشاء الظلم هو النفس الامارة بالسوء
وهى في زمان العدل تكون مقهورة دائما او في اكثر الاحوال ونوازلها في ذلك الوقت طالبة للظلم يكون قليلة وانتهاز فرصة فالظالم في
زمان العدل ان ظلم او تجاوز حده فكالسارق الذى لا يامن في كل لحظة ان يقع به المكروه فكذلك الظالم في زمن العدل مقموع
بحرسة الشريعة مرصود بعيون طلايعها اما في زمن ضعف الشريعة فالظالم فيه كالناهب مع طول قوته سؤلها غير ملتفت الى وازع
الدين فلاجرم كان عتوه فيه ازيد وقد كان في زمانه عليه السلام بالنسبة الى عهد الرسول صلى الله عليه وآله كذلك وثالثها انه لا ينتفع اهله
فيه بما علموا وهو توبيخ للمقصرين في اعمال الاخرة على وفق ما علموا من الشريعة مما ينبغى ان يعملوا لها اذ الانتفاع بالعلم انما يكون اذا
وافقه العمل واليه الاشارة بقوله عليه السلام في موضع آخر العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل وان اجاب والا فارتحل فان المراد
بارتحال العلم هو عدم الانتفاع به وتهتفه بالعمل اقتضاؤه ما ينبغى من مقارنة العمل له ورابعها انهم لا يسئلون عما جهلوا
وهو توبيخ للمقصرين في طلب العلم بعدم السؤال عما جهلوا منه وقلة الالتفات لقصور افهامهم عن فضيلته واشتغالهم بحاضر
اللذات الحسية وخامسها كونهم لا يتخوفون قارعة حتى تحل بهم وذلك لعدم فكرهم في عواقب امورهم واشتغالهم بحاضرها عن

الالتفات

الالتفات الى مصالحهم وتدبيرها وهو توبيخ للمقصرين في امر الجهاد وتنبيههم بذكر القارعة وحلولها بهم وكل هذه امور مضادة
لمصلحة العالم فلذلك عد الزمان الواقعة فيه عنودا وشديدا وقوله والناس على اربعة اصناف الى قوله قلوا اقول وجه هذه القسمة ان الناس اما
مريدون للدنيا او لله اما المريدون للدنيا فاما قادرون عليها او غير قادرين وغير القادرين اما غير محتالين او محتالون والمحتالون اما
ان يوهلوا انفسهم للامرة والملك او لما هو دون ذلك فهذه خمسة اقسام مطابقة لما ذكره عليه السلام من الاصناف الاربعة الذين عرضهم للذم
مع الصنف الخامس الذي افرده بالمدح فالصنف الاول وهم المريدون للدنيا القادرون عليها هو المشار اليه في القسم الثاني من قسمته بقوله
ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشره الى قوله يفترعه والمقصود بهذا الصنف القادرون على الدنيا المطلقون لعنان الشهوة والغضب
في تحصيل ما يتخيل كمالا من القنيات الدنيوية فاصلات السيف كناية عن التغلب وتناول ما امكن تناوله بالغلبة والقهر واعلان
الشر المجاهرة بالظلم وغيره من رذايل الاخلاق والاجلاب بالخيل والرجل كناية عن جمع اسباب الظلم والغلبة والاستعلاء
على الغير واشراط نفسه تاهيلها واعدادها للفساد في الارض وظاهر ان من كان كذلك فقد اوبق دينه وافسده وقوله لحطام
ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه اشارة الى بعض العلل الغائية للصنف المذكور من كونهم بالاوصاف المذكورة واستعار لفظ
الحطام للمال ووجه المشابهة ان اليبس من النبات كما انه لا نفع له بالقياس الى ما يبقى خضرته ونضارته او يكون ذا ثمرة كذلك المال
بالنسبة الى الاعمال الصالحة الباقي نفعها في الاخرة وانما خص هذه الامور الثلثة لانها الاغلب فيما يسعى اهل الدنيا لاجله اذ الغالب
ان السعي فيها اما لجمع المال او لرياسة دنيوية باقتناء الخيل والنعم او دينية كافتراع المنابر والترأس بناموس الدين مع قصد
الدنيا وقوله ولبئس المتجر الى اخره تنبيه لهذا الصنف من الناس على خسرانهم في افعالهم المشبهة بالتجارة الخاسرة فان طالب الدنيا
المحصل لها كيف ما اتفق هالك في الاخرة فهو كالبايع لها نفسه بما حصل له من دنياه والمعتاض بما له عند الله من الاجر الجزيل لو اطاعه
حطاما تفنى عينه وتبقى تبعته ولذلك استعار لفظ التجارة لها الصنف الثاني وهم المريدون لها غير القادرين عليها وغير المحتالين
لها وهو المشار اليه بقوله منهم من لا يمنعه من الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره وكنى بقوله كلالة
حده عن عدم صرامته في الامور وضعفه عنها وظاهر ان المريد للدنيا المعرض عن الله لو خلى عن الموانع المذكورة ووجد الدنيا
لم يكن سعيه فيها الا افسادا الصنف الثالث القادرين على الدنيا مع احتيالهم لها واعدادهم انفسهم لامور دون الملك وهو المشار
اليه بقوله ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الاخرة ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا اشارة الى انه مريد للدنيا فقط وقوله قد طامن من شخصه
الى اخره تفصيل لكيفية الحيلة فان خضوع الانسان وتطامن شخصه والمقاربة بين خطوه وتشمير ثوبه وزخرفة لنفسه
بما هو شعار الصالحين من عباد الله وستر الله الذي حمى به اهل التقوى ان يردوا موارد الهلكة يقع من صنف من الناس التماسا
لدخولهم في عيون اهل الدنيا وارباب القنيات ليسكنوا اليهم في الامانات ونحوها ويجعلون ذلك ذريعة لهم الى ما املوه من
الدنيا الفانية فيكونوا قد اتخذوا ستر الله وظاهر دينه وسيلة الى معصيته الصنف الرابع الغير القادرين عليها المحتالون لها
الموهلون انفسهم للملك والامرة وهم المشار اليهم بقوله ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه الى اخره وذكر من موانع هذا
الصنف عما رامه مانعين احدهما ضؤولة نفسه وقصورها عن المناواة وتحيلها العجز عن طلب الملك وان كان مطلوبا له الثاني
سبب ذلك الضعف وهو انقطاع سببه من قلة المال وعدم الاعوان والانصار في الطلب فلذلك وقفت به حال العقل على حالته التي لم يبلغ

المواظبة
معرفا ما اراده وقصرته عليها فعول لذلك الى الحيلة الجاذبة لرغبات الخلق اليه من التحلي بالقناعة والتزين بلباس اهل الزهادة من
على العبادات ولزوم ظواهر اوامر الله وان لم يكن ذلك عن اصل واعتقاد فاده اليه وقوله وليس هو من ذلك في مراح ولا مغدى كناية
عن انه ليس من القناعة والزهد في شيء اصلا ويحتمل ان يكون هذا الصنف من غير القادرين وغير المحتالين الصنف الخامس وهم المريدون
لله تعالى وهم المشار اليهم بقوله عليه السلام وبقي رجال الى اخره وذكرهم اوصافا الاول كونهم قد غض ابصارهم ذكر المرجع وذلك ان المريد لله اذا التفت
الى جنابه المقدس واستحضر انه راجع اليه بل ماثل بين يديه فلا بد ان يعرض عن غيره حياء منه وابتهاجا بمطالعة انواره وخوفا ان
يحجب به بصره عن صعود مراتب الاملاك الى مهاوي الهلاك ولان الحس تابع للقلب فاذا كان بصر القلب مشغولا عن غيره في جلال الله
كان مستتبعا للحس فلم يكن له التفات من طريقه الى امر اخر وهو المراد بالغض الثاني كونهم قد اراق دموعهم خوف المحشر واعلم ان خوف الخائفين
قد يكون لامور مكروهة لاداتها الى ما هو مكروه لذاته واقسام الثاني كثيرة كخوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة او خوف
الانحراف عن القصد في عبادة الله او خوف استيلاء القوى الشهوانية بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات المالوفة او خوف تبعات
الناس عنده او خوف سوء الخاتمة او خوف سبق الشقاوة في علم الله تعالى وكل هذه ونحوها مخاوف عباد الله الصالحين واغلبها على قلوب
المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه خطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لكون الخاتمة تبعا لها ومظهرة لما
سبق في اللوح المحفوظ وقد مثل من له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين وقع لهما ملك بتوقيع يحتمل ان يكون لهما
فيه غنا او هلاك فتعلق قلب احدهما بحال نشر التوقيع وما يظهر فيه من خير او شر وتعلق قلب الاخر بما خطر للملك حالة التوقيع
من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فكان اعلى فكذلك الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم الالهي
في اللوح المحفوظ اعلى من الالتفات الى الابد والى ذلك اشار الرسول ص حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب
الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء ابائهم لا يزاد فيه ولا ينقص وليعمل اهل الشقا السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال
كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعمل اهل الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال
كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله
والاعمال بالخواتيم واما اقسام القسم الاول فمثل ان يتمثل في نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت وشدته او سؤال
منكر ونكير او عذاب القبر او هول الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من
الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او من النار واغلالها واهوالها او من حرمان الجنة او من نقصان الدرجات فيها
او خوف الحجاب من الله تعالى وكل هذه الاسباب المكروهة في انفسها وتختلف حال السالكين الى الله فيها واعلاها رتبة خوف
الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك وهو خوف العابدين والصالحين والزاهدين ومن لم تكمل
معرفته بعد اذا عرفت ذلك فنقول الخوف الذي اشار اليه عليه السلام من هذا القسم اذ خوف المحشر يشمل ما ذكرناه من اقسامه الثالث
كونهم بين شريد ناد اي منفرد في البلاد مطرود اما لكثرة انكاره المنكر او لقلة صبره على مشاهدة المنكر وخائف مقموع
وساكت مكعوم اي كان التقية سدت فاه عن الكلام وهو من باب الاستعارة وداع مخلص لله وثكلان موجع
لما اصابه اما لمصابه في الدين او من كثرة اذى الظالمين وهذا تفصيل لحال احاد المتقين ويحتمل ان يكون ذلك

تفصيلا

تفصيل لحالهم بالنسبة الى خوف المحشر اى ان خوف المحشر اراق دموعهم وفعل بكل واحد منهم ما ذكر عند من الحالة التى هو عليها الرابع
كونهم قد اخملتهم التقية اى تقية الظالمين وهو تاكيد لما سبق الخامس كونهم قد شملتهم الذلة اى بسبب التقية السادس كونهم فى بحر اجاج و
استعار لفظ البحر بوصف الاجاج لما هم فيه من احوال الدنيا الباطلة ووجه المشابهة ان الدنيا كما لا تصلح للاقتناء والاستمتاع بها
بل يكون سببا للعذاب فى الاخرة كذلك البحر لا يمكن شاربه وان بلغ به جهد العطش مبلغه شربه والتروى به وقوله افواههم ضامزة وقلوبهم
قرحة اى انهم لما فطموا انفسهم عن لذاتها ومخالطة اهلها فيما فيه من الانهماك فيها لا جرم كانت افواههم ضامرة لكثرة صيامهم بعيدة
العهد بالمضغ وقلوبهم قرحة جوعا او خوفا من الله او عطشا الى رحمته ورضوانه او لما يشاهدونه من كثرة المنكرات وعدم
تمكنهم من انكارها ومن روى ضامزة بالزاى المعجمة اراد سكوتهم وقلة كلامهم السابع كونهم قد وعظوا حتى ملوا اى ملوا وعظ
الخلق لعدم نفعه فيهم الثامن كونهم قد قهروا حتى ذلوا التاسع كونهم قتلوا حتى قلوا اى قتلهم الظالمون لعدم انتظامهم فى سلكهم فان
قلت كيف يقال قتلوا مع بقائهم قلت اسناد القتل الى الكل لوجود القتل فى البعض مجاز من باب اسناد حكم الجزء الى الكل وكان
الكل لما كان مقصودا بالقتل كان كونهم مقتولين علة غائية منهم فجاز اسناد القتل اليهم وان كان المقتول بعضهم وقوله فلتكن
الدنيا فى اعينكم الى اخره امر للسامعين باستصغار الدنيا واستحقارها الى حد لا يكون فى اعينهم ما هو احقر منها فان حثالة القرظ
وقراضة الجلم فى غاية الحقارة والمراد من هذا الامر وغايته الترك لها فان استحقار الشئ واستصغاره يستتبع تركه والاعراض عنه ثم
امرهم بالاتعاظ بالامم السالفة فان فى الماضين عبرة لاولى الابصار ومحل الاعتبار ما كانوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها والمباهات بكثرة
قنياتها ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت وبقاء الحسرة والندامة للمستكثرين منها حجابا حايلة بينهم وبين الوصول الى حضرة جلال الله
ونبههم بقوله قبل ان يتعظ بكم من بعدكم على انهم مضطرون الى مفارقة ما هم فيه وسيصيرون عبرة لغيرهم وفايدة الامر بالاتعاظ ايضا
الاعراض عنها والاقلاع عن الاغترار بها ثم لما امرهم بهذه الاوامر التى ليست صريحة فى الترك اردف ذلك بالامر الصريح بالترك فقال
وارفضوها ذميمة اى اتركوا ما حالة الحقارة والذمامة ثم نبه بعده على ما يصلح علة لتركها وهو عدم دوام صحبتها وثباتها لمن كان
احب منهم لها اى لو دام سرورها ونعيمها لاحد لدام لاحب الخلق لها واحرصهم على المحافظة عليها فلما لم تدم لمن هو اشد حبا لها
منكم فبالاولى ان لا تدوم لكم واذا كان طباعها رفض كل محب فالاحرى بذى المروة واللب الرفيع والاعراض عمن لا يدوم صحبته ولا يصفو
محبته وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام عند مسيره لقتال اهل البصرة قال عبد الله بن عباس رض دخلت على امير المؤمنين
عليه السلام بذى قار وهو يخصف نعله فقال لى ما قيمة هذه النعل فقلت لا قيمة لها فقال والله لهى احب الى من امرتكم الا ان اقيم
حقا او ادفع باطلا ثم خرج عليه السلام فخطب الناس فقال ان الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه واله وليس احد من العرب يقرا كتابا ولا
يدعى نبوة فساق الناس حتى بواهم محلتهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم واطمانت صفاتهم اما والله ان كنت لفى ساقتها
حتى تولت بحذافيرها ما عجزت ولا جبنت وان مسيرى هذا لمثلها فلانقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه ما لى ولقريش
والله لقد قاتلتهم كافرين ولاقاتلنهم مفتونين وانى لصاحبهم بالامس كما انا صاحبهم اليوم اقول ذو قار موضع قريب من البصرة
وهو الموضع الذى نصرت فيه العرب على الفرس قبل الاسلام ويخصف نعله اى يخرزها وبواهم اسكنهم والمحلة المنزلة والمنجاة موضع
النجاة والقناة الرمح وعمود الظهر المنتظم للفقار والصفات الحجر الاملس المنبسط والساقة جمع سايق وتولت بحذافيرها اى باسرها

[illegible]

والبر التقی واعلم انه علیه السلام قدم لنفسه مقدمة من الکلام اشار فیها الی فضیلة الرسول صلعم فی مبعثه وهو سوقه للخلق الی الدین الحق لیبنی
علیها فضیلة نفسه وکانت غایته من ذلک توبیخ من خرج علیه من قریش والاستعداء علیهم قوله ان الله بعث محمدا الی قوله صفاتهم صدر الکلام
اشارة فیه الی فضیلة الرسول صلی الله علیه وآله والواوان الداخلتان علی حرفی النفی للحال فان قلت کیف یجوز ان یقال انه لم یکن احد من
العرب فی ذلک الوقت یقرأ کتابا وکانت الیهود یقرؤن التوریة والنصاری الانجیل قلت ان الکتاب الذی بید الیهود وتسمیه فی ذلک
الوقت التوریة لیس هو الکتاب الذی انزل علی موسی علیه السلام فانهم کانوا حرفوه وبدلوه فصار کتابا آخر بدلیل قوله تعالی قل من انزل الکتاب الذی
جاء به موسی نورا وهدی للناس تجعلونه قراطیس تبدونها وتخفون کثیرا وظاهر انه من حیث هو مبدل ومحرف لیس هو المنزل علی موسی علیه السلام
واما الکتاب الذی یدعی النصاری بقاءه فی ایدیهم فغیر معتمد علی نقلهم فیه لکونهم کفارا بسبب القول بالتثلیث واما النافون للتثلیث
فهم فی غایة القلة فلا یعتد بقولهم ان ما فی ایدیهم هو انجیل عیسی علما فاذن لا یکون المقروء لهم حال مبعث محمد صلی الله علیه وآله کتابا
هو من عند الله سلمناه لکن یحتمل ان یرید بالعرب جمهورهم فان اکثرهم لم یکن له دین ولا کتاب وانما کان بعضهم یتمسک بآثار من شریعة
اسمعیل وبعضهم برسوم لهم وقوله فساق الناس حتی بوأهم محلتهم الاشارة بسوقه لهم الی سوقه العقلی لاذهانهم بحسب المعجزات الی
تصدیقه فیما جاء به بحسب ما جاءهم به من القرآن الکریم والسنة النبویة الی معرفة سبیل الله ثم بحسب الترغیب لبعضهم والترهیب لبعض
الی سلوک تلک السبیل فاصبحوا وقد بوئوا محلتهم ای منزلتهم ومرتبتهم التی خلقوا لاجلها وکانت هی مطلوب العنایة الازلیة بوجودهم
فی هذه الدار وهی لزوم القصد فی سبیل الله المستقیم اسلاما ودینا وایمانا وهو فی الحقیقة المنجاة التی لاخوف علی سالکها ولا سلامة
للمنحرف عنها وذلک معنی قوله وبلغهم منجاتهم وقوله واستقامت قناتهم فالمراد بالقناة القوة والغلبة والدولة التی حصلت لهم مجازا
وهو من باب اطلاق اسم المسبب فان الرمح او الظهر للقوة والشدة ومعنی اسناد الاستقامة الیها انتظام قهرهم ودولتهم وقوله
واطمانت صفاتهم استعارة للفظ الصفاة لحالهم التی کانوا علیها ووجه المشابهة انهم کانوا قبل الاسلام فی مواطنهم وعلی احوالهم متزلزلین
بعضهم بعضا فی موطن ولا علی حال بل کانوا ابدا فی الغارة والنهب والجلاء فکانوا کالواقف علی حجر املس متزلزل مضطرب فاطمانت
احوالهم وسکنوا فی مواطنهم من کل ذلک بسبب مقدم محمد صلی الله علیه وآله وقوله اما والله ان کنت لفی ساقتها الی قوله ولا جبنت تقریر
لفضیلة فاثبت لنفسه انه کان من ساقتها الی ان تولت بامرها من غیر عجز اعتراه ولا جبن والضمیر فی ساقتها للکتائب والحرب وان
لم یجر لها ذکر صریح بل یحصل منه معنی الذکر وهو الناس فکانه قال فساق الناس وهم یومئذ کتائب علیه فکنت فی ساقتها حتی تولت
تلک الکتائب بامرها لم یبق منها من یغالبها وقد علمت ان السوق قد یکون سوقا الی الهدی وقد یکون سوق طرد وهزیمة
والاول هو غایته علیه السلام من السوق الثانی اذ لم یکن مقصوده من حروبه الا السوق الی الدین ولما لم یمکن حصول الهدایة للخلق الا
بوجود النبی صلی الله علیه وآله وایضا سبیل الحق کان دابه وطرده للکتائب حتی تولت بحذافیرها حمایة عن النبی وعن حوزة
عن الدین امرا واجبا لا لذاته لکن لغرض تمام الهدی الذی هو غایة وحی النبی ما وقوله ما عجزت ولا جبنت تمام لاثبات
الفضیلة المذکورة له وتقریر لما علم من شجاعته وتاکید لعدم العجز والجبن الذی هو طرف التفریط من فضیلة الشجاعة وقوله
وان مسیری هذا لمثلها ای لمثل تلک الحال التی کنت علیها معهم زمان کفرهم من سوق کتائبهم وطردها من غیر جبن ولا ضعف وهو فی
معنی التهدید الذی عساه ان یبلغ خصومه ویقوی به نفوس اولیائه وکذلک قوله ولانقبن الباطل حتی اخرج الحق من

خاصرته

خاصرته ايضا في معنى التهديد وتنبيه على ما عليه خصومه من الباطل واستعار هنا لفظ الخاصرة للباطل والبقر لتفريق الباطل وتمييز
الحق منه تشبيها له في استناد الحق فيه وعدم تمييزه منه بحيوان ابتلع شيئا قوله مالي ولقريش استفهام على سبيل انكار ما بينه وبينهم
مما يوجب الاختلاف وجحد فضيلته وحسم لاعذارهم لاعذارهم في حربه وقوله والله لقد قاتلتهم كافرين اظهار للمنة عليهم بسبق قتاله
الدين اولا وتعييرهم بما كانوا عليه من الكفر ليعترفوا بفضيلته ونعمة الله عليهم به وليخجلوا من مقاتلته بالباطل وهو اظهار الانكار
عليه اذ كانوا اولى بالبيان المنكر منه وهو اولى بردهم عنه اخرا كما كان اولا وكذلك قوله وقاتلتهم مفتونين على احدى الروايتين واما
على رواية ولاقاتلنهم مفتونين فهو تهديد بان يوقع بهم القتال على فتنتهم وضلالهم عن الدين وكافرين مفتونين نصب على الحال وفي
ذكر هذين الحالين تنبيه على علة قتاله لهم في الحالتين وهو طلبه لاستقامتهم على الدين ورجوعهم الى الحق عن الضلال واغراء للسامعين
بهم وقوله واني لصاحبهم بالامس كما انا صاحبهم اليوم اشارة الى انه لم تتغير حالته التي بها قاتلهم كافرين وفائدته تذكير الخصم الآن
بابتلاء الكفار به في ذلك الوقت ليستشعروا من محاربته اذ في تذكر وقايعه في بدو الاسلام وشدة باسه ما تطير منه العقول
وتقشعر منه الجلود وقد نقلت في تمام هذه الخطبة في بعض النسخ لتضج قريش ضجيجها ان تكن فينا النبوة والخلافة والله ما
اتينا اليهم الا انا اخترنا عليهم وذلك اشارة الى السبب الاصلي لخروج طلحة والزبير وغيرهم من قريش عليه عليه السلام وهو الحسد والمنافسة   ظ الصراخ
ان تكن الخلافة والنبوة في بني هاشم دونهم والضجيج الصراخ القوي وهو كناية عن اشد مخاصماتهم ومنافراتهم له على هذا
الامر وقوله والله ما اتينا الى اخره تاكيد لما نسبه اليهم من سبب الخروج بالقسم البار على انه لم يكن الباعث لهم على قتاله الا حسده   على صح
والبغي عليه اذ لم يكن له سوى الاجتراء عليهم اي الشجاعة والاقدام عليهم في منعهم عما يريدون من قول او فعل لا تسوغه الشريعة
فانه لما لم يكن ذلك في الحقيقة اساءة في حقهم يستحق بها المكافاة منهم بل احسان وردع عن سلوك طرق الضلال تعين ان السبب في
الخروج عليه ونكث بيعته هو الحسد والمنافسة وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام في استنفار الناس الى اهل الشام اف لكم
لقد سئمت عتابكم ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة عوضا وبالذل من العز خلفا اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت اعينكم
كانكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة يرتج عليكم حواري فتعمهون فكان قلوبكم مالوسة وانتم لا تعقلون ما انتم لي بثقة
سجيس الليالي وما انتم بركن يمال بكم ولا زوافر عز يفتقر اليكم ما انتم الا كابل ضل رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من
اخر لبئس لعمر الله سعر نار الحرب انتم تكادون ولا تكيدون وتنتقص اطرافكم فلا تمتعضون لا ينام عنكم وانتم في غفلة
ساهون غلب والله المتخاذلون وايم الله اني لاظن بكم ان لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن
ابن ابي طالب انفراج الراس والله ان امرءا يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده لعظيم
عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره انت فكن ذاك ان شئت فاما انا فوالله دون ان اعطي ذلك ضرب
بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد والاقدام ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ايها الناس ان لي عليكم
حقا ولكم علي حق فاما حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كي لا تجهلوا وتاديبكم كيما تعلموا واما حقي
عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين ادعوكم والطاعة حين امركم اقول روي انه   تمام صح
عليه السلام خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من امر الخوارج وقد قام بالنهروان فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فان الله قد احسن

نحركم فوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم من اهل الشام فقالوا له قد نفذت نبالنا وكلّت سيوفنا ارجع بنا الى مصرنا لنصلح
عدتنا ولعل امير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منا لنستعين به فاجابهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب
الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم الآية فتلكوا عليه وقالوا ان البرد شديد فقال انهم يجدون البرد كما تجدون افلكم ثم تلا فلتكاوا
قوله تعالى قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الآية فقام منهم ناس واعتذروا بكثرة الجراح في الناس وطلبوا ان يرجع بهم الى
الكوفة ثم يخرج فرجع بهم غير راض وانزلهم بنخيلة وامرهم ان يلزموا معسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم ويقلوا زيارة
اهلهم فلم يقبلوا وجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة فخطب الناس فقال ايها الناس استعدوا لقتال عدو في جهادهم
القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به وجفاة عن الكتاب
نكب عن الدين يعمهون في الطغيان ويتسكعون في غمرة الضلال فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا
على الله وكفى بالله وكيلا قال فلم ينفروا فتركهم اياما ثم خطبهم هذه الخطبة فقال اف لكم المفصل اف كلمة تضجر من الشيء
وغمرات الموت وسكراته التي يغمر فيها العقل والذهول النسيان والسهو ويرتج عليكم اي يغلق والحوار المخاطبة وتعمهون
تتحير و [illegible] ويترددون والمألوس المجنون والمخلط العقل وسجيس الليالي وسجيس الاوجس اي ابدا مدى
الليالي والزوافر جمع زافرة وزوافر الرجل انصاره وعشيرته وسعر جمع ساعر واسعار النار تهييجها والهابها والامتعاض
الغضب وحمس الوغى اشتد الحرب وجلبة الاصوات وعرقت اللحم اعرقه اذا لم ابق على العظم منه شيئا والمشرفية
سيوف منسوبة الى مشارف قرى من ارض العرب تدنوا من الريف وفراش الهام العظام الرقيقة تلي القحف واعلم انه عليه السلام
لما اراد استنفارهم الى الحرب وكانوا قليلا ما يتثاقلون عند دعوته استقبلهم بالتأفيف والتضجر بما لا يرتضيه من افعالهم
فقوله لقد سئمت عتابكم تفسير لبعض منه وقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة عوضا وبالذل خلفا استفهام على سبيل
الانكار عليهم يستلزم من الحث على الجهاد فان الجهاد لما كان مستلزما للثواب الآخرة ولعزة الجانب وخوف الاعداء والقعود
عنه يستلزم في الاغلب السلامة في الدنيا و والبقاء فيها لكن مع طمع العدو فيهم وذلتهم له كانوا بقعودهم عنه كمن اعتاض
الدنيا من الآخرة واستخلف الذل من العزة وذلك مما لا يرضى به ذو عقل سليم وعوضا وخلفا منصوبان على التمييز و
قوله اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم الى قوله لا تعقلون تبكيت لهم وتوبيخ برذايل تعرض لهم عند دعائه لهم الى الجهاد الاولى انه
تدور اعينهم وحيرتهم بحال المغمور في سكرات الموت الساهي فيها عن حاضر احواله المشغول بما يجده من الالم ونحوه قوله تعالى
ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت الثانية انه يرتج عليهم حواره ويرتج في موضع الحال ويعمهون عطف
عليه اي يرتج عليهم فيتحيرون ثم شبه حالهم عند دعائه الى الجهاد بسببها تارة بحال من اختلط عقله اي انهم في حيرتهم وترددهم
في جوابه كمختلط العقل لا يعقل ما يقول الثالثة انهم ليسوا له بثقة ابدا وهو وصف لهم برذيلة الخلف والكذب المستلزم لعدم
ثقته بما هو المهم الرابعة كونهم ليسوا بركن يميل به المستند اليه على خصمه يقال فلان ركن شديد استعارة له من ركن الجبل وهو
جانبه لما بينهما من المشاركة في الشدة وامتناع المعتصم به ونحوه قوله تعالى لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد اي قوي
يمنعني منكم وهو وصف بالتخاذل والعجز الخامسة ولا زوافر عز يفتقر اليهم وهو وصفهم برذيلة الذل والحقارة السادسة

بتشبيههم

تشبيههم بابل مثل رعاتها والايماء الى وجه الشبه وهو انها كلما جمعت من جانب انتشرت من جانب اشارة الى انهم ضعيفو العزوم ودم
متشتتون الآراء لا يجتمعون على مصلحة بها يكون نظام احوالهم في الدارين وقد علمت ان ذلك من نقصان القوة العملية فكانوا من هذه رذيلة
البله السابعة كونهم ليسوا بسعر نار الحرب اي ليسوا من رجالها وذلك ان مدار الحرب على الشجاعة والرأي وقد سبقت منه الاشارة الى ذمهم
بالفشل وضعف الرأي فاذن ليسوا من رجال الحرب ولما استعار لهيجان الحرب لفظ النار لما يستلزمانه من الاذى الشديد رشح الاستعارة
بذكر الاسعار ووصف رجالها به الثامنة كونهم يكادون ولا يكيدون اي يخدعون ويمكر بهم عدوهم في ايقاع الحيلة بهم وليس لهم قوة
المكر والحيلة به وذلك ايضا من رذيلة ضعف الرأي التاسعة كونهم ينتقص اطرافهم فلا يمتعضون اي يغار العدو في كل وقت على بعض
بلادهم فيحوزها فلا يشق ذلك عليهم ولا يدركهم منه انفة وحمية وهو وصف لهم برذيلة المهانة العاشرة كونهم في غفلة ساهون مع
انتباه عدوهم لهم ووصف لهم برذيلة الغفلة ايضا عما يراد بهم وقلة غفلتهم لمصالح انفسهم وكل هذا التوبيخ تثقيف لهم وتنبيههم
لنفوسهم الراقدة في مراقد طبايعها على ما ينبغي لهم من المصالح التي يكون بها نظام احوالهم على قانون الدين وقوله غلب والله المتخاذلون
تنبيه على انهم بتخاذلهم سيغلبون واورد المغلب بعلة التخاذل لانهم للحكم العام اشد قبولا منهم له على انفسهم اذ لو خصصهم به فقال غلبتم
والله اذ تخاذلتم لم يكن وقعه في الذوق كوقعه عاما وقوله وايم الله الى قوله انفراج الرأس قسم انه ليظن بهم انهم عند اشتداد الحرب
وحرارة الموت ينفرجون عنه انفراج الرأس يتفرقون عنه اشد تفرق وانفراج الرأس مثل قيل من تكلم به اكثم بن صيفي في وصية له يا بني
لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس فانكم بعد ذلك لا تجتمعون على عز وفي معناه اقوال احدها قال ابن دريد معناه ان الرأس اسم
رجل ينسب اليه قرية من قرى الشام يقال لها بيت الرأس وفيها يباع الخمر قال حسان كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها
عسل وماء وهذا الرجل كان قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد اليه فضرب به المثل في المباينة والمفارقة الثالث قال بعضهم معناه
ان الرأس اذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان ذلك بعد الالتيام والعود الى الصحة الرابع قال بعضهم معناه انفرجتم عني
رأسا اي بالكلية الخامس قيل معناه انفراج من يريد ان ينجو برأسه السادس قيل معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها
حالة الوضع فانه يكون في غاية من الشدة وتفرق الاتصال والانفراج ونحوه قوله عليه السلام في موضع آخر انفراج المرأة عن قبلها
وعلى كل تقدير فمقصوده شدة انفصالهم وتفرقهم عنه احوج ما يكون اليهم واستحرار الموت يحتمل ان يراد به شدته تشبيهة بالحرارة
مجازا كما سبق ويحتمل ان يراد به خلوصه وحضوره فيكون اشتقاقه من الحرية والجملة الشرطية خبر ان المخففة من الثقيلة واسمها ضمير
الشان وهي مع اسمها وخبرها قائمة مقام مفعولي اظن وفيه توبيخ لهم على التقصير البالغ في حقه الى حد ان يظن بهم الظن المذكور
وقوله والله ان امرءا الى قوله ان شئت من لطيف الحيلة في الخطاب الموجب للانفعال عنه وذلك انه صور لهم افعالهم من التخاذل
عن العدو والضعف وساير افعالهم المذمومة التي لغو التوبيخ عليها والتعنيف بعبارة تريهم اياها في اقبح صورة واشدها
كراهة اليهم وابلغها نكاية فيهم وهو تمكينهم للعدو فيما يريد بهم واعلاء له وتقوية لحاله ولما كان من عادة ظفر العدو احتياج
المال والقتل وتمزيق الحال كنى عن الاول بقوله يعرق لحمه ووجه استعارة عرق اللحم لسلب المال بكلية ظاهر وكذلك كنى عن القتل وساير
اسباب الهلاك من فعل العدو بهشم العظم وعن تمزيق الحال المنتظم بفري الجلد ثم لما كان البين ان تخاذلهم تمكين لعدوهم منهم
وكان تمكين الانسان لعدوه من نفسه يفعل به الافعال المنكرة لا يكون الا عن عجز عظيم وضعف في القلب عن مقاومته لاجرم اثبت

العجز وضعف القلب لامرء يمكن عدوه من نفسه واكد ذلك بان وبالقسم البار وكنى بضعف القلب عن الجبن واتى بذلك الاثبات على وجه عام لكل امرء
فعل ذلك ولم يخصهم بالخطاب ولا نسب تمكين العدو اليهم صريحا وان كانوا هم المقصود بذلك رجاء لنفارهم عن الدخول تحت هذا العموم
بالانقياد لامره بالجهاد ثم اردفه بالامر ان يكون ذلك المرء الذى وصفه بما وصفه امرا على سبيل التهديد والتنفير وذلك قوله انت فكن
ذاك ان شئت اى ذاك المرء الموصوف بالعجز والضعف خطاب للشخص المطلق الصادق على اى واحد منهم كان وامره ان يكون بصفة
المرء الموصوف اولا تنفير له عما ذكره مما يلزم الانسان من الاحوال الردية عند تمكينه عدوه من نفسه وروى انه خاطب بقوله انت
فكن ذاك الاشعث بن قيس فانه روى انه قال له عليه السلام وهو يخطب ويلوم الناس عن تقاعدهم عن الحرب هلا فعلت فعل ابن عفان
فقال له ان فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له ولا وثيقة معه وان امرا امكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ويفرى جلده لضعيف رايه
مافوق عليه انت فكن ذاك ان شئت الفصل وقوله فاما انا الى قوله ما يشاء لما اخبر انه لن يكون ذلك المرء على سبيل التهديد اردف
ذلك بالتبرىء من حال المرء المذكور ليكون لهم به عليه السلام اسوة فى النفار عن تمكين العدو من انفسهم الا بعد بذل النفس فى الجهاد اى على تقدير
اختيار المطالب المخاطب لتلك الحال فانه هو لا يختار ذلك بل دون ان يعطى عدوه من نفسه ذلك التمكن ضرب بالمشرفية تطير منه الهام وتطيح
منه السواعد والاقدام وكل ذلك كناية عن اشد المجاهدة ويفعل الله بعد ذلك الجهاد والمناجزة ما يشاء من تمكين العدو او عدم تمكينه
فان اليه مصير الامور وعواقبها ايها الناس الى آخره ذكر ما لهم عليه من الحق وما له عليهم منه ليعرفهم انه ادى ما عليه من الواجب لهم فينبغى ان يخرجوا
اليه من واجب حقه الذى فرض الله عليهم فبدا ببيان حقهم عليه ادبا واستدراجا لطباعهم فان البداءة بحق الغير قبل حق النفس اليق بالادب
وهم للسماعة اقبل فذكر منها اربعة امور بها يكون صلاح حالهم فى الدارين احدها النصيحة لهم وهى حثهم على مكارم الاخلاق وجذبهم الى ما
هو الاليق بهم فى معاشهم ومعادهم الثانى توفير فيئهم عليهم بترك ظلمهم فيه وتفريقه فى غير وجوهه مما ليس بمصلحة لهم كما نسبوه الى من كان قبله الثالث
تعليمهم كيلا يجهلوا وانما لم يقل كيما يعلموا لان ظهور المنة عليهم بذكر نفى الجهل عنهم اشد من ظهورها فى ذكر غرض ايجاد العلم لهم ولذلك
كان نادى الرجل وانفته من ان يقال له يا جاهل اشد نكيرا من نفاره من يقال له لست بعالم الرابع تاديبهم كيما يعملوا فهذه الامور
الاربعة هى الواجبة على الامام للرعية واحد منها يرجع الى صلاح ابدانهم وقوامها وهو توفير عليهم بضبطه وعدم التصرف فيه
لغير وجوه مصالحهم واثنان يرجعان الى صلاح حال نفوسهم اما من جهة اصلاح القوة النظرية وهو التعليم لغرض العلم
او من جهة اصلاح القوة العملية وهو التاديب لغرض العمل وواحد مشترك بين مصلحتى البدن والنفس ونظام احوالهما
وهو النصيحة لهم ثم اردف ذلك ببيان حقه عليهم وذكر ايضا اربعة الاول الوفاء بالبيعة وهى اهم الامور اذ بها النظام
الكلى الجامع لهم منه الثانى النصيحة له فى غيبته وحضوره والذب عنه اذ بذلك نظم شمل المصلحة بينهم وبينه ايضا الثالث
اجابته حين يدعوهم من غير تثاقل عن ندائه فان فى التثاقل عن دعوته ما علمت من قهر العدو وغلبته عليهم وفوات مصالح عظيمة
الرابع له حين يامرهم وداعيا بشمل المصلحة لا ينتظم بدون ذلك وانت تعلم بادنى تامل ان هذه الامور الاربعة وان كانت
حقوقا عليهم الا انه انما يطلبها منهم لما يعود عليهم من النفع فى الدنيا والآخرة فان الوفا ملكة تحت العفة والنصيحة له سبب لانتظام
امورهم به واجابة دعوته اجابة لداعى الله الجاذب الى الخير والمصلحة وكذلك طاعة امره طاعة لامر الله اذ هو الناطق به وقد علمت
ما يستلزمه طاعة الله من الكرامة عنده وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم الحمد لله وان اتى الدهر

بالخطب

وحده لا شريك له

بالخطب الفادح والحدث الجليل واشهد ان لا اله الا الله ليس معه اله غيره وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله اما بعد فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري ونخلت لكم مخزون رايي لو كان يطاع لقصير امر فابيتم علي اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه فكنت انا واياكم كما قال اخو هوازن ❊ امرتكم امري بمنعرج اللوى ❊ فلم تستبينوا النصح الا ضحى الغد قوله روي ان عمرو بن العاص وابا موسى الاشعري لما التقيا بدومة الجندل وقد حكما في امر الناس كان علي يومئذ فقد دخل الكوفة ينتظر ما يحكمان به فلما تمت خدعة عمرو لابي موسى وبلغه عليه السلام ذلك اغتم له غما شديدا ووجم منه وقام فخطب الناس فقال الحمد لله الفصل وزاد بعد الاستشهاد ببيت دريد في بعض الروايات الا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموها قد نبذا حكم الكتاب واحييا ما امات واتبع كل واحد منهما هواه وحكم بغير حجة ولا بينة ماضية واختلفا فيما حكما فكلاهما لم يرشده الله فاستعدوا للجهاد وتاهبوا للمسير واصبحوا في معسكركم يوم كذا واما قصة التحكيم وسببها فمذكور بالتواريخ والخطب الامر العظيم وفدحه الامر اذا غاله وابهظه والجافي خشن الطباع الذي ينبو طبعه عن المؤانسة فيتقاطع ويتباين قوله الحمد لله الى قوله الجليل قد عرفت نسبة الخير والشر الى الدهر على اي وجه هي ومراده احمد الله على كل حال من السراء والضراء وان هنا للغاية وينبه في هذا الصدر وقوع الخطب الفادح وهو ما وقع من امر الحكمين وحمد الله عليه وقوله ليس معه اله غيره تاكيد لمعنى كلمة التوحيد وتقرير لمقتضاها وقوله اما بعد الى قوله الندامة القيود الاربعة التي ذكرها من صفات المشير معتبرة في احسن الراي ووجوب قبوله اما كونه ناصحا فلان الناصح بصدق الفكر ويمحض الراي وغير الناصح ربما يشير بغير الراي فيوقع في المضرة واما كونه فلان الشفقة تحمل على النصح فتحمل على حسن التروي في الامر وايقاع الراي فيه عن تثبت واجتهاد والباعث على هذين اعني النصح والشفقة اما الدين او محبة المستشير واما كونه عالما فغايته اصابة لعلمه وجه المصلحة في الامر فان الجاهل اعمى لا يبصر وجه المصلحة فيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله استرشدوا العاقل لترشدوا ولا تعصوه فتندموا وقال عبد الله بن الحسين لابنه محمد احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر غداوة العدو العاقل فانه كما يوشك ان يقع بك مكر العاقل كذلك ان يورطك مشورة الجاهل واما كونه مجربا فلانه لا يتم راي العالم ما لم ينضم اليه التجربة وذلك ان العالم وان علم وجه المصلحة في الامر الا ان ذلك الامر قد يشتمل على ان بعض وجوه المفاسد لا يطلع عليه الا بالتجربة مرة بعد مرة فالمشورة من دون تجربة مظنة للخطاء وقيل في منثور الحكم كل شيء محتاج الى العقل والعقل محتاج الى التجارب واذا عرفت ان طاعة المشير الموصوف بالصفات المذكورة مستلزمة في اغلب الاحوال للسرور وبحسن ثمرة رايه والفوز بها لا جرم كانت معصيته ومخالفة رايه مستلزمة للحسرة مستعقبة للندامة وقوله وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري لما قدم ان معصية المشير المذكور تعقب الحسرة والندامة اردف ذلك ببيان انه هو المشير وانه اشار عليهم فخالفوه ليتضح لهم انهم عصوا مشيرا قد استكمل شرايط الراي فيتوقعوا اللازم على معصيته وقوله ونخلت لكم مخزون رايي استعارة للفظ النخل لاستخلاص ارشد ارائه واجودها لهم بحسب اجتهاده ووجه المشابهة انه اجود مما ينتفع به كما ينخل في دقيق ونحوه وهو المنخول كذلك للراي اجوده وانفعه ما استخلص من كدورات الشهوة والغضب وقوله لو يطاع لقصير امر مثل وقصير هذا هو قصير بن سعد اللخمي مولى جذيمة الابرش بعض ملوك العرب واصل المثل ان جذيمة كان قتل ابا الزبا

الرشد

امرتكم

كان صح

ملكة الجزيرة فبعثت اليه حين ليتزوج بها جذيمة وسالته القدوم عليها فاجابها الى ذلك وخرج في الف فارس وخلف باقي جنوده
مع ابن اخته عمرو بن عدي وكان قصير اشار على جذيمة ان لا يتوجه اليها فلم يقبل رايه فلما قرب جذيمة من الجزيرة استقبلته
جنود الزبا بالعدة ولم ير منهم اكراما فاشار عليه قصير بالرجوع عنها وقال انها امراة ومن شان النساء الغدر فلم يقبل فلما
دخل اليها غدرت به وقتلته فعندها قال قصير لا يطاع لقصير امر فذهب مثلا لكل ناصح عصي وهو مصيب في رايه وقد ينوهم
ان جواب لو ههنا مقدم والحق ان جوابها محذوف والمعنى يتضح بترتيب الكلام والتقدير ان كنت امرتكم امري في هذه الحكومة
ونصحت لكم فلو اطعتموني لفعلتم ما امرتكم به ومحضت لكم النصيحة فيه فقولنا لفعلتم هو تقدير الجواب ومما ينبه عليه ان قوله
فابيتم على اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة وهو في تقدير استثناء نقيض التالي وتقديره لكنكم ابيتم على اباء من
خالف الامر وجفا المشير وعصاه حتى شك في نصحه هل كان صوابا او خطاء وهذا الحكم حق فان المشير بالراي الصواب اذا اكثر
مخالفوه فيه قد يتهم نفسه في صحة ذلك الراي وصوابه لان استخراج وجه المصلحة في الامر اجتهادي يغلب على الظن
بكثرة الامارات اللائحة للمشير فاذا اجوز المشير ان يكون خلاف ما راه هو المصلحة فلا مانع اذن ان يعرض لغيره امارات
اخرى تغلب على ظنه ان ما راه هو ليس بمصلحة فيعارض بها ما راه اولا جفاء ويخالفه غيرانه فاذا كثرت تلك المخالفة من جمع
عظيم جاز ان يتشكك الانسان فيما ظنه من المصلحة انه ليس بمصلحة وان الامارات التي اقتضت ذلك الظن غير صحيحة فلذلك قال
عليه السلم حتى ارتاب الناصح بنصحه وعنى بالناصح نفسه او من راى رايه لاطباق اكثر اصحابه على مخالفتهم وقال بعض الشارحين
يحمل ذلك على المبالغة لانه عليه السلم منزه عن ان يشك فيما يراه صوابا بعد مشورته به وقوله وضن الزند بقدحه قيل هو مثل يضرب
لمن يبخل بفوايده اذا لم يجد لها قابلا عارفا بحقها او لم يتمكن من افادتها فان المشير اذا اتهم واستغش وخطي في رايه ربما
لا ينقدح له بعد ذلك راي صالح لحكم الغضب عليه من جهة مخالفيه وعدم قبول رايه ويريهم ثمرة عصيان امره الصادر عن
معاينة وجه المصلحة كما هو قال فكنت انا واياكم كما قال اخو هوازن امرتهم امري البيت وهو لدريد بن الصمة من قصيدة له في
الحماسة اولها نصحت لعارض واصحاب عارض ورهط بني السوداء والقوم شهدي وقصته في هذه القصيدة
ان اخاه عبد الله بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن بن عطفان فغنم منهم واستاق ابلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال لا والله
لا ابرح حتى انحر النقيعة وهي ما ينحر من النهب قبل القسمة واجيل السهام فقال له اخوه دريد لا تفعل فان القوم في
طلبك فابى عليه واقام ونحر النقيعة وبات فلما اصبح هجم القوم عليه وطعن عبد الله بن الصمة فاستغاث باخيه فنهنه
عنه القوم حتى طعن ايضا وصرع وقتل اخوه وحال الليل بين القوم فنجا دريد بعد طعنات وجراح حصل له فقال القصيدة
وانما قال عليه السلم اخو هوازن لنسبته اليهم فان دريد بن الصمة من بني جشم بن معوية بن بكر بن هوازن ونحوه قولهم يا اخا
العرب لنسبته فيهم وكذلك قال لهم اخوهم ويكفي في اطلاق لفظ الاخوة مجازا مجرد الاتصال بهم والملابسة لهم وقد عرفت
ذلك ووجه تمثيله عليه السلم بالبيت اني كنت واياكم في نصيحتي لكم ونهيي عن الحكومة ومخالفتكم امري المستلزمة لندامتكم على
التفريط كهذا القايل مع قومه حيث نصح لهم فعصوه فلحقهم ما لحقهم من الندامة والهلاك واعلم ان الذي كان اشار به على اصحابه
هو ترك الحكومة والصبر على قتال اهل الشام ومحمل السبب ان امارات الغلبة ليلة الهرير كانت لا تخفى على اهل فلما عاينوا

الهلاك

الهلاك استشار معوية بعمرو بن العاص في كيفية الخلاص فقال عمرو ان رجالك لا تقوم لرجاله ولست مثله ان يقاتلك على امر وانت
تقاتل على غيره انت تريد البقا وهو يريد البقاء و ير الفنا واهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهم واهل الشام لا يخافون عليا
ان ظفر بهم ولكن الق الى القوم امرا ان قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا ادعهم الى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فانك بالغ
به حاجتك واني لم ازل اوخر هذا الامر لوقت حاجتك اليه فعرف معوية ذلك فلما اصبحوا رفعوا المصاحف على اطراف الرماح
وكان عددها خمسمائة مصحف ورفعوا مسجد الاعظم على ثلثة ارماح مشدودة يمسكها عشرة رهط ونادوا يا جماعة الله الله
معشر العرب في النساء والصبيان والبنات الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فقال عليه السلام اللهم انك تعلم انهم ما الكتاب
يريدون فاحكم بيننا وبينهم انك انت الحكم المبين وحينئذ اختلف اصحابه فقالت طايفة القتال وقال اكثرهم المحاكمة
الى الكتاب ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب وتنادوا من كل جانب الموادعة فقال عليه السلام في جوابهم
ايها الناس اني احق من اجاب الى كتاب الله ولكن معوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط ليسوا باب دين ولا قران
اني اعرف بهم منكم صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا اشر صغار وشر رجال ويحكم انها كلمة حق يراد بها باطل انهم ما رفعوها
انهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة والمكيدة والوهن اعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه
ولم يبق الا ان يقطع دابر القوم الظالمين فجاءه عشرون الفا من اصحابه ونادوه باسمه دون امرة المؤمنين اجب اليوم
الى كتاب الله اذ دعيت والا قتلناك كما قتلنا عثمن فقال عليه السلام ويحكم انا اول من اجاب الى كتاب الله واول من دعا اليه فكيف لا
اقبله وانما قاتلتهم ليدينوا بحكم القران ولكني قد اعلمتكم انهم قد كادوكم وليس العمل بالقران يريدون فقالوا ابعث الى الاشتر يأتيك
وقد كان الاشتر صبيحة ليلة الهرير قد اشرف على عسكر معوية ليدخله ولاح له الظفر فبعث اليه فرجع على كره منه ووقع بينه وبين
من اجاب الى الحكومة من اصحابه على مسابات ومجادلات على ما اختاروا من ترك الحرب وتنادوا من كل جانب رضي امير المؤمنين
بالتحكيم وكتبوا عهدا على الرضا به وسنذكر كيفيته اجمالا انشاء الله تعالى وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام في تخويف اهل
النهر فانا نذير لكم ان تصبحوا صرعى باثناء هذا النهر وباهضام هذا الغايط على غير بينة من ربكم ولا سلطان مبين
باكتاف
معكم قد طوحت بكم الدار واحتبلكم المقدار وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فابيتم على اباء المخالفين المنابذين
هجرا عرا
حتى صرفت رأيي الى هواكم وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام ولم آت لا ابا لكم بجرا ولا اردت بكم ضرا اقول
الخطاب للخوارج الذين قتلهم عليه السلام بالنهروان وقد كان القضاء الالهي سبق فيهم بما كان منهم من الخروج روي في صحيح الاخبار
ان رسول الله صلى الله عليه وآله بينا هو يقسم قسما جاءه رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فقال اعدل يا محمد فقال صلى الله عليه وآله
قد عدلت فقال له ثانية اعدل يا محمد فانك لم تعدل فقال صلى الله عليه وآله ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فقام عمر وقال يا
رسول الله ايذن لي في ضرب عنقه فقال دعه فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يخرجون
على حين فرقة من الناس تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم وصومكم عند صومهم يقرؤن القران لا يجاوز تراقيهم فيهم رجل اسود
مخدج اليد احدى يديه كانها ثدي امراة او بضعة قد يقتلهم اولى الفريقين بالحق وفي مسند احمد رحمه عن مسروق
قال قالت لي عايشة انك من ولدي ومن احبهم الي فهل عندك علم من المخدج فقلت نعم قتله علي بن ابي طالب على نهر يقال لاعلاه

ناهرا ولا سفلة النهروان بين لخافيق وظرفا فقالت ايتني على ذلك ببينة فاقمت رجالا شهدوا عندها بذلك ثم قلت لها
سالتك بصاحب القبر ما الذي سمعت منه فيهم فقالت سمعته يقول انهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله
وسيلة فاما سبب خروج هؤلاء القوم فهو انه عليه السلام لما قهره اصحابه على التحكيم واظهر انه الرضى به بعد ان حذرهم ووعظهم فلم يلتفتوا
كتبوا كتاب التحكيم واخذه الاشعث بن قيس فطاف به على اصحاب معوية فرضوا به وطاف به على اصحاب علي فرضوا به حتى مر برايات
عنزة وكان مع علي عليه السلام منهم بصفين اربعة الاف فارس فلما قرا الكتاب عليهم قال فتيان منهم لا حكم الا لله ثم حملا على اصحاب معوية
فقتلا فهما اول من حكم ثم مر على مراد ثم على رايات بني راسب ثم على بني تميم فكل فرقة قراه عليهم قالوا لا حكم الا لله ولا نحكم الرجال
في دين الله فرجع الاشعث فاخبر عليا عليه السلام بذلك فاستصغر امرهم وظن انهم قليلون فلما بلغهم امر الحكمين ما راعه الا والناس
يتنادون من كل جانب لا حكم الا لله الحكم لله يا علي لا لك وقد كنا اخطانا حين رضينا بالحكمين فرجعنا الى الله وتبنا
فارجع انت وتب الى الله كما تبنا والا برئنا منك فابى علي عليه السلام الرجوع وقال ويحكم ابعد العهد نرجع فما نصنع بقوله تعالى واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم الاية وابت الخوارج الا تضليل التحكيم والطعن فيه فبرئوا من علي وبرئ منهم ثم كان اجتماعهم بحروراء
فسماهم عليه السلام الحرورية فناظرهم بها فرجع منهم الفان ثم مضوا الى النهروان وكان اميرهم يومئذ عبد الله بن الكوا وحين القتال عبد الله
بن وهب الراسبي فسار اليهم فخطبهم وقال نحن اهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرحمة ومعدن العلم والحكمة
ايها القوم اني نذير لكم الفصل وروي انه عليه السلام لما قتلهم طلب ذا الثدية فيهم طلبا شديدا فلم يجده فجعل يقول ما كذبت ولا
كذبت اطلبوا الرجل وانه لفي القوم فلم يزل يتطلبه حتى وجده في وهدة من الارض تحت القتلى وهو رجل مخدج اليد كان بها ثدي
في صدره وعليها شعرات كسبال الهرة فكبر علي عليه السلام وكبر الناس معه وسروا بذلك الاهضام جمع هضم وهو المطمئن من
الوادي والغايط ما سفل من الارض وطوحت بكم اي توهتكم في اموركم ورمت بكم المرامي واحتبلكم اوقعكم في الحبالة والنكر
المنكر ويروى بجرا والبجر الامر المعظم والداهية ويروى هجرا وهو الساقط من القول ويروى عرا والعر والمعرة الاثم والعر ايضا
داء ياخذ الابل في مشافرها ويستعار للداهية واعلم ان حاصل هذا الفصل تحذير للقوم من الهلاك وهم على غير بينة من ربهم
ولا حجة واضحة يحتجون بها على ما يدعونه حقا ويقاتلون عليه وذلك مما يجب الحذر منه اذ فيه حرمان سعادة الدارين
وانما سميت الحجة بنفسها سلطانا لان بها الغلبة والتسلط وهو من باب الاستعارة وقوله فقد طوحت بكم الدار
كنى بالدار عن الدنيا وانما نسب هلاكهم وابعادهم ورميهم اليها لان المهلك لهم والموجب لتيههم انما هو اتباع اهوائهم الباطلة
التي منشاها انما هو تحصيل امر دنيوي من مال او جاه ونحوه فكانت الدنيا هي التي رمت بهم المرامي عن رحمة الله واخرجتهم
عن طاعته وقوله واحتبلكم المقدار استعارة حسنة لاحاطة القدر النازل من قضاء الله بهم فهو كحبالة الصايد التي لا تخرج
للطاير منها اذا نزلت به وقوله كنت نهيتكم عن هذه الحكومة الى قوله هواكم تقرير للحجة عليهم وكانه يقول لهم ان كان الحق
هو عدم الحكومة فلم طلبتموها وابيتم على اباء المخالفين المنابذين لما نهيتكم عنها حتى صرت الى هواكم فيها وان كان الحق هو
ايقاعها فلم شاققتموني الان لما اوقعتها وجعلت لله علي بها عهدا وعلى التقديرين يلزمهم الخطا وقوله وانتم معاشر اخفاء
الهام سفهاء الاحلام الواو للحال والعامل صرفت والاضافة في اخفاء وسفهاء غير محضة ولذلك صح كونهما وصفين

لمعاش وخفة الهامة كناية عن رذيلة الطيش المقابلة لفضيلة الثبات والسفه رذيلة مقابلة للحلم والثبات والحلم
فضيلتان تحت ملكة الشجاعة ولما كانت لهاتين الفضيلتين الرذيلتين نسبة الى الفضيلتين صح اضافتهما اليهما وقوله
ولم ات لا اباكم بجرا ولا اردت بكم ضرا خرج مخرج الاعتذار اليهم واستدراجهم ببيان تحسين فعله ونفى المنكر عنه وعدم
قصد الاساءه اليهم ليرجعوا عما نسبوه اليهم وقوله لا اباكم كلمة اعتيدت فى السنة العرب قال الجوهرى يراد بها المدح وقال غيره
يراد بها الذم فان عدم اللحوق باب يستلزم العار والسبه وقيل هو دعاء على المرء ان لا يكون له اب يعزه ويشد ظهره
ونفى الاب يستلزم نفى العشيرة له فكانه دعاء بالذل وعدم الناصر والله اعلم ومن كلام له عليه السلم يجرى مجرى الخطبة فقمت
بالامر حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا ومضيت بنور الله حين وقفوا وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا فطرت
بعنانها واستبددت برهانها كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف لم يكن لاحد فى مهمز ولا للقايل فى مغمز
الذليل عندى عزيز حتى اخذ الحق له والقوى عندى ضعيف حتى اخذ الحق منه رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره اترانى
اكذب على رسول الله صلى الله عليه واله والله لانا اول من صدقه فلا اكون اول من كذب عليه فنظرت فى امرى فاذا طاعتى سبقت
بيعتى واذا الميثاق فى عنقى لغيرى اقول التعتعة الاضطراب فى الكلام عن الحصر وتطلع الامر اختباره وتعرفه والتقبع التقبض
يقال قبع القنفذ اذا قبض راسه بين كتفيه والاستبداد الانفراد والرهان ما يرهن ويستبق عليه والهمز الغيبة بالعيب
وكذلك المغمز قال بعض الشارحين هذا الفصل فيه فصول اربعة التقطها الرضى رحمه الله من كلام طويل له عليه السلم قاله بعد وقعة
النهروان ذكر فيه حاله منذ توفى رسول الله صلى الله عليه واله الى اخر وقت الفصل الاول فقمت بالامر حين فشلوا الى قوله
برهانها هذا الكلام ورد فى معرض افتخاره واثبات فضيلة على ساير الصحابة لغاية قبول رايه فقيامه بالامر حين فشلهم
اشارة الى فضيلة شجاعته اى فقمت بامر الله بين يدى رسوله وبعده فى الحروب والمقامات الصعبة التى ضعفوا عنها
والاوقات التى فشلوا فيها وامره فى ذلك ظاهر وقوله ونطقت حين تعتعوا اشارة الى ملكة الفصاحة مستتبعة
لملكة العلم اى نطقت فى القضايا المبهمة والاحكام المشكلة فى تحصيل ما ينبغى للانسان ان يحصله من تعرف الامور والاخبار
واختيارها والنظر فى مصادرها ومواردها وهى ملكة تحت الشجاعة والتطلع على الامر يحتاج الانسان فيه الى نحو من
التطاول ومد العنق وتحديق العين ونحوه وكان تعرف الامور واختيارها لا بد فيه من بعث رايد الفكر الذى هو عين النفس
التى تبصر بها وتحديقه نحو الامور المعقولة وارسال المتخيلة لتفتيش جزئيات المحسوسات اشبه ذلك التطلع فاستعير له
لفظ التطلع وكنى به عنه وقوله حين تقبعوا اى كان تعرفى للامور حين قصورهم عن ذلك ولما كان التقبع يقابل مد
العين والتطاول الى رؤية الاشياء المستتبع تطلع وكان قصور افكارهم وعدم اعتبارهم للاشياء يقابل مد الفكر
وتطاول الذهن الى معرفة الامور وكان قصور الفكر ايضا والعجز عن المعرفة يشبه التقبع استعار لهم لفظ التقبع وكنى به عنه
وقوله ومضيت بنور الله حين وقفوا اشارة الى فضيلة العلم اى كان لسلوكى لسبيل الحق على وفق العلم وهو نور الله الذى
لا يضل من اهتدى به وذلك حين وقفوا حايرين مترددين جاهلين بالقصد وكيفية سلوك الطريق وانما اثبت لنفسه
هذه الفضايل وقرن بكل فضيلة له رذيلة فيهم يقابلها ليتبين فضله بالنسبة اليهم اذ كان الغرض ذلك وقوله وكنت اخفضهم

تعتعوا
ونطقت تقبعوا

قوله صح

صوتا واعلاهم فوتا كنى بخفض الصوت عن ربط الجاش في الامور والثبات فيها والتصميم على فعل ما ينبغي من غير التفات للحوادث
والموانع عن فعل ما هو خير ومصلحة فان كثرة الاصوات وعلوها في الافعال التي هي مظنة الخوف دليل الفشل ولا شك ان من
كان اشد في ذلك كان اعلى فوتا واشد سبقا الى مراتب الكمال ودرجات السعادة ممن كان اضعف فيه وقوله فطرت
بعنانها واستبددت برهانها الضميران يعودان الى الفضيلة وان لم يجر لها ذكر لفظي فاستعار هاهنا لفظ الطيران للسبق
العقلي لما يشترك كان فيه من معنى السرعة واستعار لفظي العنان والرهان اللذين هما من متعلقات الخيل للفضيلة التي
استكملها نفسه وتشبيها لها مع فضايل نفوسهم بخيل الحلبة ووجه المشابهة ان الصحابة رضي الله عنهم لما كانوا يقتنون
ويستبقون بها الى رضوان الله وسعادات الآخرة كانت فضايلهم التي عليها يستبقون كخيل الرهان ولما كانت
فضيلته عليه السلام اكمل فضايلهم وانما كانت بالنسبة الى فضايلهم كالفرس الذي لا يشق غباره فحسن منه ان يستعير لسبقه بها
لفظ الطيران ويجري عليها لفظ العنان والرهان الفصل الثاني قوله كالجبل لا تحركه العواصف الى قوله اخذ الحق منه وهذا
الفصل يحكي فيه قيامه باعباء الخلافة حين انتهائها اليه وجريه فيها على القانون العدلي والاوامر الالهية فقوله كالجبل تشبيه
له في الثبات على الحق بالجبل فكما لا تحرك الجبل قواصف الرياح وعواصفها كذلك هو لا يحركه عن سواء السبيل مراعاة
هوى لاحد او اتباع طبع يخالف ما يقتضيه سنة الله وشرعه بل هو ثابت على القانون العدلي وموافقة الامر الالهي وقوله
لم يكن لاحد في مهمز ولا للقايل في مغمز اي لم يكن في عيب اعاب به وقد راعى في هذه القراين الاربع مع الاربع الاخيرة من
الفصل الاول السجع المتوازي وقوله الذليل عندي عزيز حتى اخذ الحق له اعزازه للذليل اعتناؤه بحاله واهتمامه بامر
ظلامته ومن اعتنى بحال انسان فقد اعزه ثم جعل لاعزازه غاية هي اخذ الحق له وكذلك قوله والقوي عندي ضعيف حتى اخذ
الحق منه فان ضعف القوي هو قهره تحت حكمه الى غاية يستوفي منه حق المظلوم فان قلت يفهم من هاتين الغايتين
ان نظره الى الذليل بعد استيفاء حقه والى القوي بعد اخذ الحق منه لا يكون على سواء بل يكون التفاته الى القوي اكثر وذلك ليس النظر
من العدل قلت انه لما لم يكن الغرض من الامر بمساوات النظر بين الخلق الا اخذ حق الضعيف من القوي وعدم التظالم بينهم
لم يجب مساواة النظر بين القوي والضعيف الا من تلك الجهة ولم يكن اعزازه للقوي واكرامه في غير وجه الظلم قبيحا لجواز انفراده
بفضيلة توجب اعزازه من جهة الدين ايضا الفصل الثالث قوله رضينا عن الله قضاه وسلمنا له امره الى قوله من يكذب
عليه قيل ذكر ذلك عليه السلام لما تفرس في طايفة من قومه انهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي صلى الله عليه وآله من اخبار الملاحم في الامور المستقبلة
وقد كان منهم من يواجهه بذلك كما روي انه لما قال سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة
الا انبأتكم بناعقها وسايقها قام اليه انس النخعي فقال اخبرني كم في لحيتي وراسي طاقة شعر فقال عليه السلام والله لقد حدثني حبيبي كل صح
ان على كل طاقة شعر من راسك ملكا يلعنك وان على كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك وان في بيتك سخلا يقتل ابن
رسول الله صلى الله عليه وآله وكان ابنه سنان بن انس قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلا يحبو وسياتي بعض تلك الاخبار فقوله رضينا
عن الله قضاه وسلمنا له امره قد عرفت ان الرضى بقضاء الله والتسليم لامره باب من ابواب الجنة يفتح لخواص اوليائه
ولما كان عليه السلام سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فكان قلم القضاء الالهي قد جرى على قوم بالتكذيب له والتهمة فيما

يقول

يقول لاجرم كان هو عليه السلام اولى الناس بلزوم باب الرضى وقوله انزاني اكذب الى قوله عليه استنكار لما صدر منهم في حقه من التكذيب وايراد حجة لبطلان اوهامهم في حقه بصورة قياس الضمير مع نتيجته وتقديره والله لانا اول من صدقه وكل من كان اول مصدق له فان يكون اول مكذب ينتج اني لا اكون اول مكذب له الفصل الرابع قوله فنظرت في امري الى اخره فيه احتمالان احدهما ذكر بعض الشارحين انه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وانه كان معهودا اليه ان لا ينازع في امر الخلافة بل ان حصل له بالرفق والا فليمسك قوله فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي اي طاعتي لرسول الله فيما امرني به من ترك القتال قد سبقت بيعتي للقوم فلا سبيل الى الامتناع منها وقوله واذا الميثاق في عنقي لغيري اي ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده الي بعدم المشاقة وقيل الميثاق ما لزمه من بيعة ابي بكر بعد ايقاعها اي فاذا ميثاق القوم قد لزمني فلم يمكنني المخالفة بعده الاحتمال الثاني ان يكون ذلك في تضجره وتبرمه من ثقل اعباء الخلافة وتكلف مداراة الناس على اختلاف اهوائهم ويكون المعنى اني نظرت فاذا طاعة الخلق لي واتفاقهم علي قد سبقت بيعتهم لي واذا ميثاقهم قد صار في عنقي فلم اجد بدا من القيام بامرهم ولم يسعني عند الله الا النهوض بامرهم ولو لم يكن كذلك لتركت كما قال من قبل اما والله لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت اخرها بكاس اولها والاول اشهر من الشارحين والله اعلم بالصواب ومن خطبة له عليه السلام

وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق فاما اولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداء الله فدعاؤهم الضلال ودليلهم العمى فما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من احبه اقول يحتمل ان يكون هذا الكلام فصلين احدهما قوله وانما سميت الى قوله ودليلهم العمى والثاني الباقي فالفصل الاول اشارة الى علة تسمية الشبهة شبهة ثم الى بيان حال الناس فيها اما الاول فالشبهة عبارة عما يشبه الحق مما يحتج به اما في صورته او في مادته او فيهما معا وظاهر ان علة تسميتها شبهة هو ذلك التشبه فلذلك حصرها فيها واما الثاني فلان الناس اما اولياء الله او اعداؤه اما اولياؤه فلما كانت نفوسهم مشرقة بنور اليقين مستضيئة بمصباح النبوة في سلوك الصراط المستقيم كان بتلك الانوار هدى اذهانهم في ظلمات الشبهات وحرزهم عن الهوى في مهاوي الجهالات كما قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الاية وهو الهدى المامور بلزوم سمته والسلوك به الى المطالب الحقة وهو المراد بقوله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداؤه فليس دعاؤهم الا ما يدعون اليه الا ضلالا عن القصد القويم واضلالا للخلق عن الطريق الحق وليس ما يعتمدونه دليلا يزعمون انهم يهدون به السبيل الا شبهة هي في نفسها عمى لابصار بصائرهم عن مطالعة نور الحق وطمس الاذهان فراستجاب لهم عن اهتداء سلوك سبيل الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور واما الفصل الثاني وهو قوله فما ينجو الى اخره فمصداق القضية الاولى قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقوله اينما تكونوا يدرككم الموت الاية وحاصله التذكير بهادم اللذات والتخويف بذكره والتنفير عن محبة ما لابد من زواله ليفرغ السامعون الى العمل لما بعده ان اخذ التوفيق بازمة عقولهم فان خوفه ومحبة ضده وهو البقاء لا ينفعان في الخلاص منه لكونه ضروريا في الطبيعة ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون الفصل الثاني قد سبق له قبل الاول كلام يحسن تعلقه به وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام

منيت بمن لا يطيع اذا امرت ولا يجيب اذا دعوت لا ابا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم اما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم اقوم فيكم مستصرخا واناديكم متغوثا فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام دعوتكم

الى نصر اخوانكم جرجرتم جرجرة الجمل الاسر وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر ثم خرج الىّ منكم جنيد متذائب ضعيف كانما يساقون الى
الموت وهم ينظرون **اقول** يروى ان هذه الخطبة خطب بها عليه السلام فى غزاة النعمن بن بشير لعين التمر والسبب ان معوية بعث النعمن
بن بشير فى الفى فارس لارهاب اهل العراق فاقبل حتى دنا من عين التمر وكان عاملها يومئذ من قبل على مالك بن كعب الارحبى ولم يكن معه اذ
ذاك سوى مائة رجل او نحوها فكتب مالك اليه يعلمه الخبر فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اخرجوا هداكم الله الى مالك بن كعب اخيكم
فان النعمن بن بشير قد نزل به فى جمع من اهل الشام ليس بالكثير فانهضوا الى اخوانكم لعل الله يقطع بكم طرفا من الكافرين ثم نزل
فتثاقلوا فارسل الى وجوههم فامرهم بالنهوض فتثاقلوا ولم يجتمع الا نفر يسير نحو ثلثمائة رجل فقام عليه السلام وقال الا انى منيت
الفصل ويروى ان الدائرة وكانت لمالك ومن معه على النعمن وجمعه منيت ابتليت وتحمشكم اى يغضبكم والمستصرخ المستجلب
بصوته من ينصره والغوث الصوت يستصرخ به وقيل هو قول الرجل واغوثاه والمتاء الرحل والجرجرة ترديد صوت البعير
فى حنجرته عند عسفه والشرد ان يأخذ البعير فى سرته يقال منه جمل اسر والنضو من الابل البالى من تعب السير والادبر الذى به دبر
وهى القروح فى ظهره وفى الفصل مطالب **الاول** قوله منيت بمن لا يطيع الى قوله دعوت ومواظبا دلعذر نفسه على اصحابه لينسب اليهم
التقصير دونه ويقع عليهم لائمة غيرهم **الثانى** قوله لا ابا لكم الى قوله مرام وهو استنهاض لهم الى نصرة الله بسؤالهم عن سبب تثاقلهم
عن نصرته والذب عن دينه سؤالا على سبيل الانكار للسبب وتنبيههم على الاسباب التى توجب اجتماعهم لنصرة الله والغضب له
بسؤالهم عنها هل هى موجودة لهم ام لا سؤالا على سبيل الانكار ايضا اذ هم يدعون وجودها لهم وهى الدين الذى امروا بلزومه
والاتحاد فيه كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الاية ثم الحمية وهى ملكة تحت الشجاعة وكذلك قوله
اقوم فيكم الى قوله امرا من الاسباب الباعثة لهم ايضا على الاجتماع فان ذكر حاله من استصراخه لهم واستغاثته بهم مع ذكر حالهم فى
مقابلة ذلك من تثاقلهم عن ندائه وعدم طاعتهم له مما ينبههم على خطائهم فيه وكذلك قوله فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام
عتاب وتوبيخ يبعث طباع العرب على التآلف فى النصرة اذ من شأنهم ثوران الطباع بمثل هذه الاقوال **وقوله** دعوتكم
الى قوله الادبر استعار لفظ الجرجرة لكثرة تملّلهم وقوة تضجرهم من ثقل ما يدعوهم اليه ولما كانت جرجرة الجمل الاسر اشد
من جرجرة غيره لاحظ شبه ما ينسب اليهم من التضجر بها وكذلك تشبيهه تثاقلهم بتثاقل النضو الادبر وذكرهم ما دعاهم اليه
من نصرة اخوانهم اعنى اصحاب مالك بن كعب المذكور وجوابهم له بالتبرم من ذلك والتثاقل ثم اردف ذلك بتصغير من خرج
منهم من الجنيد ووصفه بالاضطراب والضعف وتشبيهه بمن يساق الى الموت وهو ينظر فى تثاقله واضطرابه وضعفه عن
الحركة الى ما يساق اليه لشدة خوفه كل ذلك ذم وتوبيخ يستثير به طباعهم عما هى عليه من التثاقل عن ندائه والتقصير فى
اجابة دعائه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام فى معنى الخوارج لما سمع قولهم لا حكم الا لله قال كلمة حق يراد بها باطل**
نعم انه لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة ولا بد للناس من امير بر او فاجر يعمل فى امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر
ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفىء ويقاتل به العدو وتامن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوى حتى يستريح بر
ويستراح من فاجر وفى رواية اخرى انه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال حكم الله انتظر فيكم ثم قال اما الامرة البرة فيعمل فيها
التقى واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقى الى ان تنقطع مدته وتدركه منيته **اقول** قوله كلمة حق يراد بها باطل

اعليهم صح

وانه لا

هذه الكلمة ردّ لما انغرس في اذهان الخوارج من حقيّة دعاء اصحاب معوية الى كتاب الله كلمة حق لكن ليس مقصودهم بها كتاب الله بل غرض آخر
باطل وهو فتور الحرب عنهم وتفرق اهوائكم ونحوه مما لا يجوز ان يفعل قوله لا نعم لا حكم الا الله تصديق لقولهم لكن لما حمل عليه الكلمة في نفس
الامر لا لما اراده حقا من ظاهرها فان حصر الحكم ليس بحق على معنى انه ليس للعباد ان يحكم بغير ما نص كتاب الله عليه فان اكثر الاحكام
الفروعية غير منصوص عليها مع انها احكام الله بل تكون منتزعة بحسب الاجتهاد وسائر طرقها لمن كان اهلا لذلك ويجب على من ليس له
اهلية الاجتهاد امتثالها ولما تصور الخوارج تلك الكلمة بمعنى انه لا يصح حكم لم يوجد في كتاب الله ولا يجوز امتثاله والعمل به لا جرم قال
نعم لا حكم الا الله لكن هولاء القوم يقولون لا امرة اي لما نفوا ان يكون لغير الله حكم نص عليه فقد نفوا الامرة لان استنباط الاحكام
والنظر في وجوه المصالح من لوازم الامرة التي هي حال الامير في رعيته ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم ولما كانوا قد نفوا الامرة كذبهم
عليه السلم بقوله ولا بد للناس من امير برّ او فاجر فكان معنى الكلام في معنى شرطية متصلة هكذا اذا قالوا لا حكم الا الله كما تصوروه فقد قالوا
بنفي الامرة لكن القول بنفي الامرة باطل فالقول بنفي الحكم الا الله كما تصوروه باطل فقوله ولا بد للناس من امير في معنى استثناء نقيض
تالي المتصلة وتقريره ان الانسان خلق مجبولا بمقارنة النفس الامارة بالسوء محتاجا الى مجموع قوى في بدنه هي منابع الشر فاهواء الخلق لذلك
مختلفة وقلوبهم متفرقة فكانت طبيعة نظام احوالهم في معاشهم وبقائهم محوجة الى سلطان قاهر يأتلف برهبته الاهواء ويجتمع بهيبته
القلوب وتنكف بسطوته الايدي العادية اذ في طباع الخلق من حب المغالبة على ما اثروه والقهر لما عاندوه ما لا ينكفون عنه الا بمانع قوي
ورادع مُلي وقد افصح المتنبي عن ذلك حيث يقول ۝ لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ۝ حتى يراق على جوانبه الدم ۝ والظلم من شيم
النفوس فان تجد ۝ ذا عفة فلعلة لا يظلم ۝ وهذه العلة المانعة من الظلم بالاستقراء يرجع الى امور اربعة اما عقل زاجر او دين
حاجز او عجز مانع او سلطان رادع والسلطان القاهر ابلغها نفعا لان العقل والدين ربما كانا مغلوبين بدواعي الهوى
فتكون رهبة السلطان اقوى ردعا واعم نفعا وان كان جائرا فانه روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله ليؤيد
هذا الدين بقوم لا خلاق لهم في الآخرة وروي بالرجل الفاسق وروي عنه انه قال الامام الجائر خير من الفتنة وكل لا
خير فيه وفي بعض الشر خيار اي ان وجود الامام وان كان جائرا خير من عدمه المستلزم لوجود الفتنة ووقوع
الهرج والمرج بين الخلق اذ كان بوجوده صلاح بعض الامور على انه وان كان لا خير فيه ايضا من جهة ما هو جائر كما قال
وكل لا خير فيه الا ان هيبته ووجوده بين الخلق مما يوجب للانزجار عن اثارة الفتن فيكون ذلك خيرا وقع في الوجود
بوجوده لا يحصل مع عدمه فوجوده مطلقا واجب وذلك معنى قوله عليه السلم لا بد للناس من امير برّ او فاجر وقوله يعمل في
امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر الضمير في امرته لما عاد الى الامير وكان لفظ الامير محتملا للبرّ والفاجر كان المراد بالامرة
التي يعمل فيها المؤمن امرة الامير من حيث هو برّ وبالتي يستمتع فيها الكافر امرته من حيث هو فاجر وهذا اولى من قول بعض
الشارحين ان الضمير يعود الى الفاجر فان امرة الفاجر ليست مظنة تمكن المؤمن من عمله والمراد بعمل المؤمن في امرة البر عمله
على وفق اوامر الله ونواهيه اذ ذلك وقت يمكنه منه والمراد باستمتاع الكافر في امرة الفاجر انهماكه في اللذات الحاضرة التي
يخالف فيها اوامر الله اذ ذلك وقت تمكنه من مخالفة الدين وقوله يبلغ الله فيها الاجل اي في امرة الامير سواء كان برا او فاجرا
وفائدة هذه الكلمة تذكر العصاة ببلوغ الاجل وتخويفهم به وقوله ويجمع به الفيء الى قوله للقوي الضماير المجرورة كلها راجعة

الى الامير المطلق اذ قد تحصل الامور المذكورة كلها من وجوده كيف كان برا او فاجرا ومما يؤيد ذلك ان اكثر الخلق متفقون على
ان امراء بنى امية كانوا فجارا اعدا رجلين او ثلثة كعثمن وعمرو بن عبد العزيز وكان الفئ يجمع بهم والبلاد تفتح فى ايامهم
والثغور الاسلامية محروسة والسبل امنة والقوى ماخوذ بالضعيف ولم يضر جورهم شيئا فى تلك الامور وقوله
حتى يستريح بر ويستراح من فاجر غاية من الامور المذكورة اى غاية صدور هذه الامور ان يستريح بر بوجودها ويستراح
من تعدى الفاجر وبغيه وقيل اراد ان هذه الامور لا تزال تحصل بوجود الامير برا كان او فاجرا الى ان يستريح
بر بموته ويستراح من فاجر بموته او بعزله واما الرواية الاخرى فمعنى الكلام فيها ظاهر وبالله التوفيق ومن خطبة له
عليه السلام ان الوفاء توأم الصدق ولا اعلم جنة اوقى منه وما يغدر من علم كيف المرجع ولقد اصبحنا فى زمان اتخذ اكثر اهله
الغدر كيسا ونسبهم اهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من الله ونهيه
فيدعها رأى عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له فى الدين اقول الجنة ما استترت به من سلاح ونحوه والقلب
الحول الذى يكثر تحوله وتقلبه فى اختبار الامور وتعرف وجوهها والانتهاز المبادرة الى الامر والفرصة وقت الامكان
والحريجة التحرج وهو التحرز من الحرج والاثم واعلم ان الوفاء ملكة نفسانية تنشاء من لزوم العهد كما ينبغى والبقاء عليه
والصدق ملكة تحصل عن لزوم الاقوال المطابقة وهما فضيلتان داخلتان تحت فضيلة العفة متلازمان ولما كان
التوأم هو الولد المقارن لولد اخر فى بطن واحد اشبه الوفاء المقارن الصدق تحت العفة فاستعار لفظه ثم لما كانت
فضيلة الوفاء مقابلة برذيلة الغدر وفضيلة الصدق مقابلة برذيلة الكذب كانت رذيلة الغدر والكذب ايضا توأمين
تحت رذيلة الفجور المقابلة لفضيلة العفة قوله ولا اعلم جنة اوقى منه حكم ظاهر فان الوفاء وقاية تامة للمرء
اما فى اخرته فلاستتاره به من عذاب الله الذى هو اعظم محذور واما فى دنياه فلاستتاره به من السب والعار وما
يستلزمه عدم الوفاء من الغدر والكذب الملطخين لوجه النفس واذ علمت انه لا نسبة بين شىء مما تحتمى منه بالاسلحة وغيرها
الى ما يتوقى بالوفاء علمت انه لا جنة اوقى من الوفاء ومدائح الوفاء ومذام الغدر كثيرة قال تعالى الذين يوفون بعهد الله
ولا ينقضون الميثاق والذين يوفون بعهدهم اذا عاهدوا الاية وقال فى تمدحه بالوفاء ومن اوفى بعهده من الله وقال ومن
نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما وفى الخبر فى ذم الغدر لكل غادر لواء يعرف
به يوم القيمة وقوله وما يغدر من علم كيف المرجع اقول العلم بكيفية المرجع الى الله تعالى والاطلاع على منازل السفر اليه وعلى احوال
الاخرة التى هى المستقر صارف قوى عن ارتكاب الرذائل التى من جملتها الغدر وانما خص الغدر بنسبتها هله الى الجهل بامر
المعاد لكونه فى معرض مدح الوفاء والترغيب فيه وقوله ولقد اصبحنا فى زمان الى قوله الحيلة اقول انما اتخذ اهل الزمان
الغدر كيسا ونسبهم كثير الى حسن الحيلة لجهل الفريقين بثمرة الغدر ولعدم تمييزهم بين الغدر والكيس فانه لما كان الغدر
كثيرا ما يستلزم الدهاء والتفطن لوجه الحيلة وايقاعها بالمغدور به وكان الكيس ايضا عبارة عن الفطانة والذكاء وجودة
الرأى فى استخراج وجوه المصالح التى ينبغى كانت بينهما مشاركة فى استلزام مفهوميهما للتفطن والذكاء فى استخراج وجه
الحيلة وايقاع الاراء الا ان يفطن الغادر يستعمله فى استنباط الحيلة وان تخالفت القوانين الشرعية ووافقت

المصالح

والنار نزلت بنيه شرح من الوليد بن ابى الحديد

حسن صح

المصالح الكلية في جنب مصلحة جزئية بحصة وتفطن الكيس انما يستعمله في ايقاع راي او حيلة ينظم مصلحة العالم ويوافق القوانين
الشرعية ولدقة الفرق بينهما استعمل الغادرون غدرهم في موضع الكيس ونسبهم ايضا الجاهلون في غدرهم الى حسن حيلتهم
كما نسب ذلك الى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ونحوهما ولم يعلموا ان حيلة الغادر تخرجه الى رذيلة الفجور وانه لا حسن في
حيلة جرت الى رذيلة وقوله ما لهم قاتلهم الله قد يرى الى آخره دعا عليهم بقتال الله لهم بعد استفهام عن خوضهم في امر استفهاما
على سبيل الانكار وقد علمت ان قتال الله كناية عن عداوته والبعد عن رحمته وظاهر ان اهل الغدر بعداء عن رحمة الله ثم اردف ذلك
الدعاء بالاشارة الى انه لا فضيلة لهم فيما يفتخرون به من الذكاء في استنباط وجوه الحيلة اذ كانت غايتهم الغدر والخيانة
فان الحول القلب في الامور قد يرى وجه الحيلة عيانا الى انه يلاحظ في العمل بها مانع الله ونهيه عن ارتكابها لما يؤدي اليه من
ارتكاب الرذائل الموبقة فيتركها راي عينه اي حال ما هي مرئية له وبعد القدرة عليها خوفا من الله تعالى ثم يراها من لا يعتقد
اثما في خرم قواعد الدين فيبادر اليها حال امكانها وليس في ذلك فضيلة بل الفضل في الحقيقة لتاركها عن وازع الدين والاشارة
بالحول القلب الى نفسه فان شيمته الكريمة كانت كذلك ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس ان اخوف ما اخاف عليكم اثنان
اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الآخرة الا وان الدنيا قد ولت حذاء
فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء اصطبها صابها الا وان الآخرة قد اقبلت ولكل منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة
ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ولد سيلحق بامه يوم القيمة وان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل اقول
حذاء خفيفة مسرعة لا يتعلق احد بشيء منها بشيء والصبابة بقية الماء في الاناء والمقصود بهذا الفصل النهي عن الهوى وطول
الامل في الدنيا فانهما من اشد اسباب الهلاك فكان الجذب عنهما من اشد اسباب النجاة كما قال تعالى فاما من طغى وآثر الحيوة
الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه الآية ثم التذكير بامور الآخرة واعلم ان الهوى هو ميل النفس الامارة
بالسوء الى مقتضى طباعها من اللذات الدنيوية الى حد الخروج عن حدود الشرع واما الامل فقد سبق بيانه ولما كانت
السعادة التامة انما هي في مشاهدة حضرة الربوبية ومجاورة الملأ الاعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر وكان اتباع
النفس الامارة بالسوء في ميولها الطبيعية والانهماك في ملذاتها الفانية اشد مهلك جاذب للانسان عن قصد الحق وصاد له عن
سلوك سبيله وعن التوقي في ملكوت السموات الى حضيض جهنم كما قال سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح
مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكما قال حب الدنيا راس كل خطيئة وقال الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما
يقرب من احدهما يبعد من الاخرى لا جرم كان اخوف ما ينبغي ان يخاف من الامور المهلكة اتباع الهوى واما الامل
فمراده به اما الامل لما لا ينبغي ان يمد الامل فيه من المقتنيات الفانية وظاهر ان طول الامل فيها يكون مطابقا لاتباع
الهوى وبه يكون نسيان الآخرة لان طول توقع الامور المحبوبة الدنيوية يوجب دوام ملاحظتها مستلزم لدوام اعراض
النفس عن ملاحظة احوال الآخرة وهو مستعقب لا يمحى ما تصور في الذهن منها وذلك معنى النسيان لها وبذلك يكون الهلاك
الابدي والشقاء الاشقى ولما كان عليه هو المتولي لاصلاح حال الخلق في امور معاشهم ومعادهم كان الاهتمام بصلاحهم
منوطا بهمته العلية فلا جرم نسب الخوف عليهم الى نفسه وقوله الا وان الدنيا قد ولت الى قوله صابها اقول الدنيا بالنسبة الى

كل شخص معاد قوله وخفيفه سريعة الانجفال لم يبق منها بالقياس اليه الا اليسير واطلاق الصبابة هنا استعارة لبقيتها والقلة
وجه تشبيهها بصبابة الاناء ايضا وقوله الا وان الاخرة قد اقبلت لما نبه على ان الدنيا سريعة الانجفال اردف ذلك بالتنبيه على سرعة
لحوق الاخرة واقبالها وكل ذلك قطع للامال الفانية وردع عن اتباع الهوى ومن ابناء الصالحين اذا كان العمر في ادبار والموت الملتقى
في اقبال فما اسرع الملتقى والموت هو دهليز الاخرة وقوله ولكل منهما بنون الى قوله يوم القيمة من لطايف كلامه فاستعار لفظ
الابناء للخلق بالنسبة الى الدنيا والاخرة ولفظ الاب لهما ووجه الاستعارة ان الابن لما كان من شانه الميل الى والده اما ميلا طبيعيا
او بحسب تصور المنفعة منه وكان للخلق منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الاخرة ويميل كل منهما الى مراده مع ما يحصل من طرف الدنيا
للراغبين فيها من اللذة والسعادة اشبه كل بالنسبة الى ما رغب فيه واستفاد منه الخير الابن بالنسبة الى الاب فاستعير لفظه لذلك
للمشابهة ولما كان غرضه حث الخلق على السعي للاخرة والميل اليها والاعراض عن الدنيا قال عليه السلم فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا
من ابناء الدنيا ثم ذكر فايدة رايه عليهم ان يكونوا كذلك وهي ان كل ولد سيلحق بابيه يوم القيمة واشار بذلك الى ان ابناء
الاخرة والطالبين لها والعاملين لاجلها مقربون في الاخرة لاحقون لمراداتهم فيها ولهم فيها ما تشتهي انفسهم ولهم ما يدعون
نزلا من غفور رحيم واما ابناء الدنيا فان نفوسهم لما كانت مستغرقة في محبتها وناسية لطرف الاخرة ومعرضة عنها لاجرم كانت
يوم القيمة مغمورة في محبة الباطل مغلولة بسلاسل الهيآت البدنية والملكات الردية المتمكنة من جواهرها فهي لتعلقها
بمحبة الدنيا حيث لا تتمكن من محبوبها بمنزلة ولد لا تعلق له ولا مسكة الا بوالده ولا الف له الا هو ولا انس الا معه ثم حيل بينه
وبينه مع شدة تعلقه به وشوقه اليه واخذ الى اضيق السجان وبدل بالعز الهوان فهو في اشد وله ويتم واعظم حسرة وغم
فاما ابناء الاخرة ففي حضانة ابيهم ونعيمه قد زال عنهم بوس الغربة وشقاق اليتم وسوء الحضن فمن الواجب اذن ان تعرف
احوال الوالدين واتباع ابرهما وادومهما شفقة واعظمهما بركة وما هي الا الاخرة فليكن ذو العقل من ابناء الاخرة وليكن
برا بوالده متوصلا اليه باقوى الاسباب وامتنها وقوله وان اليوم عمل الى اخره كنى باليوم عن مدة الحيوة وبغد عما بعد الموت وراعى
المقابلة فقابل اليوم بالغد والعمل بلا عمل ولا حساب بالحساب واليوم اسم ان وعمل قام مقام الخبر استعمالا للمضاف اليه
مقام المضاف اي واليوم يوم العمل ويحتمل ان يكون اسم ان ضمير الشان واليوم عمل جملة من مبتدا وخبر هي خبرها وكذلك قوله
وغدا حساب ولا عمل وصدق هذين الخبرين للحكمين ظاهر وفايدتهما التنبيه على وقت العمل وعدمه ليبادروا الى العمل الذي
يكونون من ابناء الاخرة في وقت امكانه قبل مجيء الغد الذي هو وقت الحساب دون العمل وبالله التوفيق ومن كلام له
عليه السلام وقد اشار عليه اصحابه بالاستعداد لحرب اهل الشام بعد ارساله الى معاوية جرير بن عبد الله البجلي ان استعدادي
لحرب اهل الشام وجرير عندهم اغلاق للشام وصرف لاهله عن خير ان ارادوه ولكن قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده
الا مخدوعا او عاصيا والراي مع الاناة فارودوا ولا اكره لكم الاعداد ولقد ضربت انف هذا الامر وعينه وقلبت ظهره
وبطنه فلم ار لي الا القتال او الكفر انه قد كان على الامة وال احدث احداثا واوجد الناس مقالا فقالوا ثم نقموا فغيروا
اقول وقد كان في ظن كثير من الصحابة بعد ولاية علي عليه السلم ان معاوية لا يطيع له بامارات كثيرة ولذلك اشار عليه اصحابه بعد
ارسال جرير اليه بالاستعداد لحربه وروي ان جريرا لما اراد بعثه قال والله يا امير المؤمنين ما ادخر من نصرتك شيئا وما

اطمع

اطمع لک فی معویة فقال علیه السلم قصدی حجة اقیمها ثم کتب معدا ما بعد فان بیعتی بالمدینه لزمتک وانت بالشام لانه بایعنی القوم الذین
بایعوا ابابکر وعمر وعثمن علی ما بایعوهم علیه فلم یکن للشاهد ان یختار ولا للغایب ان یرد وانما الشوری للمهاجرین والانصار
اذا اجتمعوا علی رجل فسموه اماما کان ذلک رضا فان خرج من امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الی ما خرج منه فان ابا
قاتلوه علی اتباع غیر سبیل المؤمنین وولاه الله ما تولی ویصله جهنم وساءت مصیرا وان طلحة والزبیر بایعانی ثم نقضا بیعتی
فکان نقضهما کردتهما فجاهدتهما علی ذلک حتی جاء الحق وظهر امر الله وهم کارهون فادخل فیما دخل فیه المسلمون فان احب الی فیک
العافیة الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتک واستعنت بالله علیک وقد اکثرت فی قتلة عثمن فادخل فیما دخل فیه
الناس ثم حاکم القوم الی احملک وایاهم علی کتاب الله فاما تلک التی تریدها فخدعة الصبی عن اللبن ولعمری ان نظرت بعقلک دون
هواک لتجدنی ابرا قریش من دم عثمن واعلم انک من الطلقاء الذین لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فیهم الشوری وقد ارسلت الیک
جریر بن عبد الله وهو من اهل الایمان والهجرة فبایع ولا قوة الا بالله وربما جاء شیء من هذا الکتاب فی هذا الکتاب کتبه علیه السلم الی
معویة فاجابه معویة اما بعد فلعمری لو بایعک القوم الذین بایعوک وانت بریء من دم عثمان کنت کابی بکر وعمر وعثمان ولکنک
اغریت بعثمان وخذلت عنه الانصار فاطاعک الجاهل وقوی بک الضعیف وقد ابی اهل الشام الا قتالک حتی تدفع الیهم قتلة
عثمان فان فعلت کانت شوری بین المسلمین ولعمری ما حجتک علی کحجتک علی طلحة والزبیر لانهما بایعاک ولم ابایعک وما حجتک
علی اهل الشام کحجتک علی اهل البصرة لانهم اطاعوک ولم یطعک اهل الشام فاما شرفک فی الاسلام وقرابتک من النبی علیه السلم وموضعک
من قریش فلست ادفعه وکتب فی اخر الکتاب قصیدة کعب بن جعیل . اری الشام تکره اهل العراق . واهل العراق لهم کارهونا
وقد ذکرنا بعضها قبل ویروی ان الکتاب الذی کتبه علیه السلم مع جریر کانت صورته انی قد عزلتک ففوض الامر الی جریر والسلم وقال لجریر
صن نفسک عن خداعه فان سلم الیک الامر وتوجه الی فاقم انت بالشام فان تعلل بشیء فارجع فلما عرض جریر الکتاب علی
معویة تعلل بمشاورة اهل الشام وغیر ذلک فرجع جریر فکتب معویة فی ظهر کتاب علی من ولاک حتی تعزلنی والسلم واقول
الاستعداد التهیؤ للامر والخداع الاخذ بالحیلة والاناة الاسم من التانی والرفق واورد واهملوا ونعمت الامر بفتح
العاف انکریة فقوله ان استعدادی الی قوله ان اراده المراد ان اهل الشام فی زمان کون جریر عندهم هم فی مقام التردد
والتفکر فی ای الامرین یتبعون وان لم یکن کلهم فبعضهم کذلک فلو اعد هو للحرب فی تلک الحال لبلغهم ذلک فاحتاجوا الی الاستعداد
ایضا والمناوالناهب للقائه فکان ذلک الاستعداد سببا لغلق الشام بالکلیة وصرفا لمن یکون فی ذهنه تردد فی هذا الامر
او فی قلبه اللحوق به عما یریده وذلک مضاد للحزم وقوله لکن قد وقت الی قوله عاصیا ای قد وقت له وقتا یصل الینا فیه فلا
یتخلف عنه الا لاحد مانعین اما خداع منهم له ومواعید مخلفة بالجواب لیهیؤا امورهم فی تلک المدة واما عصیان منه ومخالفة
فان قلت حصر تخلف جریر فی هذین الموضعین المانعین غیر صحیح لجواز ان یتخلف لموت او مرض او غرض اخر قلت
انه علیه السلم لم یقصد الحصر الیقینی وانما اراد الحصر بحسب غلبة الظن الناشئ من الامارات والقراین الحالیة ثم کلامه علیه السلم لیس فی اسباب
الاضطراریة التی من قبل الله تعالی فان ذلک امر مفروغ منه لا یحسن ذکره واما الموانع الاختیاریة فاما منهم وغالب الظن هو الخداع
واما منه وغالب الظن انه العصیان اذ لا یتصور من مثل جریر وقد ارسل فی مثل هذا الامر امام ان یعدل عنه الی شغل اختیاری

لنفسه اولغيره الا ان يكون عاصيا وقوله والراى مع الاناة راى حق اجمع الحكماء على صوابه فان اصابة المطالب والظفر بها فى
الغالب انما هو مع التثبت والتانى فى الطلب وذلك ان اناة الطالب هى مظنة فكره فى الاهتداء الى تلخيص الوجه الاليق والاشمل للمصلحة
فى تحصيل مطلوبه ولذلك اكد بعض الحكماء الامر بالتانى بقوله من لم يتثبت بالامور لم يعد مصيبا وان اصاب فالغرض وان كان هو الاصابة
الا انه وان حصلت من غير التانى كان مفرطا ومن التفريط غالبا الندامة وعدم الاصابة والاصابة منه نادرة والنادر غير منتفع به
ولا ملتفت اليه وقوله فاوردوا ولا اكره لكم الاعداد لما نبههم بقوله ولا اكره لكم الاعداد على امور ثلثة احدها انه ينبغى لهم ان يكونوا على
يقظة فى هذا الامر حتى يكونوا حال الاشارة اليهم فى سبيل الاستعداد الثانى ان لا يتوهم احد منهم فيه مداخلة ضعف عن مقارعة اهل الشام
فيدخلهم بسبب ذلك فشل وضعف عزيمة الثالث ذكر الشارح ابن ابى الحديد وهو انه عليه السلام وان كان كره الاستعداد الظاهر الا ان قوله
ولا اكره لكم الاستعداد والاعداد تنبيه لهم على الاستعداد الباطن والتهيؤ فى السرور بما كان فزاد الشارح مما يتوهم تناقضا وهو
كونه قد اشار بترك الاستعداد ثم قال لاصحابه ولا اكره لكم الاعداد وقد علمت ان تركه للاستعداد فى ذلك الوقت واختياره تركه لا
ينافى تنبيههم على عدم كراهيته ليكونوا منه على يقظة كما اومانا اليه وقوله ولقد ضربت الى قوله او الكفر اقول استعار لفظ العين
والانف والظهر والبطن التى هى حقائق فى الحيوان لحاله مع معوية فى امر الخلافة وخلاف اهل الشام له استعارة على سبيل
الكناية فكنى بالعين والانف عن المهم من هذا الامر وخالصه فان العين والانف اعز ما فى الوجه وكنى بالضرب لهما عن قصده
للمهم منه على سبيل الاستعارة ايضا وكنى بلفظى الظهر والبطن لظاهر هذا الامر وباطنه ووجوه الراى فيه ولفظ التقليب لتصفح
تلك الوجوه وعرضها على العقل واحدا واحدا وقوله فلم ارالا القتال او الكفر تعيين لما اختاره بعد التقليب والتصفح لوجوه
لوجوه المصلحة فى امر مخالفيه ومقاتلهم ونبه على وجه اختياره له بقوله او الكفر اى ان احد الامرين لازم اما القتال او
الكفر وذلك انه ان لم يختر القتال لزمه تركه وتركه مستلزم للكفر لان التزام الكفر منه محال فتعين اختياره للقتال ومراده
بالكفر الكفر الحقيقى فانه صرح بمثله فيما قبل حيث يقول وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعنى النوم فما وجدتنى يسعنى
الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد عليه السلام فان قلت ما وجه الحصر فى القتال والجحود مع ان ترك القتال بدون الجحد ممكن قلت
بيانه من وجهين احدهما ما قال الشارحون ان الرسول صلى الله عليه وآله كان قد امره بقتال من خالفه لقوله امرت ان اقاتل الناكثين
والقاسطين والمارقين فلو ترك قتالهم مع ما عليه امر الاسلام من الخطر لكان قد خالف امر الرسول وظاهر ان مخالفة مثله عليه السلام
لاوامر الرسول صلعم لا يتصور الا عن عدم اعتقاد صحتها وذلك جحد به وكفر الثانى يحتمل ان يكون قد تجوز بلفظ الجحود فى التهاون
هذا الامر تعظيما له فى نفوس السامعين وهو من المجازات السائغة وقوله انه قد كان الى اخره تنبيه على وجه عذره عما نسبه
اليه معاوية وجعله سببا لعصيانه له وهو الطلب بدم عثمن وتهمته له بذلك واراد بالوالى عثمن والاحداث التى احدثها
هو ما نسب اليه من الامور التى انكروها عليه كما سنذكرها واوجد الناس مقالا اى جعل لهم بتلك الاحداث طريقا الى القول عليه
فقالوا ثم انكروا ما فعل فغيروه فازالوه فاما الاحداث المنقولة عنه فالمشهور منها بين اهل السير عشرة الاولى توليته امور
المسلمين من ليس اهلا من الفساق مراعاة للقرابة دون حرمة الاسلام كالوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر وسعيد بن العاص
حتى ظهرت عنه الامور التى اخرجه اهل الكوفة منها بسببها وعبد الله بن سرح مع قوة ظلمه وتظلم المصريين منه وهو الذى

ايمه

اتهمه المسلمون بمكاتبته بقتل محمد بن ابي بكر ونقل انهم ظفروا بالكتاب ولاجله عظم التظلم وكثر الجمع واشتد الحصار عليه الثانية ردّه الحكم بن ابي العاص الى المدينة بعد طرد رسول الله صلعم وبعد امتناع ابي بكر وعمر من ردّه فخالف سنة الرسول وسيرة الشيخين وعمل بدعواه مجردة عن البينة الثالثة انه كان يوثر اهله بالاموال العظيمة من بيت المال من غير استحقاق وذلك في صور منها انه دفع الى اربعة نفر من قريش بناته اربعمائة الف دينار ومنها انه اعطى مروان مائة الف دينار وروى خمس افريقية وذلك مخالف لسنة الرسول ومن بعده من الخلفاء الرابعة انه حمى الحمى عن المسلمين بعد تسوية الرسول بينهم في الماء والكلاء الخامسة انه اعطى من بيت مال الصدقة المقاتلة وغيرها وذلك مما لا يجوز في الدين السادسة انه ضرب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو من اكابر الصحابة وعلمائها حتى كسر بعض اضلاعه وذلك ظلم ظاهر السابعة انه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة واحرق المصاحف وابطل ما لا شك انه من القرآن المنزل وذلك مخالفة لله وللرسول ومن بعده الثامنة انه اقدم على عمار بن ياسر رحمه الله بالضرب مع انه من اشرف الصحابة ومع علمه بما قال الرسول صلعم عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي حتى اصابه الفتق ولذلك صار عمار مظاهر البعض المتظلمين منه على قتله وروى عنه انه كان يقول قتلناه كافرا التاسعة اقدامه على ابي ذر مع ثناء الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه له وقوله فيه ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء ذي لهجة اصدق من ابي ذر حتى نفاه الى الربذة العاشرة تعطيله الحد الواجب على عبد الله بن عمر بن الخطاب فانه قتل الهرمزان مسلما بمجرد تهمته انه امر ابا لؤلؤة بقتل ابيه ثم لم يقده به وقد كان علي عليه السلم يطلبه بذلك فهذه هي المطاعن المشهورة فيه وقد اجاب الناصرون لعثمن عن هذه الاحداث باجوبة غير مستحسنة وهي مذكورة في المطولات تطلب من مضانها وانما ذكرنا هذه الاحداث واوردناها مختصرة لتعلق المتن بذكرها ومن كلام له عليه السلم لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني الى معوية وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل امير المومنين عليه السلم واعتقهم فلما طالبه بالمال خاس به وهرب الى الشام فقال قبح الله مصقلة فعل فعل السادة وفر فرار العبيد فما انطق مادحه حتى اسكته ولا صدق واصفه حتى بكته ولو اقام لاخذنا ميسوره وانتظرنا بماله وفوره اقول مصقلة هذا كان عاملا لعلي عليه السلم على اردشير خره وبنو ناجية قبيلة نسبوا انفسهم الى سامة بن لوي بن غالب فدفعتهم قريش عن هذا النسب وسمتهم بني ناجية وهي امهم امراة واما سبب هربه الى الشام فهو ان الخريت احد بني ناجية كان قد شهد مع علي عليه السلم صفين ثم استهواه الشيطان فصار من الخوارج بسبب التحكيم وخرج هو واصحابه الى المداين مفارقا لعلي فوجه اليهم معقل بن قيس في الف فارس من اهل البصرة ولم يتبعهم بالعسكر بعد العسكر حتى لحقوهم بساحل فارس وكان به جماعة كثيرة من قوم الخريت وكان فيهم من اسلم عن النصرانية فلما راوا ذلك الاختلاف ارتدوا واجتمعوا عليه فزحف اليهم معقل بمن معه فقتل الخريت وجماعة منهم وسبا من كان ادرك فيهم من الرجال والنساء ونظر فيهم فمن كان مسلما اخذ بيعته وخلى سبيله واحتمل الباقين من النصارى وعيالهم معه وكانوا خمسمائة نفر حتى مروا بمصقلة فاستغاث اليه الرجال والنساء وجدوه وطلبوا منه ان يعتقهم فاقسم ليتصدقن عليهم بذلك ثم بعث الى معقل بن قيس فابتاعهم منه بخمسمائة الف درهم ثم وعده ان يحمل المال في اوقات مخصوصة فلما قدم معقل على علي عليه السلم واخبره القصة شكر سعيه وانتظر المال من يد مصقلة فابطا به فكتب اليه

من صح

بدر موفوره

باستيفا اللّه او بعد ومن عليه فلما قرأ الكتاب قدم عليه وهو بالكوفة فاقرّه اياما ثم طالبه بالمال فادّى منه مائتي الف درهم وعجز
عن الباقي وخاف فلحق بمعوية فبلغ ذلك عليا فقال الفصل ولنرجع الى المتن ومقصوده عليه السلام بيان ان قدم الدعاء على مصقلة
بيان خطائه فانه اشار الى جهة الخطاء وهي جمعه بين امرين متنافيين في العرف ومما فعل السادة ذوي المروة والحمية
حيث اشترى القوم واعتقهم مع الفرار الذي هو شيمة العبيد ثم اكد عليه السلام بمثلين احدهما ما انطق مادحه حتى اسكته ويفهم
منه معنيان احدهما ان يكون حتى بمعنى اللام اي انه لم ينطق مادحه حتى يقصد اسكاته بهربه فان اسكات المادح لا
يتصور قصده لو قصد الا بعد انطاقه وهو لم يتم فعله الذي نطق به انطاق مادحه بمدحه من الكرم والحمية والرقة ونحوها
فكانه اسكات مادحه بهربه فاردى عليه ذلك وقال انه لم ينطقه بمدحه فكيف يقصد اسكاته بهربه وان كان العاقل لا يقصد
يتصور منه قصد اسكات مادحه عن مدحه الا انه لاختياره الهروب المستلزم لاسكات المادح صار كالقاصد له فنسبت اليه
الثاني ان يكون المراد انه قد جمع بين غايتين متنافيتين انطاقه لمادحه بفداه للاسرى مع اسكاته بهربه قبل تمام انطاقه
وهو وصف له بسرعة الحاقه لفضيلته برذيلته حتى كان قصد الجمع بينهما وهذا كما يقول في وصف سرعة تفرق الاحباب عن
اجتماعهم ما اجتمعوا حتى افترقوا اي لسرعة افتراقهم كان الدهر قد جمع لهم بين الاجتماع والافتراق الثاني قوله ولا صدق واصفه
حتى بكته والمفهوم منه كالمفهوم من الذي قبله قوله ولو اقام الى اخره لما اشار الى خطائه اردفه بما يصلح جوابا لما عساه يكون
عذرا له لو اعتذر وهو توهمه التشديد عليه في امر الباقي من المال حتى كان ذلك الوهم سبب هزيمته وفي بعض الروايات ولو اقام
لاخذنا منه ما قدر عليه فان اعسر انظرناه فان عجز لم ناخذه بشيء والاول هو المشهور وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام
الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مايوس من مغفرته ولا مستنكف عن عبادته الذي لا تبرح منه رحمة ولا تفقد له نعمة
والدنيا دار مني لها الفناء ولاهلها منها الجلاء وهي حلوة خضرة وقد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر فارتحلوا عنها
منها باحسن ما بحضرتكم من الزاد ولا تسالوا فيها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ اقول هذا الفصل ملتقط
من خطبة طويلة له عليه السلام خطب بها يوم الفطر وهو غير متسق بل بين قوله نعمة وقوله والدنيا فصل طويل وهذه الخطبة
تنتظم الفصل المتقدم وهو قوله اما بعد فان الدنيا قد ادبرت فيها بعد هذا الفصل ولم نذكرها كراهة التطويل ولنعد
الى الشرح فنقول القنوط الياس والاستنكاف ومنى لها اي قدر والجلا بالفتح والمد الخروج عن الوطن والتبست امتزجت والكفاف
ما كف عن الناس اي اغنى عنهم من المال والبلاغ ما بلغ مدة الحياة منه وكفى واعلم انه نبه على استحقاق الله تعالى الحمد ودوامه باعتبار
ملاحظة ستة احوال فاشار الى الحالة الاولى بقوله غير مقنوط من رحمته مقررا لقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء ولقوله لا تيأسوا من
روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومن الحال مما يشهد باثباتها العقل اذ كان العبد عند اخذ العناية الالهية
بضبعيه يعلم استناد جميع الموجودات كليها وجزئيها الى مدبر حكيم وانه ليس شيء منها خاليا عن حكمه فيستلزم ذلك ان ايجاده
له لو اخذ العهد عليه بالعبادة ليس الا لينجذب الى موطنه الاصلي ومبدائه الاول بالتوحيد والتحقيق والحمد المطلق عن نار اججت
وجحيم سعرت وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلا ييأس من روح الله عند نزول امر واجب النزول به مما يعده شرا ابصار صح
بل يكون برجائه اوثق وقلبه بشمول العناية له اعلق فانه لا ييأس من روح الله الا الذين عميت بصائرهم عن اسرار الله فهم في

طغيانهم

طغيانهم يعمهون واولئك هم الخاسرون واشار الى الحالة الثانية بقوله ولا يخلو عن نعمة تقريرا لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فسموع نعمه دايم
لاثار قدرته التي استلزمت طبايعها الحاجة اليه فوجب لها فيض جوده فاستلزم ذلك وجوب تصريحها بلسان حالها ومقالها بالثناء المطلق
عليه ودوام الشكر له وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم واشار الى الحالة الثالثة بقوله ولا مايوس من مغفرته تقريرا لقوله يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية وهي شهادة بشمول سعة وجميل عفوه لمن جذبت بعقله ايدي شياطينه لتحطه الى مهاوي الهلاك
فنجى عن مقاومتها بعد ان كانت له مسكة بجناب الله فضعفت تلك المسكة عن ان تكون منجاة له حال مجاذبته لهواه وان كان ذلك الغفران متفاوتا بحسب قوة
تلك المسكة وضعفها والعمل بما يؤيد ذلك ويحكم بصحة هذه الشهادة فان كل ذي علاقة بجناب الله سيخلص من العقاب وان بعد خلاصه على ما نطق به
البرهان في موضعه وذلك يستلزم الاعتراف بالاحسان ودوام الثناء والحمد ثم اشار الى الرابعة بقوله ولا مستنكف عن عبادته تقريرا لقوله تعالى لا
يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الاية وكونه تعالى غير مستنكف عن عبادته شاهد عظيم
على كمال عظمته وانه المستحق للعبادة دون ما عداه اذ هو المستجمع للكمال المطلق فلا جهة نقصان فيه اليها يشار فيكون سببا للاستنكاف والاستكبار عن
مع مجال الاسلوب الثلثة بعدها منصوبات على الحال وقوله الذي لا تبرح له رحمة ولا يفقد له نعمة اعتبار ان اخران يستلزمان في ملاحظتها وجوب شكره تعالى
وتنبيه بقوله لا تبرح على دوام رحمة الله للعباد وقوله لا يفقد له نعمة كقوله ولا يخلو عن نعمة ثم اعقب ذلك بالتنبيه على معايب الدنيا للتنفير عنها فذكر وجوب الفناء
لها ثم حذر بذكر العيب الاكبر لها الذي يرغب مع ذكره وملاحظته من له ادنى بصيرة عن الركون اليها ومحبته وهو مفارقتها الواجبة والجلاء عنها ثم اردف ذلك بذكر
جهتين من جهات الميل اليها من باب اطلاق لفظ الجزء على الكل وارادة لهذين الوصفين اللذين هما وصفا مدح في معرض ذمها كتقدير اعتراض على ذمها والغرض
ان يجيب عنه وهذا اعقب ذكرهما بما يصلح جوابا وبينه على ما يصرف عن الميل اليها من هاتين الجهتين وهو كونها معجلة للطالب اذ كان من شان المعجل ان
ينتفع به حال تعجيله دون ما بعده خصوصا في حق واجد ذلك المعجل ولم يلتفت الى ما سواه والدنيا كذلك كما اشار اليه بقوله والتبست بقلب الناظر وانما
خص الناظر لتقدم ذكر الخضرة التي هي من حظ النظر فمن عجلت له منحة والتبست بقلبه وكان لا بد له من مفارقتهما لم ينتفع بما بعدها بل بقي في عذاب الفراق
منكوسا وفي ظلمة الوحشة محبوسا واليه اشار التنزيل الالهي من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما
مدحورا ثم امر بالمبادرة على معاينها امر بالارتحال عنها وبامره مطلقا بل لا مع من استصحاب احسن الازواد اذ كانت الطريق المامور بسلوكها في غاية
الوعادة مع طولها وقصر المدة التي يتخذ الزاد فيها فلا ينفع اذن الا الزاد الاقوى الابقى الذي لا يتطرق اليه فناء ولا تتهمن اعدك الله لا فاضة حمد من
هذا الارتحال الارتحال الحسي الحاصل لكم من بعضها الى بعض ولا من الزاد الماكول الحيواني فان احسن ما يحضرنا منه ربما كان منهيا عنه بل المامور به
ارتحال اخر يتبينه من تصور طريق الاخرة فانك لما علمت ان الغاية من التكاليف البشرية هي الوصول الى حضرة الله ومشاهدة جلال كبريائه علمت من ذلك ان الطريق
الى هذا المطلوب هي اثار جوده وشواهد الايه وان القاطع لمراحل تلك الطريق ومنازلها هو قدم عقلك متقدما باعلامها الواضحة كلما نزل منها
منزلا اعدته المعرفة به لاستلاحة اعلام منزل اخر اعلى واكرم منه كما قال تعالى لتركبن طبقا عن طبق الى ان يستقر في مقعد صدق عند مليك مقتدر واذا تصورت
معنى الارتحال وسفر زاده علمت ان اكرم الزاد واحسنه في هذه الطريق ليس الا التقوى والاعمال الصالحة التي هي غذاء للعقول ومادة حيوتها واليه الاشارة
بقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واشار بقوله ما يحضركم الى ما يمكننا ان ناتي به من الاعمال الصالحة في حيوتنا الدنيا ثم عقب باتخاذ الزاد بالنهي
عن طلب الزيادة على ما تقوم به صورة البدن من متاع الدنيا اذ كان البدن بمنزلة مركوب تقطع به النفس مراحل طريقها فالزيادة على المحتاج
اليه مما يحوج الراكب الى الاهتمام به والعناية بحفظه المستلزم لمحبته وكل ذلك مثقل للظهر ومشغل عن الجهة المقصودة وذلك معنى قوله ولا تسالوا منها فوق

الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ ولا تمدن اعينكم فيها الى ما متع المترفون به فتقصروا في الرحيل وتشتغلوا ابطالا مثل ما شاهدتم وبالله التوفيق ومن كلام
له عليه السلام عند عزمه على المسير الى الشام اللهم انى اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في النفس والاهل والمال والولد اللهم انت الصاحب
في السفر وانت الخليفة في الاهل ولا يجمعهما غيرك لان المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا قال السيد رضه وابتداء هذا الكلام مروى
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قفاه امير المؤمنين عليه السلام بابلغ كلام وتممه باحسن تمام من قوله ولا يجمعهما غيرك الى آخر الفصل اقول روى انه عليه السلام دعا بهذا
الدعاء عند وضعه رجله في الركاب متوجها الى حرب معوية ووعثاء السفر مشقته واصله المكان المتعب لكثرة رمله وغوص الارجل فيه والكآبة الحزن
ويشتمل هذا الفصل على اللجأ الى الله في خلاص طريقه المتوجه فيها بدءا وعودا من الموانع الصارفة عن تمام المقصود وفي سلامة الاحوال المهمة التي تتعلق
النفس بها عن المشغلات البدنية المعوقة عن عبادة الله واعظمها احوال النفس ثم ما يصحبها من اهل ومال وولد ثم عقب ذلك بالاقرار بشمول عنايته
وجميل رعايته وصحبته تقريرا لقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ كان شان الصاحب العناية بامور صاحبه وشان الخليفة على الشيء العناية بذلك
وحفظه مما يوجب له ضررا واستلزم جمعه له بين هذين الحكمين وهما الخلافة والاستصحاب مستخلفا في حال واحد واكد ذلك وبينه بقوله لان المستخلف
لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا فان قلت هذا الحصر انما يتم لو قلنا ان كل ما ليس بذي جهة فهو واجب الوجود وهذا مذهب خاص فما وجه صحته
مطلقا قلت الحصر صادق على كل تقدير بثبوت امور مجردة عن الجسمية والجهة سوى الحق سبحانه فالمستحق للجمع بين هذين الامرين بالذات والاولى هو الله تعالى
وما سواه فبالعرض فيحمل الحصر على ذلك الاستحقاق ولنبحث عن فائدة الدعاء وسبب اجابته فانه ربما يوجد لبعض الاذهان شبهة فنقول اما ان يكون المطلوب
بالدعاء معلوم الوقوع لله او معلوم اللاوقوع وعلى التقديرين لا فائدة في الدعاء لان ما علم الله وقوعه وجب وما علم عدمه امتنع فنقول في الجواب عن هذا
الوهم ان كل كائن فاسد فوقوعه في كونه وفساده على شرائط توجد واسباب تفقد لاحدهما لا يمكن بدونها كما علمت ذلك في مظانه واذا جاز ذلك فلعل
الدعاء من شرائط ما يطلب به وهما وان كانا معلومي الوقوع لله بسببهما وعلتهما الاولى فانه هو الذي ربط احدهما بالاخر فجعل سبب وجود ذلك الشيء الدعاء
كما جعل سبب صحة المريض شرب الدواء وما لم يشرب الدواء لم يصح واما سبب اجابته فقال العلماء هو توافي الاسباب وهو ان يتوافى سبب دعاء رجل مثلا فيما
يدعو فيه وسائر اسباب وجود ذلك الشيء معا عن الباري تعالى لحكمة الهية على ما قدر وقضا ثم الدعاء واجب وتوقع الاجابة واجب فان انبعاثنا للدعاء
سببه من هناك ويصير دعاؤنا سببا للاجابة وموافقا للدعاء لحدوث الامر المدعو لاجله هما معلولا علة واحدة وقد يكون احدهما بواسطة
الاخر وقد يتوهم ان السماويات تنفعل عن الارضية وانا ندعو فيستجاب لنا وذلك باطل لان المعلول لا ينفعل في علته البتة واذا لم يستجب الدعاء
لداع وان كان يرى ان الغاية التي يدعو لاجلها نافعة فالسبب في عدم الاجابة ان الغاية النافعة ربما لا تكون نافعة بحسب مراده بل
بحسب نظام الكل فلذلك تتاخر اجابة دعائه او لا يستجاب له وبالجملة يكون عدم الاجابة لفوات شرط من شروط ذلك المطلوب حال الدعاء
واعلم ان النفس الزكية عند الدعاء قد يفيض عليها من الاول قوة تصير بها مؤثرة في العناصر فتطاوعها متصرفة على ارادتها فيكون ذلك
اجابة للدعاء فان العناصر موضوعة لفعل النفس فيها واعتبار ذلك في ابداننا فانا ربما تخيلنا فتتغير ابداننا بحسب ما يقتضيه احوال
نفوسنا وتخيلاتها وقد يمكن ان تؤثر النفس في غير بدنها كما تؤثر في بدنها وقد تؤثر في نفس غيرها وقد اشرنا الى ذلك في المقدمات
وقد يستجيب الله لتلك النفس اذا دعت فيما تدعو فيه اذا كانت الغاية التي تطلبها بالدعاء نافعة بحسب نظام الكل وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة كانى بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي تعركين بالنوازل وتركبين بالزلازل فانى لاعلم انه ما
اراد بك جبار سوءا الا ابتلاه الله بشاغل او رماه بقاتل اقول عكاظ بالضم اسم موضع بناحية مكة كانت العرب تجتمع به في كل سنة ويقيمون

بها سوقا

به سوقا مدة شهر ويتبايعون ويتناشدون الاشعار ويتفاخرون وفي ذلك قول ابي ذويب اذا بني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الالوف
فلما جاء الاسلام رفع ذلك واديم عكاظي منسوب اليها لكثرة ما كان يباع بها والاديم واحد وجمعه ادم وربما جمع على آدمة كرغيف وارغفة والعرك
الدلك والنوازل المصايب والخطاب هيهنا لشاهد حال المدينة التي هي الكوفة وبك هو خبر كان وتمدين وتعركين وتركبين في موضع النصب على الحال وتقرير
الخطاب كاني حاضر بك وشاهد لحالك المستقبلة حال تجاذب ايدي الظالمين لاهلك بانواع الظلم وهو المكنى عنه بمدها وشبه ذلك بمد
الاديم ووجه الشبه شدة ما يقع بهم من الظلم والبلاء كما ان الاديم مستحكم الدباغ يكون شديد المد والعرك واستعار لفظ المد والعرك
ملاحظة لذلك الشبه ولفظ الركوب ملاحظة لشبهها بشيء المطايا وكذلك لفظ الزلازل ملاحظة لشبهها فيما يقع لهم من الظلم الموجب
لاضطراب الحال بالارض ذات الزلازل ثم اشار الى مشاهدة ثانية لما يقع لمن اراد بهم سوءا واوقع بهم ما اوقع من البلاء فاشار الى كونهم
جبابرة ثم الى ابتلاء الله بعضهم بشاغل في نفسه عما يريد بهم من سوء او يهم به من حادث حوادث ورمي بعضهم بقاتل فاما المصايب التي
ابتلي بها اهل الكوفة والنوازل التي عركوا بها فكثيرة مشهورة في كتب التواريخ واما الجبابرة الذين ارادوا بها سوءا وطغوا فيها
فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب واخذهم بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فجماعة فمن ابتلي بشاغل فيها زياد وروي
انه كان قد جمع الناس في المسجد ليامرهم بسب علي عليه السلام والبراءة منه ويقتل من يعصيه فيه فبيناهم مجتمعين اذ خرج حاجبه فامرهم
بالانصراف وقال ان الامير مشغول عنكم وكان في تلك الساعة قد رمي بالفالج ومنهم ابنه عبيد الله وقد اصابه الجذام ومنهم الحجاج وقد
تولدت في بطنه الحيات واحترق دبره حتى هلك ومنهم عمر بن هبيرة وابنه يوسف وقد اصابهما البرص ومنهم خالد القسري وقد ضرب
وحبس حتى مات جوعا واما الذين رماهم الله بقاتل فعبيد الله بن زياد ومصعب ابن الزبير والمختار بن ابي عبيدة الثقفي ويزيد بن
المهلب واحوالهم مشهورة من راجعها طالع التاريخ ومن خطبة له عليه السلام عند المسير الى الشام الحمد لله كلما وقب ليل وغسق
والحمد لله كلما لاح نجم وخفق ~~الحمد لله كلما لاح نجم~~ والحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافا الافضال اما بعد فقد بعثت
مقدمتي وامرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى يأتيهم امري وقد رايت ان اقطع هذه النطفة الى شرذمة منكم موطنين
اكناف دجلة فانهضهم معكم الى عدوكم واجعلهم من امداد القوة لكم قال السيد رضي يعني عليه السلام بالملطاط هيهنا السمت
الذي امرهم بلزومه وهو شاطي الفرات ويقال ذلك ايضا لشاطي البحر واصله ما استوى من الارض ويعني بالنطفة ماء الفرات
وهو من غريب العبارات وعجيبها اقول روي ان هذه الخطبة خطب بها عليه السلام وهو بالنخيلة من الكوفة متوجها الى صفين
لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلثين ووقب الليل دخل وغسق اظلم وخفق النجم غاب ومقدمة الجيش اوله والشرذمة
النفر اليسير والاكناف النواحي ووطن البقعة واستوطنها اتخذها وطنا والامداد جمع مدد وهو ما يمد به الجيش من الجند واعلم انه قد
حمد الله باعتبار تكرر وقتين ودوام حالين والمقصود وان كان دوام الحمد لله الا ان في التقييد في القيود المذكورة فوايد فالاول قوله
كلما وقب ليل وغسق فيه تنبيه على كمال قدرة الله في تعاقب الليل والنهار واستحقاقه دوام الحمد بما يلزم ذلك من ضروب الامتنان والثاني قوله
كلما لاح نجم وخفق وفيه تنبيه على ما يلزم طلوع الكواكب وغروبها من الحكمة وكمال النعمة كما سبقت الاشارة اليه الثالث الحمد له حال كونه
غير مفقود الانعام وقد تكررت الاشارة الى فايدة هذا القيد الرابع كونه غير مكافا الافضال وفايدته التنبيه على ان افضاله
لا يمكن ان تقابل بجزاء اذا كانت القدرة على الحمد والثناء نعمة ثانية وقد سبق بيان ذلك ايضا فاما قوله اما بعد الى آخره فخلاصته

وبتسليمهم صح

بدل موطنين

انه عليه السلام لما اراد التوجه الى صفين بعث زياد بن النضر وشريح بن هانى فى اثنى عشر الف فارس مقدمة له وامرهم ان يلزموا شاطى
الفرات فاخذوا شاطيها من قبل البر مما يلى الكوفة حتى بلغوا عانات فذلك معنى امره لهم بلزوم الملطاط وهو سمت شاطى الفرات
واما هو عليه السلام فلما خرج من الكوفة انتهى الى المداين فحذرهم ووعظهم ثم سار عنهم وخلف عليهم عدى بن حاتم فاستخلص منهم ثمانماية
رجل فسار بهم وخلف معهم ابنه زيدا فلحقه فى اربعماية رجل منهم فذلك قوله وقد رايت ان اقطع هذه النطفة اى الفرات الى
شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة وهم اهل المداين فاما المقدمة فانه لما بلغهم انه عليه السلام سار على طريق الجزيرة وان معوية خرج فى
جموعه لاستقباله كرهوا ان يلقوهم وبينهم وبين على عليه السلام الفرات مع قلة عددهم فرجعوا حتى عبروا الفرات من هيت ولحقوا
به فصوب اراءهم فى الرجوع اليه وباقى الكلام ظاهر ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذى بطن خفيات الامور ودلت عليه
اعلام الظهور وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تنكره ولا قلب من اثبته يبصره سبق فى العلو فلا شىء اعلى منه
وقرب فى الدنو فلا شىء اقرب منه فلا استعلاؤه باعده عن شىء من خلقه ولا قربه ساواهم فى المكان به لم يطلع العقول
على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته فهو الذى تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذى الجحود تعالى الله عما يقول المشبهون
به والجاحدون له علوا كبيرا اقول بطنت الوادى دخلته وبطنت الامر علمت باطنه وفى هذا الفصل مباحث جليلة
من العلم الالهى وجملة من صفات الربوبية اولها كونه تعالى بطن خفيات الامور ويفهم منه معنيان احدهما كونه داخلا فى جملة الامور
الخفية اخفى من ظواهرها كان المفهوم من كونه بطنها انه اخفى منها عند العقول الثانى ان يكون المعنى انه نفذ علمه فى بواطن خفيات
الامور اما المعنى الاول فبرهانه انك علمت ان الادراك اما حسى واما عقلى ولما كان البارى تعالى مقدسا عن الجسمية منزها عن الوضع
والجهة استحال ان يدركه شىء من الحواس الظاهرة والباطنة ولما كانت ذاته بريئة عن انحاء التركيب استحال ان يكون للعقل اطلاع عليها
بالكنه فخفاؤه اذن على جميع الادراكات ظاهر وكونه اخفى الامور الخفية واضح واما الثانى فقد سبق منا بيان انه عالم الخفيات والسراير
وثانيها كونه تعالى قد دلت عليه اعلام الظهور وكنى باعلام الظهور عن اياته واثاره فى العالم الدالة على وجوده الظاهرة فى كل صورة
منها كما قال وفى كل شىء له اية تدل على انه واحد وهى كناية بالمستعار ووجه المشابهة ما بينهما من الاشتراك فى الهداية
والى هذه الاعلام الاشارة بقوله تعالى سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق واعلم ان هذه الطريق من الاستدلال هى
طريق المليين وساير فرق المتكلمين فانهم يستدلون اولا على حدوث الاجسام والاعراض ثم يستدلون بحدوثها وتغيراتها
على وجود الخالق ثم بالنظر فى احوال المخلوقات على صفاته واحدة مثلا وباحكامها واتقانها على كون فاعلها عالما حكيما وتخصيص
بعضها بامر ليس للاخر على كونه مريدا ونحو ذلك وكذلك الحكماء الطبيعيون يستدلون ايضا بوجود الحركة على محرك وبامتناع اتصال
المتحركات لا الى اول على وجود محرك وبامتناع اتصال المحركات لا الى اول على وجود محرك اول غير متحرك ثم يستدلون من
ذلك على وجود مبدا اول واما الالهيون فلهم فى الاستدلال طريق اخر وهى انهم ينظرون اولا فى مطلق الوجود اهو واجب او
ممكن ويستدلون من ذلك على اثبات واجب ثم بالنظر فى لوازم الوجوب من الوحدة الحقيقية على نفى الكثرة بوجه ما المستلزم
لعدم الجسمية والعرضية والجهة وغيرها ثم يستدلون بصفاته على كيفية صدور افعاله عنه واحدا بعد اخر وظاهر ان هذه
الطريق اجل واشرف من الطريق الاولى وذلك لان الاستدلال بالعلة على المعلول اولى البراهين باعطاء اليقين لكون العلم

بالعلة

بالعلة المعينة مستلزم للعلم بالمعلول المعين من غير عكس ولما كان صدر الآية المذكورة اشارة الى الطريق الاول فتمامها اشارة الى هذه
الطريقة وهو قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد وقال بعض العلماء وهذه طريق الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه اى
يستدلون بوجوده على وجود كل شئ اذ هو منه ولا يستدلون عليه بوجود شئ بل هو اظهر وجودا من كل شئ فان خفي مع ظهوره
وظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره اذ كل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فلها عدة السنة تشهد بوجوده وبالحاجة
الى تدبيره وقدرته لا يخالف شئ من الموجودات شيئا فى تلك الشهادات ولا يختص احدها بعدم الحاجات وقد ضرب العلماء الشمس مثلا
لنوره فى شدة ظهوره فقالوا ان اظهر الادراكات الحواس واظهرها ادراك البصر واظهر مدرك للبصر نور الشمس المشرق على الاجسام
وقد اشكل ذلك على جماعة حتى قالوا الاشياء الملونة ليس فيها الا الوانها فقط من سواد ونحوه فاما ان فيها مع ذلك ضوءا يقارن اللون
فلا فاذا اريد تنبيه هؤلاء على سهوهم فطريقه التنبيه بالتفرقة التى يجدونها بين غيبة الشمس بالليل واحتجابها عن الملونات وبين
حضورها بالنهار واشراقها عليها مع بقاء الالوان فى الحالين فان التفرقة بين المستضئ بها وبين المظلم المحجوب عنها جلية ظاهرة
فيعرف وجود النور اذن بعدمه ولو فرضت الشمس دائمة الاشراق على الجسم الملون لا يغيب عنه لتعذر على هؤلاء ان يعرفوا النور شيئا
موجودا زائدا على الالوان مع انه اظهر الاشياء وبه ظهورها ولو تصور انه تعالى وتقدس عدم او غيبة لانهدمت السموات والارض
وكل ما انقطع نوره عنه ولادركه التفرقة بين الحالين وعلم وجوده قطعا ولكن لما كانت الاشياء كلها فى الشهادة به متفقة
والاحوال كلها على نسق ومطردة ومتسقة كان ذلك سببا لخفائه فسبحان من احتجب على الخلق بنوره وخفي عليهم بشدة ظهوره وثالثها
اشارة الى اسلوب يوجب ملاحظة تركيبها تعظيمه تعالى احدها كونه ممتنعا على عين البصر اى لا يصح ان يدرك بحاسة البصر وصدق
هذا السلب ظاهر بدليل هكذا البارى تعالى هو غير جسم وغير ذى وضع وكل ما كان كذلك فيمتنع رؤيته بحاسة البصر فينتج انه تعالى ممتنع
الرؤية بحاسة والمقدمة الاولى اسست كلية والثانية ضرورية وربما يدل عليها والمسألة مستقصاة فى الكلام والى ذلك اشار القرآن
الكريم لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وثانيها قوله فلا عين من لم تره تنكره اى انه سبحانه مع كون البصر لا يدركه بحاسة
بصره ولا ينكره من جهة انه لا يبصره اذ كانت فطرته شاهدة بظهور وجوده فى جميع اثاره ومع ذلك ليس له سبيل الى انكاره
من جهة عدم ابصاره اذ كان حظ العين ان يدرك بها ما صح ادراكه فاما ان يبقى لها ما لا يدرك من جهتها فلا وثالثها قوله ولا قلب من
اثبته ببصره اى من اثبته مع كونه مثبتا له بقلبه لا يبصره وانما اكد عليه السلام بهذين السلبين الاخيرين لانهما يشملان عند العدم
فى مبدا سماعهما على منافاة وكذبه الى ان يقهره العقل على التصديق بهما فكان الوهم يقول فى جواب قوله فلا عين من لم تره ينكره
كيف لا تنكر العين شيئا لا تراه وفى جواب الثانى كيف يثبت القلب ما لم يبصر فلما كان فى صدق هذين السلبين ازعاج لاوهام
السامعين منزع لهم الى ملاحظة جلال الله وعظمته وتنزيهه عما لا يجوز عليه كان ذكرهما من احسن الذكر ويحتمل ان يريد بقوله
فلا قلب من اثبته ببصره اى انه وان اثبته من جهة وجوده ويستحيل ان يحيط به علما ورابعها كونه تعالى قد سبق فى العلو فلا شئ
اعلى منه وتقريره ان العلو يقال بالاشتراك على معان ثلثة الاول الحسى المكانى كارتفاع بعض الاجسام على بعض الثانى العلو التخيلى
كما يقال للملك الانسانى انه اعلى الناس اى اعلاهم فى الرتبة المتخيلة كما لا الثالث العلو العقلى كما يقال فى بعض الكمالات العقلية التى
بعضها اعلى من بعض وكما يقال السبب اعلى من المسبب اذا عرفت ذلك فنقول يستحيل ان يكون علوه تعالى بالمعنى الاول لاستحالة كونه فى

السلب صح

المكان ويستحيل ان يكون بالمعنى الثالث لتنزهه سبحانه عن الكمالات الخيالية يصدق بها العلو الخيالي اذ هي كمالات اضافية تتغير وتتبدل بحسب الاشخاص
والاوقات وقد تكون كمالات عند بعض الناس ونقصانات عند آخرين كدول الدنيا بالنسبة الى العالم الزاهد ويتطرق اليه الزيادة
والنقصان ولا شيء من كمال الاول الواجب سبحانه كذلك لتنزهه عن النقصان والتغير بوجه ما فتعين ان يكون علوه علوا عقليا مطلقا
بمعنى انه لا رتبة فوق رتبته بل جميع المراتب العقلية منحطة عنه وبيان ذلك ان اعلى مراتب الكمال العقلي هو مرتبة العلية ولما كانت ذاته المقدسة
هي مبدأ كل موجود حسي وعقلي وعلته التامة المطلقة لا يتصور النقصان فيها بوجه ما لا جرم كانت مرتبته اعلى المراتب العقلية مطلقا
وله الفوق المطلق في الوجود العاري عن الاضافة الى شيء وعن امكان ان يكون فوقه ما هو اعلى منه وذلك قوله سبق في العلو فلا شيء اعلى منه
فسبقه في علوه تفرده في العلو المطلق وفواته لغيره ان يلحقه فيه وخامسها وقرب في الدنو فلا شيء ادنى منه وقد اورد عليه القرب ههنا مقابلا
للبعد اللازم عن السبق في العلو فانه مستلزم للبعد عن الغير فيه واورد الدنو مقابلا للعلو وكما علمت ان العلو يقال على المعاني الثلثة
المذكورة بحسب الاشتراك فكذلك الدنو يقال على معاني ثلثة مقابلة لها فيقال مكان فلان ادنى من مكان فلان اذا كان اسفل
منه وان كان يقال بمعنى القرب ايضا ويقال رتبة الملك الفلاني ادنى من رتبة السلطان الفلاني اذا كان في رتبة اقل منه ويقال رتبة المعلول
ادنى من رتبة علته ويقال على معنى رابع فيقال فلان ادنى الى فلان واقرب اليه اذا اختص به مطلعا على احواله اكثر من غيره والباري
تعالى منزه عن ان يراد بدنوه احد المفهومات الثلثة الاولى بل المراد هو المفهوم الرابع فقربه في دنوه اذن بحسب علمه الذي لا يعزب عنه مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وبهذا الاعتبار هو اقرب كل قريب وادنى كل دان كما قال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وهو ادنى
اليه العبد من نفسه اذ نفس كل انسان لا يعرف نفسها وهو سبحانه العالم بها الموجد لها فهو اذن القريب في دنوه الذي لا شيء اقرب منه وانما اورده بلفظ الدنو — النفوس صح
ليحصل المقابلة فتنبه السليمة عند انكار الوهم لاجتماع القرب والبعد والعلو والدنو في شيء واحد الى ان يفهم المقاصد بها ويطلع على عظمة
الحق سبحانه منها قوله فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به تأكيد لرد الاحكام الوهمية بالاحكام العقلية
فان الوهم يحكم بان ما استعلى على الاشياء كان بعده عنها بقدر علوه عليها وما قرب منها فقد ساواها في امكنتها وذلك لكونه مقصور
الحكم على المحسوسات ونحن لما بينا ان علوه على خلقه وقربه منهم ليس علوا وقربا مكانيين بل بمعاني اخرى لا جرم لم يكن استعلاؤه بذلك
المعنى على مخلوقاته مباعدا له عن شيء منها ولم يكن منافيا لقربه بالمعنى الذي ذكرناه بل كان الاستعلاء والقرب مجتمعين له ولم يكن قربه منها ايضا
موجبا لمساواته لها في المكان عنادا للوهم ورد الاحكام الفاسدة في صفات الجلال ونعوت الكمال وسادسها كونه لم يطلع العقول على تحديد
صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته وبيان صفته معنيان احدهما شرح حقيقة ذاته والثاني شرح ما له من صفات الكمال المطلق وظاهر ان
العقول لم تطلع على حصر صفته وتحديدها بالمعنى الاول اذ لا حد لحقيقته ولا بالمعنى الثاني ايضا اذ ليس لما يعتبره العقول من كماله سبحانه نهاية
يقف عندها فيكون حدا له واما انه سبحانه مع ذلك لم يحجبها عن واجب معرفته فلانه تعالى وهب لكل نفس قسطا من معرفته هو الواجب لها
بحسب استعدادها القبول له حتى نفوس الجاحدين له فانها ايضا معترفة بوجوده لشهادة اعلام الوجود وايات الصانع الصنع
له على نفس كل جاحد بصدورها عنه بحيث يحكم صريح عقلها وبديهتها بالحاجة لما يشاهده من تلك الايات الى صانع حكيم فهو الذي
يشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب كل من جحده لسانا هو رأي ابدع فيه وهمه ومع اقرار قلبه بالتصديق به وشهادة ايات الصنع
وشواهد الاثار على صحة اقراره واعلم ان الجحود على نوعين احدهما جحود تشبيه اذ المشبهون لله بخلقه وان اختلفوا في كيفية التشبيه

بارهم

باسرهم جاحدون له في الحقيقة وذلك ان المعنى الذي يتصورونه ويثبتونه الها ليس هو نفس الاله مع انهم ينفون ما سوى ذلك وكانوا نافين
للاله الحق في المعنى والكاشف جحودهم لم يثبت صانعا وكلا الفريقين جاحد له من وجه مثبت له من وجه اما المشبهون فيثبتون له صريحا جاحدون
له لزوما واما الآخرون فبالعكس اذ كانوا جاحدين له صريحا في الجهة التي تنبه العقلاء لها ويقرون به التزاما واضطرارا ولذلك
نزههم عليهم عن اقوال الفريقين فقال تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا وحكى ان زنديقا دخل على الصادق جعفر بن محمد ع
فسأله عن دليل اثبات الصانع فاعرض عليهم عنه ثم التفت اليه وسأله من اين اقبلت وما قصتك فقال الزنديق اني كنت مسافرا في البحر
فعصفت علينا الريح ذات يوم وتلعبت بنا الامواج من كل جانب فانكسرت سفينتنا فتعلقت بخشبة منها ولم تزل الامواج
تقلبها حتى قذفت بها الى الساحل وسلمت عليها فقال له عليهم ارأيت الذي كان قلبك اذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم امواج
البحر فزعا اليه مخلصا في التضرع له طالبا للنجاة فهو الهك فاعترف الزنديق بذلك وحسن اعتقاده وبالجملة فاتفاق العقول على الشهادة
بوجود الصانع سبحانه امر ظاهر وان خالطها غواشي الاوهام واليه الاشارة بقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم
الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم
الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون
في الارض بغير الحق وبالله التوفيق ومن خطبة له عليهم انما بدؤ وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله
ويتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ولو ان الحق خلص من لبس
الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ولكن يوخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان
الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى اقول المرتاد الطالب والضغث القبضة من الشيء واعلم ان مبدأ
وقوع الفتن المؤدية الى خراب العالم وفساده انما هو اتباع الهوى والآراء الباطلة والاحكام المبتدعة الخارجة عن اوامر
الله وذلك ان المقصود من بعثة الرسل ووضع الشرائع انما هو نظام احوال الخلق في امر معاشهم ومعادهم فكان كل رأي ابتدع
او هوى اتبع خارجا عن كتاب الله وسنة رسوله سببا لوقوع الفتنة وتبدد نظام الوجود في هذا العالم وذلك كاهواء البغاة
وآراء الخوارج ونحوها وقوله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق الى آخره اشارة الى اسباب تلك الآراء الفاسدة ومدار تلك
الاسباب على امتزاج المقدمات الحقة بالباطلة في الحجج التي يستعملها المبطلون في استعلام المجهولات فبين ان السبب هو
ذلك الامتزاج بشرطيتين متصلتين احداهما قوله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ووجه الملازمة في
هذه المتصلة ظاهر فان مقدمات الشبهة اذا كانت كلها باطلة ادرك طالب الحق ووجد فسادها بادي سعي ولم يخف عليه
بطلانها واما استثناء نقيض تاليها فلا لما خفي وجه البطلان فيها على طالب الحق لم يكن الباطل فيها خالصا من مزاج الحق
فكان ذلك هو سبب الغلط واتباع الباطل لان النتيجة تتبع اخس المقدمتين والثانية قوله ولو ان الحق خلص من لبس الباطل
انقطعت عنه السن المعاندين ووجه الملازمة ايضا كما مر ان مقدمات الحجة التي استعملها المبطلون لو كانت كلها حقة
مرتبة ترتيبا حقا لكانت النتيجة حقا تنقطع السنتهم عن العناد فيه والمخالفة له وقد حذف عليهم كبرى هذين القياسين
لانهما قياساضمير كما سبق ثم اتى بالنتيجة او ما في معناها وهو قوله ولكن يوخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث اي من الحق والباطل

فيمزجان ولفظ الضغث مستعار ومقصوده بذلك التصريح بلزوم الاراء الباطلة والاهواء المبتدعة بمزج الحق بالباطل ولذلك
قال فهنالك يستولى الشيطان على اوليائه اى انه يزين الاهواء والاحكام الخارجة عن كتاب الله بسبب اغوائهم عن تمييز الحق من الباطل
فيما سلكوه من الشبهة وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى اى من لهم اتباع اخذت عناية الله بايديهم فى ظلمات الشبهات فقادتهم فيها
بافاضة نور الهداية عليهم الى تمييز الحق من الباطل واولئك هم عن النار مبعدون ومن كلام له عليه السلام لما غلب اصحاب معوية اصحابه على
شريعة الفرات بصفين ومنعوهم من الماء قد استطعموكم القتال فاقروا على مذلة وتاخير محلة او روّوا السيوف من
الدماء ترووا من الماء فالموت فى حيوتكم مقهورين والحيوة فى موتكم قاهرين الا وان معوية قاد لمّة من الغواة الخبر
وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية اقول اللمة بالتخفيف الجماعة القليلة وعمس بالتخفيف والتشديد عمّى
وابهم ومنه عمس الليل اظلم والمحلة المنزلة وفى الفصل لطايف الاول قوله قد استطعموكم القتال استعار لفظ الاستطعام
لتحرشهم بالقتال فى منعهم للماء ووجه الاستعارة استدعاؤهم للقتال وطلبهم له بمنع الماء الذى هو فى الحقيقة اهون جذبا
للقتال من طلب الماكول بالاقوال ولانهم لما حازوا الماء انتهوا فى ذلك من طلب الطعام له ولما استلزم ذلك المنع طلبهم للقتال تعين
ان يشبه ما طلبوا اطعامه الثانى قوله فاقروا على مذلة وتاخير محلة الى قوله الماء امرهم باحد لازمين عن منعهم الماء
واستطعامهم به اما ترك القتال او ايقاعه وانما اورد الكلام بصورة التخيير بين هذين اللازمين وان لم يكن مراده الا
القتال للعلم بانهم لا يختارون ترك القتال مع ما يلزمه من الاقرار بالعجز والمذلة والاستسلام للعدو وتاخير المنزلة
عن رتبة اهل الشرف والشجاعة وانما اورد الوصفين اللازمين لترك القتال وهما الاقرار على المذلة وعلى تاخير المحلة
ليتنفروا بهما عنه ويظهره لهم فى صورة كريهة وانما جعل الرى من الماء الذى هو مشتهى اصحابه فى ذلك الوقت لازما لترويتهم
السيوف من الدماء التى يلزمها القتال ليريهم القتال فى صورة محبوبة بميل طباعهم اليها ونسبة التروى الى السيوف نسبة
مجازية الثالث قوله فالموت فى حيوتكم مقهورين والحيوة فى موتكم قاهرين من لطايف الكلام ومحاسنه وهو جذب
الى القتال بابلغ ما يمكن من البلاغة فجذبهم اليه بتصويره لهم ان الغاية التى عساهم يفرون من القتال خوفا
منها وهى الموت موجودة فى الغاية التى عساهم يطلبونها من ترك القتال وهى الحيوة البدنية حال كونهم مقهورين
ويجوز بلفظ الموت فى الشدايد والاهوال التى تلحقهم من عدوهم لو قهرهم وهى عند العاقل اشد تكبيرا من موت البدن
واقوى مقاساة فان المذلة وسقوط المنزلة والهضم والاستنقاص عند ذى اللب موتات متعاقبة ويحتمل ان يكون مجازا
فى ترك عبادة الله بالجهاد فانه موت النفس وعدم لحياتها برضوان الله وكذلك جذبه لهم ان الغاية التى يفرون اليها بترك القتال وهى
الحيوة موجودة فى الغاية التى يفرون منها وهى بالموت البدنى حال كونهم قاهرين اما فى الدنيا فمن وجهين احدهما الذكر الباقى
الجميل الذى لا يموت ولا يفنى الثانى ان طيب حيوتهم الدنيا انما يكون بنظام احوالهم بوجود الامام العادل وبقاء الشريعة كما هى
وذلك انما يكون بالقاء انفسهم فى غمرات الحرب محافظة على الدين وموت بعضهم فيها ولفظ الموت مهمل يصدق نسبته الى الكل
وان وجد للبعض واما فى الاخرة فالبقاء الابدى فى المحافظة على وظايف الله والحيوة التامة فى جنات عدن كما قال تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الاية وفى القرينتين الاولتين السجع المتوازى وفى اللتين بعدهما

السجع

السجع المطرف وفي اللذين بعدهما المقابلة الرابع قوله الا وان معوية ذكر للعدو برخ بليتين ولاصحابه برد بليتين اما الاولتان فكونه قايد غواة
وكونه قد لبس عليهم الحق بالباطل واراهم الباطل في صورة الحق واما الاخريان فكونهم غواة عن الحق وكونهم قد انقادوا للباطل عن شبهة حتى
صار جهلهم مركبا والغرض من ذلك التنفير عنهم الخامس قوله حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية غاية لاصحاب معوية من تلبيسه الحق عليهم وكنى بذلك
عن تصديهم للموت ولفظ الغرض مستعار لنحورهم ووجه المشابهة جعلهم لنحورهم بصدد ان تصيبها سهام المنية من الطعن والضرب
والذبح ووجود القتل فاشبهت ما ينصبه الرامي هدفا وهي استعارة بالكناية كانه حاول ان يستعير للمنية لفظ الرامي وبالله
التوفيق ومن خطبة له عليه السلم قد تقدم مختارها برواية ونذكر ما نذكره منها برواية اخرى لتغاير الروايتين الا وان الدنيا
قد تصرمت واذنت بانقضاء وتنكر معروفها وادبرت حذاء فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها وقد امر منها
ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا فلم يبق منها الا سملة كسملة الاداوة او جرعة كجرعة المقلة لو تمززها الصديان لم ينقع
فازمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على اهلها الزوال ولا يغلبنكم فيها الامل ولا يطولن عليكم فيها الامد لو قد صح
فوالله لو حننتم حنين الوله العجال ودعوتم بهديل الحمام وجارتم جؤار متبتلي الرهبان وخرجتم الى الله من الاموال والاولاد
التماس القربة اليه في ارتفاع درجة عنده او غفران سيئة احصتها كتبه وحفظتها رسله لكان قليلا فيما ارجو لكم من ثوابه
واخاف عليكم من عقابه وتالله لو انماثت قلوبكم انمياثا وسالت عيونكم من رغبة اليه ورهبة منه دما ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا
باقية ما جزت اعمالكم ولو لم تبقوا شيئا من جهدكم انعمه عليكم العظام وهداه اياكم للايمان اقول اذنت اعلمت وتنكر معروفها
جهل وحذاء سريعة خفيفة ويروى بالجيم اى مقطوعة الخير والعلاقة والحفز السوق الحثيث والحفز ايضا الطعن والسملة
بفتح الميم البقية من الماء في الاناء والمقلة بفتح الميم وسكون القاف حصاة يقسم بها الماء عند قلته يعرف بها مقدار ما يسقى كل شخص
والتمزز تمصص الشراب قليلا قليلا والصديان العطشان ونقع ينقع اى سكن عطشه وازمعت الامر وازمعت عليه اى ثبت
عزمي على فعله والمقدور المقدر الذي لا بد من كونه والامد الغاية والوله العجال جمع واله وعجول وهما من الابل النوق تفقد اولادها
وهديل الحمامة نوحها والجؤار الصوت المرتفع والتبتل الانقطاع الى الله باخلاص النية وانماث الشيء تحلل وذاب واعلم
ان مدار هذا الفصل على امور ثلثة احدها التنفير عن الدنيا والتحذير منها والنهي عن تاميلها والامر بالرحيل عنها الثاني التنبيه
على عظيم ثواب الله وما ينبغي ان يرجى منه ويلتفت اليه ويقصد بالرحيل بالنسبة الى ما الناس فيه وما يتوهم خيرا في الدنيا ثم على
عظيم عقابه وما ينبغي ان يخاف منه الثالث التنبيه على عظمة نعم الله تعالى على الخلق وانه لا يمكن جزاؤها بابلغ المساعي واكثر
الاجتهاد اما الاول فاشار اليه بقوله الا وان الدنيا قد تصرمت الى قوله فيها الامد وقد علمت ان تصرمها هو تقضي احوالها الحاضرة
شيئا فشيئا بالنسبة الى من وجد فيها في كل حين واذنها بالانقضاء هو اعلامها بلسان حالها الاذهان المعتبرين انها لا تبقى
لاحد فاما تنكر معروفها فمعناه تغيره وتبدله ومثاله ان الانسان اذا اصاب لذة من لذات الدنيا كصحة او امن او مال
او جاه ونحوه انس اليه وتوهم بقاءه له وكان ذلك معروفها الذي اسدته اليه وعرفه والفه منها ثم انه عن قليل يزول ويتبدل
فيصير بعد ان كان معروفا مجهولا وتكون الدنيا كصديق تنكر في صداقته ومن جهة بعداوته وادبرت حذاء اى ولت حال ما
لا تعلق لاحد بشيء منها مسرعة واستعار لفظ الادبار لانتقال خيراتها عمن انتقلت عنه بموته او غير ذلك من وجوه زوالها

ملاحظة لشبهها بملك اعرض عن بعض رعيته برفده وتره قوله فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها استعار لها وصفي
السابق والحادي استعارة بالكناية ووجه المشابهة كونهم قاطعين لمدة العمر بالفناء والموت فهي مصاحبة لهم بذلك كما يصحب السابق
والحادي الابل بالسوق والحداء وان اريد بالحفز الطعن فيكون قد تجوز بنسبته الى البلاء ملاحظة لشبه مصاحب بالرماح وكذلك
استعار لفظ الفناء والموت لالة السوق والحداء ونزلهما منزلة الحقيقة ووجه المشابهة كون الموت هو السبب في انتقال الانسان الى دار
الاخرة كما ان الصوت والسوط اللذين آلة الحداء والسوق هما اللذان بهما يحصل انتقال الابل من موضع الى موضع قوله وقد امر منها
ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا كقوله وتنكر معروفها الى ان الامور التي تقع لذيذة فيها ويجدها الانسان في بعض اوقاتها
صافية حلوة خالية عن كدورات الاعراض وورادة التنغيص بالعوارض الكريهة هي في معرض التغيير والتبديل والكدر
فما من شخص يخاطبه بما ذكر الا ويصدق عليه انه قد عرضت له من تلك اللذات ما استعقب صفوها كدرا وحلاوتها مرارة اما
من شباب بتبدل بكبر او غنى بفقر او عز بذل او صحة بسقم وقوله فلم يبق منها الا سملة الى قوله لم تنقع تقليل وتحقير لما بقي منها
لكل شخص من الناس فان بقاءها له على حسب بقائه فيها وبقاء كل شخص فيها يسير ووقته قصير واستعار لفظ السملة لبقيتها
وشبهها ببقية الماء في الاداوة وبجرعة المقلة ووجه الشبه ما اشار اليه بقوله لو تمززها الصديان لم ينقع اي كما ان العطشان
الواجد لبقية الاداوة وللجرعة لو تمصصها لم ينقع عطشه كذلك طالب الدنيا المتعطش اليها الواجد لبقية عمره لليسير من الاستمتاع
فيه بلذات الدنيا لا يشفي ذلك غليله ولا يسكن عطشه منها فلا وى اذن تعويد النفس بالفطام عن شهواتها وقوله فازمعوا عباد الله بالرحيل
عن هذه الدار امر لهم بعد تحقيرها والتنفير عنها بالازماع وتصميم العزم على الرحيل عنها بالالتفات الى الله والاقبال على قطع عقبات الطريق
اليه وهو الرحيل الحق عن الدنيا وقوله المقدور على اهلها الزوال تذكير بما لا بد منه من مفارقتها لتخف الرغبة فيها ثم اعقب ذلك بالنهي عن متابعة
الامل في لذاتها فانه ينسي الاخرة كما سبقت الاشارة اليه وذكر لفظ المغالبة تذكيرا بالانفة واستثارة للحمية من نفوسهم ثم بالنهي
عن توهم طول مدة الحياة واستبعاد الغاية التي هي الموت فان ذلك يقسي القلب فيورث الغفلة عن ذكر الله قال تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
وكثير منهم فاسقون واما الثاني وهو التنبيه على عظيم ثواب الله وعقابه فاعلم انه لما حقر الدنيا وحذر منها وامر بالارتحال عنها اشار
بعد ذلك الى ما ينبغي ان يعظم ويلتفت اليه ويرجى ويخشى وهو ثواب الله وعقابه فاشار الى تعظيمها بتحقير الاسباب والوسائل
التي يعمل عليها العباد وهي غايات جهدهم بالنسبة الى ما ينبغي ان يرجى من ثوابه ويخشى من عقابه وتلك الاسباب من شدة
الحنين والوله الى الله والدعاء المستمر والتضرع المشبه لتبتل الرهبان هذا في طرف العبادة وانما خص التشبيه بمتبتلي الرهبان
لشهرتهم بشدة التضرع وكذلك الخروج الى الله من الاموال والاولاد وهو اشد الزهد ورتب ذلك في صورة متصلة مقدمها قوله لو قد
حننتم الى قوله رسله وتاليها قوله لكان ذلك قليلا الى قوله من عقابه والتماس مفعول له وخلاصة هذا المقصود بوجيز الكلام انكم
لو اتيتم بجميع اسباب التقرب الى الله الممكنة لكم من عبادة وزهد ملتمسين بذلك التقرب اليه في ان يرفع لكم عنده درجة او يغفر لكم
سيئة احصتها كتبه والواحه المحفوظة لكان الذي ارجوه من ثوابه للمتقرب اليه في ان يرفع منزلته من حضرة قدسه اكثر مما يتصور
المتقرب انه يصل اليه بتقربه ولكان الذي اخافه من عقابه على المتقرب في غفران سيئة عنده اكثر من العقاب الذي يتوهم انه يدفعه
عن نفسه بتقربه فينبغي لطالب الزيادة في المنزلة عند الله ان يخلص بكليته في التقرب اليه ليصل الى ما هو اعظم مما يتوهم انه يصل اليه

من المنزلة

من المنزلة بعزه وينبغي للهارب من ذنبه الى الله ان يخلص بكليته في الفرار اليه ليتخلص من هول ما هو اعظم مما يتوهم انه يدفعه عن نفسه بوسيلة اليه فان الامر في معرفة ما اعده الله لعباده الصالحين من الثواب العظيم وما اعده لاعدائه الظالمين من العذاب الاليم اجل مما يتصوره عقول البشر ما دامت في عالم الغربة وان كانت عقولهم في ذلك الادراك متفاوتة ولما كانت نفسه القدسية اشرف نفوس الخلق في ذلك الوقت لا جرم نسب الثواب المرجو لهم والعقاب المخوف عليهم الى رجائه هو وخوفه فقال ما ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وذلك لقوة اطلاعه من ذلك على ما لم يطلعوا عليه واما الثالث وهو التنبيه على عظيم نعمة الله تعالى على العباد فنبه عليه بان كل ما لو ثابوا من الاعمال التي بذلوا اجتهادهم فيها في طاعة الله ومساعيه يمكنهم ان يثابوا به منها فهو قاصر عن مجازاة نعمه العظام وقد سبق بيان ذلك ورتب المطلوب في صورة شرطية متصلة ايضا مقدمها مركب من امور احدها قوله انحالوا لو انماثت قلوبكم اي ذابت خوفا منه ووجدا منه وكنى بذلك عن اقصى حال الخائف الراجي لربه في عبادته الثاني قوله وسالت عيونكم دما وهو كالاول والثالث قوله ثم عمركم في الدنيا ما الدنيا باقية اي مدة بقاء الدنيا وتاليها قوله ما جزت اعمالكم الى آخره وانعمه منصوب مفعول جزت وهداه في محل النصب عطفا عليه وانما اورد الهدى بالذكر وان كان من الانعم لشرفه اذ هو الغاية المطلوبة من العبد بكل نعمة افيضت عليه فانه لم يخلق ولم يفض عليه انواع النعم الالهية الا ليتاهل قلبه ويستعد نفسه لقبول صورة الهدى من واهبها فيمشي بها في ظلمات الجهل الى ربه ويجوز بها عقبات صراطه المستقيم واكد ملازمة هذه المتصلة بالقسم البار وكذلك المتصلة السابقة وفائدة هذا التنبيه بعث الخلق على الشكر وتوفر الدواعي على الاجتهاد في الاخلاص لله حياء من مقابلة عظيم انعامه بالتقصير في شكره والتشاغل بغيره وبالله التوفيق ومنها في ذكر يوم النحر وصفة الاضحية ومن تمام الاضحية استشراف اذنها وسلامة عينها فاذا سلمت الاذن والعين سلمت الاضحية وتمت ولو كانت عضباء القرن تجر رجلها الى المنسك اقول الاضحية منسوبة الى الاضحى اذ كان ذبحها في ضحى ذلك اليوم وقيل انه مشتق منها واستشراف اذنها طولها وكنى بذلك عن سلامتها من القطع او نقصان الخلقة والعضباء مكسورة القرن وقيل القرن الداخل وكنى بجر رجلها الى المنسك عن عرجها والمنسك موضع النسك وهو العبادة والتقرب بذبحها واعلم ان المعتبر في الاضحية سلامتها عما ينقص قيمتها وظاهر ان العمى والعور والهزال وقطع الاذن تشويه في خلقها ونقصان في قيمتها دون العرج وكسر القرن وفي فضل الاضحية اخبار كثيرة روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ما من عمل يوم النحر احب الى الله عز وجل من اراقة دم وانها لتأتي يوم القيامة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الارض فطيبوا بها نفسا وروي عنه ايضا ان لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا وقد كانت الصحابة يبالغون في اثمان الهدي والاضاحي ويكرهون المماكسة فيها فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله روي ان عمر اهدى بنجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وسر ذلك ان الجيد القليل خير من الكثير الدون فثلثمائة دينار وان كان قيمة ثلثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم بل المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل واعلم ان الذي لاح من اسرار الوضع للاضحية سنة باقية وهو ان يدوم بها التذكر لقصة ابراهيم عليه السلام وابتلائه بذبح ولده وقوة صبره على تلك المحنة والبلاء العظيم المبين ثم يلاحظ من ذلك حلاوة ثمرة الصبر على المصائب والمكاره فيتاسى الناس به في ذلك مع ما في نحر الاضحية من تطهير النفس عن رذيلة البخل واستعداد النفس بها للتقرب الى الله تعالى وبالله التوفيق

نخ صح

قال الرضي رحمه الله المنسك ههنا المذبح نخ صح

ومن كلام له عليه السلام في ذكر البيعة فتداكوا علي تداك الابل الهيم يوم ورودها قد ارسلها راعيها وخلعت مثانيها حتى ظننت انهم قاتلي او بعضهم قاتل بعض لدي وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني يسعني الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه واله فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب وموتات الدنيا اهون علي من موتات الاخرة

اقول تداكوا دك بعضهم بعضا اى دقه بالضرب والدفع والهيم الابل العطاش والمثاني جمع مثناة وهي الحبل يثنى ويعقل به البعير واعلم ان قوله فتداكوا الى قوله لدي اشارة الى صفة اصحابه بصفين لما طال منعه لهم من قتال اهل الشام وكان عليه السلام يمنعهم من قتالهم لامرين احدهما انه كانت عادته في الحرب ذلك ليكون خصمه البادي فتركبه الحجة والثاني انه كان ليتخلص وجه المصلحة في كيفية قتالهم لا على سبيل شك في وجوب قتال من خالفه فانه عليه السلام كان مأمورا بذلك على وجه استخلاص وجه الراى الاصلح او انتظار الانجذاب بهم الى الحق ورجوعهم الى الطاعة لحقن دماء المسلمين كما سنصرح به في الفصل الذي ياتي ثم اكد وصفهم بالزحام عليه بامرين احدهما تشبيههم بزحام الابل العطاش حين يطلقها رعاتها من مثانيها يوم ورودها ووجه الشبه ما لها من شدة الزحام الثاني غاية ذلك الزحام وهو ظنه عليه السلام ان يقتلوه او يقتل بعضهم بعضا وقوله وقد قلبت هذا الامر الى اخره اشارة الى بحثه عن علل منعه لهم من القتال وهو تقليبه لوجوه الاراء في قتالهم حتى يلتبس له ما يلزم في ترك القتال من الخطر وهو الكفر على ان في الامرين خطرا اما القتال ففيه بذل النفس للقتل وهلاك جملة من المسلمين واما تركه ففيه مخالفة اوامر الله ورسوله المستلزمة للعقاب الاليم لكن قد علمت ان الدنيا لا قيمة لسعادتها ولا نسبة لشقاوتها الى سعادة الاخرة وشقاوتها عند ذوي البصائر خصوصا مثله عليه السلام فلذلك قال فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب وموتات الدنيا اهون علي من موتات الاخرة واستعار لفظ الموتات للاهوال والشدائد في الدنيا والاخرة لما بين الموت وبينها من المناسبة في الشدة ومن كلام له عليه السلام وقد استبطا اصحابه اذنه لهم في القتال بصفين اما قولكم اكل ذلك كراهية الموت فوالله ما ابالي دخلت الى الموت او خرج الموت الي واما قولكم شكا في اهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوما الا وانا اطمع ان تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو الى ضوئي فهو احب الي من ان اقتلها على ضلالها وان كانت تبوء باثامها اقول عشا الى النار استدل عليها ببصر ضعيف وباء باثمه اى رجع به وهذا الفصل مناسب للذي قبله والسبب فيه ان اصحابه لما طال منعه لهم عن قتال اهل الشام الحوا عليه في طلبه حتى نسبه بعضهم الى العجز وكراهية الموت ونسبه بعضهم الى الشك في وجوب قتال هؤلاء فاورد عليه السلام شبهة الاولين وهي قوله كل ذلك كراهية الموت وروي كراهية بالنصب على المفعول وسد مسد الخبر واجاب عنه بقوله فوالله ما ابالي الى قوله الي وصدق هذه الدعوى الموكد بالقسم البار ظاهر منه فان العارف بمعزل عن نفيه الموت خصوصا نفسه القدسية كما سبق ونسبة الدخول الى الموت والخروج اليه نسبة مجازية تستلزم ملاحظة تشبيهه بحيوان مخوف ثم اورد الشبهة الثانية وهي قوله واما قولكم شكا في اهل الشام واجاب عنها بقوله فوالله ما دفعت الحرب الى اخره وتقريره ان المطلوب الاول من الانبياء والاولياء انما هو اهتداء الخلق بهم من ظلمة الجهل واستقامة امورهم في معاشهم ومعادهم بوجودهم واذا كان هذا هو المطلوب الذاتي له عليه السلام من طلب هذا الامر والقتال عليه وكان تحصيل المطالب كلما كان الطف واسهل من القتل والقتال كان اولى لا جرم كان انتظاره بالحرب ومدافعته بها يوما فيوما انما هو انتظار وطمع ان يلحق به منهم من تجذبه الالطاف الالهية بذهنه الى الحق فيهتدي به في طريق الله

ويعشو

٥٥ ٥٠٥٣

ويعشوا الى ضوء علمه وكماله وكان ذلك احب اليه من قتلهم على ضلالتهم وان كان كل ضال انما يرجع باثمه الى ربه ويكون رهين عمله كما
قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى **ومن كلام له عليه السلام** ولقد كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا ما يزيدنا ذلك الا ايمانا وتسليما ومضيا على اللقم وصبرا على مضض
الالم وجدا في جهاد العدو ولقد كان الرجل منا والاخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان انفسهما
ايهما يسقي صاحبه كاس المنون فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا فلما راى الله صدقنا انزل بعدونا الكبت وانزل علينا
النصر حتى استقر الاسلام ملقيا جرانه ومتبوئا اوطانه ولعمري لو كنا ناتي ما اتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان عود
وايم الله لتحتلبنها دما ولتتبعنها ندما **اقول** المنقول ان هذا الكلام صدر عنه يوم صفين حين اقر الناس بالصلح واوله ان
هولاء القوم لم يكونوا ليفيئوا الى الحق ولا ليجيبوا الى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر وحتى يرجموا بالكتائب
تقفوها الجلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحي ارضهم وباحناء مشاربهم ومسارحهم
وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج وحتى يلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله الا جدا
في طاعة الله وحرصا على لقاء الله ولقد كنا مع رسول الله الفصل وكلمة سواء اي عادلة والمنسر خيل من المائة الى المائتين ويقال
بل الجيش ما يمر بشيء الا اقتلعه والخميس الجيش وتدعق تغار على ارضهم فتوثر فيها حوافرها وشن الغارة اثارتها واللقم منهج
الطريق والمضض حرقة الالم ويتصاولان يتحاملان ويتطاولان ويتخالسان ينتهز كل منهما فرصة صاحبه والمنون المنية
والكبت الصرف والاذلال وجران البعير مقدم عنقه من مذبحه الى منحره وتبوء وطنه سكن فيه ومقصوده في هذا الفصل
توبيخ اصحابه على ترك الحرب والتقصير فيه **فقوله** ولقد كنا الى قوله اوطانه بيان لفضله وكيفية صنعه هو وساير اصحابه في الجهاد
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لغرض قيام الاسلام وظهور امر الله ليبين للسامعين تقصيرهم بالنسبة الى ما كان اوليك عليه الى جهادهم
يومئذ فبداء بذكر ما كانوا يلاقونه من الشدائد وان احدهم كان يقتل اباه وولده طلبا لرضا الله وذبا عن دينه ثم لا يزيده
ذلك الا ايمانا بالله وتسليما لقضائه ومضيا على واضح سبيله وصبرا في طاعته على مضض الالام المتواترة وان احدهم كان يصاول
عدوه ليختطف كل روح صاحبه وتجوز بلفظ الكاس فيما يتجرعه الانسان من غصص الالم حال القتل ونبه بقوله مرة لنا
ومرة لعدونا على ان اقدامهم على القتال يومئذ لم يكن عن القوة منهم على العدو وتيقن بغلبه بل مع غلب العدو له وقهره ومرة
منصوب على الظرف وتقديره مرة الادالة يكون لنا من عدونا ومرة يكون له منا **وقوله** فلما راى الله صدقنا الى قوله النصر
فيه تنبيه على ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما هو عام الفيض على كل قابل استعد لرحمته واشار برؤية الله
صدقهم الى علمه باستحقاقهم واستعدادهم بالصبر الذي اعدهم به وبانزال النصر عليهم والكبت لعدوهم الى افاضته على كل منهم
ما استعد له **وقوله** حتى استقر الاسلام الى قوله اوطانه اشارة الى حصول غايتهم التي قصدوها بجهاد العدو وهي استقرار الاسلام
في قلوب عباد الله واستعار له لفظ الجران ورشح تلك الاستعارة بالالقاء ملاحظة لشبهه بالبعير الذي اخذ مكانه
وكذلك استعار لفظ التبوء ونسبه الى الاوطان تشبيها له بمن كان من الناس خائفا متزلزلا لا مستقر له ثم اطمان واستقر في وطنه
واستعار لفظ الاوطان لقلوب المومنين وكنى بتبوئها عن استقراره فيها **وقوله** ولعمري لو كنا ناتي الى قوله عود رجوع الى

مقصوده الاصلي وهو تنبيه اصحابه على تقصيرهم والمعنى لو قصرنا يومئذ كتقصيركم الآن وتخاذلكم لما حصل من استقامة الدين وكني
بالعمود للدين ومعظمه عن كناية بالمستعار وكذلك باخضرار العود للايمان عن نضارته في النفوس ولاحظ في الاولى تشبيه الاسلام بالبيت
ذي العمود وفي الثانية تشبيه الايمان بالشجرة ذات الاغصان وقوله وايم الله لتحتلبنها دما استعار لفظ حلب الدم لثمرة
تقصيرهم وتخاذلهم عما يدعوهم اليه من الجهاد ولاحظ في تلك الاستعارة تشبيههم لتقصيرهم وفي افعالهم بالناقة التي اصيب
ضرعها بافة من تفريط صاحبها فيها والضمير المؤنث مبهم يرجع في المعنى الى افعالهم وكذلك الضمير في ولتتبعنها ندما فان ثمرة التفريط الندامة
ودما وندما منصوبان على التمييز وقد اتفق في هذا الفصل نوعان من السجع فالاول سجع متوازي وجرانه واوطانه مطرف وكذلك
عمود وعود ودما وندما وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام لاصحابه اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن
ياكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه الا وانه سيامركم بسبي والبراءة مني فاما السب فسبوني فانه لي زكوة ولكم
نجاة واما البراءة مني فلا تتبرؤا مني فاني ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة اقول رحب البلعوم واسع مجرى الحلق
وبطن مندحق نادر بارز وفي هذا الفصل اخبار بما سيكون لاصحابه من الابتلاء بسبه والخطاب لاهل الكوفة فقوله اما يحتمل
ان يكون المشددة والتقدير اما بعد انه كذا ويحتمل ان يكون مخففة وهي ما النافية دخلت عليها همزة الاستفهام والتقدير اما انه
سيظهر واختلف في مراده بالرجل فقال اكثر الشارحين المراد معوية لانه كان بطينا كثير الاكل روي انه كان ياكل فيمل فيقول ارفعوا
فوالله ما شبعت ولكن مللت وتعبت وكان ذلك داء اصابه بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله روي انه بعث اليه مرة فوجده ياكل
فبعث اليه ثانية فوجده كذلك فقال اللهم لا تشبع بطنه ولبعضهم في وصف آخر وصاحب لي بطنه كالهاوية كان في امعائه
معاوية وقيل هو زياد بن ابي سفيان وهو زياد بن ابيه وقيل هو الحجاج وقيل المغيرة بن شعبة وظهوره عليهم بعد استعلاؤه
وتامره عليهم والاكل ما يجد مع طلبه لما لا يجد كناية عن كثرة الاكل وجعل ذلك علامة له وقوله فاقتلوه اي لما هو عليه من الفساد
في الارض ولن تقتلوه حكم لدني اطلع عليه وقوله الا وانه سيامركم بسبي الى اخره اشارة الى ما سيامرهم به في حقه من السب والبراءة
ووصيته لهم بما هو المصلحة اذن وفرق عليه السلام بين سبه والبراءة منه بان رخص في سبه عند الاكراه عليه ولم يرخص في التبري منه
وفي الفرق بينهما لطف وذلك ان السب من صفات القول اللساني وهو امر يمكن ايقاعه من دون اعتقاده مع احتماله التعريض
ومع ما يشتمل عليه من حقن دماء المامورين ونجاتهم بامتثال الامر به فاما التبري فليس بصفة قولية فقط بل يعود الى المجانبة
القلبية والمعاداة والبغض وهو المنهي عنه هاهنا فانه امر باطن يمكنهم الانتهاء عنه ولا يلحقهم بسبب تركه وعدم امتثال الامر به
ضرر وكانه لحظ فيهما قوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب الاية وقوله في السب فانه
لي زكوة ولكم نجاة اشارة الى اسباب رخصه في سبه اما نجاتهم بسببه فظاهرة واما كونه زكوة له فلوجهين احدهما ما روي في الحديث
ان ذكر المؤمن بسوء هو زكوة له وذم بما ليس فيه زيادة في جاهه وشرفه الثاني ان الطباع تحرص على ما يمنع منه وتلح فيه فالناس لما
منعوا من ذكر فضائله والموالاة والزموا سبه وبغضه ازدادوا بذلك محبة له واظهارا لشرفه ولذلك انه عليه السلام سبته بنو امية الف شهر
على المنابر فما زاد ذكره على ذلك الا علوا ولا ازداد الناس في محبته الا غلوا والمنقول ان الذي امر بقطع سبه عمر بن عبد العزيز ووضع
مكان في سبه من الخطبة ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية ولذلك كثير بن عبد الرحمن يمدحه وليت فلم تشتم عليا ولم تخف

بريا

بربا ولم تقبل اساءه مجرم وفيه يقول الرضي الموسوي يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من امية لبكيتك انت نزهتنا عن الشتم والسب ولو كنت مجزيا لجزيتك غير اني اقول انك قد طبت وان لم يطب ولم يزك بيتك وقوله فاني ولدت على الفطرة الى آخره تعليل لحسن الانتهاء عن البراءة منه ووجوبه واراد بالفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي بعثهم الى عالم الاجسام ماخوذا عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل في سلوك صراط المستقيم واراد بسبقه الى الاسلام والهجرة سبقه الى طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله فيما جاء به من الدين وصحبته له ومهاجرته معه مستقيما في كل ذلك على فطرة الله لم يدنس نفسه بشيء من الملكات الرديئة مدة وقته اما زمان صغره فللخبر المشهور كل مولود يولد على الفطرة واما بعد ذلك فلان الرسول صلى الله عليه وآله كان هو المتولي لتربيته وتزكية نفسه بالعلوم والاخلاق من اول وقته الى ان توفي صلى الله عليه وآله كما اشرنا اليه قبل وكما سنذكره بعد كيفيته وكان قبوله واستعداده لانوار الله امرا فطرت عليه نفسه وجبلت عليه طبيعته حتى لم يلحقه في ذلك احد من الصحابة وظاهر ان من كان بهذه من خلفاء الله واوليائه كان التبرؤ منه تبرؤا من الله ورسوله فوجب الانتهاء عنه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج اصابكم حاصب ولا بقي منكم آبر ابعد ايماني بالله وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين فابوا شر مآب وارجعوا على اثر الاعقاب اما انكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسيفا قاطعا واثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة قال الرضي رضي الله عنه قوله عليه السلام ولا بقي منكم آبر يروى على ثلثة اوجه احدها ان يكون كما ذكرناه آبر بالراء من قولهم رجل آبر للذي يابر النخل اي يصلحه ويروى ولا بقي منكم آثر بثلاث نقط يراد به الذي ياثر الحديث اي يحكيه ويرويه وهو اصح الوجوه عندي كانه قال عليه السلام ولا بقي منكم مخبر ويروى آبز بالزاي معجمة وهو الواثب والهالك ايضا يقال له آبز اقول المروي في السبب انه لما كتب عهد التراضي بالحكمين بين علي ومعوية اعتزلت الخوارج وتنادوا من كل ناحية لا حكم الا لله الحكم لله يا علي لا لك ان الله قد امضى حكمه في معوية واصحابه ان يدخلوا تحت حكمنا وقد كنا زللنا واخطانا حين رضينا بالتحكيم وقد بان لنا زللنا وخطانا ورجعنا الى الله وتبنا فارجع انت كما رجعنا وتب اليه كما تبنا وقال بعضهم انك اخطأت فاشهد على نفسك بالكفر ثم تب منه حتى نطيعك فاجابهم عليه السلام بهذا الكلام والحاصب ريح شديدة ترمي بالحصباء وهي صغار الحصى والاثرة بالتحريك الاستبداد فدعا عليهم اولا بريح تحصبهم ثم بالفناء غضبا من مقالتهم ثم اخذ في تقريعهم وانكار مقالتهم وطلبهم شهادته على نفسه بالكفر ضلال عن الحق وعدم اهتداء في سبيل الله ثم اردف ذلك بامرين احدهما جذبهم بالغضب والقهر وامرهم بالرجوع الى الحق على اعقابهم اي من حيث خرجوا من الحق وفارقوه الثاني اخبارهم بما سيلقون بعده من الذل الشامل والسيف القاطع وهو كناية عمن يقتلهم بعده كالمهلب بن ابي صفرة وغيره وهذه الاخبار لغرض استمالتهم اليه وجذبهم برذيلة غيره والاثرة التي يتخذها الظالمون فيهم سنة اشارة الى ما يستاثر به الملوك والعمال عليهم من الفيء والغنائم واهانتهم لهم وقد كانت دعوته عليه السلام استجيبت فيهم فانهم لم يزالوا بعده في ذل شامل وقتل ذريع حتى افناهم الله تعالى واحوالهم في كيفية قتالهم وقتلهم ومن قتلهم مستوفى في كتاب الخوارج وبالله التوفيق وقال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج وقيل له ان القوم قد عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفة والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة قال السيد رضي الله عنه يعني بالنطفة ماء النهر وهي افصح كناية عن الماء وان كان كثيرا جما وقد اشرنا الى ذلك فيما تقدم عند مضي ما اشبهه اقول خلاصة هذا الخبر انه عليه السلام

اثر بخط

بالناصر

لما خرج الى اصحاب النهر جاءه رجل من اصحابه فقال البشرى يا امير المؤمنين ان القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك فابشر فقد منحك الله اكتافهم فقال الله انت رأيتهم قد عبروا فقال نعم فقال عليه السلام والله ما عبروه ولن يعبروه وان مصارعهم دون النطفة والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الى الاثلاث والاقصر بوران حتى يقتلهم الله وقد خاب من افترى قال ثم جاءه جماعة من اصحابه واحدا بعد اخر كلهم يخبره بما اخبره الاول فركب عليه السلام وسار حتى انتهى الى النهر فوجد القوم بأسرهم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيولهم وجثوا على الركب وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل وروي ان شابا من اصحابه قال في نفسه حين حكم عليه السلام بما حكم من امرهم وسار الى النهر لسان صدق حكمه والله لاكونن قريبا منه فان كانوا عبروا النهر لاجعلن سنان رمحي في عينه ايدعي علم الغيب فلما وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه واخبره بما روي عن نفسه وطلب منه ان يغفر له فقال عليه السلام ان الله هو الذي يغفر الذنوب جميعا فاستغفره فاما حكمه بانهم لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك من اصحابه عشرة فروي انه قال لابي ايوب الانصاري وكان على ميمنته لما بدأت الخوارج بالقتال احملوا عليهم فوالله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة فلما قتلهم وجدوا المفلت منهم تسعة والمقتول من اصحابه ثمانية وهذان الحكمان من كراماته عليه السلام وقال عليه السلام لما قتل الخوارج وقيل له يا امير المؤمنين هلك القوم باجمعهم فقال عليه السلام كلا والله انهم نطف في اصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون اخرهم لصوصا سلابين اقول نجم طلع والسلاب المختلس وكلا ردع لمقالة من حكم بهلاكهم جميعا واشار بكونهم نطفا في اصلاب الرجال وقرارات النساء الى انه لا بد من وجود قوم منهم يقولون بمثل مقالتهم وانهم الآن موجودون في الاصلاب والارحام بالقوة فمنهم نطف بدرت الى الارحام وكني بالقرارات عنها ومنهم نطف بعد في الاصلاب ثم الحكم احكاما اخر تقرر بقائهم منها انه سيقوم منهم رؤساء ذوو اتباع وعبر عمن يظهر منهم بالقرن استعارة ورشح تلك الاستعارة بقوله نجم وقطع لكونهما حقيقتين في النبات وجعل لتراذلهم غاية هي كون اواخرهم لصوصا سلابين اي قطاعا للطريق واما الذين ظهروا بعده من رؤسائهم فجماعة كثيرة وذلك ان التسعة الذين سلموا يوم النهر تفرقوا في البلاد فانهزم اثنان منهم الى عمان واثنان الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان الى الجزيرة وواحد الى تل موزون وقد كان منهم جماعة لم يظفر بهم عليه السلام فظهرت بدعهم في اطراف البلاد بعده فكانوا نحوا من عشرين فرقة وكبار رؤسائهم احدها الازارقة اصحاب نافع بن الازرق وكانت اكبر الفرق خرجوا من البصرة الى الاهواز وغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في عهد عبد الله بن الزبير وكان مع نافع من امراء الخوارج عشرة عطية بن الاسود الحنفي وعبد الله بن ماخول واخواه عثمن بن الزبير وعمر بن عمير العنبري وقطري بن الفجاءة المازني وعبيدة بن هلال الشيباني وصخر التميمي وصالح العبدي وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير في نيف وثلثين الف فارس فانفذ اليهم المهلب بن ابي صفرة ولم يزل في حربهم هو واولاده تسع عشرة سنة الى ان فرغ من امرهم في ايام الحجاج ومات نافع قبل وقايع المهلب وبايعوا قطريا وسموه امير المؤمنين الثانية النجدات رئيسهم نجدة بن عامر الحنفي وكان معه اميران يقال لاحدهما عطية والاخر ابو فديك ففارقاه بشبهة ثم قتله ابو فديك وصار لكل واحد منهما جمع عظيم وقتلا في زمن عبد الملك بن مروان البيهسية اصحاب ابي بيهس الهيصم بن جابر وكان بالحجاز وقتله عثمن بن حيان المزني بالمدينة بعد ان قطع يديه ورجليه وذلك في زمن الوليد باشارة منه الرابعة العجاردة اصحاب عبد الكريم بن عجرد وتحت هذه الفرقة فرق كثيرة لكل منهم رئيس مشهور الخامسة الاباضية اصحاب عبد الله بن اباض في ايام مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله فقتله السادسة الثعالبة اصحاب ثعلبة بن عامر وتحت هذه الفرقة ايضا فرق كثيرة ولكل منها رئيس مشهور وتفصيل رئيسهم وفرقهم واحوالهم ومن قتلهم مذكور في كتب التاريخ واما كون اخرهم لصوصا

كلـ في الخوارج

سلاطين فاشارة الى ما كانوا يفعلونه في اطراف البلاد باصبهان والاهواز وسواد العراق ويعيثون فيها في نهب اموال الخراج وقتل
من لم يدن بدينهم جهرا وغيلة وذلك بعد ضعفهم وتفريقهم بوقايع المهلب وغيرها كما هو مذكور في مظانه وقال عليه السلام فيهم لا
تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فاخطاه كمن طلب الباطل فادركه يعني معوية واصحابه اقول نهى عليه السلام
عن قتل الخوارج بعده واومى الى علة استحقاق القتل بانها طلب الباطل لانه باطل ليتبين انها منفية في حقهم فينتفي لازمها
وهو استحقاق القتل واشار الى ان الخوارج لم يطلبوا الباطل مع العلم بكونه باطلا بل طلبوا الحق بالذات فوقعوا في الباطل بالعرض
ومن لم يكن غرضه الا الحق لم يجز قتله وحسن الكلام يظهر في تقدير متصلة هكذا لو استحقوا القتل بسبب طلبهم لاستحقوه بسبب طلبهم
للباطل من حيث هو باطل لكنهم لا يستحقونه من تلك الجهة لانهم ليسوا بطالبين للباطل من حيث هو باطل فلا يستحقون القتل وفرق بين
من يطلب الحق لذاته فيظهر عنه في صورة باطل وبين من يطلب الباطل لذاته فيظهره في صورة الحق حتى يدركه فان الثاني هو المستحق
للقتل دون الاول واومى بمن طلب الباطل فادركه الى معوية واعلم ان هذا النص منه عليه السلام بانهم كانوا طالبين للحق وبيان ان معظم
روسائهم كانوا على غاية من المحافظة على العبادات كما نقل عن الرسول صلى الله عليه وآله حيث وصفهم فقال حتى ان صلوة احدكم ليحتقر في جنب
صلوتهم وكانوا مشهورين بالصلاح والمواظبة على حفظ القران ودرسه الا انهم بالغوا في تجري وشدة الطلب للحق حتى عبروا عن فضيلة
العدل فيه الى رذيلة الافراط فوقعوا في الفسق ومرقوا من الدين فان قلت كيف نهى عن قتلهم بعده مع انه قتلهم قلت جوابه من
وجهين احدهما انه عليه السلام انما نهى عن قتلهم بعده على تقدير ان يلزم كل منهم نفسه ويشتغل بها ولا يعيث في الارض فسادا وهو انما قتلهم
حيث افسدوا في زمانه وقتلوا جماعة من الصالحين كعبد الله بن خباب وشقوا بطن امراته وكانت حاملا ودعوا الناس الى
بدعتهم ومع ذلك كان يقول لاصحابه حين سار اليهم لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم به ولم يشرع في قتلهم حتى بدؤه بقتل جماعة
من اصحابه الثاني يحتمل ان يقال انه انما قتلهم لانه امام عادل راى الحق في ذلك وانما نهى عن قتلهم بعده لانه علم انه لا يلي هذا الامر
بعده من له بحكم الشريعة ان يقتل ويتولى امر الحدود ولا من يعرف مواضعها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام لما خوف من الغيلة
وان علي من الله جنة حصينة فاذا جاء يومي انفرجت عني واسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم اقول قد كان عليه السلام
خوف من غيلة ابن ملجم لعنه الله مرارا روي ان الاشعث لقيه متقلدا سيفه فقال له ما تقلدك السيف وليس باوان حرب فقال اردت
انحر به جزور القرية فاتى الاشعث عليا فاخبره وقال قد عرفت ابن ملجم وفتكه وقال عليه السلام ما قتلني بعد وروي ان عليا
كان يخطب مرة ويذكر اصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لاريحنهم منك فلما انصرف علي اتوا به ملببا فاشرف عليهم وقال
ما تريدون فخبروه بما سمعوا منه فقال ما لما قتلني بعد فخلوا عنه وان علي من الله جنة الفصل والغيلة القتل على غفلة والجنة
ما يستتر به من سلاح وطاش السهم انحرف عن الغرض والكلم الجرح وكنى بالجنة عن عناية الله بحفظ اسباب حيوته في المدة الممكنة
له في القضاء الالهي كناية بالمستعار ووجه الاستعارة ان مع بقاء اسباب الحيوة محفوظة لا يؤثر في الانسان شيء من سهام المنية
ابدا كما ان لابس الجنة محفوظا بها من اثار السهام ونحوها ووصفها بالحصينة ترشيح للاستعارة وكنى بها ايضا عن قوة ذلك العوق
وكنى بيومه عن وقت ضرورة موته وبانفراج الجنة عن عدم بعض اسباب الحيوة ولحوق سهام الامراض وهو ترشيح للاستعارة
ايضا ونسب اليها اسلامها له ملاحظة لتشبيهها بمن يحفظه ثم يسلمه للقتل وقوله فحينئذ لا يطيش السهم استعار لفظ السهم للامراض

التي هي اسباب الموت وكنى بعدم طيشه عن انكايه وحصول الموت عنه ولفظ الكلم للاثر الحاصل عن تلك الاسباب ووجه الشبه في الاول كونهما سببين
للهلاك وفي الثانية ما يستلزمانه من التالم ورشح الاولى بذكر الطيش والثانية بذكر البرء من الشعر المنسوب اليه في ذلك قوله عليه السلام من اي
يومي من الموت افر ايوم لم يقدر ام يوم قدر فيوم لم يقدر فلا ارهبه ويوم قد قدر لا يغني الحذر وهو في ذلك ملاحظ
لقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ولكل امة اجلهم فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الا وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها ولا ينجى بشيء كان لها ابتلي الناس بها فتنة فما
اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا عليه وما اخذوه منها لغيرها قدموا عليه واقاموا فيه وانها عند ذوي العقول كفيء الظل
بينا تراه سابغا حتى قلص وزائدا حتى نقص قوله بينا اصلها بين بمعنى الوسط فاشبعت الفتحة فحدث الالف فقد تزاد ما فيقال
بينما والمعنى واحد وتحقيق الظرفية هنا ان الظل دائر بين السبوغ والقلوص والزيادة والنقصان وقلص الظل انقبض وغرض
هذا الفصل التحذير من الدنيا والتنبيه على وجوب لزوم اداء الزاد فيها واشار الى ذلك في اوصاف لها الاول كونها لا يسلم منها الا فيها وتحقيق
ذلك انه لا دار الا الدنيا والآخرة وقد علمت ان اسباب السلامة هي الزهد والعبادة وسائر اجزاء الرياضة وشيء منها لا يمكن في الآخرة بل كلها اعمال
متعلقة بالبدن فاذن لا يتحقق ما يلزمها من السلامة من الدنيا الا في الدنيا الثاني كونها لا ينجى بشيء كان لها وفيه ايماء الى ذم الرياء في الاقوال
والافعال وتحذير من كل عمل وقول قصد به الدنيا فان شيئا من ذلك لا حظ له في استلزام النجاة في الآخرة بل كان سببا للهلاك
فيها لما ان الاشتغال بمهمات الدنيا منسي للآخرة الثالث كونها قد ابتلي الناس بها فتنة وفتنة منصوب بالمفعول له ويحتمل ان يكون
مصدرا سد مسد الحال ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ولنبحث عن معنى الابتلاء بالدنيا وكونها فتنة واعلم انه ليس المراد
ان الله تعالى لا يعلم ما يؤول اليه احوال العباد وما يكون منهم بعد خلقهم وابتلائهم بالدنيا فانه تعالى العالم بما كان وما يكون قبل كونه كما قال تعالى
وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على
الله يسير بل الكشف في حقيقة الابتلاء انه لما كان الانسان انما يكون انسانا بما خلق فيه من القوى الشهوية والغضبية وما يتبعهما وكان
لهذه القوى ميول طبيعية الى حاضر اللذات الدنيوية فهي مشتهياتها ولا ابتهاج لها الا بها ولا حظ لها من غيرها وكانت النفوس الانسانية
مخالطة لهذه القوى وهي الاتها ولا وجدانها في تصرفاتها غالب الاحوال وكانت تلك القوى في اكثر الخلق جاذبة لنفوسها الى مشتهياتها
الطبيعية بالطبع وكانت تلك النفوس في اكثر الناس منقادة لقواها معرضة عن الآخرة مشغولة بحاضر ما وجدته من لذات الدنيا
عن تصور ما وراءها ثم مع ذلك كان المطلوب منها ما يضاد ذلك وهو ترك حاضر الدنيا ومنازعة هذه القوى في مشتهياتها وجذبها عن
التوجه بطبعها اليها لما بعد النفس في التفاتها حتى ذلك الامر لا يتصور في الدنيا الا بالاوصاف الخيالية كما هو
وظيفة الانبياء عليهم السلام مع الخلق كانت ارادته تعالى لذلك الالتفات مع ما هم فيه من منازعة الهوى فان اطاعوه هلكوا وان عصوه
يجري صورة امتحان فاشبه ذلك ما يعتمده احدنا عند عبده اذا اراد مثلا اختبار صبره ومحبته له فوهب له جميع ما يشتهيه ثم كلفه
مع ذلك بتكاليف شاقة لا يتمكن من فعلها الا بالتفاته عن مشتهاه وتنغيصه عليه فلا جرم صدقت صورة الابتلاء والاختبار من
الله في الوجود وكذلك ظهر معنى كونها فتنة فان الفتنة الامتحان والاختبار وان قدرناها حالا فهي بمعنى الضلال والنفوذ
الى جذبها للنفوس الى حاضر لذاتها عن سنن الحق الرابع كونهم ما اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا عليه وهو تنبيه على وجوب

بالزهد صح

فصل

قصد الآخرة بما يوخذ من الدنيا ويتصرف فيه وتفسيره ان يجعل المأخوذ منها والاخراج منه والثاني الحساب عليه في الآخرة واعلم ان الحساب على
راى المليين ظاهر قالوا ان الله تعالى قادر على حساب الخلق دفعة واحدة ولا يشغله كلام عن كلام كما قال وهو سريع الحساب واما الحكماء فقالوا
ان للحساب معنى وتقريره بتقديم مقدمات الاولى ان كثرة الافعال وتكررها يوجب حدوث الملكات في النفوس والاستقرار التام
يكشف عن ذلك ومن كان مواظبته على عمل من الاعمال اكثر كان رسوخ تلك الملكة الصادرة عن نفسه اقوى الثانية انه لما كان تكرر العمل يوجب ذلك فى صح
حصولها وجب ان يكون لكل عمل يفعله الانسان اثر في حصول تلك الملكة بل يجب ان يكون لكل جزء من اجزاء العمل الواحد اثر في حصولها
بوجه ما وضربوا لذلك مثالا فقالوا فرضنا سفينة عظيمة بحيث لو القي فيها مائة الف من فانها تغوص في الماء قدر شبر واحد لو
لم يكن فيها الا حبة واحدة من الحنطة فذلك القدر من الجسم الخفيف فيها يوجب غوصها في الماء بمقدار ما له من الثقل وان بلغ في
القلة الى حيث لا يدركه الحس اذا عرفت ذلك فنقول ما من فعل من الخير والشر قليل ولا كثير الا ويفيد حصول اثر في النفس اما سعادة
او شقاوة وعنوهما ينكشف سر قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكذلك لما ثبت ان الافعال من
تلك الخوارج جاريا مجرى الشهادة على النفس بما اكتسبته بها اذا عرفت ذلك فنقول لما كانت حقيقة المحاسبة تعود الى تعريف الانسان
ما له وما عليه من مال ونحوه وكان ما يحصل في النفوس من الملكات الخيرية والشرية امورا مضبوطة في جوهرها محصاة عليها وانما
ينكشف لها كثرة تلك الهيئات ويمكنها من ذواتها وتضررها بها في الآن الذي ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن اشبه ذلك ما يتبين
للانسان عند المحاسبة مما احصي عليه وله فاطلق عليه لفظ الحساب وذلك اليقين والاطلاع هو المشار اليه بقوله عليه السلام فيه سواه
عليه وليس المقصود ان ما تقوم عليه في الآخرة هو عين ما اخذ من الدنيا بل ما يثبت في النفوس من خير او شر فالذي يبتنا وله الجاهلون
منها المجرد التنعم بها فهو الذي تمكن عنه هيئات الهوى في جواهر نفوسهم فيقدمون عليها ويعذبون بها في عذاب جهنم خالدون لا يفتر
عنهم وهم فيه مبلسون الخامس كونها عند ذوي العقول كفيء الظل ونبه بهذا الوصف على سرعة زوالها وانما خص ذوي العقول بذلك
لامرين احدهما ان المعتبر لزوالها عامل بمجرد عقله دون هواه فلذلك نسب الى العقل الثاني ان حال ذوي العقول مرغوب فيه
وسمعه ولما كان مقصوده تحذير السامعين من سرعة زوالها كان يسرع زواله وهو من التشبيهات السايرة ومثله قول در فا
الشاعر الا انما الدنيا كظل غمامة اظلت يسيرا ثم خفت فولت ومن خطبة له عليه السلام واتقوا الله عباد الله وبادروا
آجالكم باعمالكم وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم وترحلوا فقد جد بكم واستعدوا للموت فقد اظلكم وكونوا قوما صيح
بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا فان الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى وما بين احدكم وبين
الجنة او النار الا الموت ان ينزل به وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه
الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يقدم بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فتزودوا في
الدنيا من الدنيا ما تحرزون به نفوسكم غدا فاتقى عبد ربه نصح نفسه قدم توبته غلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله
خادع له والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها
فيا لها حسرة على كل ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى الشقوة نسال الله سبحانه ان يجعلنا
واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية ولا تحل به بعد الموت ندامة ولا كآبة اقول المبادرة المسارعة

والسد المهمل وجدير بكذا اى اولى به وحرى حقيق والتسويف قول الانسان سوف افعل وهو كناية عن التمادى فى الامر والبطر تجاوز الحد فى الفرح
والكآبة الحزن وحاصل هذه الموعظة التنفير من الدنيا والترغيب فى الآخرة وما يكون وسيلة الى نعيمها والترهيب مما يكون سببا للشقاء فيها فقوله
واتقوا الله الى قوله باعمالكم فيه تنبيه على وجوب لزوم الاعمال الصالحة ونسب المسابقة الى الآجال بها وعلى توقع سرعة الاجل واحضاره
بالبال وهو من الجواذب القوية الى الله تعالى ونسب المسابقة الى الآجال ملاحظة لشبهها بالمراهن اذ كان لحوقها لهم حائلا بينهم وبين الاعمال الصالحة
الشبيهة بما يستبق عليه من رهن فقوله وابتاعوا ما يبقى الى قوله عنكم اشارة الى لزوم الزهد فى الدنيا والتخلى عن متاعها الفانى وان يشترى
به ما يبقى من متاع الآخرة وقد عرفت غير مرة اطلاق لفظ البيع هنا وقيد المشترى بما يبقى والثمن بما يزول ليكون المشترى احب الى النفوس لبقائه
وقوله وترحلوا فقد جد بكم امر بالترحل وهو قطع منزل منزل من منازل السفر الى الله تعالى فى مراتب السلوك لطريقه ونبه على وجوب الترحل
بقوله فقد جد بكم اى فى السير الى آجالكم بقوة وذلك الجد يعود الى سرعة توارد الاسباب التى تعد المزاج للفساد ويقربه الى الآخرة ملاحظة لشبهها
بسائق الابل ونحوها وقوله فاستعدوا للموت فقد اظلكم الاستعداد له هو باستكمال النفوس كمالها الذى ينبغى حتى لا يبقى للموت عندها كثير
وقع بل يكون محبوبا بكونه وسيلة الى المحبوب وهو لقاء الله والسعادة الباقية فى حضرة الملأ الاعلى ونبه بقوله فقد اظلكم على قربه
واستلزم ذلك تشبيهه بالسحاب والطير فاستعير له وصف الاظلال وقوله فكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا تنبيه لهم على الالتفات ان صح
الى منادى الله وهو لسان الشريعة والانتباه بندائه من مراقد الطبيعة وقوله واعلموا الى قوله سدى تنبيه لهم على ان الدنيا ليست بدار
لهم ليلتفتوا عن الركون اليها ويتوقعوا الاخراج منها ثم امرهم بالاستبدال بها الذى ذكر وان هناك عوضا منها يجب ان يلتفت اليه وهو
الدار الآخرة ونبه بقوله فان الله لم يخلقكم عبثا الى آخره على وجوب العمل لمن ذلك البدل فانهم لم يخلقوا الا لامر وراءها هم فيه وقوله
وما بين احدكم الى قوله تنزل به تعيين لما خلقوا له ووعدوا بالوصول اليه وانه لا حائل بينهم وبين الموت وبينه الا الموت قال
بعض الشارحين وهذا الكلام مما يصلح متمسكا للحكماء فى تفسيرهم للجنة والنار فانهم لما قالوا ان الجنة تعود الى المعارف الالهية
ولوازمها والنار تعود الى حب الدنيا والميل الى مشتهياتها وتمكن الهيئات الردية فى جوهر نفسه وعشقها بعد المفارقة لما لا
يتمكن من العود اليه كمن نقل عن مجاورة معشوقه والالتذاذ به الى موضع ظلمانى شديد الظلمة مع عدم تمكنه من العود اليه كما قال تعالى
قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا الآية وكان ادراك لذة المعارف التامة وادراك ألم النار بالمعنى المذكور امرا يتحقق
حال مفارقة هذا البدن اذ كان الانسان فى عالم الشهادة فى ادراكه لما حصل فى نفسه وتمكن من الهيئات كعضو مفلوج غطى خدره
على الم فاذا زال الخدر احس بالالم فكذلك النفس بعد الموت يدرك ما لها من لذة او الم كما هو لزوال الشواغل البدنية عنها ايضا صح
قلت وهذا الكلام ظاهر على مذهب المتكلمين اذ جاء فى الخبر ان العبد يكشف له عند الموت عما يستحقه من جنة او نار ثم يؤجل
ذلك الى قيام القيامة الكبرى وقوله وان غاية الى قوله المدة كنى بالغاية عن الاجل المعلوم للانسان ثم نبه على قصره وحقارته
بامرين احدهما كونه تنقصه اللحظة اى النظرة وهو ظاهر فان كل جزء من الزمان فرض فقد مضى من مدة الانسان فتنقص بها
الثانى كونه تهدمه الساعة كنى بالساعة عن وقت الموت ولا شك ان الآن الذى ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن غاية لاجل
الانسان وغاية الشىء هى ما ينقطع [illegible] عندها الشىء فكنى بالهدم عن ذلك الانقطاع والانهدام كناية بالمستعار وظاهر ان
مدة هذا شأنها فى غاية القصر وقوله وان غائبا الى قوله الاوبة اشار بالغائب الى الانسان اذ كانت الدنيا عالم غربته ومحل سفره

ومنزله

ومنزله الحقيقي انما هو منشاؤه وما اليه مرجعه وانما سمى الليل والنهار جديدان لتعاقبهما فليس احدهما مخلقا للآخر واستعار لفظ
الحدو لما يستلزمانه من اعداد الانسان لقرب اجله المشبه لصوت الحادي الذي يحدو الابل لسرعة سيرها وقربها من المنزل المقصود
لها وظاهر ان من كان الليل والنهار حاديين به فهو في غاية سرعة الرجوع الى ميدانه ووطنه الاصلي وقال بعض الشارحين اراد بالغائبة
وهو وان كان محتملا الا انه لا يطابقه لفظ الاوبة لان الموت لم يكن حتى يرجع وقوله وان قادما الى قوله العدة اشار بالقادم بالفوز او
الشقوة الى الانسان حال قدومه على ربه بعد المفارقة فانه اما الفوز بالسعادة الباقية او الحصول على الخيبة والشقوة ونبه بذكر القدوم على
ان من هذا شانه فالواجب عليه ان يستعد بافضل عدة ليصل بها الى احبها اليه لديه وينبأ عن الحقها عنده وقوله فتزودوا الى
قوله غدا فصل نوع تفصيل افضل العدة وهو الزاد الذي يحرز الانسان به يوم القيمة من السعير في نار جهنم وغليل حرها واشار بذلك
الزاد الى تقوى الله وخشيته وقد علمت حقيقة الخشية والخوف وانه انما يحصل في الدنيا واما كونه من الدنيا فلان الاثار الحاصلة من للنفس
الحالات والملكات كالخشية والخوف وساير ما يتزوده ويستصحبه بعد المفارقة امور انما حصلت في هذا البدن واستفيدت من الدنيا
بواسطته والمشابهة التي لاجلها استعار لفظ الزاد هنا هو ما يشترك فيه الزاد المحسوس والتقوى من سلامة المتزود بهما كل في طريقه
فذاك في المنازل المحسوسة من عذاب الجوع والعطش المحسوسين وهذا في المنازل المعقولة ومراتب السلوك ومراحل السفر الى الله تعالى
من عذاب الجوع المعقول وقوله فاتقى عبد ربه الى قوله شهوته اوامر وردت بلفظ الماضي خالية عن العطف وهي بلاغة تريك المعنى في
احسن صورة فالامر بالتقوى تفسير للامر بالزاد كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والامر بنصيحة النفس امر بالنظر في مصالحها
والسعي عليها ان تعمل ما هو الاولى بها في التمسك بحدود الله والوقوف عندها والامر بتقديم التوبة وغلب الشهوة هو من جملة الامر بالنصيحة
كالتفسير له ومن لوازم التقوى اردفه بهما واراد تقديم التوبة على الموت او بالنسبة الى كل وقت سيحضر وقوله فان اجله الى قوله
شقوة حث على امتثال اوامره السابقة الى التوبة وغيرها وتحذير من هجوم المنية على غفلة لما يستلزمه ذلك من شدة الحسرة وطول
الندم على التفريط وذلك ان ستر الاجل عن الانسان موجب للغفلة عنه فاذا انضاف الى ذلك خداع الامل الناشي عن وساوس
الشيطان في تزيينه المعصية وتسويفه التوبة مع كونه موكلا به وقرينا له كما قال سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ما من مولود
يولد الا ويولد معه قرين من الشيطان كانت الغفلة اشد والنسيان اكد واستعار لفظ الخداع لصورته في النفس الامارة
بالسوء وهو قولها للانسان مثلا تمتع من شبابك واغتنم لذة العيش ما دمت في مهلة ومستقبل من عمرك وستلحق للتوبة
ونحو ذلك من الاضاليل فان هذه صورة خداع من الشيطان واما نسبة ذلك من الامل فلان الامل هو عزم النفس على فعل تلك
الامور وامثالها في مستقبل الاوقات عن توهم طول مدة الحيوة واتساعها لما تفعله فيها من معصية وتوبة وذلك العزم
من اسباب الانخداع للشيطان وغروره فلذلك نسب الخداع الى الامل مجازا وجعل غاية ذلك الخداع هو ان تهجم على الانسان المخدوع صح
منيته حال ما هو في اشد غفلة عنها واشتغال بما يؤمله فيكون ذلك مستلزما لاعظم حسرة واكثر ندامة على ان
يكون عمره عليه حجة شاهدا بلسان حاله على ما اكتسب فيه من الآثام فصار بعد ان كان وسيلة لسعادته
سببا لشقاوته واعقل نصب على الحال وحسرة على التمييز للمتعجب منه المدعو واللام في لها قيل للاستغاثة كانه
قال يا للحسرة على الغافلين ما اكثرك وقيل بل لام الجر فتحت لدخولها على الضمير والمنادى محذوف تقديره يا

قوم ادعوكم لها حسرة وان في موضع النصب بحذف الجار كانه قيل فعلام يقع عليهم الحسرة فقال على كون اعمارهم حجة عليهم يوم القيمة وقوله نسال
الله الى قوله كآبة خاتمة الخطبة وسال الله الخلاص من امور ثلثة الاول ان يخلصه من شدة الفرح بنعمة الدنيا فان ذلك من لوازم محبتها المستلزمة
للهلاك الابدي الثاني ان لا يقصر به غاية عن طاعة ربه ان لا يقصر عن غاية من غايات الطاعات يقال قصرت بهذه الغاية بفلان اذا لم يبلغها
الثالث ان لا تحل به بعد الموت ندامة ولا حزن وذلك سؤال الحسم اسبابهما وهو اتباع الهوى في الدنيا والعدول عن طاعة الله وبالله العصمة
ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون اخرا ويكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا كل مسمى بالوحدة
غيره قليل وكل عزيز غيره ذليل وكل قوي غيره ضعيف وكل مالك غيره مملوك وكل عالم غيره متعلم وكل قادر غيره يقدر ويعجز
وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام
وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولا تخوف من عواقب زمان ولا
استعانة على ند مثاور ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر ولكن خلائق مربوبون وعباد داخرون لم يحلل في الاشياء فيقال هو
فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن لم يؤده خلق ما ابتدا ولا تدبير ما ذرا ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت
عليه شبهة فيما قضى وقدر بل قضاء متقن وعلم محكم وامر مبرم المأمول مع النقم المرهوب مع النعم اقول المثاور المواثب والداخر
الذليل واد الامر اثقله وذرا خلق والمبرم المحكم وقد اشتملت هذه الخطبة على مباحث لطيفة من العلم الالهي ايضا لا يطلع عليها الا المبرزون
فيه الاول الذي لم تسبق الى قوله باطنا اقول انه لما ثبت ان السبق والمقارنة والقبلية والبعدية امور تلحق الزمان لذاته وتلحق الزمانيات
به وثبت انه تعالى منزه عن الزمان اذ كان من لواحق الحركة المتاخرة عن وجود الجسم المتاخر عن وجود الله سبحانه لما علم ذلك في موضعه لاجرم
لم يلحق ذاته المقدسة وما لها من صفات الكمال ونعوت الجلال شيء من لواحق الزمان فلم يجز اذن ان يقال مثلا كونه عالما قبل كونه قادرا
وسابقا عليه او كونه قادرا قبل كونه مريدا او كونه حيا قبل كونه عالما ولا كونه اولا للعالم قبل كونه اخرا له قبلية وسبقا زمانيا
بقي ان يقال ان القبلية والبعدية قد تطلق بمعان اخر كالقبلية بالشرف والفضيلة والذات والعلية وقد بينا في الخطبة
الاولى ان كل ما يلحق ذاته المقدسة من الصفات فاعتبارات ذهنية تحدثها العقول عند مقايستها الى مخلوقاته وشيء من تلك
الاعتبارات لا تتفاوت ايضا بالقبلية والبعدية باحد المعاني المذكورة بالنظر الى ذات الله المقدسة فلا يقال مثلا هو مستحق
لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار او بعده والا لكان كمال ذاته قابلا للزيادة والنقصان بل استحقاقه بالنظر الى ذاته لما يصح ان
يعتبر لها استحقاق واحد لجميعها دائما فلا حال يعرض الا وهو يستحق فيه ان يعتبر له الاولية والاخرية معا استحقاقا اوليا مثلا صح
ذاتيا لا على وجه الترتب وان تفاوتت الاعتبارات بالنظر الى اعتبارنا وهذا بخلاف غيره من الامور الزمانية فان الجوهر يصدق
عليه كونه اولا من العرض ولا يصدق عليه مع ذلك انه اخر له حتى لو فرضنا عدم جميع الاعراض وبقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه للاعتبارين
معا بل استحقاقه لاعتبار الاولية متقدم اذ كانت بعض احواله سابقة على بعض ولا استحقاقيته لهما على ذاته بل بحسب بقاء اسبابه
وكالعرض لما صدق عليه انه بعد الجوهر يصدق عليه انه قبله باعتبار ما وخلاف المختلفين في اي الصفات اقدم مبني على سوء تصورهم
لصانعهم سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا اذا عرفت ذلك فنقول اوليته هو اعتبار كونه مبدأ لكل موجود واخريته هو كونه غاية لكل ممكن
وقد سبق معنى كونه ظاهرا او باطنا في الخطبة التي اولها الحمد لله الذي بطن خفيات الامور الثاني كل مسمى بالوحدة غيره قليل فمعنى هذه

الكلام

الكلمة انه تعالى لا يوصف بالقلة وان كان واحدا وتقرير ذلك ان الواحد يقال بمعان والمشهور منها المتعارف بين الخلق كون الشيء مبدأ الكثرة يكون عادا لها ومكيالا او هو الذي تلحقه القلة والكثرة الاضافيتان فان كل واحد بهذا المعنى هو قليل بالنسبة الى الكثرة التي تصلح ان تكون مبدأ لها والمتصور لاكثر اهل العالم صدق هذا الاعتبار على الله بل ربما لا يتصور بعضهم كونه تعالى واحدا الا بهذا الوجه ولما كان تعالى منزها عن الوصف بالقلة والكثرة لما يستلزمانه من الحاجة والنقصان اللازمين لطبيعة الامكان اثبت القلة لكل ما سواه فاستلزم اثباتهما لغيره في معرض المدح له نفيها عنه واستلزم ذلك تنزيهه تعالى عن الواحدية بالمعنى المذكور اذ سلب اللازم يستلزم سلب ملزومه وليس اذا ابطل كونه بهذا المعنى بطل كونه واحدا فانا بينا صدق الواحد عليه بمعان اخر في الخطبة الاولى وقد يفهم من هذا انه لما نفى عنه القلة استلزم ذلك ان يثبت له الكثرة وهو من سوء الفهم وقلة العلم فان عدم قلة انما يستلزم ثبوت الكثرة عند تعاقبهما على محل من شأنه قبولهما وربما قيل ان المراد بالقليل هنا الحقير وهو غير مناسب لذكر الوحدة وانما قال عليه السلام كل مسمى بالوحدة ولم يقل كل واحد ليشعر بان قول الوحدة على واحديته تعالى وعلى واحدية غيره قول بحسب الاشتراك الاسمي الثالث وكل عزيز غيره ذليل اقول رسم العزيز بانه الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه ثم في كل واحد من هذه القيود الثلثة كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجود ان يرجع الى واحد ويستحيل ان يوجد مثله وليس ذلك الا الله سبحانه والكمال في النفاسة وشدة الحاجة ان يحتاج كل شيء في كل وليس ذلك على الكمال الا الله تعالى والكمال في صعوبة المنال ان لا يوصل الى حقيقته على معنى الاحاطة بها وليس ذلك على الكمال الا الله تعالى فهو اذن العزيز المطلق الذي كل موجود سواه في ذل الحاجة اليه وحقارة العبودية الى كمال عزه فاما العزيز من الخلق فهو الذي توجد له تلك الاعتبارات لكن لا مطلقا بل بقياس الى من هو دونه في الاعتبارات المذكورة فهو اذن وان صدق عليه انه عزيز بذلك الاعتبار الا انه في ذل الحاجة الى من هو اعلى رتبة منه واكمل في تلك الاعتبارات وكذلك من هو اعلى منه الى ان ينتهي الى العزيز المطلق الذي لا يلحقه ذل باعتبار ما فلذلك اثبت عليه السلام الذل لكل عزيز سواه الرابع وكل قوي غيره ضعيف القوة تعود الى تمام القدرة ويقابلها الضعف ولما كان استناد جميع الموجودات الى تمام قدرته علمنا انه لا تام في قدرته وكل قوي وصف بها غيره فبالنسبة الى ضعف يقابلها لمن هو دونه واذا قيس بالنسبة الى من فوقه كان ضعيفا بالنسبة اليه وكذلك من هو فوقه الى ان ينتهي الى تمام قدرة الله فهو القوي الذي لا يلحقه ضعف بالقياس الى احد غيره وكذلك قوله وكل مالك غيره مملوك فان معنى المالك يعود الى القادر على الشيء الذي تنفذ مشيته فيه باستحقاق دون غيره وغيره باذنه ولما ثبت ان كل موجود سواه فهو في تصريف قدرته ومشيته اذ هو مستند وجوده ثبت انه هو المالك المطلق الذي ليست له مملوكية بالقياس الى شيء اخر وان كل ما سواه فهو مملوك له وان صدق عليه بالعرف انه مالك بالقياس الى من هو دونه ثم لا يخفى عليك مما سلف ان القوي والمالك عليه وعلى غيره قول بحسب اشتراك الاسم ايضا الخامس وكل عالم غيره متعلم لما ثبت ان علمه تعالى بالاشياء على ما مر من التفصيل انما هو لذاته ولم يكن شيء منه مستفادا من امر اخر وكان علم من سواه انما هو مستفاد بالتعلم من الغير ثم الغير من الغير الى ان ينتهي الى علمه تعالى الفايض بالخيرات لا جرم كان كل عالم سواه متعلما وان سمي عالما بحصول العلم له وكان هو العالم المطلق الذي لا حاجة به في تحصيل العلم الى امر اخر السادس وكل قادر غيره يقدر ويعجز اقول قدرة الله تعالى تعود الى اعتبار كونه مصدر الاثار فاما قدرة الغير فقد يراد بها قوة جسمانية مبثوثة في الاعضاء محركة لها نحو الافاعيل الاختيارية وبالعجز ما يقابل القدرة بهذا المعنى وهو عدمها عما من شأنه ان يقدر كما في حق الواحد منا وقد يراد بهما اعتباران اخران يتقابلان اذا عرفت ذلك فنقول القادر المطلق على تقديره هو مستند كل مخترع وموجود اختراعا ينفرد به ويستغني فيه عن معاونة غيره وذلك انما يتحقق في حق الله سبحانه

فاما كل منسوب الى القدرة سواه فهو وان كان بالجملة ذا قدرة الا انها ناقصة لتناولها بعض الممكنات فقط وقصورها عن البعض الآخر
وعدم تناولها له اذ كانت لا تصلح بالنسبة للمخترعات وان نسب اليه ايجاد شيء فلانه فاعل اقرب وواسطة بين القادر الاول سبحانه وبين
ذلك الاثر لا لذاته استقلالا وتفردا به على ما علم في مظانه فكل ما قادر سواه فلذاته يستحق العجز وعدم القدرة بالنسبة الى ما لا يمكن
تعلق قدرته به من ساير المخترعات والممكنات وانما يستحق القدرة من وجوده تعالى وهو اذن الفاعل المطلق الذي لا يعجزه شيء عن شيء
ولا يستعصي على قدرته شيء الثامن وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها التاسع حس السمع للحيوان
عبارة عن قوة تنفذ من الدماغ الى الاذن في عصبة نابتة منه الى الصماخ مبسوطة عليه كجلد الطبل وهذه العصبة الذهن لهذه القوة
والصوت هيئة تحصل في الهواء عن تموجه بحركة شديدة اما من قرع يحصل من اصطكاك جسمين صلبين فينضغط الهواء بينهما
وينفلت بشدة واما من قلع شديد فيلج الهواء بين الجسمين المنفصلين الصلبين ويحصل عن السببين تموج الهواء على هيئة
مستديرة كما يفعل وقوع الحجر في الماء فاذا انتهى ذلك التموج الى الهواء الذي في الاذن يحرك ذلك الهواء الراكد حركة مخصوصة فتنفعل
العصبة المفروشة على الصماخ عن تلك الحركة وتدركها القوة السامعة هناك فهذا الادراك يسمى سماعا اذا عرفت ذلك فاعلم ان ادراك
هذه القوة للصوت يكون على قرب وبعد وحد من القوة والضعف مخصوص فانه ان كان الصوت ضعيفا او بعيدا جدا لم يحصل
بسببه تموج للهواء فلم يصل الى الصماخ فلم يحصل السماع وذلك معنى قوله يصم عن لطيف الاصوات ويذهب عليه ما بعد منها فان
قلت لم خصص اللطيف بالصمم عنه والبعيد بالذهاب عليه قلت يشبه ان يكون لان البعيد في مظنة ان يسمع وانما يفوته بسبب عدم وصول الهواء
الحامل له اليه واما الخفي فلما لم يكن من شانه ان تدركه القوة السامعة اشبه عجزها عن ادراكه الصمم فاستعير لفظه له واما ان كان الصوت
في غاية من القوة والقرب فربما احدث الصمم وذلك لشدة قرعه للصماخ وتفرق اتصال الروح لقوة السمع عنه بحيث يبطل استعدادها
لتادية القوة الى الصماخ وكل ذلك لنقصان الحيوان وضعفه ولما كان الباري تعالى منزها عن الجسمية وتوابعها لاجرم
كانت هذه اللواحق من الصمم عن لطيف الاصوات وذهاب بعيدها والصمم من كبيرها مخصوصة بمن له تلك القوة المذكورة
والسمع المخصوص فكل سامع غيره فهو كذلك واستلزم ذكره في معرض مدحه تنزيهه سبحانه عنها واذ ليس سميعا بالمعنى المذكور وقد نطق
القران باثبات هذه الصفة له فهو سميع بمعنى انه لا يعزب عن ادراكه مسموع وان خفي فيسمع السر والنجوى بل هو ما ادق واخفى
يسمع حمد الحامدين ودعاء الداعين وذلك هو السميع الذي لا يتصرف اليه الحدثان اذ لم يسمع بالة واذن العاشر وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان
ولطيف الاجسام اقول خفي الالوان مثلا كاللون في الظلمة واللطيف قد يكون بمعنى عديم اللون كما في الهواء وقد يكون بمعنى رقيق القوام
كالجوهر الفرد عند المتكلمين وكالذرة واللطيف بالمعنيين غير مدرك للحيوان واطلق لفظ العمى مجازا اذ كان عبارة اما عن عدم البصر
مطلقا او عن عدمه عما من شانه ان يبصر ولا واحد من هذين الاعتبارين بموجود للبصر للمبصر عند الله فلم يكن عدم ادراكها
عمى حقيقيا بل لكون العمى من اسباب عدم الرؤية اطلق لفظه عليه اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهذا الحكم في معرض مدحه تعالى
يستلزم تنزيه بصره عن لواحق العمى ومظنته اذ كان سبحانه منزها عن معروض العمى والبصر ومتعاليا عن ان يكون ادراكه
بحدقة واجفان وانطباع الصور والالوان وان كان يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى واذ ليس بصيرا
بالمعنى المذكور فهو البصير باعتبار انه مدرك لكمال صفات المبصرات وذلك الاعتبار اوضح واجلى مما يفهم من ادراك البصر

القاصر

غير صح

للقاصر على ظواهر الجزئيات الحادي عشر وكل ظاهر غيره باطن اقول ظهور الاشياء هو انكشافها للحس او للعقل انكشافا بينا ويقابله
بطونها وهو خفاؤها عن احدهما ولما ثبت ان الله تعالى منزه عن الجسمية ولواحقها علم كونه منزها عن ادراك الحواس ولما قام البرهان على انه تعالى
بريء عن انحاء التراكيب الخارجية والعقلية وجب تنزه ذاته المقدسة عن اطلاع العقول عليها فعلم من هذا التركيب انه لا يشارك الاشياء في معنى
ظهورها وقد وصف نفسه بالظاهر فيجب ان يكون ظهوره عبارة عن انكشاف وجوده لابصار بصائر عباده في جزئيات اثاره كما قال تعالى
سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وان كانت مشاهدة الخلق له على مراتب متفاوتة ودرجات متصاعدة كما اشار اليه بعض
مجردي السالكين ما رايناً شيئا الا ورايناً الله بعده فلما ترقوا عن تلك المرتبة درجة من المشاهدة والحضور قالوا ما رايناً شيئا الا رايناً فيه
فلما ترقوا قالوا ما رايناً شيئا الا ورايناً الله قبله فلما ترقوا قالوا ما رايناً شيئا سوى الله والاولى مرتبة الفكر والاستدلال عليه والثانية الحدس والثالثة
مرتبة المستدلين به لا عليه والرابعة مرتبة الفناء في ساحل عزته واعتبار الوحدة المطلقة بحذف اعتبار كل لاحق واذا عرفت معنى ظهوره علمت شيئا
ان الممكنات لا يكون له الظهور المذكور فانه وان كان لبعض الاشياء في عقل او حس الا انه ليس في كل حس اذ كل مطلع على شيء فالذي خفي عنه اكثر مما عنه صح
اطلع عليه فكل ظاهر غيره فهو باطن بالقياس اليه وهو تعالى الظاهر لكل شيء في كل شيء لكونه مبدأ كل شيء ومرجع كل شيء الثاني عشر وكل باطن
غيره غير ظاهر وقد عرفت معنى البطون للممكنات وظهورها وعلمت ايضا مما سبق ان كونه باطنا يقال بمعنيين احدهما انه الذي خفي قدس
ذاته عن اطلاع العقول عليه والثاني انه الذي بطن جميع الاشياء خبره ونفذ فيها علمه ثم علمت الظاهر المقابل للمعنى الاول فاما المقابل
للثاني فهو الذي لم يطلع الا على ظواهر الاشياء ولم يكن له اطلاع على بواطنها يقال فلان ظاهري وظاهري اذا عرفت ذلك فنقول ان كل باطن غيره
سواء كان المراد بالبطون خفاء التصور او نفوذ العلم في البواطن فهو ظاهر بالقياس اليه تعالى ظهورا بالمعنى الذي يقابله اما الاول فلان كل ممكن
وان خفي على بعض العالمين لم يخف على غيره وان خفي على الكل فهو ظاهر في علمه تعالى وهو ممكن الظهور في علم غيره فليس اذن بخفي مطلقا وهو تعالى
الباطن الذي لا ابطن منه وكل باطن غيره فهو ظاهر بالقياس اليه واما الثاني فلان كل عالم وان جل قدره فلا احاطة له ببعض المعلومات وهو
قاصر عن بعضها وبعضها غير ممكن له وهو تعالى الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وكل ذلك بالقياس
اليه وفي بعض النسخ وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر ومعنى القضيتين ان كل ممكن ان كان ظاهرا منكشفا لعقل او حس
لم يوصف مع ذلك بانه باطن كالشمس مثلا وان كان باطنا خفيا عن العقل او الحس لم يوصف مع ذلك بانه ظاهر وهو تعالى الموصوف بانه ظاهر وهو تعالى
الموصوف بانه الباطن الظاهر معا وفي هذه النسخة نظر فانا انما اثبتنا كونه تعالى ظاهرا وباطنا معا باعتبارين وفي بعض الممكنات ما هو
كذلك كالزمان مثلا فان كل عاقل يعلم بالضرورة وجود الزمان وان خفيت حقيقته على جمهور الحكماء واضطربت فيه اقوال العلماء وكذلك
العلم فليس اذن كل ظاهر غيره غير باطن ولا كل باطن غيره غير ظاهر والله اعلم الثالث عشر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان الى قوله مناقر
اقول انه تعالى لا يفعل لغرض ومتى كان كذلك كان منزها عن خصوصيات هذه الاغراض اما الاول فبرهانه انه لو فعل لغرض لكان وجود ذلك
الغرض وعدمه بالنسبة اليه تعالى اما ان يكونا على سواء او ليس والاول باطل والا لكان حصول الغرض له ترجيحا من غير مرجح والثاني باطل لانهما
اذا لم يستويا كان حصول الغرض هو اولى به فحينئذ يكون حصول ذلك الغرض معتبرا في كماله فيكون بدونه ناقصا تعالى الله عن ذلك لا يقال
ليست اولوية الغرض بالنسبة اليه على سواء عاد حديث الرجحان بلا مرجح وان كان احدهما اولى به عاد حديث الكمال والنقصان
واذا عرفت انه تعالى لا يفعل لغرض وكل ما ذكره عليه السلام في هذا الفصل من تشديد سلطان وتقوية او تخوف عاقبة زمان او استعانة على ند

وشريك وضد اغراض علمت صدق قوله انه لم يخلق شيئا من خلقه لشئ من هذه الامور وهذا تنزيه من طريق نفي الغرض المطلق واما
تنزيهه تعالى عن خصوصيات هذه الاغراض فلان تشديد السلطان انما يحتاج اليه ذو النقصان في ملكه ولما كان تعالى هو الغني المطلق في
كل شئ عن كل شئ صدق ان ذلك ليس لغرض له مما خلق واما التخوف من عواقب الزمان فلان التضرر والانتفاع ولوا حقهما من الخوف والرجا
ونحوهما انما هي من لواحق الممكنات القابلة للنقصان والكمال وما هو في معرض التغير والزوال ولما ثبت تنزيهه تعالى عن الانفعال عن شئ لم
يتصور ان يكون احد هذه الامور غرضا له وكذلك الاستعانة على الند والضد والشريك فان الاستعانة هي طلب العون من الغير وذلك من لوازم
الضعف والعجز والخوف واذ لا عجز فلا استعانة ولا شريك ولا ضد وكذلك نقول لا ند ولا شريك ولا ضد فلا استعانة والغرض تنزيهه سبحانه
عن صفات المخلوقين وخواص المحدثين وقوله ولكن خلائق مربوبون وعباد داخرون اي بل خلائق خلقهم بمحض جوده وهو فيضان الخير
عنه على كل قابل بقدر ما يقبله من غير بخل ولا منع وتعويق وبذلك الاعتبار كان كل شئ مربوبا له وهو رب كل شئ وكل عبد ذليل وهو مالكه
ومولاه وقوله لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كاين اشارة الى وصفه بسلب كونه ذا محل وللناس في تنزيهه تعالى عن المحل كلام طويل والمعقول
من الحلول عند الجمهور قيام موجود بموجود على سبيل التبعية له وظاهر ان الحلول بهذا المعنى على واجب الوجود محال لان كونه تبعا للغير يستلزم
حاجته اليه وكل محتاج ممكن قال افضل المتاخرين نصير الدين الطوسي ابقاه الله والحق ان حلول الشئ في الشئ لا يتصور الا اذا كان الحال بحيث
لا يتعين الا بتوسط المحل واذ لا يمكن ان يتعين واجب الوجود بغيره فاذن يستحيل حلوله في غيره اذا عرفت ذلك فنقول لما كان الكون
في المحل والنائي عنه والمباينة له امورا انما تقال على ما يصح حلوله فيه ويحله وكان هو تعالى منزها عن الحلول وجب ان يمتنع عليه اطلاق هذه
الامور فاذ ليس هو بحال في الاشياء فليس هو بكاين فيها واذ ليس بكاين فيها فليس بناي عنها ولا مباين لها وقوله لم يوده خلق ما
ابتدا ولا تدبير ما ذرا الاعيا انما يقال لذي الاعضاء من الحيوان اذ ليس تعالى بجسم ولا ذي آلة جسمانية لم يلحقه بسبب اعياء وانما قال
ما ابتدا ليكون سلب الاعياء عنه ابلغ اذ ما يبتديه من الافعال يكون المشقة فيه اتم وتدبيره يعود الى تصريفه لجميع الذوات والصفات
دايما كليا وجزئيا على وفق حكمته وعنايته ونحوه قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن وقوله
ولا وقف به عجز عما خلق اشارة الى كمال قدرته وان العجز عليه محال وقد سبق بيانه وقوله ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر اشارة
الى كمال علمه ونفي الشبهة ان تعرض له واعلم ان الشبهة انما تدخل على العقل في الامور المعقولة الصرفة غير الضرورية وذلك انك علمت
ان الوهم لا يصدق حكمه الا في المحسوسات فاما الامور المعقولة الصرفة فحكمه فيها كاذب فالعقل حال استنصاله وجه الحق فيها
يكون معارضا بالاحكام الوهمية واذا كان المطلوب غامضا فربما كان بالاحكام الوهمية ما يشبه بعض اسباب المطلوب فيتصوره
النفس بصورته ويعتقده مبدا فينتج الباطل في صورة المطلوب ويلبس به ولما كان الباري تعالى منزها عن القوى البدنية
وكان علمه لذاته لم يجز ان يعرض لقضائه ولا قدره شبهة او يدخل عليه فيه شك لكونهما من عوارضها وقد عرفت معنى القضاء
والقدر فيما سبق وقوله بل قضاء متقن وعلم محكم اي بريء من فساد الشبهة والغلط وقوله وامر مبرم اشارة الى قدره الذي هو
تفصيل قضائه المحكم وظاهر ان تفصيل المحكم لا يكون الا محكما وقوله المامول مع النقم المرهوب مع النعم اقول منبع هذين الوصفين
هو كمال ذاته وعموم فيضه وانه لا غرض له وانما الجود المطلق والهبة لكل ما يستحقه ولما كان العبد حال حلول نقمته به قد يستعد
بالاستغفار والشكر لافاضة الغفران ودفع النقمة فيفيضها عليه مع كثير من نعمه لابد كان تعالى وله مظنة الامل والفزع اليه في

لانه

رفع ما الفى وابقى ما ابقى حتى انه تعالى هو المفيض لصورة الامل واليه اشار بقوله تعالى واذا مسّكم الضرّ ضلّ من تدعون الّا اياه وكذلك حال
افاض نعمة لما كان العبد قد يستعد بالغفلة للاعراض عن شكرها كان تعالى فى تلك الحال اهلا ان يفيض عليه توارد نقمة بسلبها فكان هو المال
مع النقم المرهوب مع النعم فهو المستعان به عليه وهو الذى لا مفرّ منه الا اليه ومن عداه فخلول نعمة غير مجامع للامل رحمة وقيام نقمة معاند
لنزول رهبته فلا مامول ولا مرهوب فى كل الحالين سواه وبالله العصمة والتوفيق ومن كلام له عليه السلم كان يقوله لاصحابه فى بعض ايام
صفين معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضّوا على النواجذ فانه انبا للسيوف عن الهام واكملوا اللامة
وقلقلوا السيوف فى اغمادها قبل سلها والحظوا الخزر واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبى وصلوا السيوف بالخطى واعلموا انكم
بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعاودوا الكرّ واستحيوا من الفرّ فانه عار فى الاعقاب ونار يوم الحساب
وطيبوا عن انفسكم نفسا وامشوا الى الموت مشيا سجحا عليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان
كامن فى كسره قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلى لكم عمود الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن
يتركم اعمالكم اقول المشهور ان هذا الكلام قاله عليه السلم لاصحابه فى اليوم الذى كان مساءه ليلة الهرير وروى انه قاله فى اول ايام
اللقاء بصفين وذلك فى صفر سنة سبع وثلثين استشعرت الشئ اتخذته شعارا وهو ما يلى الجسد من الثياب والجلباب الملحفة
والسكينة الثبات والوقار والنواجذ اقاصى الاضراس ونبا السيف اذا رجع فى الضربة ولم يعمل واللامة بالهمزة الساكنة الدرع
وبالممدودة مع تضعيف الميم جميع الآت الحرب والقلقلة التحريك والخزر بفتح الزاء ضيق العين وصغرها وكذلك تضييقها
والنظر بموخرها عند الغضب والطعن الشزر بسكون الزاى الضرب على غير استقامة بل يمينا وشمالا والظبى جمع ظبة وهى
طرف السيف والمنافحة التناول باطراف السيوف والاعقاب جمع عقب او جمع عقب وهو العاقبة وسجحا اى سهلا والسواد العدد الكثير
والرواق بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد وثبجه وسطه والكسر جانب الخباء والنكوص الرجوع والصمد القصد ولن يتركم
اى ينقصكم واعلم ان هذه الاوامر مشتملة على تعليم كيفية الحرب والمقاتلة وهى كيفية يستلزم الاستعداد بها افاضة النصر لا محالة
فاولها الامر باستشعار خشية الله كما يلزم الشعار الجسد وهو استعارة كما سبق وفايدة هذا الامر الصبر على الحرب وامتثال جميع
الاوامر الباقية اذ خشية الله مستلزمة لامتثال اوامره ولذلك قدمه الثانى الامر باتخاذ السكينة جلبابا بتنزيلا للثبات الشامل
للانسان منزلة الملحفة فى شمولها للبدن والشمول هو وجه الاستعارة وفايدة هذا الامر طرد الفشل وارهاب العدو فان
الطيش والاضطراب يستلزمان الفشل وطمع العدو الثالث الامر بالعض على النواجذ وفايدته ما ذكر وهو ان ينبو
السيف عن الهامة وعلته ان العض على الناجذ يستلزم تصلب العضلات والاعصاب المتصلة بالدماغ فيقاوم ضربة
السيف وتكون نكايته فيه اقل والضمير فى قوله فانه يعود الى المصدر الذى دل عليه عضوا كقولك من احسن كان خيرا له وقال بعض
الشارحين عض الناجذ كناية عن تسكين القلب وطرد الرعدة وليس المراد حقيقته قلت هذا وان كان محتملا لو قطع عن التعليل
الا انه غير مراد هنا لانه يضيع تعليله بكونه انبا للسيوف عن الهام الرابع الامر باكمال اللامة واكمال الدرع البيضة والسواعد
ويحتمل ان يريد باللامة جميع الآت الحرب وما يحتاج اليه فيه وفايدته شدة التحصن الخامس الامر بقلقلة السيوف
فى الاغماد وفايدته سهولة جذبها حال الحاجة اليها فان طول مكثها فى الاغماد يوجب صداها وصعوبة مخرجها حال الحاجة

السادس الامر بلحظ الخزر وذلك من هيئات الغضب فان الانسان اذا نظر من غضب عليه نظره خزرا وفايدته امورا احدها احماء
الطبع واستثارة الغضب والثاني ان النظر بكلية العين الى العدو امارة الفشل ومن عوارض الطيش والخوف وذلك يوجب طمع العدو
الثالث ان النظر بكليتها اليه يوجب له التفطن والحذر واخذ الاهبة والتحرز والنظر خزرا استغفال له ومظنة لاخذ غرته السابع
الامر بالطعن الشزر وذلك ان الطعن يمينا وشمالا يوسع المجال على الطاعن وكان اكثر المناوشة للخصم في الحرب يكون عن يمينه وشماله
الثامن الضرب باطراف السيوف بالخطى وله فايدتان احداهما ان السيف ربما يكون قصيرا فلا ينال الغرض به فلما انضاف اليه
مد اليد والخطوات بلغ به المراد وفيه قول الشاعر: اذا قصرت اسيافنا كان وصلها: خطانا الى اعدائنا فنضارب: وقول الاخر
: نصل السيوف اذا قصرن بخطونا: يوما ونلحقها اذا لم تلحق: وقيل لبعضهم ما اقصر سيفك فقال اطوله بخطوة الثانية ان الزحف
في الحرب الى العدو والتقدم اليه خطوات في حال المكافحة تكسر توهم الضعف في عدوه ويلقى في قلبه الرعب ويداخله الرهبة
واليه اشار حميد بن ثور الهذلي: ووصل الخطا بالسيف والسيف بالخطا: اذا ظن ان المرء ذا السيف قاصر: ثم لما اراد تاكيد
الاوامر في قلوبهم وان يزيدهم اوامر اخر ارد في ذلك بامرين احدهما ان الله تعالى يراهم وينظر كيف يعملون وذلك قوله واعلموا انكم
بعين الله والباء ههنا كهي في قولك انت مني بمراى ومسمع الثاني تذكيرهم بكونهم مع ابن عم رسول الله تنبيها لهم على فضيلته وان طاعته
كطاعة رسول الله وحربه كحربه كما هو المنقول عنه حربك يا علي حربي فيثبتوا على قتال عدوهم كما ثبتوا مع رسول الله العاشر الامر
بمعاودة الكر وذلك عند التحرف للقتال والانحياز الى الفئة وان يستحيوا من الفرار ثم نبههم على قبحه بامرين احدهما انه عار في الاعقاب
اي انه عار في عاقبة امركم وسبة باقية خلفكم والعرب تستقبح الفرار كثيرا الثاني كونه نارا يوم الحساب اي يوجب استحقاق النار
وهو من كباير المعاصي وجعله نارا مجازا تسمية له باسم غايته وهو تذكير لهم بوعيده تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او
متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماويه جهنم وبئس المصير الحادي عشر قوله وطيبوا عن انفسكم نفسا وهو تسهيل للموت عليهم الذي هو
غاية ما يلقونه من الشدايد بالحرب بالبشارة بما هو اعظم واجل من الحيوة الدنيا المطلوبة بترك القتال وهو ما اعد لهم من الثواب الباقي وهذا كما
يقول احدنا للمنفق ماله مع حبه له طب نفسا عما ذهب منك فان الصدقة لك عند الله وتجدها خيرا واعظم اجرا ونفسا منصوب على التمييز واشار
بها الى النفس المدبرة لهذا البدن وبالاولى الى الشخص الزايل وبالعقل الثاني عشر الامر بالمشي الى الموت مشيا سهلا لا تكلف فيه ولا تجشع
فان المتكلف سريع الفرار وهو امر لهم بالمشي الى . . غاية ما يخافون من القتال ليوطنوا نفوسهم عليه ولينهزوا ويسرعوا الى الحرب
اذ من العادة ان يستنفر الشجاع بمثل ذلك فيسارع الى داعيه لما يتصوره فيه من جميل الذكر وحسن الاحدوثة وروى سجحا والمعنى
واحد وقوله عليكم بالسواد الاعظم الى قوله كسره اقول لما حثهم بالاوامر المذكورة عين معقدهم واشار بالسواد الاعظم
الى اهل الشام مجتمعين وبالرواق المطنب الى مضرب معوية وكان معوية اذن في مضرب عليه قبة عالية باطناب عظيمة وحوله
من اهل الشام ماية الف كانوا تعاهدوا لا ان لا ينزحوا عنه حتى يقتلوا وعين لهم وسط الرواق واغراهم به بقوله
ان الشيطان كامن في كسره واراد بالشيطان لما كان عبارة عن شخص يضل الناس عن سبيل الله وكان معوية وقيل عمرو بن
العاص وذلك ان الشيطان لما كان عبارة عن شخص يضل الناس عن سبيل الله وكان معوية في ... اصحابه كذلك عنده عليه السلام
لاجرم اطلق عليه لفظ الشيطان وقد سبقت الاشارة الى معنى الشيطان ويحتمل ان يريد الشيطان المطلق ولما كانت

بهذا صح

بمعنى الا الا الراجع الى ... / الى ان تزول بالفضل ومالا

مجال

محال الفساد هي مظنة ابليس وكان المضرب قد حرب على غير طاعة الله كان محلا للشيطان فلذلك استعار له لفظ الجلوس في كسره وقوله
قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا كناية عن تردده معاوية وانتظاره لامرهم ان جبنوا وثب وان شجعوا انكص وهرب او
عن الشيطان على سبيل استعارة الوثبة والنكوص له واليد والرجل ويكون تقديم يده للوثبة كناية عن تزيينه لاصحاب معوية
الحرب والمعصية وتاخيره للنكوص الرجل كناية عن تهيئته للفرار اذا التقى الجمعان كما حكى الله سبحانه عنه فلما تراءى الجمعان نكص على عقبيه
وقال اني بريء منكم الاية فان قلت فما معنى نكوص الشيطان على راي من فسره بالقوة الوهمية ونحوها قلت لما كانت وسوسته
تعود الى القائه الى النفس صورة ما تحكم بحسنه لها فقط دون امر اخر كما حكى الله تعالى عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
الاية كان نكوصه يعود الى اعراض الوهم عند عض الحرب ومشاهدة المكروه عن ذلك الحكم ورجوعه عنه وهو معنى قوله اني بريء منكم اني
ارى ما لا ترون وذلك ان الوهم اذن يحكم بالهرب والاندفاع عن المخوف بعد ان كان قد زين الدخول فيه ويكون اذن قوله اني اخاف الله
والله شديد العقاب موافقة لحكم العقل فيما كان يراه من طاعة الله بترك المعصية بالحرب وكل ذلك من تمام اغراء اصحابه باهل الشام
وتنبيههم على ان باعثهم في الحرب ليس الا الشيطان وانه لا غرض له الا فتنتهم ثم الرجوع والاعراض عنهم الثالث عشر امرهم بقصد عدوهم
مؤكدا له بتكريره اي اصمدوا لهم صمدا الى غاية ان يظهر لكم نور الحق بالنصر واستعار لفظ العمود للحق الظاهر عن الصبح للمشاركة بينهما
في الوضوح والجلاء فالصبح للحس والحق للعقل ولفظ التجلي ترشيح الاستعارة كنى به عن ظهوره ووضوحه والمعنى الى ان يتضح لكم
ان الحق معكم بظفركم بعدوكم وقهره اذ الطالب لغير حقه سريع الانفعال قريب الفرار في المقاومة وقوله وانتم الاعلون الاية
تسكين لنفوسهم وبشارة بالمطلوب بالحرب وهو العلو والقهر كما بشر الله تعالى به الصحابة في قتال المشركين وتنبيه لهم على الفخر في طاعة
فان حزب الله هم الغالبون وقوله ولن يتركم اعمالكم تذكر لهم بجزاء الله لهم اعمالهم في الاخرة وبعث لهم بذلك على لزوم العمل له وبالله التوفيق ومن
كلام له عليه السلام في معنى الانصار قالوا لما انتهت الى امير المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه واله
قال عليه السلام ما قالت الانصار قالوا قالت منا امير ومنكم امير قال عليه السلام فهلا احتججتم عليهم بان رسول الله صلى الله عليه واله وصى
بان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم قالوا وما في هذا من الحجة عليهم فقال عليه السلام لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية
بهم ثم قال فماذا قالت قريش قالوا احتجت بانها شجرة الرسول صلى الله عليه واله فقال امير المؤمنين عليه السلام احتجوا بالشجرة
واضاعوا الثمرة اقول الانباء التي بلغته عليه السلام هي اخبار ما جرى بين الانصار والمهاجرين من المشاجرة في امر الامامة
وابتاعهم البيعة لابي بكر وخلاصة القصة انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه واله اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة
وهي صفة كانوا يجتمعون بها فخطبهم سعد بن عبادة ومدحهم في خطبته واغراهم بطلب الامامة وقال ان لكم سابقة في الاسلام
ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن فما امن به من قومه الا قليل والله
ما كانوا يقدرون ان يمنعوه ولا يدفعوا عنه ضيما حتى اراد الله بكم خير الفضيلة وساق اليكم الكرامة ورزقكم الايمان به والاقرار
بدينه فكنتم اشد الناس على من تخلف عنه منكم واثقله على عدوكم من غيركم حتى استقاموا لامره ودانت العرب [illegible] وانجز الله
لنبيكم الوعد وتوفاه وهو عنكم راض فشدوا ايديكم بهذا الامر فانكم احق الناس به فاجابوه جميعا ان وفقت واصبت ولن
نعدو ان نوليك هذا الامر واتى الخبر ابا بكر وعمر فجاءا مسرعين الى السقيفة فتكلم ابو بكر فقال للانصار الم تعلموا انا معاشر [illegible]

المعنى له

المهاجرين اول الناس اسلاما ونحن عشيرة رسول الله وانتم انصار الدين ووزراء رسول الله واخواننا في الدين كتاب الله وانتم المؤثرون
انفسهم واحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لما ساق الله الى اخوانكم وان لا يكون انتقاض هذا الدين على ايديكم وانا ادعوكم الى
بيعة ابي عبيدة او عمر فكلاهما قد رضيت لهذا الامر فقال عمر وابو عبيدة ما ينبغي لاحد من الناس ان يكون فوقك انت صاحب الغار وثاني
اثنين وامرك رسول الله بالصلوة فانت احق بهذا الامر فقالت الانصار نحن اصحاب الدار والايمان لم يعبد الله علانية الا عندنا وفي
بلادنا ولا عرف الايمان الا من اسيافنا ولا جمعت الصلوة الا في مساجدنا فنحن اولى بهذا الامر فان ابيتم فمنا امير ومنكم امير فقال عمر
هيهات لا يجتمع سيفان في غمد ان العرب لا ترضى ان تؤمركم ونبيها من غيركم فقال الحباب بن المنذر نحن والله احق بهذا الامر انه قد
دان لهذا الامر باسيافنا من لم يكن يدين له وان لم ترضوا اجليناكم عن بلادنا انا جذيلها الجذل بالكسر عود ينصب للابل الجرب لتحتك
به فتستشفي والمحكك الذي كثر به الاحتكاك حتى صار مملسا والعذق بالفتح النخلة والمرجب المدعوم برجبة وهي خشبة ذات
شعبتين وذلك اذا طالت النخلة وكبرت او قالت فيدعم بها لئلا تسقط والمعنى انا ذو راي يستشفى بالاستضاءة به كثيرا في
مثل هذه الحادثة وانا في كثرة التجارب والعلوم بموارد الاحوال فيها وفي امثالها ومصادرها كالنخلة الكثيرة الحمل والتصغير في
الموضعين للمدح المحكك وعذيقها المرجب ان شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد علي احد ما اقول الا حطمت انفه بالسيف هذا
فقام بشير بن سعد الخزرجي وكان يحسد سعد بن عبادة ان يصل اليه هذا الامر وكان سيدا في الخزرج وقال انا لم نرد باسلامنا
الا وجه ربنا لا عرض الدنيا وان محمدا رجل من قريش وقومه احق بميراث امره واتقوا الله ولا تنازعوهم معشر الانصار فقام ابو بكر
وقال هذا عمر وابو عبيدة بايعوا ايهما شئتم فقالا لا نتولى هذا الامر عليك وانت احق به ابسط يدك فبسط يده فبايعاه وبايعه
بشير بن سعد وبايعه الاوس كلها وحمل سعد بن عبادة وهو مريض فادخل منزله وقيل انه بقي ممتنعا عن البيعة حتى مات بحوران
في طريق الشام ولنرجع الى المتن فنقول اما الخبر الذي رواه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا ذكرنا
مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله معصبا على راسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار
فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم فاما وجه احتجاجه بهذا
الخبر فهو في صورة شرطية متصلة يستثنى فيها نقيض تاليها وتقريرها لو كانت الامامة حقا لهم لما كانت الوصية بهم لكنها
بهم فليست الامامة لهم بيان الملازمة ان العرف قاض بان الوصية والشفاعة ونحوها انما تكون الى الرئيس في حق
المرؤوس من غير عكس واما بطلان التالي فللخبر المذكور واما قوله احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة فاشار بالثمرة اما الى نفسه واهل
بيته فانهم ثمرة الغصن المورق المثمر لتلك الشجرة ولما استعير لفظ الشجرة لقريش استعار لفظة الثمرة لنفسه وقد عرفت تفرعه
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكونه ثمرة له واضاعتهم لها اهمالهم له من هذا الامر ويحتمل ان يريد بالثمرة التي اضاعوها سنة الله الموجبة في اعتقاده
استحقاقه لهذا الامر وظاهر كونها ثمرة الرسول صلى الله عليه وآله واهمالهم لها تركهم العمل بها في حقه وهو كلام في قوة احتجاج له على قريش بمثل ما
احتجوا به على الانصار وتقديره انهم ان كانوا اولى من الانصار لكونهم بشجرة رسول الله فنحن اولى لكوننا ثمرته وللثمرة اختصاص
بالمثمر من وجهين احدهما القرب ومزيته ظاهرة والثاني ان الثمرة هي المطلوبة بالذات من الشجرة وغرسها وان كانت
الشجرة معتبرة فبالاولى اعتبار الثمرة وان لم يلتفت الى الثمرة فبالاولى لا التفات الى الشجرة ويلزم من هذا الاحتجاج احد امرين

اما بقاء

اما ببقاء الانصار على حجتهم لقيام هذه المعارضة او كونه عليه السلام احق بهذا الامر وهو المطلوب والله اعلم بالصواب ومن كلام له عليه السلام لما قتل محمد
بن ابي بكر مصر فملكت عليه وقتل رحمه الله وقد اردت تولية مصر هاشم بن عتبة ولو وليته اياها لما خلى لهم العرصة ولا انهزهم
الفرصة بلا ذم لمحمد بن ابي بكر فلقد كان الي حبيبا وكان لي ربيبا اقول كان عليه السلام ولى محمد بن ابي بكر مصر فلما اضطرب الامر عليه
بعد صفين وقوي امر معاوية طمع في مصر وقد كان عمرو بن العاص بايعه على ان يكون معه في قتال علي وتكون مصر له طعمة
فبعثه اليها بعد صفين في ستة الاف فارس وقد كان فيها جماعة عظيمة ممن يطلب بدم عثمن وكانوا يزعمون ان محمدا قتله
فانضافوا الى عمرو وكان معوية كتب الى وجوه اهل مصر اما الى شيعته فبالترغيب واما الى اعدائه فبالترهيب وكتب محمد بن ابي بكر الى علي
بالقصة يستمده بالمال والرجال فكتب اليه يعده بذلك فجعل محمد يدعوا اهل مصر لقتال عمرو فانتدب معه منهم اربعة الاف رجل فوجه
منهم الفين مع كنانة بن بشر لاستقبال عمرو وبقي هو في الفين فابلى كنانة في ذلك اليوم بلاء حسنا وقتل من عسكر عمرو خلقا كثيرا ولم يزل يقاتل
حتى قتل هو ومن معه فلما قتل تفرق عن محمد واقبل عمرو يطلب محمدا فهرب منه مستخفيا فالتجى الى خربة اختبى فيها فدخل عمرو فسطاطه
وخرج معوية بن حديج الكندي وكان من امراء جيش عمرو في طلب محمد فظفر به وقد كاد يموت عطشا فقدمه فضرب عنقه
ثم اخذ جثته فحشاها في جوف حمار ميت واحرقه وقد كان علي عليه السلام وجه لنصرته مع مالك بن كعب الى مصر نحوا من الفي رجل فسار
بهم خمس ليال وورد الخبر الى علي بقتله واخذ مصر فجزع عليه عليه السلام جزعا ظهر اثره في وجهه ثم قال رحم الله محمدا كان غلاما حدثا
وقد كنت اردت الفصل والنهز والنهوض الشي والفرصة النهضة وهي ما امكنك من نفسه وانما اراد تولية هاشم لقوته على
هذا الامر وكثرة تجاربه وهاشم هذا ابن عتبة بن ابي وقاص الذي كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد وكلم
شفته وكان هاشم من شيعة علي والمخلصين في ولائه وشهد معه حرب صفين وابلى فيه بلاء حسنا واستشهد بين يديه بها
وقوله لما خلى لهم العرصة اي عرصة الحرب كما فعل محمد وظن انه ينجو بفراره ولو ثبت لثبت معه الناس وقتل كريما وقوله ولا
انهزهم الفرصة كنى بالفرصة عن مصر اي ولم يمكنهم من تناولها كما تمكنوا مع محمد قوله بلا ذم لمحمد اي لست في مدحي لهاشم ذاما لمحمد ونبه على
برائته من استحقاق الذم بوجهين الاول انه كان لي حبيبا وظاهر انه عليه السلام لا يحب الا مرضيا لله ورسوله بريا من العيوب الفاضحة وقد
كان محمد رضي الله عنه من نساك قريش وعبادها والثاني انه كان ربيبا له وذلك مما يستلزم محبته وعدم ذمه فاما كونه ربيبا فلان
ام محمد هي اسماء بنت عميس وكانت تحت جعفر بن ابي طالب وهاجرت معه الى الحبشة فولدت له عبد الله بن جعفر وقتل عنها يوم
موتة فتزوجها ابو بكر فاولدها محمدا ثم لما مات عنها تزوجها علي عليه السلام فكان محمد ربيبه ونشا على ولائه منذ صباه
وكان علي يحبه ويكرمه ويقول محمد ابني من ظهر ابي بكر وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام في ذم اصحابه كم اداريكم كما تدارى البكار
العمدة والثياب المتداعية كلما حيصت من جانب تهتكت من جانب اخر كلما اظل عليكم منسر من مناسر اهل الشام
اغلق كل رجل منكم بابه وانجحر انجحار الضبة في جحرها والضبع في وجارها الذليل والله من نصرتموه ومن رمى بكم
فقد رمى بافوق ناصل انكم لكثير في الباحات قليل تحت الرايات واني لعالم بما يصلحكم ويقيم اودكم ولكني والله
لا ارى اصلاحكم بافساد نفسي اضرع الله خدودكم واتعس جدودكم لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل ولا تبطلون
الباطل كابطالكم الحق اقول البكار جمع بكر وهو الفتي من الابل والعمدة هي التي شدخ اسنمتها ثقل الحمل والحوص الخياطة وتهتكت

در
اطل

تخرقت واطلّ اشرف والمنسر بكسر الميم وفتح السين وبالعكس القطعة من الجيش من المائة الى المائتين وقد سبق وانجحر الضب دخل جحره وهو بيته وبيت الضبع وجاره والافوق الناصل السهم لا فوق له ولا نصل والباحة ساحة الدار والاود الاعوجاج واضرع اذل واتعس

اهلك وهذا الفصل يشتمل على توبيخ اصحابه لتقاعدهم عن النهوض معه الى حرب اهل الشام وذكر وجوه التوبيخ الاول حاجتهم الى المداراة الكثيرة وليس ذلك من شيم الرجال ذوى العقول بل من شان البهائم ومن لا عقل له وشبههم في حاجتهم الى المداراة بتشبيهين احدهما بالبكار التى قد انهكها حملها ووجه التشبيه بينها وبينهم هو قلة صبرهم وشدة اشفاقهم وفرارهم من التكليف بالجهاد واستغاثتهم كما تشتد جرجرة البكر العمد وفرارها من معاودة الحمل الثانى بالثياب المتداعية وهى التى يتبع مالم يتخرق منها ما انخرق في مثل حاله ووجه الشبه ما ذكره وهو قوله كلما حيصت من جانب تهتكت من اخرى كان الثياب المتداعية كذلك فكذلك اصحابه كلما اصلح حال بعضهم وجمعهم للحرب فسد بعض اخر عليه الثانى شهادة حالهم عليهم بالجبن والخوف وهو قوله كلما اطل الى قوله وجارها وكنى باغلاق كل منهم بابه عند سماعهم بقرب بعض جيوش الشام منهم عن فرارهم من القتال وكراهية سماعهم للحرب وشبههم في ذلك الخوف والفرار بالضبة والضبع حين ترى الصايد اوامرا تخافه وانما خص الاناث لانها اولى بالمخافة من الذكران الثالث وصفهم بالذلة وقلة الانتفاع بهم فنبه على وصف الذل بقوله الذليل والله من نصرتموه فانه انما يكون ذليلا لكونهم كذلك ويحتمل ان يشير بذلك الى سوء ارائهم في التفرق والاختلاف ثم بالغ في ذلك بحصر الذل لكل منتصر بهم فيمن نصروه ونبه على قلة الانتفاع بهم بقوله ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل استعار لهم من اوصاف السهم ارداها وكنى بذلك عن عدم فايدتهم ونكايتهم في العدو كما لا فايدة في الرمى بالسهم الموصوف الرابع وصفهم بالكثرة فى المجامع والاندية مع قلتهم في الحرب وتحت الالوية وذلك يعود الى الذم بالجبن ايضا والعار به فان قلة الاجتماع في الحرب والتفرق عنه من لوازم الخوف وكان مقابل هذا الوصف وهو الاجتماع والكثرة في الحرب مع القلة بغيره مدح كما قال ابو الطيب: ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا . قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا . فبالحرى ان كان هذا الوصف ذما كما قال عويف القوافى: السم اقل الناس عند لوائهم . واكثرهم عند الذبيحة والقدر وقوله وانى لعالم الى قوله اودكم اراد انه لا يصلحهم الا السياسة بالقتل ونحوه كما فعل الحجاج حين ارسل المهلب الى الخوارج روى انه نادى في الكوفة من تخلف عن المهلب بعد ثلث فقد احل دمه وقتل جماعة فخرج الناس الى المهلب يهرعون وكما يفعله كثير من الملوك وقوله ولكنى لا ارى اصلاحكم بافساد نفسى اى لما لم يكن ليستحل من دماء اصحابه ما يستحل ملوك الدنيا من رعيتهم اذا ارادوا اثبات ملكهم ولو بفساد دينهم لاجرم لم ير اصلاحهم بالقتل اذ كان اصلاحهم بذلك سببا لفساد نفسه بلزوم اثامهم لها ولما كان الواجب في الحكمة ان يكون اصلاح الانسان للغير فرعا على اصلاح نفسه اولا لم يتصور من مثله عليه السلم ان يفعل فعلا يستلزم فساد نفسه وان اشتمل على وجه من المصلحة فان قلت الجهاد بين يدى الامام العادل واجب ولان يحملهم عليه فلم لا يستخير قتلهم قلت الجواب من وجهين احدهما انه ليس كل واجب يجب في تركه القتل كالحج الثانى لعله عليه السلم لو شرع فى عقوبتهم بالقتل على ترك الجهاد معه لتفرقوا عنه الى خصمه او سلموه اليه او اتفقوا على قتله وكل هذه مفاسد اعظم من تقاعدهم عن دعوته لهم في بعض الاوقات وقوله اضرع الله الى اخره دعاء عليهم بالذل وهلاك الحظائر ثم نبههم على استحقاقهم لدعائه وهى الجهل ثم ما ينشاء عنه من ظلم انفسهم اما الجهل فعدم معرفتهم للحق كمعرفتهم الباطل واراد به ما يلزمهم من اوامر الله واراد بمعرفتهم الباطل معرفتهم باحوال الدنيا وباطلها والاشتغال بها عن اوامر الله ويحتمل ان يشير به الى ما يعرض لبعضهم من الشبه الباطلة في قتال اهل القبلة فيوجب لهم التوقف والتخاذل عن الحرب ويكون مكافاته بين معرفتهم للباطل والحق تنبيها على قوة جهلهم المركب وهو اشد الجهل وغايته ثم بيخهم

بكونهم

بكونهم على قسمي الجهل فالبسيط هو عدم معرفتهم للحق والمركب هو تصديقهم بالباطل واما الظلم فهو ابطالهم للحق وذلك اشارة الى تعاميهم عن
طاعة الله وتصامهم عن سماع مناديه واجابته وعدم ابطالهم للباطل اشارة الى عدم انكارهم للمنكر في انفسهم وغيرهم وبالله التوفيق وقال
عليه السلام في سحرة اليوم الذى ضرب فيه صلوات الله عليه ملكتني عيني وانا جالس فسنح لى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله
ماذا لقيت من امتك من الاود واللدد فقال ادع عليهم فقلت ابدلني الله بهم خيرا لى منهم وابدلهم بى شرا لهم منى قال الرضى رحمه الله يعنى عليه السلام
بالاود الاعوجاج وباللدد الخصام وهذا من افصح الكلام اقول السحرة السحر الاعلى واما كيفية قتله عليه السلام فمذكور في التواريخ وقوله
ملكتني عيني فاستعارة حسنة وتجوز في التركيب اما الاستعارة فلفظ الملك للنوم ووجه الاستعارة دخول النايم في غلبة النوم وقهره
ومنعه له ان يتصرف في نفسه كما يمنع الملك العبد من التصرف في امره واما التجوز في العين وفي الاسناد اليها اما الاول فاطلق لفظ العين
على النوم لما بينهما من الملابسة اذ اطباق الجفون من عوارضهما واما الثاني فاسناد الملك الى النوم المتجوز فيه بلفظ العين
والواو في قوله وانا للحال وقوله فسنح لى الى اخره اراد بالسنح حضور صورة رسول الله صلى الله عليه وآله في لوح خياله كما علمت وشكايته منهم
وجواب الرسول له يستلزم امرين احدهما انه عليه السلام كان في غاية الكرب من تقصيرهم في اجابة ندائه ودعوته الى الجهاد حتى انتهت
الحال الى قتله الثاني عدم رضاء الرسول صلى الله عليه وآله عنهم وقوله وابدلهم بى شرا لهم منى لا يستلزم ان فيه شرا كما قدمنا بيانه وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام في ذم اهل العراق اما بعد يا اهل العراق فانما انتم كالمراة الحامل حملت فلما اتمت املصت ومات قيمها وطال
تأيمها وورثها ابعدها اما والله ما اتيتكم اختيارا ولكن جئت اليكم سوقا ولقد بلغني انكم تقولون يكذب قاتلكم الله فعلى من اكذب
اعلى الله فانا اول من آمن به ام على نبيه فانا اول من صدقه كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من اهلها ويل امه
كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء ولتعلمن نبأه بعد حين اقول املصت اسقطت والايم التى لا بعل لها واللهجة اللسان والقول
الفصيح وهذا الكلام صدر عنه بعد حرب صفين وفيه مقصودان الاول توبيخهم على تركهم للقتال بعد ان شارفوا النصر على اهل الشام
وتخاذلهم الى التحكيم وابرز هذا المقصود في تشبيههم بالمراة الحامل وذكر لها اوصافا خمسة هى وجوه الشبه بينها وبينهم فالحمل يشبه
استعدادهم وتعبيتهم للحرب والاتمام يشبه مشارفتهم للظفر والاملاص يشبه رجوعهم عن عدوهم بعد طمعهم في الظفر به وذلك
رجوع غير طبيعى ولا معتاد للعقلا كما ان الاملاص امر غير طبيعى للحامل ولا معتاد لها ثم موت القيم بامورها وبعد زوجها
وطول عزبتها وذلك يشبه عدم طاعتهم له الجارى مجرى موته عنهم وطول ضعفهم لذلك ودوام عجزهم وذلتهم بعد رجوعهم
لتفرقهم الى خوارج وغيرهم فان موت قيم المراة مستلزم لضعفها ودوام عجزها وذلتها ثم كونها قد استحق الميراث والبعيد
عنها العدم ولدها وزوجها وذلك يشبه من حالهم اخذ عدوهم الذى هو ابعد الناس عنهم ما لهم من البلاد واستحقاقه ذلك بسبب
تقصيرهم في مقاومته وبهذا الوجوه من الشبه اشبهوا المراة المذكورة وتم توبيخهم في هذه الجملة ثم اخبرهم على وجه التضجر من حاله
معهم بانه لم ياتهم ايثارا منه للمقام بينهم ولكن سوقا قدريا اضطره الى ذلك وصدق اذ لم يكن خروجه من المدينة التى هى
دار الهجرة ومفارقة منزل رسول الله وقبره الى الكوفة الا لقتال اهل البصرة وحاجته الى الاستنصار باهل الكوفة عليهم اذ لم
يكن جيش الحجاز وافيا بمقاتلتهم ثم اتصلت تلك الفتنة بفتنة اهل الشام فدامت حاجته الى المقام بينهم وروى ولا جئت
اليكم شوقا بالشين المعجمة والمقصود الثانى توبيخهم على ما بلغه من تكذيبهم له ومقابلته لهم على ذلك برد احكام اوهامهم

الفاسدة في حقه وذمهم بجهلهم وقصور افهامهم عما يفيده من الحكمة وهو قوله ولقد بلغني انكم تقولون يكذب صورة دعواهم المنقول
عليه وقد كان جماعة من منافقي اصحابه اذا اخبر عن امور ستكون او كانت اخبر عنها واسند ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله يتجاذبون فيما بينهم
بتكذيبه فيلعنه ذلك كاخباره عن قصة الخوارج وما يكون منهم وعن ذي الثدية وانه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين
ونحو ذلك من الامور الغريبة التي تستنكرها طباع العوام ولا يعقل اسرارها الا العالمون بل كانوا يكذبونه بمحضره روي انه لما قال لو
كسرت لي الوسادة لحكمت بين اهل التورية بتوريتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من اية نزلت في بر
او بحر او سهل او جبل ولا سماء ولا ارض الا وانا اعلم فيما نزلت وفي اي شيء انزلت قال رجل من تحت المنبر وللدعوى الكاذبة
وكذلك لما قال سلوني قبل ان تفقدوني اما والله لتشغرن الفتنة الصماء برجلها وتطأ في خطامها يا لها فتنة شبت نارها بالحطب
الجزل مقبلة من شرق الارض رافعة ذيلها داعية ويلها برجلة او حولها ذاك اذا استدار الفلك [illegible] وقلتم مات او هلك
باي واد سلك فقال قوم من تحت منبره لله ابوه ما افصحه كاذبا وكأنها اشارة الى وقعة التتار وقابل دعواهم بامرين احدهما
الدعاء عليهم بقتال الله لهم وقد علمت ان قتال الله يعود الى مقته وابعاده لهم عن رحمته الثاني الحجة وتقريرها ان الذي اخبركم به من هذه الامور
انما هو عن الله وعن رسوله فلو كذبت فيه لكذبت اما على الله وهو باطل لاني اول من آمن به واول المؤمن به لا يكون اول مكذب له او على نبيه
وهو باطل لاني اول من صدقه واتبع ملته وقوله كلا والله رد لصدق دعواهم بعد الحجة كانه قال فاني دعواكم على الكذب فيما اخبركم
به باطلة وقوله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من اهلها يريد به بيان منشأ دعواهم الفاسدة لتكذيبه وذلك كون ما يقوله ويخبر به من الامور
المستقبلة ونحوها طورا وراء عقولهم الضعيفة التي هي بمنزلة اوهام سائر الحيوان وليسوا لفهم اسرارها باهل واشار باللهجة الى تلك الاقوال
واسرارها وتغيبهم عنها الى غيبة عقولهم عن ادراكها ومعرفة [illegible]ها الكائنها في حق مثلها او الى غيبتهم عنها عند القاء الرسول صلى الله عليه وآله
قوانينها الكلية اليه وتعليمه لابوابها وتفصيل ما فصل منها له وظاهر انه لما كانت عقولهم وعقول امثالهم مقهورة تحت سلطان اوهامهم
وكان الوهم مكذبا ومنكرا لمثل هذه الاحكام لا جرم لم تتمحض عقولهم لتصديقه عليهم فيها ولم يجوزوا اطلاعه عليها بل تابعت اوهامها
في الحكم بتكذيبه وحاله في ذلك مختصرة من حال رسول الله صلى الله عليه وآله مع منافقي قومه وقوله ويل امه فالويل في الاصل دعاء
بالشر او خبر به واضافته الى الام دعاء عليها ان يصاب باولادها وقيل انها تستعمل للرحمة وقيل تستعمل للتعجب واستعظام الامر
وقوله كيلا بغير ثمن اشارة الى ما يفيضه عليهم من الاخلاق الكريمة والحكم البالغة التي لا يريد بها جزاء ولا ثمنا ثم لا يعقلونها
ولا يهذبون بها انفسهم لكون نفوسهم غير مستعدة لقبولها فليس لها من تلك الانفس وعاء يقبلها واستعار لفظ الكيل وكنى به عن
كثرة ما يلقيه اليهم منها وهو مصدر استغنى به عن ذكر فعله فعلى هذا يحتمل ان يكون ويل امه دعاء بالشر على من يفقد مثاله ولم
يقتبس الحكمة منه والضمير للانسان في ذلك الوقت وان لم يجر له ذكر سابق منه يعود اليه لكنه موجود في كل شخص منهم فكانه ويل لامهم
ويحتمل ان يكون ترحما لهم فان الجاهل مرحوم ويحتمل ان يكون تعجبا من قوة جهلهم او من كثرة كيله الحكم عليهم مع اعراضهم
عنها وقوله ولتعلمن نبأه بعد حين اقتباس هذه الاية المفصحة عن مقصوده اي ولتعلمن نبأ جهلكم واعراضكم عما امركم به
والقيه اليكم من الحكم والاراء الصالحة وينكشف لهم ثمرة ذلك بعد حين واشار بالحين اما الى مدة الحيوة الدنيا وثمرة افعالهم اذن
الندامة والحسرة على ما فرطوا في جنب الله حيث لا ينفع الا الاعمال الصالحة وذلك حين تزول عنهم غواشي ابدانهم وتطرح نفوسهم جلابيبها

بالموت

بالموت واما الى مدة حيوة هواى ستعلمون عاقبة فعلكم هذا بعد مفارقتى لكم والعاقبة اذن ابتلاؤهم ممن بعده من بنى امية وغيرهم بالقتل
والذل والصغار وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم علم الناس فيها الصلوة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم اللهم داحى المدحوات
وداعم المسموكات وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرايف صلواتك ونوامى بركاتك على محمد عبدك ورسولك فطراتها
الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق والمعلن الحق بالحق والدافع جيشات الاباطيل والدامغ صولات الاضاليل كما حمل
فاضطلع قائما بامرك مستوفزا فى مرضاتك غير ناكل عن قدم ولا واه فى عزم واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك
حتى اورى قبس القابس واضاء الطريق للخابط وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن واقام موضحات الاعلام والانام الى موضحات
ونيرات الاحكام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك بالحق ورسولك الى الخلق اللهم افسح له
مفسحا فى ظلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم اعل على بناء البانين بناءه واكرم لديك منزله واتمم له نوره واجزه منزلة
من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضى المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل اللهم اجمع بيننا وبينه فى برد العيش وقرار النعمة
ومنى الشهوات واهواء اللذات ورخاء الدعة ومنتهى الطمانينة وتحف الكرامة اقول المدحوات المبسوطات والمسموكات
المرفوعات ودعمها حفظها بالدعامة وجبل خلق والفطرات جمع فطرة وهى الخلقة والدمغ كسر عظم الدماغ وجيشات جمع جيشة
من جاشت القدر ارتفع غليانها واضطلع بالامر قوى على حمله والقيام به من الضلاعة وهى القوة والاستيفاز الاستعجال والنكول
الرجوع والقدم التقدم والوهى الضعف ووعى الامر فهمه والقبس شعلة النار واورى اذكى واشعل وقد اشتملت هذه الخطبة
على ثلثة فصول الاول فى صفات المدعو وتمجيده وهو الله سبحانه والثانى فى صفات المدعو له وهو النبى صلى الله عليه وآله والثالث فى انواع المدعو به
وذلك هو الترتيب الطبيعى فبدأ بتمجيد الله تعالى باعتبارات ثلثة احدها كونه داحى المدحوات اى باسط الارضين السبع وظاهر كونها
مدحوات فان كل طبقة منها اذا اعتبرت كانت مبسوطة فاما صدق البسط على جملة الارض مع انها كرة وشهادة ظاهر
قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها والارض مددناها فهو باعتبار طبقاتها وقد يصدق عليها البسط باعتبار سطحها
البارز من الماء الذى يتصرف عليه الحيوان فانه فى الحيوان سطح مبسوط وان كان عند الاعتبار العقلى محدبا واليه الاشارة
بقوله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والله جعل لكم الارض بساطا الثانى داعم المسموكات اى حافظ السموات ان تقع على الارض فان
قلت قد قال فى الخطبة الاولى بلا عمد يدعمها ثم جعلها هنا مدعومة فما وجه الجمع قلت لم ينف هناك الا كونها مدعومة بغير العمد
وقد بينا هناك ان الدعامة التى تقوم بها السموات وهى قدرته تعالى الثالث كونه جابل القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها
اى خالق النفوس على ما خلقها عليه من التهيؤ والاستعداد لسلوك سبيلى الخير والشر واستحقاق الشقاوة والسعادة بحسب القضاء
الالهى كما قال تعالى ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وقوله وهديناه النجدين
اى الهمناه معرفة سلوك طريقى الخير والشر واهل العرفان كثيرا ما يعبرون عن النفس بالقلب وشقيها بدل من القلوب اى
خالق شقى القلوب وسعيدها على فطراتها المكتوبة فى اللوح المحفوظ فمن اخذت العناية الالهية بزمام عقله على وفق ما كتب
له فاعدته لقبول الهداية لسلوك سبيل الله فهو السعيد ومن لحقته حبايل القضاء الالهى فخطته الى مهاوى الهلكة فذلك هو الشقى
البعيد واليه الاشارة بقوله تعالى فمنهم شقى وسعيد الاية وقوله واجعل شرايف صلواتك ونوامى بركاتك على محمد عبدك ورسولك بعض

مطلوبانه من هذا الدعاء وشرايف صلواته ما عظم من رحمته وكمال جوده على النفوس المستعدة لها ونوامي بركاته ما زاد منها الفصل
الثانى ذكر للنبى عليه السلم احدا وعشرين وصفا وهى جهات استحقاق الرحمة الزائدة وزيادة البركة المدعو بها الاول كونه عبد الله وظاهر
كون العبودية جهة لاستحقاق الرحمة الثانى كونه رسولا والرسالة نوع خاص من الاستعداد يوجب مزيد الرحمة والشفقة الثالث
كونه خاتما لما سبق من انوار الوحى والرسالة بنوره وما جاء من الدين الحق وظاهر كون ذلك جهة استعداد منه لقبول الرحمة ودرجات
الكمال الرابع كونه فاتحا لما انغلق من سبيل الله قبله وطريق جنته وحضرت قدسه باندراس الشرايع فيفتح صلى الله عليه وآله ملك
السبيل بشرعه وكيفية هدايته للخلق الخامس كونه قد اظهر الحق بالحق والحق الاول هو الدين وما يدعو اليه والثانى فيه اقوال فقيل هو
المعجزات اذ بسببها تمكن من اظهار الدين وقيل الحرب والخصومة يقال فلان حاق فلانا فحقه اى خاصمه فغلبه وقيل هو
البيان اى اظهر الدين بالبيان الواضح واقول الاشبه انه اراد اظهر الحق بعضه ببعض وكلما جرى من الحق حق وذلك ان الدين لم
يظهر دفعة وانما بنى الاسلام على خمس ثم كثرت فروعه وبالاصل يظهر الفرع وظاهر كون اظهاره للحق جهة لاستحقاق الرحمة
السادس كونه دافعا لجيشات الاباطيل اى لثوران فتن المشركين وانبعاثهم لاطفاء انوار الله او لفتنتهم السابقة التى كانت
معتادة لهم من الغارات وحروب بعضهم لبعض فان كل ذلك امور باطلة على غير قانون عدل من الله وذلك الدفع من جهات قبول الرحمة
السابع كونه دامغا لصولات الاضاليل وهو قريب من السادس واستعار لفظ الدمغ مهلكا للانسان فاشبهه ما اهلك الباطل ومحاه من
افعال الرسول والضلال هنا الانحراف عن طريق الله اللازم عن الجهل بها واستعار وصف الصولات له ملاحظة لشبه المنحرفين عن سبيل الله الى
الفساد فى قوة انحرافهم وشدة فسادهم بالفحل الصايل الثامن كونه حمل الرسالة فقام بما كلف به وقوى عليه وقايما نصب على الحال وكذلك
المنصوبات بعده وهى مستوفزا وغير ناكل وكذلك محل لا واهى وواعيا وحافظا وماضيا وفى قوله كما حمل لطف اى صل عليه صلوة
مناسبة مشابهة لتحمله الرسالة وقيامه بامرها لان الجزاء من الحكيم العدل يكون مناسبا للفعل المجزى ولاجل كونها جهة استحقاق
طلب ما يناسبها من الجزاء التاسع كونه عجلا فى رضاء الله بامتثال اوامره العاشر كونه غير ناكل فيما يتقدم فيه من طاعة الله الحادى عشر كونه
ماضى العزم فى القيام بامر الله غير وان فيه الثانى عشر كونه واعيا لوحيه ضابطا له قوى النفس على قبوله الثالث عشر كونه حافظا لعهده المأخوذ عليه
من تبليغ الرسالة واداء الامانة وقد سبق بيان معنى العهد فى الخطبة الاولى الرابع عشر كونه ماضيا على انفاذ امره فى العالم وجذب الخلق الى سلوك
سبيله الخامس عشر ما انتهى اليه من الغاية باجتهاده فى مرضاة الله وهو كونه اورى قبس القابس اى اشعل انوار الدين وقدح زناد الافكار حتى اظهر
انوار العلوم منها للمقتبسين واستعار لفظ القبس لنور العلم والحكمة ولفظ الورى لاظهار الرسول لتلك الانوار فى طريق الله وقد سبق وجه
الاستعارة السادس عشر كونه اضاء الطريق للخابط فالطريق هو طريق الجنة والحضرة الالهية واضاءته لها اظهاره تلك الانوار وبيانها بتعليم كيفية
سلوكها والارشاد اليها والخابط وهو الجاهل الذى قصرت الحكمة الالهية ارشاده حيث كان يخبط فى ظلمات الجهل السابع عشر كونه قد
هديت به القلوب الى موضحات الاعلام اى الى الادلة الواضحة على الحق ونيرات هى المطالب الحقة الواضحة اللازمة عن تلك الادلة
بعد ما كانت القلوب فيه من خوضات الفتن والاثام اللازمة عما اجترحته من السيئات وذلك امر ظاهر الثامن عشر كونه امين الله
اى على وحيه ورسالته والمأمون تاكيد للامانة وقد عرفت معنى الامانة التاسع عشر كونه خازن علمه المخزون اى علومه اللدنية الغيبية التى لا
يتأهل لحملها كل البشر المشار اليها بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول العشرون كونه شهيدا يوم الدين كقوله تعالى فكيف اذا

جئنا

جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اي شاهدا يوم القيمة على امته بما علم منهم من خير وشر فان قلت وما حقيقة هذه الشهادة
وما فايدتها مع ان الله تعالى عالم الغيب والشهادة قلت اما حقيقتها فتعود الى اطلاعه صلى الله عليه وآله على افعال الامة وبيان ذلك انك علمت فيما سلف ان
للنفوس القدسية الاطلاع على الامور الغايبة والانتقاش بها مع كونها في جلابيبها من ابدانها فكيف بها اذا فارقت هذا العالم والجسم المظلم فانها
اذن تكون مطلعة على جميع افعال اممها ومشاهدة لها من خير او شر واما فايدتها فقد علمت ان اكثر احكام الناس وهمية والوهم منكر لله على
الوجه الذي هو الله فبالحري ان ينكر كونه عالما بجزئيات افعال عباده ودقايق خطرات اوهامهم وظاهر ان ذلك الانكار يستتبع عدم المبالاة
بفعل القبيح والانهماك في الامور الباطلة التي نهى الله تعالى عنها فاذا ذكرهم ان عليهم شهداء ورقباء وكتابا بما يفعلون مع صدق كل ذلك باحسن
تاويل كان ذلك مما يعين العقل على كسر النفس الامارة بالسوء وقهر الاوهام الكاذبة ويردع النفس عن متابعة الهوى ثم لا بد لكل رسول من امناء
على دينه وحفظة لهم شهداء ايضا على من بعده الى قيام الساعة واذا كان معنى الشهادة يعود الى اطلاع الشاهد على ما في ذمة المشهود عليه وعلمه
بحقيقته وفايدتها حفظ ما في ذمة المشهود عليه وتخوفه ان يجحده او لم يوصله الى مستحقه ان يشهد عليه الشاهد فيفتضح وينتزع منه على اقبح
وجه وكان هذا المعنى والفايدة قايمين في شهادة الانبياء عليهم السلام اذ بها يتحفظ اوامر الله وتكاليفه التي هي حقوقه الواجبة ويحصل
الخوف للمقصرين فيها بذكر شهادة الرسل عليهم بالتقصير فيفتضحوا في محفل القيمة ويستوفى منهم جزاء ما كلفوا به فقصروا فيه بالعقاب الاليم لاجرم
ظهر معنى كونهم شهداء الله على خلقه الحادي والعشرون كونه مبعوثا بالحق وهو الدين الثابت الباقي نفعه وثمرته في الآخرة ثم اعاد ذكر كونه
رسولا الى كونه وانما كرره لانه الاصل في باقي الاوصاف وظاهر ان كل هذه الاوصاف جهات استحقاق الرحمة والبركة وافاضة
الصلوات الالهية على نفسه القدسية الفصل الثالث في تفصيل المطلوب من هذا الدعاء وهو قوله اللهم افسح الى آخره وطلب امورا احدها ان يفسح له
مفسحا في ظله اي مكانا متسعا في حضرة قدسه وظل وجوده ولفظ الظل مستعار للجود ووجه المشابهة راحة المستظل بالظل من
حر الشمس فاشبهها راحة الملتجي الى جود الله المستظل به من حرارة جهنم وسعير عذابه واليه الاشارة بقوله تعالى في ظل ممدود الثاني
ان يجزيه مضاعفات الخير من فضله اي يضاعف له الكمالات من نعمه وقد علمت ان مراتب استحقاق نعم الله غير متناهية الثالث ان يعلي
على بناء البانين بناءه يحتمل ان يريد ببنيانه ما شيده من الدين فيكون اعلاه المطلوب هو اتمام دينه واظهاره بعده على الاديان
كلها ويحتمل ان يريد به ما شيده من الملكات الخيرية واستحقه من مراتب الجنة وقصورها الرابع ان يكرم لديه منزلته وهو انزاله المنزل المبارك
الموعود وقل رب انزلني منزلا مباركا الخامس ان يتم له نوره وهو اما النور الذي بعث به واتمامه انتشاره في قلوب العالمين واما النور الذي في
جوهر ذاته وتمامه زيادة كماله السادس ان يجزيه عن بعثه قبول شهادته ورضاء مقالته ومقبول مفعول لاجز وذا منطق نصب على الحال وقبول شهادته
كناية عن تمام الرضى عنه اذ من كان [illegible] مقبول الشهادة مرضي القول فلا بد وان يكون بريا من جهات الرذايل المسخطة او كناية عن كون
معتقداته ومشاهداته من اعمال امته وغيرها بريئة عن كدر الاغاليط وشوايب الاوهام وكذلك رضا اقواله في شفاعته وغيرها وكونه ذا منطق
عدل اي لا جور فيه عن الحق وخطة فصل مميزة للحق فاصلة له عن الباطل وكان هذه الاعتبارات وان اختلفت مفهوماتها ترجع الى
مطلوب واحد وهو طلب زيادة كماله عليه السلام وقربه من الله تعالى وقوله اللهم اجمع الى آخره سال الله ان يجمع بينه وبين الرسول في امور احدها
برد العيش والعرب تقول عيش بارد اذا كان لا كلفة فيه من حرب وخصومة وهو في الآخرة يعود الى ثمرات الجنة البرية من كدر الاتعاب
الثاني قرار النعماء اي مستقرها وهو الجنة وحضرة رب العالمين الثالث منى الشهوات وهو ما يتمناه النفس من المشتهيات وتلذه من اللذات بنعيم الابد

الرابع رخاء الدعة ومنتهى الطمانينة اى اتساع سكون النفس بلذة معارفة الحق والانس بالملاء الاعلى وامنها من مزعجات الدنيا وراحتها من معانات
افاتها الخامس تحف الكرامة وهى ثمرات الجنة وقطوفها الدانية وساير ما اعده لتحف اوليائه الابرار مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة قالوا لما اخذ مروان بن الحكم اسيرا يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين الى امير المؤمنين
صلوات الله عليهم فكلماه فيه فخلى سبيله فقالا له يبايعك يا امير المؤمنين فقال اولم يبايعنى بعد قتل عثمان لا حاجة لى فى بيعته
انها كف يهودية لو بايعنى بيده لغدر بسبته اما ان له امرة كلعقة الكلب انفه وهو ابو الاكبش الاربعة وستلقى الامة
منه ومن ولده يوما احمر اقول السبة الاست والامرة بالكسر الولاية وكبش القوم رئيسهم ولما امتنع من بيعة مروان نبه على سبب
امتناعه من ذلك وهو انه مظنة الغدر وذلك قوله انها كف يهودية اذ من شان اليهود الخبث والمكر والغدر ثم فسر تلك الكناية بقوله
لو بايعنى بيده لغدر بسبته وذكر السبة اهانة له لان الغدر من اقبح الرذايل فنسبته الى السبة اولى النسب والعرب تسلك
مثل ذلك فى كلامهم قال المتوكل يوما لابى العيناء الى متى تمدح الناس وتذمهم فقال ما احسنوا واساؤا ثم قال يا امير المؤمنين ان الله تعالى
رضى فمدح فقال نعم العبد انه اواب وسخط فذم فقال عتل بعد ذلك زنيم والزنيم ولد الزنا ثم ذكر مما سيكون من امر مروان ثلثة امور
احدها انه سيصير امير المسلمين ونبه على قصر مدة امارته بتشبيها بلعقة الكلب انفه ووجه الشبه هو القصر وكانت مدة امرته اربعة اشهر
وعشرا وروى ستة اشهر وانما خصصه بلعقة الكلب لانه فى معرض الذم والبحث اما كنه وفى قوله اما انه سيظهر عليكم والثانى انه سيكون ابا للاكبش الاربعة
وكان له اربعة ذكور لصلبه وهم عبد الملك وولى الخلافة وعبد العزيز وولى مصر وبشر وولى العراق ومحمد وولى الجزيرة ويحتمل ان يريد
بالاربعة اولاد عبد الملك وهم الوليد وسليمن ويزيد وهشام وكلهم ولى الخلافة ولم يلها اربعة اخوة الا هم الثالث الى ما يصدر منه ومن ذريته من
الفساد فى الارض وما يلقى الناس منهم من القتل وانتهاك الحرمة وكنى عن قتلهم للناس وشدايد ما يلقون منهم بالموت الاحمر ومن شان العرب وصف الامر الشديد
بالاحمر ولعله لكون الحمرة وصف الدم كنى به عن القتل وروى يوما احمر وانه كناية عن مدة امرهم ووصفه بالحمرة كناية عن شدته وفساد بنى امية ودمارهم
للاسلام واهله مشهور فى كتب التواريخ مسطور ومن كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان لقد علمتم انى احق بها من غيرى والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين
ولم يكن فيها جور الا على خاصة التماسا لاجر ذلك وفضله وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه اقول الزخرف الزينة ويقال الذهب
والزبرج النقش والزينة بالحلية ايضا وقوله لقد علمتم انى احق بها يشير الى ما علموه من استحقاقه للخلافة وهو استجماعه للفضايل الداخلية والخارجية
والضمير فى بها للخلافة وهو اما ان يعود الى ذكرها فى فصل تقدم متصلا بهذا الفصل ولشهرتها وكون الحديث فيها قرينة معينة لها كما قال قبل لقد تقمصها
وقوله والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين اى لاتركن امور المسلمين من الفتنة وفيه اشارة الى ان غرضه عليه السلام من المنافسة فى هذا الامر هو صلاح حال
المسلمين واستقامة امورهم وسلامتهم عن الفتن وقد كان لهم بمن سلف من الخلفاء قبله استقامة وان كانت لا تبلغ عنده كمال
استقامتها لو وليهو هذا الامر فلذلك اقسم ليسلمن ذلك الامر ولا ينازع فيه اذ لو نازع فيه لثارت الفتنة بين المسلمين وانشقت عصا
الاسلام وذلك ضد مطلوب الشارع وانما يتعين عليه النزاع والقتال عند خوف الفتنة وقيامها فان قلت السؤال عن وجهين
الاول ما وجه منافسته فى هذا الامر مع انه منصب يتعلق بامور الدنيا وصلاحها مع ما اشتهر منه عليه السلام من الزهد فيها والاعراض عنها وذمها ورفضها
الثانى كيف سلم هيهنا خوف الفتنة ولم يسلم لمعوية ولطلحة والزبير مع قيام الفتنة فى حروبهم قلت الجواب عن الاول ان منصب رسول الله صلى الله عليه وآله ليس منصبا دنياويا
وان كان متعلقا باصلاح احوال الدنيا لكونها دينا بل لانها مضمار الاخرة ومزرعتها والغرض من اصلاحها انما هو نظام احوال الخلق فى
معاشهم

لما عزموا صح

المنافسة فى هذا الامر ما سلمت صح

معاشهم ومعادهم فمنافسته عليه السلام في هذا الامر على هذا الوجه من الامور المندوب اليها اذا اعتقد ان غيره لا يغني غناه في القيام فضلا ان يقال انما لا يجوز
وعن الثاني ان الفرق بين الخلفاء الثلثة وبين معاوية في اقامة حدود الله والعمل بمقتضى اوامره ونواهيه ظاهر قوله ولم يكن فيها جور الا على
خاصة بظلم من عدل بهما عنه ونسبه لهم الى الجور دون من استحقها في انظارهم فاوصلوها اليه من ساير الخلفاء وخاصة نصب على الحال وقوله التماسا لاجر
ذلك الى اخره التماسا مفعول له والعامل لاسلمن اي التمس ثواب الله وفضله بتسليمي وصبري وكذلك قوله وزهدا مفعول له وفيه ايماء الى ان مقصود غيره
من طلب هذا الامر ومنافسته فيه ليس الا الدنيا وزخرفها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم في مقتل عثمان لما بلغه اتهام بني امية له بالمشاركة في
دم عثمن اولم ينه بني امية علمها بي عن قرفي او ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني انا حجيج المارقين وخصيم
المرتابين على كتاب الله تعرض الامثال وبما في الصدور تجازى العباد اقول قرفني بكذا اي اتهمني به ونسبه الي وزع كف وحجيجهم
محاجهم والخصيم المخاصم وقوله اولم ينه او ما وزع استفهام على سبيل الانكار عليهم والتعجب منهم ونسبه لهم الى الجهل بمناسبة حاله له وسابقة
في الاسلام لبراءته عما قرفوه به وقوله ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني تعذير لنفسه في عدم ردعه لهم عن الغيبة وامثالها اي اذا كان وعظ
الله لهم مع كونه ابلغ من كلامي لا يردعهم فكلامي بطريق الاولى وزواجر كتاب الله كقوله تعالى ان بعض الظن اثم وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم
ان يأكل لحم اخيه ميتا الاية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ونحوه من القران الكريم
كثير واراد بلسانه وعظه مجازا [illegible] اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله انا حجيج المارقين اي الخوارج او كل من خرج عن دين الله
وخصيم المرتابين اي الشاكين في نسبة هذا الامر وقيل المنافقين الشاكين في صحة هذا الدين وقوله على كتاب الله تعرض الامثال الى اخره اشارة الى الجهة
التي يحج بها ويخاصم وتقريرها ان تعلق هذا المنكر به اما من جهة اقواله او افعاله او اعتقاده وارادته والثلثة باطلة فتعلق هذا المنكر به ونسبته
اليه باطلة بيان الحصر ان هذه الجهات هي جهات صدور المنكر عن الانسان بيان بطلان الاول والثاني انه كان قد حصل في اقواله وافعاله ما يشبه الامر
بالقتل او فعله فاوقع في نفوس الجهال شبهة القتل نحو ما روي عنه لما سئل عن قتل عثمن الله قتله وانا معه وكتخلفه في داره يوم قتل عن الخروج
فينبغي ان يعرض ذلك على كتاب الله تعالى فانه عليه يعرض الامثال والاشباه فان دل على كون شيء من ذلك قتلا فليحكم به والا فلا ولن يدل ابدا
فليس لهم ان يحكموا بالقتل من جهة قولا او فعلا واما بطلان الثالث فلان علم ما في القلوب الى الله وهو المجازي بما فيهما من خير وشر وليسوا
مطلعين على ما هناك حتى يحكموا بالقتل من جهتها فاذن حكمهم بتعلق هذا المنكر به باطل وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم رحم الله
عبدا سمع حكما فوعى ودعي الى رشاد فدنا واخذ بحجزة هاد فنجا راقب ربه وخاف ذنبه قدم خالصا وعمل صالحا اكتسب مذخورا
واجتنب محذورا رمى غرضا واحرز عوضا كابر هواه وكذب مناه جعل الصبر مطية نجاته والتقوى عدة وفاته ركب
الطريقة الغراء ولزم المحجة البيضاء اغتنم المهل وبادر الاجل وتزود من العمل اقول الحجزة معقد الازار والمراقبة الملاحظة
والغراء البيضاء واعلم ان هذا الفصل يشتمل على استنزال الرحمة لعبد استجمع ما ذكر من الامور وهي عشرون وصفا الاول ان
يسمع الحكم فيعيه والحكم الحكمة ودعاوه لسامعها ووعيها يستلزم امره [illegible] بتعلمها وتعليمها وهي اعم من العلمية والعملية ووعاها
اي فهمها كالغيث اليه الثاني كونه اذا دعي الى رشاد دنا من الداعي اليه واجاب دعاءه والرشاد يعود الى ما يهديه ويرشده في طريق
معاشه ومعاده من العلوم والاعمال التي وردت بها الشريعة الثالث ان ياخذ بحجزة هاد فينجو به اي يكون في سلوكه لسبيل الله مقتديا
باستاد مرشد عالم ليحصل به نجاته واستعار لفظ الحجزة لاثر الاستاد وسنته ووجه المشابهة كون ذهن المقتدي لازما لسنته يتخذ في

مضايق طريق الله وظلماتها ليتجوا به كما يلزم المسالك لطريق مظلم لم يسلكه قبل بمجرة آخر قد سلك تلك الطريق وصار دليلا فيها ليهتدى به وينجو من
التيه في ظلماتها وبين اهل السلوك خلاف انه هل يضطر المريد الى الشيخ في سلوكه ام لا واكثرهم يرى وجوبه ويفهم من كلامه عليه السلام وجوب ذلك ويمثل
شهادته بنجح الموجبين لذا كان لسان العارفين ومنتهى طبقاتهم وظاهر ان طريق المريد مع الشيخ اقرب الى الهداية وبدونه اطول واقرب
الى الضلال عنها فلذلك قال عليه السلام فنجا اى ان النجاة معلقة به وقد ذكرنا ما احتج به الفريقان في كتاب مصباح العارفين الرابع ان يراقب ربه
واعلم ان المراقبة احدى ثمرات الايمان وهى رتبة عظيمة من رتبة السالكين قال رسول الله صلى الله عليه وآله اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
قال تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال ان الله كان عليكم رقيبا قال الامام الغزالى ره وحقيقتها انها حالة للنفس يثمرها نوع من المعرفة
وتثمر اعمالا في الجوارح والقلب اما الحالة فهى مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به واما العلم المثمر لها فهو العلم بان الله تعالى مطلع على الضمائر والسرائر
قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلوب مكشوف له كظاهر البشرة للخلق بل هو اشد فهذه المعرفة اذا استولت على القلب ولم يبق فيها شبهة
فلا بد ان تجذبه الى مراعات الرقيب والموقنون بهذه المعرفة فمنهم الصديقون ومراقبتهم التعظيم والاجلال تحت الهيبة والعظمة بحيث لا يبقى فيه
متسع للالتفات الى الغير اصلا وهى مراقبة مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا
تحركت بالطاعة كانت كالمستعمل لها فلا تصلح لغيرها ولا تحتاج الى تدبير في ضبطها عن سنن السداد ومن نال هذه المرتبة فقد يغفل عن
الخلق حتى لا يبصرهم ولا يسمع اقوالهم ومثل هذا من يحضر في خدمة ملك فان بعضهم قد لا يحس بما يجرى في حضرة الملك من استغراقه بهيبته
وبمن يشتغله امر مهم يسكر فيه وروى ان يحيى بن زكريا عليهما السلم مر بامراة [illegible] فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما
ظننتها الا جدارا الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب بعض اطلاع الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم
ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على الاعتدال متسعة للتلفت الى الاقوال والاعمال الا انها مع ممارستها للعمل لا تخلو عن المراقبة
وقد غلب الحيا من الله على قلوبهم ولا يقدمون ولا يحجمون الا عن تثبت فيمتنعون عن كل امر فاضح في القيمة اذ يرون الله مشاهدا لاعمالهم
في الدنيا كما يرونه في القيمة ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج ان يراقب جميع حركاته وسكناته ولحظاته وجميع اختياراته ويرصد كل خاطر
يسنح له فان كان الهيا تعجل قضاه وان كان شيطانيا بادر الى قمعه واستحيا من ربه ولام نفسه على اتباع هواها فيه وان شك فيه توقف
الى ان يظهر له بنور الله سبحانه من اى جانب هو كما قال عليه السلام الهوى ومن العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ولا يهمل شيئا من اعماله وخواطره
وان قل ليسلم من مناقشة الحساب فقال الرسول صلى الله عليه وآله ان الرجل ليسال عن كحل عينيه وعن فتة الطين باصبعيه وعن لمسه
ثوب اخيه الخامس ان يخاف ذنبه واعلم ان الخوف مما هو ذنب بل من المعاقب من الذنب لكن كان الذنب سببا موجبا لسخط المعاقب
وعقابه نسب الخوف اليه وقد سبق بيان حقيقتى الخوف والرجا السادس ان يقدم خالصا اى يكون احواله كلها خالصة لله من
قول وعمل وخاطر بريئة عن الالتفات الى غيره فيها وقد سبق معنى الاخلاص في الخطبة الاولى السابع ان يعمل صالحا وصلاح العمل
الاتيان به كما امر به وهو نوع مما تقدمه الثامن ان يكتسب مذخورا وهو امر بسائر ما امرت الشريعة باكتسابه ونبه على وجوب
السعى فيه بانه يبقى ذخرا ليوم الفاقة اليه التاسع ان يجتنب محذورا وهو امر باجتناب ما نهت الشريعة عنه ونبه على وجوب
بكونه محذورا يستلزم العقاب في الآخرة العاشر ان يرمى غرضا اى يحذف اغراض الدنيا عن درجة الاعتبار وهو اشارة
الى الزهد والتخلي عن موانع قبول الرحمة الحادى عشر ان يحرز عوضا اى يدخر في جوهر نفسه ملكات الخير ويوجه سره الى مطالعة

انوار

انوار الله ويجزيه بما يفاض عليه من الحسنات وينبهها بتذكيرها فنعم العوض هو من متاع الدنيا واغراضها الفانية الثاني عشر ان يكابر هواه اى يطوع
نفسه الامارة بالسوء بالاعمال الدينية ويراقبها في كل خاطر يلقيه الى نفسه ويقابلها بمكره وقمعه الثالث عشر ان يكذب مناه اى يقابل ما يلقيه اليه
الشيطان من الامانى ويعده به بالتكذيب والقمع له بتجويز عدم نيلها ويحسم مادة ذلك بالمراقبة فان الوساوس الشيطانية يتبع بعضها بعضا
ومن اشاراته عليه السلم الى ذلك اياكم والمنى فانها بضايع النوكى اى الحمقى الرابع عشر ان يجعل الصبر مطية نجاته والصبر هو مقاومة النفس لئلا تنقاد
الى قبايح اللذات ولما علمت ان الانقياد في سلكها الى اللذات القبيحة هو سبب الهلاك في الاخرة علمت ان مقاومتها ودفعها عنها هو
سبب النجاة هناك وقد استعار لفظ المطية للصبر ووجه المشابهة كون لزومه سببا للنجاة كما ان ركوب المطية والهرب عليها سبب
للنجاة من العدو الخامس عشر ان يجعل التقوى عدة وفاته ولما كان التقوى قد يراد به الزهد وقد يراد به الخوف من الله المستلزم للزهد
كما علمت وكانت العدة هو ما استعد به الانسان للقاء الحوادث وكان الموت اعظم حادث يسبق الى الانسان من احوال الاخرة لا جرم كانت
التقوى عدة للموت اذ كان المتقى مشغول السر بعظمة الله وهيبته عن كل حالة تلحقه فلا يكون للموت عنده كثير وقع ولا عظيم كرب وقد
يراد بالتقوى مطلق الايمان وبالوفاة ما بعدها مجازا وظاهر كون الايمان عدة واقية من عذاب الله السادس عشر ان يركب الطريقة
الغراء وهو ان يسلك الى الله تعالى الطريقة الواضحة المستقيمة وهي شريعته السابع عشر ان يلزم المحجة البيضا والفرق بين هذا الامر والذى
قبله ان الاول امر بركوب الطريقة الغراء والثاني امر بلزومها وعدم مفارقتها وانها وان كانت واضحة الا انها طويلة كثيرة المخاوف ومسالكها
ابدا محارب الشيطان وهو في معرض ان يستزله عنها الثامن عشر ان يغتنم المهل اى ايام مهلته وهي حيوة الدنيا واغتنامه العمل فيها قبل يوم
الحساب التاسع عشر ان يبادر الاجل اى يسابقه الى العمل قبل ان يسبقه فينقطع عنه العشرون ان يتزود من العمل وهو الامر بما يتبادر
اليه من ايجاد العمل زادا وقد سبق وجه استعارة الزاد له وقد راعى عليه السلم في كل مرتبتين من هذا الكلام السجع المتوازى وجعل الصدر
ثلثا والاخر ثلثا وعطف كل قرينة على مشاركتها في الحرف الاخير منها وحذف حرف العطف من الباقي ليتميز ما يناسب منها عن غيرها وكل ذلك
بلاغة ومن كلام له عليه السلم ان بنى امية ليفوقوننى تراث محمد صلى الله عليه وآله وسلم تفويقا والله لئن بقيت لهم لانفضنهم
نفض اللحام الوذام التربة ويروى التراب الوذمة وهو على القلب قوله عليه السلم ليفوقوننى اى يعطوننى من المال قليلا قليلا
كفواق الناقة وهو الحلبة الواحدة من لبنها والوذام جمع وذمة وهي الحزة من الكرش او الكبد تقع في التراب فتنفض اقول
استعار لفظ التفويق لعطيتهم له المال قليلا ووجه المشابهة هو قلة ما يعطونه منه مع كونه في دفعات كما يعطى الفصيل ضرع امه
لتدر ثم يدفع عنها لتحلب ثم يعاد اليها لتدر وتراث محمد اشارة الى الفئ الحاصل ببركة محمد وهو التراث اللغوى المكتسب [illegible] عن الميت تجوزا
ثم اقسم انه ان بقى لبنى امية ليمنعهم من التقدم في الامور واستعار لفظ النفض لابعاده لهم عن ذلك وشبه نفضه لهم بنفض القصاب القطعة
من الكبد او الكرش من التراب اذا اصابته وهذه الرواية هي الحق والثانية سهو من الناقلين وقد ورد هذا الكلام بزيادة ونقصان
في رواية اخرى وذلك ان سعيد بن العاص حيث كان امير الكوفة من قبل عثمن بعث اليه بصلة فقال والله لا يزال غلام من
غلمان بنى امية يبعث الينا ما افاء الله على رسوله بمثل قوت الارملة والله لئن بقيت لانفضنها نفض القصاب الوذام التربة
ومن كلمات كان يدعو بها عليه السلم اللهم اغفر لى ما انت اعلم به منى فان عدت فعد على بالمغفرة اللهم اغفر لى ما وايت من
نفسى ولم تجد له وفاء عندى اللهم اغفر لى ما تقربت به اليك بلسانى ثم خالفه قلبى اللهم اغفر لى رمزات الالحاظ وسقطات الالفاظ وشهوات

در
اعلى
در
الحزة

للجنان وهفوات اللسان اقول الواى الوعد والرمزات جمع رمزة وهى الاشارة بالعين او الحاجب او الشفة والسقطة من الشئ رديه
والهفوة الزلة وقد سأل الله سبحانه فى جميع هذا الفصل المغفرة ومغفرة الله للعبد تعود الى ستره عليه ان يقع فى مهاوى الهلكة فى الاخرة او يكشف مقابحه
لاهل الدنيا فيها وكل ذلك يعود الى توفيقه لاسباب السعادة وجذبه بها عن متابعة الشيطان فى المعاصى قبل صدورها منه او قبل صيرورتها
ملكات فى جوهر نفسه والمطلوب غفره امور الاول ما الله اعلم به منه مما هو عند الله معصية وسيئة فى حقه وهو لا يعلمها فيفعلها ثم طلب تكرار مغفرة
الله لما يعاوده ويتكرر منه كذلك واذا تصورت معنى المغفرة تصورت كيف تكرارها الثانى ما وعد من نفسه ان يفعله لله ثم لم يوف به
وما ههنا مصدرية ولا شك ان مطال النفس بفعل الخير وعدم الوفاء به انما يكون عن خاطر شيطانى يجب ان يستغفر الله ويسأل ستره ببعث
الدواعى الجاذبة عن متابعة الشيطان المحرك له الثالث شوب النفس ما تقرب به من الاعمال الى الله بالرياء والسمعة ومخالفة نية القربة اليه بقصد غيره
بها ولا شك ان ذلك شرك خفى جاذب عن الترقى فى درجات العلى ويحتاج الى تدارك الله بالمغفرة والجذب عنه قبل تمكنه فى النفس الرابع الاشارة
باللحظ وهو الايماء الخارج عن حدود الشريعة كما يفعل عند التنبيه على شخص لعياب او ليضحك منه او يظلم وكل ذلك عن خواطر شيطانية ينبغى ان
يسأل الله تعالى رفع اسبابها وستر النفس عن الدنس بها الخامس سقطات الالفاظ والردى من القول هو ما تجاوز حدود الله وخرج بها الانسان
عن مستقيم صراطه السادس شهوات القلوب فمن روى بالشين المعجمة فالمراد جذب القوة الشهوية للنفس الى مشتهياتها ومن روى بالسين فسهوات
القلب خواطره التى لا يشعر بتفصيلها اذا خالفت اوامر الله وقد تستتبع حركة بعض الجوارح الى فعل خارج عن حدود الله ايضا وذلك وان
كان لا يوجب اثرا فى النفس ولا يؤخذ به الا انه ربما تقوى بقوة اسبابه وكثرتها فيقطع العبد عن سلوك سبيل الله كما فى حق المنهمكين فى
لذات الدنيا المتجردين لها فان احدهم ربما رام التشبه بمن يصلى الفرض فيصلى الصلاة الواحدة مرتين او مرارا ولا يستثبت على ركعاتها
وسجداتها وغير مثل ذلك بجذب العبد عن الاسباب الموجبة له السابع هفوات اللسان اى الزلل الحاصل من قبله ومادته ايضا خاطر
شيطانى وغفره بتوفيقه لمقاومة هواه واعلم ان الشيعة لما اوجبوا عصمة عليهم عن المعاصى حملوا طلبه للمغفرة هذه الامور على وجهين
احدهما وهو الادق ان طلبه للمغفرة انما هو على تقدير وقوعها منه فكانه قال اللهم ان صدر عنى شئ من هذه الامور فاغفره لى وقد علمت انه
لا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من جزئيها فلا يلزم من صدق كلامه صدور شئ منها حتى يحتاج الى المغفرة الثانى انهم حملوا ذلك
على تاديب الناس وتعليمهم كيفية الاستغفار من الذنوب او على التواضع والاعتراف بالعبودية وان البشر فى مظنة التقصير
والاساءة واما من لم يوجب عصمته فالامر معه ظاهر وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم قاله لبعض اصحابه لما عزم الى المسير الى الخوارج
فقال له يا امير المؤمنين ان سرت فى هذا الوقت خشيت عليك ان لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال عليه السلم له اتزعم
انك تهدى الى الساعة التى من سار فيها صرف عنه السوء وتخوف الساعة التى من سار فيها حاق به الضر فمن صدقك بهذا فقد كذب ربه صح
القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله فى نيل المحبوب ودفع المكروه وينبغى فى قولك للعامل بامرك ان يوليك الحمد دون ربه لانك
بزعمك انت هديته الى الساعة التى نال فيها النفع وامن الضر ثم اقبل عليه السلم على الناس فقال ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا
ما يهتدى به فى بر او بحر فانها تدعو الى الكهانة المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر فى النار
سيروا على اسم الله اقول حاق به احاط ويوليه كذا اى يعطيه اياه ويجعل اولى به وروى ان المشير عليه بذلك كان عفيف بن
قيس اخا الاشعث وكان يتعاطى علم النجوم واعلم ان الذى يلوح من سر نهى الحكمة النبوية عن تعلم النجوم امران احدهما اشتغال

منعلما

متعلها بها واعتماد كثير من الخلق السامعين لاحكامها فيما يرجون ويخافون عليه فيما يسنده الى الكواكب والاوقات والاشتغال بالفزع اليه
والى ملاحظة الكواكب عن الفزع الى الله تعالى والغفلة عن الرجوع اليه فيما يهمهم من الاموال وقد علمت ان ذلك يضاد مطلوب الشارع اذ كان غرضه
ليس الا دوام التفات الخلق الى الله وتذكرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم اليه الثاني ان الاحكام النجومية اخبارات عن امور ستكون
وهي تشبه الاطلاع على الامور الغيبية واكثر الخلق من العوام والنساء والصبيان لا يميزون بينها وبين علم الغيب والاخبار به فكان تعلم
تلك الاحكام والحكم بها سبب الضلال كثير من الخلق وموهيا لاعتقاداتهم في المعجزات الاخبار عن الكائنات منها وكذلك في عظمة باريهم صدق صح
ويسلكهم في عموم قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت فالمنجم اذا حكم لنفسه بانه يصيب كذا
في وقت كذا فقد ادعى ان نفسه تعلم ما تكسب غدا وباي ارض تموت وذلك عين التكذيب للقران وكان هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم
الكهانة والسحر والعزايم ونحوها واما مطابقة لسان الشريعة للعقل في تكذيب هذه الاحكام فبيانها ان اهل النظر اما متكلمون فاما
معتزلة او اشعرية اما المعتزلة فاعتمادهم في تكذيب المنجم على احد امرين احدهما ان الشريعة كذبته وعندهم ان كل حكم شرعي فيشتمل
على وجه عقلي وان لم يعلم عين ذلك الوجه والثاني مناقشته في ضبطه لاسباب ما اخبر عنه من كون او فساد واما الاشعرية فهم وان قالوا
انه لا مؤثر الا الله تعالى وزعم بعضهم انهم خلصوا بذلك من اسناد التاثيرات الى الكواكب الا انه لا مانع على مذهبهم ان يجعل الله تعالى اتصال
نجم بنجم او حركته علامة على كون كاين او فساده وذلك مما لا يبطل على المنجم قاعدة فيرجعون ايضا الى بيان عدم احاطته باسباب كون ما
اخبر عنه ومناقشته في ذلك واما الحكماء فاعلم انه قد ثبت في اصولهم ان لكل كاين فاسد في هذا العالم فلا بد له من اسباب اربعة فاعلي ومادي
وصوري وغائي اما السبب الفاعلي القريب فالحركات السماوية والذي هو اسبق منها فالمحرك لها الى ان ينتهي الى الجود الالهي المعطي لكل قابل ما
يستحقه واما سببه المادي فهو القابل لصورته وتنتهي القوابل الى القابل الاول وهو مادة العناصر المشتركة بينها واما الصوري فصورته
التي تقبلها مادته واما الغائي فهي التي لاجلها وجد اما الحركات كالسماوية فان من الكاينات ما يحتاج في كونه الى دورة واحدة للفلك
ومنها ما يحتاج الى بعض دورة ومنها ما يحتاج الى جملة من دوراته واتصالاته واما القوابل للكاينات فقد تقرر عندهم ايضا ان قبولها
لكل كاين معين مشروط باستعداد معين له وذلك الاستعداد يكون بحصول صورة سابقة عليه وهكذا قبل كل صورة معدة لحصول
الصورة بعدها وكل صورة منها ايضا تستند الى الاتصالات والحركات الفلكية ولكل استعداد معين زمان معين وحركة معينة واتصال جزئية واما صح
معين يحصره لا تفي بدركها القوة البشرية اذا عرفت ذلك فنقول اما ان تكون كلية اما الجزئية فان يحكم مثلا بان هذا الانسان يكون من حاله كذا وكذا
وظاهر ان مثل هذا الحكم لا سبيل الى معرفته اذ العلم به انما هو من جهة اسبابه اما الفاعلية فان يعلم ان الدورة المعينة او الاتصال المعين سبب لملك
هذا الرجل البلد المعين مثلا وانه لا سبب فاعلي لذلك الا هو والاول باطل لجواز ان يكون السبب غير ذلك الاتصال او هو مع غيره اقصى ما في الباب ان
يقال انما كانت هذه الدورة وهذا الاتصال سببا لهذا الكاين لانها كانت سببا لمثله في الوقت الفلاني لكن هذا ايضا باطل لان كونها
سببا للكاين السابق لا يجب اذ يكون لكونها مطلق دورة واتصال بل لعله ان يكون لخصوصية كونها تلك المعينة التي لا تعود بعينها فيما بعد
وحينئذ لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون هذا الكاين لان المؤثرات المختلفة لا يجب تشابه اثارها والثاني ايضا باطل لان العقل
يجزم بانه لا اطلاع له على كون هذا الكاين من الاسباب الفاعلية الا لاتصال المعين وكيف وقد ثبت ان من الكاينات ما يفتقر الى

اكثر من اتصال واحد ودورة واحدة او اقل واما القابلية فان يعلم ان المادة قد استعدت لقبول مثل هذا الكائن واجتمعت جميع شرائط
قبوله الزمانية والمكانية والسماوية والارضية وظاهر ان الاحاطة بذلك مما لا تفي به القوة البشرية واما الصورية والغائية فان يعلم ما يقتضيه
استعداد مادة ذلك المعين وقبولها من الصورية وما يستلزمه من الشكل والمقدار وان يعلم ما غاية وجوده وما علة الغاية له وظاهر ان
الاحاطة بذلك غير ممكنة للانسان واما احكامهم الكلية فكان يقال كلما حصلت الدورة الفلانية كان كذا والمنجم انما يحكم بذلك الحكم عن
جزئيات من الدورات تشابهت اثارها فظنها متكررة ولذلك يعولون اذا حقق القول عليهم الى دعوى التجربة وقد علمت ان التجربة تعود
الى تكرر مشاهدات يضبطها الحس والعقل يحصل منها حكما كليا كالحكم بان كل نار محرقة فانه لما امكن العقل استثبات الاحراق بواسطة
الحس امكنه الجزم الكلي بذلك فاما التشكلات الفلكية والاتصالات الكوكبية المقتضية لكون ما يكون فليس شيء منها يعود بعينه كما علمت
وان جاز ان يكون تشكلات وعودات متقاربة الاحوال ومتشابهة الا انه لا يمكن الانسان ضبطها ولا الاطلاع على مقدار ما
بينها من المشابهة والتفاوت وذلك ان حساب المنجم مبني على قسمة الزمان بالشهور والايام والساعات والدرج والدقايق واجزائها وتقسيم
الحركة بازائها ورفع بينها نسبة عددية وكل هذه امور غير حقيقية وانما توخذ على سبيل التقريب اقصى ما في الباب ان التفاوت فيها لا
يظهر في المدد المتقاربة لكنه ينبغي ان يظهر في المدد المتباعدة ومع ظهور التفاوت في الاسباب كيف يمكن دعوى التجربة وحصول العلم
الثابت الذي لا يتغير باستمرار اثرها على وتيرة واحدة ثم لو سلمنا انه لا يظهر تفاوت اصلا الا ان العلم بعود مثل الدورة لا يقتضي بمجرده
العلم بعود مثل الاثر السابق لتوقف العلم بذلك على عود امثال الاسباب الباقية للاثر السابق من الاستعداد وساير اسباب العلوية والسفلية وعلى ضبطها
فان العلم التجربي انما يحصل بعد حصرها ليعلم عودها وتكررها وكل ذلك مما لا سبيل للقوة البشرية الى ضبطه فكيف يمكن دعوى التجربة اذا عرفت ذلك
فنقول قوله انزعم الى قوله الضر استثناءات لما في العبادة ان يدعيه الاحكاميون كما ادعاه المنجم المشير بعدم المسير في ذلك الوقت وقوله فمن صدقك
بهذا الى قوله الضر الزامات له على ما يعتقده من نفيها غير قبول احكام المنجم والاعتقاد فيه اولها ان من صدقه فقد كذب القران ووجه
التكذيب ما ذكرناه الثاني كون مصدقه يستغني عن الاستعانة بالله في نيل محبوبه ودفع مكروهه اي يفزع اليه في كل امر مهم به ويجعله عمدة
له فيعرض عن الفزع الى الله كما سبق الثالث انه ينبغي للعامل ان يوليه الحمد دون ربه وعلل هذا الالزام بقياس ضمير من الشكل الاول
صورته انك تزعم انك تهدي الى ساعة النفع والضر وكل من زعم ذلك فقد اهل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدقه دون الله فينتج انه قد اهل
نفسه لاستحقاق الحمد من مصدقه دون الله والكبرى من المخيلات وقد يستعملها الخطيب للتنفير عن بعض الامور التي يقصد النهي عنها
وقوله ايها الناس الى قوله بحر او بر تحذير عن تعلمها لما ذكرناه واستثنى من ذلك تعلمها للاهتداء بها في السفر واعلم ان الذي ذكرناه ليس الا
بيان ان الاصول التي يبني عليها الاحكاميون احكامهم وما يخبرون به في المستقبل اصول غير موثوق بها فلا يجوز الاعتماد عليها في تلك
الاحكام والجزم وهذا الا ان في تلك القواعد ممهدة بالتقريب كقسمة الزمان وحركة الفلك بالسنة والشهر واليوم ماخوذا عنها
حساب يبني عليه مصالح اما دينية كمعرفة اوقات العبادات كالصوم والحج ونحوهما او دنيوية كآجال المداينات وساير المعاملات
وكمعرفة الفصول الاربعة ليعمل في كل منها ما يليق به من الحراثة والسفر واسباب المعاش وكذلك معرفة قوانين من هيئة واوضاع
الكواكب وحركاتها يهتدي بقصدها وعلى سمتها المسافرون في بر او بحر فان ذلك القدر منها غير محرم بل لعله من الامور المستحبة
لخلو المصالح المذكورة فيه عن وجود المفاسد التي يشتمل عليها الاحكام كما سبق ولذلك امتن الله تعالى على عباده بخلق الكواكب في قوله وهو

الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر وقوله ولتعلموا عدد السنين والحساب وقوله فانها الى اخره تعليل للتحذير عن تعلمها وتنفير
عنها بقياس اخر موصول لينتج منه ان المنجم فى النار وعلى تقدير تفصيله فالنتيجة الاولى كون المنجم كالساحر وهى مع قوله والساحر كالكافر ينتج ان المنجم
كالكافر ومن هذه النتيجة مع قوله والكافر فى النار ينتج المطلوب وهو ان المنجم فى النار والقياسان الاولان من قياس المساوات وقد علمت انه عند الانحلال
الى الحدود المرتبة فى القياس المنتج لان موضوع الكبرى جزء من محمول الصغرى فليس الاوسط بمشترك فهو معدول عن وجهه الى وقوع الشركة فى بعض الاوسط
ولذلك استحق ان يفرد باسم ويجعل لتحليله قانون يرجع اليه فى امثاله وقد سبق مثله فى الخطبة الاولى واذا حمل على القياس الصحيح كان تقديره
المنجم يشبه الكاهن المشبه للساحر ومشبه الكاهن المشبه للساحر مشبه للساحر فينتج ان المنجم يشبه الساحر وهكذا فى القياس الثانى المنجم يشبه
الساحر المشبه للكافر ويشبه الكافر فالمنجم يشبه الكافر والكافر فى النار فالمنجم كذلك وهو القياس الثالث ونتيجته فاما بيان معنى الكاهن والساحر
ومشبه الساحر المشبه للكافر والاشارة الى وجوه التشبيهات المذكورة فاعلم انا قد اشرنا فى المقدمة الى مكان وجود نفس تقوى على الاطلاع
ما سيكون وعلى التصرفات العجيبة فى هذا العالم فتلك النفس ان كانت كاملة خيرة مجذوبة من الله تعالى بدواعى السلوك الى سبيله وما يعود اليه فهى نفوس
الانبياء والاولياء ذوى المعجزات والكرامات وان كانت ناقصة شريرة منجذبة عن تلك الجهة وغير طالبة لتلك المرتبة بل مقتصرة على رذايل
الاخلاق وخسايس الامور كالكهنة ونحوه فهى نفوس الكهنة والسحرة واعلم ان اكثر ونحوها من قوى النفوس فى اوقات الانبياء وقبيل
ظهورهم وذلك ان الفلك اذا اخذ فى الشكل بشكل يتم به فى العالم حدث عظيم عرض من ابتداء ذلك الشكل وغايته احداث فى الارض شبيهة
بما يريد ان يتم ولكنها تكون غير تامة لان سببها غير تام فاذا استكمل ذلك الشكل فى بعض الفلك وتم وجد به فى العالم ما يقتضيه فى اسرع
زمان فى سرعة تبدل اشكال الفلك فيظهر تلك القوة التى يوجبها ذلك الشكل فى شخص واحد او شخصين او اكثر على حسب ما تقتضيه العناية
الالهية ويستوعب ذلك الشخص تلك القوة على الكمال فاما من قرب من ذلك الشكل ولم يستوفه فانه يكون ناقص القوة بحسب بعده من الشكل
ويظهر ذلك النقصان بظهور النبوة المقصودة فى ذلك الشكل فيتبين قصور القوى المتقدمة على النبى والمتاخرة عنه ونقصانها عن ذلك
التمام فاما صفة الكاهن من اصحاب تلك القوى فهو ان صاحب قوة الكهانة اذا احس بها من نفسه تحرك اليها بالارادة لتكملها فتبرزها فى امور
حسية ويثيرها فى علامات تجرى مجرى الفال والزجر والخط والحصى وربما استعان بالكلام الذى فيه سجع وموازنة او بحركة عنيفة من عدو
وحثيث كما حكى عن كاهن من الترك وكما نقل الى عن شاهد كاهنا كان فى زماننا وتوفى منذ عشرين سنة يكنى بابى عمرو وكان بناحية من ساحل
البحر يقال لها قلهات وانه كان اذا سئل عن امر استعان بتحريك راسه تحريكا يقوى ويضعف بحسب الحاجة واجاب عقيب ذلك وقيل لها صح
انه كان يستغنى فى بعض الاخبارات عن تلك الحركة ما يتفق على لسانه وربما صدق الكاهن وربما كذب وذلك انه يتم نقصه باوهام لكاللة
عن ادراك فيه فيعرض له الكذب ويكون غير موثوق به وربما تعمد الكذب خوفا من كساد بضاعته فيستعمل الزرق فيخبر بما لا اثر له فى نفسه
ويضطر الى التخمين ودرجات هؤلاء متفاوتة بحسب قربهم من الافق الانسانى وبعدهم منه وبقدر قبولهم للاثر العلوى ويتميزون عن الانبياء
بالكذب وما يدعونه من المحالات وان اتفق ان يلزم احدهم الصدق فانه لا يتجاوز قدره فى قوته ويبادر الى التصديق باوامر يلوح
من النبى ويعرف فضله كما روى عن طليحة وسواد بن قارب ونحوهما من الكهنة فى زمان الرسول صلى الله عليه وآله اذا عرفت ذلك فنقول
اما قوله فانما تدعو الى الكهانة اى انها تدعو المنجم فى اخرة امره الى ان يصير نفسه كالكاهن فى دعوى الاخبار عما سيكون ثم اكد كونها
داعية الى التكهن بتشبيهه بالكاهن واعلم ان الكاهن يتميز عن المنجم بكون ما يخبر به من الامور الكاينة انما هو عن قوة نفسانية له وظاهر

خارج
ان ذلك ادعى الى فساد اذهان الخلق واغوائهم لزيادة اعتقادهم فيه على المنجم واما الساحر فيتميز عن الساحر بان له قوة على التاثير في امر
آثار اخارجة عن الشرع بعد موذية للخلق كالتفريق بين الزوجين ونحوه وتلك زيادة شر آخر على الكاهن ادعى الى فساد اذهان الناس
وزيادة اعتقادهم فيه وانفعالهم عنه خوفا ورغبة واما الكافر فيتميز عن الساحر بالبعد الاكبر عن الله تعالى وعن دينه وان شاركه في اصل
الانحراف عن سبيل الله وحينئذ صار الضلال والفساد في الارض مشتركا بين الاربعة الا انه مقول عليهم بالاشد والاضعف فالكاهن
اقوى في ذلك من المنجم والساحر اقوى من الكاهن والكافر اقوى من الساحر ولذلك التفاوت جعل عليه السلم الكاهن اصلا في التشبيه للمنجم
لزيادة فساده عليه ثم الحقه به وجعل الساحر اصلا للكاهن والكافر اصلا للساحر لان التشبيه يستدعي كون المشبه به اقوى في الوصف
الذي فيه التشبيه واحق به وقد لاح من ذلك عن صد كثير من الخلق عن سبيل الله وان اختلفت جهات هذا العدول بالشدة والضعف كما
بيناه ولما فرغ عليه السلم من تعيير اصحابه عن تعلم النجوم وقبول احكامها وغسل اذهانهم من ذلك بالتخويف المذكور امرهم بالمسير الى
الحرب وروي في تلك الساعة الى الخوارج وكان منه ما علمت من الظفر بهم وقتلهم حتى لم يفلت منهم غير تسعة نفر ولم يهلك من رجاله
غير ثمانية نفر كما سبق بيانه وذلك يستلزم خطاء ذلك المنجم وتكذيبه في مقاله وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم بعد فراغه من
حرب الجمل في ذم النساء معاشر الناس ان النساء نواقص الايمان نواقص الحظوظ نواقص العقول فاما نقصان ايمانهن
فقعودهن عن الصلوة والصيام في ايام حيضهن واما نقصان عقولهن فشهادة امراتين منهن كشهادة الرجل الواحد   نخ بخطه: بشهادة
واما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر ولا
تطيعهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر اقول لما كانت واقعة الجمل وما اشتملت عليه من هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبا الى   نخ: تطيعوهن
راي امراة اراد ان ينبه على وجوه نقصان النساء واسبابه فذكر نقصانهن من وجوه ثلثة احدها كونهن نواقص الايمان
واشار الى جهة النقص فيه بقعود احداهن عن الصلوة والصوم ايام الحيض ولما كان الصوم والصلوة من كمال الايمان
ومتممات الرياضة كان قعودهن عن الارتياض بالصوم والصلوة في تلك الايام نقصانا لايمانهن وانما رفعت الشريعة التكليف عنهن بالعبادتين
المذكورتين في حالة متعذرة لا يتاهل صاحبها للوقوف بين يدي الملك الجبار ويعقل للصوم وجه آخر وهو انه يزيد الحائض الى
ضعفها ضعفا بخروج الدم واسرار الشريعة ادق واجل ان يطلع عليها عقول سائر الخلق الثاني كونهن نواقص حظ واشار الى
جهة نقصانه بان ميراثهن على النصف من ميراث الرجال كما قال تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين والذي يلوح من ذلك
المؤنة على الرجل وهو اصل التصرف وكون المراة من سبب شانها ان تكون مكفولة محتاجة الى قيم هو لها كالخادم الثالث كونهن
نواقص عقول ولذلك سبب من داخل وهو نقصان استعداد امزجتهن وقصورهن عن قبول تصرف العقل كما يقبله مزاج الرجل
كما نبه تعالى عليه بقوله فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى فانه نبه على ضعف القوة
الذاكرة فيهن ولذلك جعل شهادة امراتين بشهادة رجل واحد وله ايضا سبب عارض من خارج وهو قلة معاشرتهن لاهل العقل
والتصرفات وقلة رياضتهن لقواهن الحيوانية بلزوم القوانين العقلية في تدبير امر المعاش والمعاد ولذلك كانت احكام القوى
الحيوانية فيهن اغلب على احكام عقولهن فكانت المراة ارق وابكى واحسد والج وابغى واجزع واوقح واكذب وامكر واقبل
للمكر واذكر للمحقرات الامور ولكونها بهذه الصفات اقتضت الحكمة الالهية ان يكون عليها حاكم ومدبر تعيش بتدبيره وهو

الرجل

الرجل فقال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم ولشدة قبولها للمكر وقلة طاعتها للعقل مع كونها مشتركة وداعية الى نفسها اقتضت ايضا ان يسن في حقها التستر والتحذر قوله فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر لما نبه على جهات نقصانهن وقد علمت ان النقصان يستلزم الشر لا جرم نفر عنهن فامر اولا بالخشية من شرارهن وهو يستلزم الامر بالهرب منهن وعدم مقاربتهن فاما خيارهن فانه امر بالكون منهن على حذر ونبه من ذلك انه لما كان لا بد من مقاربتهن وكان الانسان انما يختار مقاربة الخيرة منهن فينبغي ان يكون معها على تحرز وتثبت في سياستها وسياسة نفسه معها اذ لم يكن الخيرة منهن خيرة الا بالقياس الى الشريرة ثم نهى عن طاعتهن في المعروف كيلا يطمعن في المنكر واشار به الى طاعتهن فيما يشرن به ويامرن مطلقا وان كان معروفا وفيما يطلبنه من زيادة المعروف والاحسان اليهن واكرامهن بالزينة ونحوها فان طاعة ارائهن فيما يشرن به من معروف يدعوهن الى الشور بما لا ينبغي والتسلط على الامر به فان فعل فليفعل لانه معروف لا لانه مقتضى رايهن وزيادة اكرامهن من مقويات دواعي الشهوة والشر فيهن حتى ينتهي بهن الطمع الى اقتراح طلب الخروج الى الموضع الذي يرى فيها زينتهن ونحو ذلك اذ العقل مغلوب فيهن بدواعي الشهوات وفي المثل المشهور لا تعط عبدك كراعا فياخذ ذراعا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخطب يوم عيد فالتفت الى صفوف النساء فقال معاشر النساء تصدقن فاني رايتكن اكثر اهل النار عددا فقالت واحدة منهن ولم يا رسول الله فقال لانكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير وتمكث احداكن شطر عمرها لا تصوم ولا تصلي ومن كلام له عليه السلام

خطبة

ايها الناس الزهادة قصر الامل والشكر عند النعم والورع عند المحارم فان عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم فقد اعذر الله اليكم بحجج مسفرة ظاهرة وكتب بارزة العذر واضحة اللغة عزب ذهب وبعد واعذر اظهر عذره ومسفرة مشرقة واعلم ان قوله ايها الناس الى قوله عند المحارم تفسير للزهد وقد رسمه بثلثة لوازم الاول قصر الامل ولما علمت فيما سلف ان الزهد هو اعراض النفس عن متاع الدنيا وطيباتها وقطع الالتفات الى ما سوى الله تعالى وظاهر ان ذلك الاعراض مستلزم لقصر الامل في الدنيا اذ كان الامل انما يتوجه نحو مامول والملتفت الى الدنيا كيف يتصور طول امله لشيء منها الثاني الشكر على النعمة وذلك ان العبد بقدر التفاته عن اعراض الدنيا يكون محبته لله واقباله عليه واعترافه للحق بالآية وذلك ان الشكر حال للقلب يثمرها العلم بالمشكور وهو في حق الله ان يعلم انه لا منعم سواه وان كل منعم يقال في العرف فهو واسطة مسخرة من نعمه وتلك الحال تثمر العمل بالجوارح الثالث العمل وهو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدود الله عن التورط في محارمه وهو ملكة تحت العفة وقد علمت ان الوقوف عن التورط في المحارم ولزوم الاعمال الجميلة لازمة للالتفات عن محاب الدنيا ولذاتها المنهي عن الميل اليها وهذا التفسير منه عليه السلام مستلزم للامر به وقوله بعد ذلك فان عزب عنكم الى آخره يحتمل معنيين احدهما وهو الظاهر انه ان بعد عليكم وشق استجماع هذه الامور الثلثة فالزموا منها الورع والشكر وكانه رخص لهم في طول الامل وذلك انه قد يتصور طوله فيما ينبغي من عمارة الارض لغرض الآخرة ولان قصر الامل لا يصدر الا عن غلبة الخوف من الله تعالى على القلب والاعراض بالكلية عن الدنيا وذلك في غاية الصعوبة فلذلك نبه على لزوم الشكر والورع ورخص في طول الامل وفسر الورع بالصبر اذ كان لازما للورع وهما تحت ملكة العفة ثم شجعهم بذكر الغلبة على مقاومة الهوى ونبههم بذكر النسيان على لزوم الذكر الثاني يحتمل ان يكون لما فسر الزهد باللوازم الثلثة في معرض الامر بلزومها قال بعدها ان صعب عليكم لزوم الشكر والثناء لله ولزوم الاعمال الجميلة فاعدلوا الى امور اسهل منها فرخص لهم في طول الامل لما ذكرناه ثم التذكر لنعم الله بحيث لا ينسى بالكلية ويلتفت عنها عوضا من دوام الحمد والثناء ثم في الصبر عن المحارم وعدم الانقياد لغلبة دواعي الشيطان عوضا من لزوم الاعمال الجميلة فقد اعذر الى آخره تاكيد لما سبق من امره بالزهد وجذب اليه واشار بالحجج الى الرسل لقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وبلفظ

الحجج مستعار ووجه المشابهة انه لما كان ظهور الرسل قاطعا الستة حال الظالمين لانفسهم في محفل القيمة عن ان يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى اشبه الحجة القاطعة فاستعير لفظها له وباسفارها وظهورها الى اشراق انوار الدين عن نفوسهم الكاملة على نفوس الناقصين وهو استعارة ايضا واشار بمن قدم عليه من الكتب الى ظهور اعذار الله الى خلقه بتخويفهم وترغيبهم وارشادهم الى طريق النجاة واسناد الاعذار الى الله تعالى استعارة من الاقوال المخصوصة التي يبديها الانسان عذرا لافعال الله واقواله عرف خلقه فيها صلاحهم واشعرهم فيها بلزوم العقاب لهم لو لم يلتفتوا اليها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام في صفة الدنيا ما اصف من دار اولها عناء واخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها واتته ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته قال السيد الرضي رضي الله عنه واذا تامل المتامل قوله عليه السلام ومن ابصر بها بصرته وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا يبلغ غايته ولا يدرك غوره لا سيما اذا قرن قوله عليه السلام ومن ابصر اليها اعمته فانه يجد الفرق بين ابصر بها وابصر اليها واضحا نيرا وعجيبا باهرا اقول العناء التعب وقد ذكر للدنيا في معرض ذمها والتنفير عنها اوصافا عشرة الاول كون اولها عناء وهو اشارة الى الانسان فيها من لدن ارادته في تعب وشقاء ويكفي في الاشارة الى متاعب الانسان فيها الى ما ذكره الحكيم برزويه في صدر كتاب كليلة ودمنة في معرض تطويع نفسه بالصبر على عيش النساك اوليست الدنيا كلها اذى وبلاء اوليس الانسان يتقلب في ذلك من حين يكون جنينا الى ان يستوفي ايام فانا قد وجدنا في كتب الطب ان الماء الذي يتقدر منه الولد السوي اذا وقع في رحم المراة اختلط بمائها ودمها وغلظ ثم الريح تمخض ذلك الماء والدم حتى يتركه كالرائب الغليظ ثم يقسمه في اعضائه لاناه ايامه فان كان ذكرا فوجهه قبل بطن امه وذقنه على ركبتيه ويداه على جنبيه منقبض في المشيمة كانه مصرور في صرة ويتنفس من متنفس شاق وليس منه عضو الا كانه مقموط فوقه حر البطن وتحته ما تحته وهو منوط بمعاء من سرته الى سرة امه ومنها يمتص ويعيش من طعام امه وشرابها فهو بهذه الحالة في الغم والظلمات والضيق حتى اذا كان يوم ولادته سلط الله الريح على بطن امه وقوي عليه التحريك فنصوب راسه قبل المخرج فيجد من ضيق المخرج وعصره ما يجد صاحب الرهق فاذا وقع الى الارض فاصابته ريح او مسته يد وجد من ذلك من الالم ما لا يجده من سلخ جلده ثم هو في الوان من العذاب ان جاع فليس له استطعام وان عطش فليس له استسقاء او وجع فليس له استغاثة مع ما يلقى من الرفع والوضع واللف والحل والدهن والمرخ اذا انيم على ظهره لم يستطع تقلبا فلا يزال في اصناف هذا العذاب ما دام رضيعا فاذا افلت من ذلك اخذ بعذاب الادب فاذيق منه الوانا في الحمية والدواء والاوجاع والاسقام فاذا ادرك فهم المال والاهل والولد والشره والحرص ومخاطرة الطلب والسعي وكل هذا يتقلب معه فيها اعداؤه الاربعة المرة والبلغم والدم والريح والسم المميت والحيات اللادغة مع خوف السباع والناس وخوف البرد والحر ثم الوان الهرم لمن بلغه الثاني كون اخرها فناء وهو تنفير عنها بذكر غايتها وهو الموت وما يستصحبه من فراق الاهل والاحبة والاشراف على اهواله العظيمة المعضلة الثالث كونها في حلالها حساب وهو اشارة الى ما يظهر في صحيفة الانسان يوم القيمة من الاثار المكتوبة عليه مما خاض فيه من مباحات الدنيا وتوسع فيه من الماكل والمشارب والمناكح والمآرب وما يظهر في لوح نفسه من محبة ذلك فيعوقه عن اللحوق بالمجردين عنها الذين لم يتصرفوا فيها تصرف الملاك فلم يكتب عليهم في شيء منها ما يحاسبون عليه واليه اشارة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ان الفقراء ليدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وان فقراء امتي ليدخلون الجنة سعيا وعبد الرحمن بن عوف يدخلها حبوا وما ذاك الا لكثرة حساب الاغنياء وتعويقهم بثقل ما حملوا من محبة الدنيا وقنياتها عن اللحوق بدرجة المخفين منها وقد عرفت كيفية الحساب الرابع كونها في حرامها عقاب وهو تنفير عما يوجب العقاب من الاثام بذكره الخامس كونها من استغنى فيها فتن اي كانت محبته لما اقتنى فيها سبب الفتنة وضلاله عن

وفي بعض الائمة ومن قعد عنها اتته صرا

سبيل الله

سبيل الله كما قال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة السادس كونها من اقتنى فيها حزن وظاهر ان العقل الطالب للدنيا غير الواجد لها في غاية المحنة والحزن على ما
يفوته منها وخاصة ما يفوته بعد حصوله له السابع من ساعاها فاتته واقوى اسباب هذا الفوات ان تحصيلها اكثر ما يكون بمنازعة اهلها عليها
ومحاربتهم عليها وقد علمت ثوران الشهوة والغضب والحرص عند المجاذبة للشىء وقوة منع الانسان له وتجاذب الخلق للشىء وعدته عندهم سبب
لتقوية بعضهم له على بعض وفيه تنبيه على وجوب ترك الحرص عليها والاعراض عنها اذ كان فواتها اللازم عن شدة السعى في فضلها مكروها
للسامعين الثامن كونها من قعد عنها وتركها واتته وان كان غرض مواتاتها كما يفعله اهل الزهد الظاهرى المشوب بالرياء والسمعة
وقد علمت ان الزهد الظاهرى مطلوب ايضا للشارع اذ كان وسيلة الى الزهد الحقيقى كما قال الرسول صلى الله عليه وآله الرياء قنطرة
الاخلاص وقد راعى في هذه القراين السجع المتوازى التاسع من ابصر بها بصرته اى من جعلها سبب هدايته وبصره استفاد منها البصر والهداية
وذلك انك علمت ان مقصود الحكمة الالهية في خلق هذا البدن وما فيه من الالات والمنافع انما هو استكمال النفس باستخلاص العلوم الكلية وفضايل
الاخلاق من تصفح جزئيات الدنيا ومقايسات بعضها الى بعض كالاستدلال بحوادثها وعجايب مخلوقات الله فيها على وجوده وحكمته وتحصيل
الهداية بها الى اسرار ملكه فكانت سببا هاديا الى ذلك فلاجله صدق انها بصر من ابصر بها العاشر ومن ابصر اليها اعمته اى من مد اليها بصر بصيرته
وتطلع اليها بعين قلبه محبة وعشقا اعمت عين بصيرته عن ادراك انوار الله والاهتداء لكيفية سلوك سبيله واليه الاشارة بالنهى في قوله تعالى ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه وقد ظهر الفرق بين قوله من ابصر بها وابصر اليها ومدح السيد لهذا الفصل مدح في موضعه ومن
خطبة له عليه السلام وهى من الخطب العجيبة وتسمى الغراء اعلم ان في هذه الخطبة فصولا الفصل الاول قوله الحمد لله الذى علا بحوله ودنا
بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وازل احمده على عواطف كرمه وسوابغ نعمه واومن به اولا باديا واستهديه
قريبا هاديا واستعينه قاهرا قادرا واتوكل عليه كافيا ناصرا واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ارسله لانفاذ امره
وانهاء عذره وتقديم نذره اقول الحول القوة والطول الفضل والمنحة العطية والازل الشدة والنذر وقد اثنى على الله تعالى
في هذا الفصل باعتبارات اربعة من نعوت جلاله الاول كونه عليا واذ ليس المراد به العلو المكانى لتقدسه تعالى عن الجسمية كما سبق فالمراد
العلو المعقول له باعتبار كونه مبدأ كل موجود ومرجعه فهو العلى المطلق الذى لا اعلى منه في وجوده وكمال رتبته وشرفه كما
سبق بيانه ولما كان ذلك اعتبارا يلحقه بالقياس الى كل موجود صدر عن قدرته وقوته لا جرم جعل الحول له مبدا هو حوله الثانى كونه دانيا
بطوله ولما عرفت ان معنى الدنو والقرب في حقه تعالى ليس مكانيا ايضا كان اعتبارا يجده عقولنا من قرب افاضة نعمه على قوابلها وقربه من ابصار
البصاير في صورة نعمة نعمة ولذلك جعل طوله مبدا دنوه الثالث كونه مانحا لكل غنيمة وفضل الرابع كونه كاشف كل عظيمة وازل
وهو اشارة الى كل نعمة صدرت عنه على قابلها فمبدؤها جوده ورحمته سواء كانت وجودية كالصحة والمال والعقل وغيرها
او عدمية كدفع البأساء والضراء واليه الاشارة بقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا
كشف الضر عنكم الاية وقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض وقوله احمده الى قوله نعمه تنبيه للسامعين
على مبدأ استحقاقه لاعتبار الحمد وهو كرمه قال بعض الفضلاء الكريم هو الذى اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء
ولم يبال كم اعطى ولمن اعطى وان رفعت الى غيره حاجة لا يرضى واذا جفى عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسايل والشفعاء
فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقة من غير تكلف فهو الكريم المطلق وليس ذلك الا الله تعالى قلت والاجمع الامنع في رسم هذا الاعتبار انه

يعود الى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على كل من يقدر ان يقبله بقدر ما يقبله وعواطف كرمه هي نعمه واثاره الخيرية التي تعود على عباده مرة بعد اخرى وسوابغ نعمه نعمه السابغة التي لا قصور فيها عن قبول قابلها وقوله اولا وباديا اول من به اولا باديا بتصف اولا باديا على الحق وانما دلهذين الوصفين الجهة التي هي مبدأ الايمان اذ كان باعتبار كونه اولا هو مبدأ الجميع الموجودات وكونه باديا هو كونه ظاهرا للعقل في جميع اثاره فباعتبار ظهوره مع كونه مبدأ لكل موجود اولا له يجب الايمان به والتصديق بالهيته وقوله واستهديه قريبا هاديا فاستهداؤه طلب الهداية منه وقربه هو دنوه بجوده من قابل فضله وهدايته هبة الشعور لكل ذي ادراك بما هو اليق به لطلبه دون ما ليس اليق به وظاهر انه باعتبار هذين الوصفين مبدأ لطلب الهداية منه وقوله واستعينه قاهرا قادرا استعانته طلب المعاونة منه على ما ينبغي من طاعته وسلوك سبيله والقاهر هو الذي اذا شاء فعل واذا لم يشأ لم يفعل وان لم يلزم انه لا يشاء فلا يفعل كما سبق بيانه وظاهر انه باعتبار هذين الوصفين مبدأ للاستعانة وقوله واتوكل عليه كافيا ناصرا التوكل كما علمت يعود الى اعتماد الانسان فيما يرجو او يخاف على غيره والكافي اعتبار كونه معطيا لكل قابل من خلقه ما ينبغي استحقاقه من منفعته ودفع مضرة والناصر هو باعتبار اعطائه النصر لعباده على اعدائهم بافاضة هدايته وقوته وظاهر انه تعالى باعتبار هذين الوصفين مبدأ التوكل عباده عليه والقاء مقاليد امورهم اليه وقوله واشهد الى اخره تقرير الرسالة وتعيين لاغراضها وذكر منها ثلثة احدها انفاذ امره والضمائر الثلثة لله وانفاذ امره اجراؤه لاحكامه على قلوب الخلق ليعودوا بالعبودية له الثاني انهاء عذره في اقواله وافعاله وقد سبق بيان استعارة العذر الثالث تقديم نذره وهو التخويفات الواردة على السنة الرسل عليهم السلام للخلق قبل لقائه المجاذبة لهم الى لزوم طاعته وظاهر كون الثلثة اغراضا للبعثة

الفصل الثاني قوله اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الامثال ووقت لكم الاجال والبسكم الرياش وارفغ لكم المعاش واحاط بكم الاحصاء وارصد لكم الجزاء واثركم بالنعم السوابغ والرفد الروافغ وانذركم بالحجج البوالغ فاحصاكم عددا ووظف لكم مددا في قرار خبرة ودار عبرة انتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها اقول الرياش اللباس الفاخر وقيل الغنى بالمال وارصد اعد والرفد جمع رفدة وهي العطية والروافغ الواسعة الطيبة وهذا الفصل مشتمل على الوصية بتقوى الله وخشيته والانجذاب اليه باعتبار امور الاول ضرب الامثال والامثال التي ضربها الله لعباده في القران كثيرة منها قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم الى قوله لا يرجعون والاشارة بهذا المثل الى من كان قد طلب اظهار المعجزات من الرسول صلى الله عليه وآله فلما ظهرت لهم لم يقبلوها ورجعوا الى ظلمة جهالهم فهم صم عن سماع الله باذان قلوبهم بكم عن مناجاة الله باسرارهم عمي عن مشاهدة انوار الله بابصار بصائرهم فهم لا يرجعون عن تماديهم في غيهم وكفرهم ومنها قوله او كصيب من السماء الى قوله قاموا وهو مثل شبه فيه القران بالمطر نزل من السماء وشبه ما في القران من الوعد والوعيد في المطر من الرعد والبرق وشبه تباعد المنافقين عن الاصغاء الى القران وتغافلهم عن سماع الوعظ بمن يجعل اصابعه في اذانه خوفا من الصواعق وقوله يكاد البرق الى اخره اشارة الى من كان يرق قلبه لسماع الوعظ البالغ اذا وعد ويميل الى التوبة وينجلي عن قلبه بعض الظلمة فاذا رجعوا الى قرنائهم اشاروا عليهم بالعود الى مراد دنياهم وبذلوا لهم الجهد في النصيحة وخوفوهم بالعجز فيضعف قصودهم ويظلم عليهم شبهات الباطل فيغطي ما كان ظهر لهم من نور الحق وكذلك باقي امثال الله في كتابه الكريم الثاني قوله ووقت لكم الاجال اي كتبها بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ كل الى اجل مسمى ثم يرجع اليه فيحاسبه باعلانه واسراره فبالحري ان يتقيه ويعمل للقائه الثالث كونه قد البسهم الرياش وهو اظهار للمنة عليهم كما قال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى الاية ليذكروا انواع نعمه فيستحيوا من مجاهرته بالمعصية الرابع كونه قد ارفغ لهم المعاش اي اطاب معايشهم في الدنيا كما قال تعالى ورزقكم من الطيبات وهو كالثالث الخامس احاطته بهم احصاء كقوله تعالى لقد

احصاهم وعدهم عدا اى احاط بهم علمه واحصاه منصوب على المصدر من غير لفظ فعله او على التميز وظاهر ان علم العصاة بانه لا يشذ احد
منهم احاطة علمه جاذب لهم الى تقواه السادس كونه يقدر اصدر لهم الجزاء كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون ومن جاء
بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل يجزون الا ما كانوا يعملون السابع اثارهم بالنعم السوابغ والرفد الروافغ كقوله تعالى واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة الثامن انذاره بالحجج البوالغ وهي رسله ومواعظه وساير ما جذب به عباده الى سلوك سبيله وهو حجة على عصاة امره
ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين التاسع احصاؤه لعددهم كقوله تعالى واحصى كل شيء عددا العاشر توظيفه لهم المدد وكونه فيه
لهم الاجال وانما كرر وصف الاحصاء والعدد في هذين الوصفين ايضا لان الوهم كثيرا ما ينكر احاطته تعالى بالجزئيات مع عدم تناهيها
فيكون ذكر منبها على النفس توقيت الاجال لكل شخص شخص ويقدح في امر المعاد والعقوبات اللازمة لكل احاد الخلق بحسب كل ذرة من
الاعمال الصالحة فكررها طردا للوهم وكسر الحكمة ولان ذكر توقيت الاجال من اشد الجواذب عن الدنيا الى الله وقوله في قرار خبرة ودار
عبرة اى محل اختبار الله خلقه ومحل عبرتهم اى انتقال اذهانهم فيما يجرى فيهما من ايات العبرة واثار القدرة والاستدلال بها على وحدانية
مبدعها كما سبقت الاشارة اليه في قوله الا وان الدنيا الا وان الدنيا لا يسلم منها الا فيها وفي هذين القرينتين مع السجع المتوازي نوع من
التجنيس بين خبرة وعبرة والاختلاف بالحرف الاول الفصل الثالث قوله فان الدنيا رنق مشربها ردغ مشرعها يونق منظرها
ويوبق مخبرها غرور حايل وضوء افل وظل زايل وسناد مايل حتى اذا انس نافرها واطمأن ناكرها قمصت بارجلها
وقنصت باحبلها واقصدت باسهمها واعلقت المرء اوهاق المنية قائدة له الى ضنك المضجع ووحشة المرجع ومعاينة
المحل وثواب العمل وكذلك الخلف يعقب السلف لا تقلع المنية اخترامها ولا يرعوى الباقون اجتراما يحتذون مثالا ويمضون
ارسالا الى غاية الانتهاء وصيور الفناء اقول الرنق الكدر والردغ الوحل والتراب المختلط بالماء ويونق يعجب ويوبق يهلك والغرور
خداعة مستغفلة للاذهان والحايل المنتقلة المتحولة وقمصت الدابة رفعت يديها وطرحيها وعجنت برجليها وقنصت
صادت واقصدت اصابت المقصد والاوهاق جمع وهق بالفتح وهو الحبل والضنك الضيق واقلع عن الشيء امتنع منه
والاخترام الموت دون المدة الطبيعية وارعوى كف ورجع وحذا حذو فلان فعل فعله وارسالا جمع رسل بالفتح
وهو القطيع من الغنم يتبع القطيع وصيور الامر ما يرجع اليه منه ومدار هذا الفصل على التنفير عن الدنيا بذكر معايبها وما
تؤول اليه وذكر لها اوصافا الاول كونها رنق مشربها وهو كناية عن كدر لذاتها بشوائب المصايب من الهموم والاحزان والاعراض
والامراض الثاني ردغ مشرعها ومشرعها محل الشروع في تناولها والورود في استعمالها وكونه ردغا وصف للطريق المحسوس
استعير له ووجه المشابهة كون طريق الانسان في استعمال الدنيا وتصرفه فيها ذات مزالق ومزال اقدام يهوى به الى جهنم
لا يثبت فيها الا قدم عقل قد هجر في ضبط قواه وقهر سطوة شياطينه كما ان الطريق الوحل كذلك وهو من لطايف اشاراته عليه السلام
الثالث كونها يونق منظرها ويوبق مخبرها وهو اشارة الى اعجابها لذوى الغفلة بزينتها الحاضرة مع هلاكهم باختبارها
وذوقهم لحلاوتها الغرض الالتذاذ بها الرابع كونها غرورا حايلا بفتح العين وضمها ومعنى الاول ذات غرور اى تغير الخلق بزخارفها
فيتوهمون بقاءها ثم تنتقل عنهم وتحول ومن روى بالضم جعلها نفسها غرورا والغرور يطلق على ما يغتر به حقيقة عرفية
الخامس كونها ضوءا آفلا استعار لفظ الضوء لما يظهر منها من الحسن في عيون الغافلين يقال على فلان ضوء اى له منظر حسن

در
بعقب

ذات صح

او لما ظهر لهم من وجوه مسالكها فاهتدوا به الى تحصيلها ومداخلها ومخارجها وعلى التقدير فهو ضؤ افل لا يدوم ولفظ الافول ايضا مستعار
السادس وظل زايل استعار لفظ الظل لما ياوي اليه الانسان من نعيمها فيستظل به من حرارة بؤسها وظاهر كونه زايلا السابع كونها سنادا
مايلا استعارة ايضا للفظ السناد فيما يعتمد الغافلون عليه من قنياتها وخيراتها التي لا اصل لها ولا ثبات بل هي كشجرة خبيثة اجتثت من
فوق الارض ما لها من قرار وذكر الميل ترشيح للاستعارة الثامن كونها تغر الناس بضوئها وظلها وبهجة منظرها الى غاية ان يستانس بها من كان
يعقله نافرا عنها ويطمئن اليها من كان بمقتضى فطرته منكرا له حتى اذا كان ذلك منه طوعا لها فعلت افعال العدو المخادع ونسبت اليها من الافعال
امورا احدها قمصها بالارجل واستعار لفظ القمص لامتناعها على الانسان عند حضور اجله كانها تقعد برجليها متولية عنه كما
تفعل الدابة ورشح بذكر الارجل وانما جمع لاعتبار اليدين مع الرجلين وذكره بلفظ الرجل لان القمص اليها انسب الثاني قنصها باحبلها وهو
كناية عن تمكن حبايل محبتها والهيئات الردية المكتسبة منها في عنق نفسه كناية بالمستعار الثالث كونها اقصدت له باسهمها واستعار
لفظ الاسهم للاسباب الموت واقصادها كناية عن اصابتها كناية بالمستعار لاوصاف الرامي تنزيلا للدنيا منزلته الرابع كونها اعلقته حبال
المنية وحبالها استعارة لما يجذب الى الموت من ساير اسبابه ايضا وكذلك لفظ القايد استعارة كنى بها عن انسياق المريض في حبال مرضه
الحاصل فيها الى الامور المذكورة من ضنك المضطجع وهو القبر ووحشة المرجع وهو اشارة الى ما تجده النفوس الجاهلة عند رجوعها الى مبداها من وحشة
فراق ما كان محبوبا لها في الدنيا وما كانت القنية من مال واهل وولد وهي استعارات لاوصاف الصايد تنزيلا للدنيا منزلته ومعاينة المحل اي
مشاهدة الاخرة التي هي محل الجزاء وثواب العمل اي جزاؤه من خير او شر وقوله وكذلك الخلف للاخرة اي على الاحوال المذكورة للدنيا مضى الخلق يتبع
خلفهم من سلف منهم لا المنية تقصر عن اخترام نفوسهم ولا الباقون يرجعون عما هم عليه من ارتكاب الجرايم فيها والغرور بها بل يقتدون بامثالهم الماضين في
ذلك ويمضون عليه اتباعا الى غاية مسيرهم بمطايا الابدان ومصيرهم وهو الفناء والعرض على الملك الديان وقد راعى ايضا مع السجع التجنيس في قوله
يونق ويوبق وناقرها وناكرها وقمصت وقنصت والاخلاف بحرف اوسط والله التوفيق الفصل الرابع في الاشارة الى ما يلحق الناس بعد الموت
من احوال القيمة تذكيرا لهم قوله حتى اذا انصرمت الامور وتقضت الدهور وازف النشور اخرجهم من ضرايح القبور واوكار الطيور واوجرة
السباع ومطارح المهالك سراعا الى امره مهطعين الى معاده رعيلا صموتا قياما صفوفا ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي عليهم لبوس الاستكانة
وضرع الاستسلام والذلة قد ضلت الحيل وانقطع الامل وهوت الافئدة كاظمة وخشعت الاصوات مهينمة والجم العرق وعظم الشفق واعلقت
الاسماع لزبرة الداعي الى فصل الخطاب ومقايضة الجزاء ونكال العقاب ونوال الثواب اقول تصرمت تقضت وازف دنا والضرايح جمع
ضريح وهو الشق في وسط القبر واوكار الطيور اعشاشها والاوجرة جمع وجار وهو بيت السبع مهطعين مقبلين ورعيلا مجتمعين واللبوس
ما يلبس والضرع الخضوع والانكسار كاظمة ساكنة والهينمة صوت خفي والجم العرق بلغ الفم فصار كاللجام والشفق الاشفاق وهو الخوف والزبرة
الانتهار والمقايضة المعاوضة والنكال تنويع العقوبة واعلم انه قد نطقت السنة الانبياء عليهم السلام على القول بالمعاد الجسماني ونطق
به الكتاب العزيز كقوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة الاية ونحوه واتفق المسلمون
على القول به واما الحكماء فالمشهور من مذهبهم منع المعاد الجسماني بناء على ان المعدوم لا يعاد بعينه لامتناع عود كل اسبابه باعيانها
من الوقت والدورة الفلكية المعينة وغيرهما وربما قال بعض حكماء الاسلام بجواز عود المثل وربما قلد بعضهم ظاهر الشريعة في امر
المعاد الجسماني واثبات السعادة والشقاوة البدنية مع الروحانية قال الرئيس ابو علي بن سينا في كتاب الشفاء ما هذه حكاية الفاظه

بجـ

يجب ان نعلم ان المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل الى اثباته الا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذى للبدن عند البعث وخيرات
البدن وشروره معلومة لا يحتاج ان نعلم وقد بسطت الشريعة الحقة التى اتانا بها سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله حال السعادة والشقاوة اللتين
بحسب البدن ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى وقد صدقته النبوة وهو السعادة والشقاوة البالغتان الثابتتان بالمقاييس اللتان للانفس
وان كانت الاوهام منا تقصر عن تصورها الان لما توضح من العلل والحكماء الالهيون رغبتهم فى هذه السعادة اعظم من رغبتهم فى اصابة السعادة البدنية — اصابة صح
بل كانهم لا يلتفتون الى تلك وان اعطوها ولا يستعظمونها فى جنب هذه السعادة التى هى مقاربة الحق الاول واعلم ان الذى ذكره عليه السلام هنا صريح فى اثبات
المعاد الجسمانى [illegible] ولواحقه فقوله اخرجهم من ضرايح القبور واوكار الطيور واوجرة السباع ومطارح المهالك اشارة الى جمعه لاجزاء ابدان
الناس بعد تشذبها وتفرقها فيخرج من كان فى قبر من ضريح قبره ومن كان اكيل طير او سبع او مقتولا فى مطرح الهلاك من معركة الحرب او غيرها
اخرجه من ذلك المكان وجمع اجزاءه والف بينها فان قلت اذا اكل انسان انسانا واغتذى به وصارت اجزاء بدنه اجزاء [illegible] البدن الآكل
فكيف يمكن اعادتهما لان تلك الاجزاء فى اى بدن منهما اعيدت لزم نقصان الآخر وبطلانه قلت مذهب محققى المتكلمين ان فى كل بدن واحد فى اجزاء
اصلية باقية من اول العمر الى آخره لا تتغير ولا تتبدل واجزاء فضلية فاذا اعيد يوم القيمة فما كان اصليا فى البدن المأكول فهو فضلى لبدن الآكل — الاجزاء صح
فيرد اليه من غير ان ينقص من الاجزاء الاصلية للآكل شىء ولا عبرة للفاضل وباقى التفصيل غنى عن البيان وقال بعض الفضلاء انه ربما احتملت
هذه الالفاظ ان يسلط عليها من التأويل ما يناسب مذهب القائلين بالمعاد الروحانى فقوله حتى اذا انصرمت الامور احوال كل واحد من الخلق فى الدنيا
وقوله وتقضت الدهور اى انقضت مدة كل شخص منهم وقوله وازف النشور اى دنا انتشار كل واحد فى عالم الآخرة من قبور الابدان وقوله اخرجهم
من ضرايح القبور استعار لفظ القبور للابدان ومن ضرايحها ترشيح للاستعارة ووجه المشابهة ان النفس تكون منغمسة فى ظلمة البدن وكدر
الحواس متوحشة عن عالمها كما كان المقبور متوهما لظلمة القبر وحشة منقطعا عن الاهل والمال وضمير المخرج يعود الى الله فى صدر الخطبة وقوله واوكار
الطيور فاعلم ان العارفين واعلام الحكمة ما يستعيرون لفظ الطير واوصافه للنفس الناطقة وللملائكة كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله
عليه وآله فى قوله عليه السلام نفسه ترفرف روحه فوق النعش ويقول يا اهلى ويا ولدى لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى والرفرفة انما يكون لذى الجناح
من الطير وكما جاء فى التنزيل الالهى فى وصف الملائكة اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع وكما اشار اليه ابو على فى قصيدته التى اولها هبطت اليك من
المكان الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع واشار بالورقاء الى النفس الناطقة وكما اشار اليه فى رسالته المسماة برسالة الطير بقوله
برزت طائفة تقتنص فنصبوا الحبال ورتبوا الشرك وهيأوا الطعم وتواروا فى الحشيش وانا فى سرب طير ونحوه ووجه المشابهة فى
هذه الاستعارة ما يشترك فيه النفس والطير من سرعة التصرف والانتقال فالنفس بانتقال عقلى والطير بانتقال حسى واذا استعير لفظ الطير
للنفس فبالحرى ان يستعار لفظ الوكر للبدن لما بينهما من المشاركة وهو كونهما مسكنا لا يسهل مفارقته وقوله واوجرة السباع استعارة
للابدان ايضا والسباع اشارة الى النفوس المطيعة لقواها الغضبية التى شأنها محبة الغلبة والانتقام كما ان السبع كذلك وقوله
ومطارح المهالك اشارة الى الابدان ايضا فانها مطارح مهالك الغافلين الذين اتبعوا الشهوات فى ابدانهم وقوله سراعا الى امره نصب على
الحال بقوله اخرجهم وكذلك ما بعده من المنصوبات وامره هو قضاؤه الازلى عليهم بالرجوع اليه وعودهم الى مبدائهم وسرعتهم اليه اشارة الى قرب
وصوب وهو فى انقطاع علاقة النفس مع البدن وهو على غاية من السرعة وقوله مهطعين الى معاده اشارة الى اقبال النفوس بوجوهها على محل عودها
وما اعد لها من خير وشر وقوله رعيلا اشارة الى اجتماعهم فى حكم الله وقبضته ومحل الاستحقاق لثوابه وعقابه وقوله صموتا اذ لا السنة لهم اذن ينطقون

بها ويحتمل ان يكون الصمت كناية عن خضوعهم وانقيادهم في ذل الحاجة وهيبة الجلال وقوله قياما صفوفا وقيامهم استعارة لاستشعار النفوس هيبة
الله وعظمته وقيامها بتصور كالة على ساق العبودية وذل الامكان وصفوفا استعارة لانتظامهم اذن في سلك علمه تعالى اذ الكل بالنسبة الى علمه على
سواء كما يستوى الصف المحسوس ويحتمل ان يكون الصف استعارة لترتبهم في القرب الى الله تعالى متنازلين متصاعدين وقوله ينفذهم البصر اشارة الى احاطة
علمه تعالى بهم وقوله ويسمعهم الداعى فالداعى هو حكم القضاء عليهم بالعود واسماعهم عموم ذلك الحكم لهم بحيث لا يمكن ان يخرج عنه منهم احد وقوله عليهم لبوس الاستكانة
وضرع الاستسلام والذلة اشارة الى حالهم التى يخرجون من الاجداث عليها وقوله قد ضلت الحيل اى حيل الدنيا فلا حيلة لهم في الخلاص مما هم فيه كما كانوا يتخلصون
بحيل الدنيا من بعض شرورها وانقطع الامل اى املهم فيها لامتناع عودهم اليها وانقطاع طمعهم في ذلك وقوله وهوت الافئدة كاظمة اى سقطت النفوس في حضيض
الذل والفاقة الى رضا الله وعفوه ولفظ الكظم مستعار كما سبق وقوله وخشعت الاصوات مهينمة كقوله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وهو
اشارة الى سؤالهم عفو الله ورحمته على وجه الذلة والضعف ورق العبودية في ملاحظة جلال الله وقوله والجم العرق وعظم الشفق استعار لفظ العرق والشفق من
نزول العقاب به ونسبة الالجام الى العرق نسبة مجازية وقوله وارعدت الاسماع لزبرة الداعى اشارة الى ما يجده النفس عند تيقنها المفارقة واستعار لفظ
الزبرة لتعذر حكم القضاء للانفس على مرادها قهرا لا يتمكن معه من الجواب بالامتناع وفصل الخطاب هو امضاء احكام الله على نفوس عباده عند الرجوع
اليه بتوفية ما لها واستيفاء ما عليها ومقايضة الجزاء معاوضته بما اتت به اما من الملكات الردية فبنكال العقاب واما من الملكات الفاضلة
فبنوال الثواب وهبة كل بقدر استعداده وقبوله واعلم ان العدول الى المجازات والاستعارات عن حقايق الالفاظ والى التاويل عن الظواهر
انما يجوز خصوصا في كلام الله وكلام رسوله واوليائه اذا اعضده دليل عقلى يمنع منه لم يمكننا الجزم اذن بصحة التاويلات وامثالها والله
التوفيق والعصمة الفصل الثانى في تنبيه الخلق على اوصاف حالهم المنافية لما هم عليه من التجبر والاعراض عما خلقوا لاجله لعلهم يتذكرون قوله عباد
مخلوقون اقتدارا ومربوبون اقتسارا ومقبوضون احتضارا ومضمنون اجداثا وكائنون رفاتا ومبعوثون افرادا ومدينون جزاء
ومميزون حسابا قد امهلوا في طلب المخرج وهدوا سبيل المنهج وعمروا مهل المستعتب وكشفت عنهم سدف الريب وخلوا لمضمار الجياد وروية
الارتياد واناة المقتبس المرتاد في مدة الاجل ومضطرب المهل اقول العسر القهر والجبر والاجداث القبور واحده جدث والرفات الفتات من
العظم ونحوه ومدينون مجزيون والمستعتب المسترضى والسدف جمع سدفة وهى ظلمة الليل والريب الشبه والشكوك والارتياد الطلب وذكر من
تلك الاوصاف ثلثة عشر وصفا الاول كونهم مخلوقون اقتدارا اى خلقهم ليس لذواتهم بل بقدرة قادر مستقلة عن مشاركة الغير وذلك مناف
لعصيانهم له الثانى كونهم مربوبون اقتسارا اى ليس ملك مالكهم لهم عن اختيار منهم حتى يكون لهم الخيرة في معصيته وطاعته الثالث كونهم مقبوضون احتضارا
اى يحتضرون بالموت مقبوضون به الى حضرة جلال الله الرابع كونهم من شانهم ان يضمنوا الاجداث الخامس من شانهم ان يصيروا رفاتا السادس ان من شانهم ان
يبعثوا الى الله تعالى وكلهم اتيه يوم القيمة فردا اى مجردا عن استصحاب غيره ومعين من اهل ومال السابع انهم مدينون جزاء ومن شانهم ذلك والجزاء مصدر نصب بغير
فعله الثامن ان من شانهم ان يميزوا حسابا اى يحصون عدد الكفولة تعالى لقد احصاهم وعدهم عدا وحسابا ايضا مصدر انتصب عن غير فعله التاسع
كونهم قد امهلوا في طلب المخرج اى انما امهلوا في الدنيا لطلب خلاصهم وخروجهم من ظلمات الجهل وورطات المعاصى الى نور الحق ومتسع الجود العاشر كونهم قد
هدوا سبيل المنهج اى الحق اما باصل فطرتهم ودلوا بالاعلام الواضحة من الانبياء والشرايع على الطريق الى حضرة قدس الله والجنة الحادى عشر كونهم قد
عمروا مهل المستعتب لما كان من تطلب استعتابه ويقصد رجوعه عن غيه يمهل ويتراخى طويلا كانت مهلة الله سبحانه للخلقة مدة اعمارهم ليرجعوا
الى طاعته ويعملوا صالحا يشبه ذلك فنزلت منزلته ومهل نصب على المصدر لان التعمير امهال الثانى عشر كونهم قد كشفت عنهم سدف الريب اى ازال

عن ابصار

عن ابصار بصائرهم ظلم الشكوك والشبهات ولجهالاتهم واوهبهم من العقول وايدهم ببعثة الرسل الثالث عشر كونهم قد خلوا المضمار الجياد اى تركوا
في الدنيا ليضمروا انفسهم بازواد التقوى ولما استعار لفظ المضمار رشح بذكر الجياد اذ شرف المضمار ان تحل به جياد الخيل وفيه تنبيه لهم على ان
يكونوا من جياد مضمارهم وقد سبق وجه الاستعارة ومعنى التضمير في قوله الا وان اليوم المضمار وكذلك ليتاتوا اناة المقتبس للانوار الالهية
الطالب للاستنارة بها في مدة اجالهم ومحل اضطرابهم في مهلتهم وتحصيلهم لما ينبغي لهم من الكمالات ومن ملكه من عبيده هذه الحالات وافاض
عليهم ضروب هذه الانعامات فكيف يليق لاحدهم ان يجاهره بالعصيان ويتجاسر ان يقابله بالكفران ان الانسان لكفور مبين الفصل السادس في التنبيه على
فضل موعظته وتذكيره ومدحها بالبلاغة والتعريض بعدم القلوب الحاملة لها ثم الحث على التقوى فقوله فيالها امثالا صائبة ومواعظ
شافية امثالا ومواعظ نصبا على التمييز وثواب الامثلة مطابقتها للممثل به وشفاء الموعظة تاثيرها في القلوب ازالة مرض الجهل
والرذائل الخلقية ورجوع المتعظ بها منيبا الى ربه وقوله لو صادفت قلوبا زاكية واسماعا واعية وآراء عازمة والبابا حازمة
فزكاء القلوب استعدادها لقبول الهداية وقربها من ذلك ووعي [illegible] الاسماع فهم القلوب عنها وانما وصفها بالوعي لانها ايضا قابلة للمنقول
المعاني مودية لها الى قوة الحس من الخيال وعزم الآراء توجيه الهمة الى ما ينبغي والثبات على ذلك وحزم الالباب جودة راي العقول فيما يختاره
وظاهر ان هذه الثلثة هي اسباب نفع الموعظة وقوله فاتقوا الله تقية من سمع فخشع واقترف فاعترف ووجل فعمل وحاذر فبادر
وايقن فاحسن وعبر فاعتبر وحذر فازدجر واجاب فاناب وراجع فتاب واقتدى فاحتذى واري فراى فاسرع طالبا
ونجا هاربا فافاد ذخيرة واطاب سريرة وعمر معادا واستظهر زادا ليوم رحيله ووجه سبيله وحال حاجته وموطن فاقته
وقدم امامه لدار مقامه امر بتقوى الله كتقوى من استجمع جميع هذه الاوصاف احدها تقية من سمع فخشع اى تقية من استعد قلبه بسماع
الموعظة فخشع عنها لله الثاني تقية من اقترف فاعترف اى اكتسب الذنوب فاعترف بها واناب الى الله الثالث تقية من وجل اى خاف
ربه فاقلقه خوفه فعمل اى فالتجا الى الاعمال الصالحة لينجو بها الرابع تقية من حاذر اى عقاب ربه فبادر اى الى طاعته الخامس
تقية من ايقن اى بالموت ولقاء ربه فاحسن اى فاحسن عمله واخلص له السادس تقية من عبر اى رمى بالعبر وذكر بها فاعتبر
اى فجعلها سلما يعبر فيها ذهنه الى العلم بما ينبغي له السابع وحذر اى من سخط الله وعقابه فازدجر اى فرجع عن معصيته الثامن
تقية من اجاب اى اجاب داعي الله فاناب اى رجع اليه بسره وامتثل امره التاسع تقية من راجع اى راجع فكره وعقله فتاب اى فاستعان
به على شياطينه وقهر نفسه الامارة بالسوء فتاب من متابعتها العاشر تقية من اقتدى اى بانبياء الله واوليائه وهم الذين اتوا به فاحتذى
اى حذا حذوهم في جميع احوالهم فطلب قصدهم وفعل فعلهم الحادي عشر تقية من اري اى ارى الحق فاظهرت لعين بصيرته طريق الله وسبيله
فراى اى فعرفها واسرع طالبا لما تسلكه له وينتهي اليه ونجا فيها هاربا من ظلمات جهله وثمراته فافاد ذخيرة اى فاستفاد بسلوكها وطاعة
لربه في ذلك ذخيرة لمعاده واطاب بسلوكها سريرته عن نجاسات الدنيا وعمر بما يكتسبه في سلوكها من الكمالات المعدة معاده واستظهر
به زاد اليوم رحيله من دنياه واستعد به لوجه سبيله التي هو سالكها ومسافر فيها ولحال حاجته ولموطن فاقته فان مرتبة من الكمال وحصلت
للانسان فهي بعده لرتبة عليا منها لو يحصلها لظهرت له حاجته في الآخرة الى اقل منها حيث لا يجد اليها سبيلا وكذلك قوله قدم اى ما استظهر
به زادا امامه اى بلقاء وجهه التي هو مستقبلها ومنته اليها لدار مقامه اى الآخرة وقوله فاتقوا الله جهة ما خلقكم له اى باعتبار ما
خلقكم له ولما كان ما خلقهم له انما هو عرفانه والوصول اليه كان المعنى اجعلوا تقواكم لله نظرا الى تلك الجهة والاعتبار لا للريا والسمعة وجهة

منصوب على الظرف ويحتمل ان يكون مفعولا به لفعل مقدر اى واقصدوا ابتغوا لكم جهة ما خلقكم له **قوله** واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه
اى اسلكوا فى حذركم منه حقيقة تحذيره لكم من نفسه بما توعد به وذلك الحذر انما يحصل بالبحث عن حقيقة المحذور منه والسالكون الى الله فى
تصور ذلك على مراتب متفاوتة **قوله** واستحقوا منه ما اعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده استحقاق ما وعد به الله تعالى من جزيل الثواب انما
يحصل بالاستعداد له فهو امر بالاستعداد والاستعداد يحتاج الى اسباب فذكرها عليه السلام فى امرين احدهما التنجز لصدق ميعاده والتنجز
طلب انجاز الوعد وقضائه وذلك انما هو بالاقبال على طاعته كما قال تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار
الاية ونحوها والثانى الحذر من اهوال معاده باجتناب مناهيه والارتداع بزواجره ونواهيه **منها** قوله جعل لكم اسماعا الى ان فى
هذا الفصل فصلين **الفصل الاول** فى تذكير عباد الله بضروب نعمه عليهم والتنبيه على الغاية منها ثم التذكير بحال الماضين من الخلق
والتنبيه على الاعتبار بهم وهو فى معرض الامتنان وذلك قوله عليه السلام جعل لكم اسماعا لتعى ما عناها وابصارا لتجلو عن عشاها — بارفاقها ن بر
واشلاء جامعة لاعضائها ملائمة لاحنائها فى تركيب صورها ومدد عمرها بابدان قائمة بارماقها وقلوب رائدة لارزاقها
فى مجللات نعمه وموجبات مننه وحواجز عافيته وقدر لكم اعمارا سترها عنكم وخلف لكم عبرا من اثار الماضين قبلكم من — نخه بحره
مستمتع خلاقهم ومستفسح خناقهم ارهقتهم المنايا دون الامال وشذبهم عنها تخرم الاجال لم يمهدوا فى سلامة الابدان ولم يعتبروا
فى انف الاوان فهل ينتظر اهل بضاضة الشباب الا حوانى الهرم واهل غضارة الصحة الا نوازل السقم واهل مدة البقاء الا
اونة الفناء مع قرب الزيال وازوف الانتقال وعلز القلق والم المضض وغصص الجرض وتلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة
والاقرباء والاعزة والقرناء فهل دفعت الاقارب او نفعت النواحب وقد غودر فى محلة الاموات رهينا وفى ضيق المضجع — شحبة ن بر
وحيدا قد هتكت الهوام جلدته وابلت النواهك جدته وعفت العواصف اثاره ومحا الحدثان معالمه وصارت الاجساد شحبة
بعد بضتها والعظام نخرة بعد قوتها والارواح مرتهنة بثقل اعبائها موقنة بغيب انبائها لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب — قدتهم ن بر
من سيئ زللها اولستم ابناء القوم والاباء واخوانهم والاقرباء تحتذون امثلتهم وتركبون قدتهم وتطؤن جادتهم فالقلوب
قاسية عن حظها لاهية عن رشدها سالكة فى غير مضمارها كان المعنى سواها وكان الرشد فى احراز دنياها **قوله** اعناها
اهمها والعشى ظلمة تعرض للعين بالليل والاشلاء جمع شلو وهو العضو وهو ايضا القطعة من اللحم وكنى به عن الجسد والحنو الجانب والارفاق
المنافع ويروى بارماقها والرمق بقية الروح والخلاق النصيب والخناق بالكسر حبل يخنق به والارهاق الاعجال والتشذيب التفريق
وتمهيد الامر تخفيفا وتسديده اى هياه وانف الاوان اوله والبضاضة امتلاء البدن وقوته والهرم الكبر وغضارة العيش طيبه
واونة جمع اوان كازمنة جمع زمان والزيال المزايلة والازوف القرب والعلز كالرعدة تاخذ المريض والجرض ان يبتلع ريقه على
هم وحزن والحفدة الاعوان وغودر ترك وانهكه اخلقه وابلاه والمعالم الاثار والشحب الهالك الناحل والنخرة البالية والاعباء
الاثقال والقدة بكسر القاف والدال المهملة الطريقة وروى بضم القاف والذال المعجمة والاول ولنرجع الى المعنى جعل لكم الى قوله
بارفاقها تذكير لهم بنعمة الله تعالى بخلق الابدان وما يشتمل عليه من المنافع ففى الاسماع ان تعى ما خلقت لاجله وفايدة الابصار
ان يدرك بها الانسان عجائب مصنوعات الله تعالى فيحصل منها عبرة ولفظ العشاء يحتمل ان يكون مستعارا لظلمة الجهل
العارض لابصار القلوب حتى يكون التقدير لتجلو عشا قلوبها وحينئذ فادراك البصر المحصل يحصل للقلب به جلاء لذلك العشاء

فصح

فصح اذن اسناد الجلاء الى الابصار ويحتمل ان يكون مستعارا لعدم ادراكها ادراكا يحصل منه عبرة او كانت فايدتها ذلك فاذا لم
يحصل منها ذلك الادراك كانت كبصر اصابه العشاء ووجه المشابهة عدم الفايدة وتشبيه الجلاء اليها بوجود الادراك المفيد عبرة
عنها وهو استعارة ايضا وعن ليست بزايدة لان الجلاء يستدعي مجلوا ومجلوا عنه فذكر عليه السلام المجلو واقام مقام المجلو عنه فكانه
لتجلو عن قواها عشاها واما فائدة البدن واعضائه فقد اشرنا اليه قبل مفصلا وقوله قايمة بارفاقها اي ان كل بدن قائم في الوجود
بحسب ما هيئ له من ضروب المنافع وقوله وقلوب رائدة الى قوله سترها عنكم اظهار لمنة الله تعالى على عباده بخلقه لهم وهدايته لنفوسهم الارتياد
ارزاقها التي بها قوام حياتها الدنيا وتمكينها من اصلاح معادها بان باعتبار كونهم في محلات نعمه وسوابغها فيما ستره عليهم
قبايح اعمالهم ان يظهروا هواجس خواطرهم بعضهم لبعض بحيث لو اطلع كل [illegible] على ما في ضمير صاحبه من الغل والحسد وتمني
زوال النعمة لافنا بعضهم بعضا وخرب نظام وجودهم ومن موجبات منته نعمه التي يستوجب ان يمن بها ومن روى بفتح الجيم
فالمراد بالمنن اذن النعم وموجباتها ما سقط منها وافيض على العباد وحواجز عافيته ما منع منها غوايل الامراض والمضار اطلاع صح
المدفوعة بها وانما ذكر ستر كمية الاعمار في معرض المنة لانه من النعم العظيمة على العبد اذ كان الانسان على كمية عمره مما يوجب استغراق خاطره
بخوفه من الموت عن عمارة الارض ويبطل بسببه نظام هذا العالم وقوله وخلف لكم عبرا وجد من منن الله تعالى على عباده فان انقضاء احوال
الماضين وما خلفوه عبرة للاحقين سبب عظيم لجذبهم عن دار الغرور ومهاوي الهلاك الى سعادة الابد ومستمتع خلاقهم محل ما استمتعوا به مما كان
نصيبا لكل منهم في مدة بقائه من متاع الدنيا ومستفسح خناقهم محل الفسحة لاعناقهم من ضيق حبايل الموت واغلال الجحيم وذلك المستفسح هو مدة
حياتهم ايضا ثم اردف ذلك بوصف حال الماضين في غرورهم وذكر اعجال الموت لهم عن بلوغ امالهم وتشذبهم باخذهم عنها ونبه به على وجوب
تقصير الامل والاستعداد للموت وكذلك نبههم بقوله لم يمهدوا الى قوله الاوان على تقصير الماضين في اصلاح معادهم حيث امكنهم ذلك في سلامة
ابدانهم واول زمانهم ليحصل لهم بذلك التذكر نفرة عن حال السابقين وانزعاج عن الغرور الى الاستعداد بالتقوى والاعمال الصالحة ثم استفهمهم
عما ينتظر الشباب بشبابهم غير حواني الهرم واهل الصحة بصحتهم غير الاسقام والمعمرون بطول اعمارهم غير الفناء استفهاما على سبيل الانكار
لما ينتظرونه غير هذه الامور وتوبيخا على ذلك الانتظار وتنفيرا عنه بذكر غاياته التي حصره فيها واعلم ان ذلك ليس انتظارا حقيقيا لكن لما كان
المنتظر لامر والمترقب له تاركا في اكثر احواله لما يعنيه من الاشتغال الى غاية ان يصل اليه ما ينتظره وكان غاية الشباب ان يحني ظهورهم الهرم
وغاية الصحيح ان يسقم وغاية المعمر ان يفنى اشبه تركهم للعمل وعبادة الله الى غاياتهم المذكورة الانتظار لها فاستعير له الانتظار ثم كنى عن
شدة حال المفارق في سكرات الموت باوصاف تعرض له حينئذ كالرعدة والقلق والغم والخوف والغصص بالريق والتلفت للاستعانة
بالاعوان والاقرباء والاعزة ثم نبه بقوله فهل دفع الاقارب او نفعت النواحب اي البواكي على ان ما يقع عند نزول الموت من تلك
الاحوال لا ينفع في دفعه قريب ولا حبيب على طريق الاستفهام والانكار وقوله قد غودر الجملة في محل النصب على الحال والعامل نفعت اي لم
ينفعه البكاء حال ما غودر في محلة الاموات بالاوصاف الكريهة تنفيرا عن احواله وجذبا الى الخلاص من اهوالها بالعمل لله والاخلاص
ورهينا اي مقيما او مرتهنا بذنوبه وموثوقا بها ونصبه على الحال وكذلك وحيدا وموضع قوله هتكت وباقي الافعال المعطوفة عليه
والهوام الديدان المتولدة من جيفة او غيرها وقوله والارواح مرتهنة بثقل اعبائها اشارة الى استغراق النفوس وانحطاطها الى الجسمة
السافلة بثقل ما حملته من الاوزار واكتسبته من الهيئات الردية وما يتحقق عيبته من الانباء هناك هو الاخبار عن الاحوال اللاحقة

بها بعد الموت من خير وشر فانها تتيقن غيبتها عن اهل الدنيا او ابنا ما خلفته من اللواحق الدنيوية فانها تتيقن بعد الموت غيبتها وانقطاعها
عنها والاول اولى وقوله لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيّئ زللها ويرضى عنها كقوله تعالى وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وذلك
لعدم آلة العمل وامتناع الرجوع اليه وعدم تمكنها من نزع ما صار في عنقها من اطواق الهيئات البدنية كما قال تعالى قال رب ارجعون لعلي اعمل
صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وقوله اولستم آباء القوم والابناء واخوانهم والاقرباء اى
اوليس فيكم من هو اب اولئك او ابن لهم او اخوه او قريبه وهو تنبيه للسامعين على وجه العبرة فانه لما شرح حال الماضين في الموت وما
بعده نبههم على انهم امثالهم في كل تلك الاحوال ليرجعوا الى تقوى الذى هو سبب النجاة من تلك الاهوال وقوله تحتذون امثلتهم اى تقتدون
بهم في اموالهم وتسلكون مسالكهم في غرورهم ونحوه كما قال تعالى حكاية انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وقوله فالقلوب قاسية
عن حظها اى لا استعداد لها تقبل به حظها الذى ينبغى لها طلبه لاهية عن رشدها غافلة عن طلب هدايتها سالكها في غير مضمارها المضمار
هنا هو الشريعة وامر الله تعالى وسلوكها لغيره ارتكابها بمناهي الله ورياضتها بالاعمال الطالحة التي هي طرق الجحيم وقوله كان المعنى سواها
وكان الرشد في احراز دنياها ما لغيرة في ذكر اعراض القلوب وغفلتها عن المواعظ وانها كما في تحصيل الدنيا الى غاية ان اشبهت من
لم يكن معنيا بالخطاب بها وان الرشد الذى جذبت اليه انما هو في تحصيل الدنيا وجمعها الذى جذبت عنه وحذرت منه الفصل
الثاني في التذكير بامر الصراط والتحذير من اهواله والحث على التقوى وذلك قوله واعلموا ان مجازكم على الصراط ومزالق دحضه واهاويل
زلله وتارات اهواله فاتقوا الله تقية ذي لب شغل التفكر قلبه وانصب الخوف بدنه واسهر التهجد غرار نومه واظمأ الرجاء
هواجر يومه وظلف الزهد شهواته واوجف الذكر بلسانه وقدم الخوف لامانه وتنكب المخالج عن وضح السبيل وسلك اقصد
المسالك الى النهج المطلوب ولم تفتله فاتلات الغرور ولم تعم عليه مشتبهات الامور ظافرا بفرحة البشرى وراحة النعمى في انعم نومه
وآمن يومه قد عبر معبر العاجلة حميدا وقدم زاد الآجلة سعيدا وبادر من وجل واكمش في مهل ورغب في طلب وذهب عن هرب
وراقب في يومه غده ونظر قدما امامه فكفى بالجنة ثوابا ونوالا وكفى بالنار عقابا ووبالا وكفى بالله منتقما ونصيرا وكفى بالكتاب
حجيجا وخصيما اوصيكم بتقوى الله الذى اعذر بما انذر واحتج بما نهج وحذركم عدوا نفذ في الصدور خفيا ونفث في الآذان
نجيا فاضل واردى ووعد فمنّى وزين سيئات الجرائم وهون موبقات العظائم حتى اذا استدرج قرينته واستغلق رهينته انكر
ما زين واستعظم ما هون وحذر ما امن اقول المزلق الموضع الذى لا يثبت عليه قدم والدحض الزلق والتهجد العبادة بالليل والغرار
النوم القليل واوجف اسرع والمخالج الامور المشغلة الجاذبة واكمش امضى عزمه ومضى قدما لم يعرج واعلم ان الصراط الموعود به
في القران الكريم حق يجب الايمان به وان اختلف الناس في حقيقته وظاهر الشريعة والذى عليه جمهور المسلمين ومن اثبت المعاد
الجسماني يقتضى انه جسم في غاية الرقة والحدة ممدود على جهنم وهو طريق الى الجنة يجوزه من اخلص لله ومن عصاه سلك عن
جنبتيه احد ابواب جهنم واما الحكماء فقالوا بحقيقته وما يقال في حقه انه كالشعر في الدقة فهو ظلم بل نسبة الشعرة اليه كنسبتها الى الخط
الهندسي الفاصل بين الظل والشمس الذى هو من احدهما فهو كذلك الخط الذى لا عرض له اصلا وحقيقته هو الوسط الحقيقي بين الاخلاق
المتضادة هى الاخلاق المحمودة ولكل واحد منها طرفا تفريط وافراط هما مذمومان وكل واحد منها هو غاية البعد بين طرفيه
وليس من طرف الزيادة ولا من طرف النقصان قالوا وتحقيق ذلك ان كمال الانسان في التشبه بالملائكة وهم مبرّا منفكون عن هذه الاوصاف

ولم تفتله فاتلات

المتضادة

المتضادة فليس في مكان للانسان الانفكاك عنها بالكلية فغايته التباعد عنها الى الوسط تباعدا يشبه الانفكاك عنها فالسخي كان لا بخيل
ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق الذي لا ميل له الى احد الجانبين ولا عرض له وهو ادق من الشعر ولذلك قوله تعالى ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل وروى عن الصادق عليه السلام وقد سئل عن قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال يقول ارشدنا
للزوم الطريق المؤدي الى محبتك والمبلغ دينك والمانع من ان نتبع اهواءنا فنعطب او ناخذ بآرائنا فنهلك وعن الحسن العسكري عليه السلام
الصراط صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فاما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم
يعدل الى شيء من الباطل والصراط الآخر هو طريق المؤمنين الى الجنة لا يعدلون عن الجنة الى النار ولا الى غير النار سوى الجنة والناس في ذلك
متفاوتون فمن استقام على هذا الصراط وتعود سلوكه مر على صراط الآخرة مستويا ودخل الجنة امنا اذا عرفت ذلك فنقول مزالق
الصراط كناية عن المواضع التي هي مظان انحراف الانسان عن الوسط بين المذمومة وتلك المواضع هي مظان الشهوات والميول الطبيعية
واهاويل زلله هي ما يستلزمه العبور الى احد طرفي الافراط والتفريط من العذاب الاليم في الآخرة وتارات اهواله تكرار ذلك تارة بعد اخرى
قوله فاتقوا الله عود الامر بتقوى الله تقية من اسجع اوصاف الايمان احدها تقية من شغل التفكر قلبه اى غامر معاده عن محبة الدنيا وباطلها
الثاني وانصب الخوف بدنه اى اتعبه ونحله خوف الله تعالى وما اعد للعصاة من الاهوال الثالث واسهرت العبادة غرار نومه اى لم تترك له نوما الرابع
واظماء الرجاء هواجر يومه اى اظماه رجاء ما اعد الله لاوليائه الابرار عوضا من طيبات هذه الدار وظماؤه في هواجر يومه كناية عن كثرة
صيامه في الشتاء وقت حرارة وانما جعل الهواجر مفعولا اقامة للظرف مقام المظروف وهو من وجوه المجاز الخامس وظلف الزهد شهواته استعار لفظ
الاظلاف للزهد وهو من اوصاف الماء ونسبته الى النار ونسبة الزهد الى الشهوات فلاحظ الشبه بين الشهوات والنار في تاثيرها المؤذي وبين الزهد
والماء لما يستلزمه من كون الاعراض عن الدنيا يستتبع قمع الشهوات ودفع مضارها كما يفعله الماء بالنار السادس واوجف الذكر الى لسانه لتعوده
اياه وادمانه فيه السابع وقدم الخوف لامانه اى خوف ربه بعمل مخلصا له لينا من عذابه الثامن وتنكب المخالج اى عدل عن الامور المشغلة الى واضح
سبيل الله التاسع وسلك اقصد المسالك اى اولاها بالقصد الى النهج الواضح والطريق المطلوب لله من خلقه وهو سبيله المستقيم فان للناس في سلوك
سبيل الله مذاهب كثيرة ولكن احبها اليه واولاها بالقصد الى طريقه الموصل اليه العاشر ولم تفتله فاتلات الغرور اى لم تهلكه غفلاته في لذات
الدنيا عن ربه اذ لم يغفل عن طاعته الحادي عشر ولم تعم عليه مشتبهات الامور اى لم تظلم في وجهه شبهة على حق فيلتبس عليه وجه تخليصه الثاني عشر
ظافرا بفرحة البشرى اى بشرى الملائكة يومئذ بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الثالث عشر وراحة النعمى اى الراحة من متاع الدنيا
ومتاعبها بنعيم الآخرة ونعيم الله في الآخرة الجنة الرابع عشر في انعم نومه اى في اطيب راحة واطلق لفظ النوم على الراحة في الجنة مجازا اطلاقا
لاسم الملزوم على اللازم الخامس عشر وامن يومه اى امن اوقاته واطلق لفظ اليوم على مطلق الوقت مجازا اطلاقا لاسم الجزء على الكل السادس
عشر قد عبر معبر العاجلة اى الدنيا حميدا اى محمود الطريقة السابع عشر وقدم زاد الآجلة سعيدا اى عمله للآخرة فحصل على السعادة
الابدية وحميدا وسعيدا حالان الثامن عشر وبادر من وجل اى الى الاعمال الصالحة من وجل خوف الله التاسع عشر واسرع في مهل اى الطاعة
ربه ايام مهلته وهي حياته الدنيا العشرون ورغب في طلب اى كان طلبه لله عن رغبة له الحادي والعشرون وذهب عن هرب اى كان ذاهبا
عما يبعد عن الله عن هرب من خوف الله وفي كل قرينتين من هذه العشر السجع المتوازي الثاني والعشرون وراقب في يومه غده اى توقع في
ايام حيوته هجوم آخرته الثالث والعشرون ونظر قدما اماما اى لم يلتفت في نظره عن قصد الله الى غيره ثم نبه بقوله فكفى بالجنة ثوابا

ونوالاعلى وجوب السعي لها دون غيرها ثم تكون النار وبالا وعقابا على وجوب الهرب منها دون غيرها وبقوله وكفى بالله منتقما
ونصيرا على وجوب الانتصار على خشيته والاستعانة به وبقوله وكفى بالكتاب حجيجا اى محتجا وخصيما على وجوب الانفعال عنه وملاحظة
شهادته في الاخرة على من لم يتبعه ونسب الاحتجاج والخصام الى الكتاب مجازا والمنصوبات بكفى على التمييز وقوله اوصيكم بتقوى الله
عود الى الحث على تقوى الله باعتبار امور ثلثة احدها اعذاره الى الخلق بما انذرهم به الثاني احتجاجه عليهم بما اوضحه بالدلايل والبينات
الثالث تحذيره لهم ابليس وعداوته وقد سبق معناه في الخطبة الاولى وذكر له اوصافا وهي كونه نفذ في الصدور خفيا والاشارة
به الى النفس الامارة بالسوء ويجوز بلفظ الصدور في القلوب اطلاقا لاسم المكان على المتمكن وكونه نفث في الاذان نجيا وهو اشارة
الى ما يلقنه شياطين الانس بعضهم الى بعض من زخرف القول وغروره وقد سبق في الخطبة الاولى وكونه اضل اى جذب عن طريق الله وادرى
اى فارداهم في نار الجحيم ووعد ومنى الى بلوغ الامال الكاذبة وزين سيئات الجرائم اى قبائح المعاصي وهون موبقات العظائم
اى ما يهلك من عظيم الذنوب وتهوينه لها بمثل تمنيه التوبة ومساعدة العقل له بقوله ان الله غفور رحيم وبمثل الاقتداء بالغير
الذي هو اولى بالعقوبة مثلا او اكبر قدرا في الدنيا وساير اصناف الوساوس كما عرف حقيقتها وقوله حتى اذا استدرج قرينته واستغلق
رهينته هي النفس الناطقة باعتبار موافقته وهي رهينة باعتبار احاطة الذنوب بها من قبله كما يستغلق الرهن بما عليه من المال ولفظ
الرهينة مستعار واسند راجعا لها تزيينه حالا بعد حال وتعويدها بطاعته وقوله انكر ما زين الى اخره اشارة الى غاية من وسوسته
ويعود من النفس الامارة بالسوء الى موافقتها الحكم العقل في قبح ما كانت امرت به واستعظام خطره ومساعدتها على التحذير منه
بالامتناع من تحسينه بعد ان كانت تحث عليه وتزيينه وتؤمن به وذلك اما عند التوبة وقهر العقل لها او عند معاينة المكروهات
الجزئية من العقوبات والالام اما في الدنيا او بعد المفارقة والحصول في عذاب الجحيم بسبب الانهماك فيما كانت زينته من الباطل
وذلك ان النفس اذا فارقت البدن حملت معها القوة المتوهمة فتدرك ما يلحقها من جزئيات العقوبات كعذاب القبر وما يتنوع منه
كما سبقت الاشارة اليه وقد يتصور ذلك من شياطين الانس في تزيينهم الجرايم واما من الشيطان الظاهر فظاهر منها في صفة خلق في صح خلقة
الانسان وفي هذا الفصل فصلان الفصل الاول قوله ام هذا الذي انشاه في ظلمات الارحام وشغف الاستار نطفة
دفاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا في نـ دهاقا
ويقصر مزدجرا حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبرا وخبط سادرا ماتحا في غرب هواه كادحا سعيا
لدنياه في لذات طربه وبدوات اربه لا يحتسب رزية ولا يخشع تقية فمات في فتنته غريرا وعاش في هفوته يسيرا فجايع
لم يفد عوضا ولم يقض مفترضا دهمته فجعات المنية في غبر جماحه وسنن مراحه فظل سادرا وبات
ساهرا في غمرات الالام وطوارق الاوجاع بين اخ شقيق ووالد شفيق وداعية بالويل جزعا ولادمة للصدر بغطه
قلقا والمرء في سكرة ملهية وغمرة كارثة وانة موجعة وجذبة مكربة وسوقة متعبة ثم ادرج في اكفانه مبلسا ملهية
وجذب منقادا سلسا ثم القي على الاعواد رجيع وصب ونضو سقم تحمله حفدة الولدان وحشدة الاخوان الى دار
غربته ومنقطع زورته حتى اذا انصرف المشيع ورجع المتفجع اقعد في حفرته نجيا لبهتة السؤال وعثرة الامتحان في نسخة هكذا
واعظم ما هنالك بلية نزل الحميم وتصلية الجحيم وفورات السعير لا فترة مريحة ولا قوة حاجزة ولا دعة مزيحة ولا دعة مزيحة ولا قوة حاجزة

ولا موتة

[illegible]

ولامونة ناجزة ولا سنة مسلية بين اطوار المونات وعزاب الساعات انا بالله عائذون وانا لله وانا اليه راجعون

اقول اعلم ان مدار هذا الفصل على وصف حال من مدا عمره بالنقصان وبيان نعم الله تعالى بترديده فى اطوار الخلقة وتبكيته
بمقابلة نعمه بالكفران والغفلة فى متابعة الشيطان وتذكيره بما يكون عناية من حيوة الدنيا وهو الموت وما يتبعه من احوال الميت
بين اهله واقاربه وحالهم معه وما يكون بعد الموت من العذاب فى القبر والسؤال والحساب وسائر ما ينبغى ان يطبعه منه ويوجب له الالتفات
الى اصلاح معاده وتذكيره لعله يتذكر او يخشى والشغف بالغين المعجمة جمع شغاف بالفتح وهو غلاف القلب والرفاق والمزغد
والمحاق والناقص واليافع الغلام المرتفع والسادر اللاهى الذى لا يهتم بشىء والمائح الجاذب للدلو من البير والبدوات الخطرات
التى تبدو اى تظهر للخاطر وخمد بالكسر اى غشيه وعبر الشىء بغيته وجاهد سعيه فى ركوب هواه والسادر ثانيا المتحير واللدم
ضرب الصدر وكادمه موجبة لشدة الغم والابلاس الياس والرجيع من الابل المردد فى الاسفار والنضو الذى قد اهزلته
وحفدة الولدان اعوانهم والحشرجة بفتح النشين المعجمتين والتفجع التوجع وفى تفصيل هذا الفصل نكت الاولى ام للاستفهام الحاء وصح
وهو استفهام فى موضع التوبيخ للانسان وامره باعتبار حال نفسه ودلالة خلقته على جزئيات نعم الله عليه مع كونه لها وكان ام معادلة لهمزة
الاستفهام قبلها والتقدير فيما اظهر الله لكم من عجايب مصنوعاته عبرة ام هذا الانسان وتقلبه فى اطوار خلقته وحالاته الى يوم نشوره كقوله تعالى وفى انفسكم
افلا تبصرون وفى بعض النسخ او هذا والمعنى واحد واعلم ان فى ملاحظة خلقة الانسان وما جمع فيها من لطايف الاسرار عبرة تامة حتى كان عالما مختصرا كما
اومأنا اليه قبل وكما سيأتى الثانية قيل اول احوال تكون الانسان زبدية المنى وانتفاخ يظهر فيه فيتموا به واول ما يتكون فيه وعاء الروح بفعل الملك
المصور ثم تحدث ريح من قبل الطبيعة فيتشعب نقب امام فوهات العروق بحيث اذا تخلقت محسوسة صارت عروقا ثم تنبسط النطفة فى
اقطارها وتحدث فى الغشاء نقبا موازنة لنقب العروق التى فى الرحم ينفتح عند الحيض ويحصل لجميعها مجارى فى الغشاء المذكور يؤدى الى مجرى
واحد نافذ الى عمق النطفة مؤديا الى باطنه الدم فى عرقين او عرق والنفس فى عرقين فاذا تخلقت هذه المجارى امتصت النطفة حينئذ
الغذاء من فوهات تلك العروق ونفذ فى الصفات دم يستحيل عن قريب الى جوهر المنى وحدث لها خطوط لها مبادى دموية ونقطة اولى
هى القلب ثم لا تزال الدموية تزداد فى النطفة حتى تصير علقة ويكون مثل الرعوة فى الاكثر لستة ايام وابتدا الخطوط الحمر والنقطة بعد ثلثة
ايام اخرى ثم بعد ستة ايام اخرى وهو الخامس عشر من حين العلوق تنفذ الدموية فى الجميع فتصير علقة وبعد ذلك باثنى عشر يوما يصير لحما ويتميز
قطعة لحم هى المضغة وتتميز الا[illegible] عضاء الرئيسة ويمتد رجوعه النخاع ثم بعد تسعة ايام ينفصل الراس عن المنكبين والاطراف عن
الضلوع والبطن تميزا يحس به فى بعضها ويخفى فى بعض حتى يحس به بعد اربعة ايام اخرى تمام الاربعين فيصير جنينا وقد يتم ذلك فى
ثلثين يوما وقد يتم خمسا واربعين يوما وقيل الولادة زمان ذلك خمسة وثلثون يوما ويولد فى مائتين وسبعين يوما وذلك تسعة اشهر فهذه
اشارة الى تنقله فى ظلمات الرحم بتدبير الملك المقدر وواسطة الملك المصور ولو كشف الغطاء لرأينا هذا التخطيط والتصوير يظهر عليه شيئا
فشيئا مع انا لا نرى المصور ولا آلته فسبحان المقتدر على ما يشاء الثالثة انما وصف العلقة بالمحاق لكونها لم تنص عليها بعد صورة
شخص الانسان فهى بعد منمحقة الرابعة الولد ما دام يرضع فهو رضيع وبعده وليد فاذا ارتفع قيل يافع فاذا طر شاربه فهو غلام فاذا
ادرك فهو رجل وللرجولية ثلثة حدود الشباب وهو الى تمام النمو وبعده الكهولة وبعدها الشيخوخة الخامسة ذكر الحفظ للقلب
واللفظ للسان والخط للبصر بيان لفوايدها ثم ذكر تلك الفوايد ومقصودها وهو ان يفهم الانسان معتبرا اى يستنبط من شواهد

الا الله دلايل وحدانيته وسايرنعوت جلاله ويعبر فيها الى استكمال الفضايل النفسانية ويقصر مزدجرا اى يكف عما لا ينبغى من موبقات الاثام
وعن الخوض فيما لا يعنيه مزدجرا عنهما السابعة قوله حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبرا الى اخر الاوصاف بما يعترض فيها ان كثيرا من
الناس لا يكون بهذه الصفة وحينئذ لا يصدق عليهم هذه الاحكام فجوابه ان اشارته عليه السلم الى الانسان المطلق الذى هو في قوة البعض لا الانسان العام
ومطاهر ان الاوصاف المذكورة اذا صدقت على المطلق فقد صدقت على بعض الناس وذلك البعض هم العصاة المرادون بهذه الاوصاف والتوبيخ
بحالهم وفيه تنبيه للباقين على وجوب دوام شكر الله والبقاء على امتثال اوامره ونواهيه الثامنة ماتحا فى غرب هواه لما استعار لفظ الغرب لهواه
الذى يملاء به صوايف عماله من المائم كما يملاء ذ والغرب غربه من الماء رشح تلك الاستعارة بذكر المتح الثامنة المنصوبات العشرون نطفة وعلقة
وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ومعبرا ومزدجرا ومستكبرا وسادرا وماتحا وكادحا وعزيرا وخبلسا ومنقادا وسلسا ورجيع
وصب ونضو سقم ونجيا كلها احوال والعامل فى كل حال ما يليه من الافعال وسعيا اما مفعول به والعامل كادحا او مصدر استغنى
عن ذكر فعله ويسيرا صفة ظرف محذوف اقيمت مقامه اى زمانا يسيرا وروى اسيرا فعلى هذا يكون حالا وجزعا وقلقا وتبعة مفعول له
واستعار اسير للعاصى على الرواية الثانية ووجه المشابهة ان صاحب الزلة يقوده هواه الى هواه كما يقاد الاسير الى ما يكرهه التاسعة لم
يفد عوضا اى لم يستفد فى الدنيا عوضا عما يفوته منها فى الاخرة والعوض الذى ضيعه هو الكمالات التى خلق ليستفيدها وفرضت عليه ولم يقضها من
العلوم والاخلاق العاشرة الواو فى والمرء للحال والعامل كادحة والانة الموجعة منه لقلوب الواجدين عليه والجذبة المكربة اى جذب
الملائكة للروح كما قال تعالى ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الاية وروى عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
انه قال ان المؤمن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها
النفس المطمئنة ارجعى راضية مرضية الى روح الله وكرامته فاذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث
بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة ارجعى ساخطة مسخوطا عليك
الى هوان الله وعذابه فاذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وكان لها نشيش ويطوى عليها ذلك المسح ويذهب بها الى سجين واعلم ان تلك الجذبة
تعود الى ما يجده الميت حال النزع وهو عبارة عن الم ينزل بنفس الروح فيستغرق جميع اجزائه المنتشرة فى اعماق البدن وليس هو كساير ما تجده
الروح المختص ببعض الاعضاء كعضو شاكته شوكة ونحوه لاختصاص ذلك بموضع واحد فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه
وهو المجذوب من كل عرق وعصب وجزء من الاجزاء ومن اصل كل شعرة وبشرة ولا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق من عروق وقد يمثل ذلك
بشجرة شوك كانت داخل البدن ثم جذبت منه فهى الجذبة المكربة ولما كان موت كل عضو من البدن عقيب الاعراض التى ربما طالت تدريجا فتلك هى
السوقة المتعبة الحادية عشر قوله رجيع وصب ونضو سقم استعار له وصف الجمل فالرجيع باعتبار كونه ردد فى اطوار المرض وتواتره عليه كما يردد الجمل فى السفر
مرة بعد اخرى ولفظ النضو باعتبار نحوله من الاسقام كما ينحل الاسفار الجمل الثانية عشر قوله اقعد فى حفرته نجيا لبهتة السوال الى اخره الثالثة عشر
القول بعذاب القبر وسوال منكر ونكير حق روى عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال لعمر بن الخطاب كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك
ثلثة اذرع فى ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب فيدفنوك فاذا انصرفوا عنك
اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد العاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويحثيان القبر بانيابهما فيتلتلانك
ويزلزلانك فيقولان لك من ربك ومن نبيك وما دينك كيف بك عند ذاك يا عمر فقال عمر فيكون معى عقلى الان قال صلى الله عليه واله نعم قال فاذن

الفكها

الفيكما وفي وصفهما عليه صلى الله عليه وآله وانهما ملكان اسودان ازرقان واعلم ان الايمان من ذلك على ثلث مراتب احدها وهو الاظهر الاسلم
ان يصدق بانها موجودة وان هناك ملكين على الصورة المحكية وحيات وعقارب تلدغ وان كنا لا نشاهدها اذ لا تصلح هذه العين لمشاهدة
تلك الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابة يؤمنون بنزول جبرئيل وكان النبي صلى الله عليه وآله يشاهده وان لم يكونوا
يشاهدونه وكان جبرئيل لا يشبه الناس فكذلك منكر ونكير وفعلهما والحيات والعقارب في القبر ليس من جنس حيوة عالمنا فتدرك بمعنى آخر المقام
الثاني ان يتذكر ما قد يراه النائم من صورة شخص هائل يضربه او يقتله او حية تلدغه وقد يتألم بذلك حتى يراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وينزعج من
مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويشاهده كما من تأذى به كما يتأذى اليقظان وانت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى حوله شخصاً ولا حية والحية
موجودة في حقه متخيلة له ولا فرق بين ان يتخيل عدواً وحية او يشاهد المقام الثالث ان تعلم ان منكراً ونكيراً وسائر اهوال القبر غايته
اذا فارقت البدن حملت القوة المتخيلة معها ولم تتجرد عن البدن منزهة عن الهيات البدنية والاخلاق الردية المهلكة من الكبر والرياء والحسد
والحقد والحرص وغيرها وهي عند الموت عالمة بمفارقة البدن متوهمة نفسها الانسان الذي مات وعلى صورته كما كان في الرؤيا يتخيل ويتوهم
بدنها مقبورة وتتخيل الالام الواصلة اليها عن كل خلق ردي على سبيل العقوبة الحسية لها كما قررته الشريعة الصادقة وانغرس في الاذهان عنها
على صورة شخص منكر هائل الصورة يعنفه في السؤال ويتهمه بسوء منظره وهول اصواته ويمتحنه فيتلجلج لسانه فيطرده ويعذبه وعلى
مثال تنين تلدغه وان كانت السعيدة تخيلت الملذات الحاصلة لها عن كل خلق حسن وعمل صالح قدمته في صورة ملايمة فوق ما كانت تعتقد
مما كان وصفها من صور اشخاص بهية يدخل عليهم ويتلقاهم بالبشارة كمبشر وبشير وسائر الملائكة الذين يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم ومن فسحة القبر والروح والريحان وسائر ما وعد فيه فهذا عذاب القبر وثوابه واليه الاشارة بقول الرسول صلى الله عليه وآله القبر روضة من
رياض الجنة وحفرة من حفر النيران فان قلت لم جعل اول داخل على الانسان في قبره سواء كان سعيدا او شقيا ملكين ولم يكن ثلثة او واحدا
مثلا قلت قال بعض العلماء انه كانت السعادة والشقاوة الحاصلتين للنفس انما تحصل من جهة قوتين نظرية وعملية بهما جعل ما يكتسب عن
كل واحدة منهما ملكا فان كان المكتسب جهلا مركبا ورذائل اخلاق فمنكر ونكير وان كان علما ومكارم فمبشر وبشير والله اعلم باسرار شريعته
واعلم انك متى تصورت معنى ثواب القبر وعذابه في المقامات تصورت معنى ثواب الجنة وعذاب النار الرابعة عشر قوله لا فترة مريحة ولا قوة
حاجزة تجري مجرى ايات الوعيد الناطقة بالتخليد وهي مخصوصة بالكفار الذين لا مسكة لنفوسهم بعالم الملكوت وقوله تعالى ان المجرمين في عذاب
جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون واما انه ليس لهم قوة حاجزة فلان القوة الحاجزة بينهم وبين العذاب مفقودة في حقهم وهي المسكة
بالله تعالى ومحبة الالتفات الى عالم الغيب والملاء الاعلى واما عدم الموتة الناجزة فلان الانسان غير قابل للفناء مرة اخرى كما علم ذلك في
موضعه واما سلب السند عنهم اشارة الى شدة الامهم وما يلقونه من اليم العذاب لما ان الالم الشديد يستلزم عدم النوم فلا سلوة اذن
بين حالات سكرات العذاب واطلاق لفظ الموتات مجاز في شدة العذاب اطلاقا لاسم الغاية على ما يصلح له غاية له وقد لاحظ له في اكثر
هذا الفصل السجع المتوازي وبالله التوفيق الفصل الثاني قوله عباد الله الذين عمروا فنعموا وعلموا ففهموا وانظروا فلهوا وسلموا فنسوا امهلوا
طويلا ومنحوا جميلا وحذروا اليما ووعدوا جسيما احذروا الذنوب المورطة والعيوب المسخطة اولي الابصار والاسماع والعافية
والمتاع هل من مناص او خلاص او معاذ او ملاذ او فرار او محار ام لا فانى تؤفكون ام اين تصرفون ام بماذا تغترون وانما
حظ احدكم من الارض ذات الطول والعرض قيد قده منعفرا على خده الان عباد الله والخناق مهمل والروح مرسل في

الجوبة

الارتياد

فينة الارشاد وراحة الاجساد ومهل البقية وانف المشية وانظار التوبة وانفساح الحوبة قبل الضنك والمضيق والروع والزهوق وقبل قدوم الغايب المنتظر واخذة العزيز المقتدر **اقول** ورطة في الامر حصلة فيه والمناص الملجاء والمحار المرجع وافكّ صرف وقيد قدره مقدار اقامة والمنعفر المترب والعفر التراب والفينة الحين وانف الشيء اوله والحوبة الحاجة والمسكنة وضنك الضيق وفي هذا الفصل فوايد **الاول** التنبيه والتقريع على كفران جملة من نعم الله منها ان عمّرهم فنعّمهم وعلّمهم ففهّموا وانظرهم وسلّمهم من الافات وامهلهم طويلا ومنحهم الجميل وحذرهم اليم العذاب ووعدهم وعدا حسنا ومن كفرانهم لتلك النعم ان اشتغلوا بلذات الدنيا عن اوامره ولهوا عن الالتفات اليه ونسوا ما ذكّرهم به ودعاهم اليه **الثانية** التحذير عن الذنوب المورطة في موارد الهلكة وانواع العذاب ثم من العيوب المسخطة لله وهي اكتساب رذايل الاخلاق **الثالثة** تنبيه اولي الابصار والاسماع والعافية والمتاع في الدنيا على انه لا مناص اي عن امر الله ولا خلاص اي من عذابه لمن حصل فيه وكذلك لا معاذ ولا ملاذ منه لمن استعد له ولا فرار اي من حكمه ولا مرجع اي من بعد الموت وانما خص اولي الابصار والاسماع والعافية لكونهم اهل التكاليف التامة والعقول احلة في اشارته اما بالابصار والاسماع مجازا او في العافية وانما خص اولي المتاع لان اهل الاستمتاع بالدنيا هم المجذوبون عنها من جهة اشتغالهم بمتاعها عن سلوك سبيل الله وهل استفهام عن الامور المذكورة على سبيل الانكار للاعذار ايضا وام معادلة لهل الاستفهامية **الرابعة** التذكير بامر القبر وتعفير الخد فيه مما هو متنفر عنه طبعا وفيه تنبيه على وجوب الانتهاء عن الاستكثار من قنيات الدنيا وجناتها لوجوب مفارقتها وانه لا نصيب للمجد في تحصيلها منها الا مقدار قامته وهو كناية عن قبره **الخامسة** التنبيه على وقت العمل والاحوال التي يمكنهم فيها وكنى بالان عن زمان الحيوة الدنيا وبالخناق عما يوخذ به اعناق النفوس الى بارئها وهو الموت كناية بالمستعار ووجه المشابهة كون كل واحد منهما مكروها يقاد به الى مكروه ورشّح الاستعارة بذكر الاهمال وكنى به عن مدة الامهال في الحيوة الدنيا وكذلك اراد بارسال الروح اهمالها وامهالها ويكون ذلك الارسال في فينة الارتياد اي في زمان ارتياد النفوس وطلبها لما تستعد به من الكمال للقاء الله وروي الارشاد اي ارشاد النفوس الى سبيل الله وجهة السعادة الابدية وكذلك مهل البقية اي بقية الاعمار **السادسة** قوله وانف المشية اي اول الارادات للنفوس وذلك انه ينبغي ان يكون اول الارادات للنفوس وذلك انه ينبغي ان يكون زمان الانسان واول صبوته واوايل ميول قلبه الى طاعة الله والانقياد لاوامره ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات المستعدة في الاخرة وارداً على لوح صاف عن كدر الباطل وانه عكس ذلك فجعل اول ميوله وارادته لمعاصي الله تسوّد وجه نفسه بملكات السوء فلم يكد يقبل بعد ذلك الاستضاءة بنور الحق فكان من الاخسرين اعمالا **السابعة** انظار التوبة امهال الله العصاة لاجلها ولما كان غرض العناية الالهية سوق كل ناقص الى كماله حسن ان يعبّر عن بقاء العاصي بانه انظار للتوبة **الثامنة** وانفساح الحوبة اتساع زمان العمل للحاجة في الاخرة والاضافة فكفى فيها ادنى ملابسة وذلك ان كل حاجة فرضها الانسان في الدنيا فقد لا تكون في محل الضرورة والضيق الكل منها وان كانت في محل الضرورة لكنها في مظنة ان يرجى زوالها بخلاف الحاجة والضرورة في الاخرة الى صالح الاعمال فانها لا يمكن زوالها بعد المفارقة ولا متسع للعمل لها الا في الدنيا وكان اهلها منها في شدة ضرورة واضيق حال وافيح صورة واشار بالضنك والضيق الى انحصار الانسان في اغلال الهيئات البدنية وسجن جهنم وبالروع والزهوق الى الفزع الاكبر من اهوال الموت وما بعده **التاسعة** الغايب المنتظر كناية عن الموت وقدومه هجومه ولما استعار له لفظ الغايب مراعاة لشبهه بمسافر ينتظر رشّح تلك الاستعارة بلفظ القدوم **العاشرة** اخذة العزيز المقتدر جذب الارواح بحكم قدرة الله العزيز الذي لا يلحقه اذلال قاهر المقتدر الذي لا امتناع منه لقدرة قادر وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم في ذكر عمرو بن العاص عجبا لابن النابغة يزعم لاهل الشام ان في دعابة واني امرؤ تلعابة اعافس وامارس لقد قال باطلا ونطق اثما اما وشر القول الكذب انه ليقول فيكذب ويعد فيخلف ويسال فيبخل ويخون العهد ويقطع الال فاذا كان عند الحرب فاي زاجر وآمر هو ما لم تاخذ السيوف ماخذها فاذا كان ذلك كان اكبر مكيدته ان يمنح

القوم

القوم سبّته اما والله انّى ليمنعنى من اللعب ذكر الموت وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة انه لم يبايع معاوية حتى شرط له ان
يؤتيه اتيّة ويرضخ له على ترك الدين رضيخة اقول نبغ الشيء ظهر وسمّيت امّ عمرو النابغة لشهرتها بالفجور وتظاهرها به والدعابة المزاح والتلعابة
كثير اللعب والتاء للمبالغة والمعافسة المداعبة والممارسة المعالجة بالمصارعة والقرص ونحوه والال القرابة والسبّة السوءة والاتيّة العطيّة
والوزن واحد وكذلك الرضيخة واعلم انّ فى هذا الفصل ثلثة فصول الاول ذكر دعوى عمرو فى حقّه عليه السلام من كونه لعّابا مزاحا كثير المعالجة والمظاهرة
وذكر هذه الدعوى المصدّر بالتعجّب من صدورها فى حقّه مخرجة بالتكذيب لمدّعيها والردّ لمقاله وذلك قوله عجبا الى قوله اثما وباطلا وصغو المصدر واثما ونطق صح
حال وانما كنّى عنه بامّه لانّ من عادة العرب النسبة الى الامّ اذا كانت مشهورة بشرف او خسّة ونحوها واعلم انه عليه السلام قد كان يصدر عنه المزاح بالقدر المعتدل
الذى لا يخرج به الى حدّ رذيلة الافراط فيه فمن ذلك ما روى انه كان جالسا يوما على رباوة من الارض وكان ابو هريرة جالسا تحته واخذ منه لقية وحذفه
بنواة فالتفت اليه ابو هريرة فتبسّم عليه السلام فقال ابو هريرة هذا الذى اخّرك عن الناس وقد علمت انّ ذلك من توابع حسن الخلق ولين الجانب فاذن هو
فضيلة وليس برذيلة والمدّعى لعمرو انما هو عبوره فى ذلك حدّ الافراط الذى يصدق عليه انه لعب وهزل روى انه كان يقول لاهل الشام انا
انما اخّرنا عليّا لانّ فيه هزلا لا جدّ معه ما كان يقوله ابوه العاص لرسول الله صلى الله عليه وآله انه لساحر ومن اشبه فما ظلم تكذيبه عليه السلام اباه صح
لعمرو انما هو فيما ادّعاه من الخروج الى اللعب واما اصل المزاح فلم ينكره وكيف وقد كان يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما روى انه قال
يوما للعجوز انّ العجائز لا يدخلن الجنّة فبكت فتبسّم وقال انّ الله يجعلهنّ شوابّ ثم يدخلهنّ الجنّة فاهل الجنّة شباب جرد مرد وانّ
الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنّة وكان يقول امزح ولا اقول الا حقّا الثانى قوله اما وشرّ القول الى قوله سبّته ويشتمل على ذكر ما جمع فى
هذا المدّعى من الرذائل التى توجب فسقه وسقوط دعواه لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا الآية وذكر من تلك الرذائل
خمسا الاولى الكذب وظاهر كونه شرّ القول وانه مفسدة مظلمة فى الدين والدنيا اما الدين فللمنقول والمعقول اما المنقول فقول الرسول
صلى الله عليه وآله الكذب راس النفاق واما المعقول فلانّ الوجدان شاهد بانّ الكذب مما يسوّد لوح النفس ويمنعه ان ينتقش بصور
الحقّ والصدق ويفسد المنامات والالهامات واما الدنيا فلانه سبب عظيم لخراب البلاد وقتل النفوس وسفك الدماء وانواع الظلم ولذلك اتفق اهل
العالم من ارباب الملك وغيرهم على تحريمه وادّعى المعتزلة قبحه بالضرورة لذاته وهو رذيلة الفجور الثانية الخلف فى الوعد الثالثة الغدر فى العهد وخيانته وهما
رذيلتان مقابلتان للوفاء داخلتان تحت رذيلة الفجور ايضا والغدر يستلزم رذيلة الخبث وهو طرف الافراط من فضيلة الذكاء وبما يستلزمان
الكذب ايضا الرابعة قطع الرحم وهى رذيلة الافراط من فضيلة صلة الرحم وحقيقتها عدم مشاركة ذوى اللحمة فى الخيرات الدنيوية وهى رذيلة تحت الظلم
مستلزمة للبخل الخامسة رذيلة الجبن وهى طرف التفريط من فضيلة الشجاعة ونبّه عليها بقوله فاذا كان عند الحرب فاىّ زاجر وآمر هو الى قوله سبّته
وفيه تنبيه على دناءة همّته ومهانة نفسه اذ كان على الهمّة سهم النفس لا يقرّ من قراع الاقران الى التخلّص من الموت باقبح فعل يكون من كشف سوءته
وبقاء ذكر سنّة فى عقبه على مرور الدهور والدناءة والمهانة رذيلتان الجبن وقوله فاىّ زاجر وآمر هو استفهام على سبيل التعجّب والمبالغة فى امره
وتنبيه وذكره فى معرض الذمّ هنا وان كان من المدائح لغرض ان يردفه برذيلة ليكون ذلك خارجا مخرج الاستهزاء فيكون ابلغ وقعا فى
النفوس واشدّ عارا عليه اذ كان الامر والنهى فى الحرب انما يحسن ممّن يشتهر بالشجاعة والاقدام لا ممّن يامر وينهى فاذا اشتدّ القتال فرّ فرار الحمار
من السبع واجتهد فى البقاء ولو باقبح مذمّة فانّ عدم الامر والنهى والخمول بمثل هذا اليق واولى من وجودها وكان ابو الطيّب حكى صورة حاله
اذ قال * واذا ما خلا الجبان بارض * طلب الطعن وحده والنزالا * واما صورة هذه الرذيلة منه فروى انّ عليا عليه السلام حمل عليه فى

بعض ايام صفين فلما تصور انه قاتله القى نفسه عن فرسه وكشف مواجها له عليه السلام بها فلما راى ذلك منه غض بصره وانصرف عمرو مكشوف العورة
ونجا بذلك فصار مثلا لمن يدفع عن نفسه مكروها بارتكاب الذلة والعار وفيه يقول ابو فراس ۞ ولا خير في دفع الاذى بمذلة ۞ كما ردها يوما
بسوأته عمرو ۞ وروى مثل ذلك لبسر بن ارطاة معه عليه السلام وجهد عنه فلما قام سقطت البيضة عن راسه فصاح اصحابه يا امير المؤمنين انه
بسر بن ارطاة فقال ذروه لعنه الله فلقد كان معوية اولى بذلك منه فضحك معوية وقال لا عليك يا بسر ارفع طرفك ولا تستحي فلك بعمرو اسوة
وقد اراك الله منه واراه منك فصاح فتى من اهل الكوفة ويلكم يا اهل الشام اما تستحيون لقد علمكم عمرو كشف الاستاه ثم انشد ۞
افي كل يوم فارس ذو كريهة ۞ له عورة وسط العجاجة بادية ۞ يكف لها عنه علي سنانه ۞ ويضحك منها في الخلاء معوية ۞
بدت امس من عمرو فقنع راسه ۞ وعورة بسر مثلها حذو حاذيه ۞ فقولا لعمرو وابن ارطاة ابصرا ۞ سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه ۞
ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما ۞ هما كانتا والله للنفس واقيه ۞ ولولاهما لم تنجوا من سنانه ۞ وتلك بما فيها عن العود ناهيه ۞ وكان
بسر ممن يضحك من عمرو فصار ضحكة له ايضا الثالث بيان وجه فساد مدعى عمرو في حقه وهو مستند المنع وذكر وجهين احدهما يرجع
وهو انه عليه السلام دائم الذكر للموت والتفكر في احوال المعاد والوجدان شاهد بان المستكثر من اخطار الموت عليه يكون ابدا قصير الامل وجلا
من الله مترصدا لهجوم الموت عليه مشغول بذلك عن الالتفات الى حظ الشهوات من اللعب ونحوه فكيف يتصور اللعب ممن هذه حاله الثاني يرجع
الى حال عمرو وهو انه ممن نسي الاخرة وظاهر ان نسيانها الكذب وساير وجوه خداع ابناء الدنيا عنها بالمكر والحيلة وما لا ينبغي من مناهي الله
ومن كانت هذه حاله كيف يوثق بقوله ثم نبه بقوله ولم يبايع معوية الى آخره على بعض لوازم نسيان الاخرة وهو اخذه لبيعته وقتاله مع الامام
الحق الذي يخرج به عن ربقة الدين عوضا وثمنا وتلك العطية هي مصر كما سبقت الاشارة اليه وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلام
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الاول لا شيء قبله والآخر لا غاية له لا تقع الاوهام له على صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفية
ولا تناله التجزية والتبعيض ولا تحيط به الابصار والقلوب اقول هذا الفصل يشتمل على اثبات ثماني صفات من صفات الجلال فالاولى
الوحدانية مؤكدة بنفي الشركاء وذلك قوله واشهد الى قوله لا شريك له وقد اشرنا الى معقد البرهان العقلي على الوحدانية ولما لم تكن هذه المسألة مما تتوقف اثبات صح
اثبات النبوة عليها جاز الاستدلال فيها بالسمع كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الثانية كونه اولا غير مسبوق
بالغير الثالثة اثبات كونه آخرا غير منته وجوده الى غاية يقف عندها وقد سبق البحث عنهما مستقصى وبقي قبلية شيء له والغاية عنه تاكيد ان الرابعة
من السلوب انه لا تلحقه الاوهام فتقع منه على صفة وقد علمت فيما سبق ان الاوهام لا يصدق حكمها الا فيما كان محسوسا او متعلقا بمحسوس فاما الامور
المجردة عن علايق المادة والوضع فالوهم ينكر وجودها اصلا فضلا عن ان تصدق في اثبات صفة لها وانما الحكم باثبات صفة له هو العقل الصرف
وقد علمت ان ما يثبته منها ليست حقيقة خارجية بل امورا اعتبارية تحدثها عقولنا عند مقايسته الى الغير ولا يفهم من هذا انه اثبت له صفة
بل معناه ان الاوهام لا يصدق حكمها في وصفه تعالى الخامسة كونه تعالى لا يعقل له كيفية يكون عليها وبيان ذلك ببيان معنى الكيفية فنقول انها
عبارة عن هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها قسمة ولا نسبة ولما بينا انه تعالى ليس له صفة تزيد على ذاته وهي محل لها استحال للقلوب منه
على كيفية السادسة كونه تعالى لا تناله التجزية والتبعيض وهو اشارة الى نفي الكمية عنه اذ كانت التجزية والتبعيض من لواحقها وقد علمت ان الكم من
لواحق الجسم والباري تعالى ليس بجسم وليس بكم فليس بقابل للتبعيض والتجزية ولان كل قابل لهما منفعل عن غيره والمنفعل عن الغير ممكن على ما مر السابعة
كونه تعالى لا تحيط به الابصار وهو كقوله تعالى لا تدركه الابصار وهذه المسألة مما اختلف فيها علماء الاسلام وقد سبق فيها الكلام وخلاصته ان المدرك بحاسة

البصر بالذات انما هو الالوان والاضواء وبالعرض الملون والمضيء ولما كان اللون والضوء من خواص الجسم وكان تعالى منزها عن الجسمية ولواحقها
وجب كونه منزها عن الادراك بحاسة البصر اقول منه كونه تعالى لا يحيط به القلوب والمراد ان العقول البشرية قاصرة عن الاحاطة بكنه ذاته المقدسة وقد
سبق تقرير ذلك وبالله التوفيق متن فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع واعتبروا بالاى السواطع وازدجروا بالنذر البوالغ وانتفعوا بالذكر والمواعظ
فكان قد علقتكم مخالب المنية وانقطعت منكم علائق الامنية ودهمتكم مفظعات الامور والسياقة الى الورد المورود وكل نفس معها
سائق وشهيد سائق يسوقها الى محشرها وشاهد يشهد عليها بعملها اقول الاى جمع آية والساطع المرتفع والنذر جمع نذير ومفظعات الامور شدائدها
والورد المورود وفي هذا الفصل فوائد الاولى الامر بالاتعاظ بالعبر النوافع واسم العبرة حقيقة في الاعتبار وقد يطلق مجازا فيما يعتبر به ويحتمل
ان يراد هيهنا اطلاقا لاسم الحال على المحل وللاتعاظ سبب وحقيقة وثمرة اما سببه فالنظر في آثار الماضين وتدبر قصصهم وتصريف قضاء الله
وقدره لاحوالهم وهو الاعتبار واما حقيقته فالخوف الحاصل في نفس المعتبر من اعتباره وتاثره عن ان يلحقه ما لحقهم اذ هو مثلهم واولى بما لحقهم
واما ثمرته فالانزجار عن مناهي الله واجابة داعيه والانقياد لسلوك سبيله الثانية الامر بالاعتبار بالآي السواطع وهو رادف الامر بالاتعاظ
بسببه واراد بالآي آيات الله آثار الله وعجائب مصنوعاته او آيات القرآن المعذرة والمنذرة واستعار لها لفظ السطوع ووجه المشابهة
ظهور اشراق نور الحق منها على مرايا قلوب عباد الله كاشراق نور الصبح وسطوعه وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول واعتباره بها انتقال
ذهنه فيها في مقام النظر والاستدلال كما سلف بيانه الثالثة الامر بالازدجار بالنذر البوالغ وهو امر بغاية الاتعاظ والنذر هي زواجر الله
ووعيداته البالغة حد الكمال في التخويف والزجر عند اعتبارها الرابعة الامر بالانتفاع بالذكر والمواعظ وهو امر بتحصيل ثمرة الذكر
والمواعظة عنها وختم هذه الاوامر بذكر الانتفاع ترغيبا وجذبا للنفوس الى الذكر وقبول المواعظ الخامسة التخويف والتذكير بالموت
وما يتبعه ليبادروا الى امتثال اوامره السابقة قوله فكان قد علقتكم مخالب المنية بالسبع الذي يهجم ويتوقع افتراسه وكان مخففة
من كان واسمها ضمير الشان ويحتمل ان تكون الناصبة للفعل دخلت عليها كاف التشبيه قوله وانقطعت عنكم علائق الامنية اشارة الى
ما يهجم على الميت من سكرات الموت وما يتبعها من عذاب القبر واهوال الآخرة وقوله والسياقة الى الورد المورود فالسياقة هي السوق
المتعبة التي سلف ذكرها والورد المورود هو المحشر وقوله وكل نفس معها سائق وشهيد اقتباس للآية وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد فالسائق الذي يسوقها الى المحشر هو حكم القضاء الالهي واسباب الموت القوية الحاكمة على النفوس برجوعها الى معادها فان كانت
من اهل الشقاوة فيالها من سوقة متعبة وجذبة مزعجة وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال
لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم الآيات وان كانت من اهل السعادة ساقها سائق رؤوف بسوق لطيف ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين واما الشاهد عليها بعملها فقد سبقت الاشارة اليه وبالله التوفيق متن في صفة الجنة درجات متفاضلات ومنازل
متفاوتات لا ينقطع نعيمها ولا يظعن مقيمها ولا يهرم خالدها ولا ييأس ساكنها اقول اعلم ان ثمار الجنة هي المعارف الالهية والنظر
الى وجه الله ذي الجلال والاكرام والسعداء والوصول الى نيل هذه الثمرة على مراتب متفاوتة ودرجات متفاضلة فالاولى مرتبة من
اوتي الكمال في حدس القوة النظرية حتى استغنى عن معلم بشري راسا واوتي مع ذلك ثبات قوته المفكرة واستقامة وهمه منقادا تحت
قلم العقل فلا يلتفت الى العالم المحسوس بما فيه حتى يشاهد العالم المعقول بما فيه من الاحوال ويستثبتها في النقطة فيصير العالم وما يجري فيه

متمثلاً في نفسه فيكون لقوته النفسانية ان يؤثر في عالم الطبيعة حتى ينتهي الى درجة النفوس السماوية وتلك هي النفوس القدسية اولات المعارج
وهم السابقون السابقون اولئك المقربون وهم افضل النوع البشري واحقه باعلى درجات السعادة في الجنة المرتبة الثانية مرتبة من له الامرين
الامران الاولان دون الثالث اعني التاثير في عالم الطبيعة وهذه مرتبة اصحاب اليمين وتحتها مراتب فاولها مرتبة من له استعداد طبيعي لاستكمال قوته
النظرية دون العملية الثانية مرتبة من اكتسب ذلك الاستكمال في قوته النظرية اكتسابا تكليفيا دون تهيؤ طبيعي ولا حصة له في امر القوة العملية
الثالثة مرتبة من ليس له تهيؤ طبيعي ولا اكتساب تكليفي في قوته النظرية وله ذلك التهيؤ في القوة العملية الرابعة مرتبة من له تلطف في اصلاح الاخلاق
واكتساب الملكات الفاضلة دون تهيؤ طبيعي لذلك اذا عرفت ذلك فاعلم ان للمقربين البالغين في الملكات الشريفة لذات عظيمة في الجنة قد فازوا
بنعيم الابد والسرور الدائم في حضرة جلال رب العالمين في مقعد صدق عند مليك مقتدر غير محجوبين عن لذاتهم لهم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
وهم فيها خالدون كما قال عليه السلام لا يظعن مقيمها جردا عن عوارض الابدان وشوائب المواد مردا عن مزاحمة القوى المتعالية المتجاذبة الى الهرم والموت
مكحلين بالانوار الساطعة ينظرون الى ربهم بوجوههم المفارقة واما اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين ولهم لذات دون الوصول الى رتبة الساطعة
السابقين وقد يخالط لذات هؤلاء شوب من لذات المقربين كما اشير اليه في التنزيل الالهي في وصف شراب الابرار ومزاجه من تسنيم عينا يشرب
بها المقربون ولكل من المراتب المذكورة كما يخصه ودرجة من السعادة في الجنة بحسبه كما قال هم درجات عند الله وقال يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات وقال لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار واذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن فنقول اما قوله لا ينقطع
نعيمها فلقوله تعالى واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ وقوله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد
ولان الكمال الذي حصل للانسان فاستحق به سعادة في الجنة ملكات في جوهره لا تزول ولا تتغير ومها دام استحقاق القابل لجود الله ونعمه وجب دوام
ذلك الجود وفيض تلك النعمة اذ هو الجواد المطلق الذي لا بخل من جهته ولا منع واما قوله ولا يظعن مقيمها فلقوله تعالى لهم جنات النعيم خالدين فيها ابدا وقوله
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ولان النعيم الابدي مطلوب بالذات غير ممنوع منه
فلا يكون مهروبا عنه بالذات واما قوله ولا يهرم خالدها ولا ييأس ساكنها اي لا يصيبه بؤس فلان الهرم مستلزم للتعب والنصب وكذلك البؤس عن
الضعف وهذه اللوازم منفية عن اهل الجنة لقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من
فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وبانتفاء هذه اللوازم ينتفي عنهم ملزومها وهو الهرم وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم
وفيها فصول الاول قوله قد علم السرائر وخبر الضمائر له الاحاطة بكل شيء والغلبة لكل شيء والقوة على كل شيء وهذا الفصل يشتمل على بعض اوصاف
الحق سبحانه الاول كونه عالما بالاسرار وهو كقوله يعلم سركم ونجواكم والثاني كونه خبيرا بالضمائر وهو قريب من المرادف للعالم بالسرائر فان الخبير هو
الذي لا يعزب عنه الاخبار الباطنة ولا تضطرب نفس ولا تسكن الا ويكون عنده خبرها وذلك بعينه هو العالم مضافا الى السرائر والخفايا الباطنة
وان كان مطلق العليم اعم والثالث كونه محيطا بكل شيء وهو اشارة الى علمه المحيط بكليات الاشياء وجزئياتها وعليه اتفاق جمهور المتكلمين
والحكماء اما المتكلمون فظاهر واما المحققون من الحكماء فمحصل كلامهم اجمالا في كيفية علمه تعالى انه يعلم ذاته بذاته ويتحد هناك المدرك والمدرك
والادراك ولا يتعدد ان الا بالاعتبار العقلي وتغايرهما المدرك واما المعلولات البعيدة كالماديات والمعدومات التي من شانها امكان ان توجد في
وقت او تتعلق بموجود فيكون بارتسام صورها المعقولة من المعلولات القريبة التي هي المدركات لها اولا وبالذات وكذلك الى ان ينتهي الى ادراك
المحسوسات بارتسامها في آلات مدركها قالوا وذلك لان الموجود في الحاضر حاضر والمدرك للحاضر مدرك لما يحضر فاذن لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات

ولا

ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر ويكون ذوات معلولاته القريبة مرتسمة بجميع الصور وهي التي يعبر عنها تارة بالكتاب المبين وتارة باللوح
المحفوظ وتسمى عندهم عقولا فعالة الرابعة كونه تعالى غالبا لكل شيء الخامس كونه قويا على كل شيء وهما اشارتان الى وصف قدرته تعالى بالتمام على كل
مقدور فان القوة عليها والغلبة لها من تمام القدرة ويفهم من الغالب زيادة على القوى ويعود الى معنى القاهر وقد سبق بيانه واما بيان صدق هاتين
القضيتين فبيان انه تعالى مبدا لكل موجود وان كل ممكن مفتقر في سلسلة الحاجة اليه وقد فرغ من ذلك في الكتب الكلامية الفصل الثاني قوله فليعمل العامل
منكم في ايام مهله قبل ارهاق اجله وفي فراغه قبل اوان شغله وفي متنفسه قبل ان يوخذ بكظمه وليمهد لنفسه وقدمه وليتزود من دار
ظعنه لدار اقامته فالله الله ايها الناس فيما استحفظكم الله من كتابه واستودعكم من حقوقه فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ولم يترككم
سدى ولم يدعكم في جهالة ولا عمى قد سمى اثاركم وعلم اعمالكم وكتب اجالكم وانزل عليكم الكتاب تبيانا وعمر فيكم نبيه صلى الله عليه ازمانا
حتى اكمل له ولكم دينه فيما انزل من كتابه الذي رضي لنفسه وانهى اليكم على لسانه محابه من الاعمال ومكارهه ونواهيه واوامره
فالقى اليكم المعذرة واتخذ عليكم الحجة وقدم اليكم بالوعيد وانذركم بين يدي عذاب شديد فاستدركوا بقية ايامكم واصبروا لها
انفسكم فانها قليل في كثير الايام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة ولا ترخصوا لانفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب
الظلمة ولا تداهنوا فيهجم بكم الادهان على المعصية عباد الله ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه
والمغبون من غبن نفسه والمغبوط من سلم له دينه والسعيد من وعظ بغيره والشقي من انخدع لهواه وغروره واعلموا ان يسير
الرياء شرك ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان جانبوا الكذب فانه مجانب للايمان الصادق على شفا منجاة
وكرامة والكاذب على شرف مهواة ومهانة ولا تحاسدوا فان الحسد ياكل الايمان كما تاكل النار الحطب ولا تباغضوا فانها الحالقة
واعلموا ان الامل يسهي العقل وينسي الذكر فاكذبوا الامل فانه غرور وصاحبه مغرور اقول الفصل الى اخره شروع في الموعظة والمشورة
ولما قدم الاشعار بان الله تعالى عالم بما في الصدور غالب على كل مقدور اراد بهم بعده في العمل واراد الاعمال الصالحة المطلوبة بالتكاليف الشرعية وان
يجعلوها مهاد الثبات اقدامهم على الصراط المستقيم المامور بسلوكه ثم تلطف في الجذب الى العمل بتذكيرهم بانهم في ايام مهلة وفراغ ومتنفس
خناق يمكنهم فيه العمل وان الذي يعملونه من الصالحات هو زاد لهم في سفرهم الى الله والى دار اقامتهم وان وراء هذه المهلة ادراك اجل بعده شغل
باهوال الاخرة واخذ بالكظم وكنى به عن عدم التمكن من العمل اذ لم تكن الاخرة دار عمل ثم اتبعه بالناس وحذرهم دهمهم ان يخالفوا فيما امرهم
بحفظه وهو كتابه وعنى بحفظه تدبر ما فيه والمحافظة على العمل باوامره ونواهيه وهي حقوقه التي استودعهم اياها ثم علل ذلك بتنبيههم على
انه تعالى لم يخلقهم عبثا خاليا عن وجه الحكمة بل خلقهم ليستكملوا الفضايل النفسانية بواسطة الالات البدنية ولم يجعلهم في وجودهم
مهملين بل ضبط اثارهم واعمالهم وكتب اجالهم في كتابه المبين واللوح المحفوظ الى يوم الدين ونظام وجود برسول كريم عمره فيهم وكتاب اوضح
لهم فيه السبيل التي يسلكها خلقهم واكمل لهم ولنبيه دينهم الذي ارتضى لهم وما اهلهم له من الكمالات المسعدة في الاخرة كما قال تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وبلغهم على لسانه ما احب لهم من الخيرات الباقية وكره لهم من الشرور المشقية في الاخرة
كما اشتملت عليه اوامره ونواهيه وابان لهم فيه الاعذار واوضح فيه الحجج وشحنه بالوعيد بين يدي عذاب شديد واستعار لهم لفظ اليدين
للعذاب وكنى ببين يديه عن الوقت المعلوم على عذاب المشار له ووجه المشابهة ان الانذار بالمخوف يكون من ذي سطوة وباس
شديد فكانه نزل العذاب الشديد بمنزلة المعذب فاستعار له يدين وجعل الانذار به والتخويف منه متقدما له بين يديه وذلك من الجواذب

اللطيفة ثم عاد الى امرهم باستدراك اشعارا بتقديم تفريطهم في جنب الله ولذلك قال فان فيها قليل في كثير الايام التي تكونون حرما منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة وانما قال لان كل وقت يستحق ان يوقع فيه ما ينبغي من الافعال فيصدق عليها ان ذلك الفعل لها

وقوله ولا ترخصوا لانفسكم الى قوله المعصية اقول ليس المقصود بالرخصة هنا الرخص الشرعية بل ما يتساهل الانسان فيه مع نفسه من تنويع الماكل والمشارب والمناكح والخروج فيها الى ما لا ينبغي في نفس الامر دينا ولا دنيا ويلاوحيلة يتخيل انها جايزة في الشرع بعيدة ويروج بها اتباع الهواء ونحوه الاجتماع في السماع لغير اهله وحضور مجالس الفساق ومعاشرة الظالمين والضابط الكلي في هذا هو توسع الانسان في الامور المباحة واستيفاؤه حقه فانه متى فعل ذلك بادر في المكروه ثم ربما لحظ انه لا عقاب في فعله فقادته شهوته الى فعله فاستوفى حقه فتادر في المحظور وذلك ان العقل اذا اطاع النفس الامارة بالسوء فيما يامر به مرة ومرة لم يبق له نفار عما يعوده اليه لوقوع الانس به وظاهر ان ارتكاب بعض ما مورانها يجر الى ارتكاب بعض فيؤدي ذلك الى تجاوز الحدود الشرعية وعبورها الى الوقوع في حبائل الشيطان والتهور في المحظورات التي هي مهاوي الهلاك ولذلك ما ورد في الخبر من رتع حول الحمى اوشك ان يقع فيه وقد شبه العارفون القلب بالحصن والشيطان يقف ويريد ان يدخله ولن يمكن دفع ذلك العدو والتحفظ منه الا بضبط ابواب ذلك الحصن التي منها الدخول اليه وحراستها وهي ابواب كثيرة كساير المحرمات ومساهلة النفس في التوسع في المباحات والدخول في الامور المشتبهة من اعظم تلك الابواب ودخول الشيطان منها اسهل وهو عليه اقدر ولذلك قال عليه فيذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ويهجم بكم الادهان على المعصية ومذاهب الظلمة مسالكها وطرقها العادلة عن العدول وروي عنه ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام وراى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه هي الشهوات التي اصيب به قلوب بني آدم فقال هل لي فيها شيء قال نعم ربما شبعت فنشغلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ بطني من طعام ابدا فقال ابليس لله علي ان لا انصح مسلما ابدا ولا تداهنوا اي لا تسالموا الظلمة وتساهلوا معهم في السكوت عما ترونه من منكراته فيهجم بكم الادهان على المعصية اي ياخذ الشيطان بمشاهدة المعصية والغيم تكرارها كنتم بذلك عصاة وربما ساقكم فعل المنكر ومشاركتهم فيه وقوله عباد الله الى اخره اخبارات في معنى الاوامر والنواهي واوامر ونواهي صريحة مشتملة على جواذب الى طاعة الله ولزوم دينه فالاول قوله ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه وبيان منه انه لما كان غرض النصح انما هو جلب الخير والمنفعة الى المنصوح وكان اجل منفعة هو السعادة الباقية الابدية ومشاهدة الحضرة الربوبية وكانت تلك السعادة انما تنال بطاعة الله تعالى وكل من كانت طاعته له اتم كانت سعادته اتم وكان هو انصح الناس لنفسه بمبالغته في طاعته الثاني قوله وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه وهو ظاهر مما قررناه فانه لما كانت غاية الغش انما هو جلب الشر والمضرة الى المغشوش وكان اعظم شر وضر يلحق العبد هو الشقاوة الابدية في قرار الجحيم وكانت تلك الشقاوة انما تحصل للانسان عليها بمعصية الله تعالى فكل من كانت معصيته اتم كانت شقاوته اتم فكان هو اغش الناس لنفسه بمبالغته في معصيته وحاصل القضية الاولى الامر بالطاعة اتم ما يمكن والثانية النهي عن المعصية اتم ما يمكن ورغب في الطاعة بذكر نصيحة النفس لما ان النصيحة محبوبة ونفر عن المعصية بذكر غشها الثالث قوله والمغبون من غبن نفسه والمراد من غبنها بالمعصية المستلزمة لدخول النار فكان الشيطان بمنابعة شيطانه خادع وقد بخسها ما يستحقه من ثواب الله ولما كانت السعادة الاخروية باعظم ما

بينا تمنى فيه لا جرم كان اعظم مغبون من لم يتوقها فلذلك حصر المغبون فيه على طريق المبالغة وهو خبر في معنى النهي عن المعصية ونفر عنها بذكر غبن
النفس الرابع قوله والمغبوط من سلم له دينه والمغبطة ان يتمنى الانسان مثل ما لغيره من جاه او مال مع قطع النظر عن تمنى زوال [illegible] تلك الحال
عمن هي له وبهذا القيد تميز عن الحسد والقضية ظاهرة مما قبلها فانه لما كان من سلم دينه فائزا بالسعادة الكبرى الباقية مع كونها اجل ما يغبط به
دينيا فمن فيه لا جرم كان هو اعظم مغبوط ولذلك حصر المغبوط فيه مبالغة ورغب في المحافظة على الدين بكون من سلم له مغبوطا الخامس قوله والسعيد من
وعظ بغيره وقد صارت هذه القضية في معنى المثل اي السعيد في الآخرة من اعتبر حال غيره فشاهد بعين بصيرته مصير الظالمين فخاف عاقبتهم فعدل عن
طريقهم ويذكر مآل المتبعين فمال الى جادتهم فسلك مسالكهم ورغب في الاتعاظ بالغير بذكر استلزامه للسعادة السادس قوله وكذلك الشقي
في الآخرة من انخدع لهواه وغره رهم ونفر عن اتباع الهوى بذكر الخداع والغرور السابع التنبيه على ان يسير الرياء شرك وقد سبق بيان
ان الرياء في العبادة وان قل التفات مع الله الى غيره وادخال له في القصد بالعمل والطاعة وذلك في الحقيقة شرك خفي اتفقت ارباب
القلوب الثامن قوله ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان اراد باهل الهوى الفساق المنقادين لدواعي الشيطان
الى الشهوات الخارجة عن حدود ونفر عن مجالستهم بانها محل لامرين احدهما نسيان الايمان وهو ظاهر فان اهل الهوى ابدا مشغولون
بذكر ما هم فيه من لعب ولهو خائضون في اصناف الباطل وانواعه فمجالستهم عن رغبة مظنة الغفلة عن ذكر الله والانجذاب الى ما هم عليه عن الاعمال
الصالحة وتذكار اركان الايمان وقواعده وقد علمت ان كثرة الغفلات عن الشيء تؤول الى نسيانه والمحاية عن لوح الخيال والذكر وربما يتجوز في
مطلق الغفلة عن اوقات العبادة والذكر بالنسيان تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه الثاني كونها محلا لحضور الشيطان وقد علمت معنى الشيطان
وان كل محل عصي الله فيه فهو محضر للشيطان وموطن له التاسع الامر بمجانبة الكذب ونفر عنه بقوله فانه مجانب للايمان وفي حديث
نبوي ومعنى المجانبة كون كل منهما في جانب فان كانت الاعمال الصالحة داخلة في مسمى الايمان فالصدق من جملتها ومضاد الصدق
مضاد للايمان واحد الضدين مجانب للآخر فالكذب مجانب للايمان وان لم يكن كذلك قلت ان الكذب من اعظم الرذائل الموبقة والايمان
اعظم الفضائل المسعدة وبين الفضائل والرذائل منافاة ذاتية فالكذب مناف للايمان ومجانب له ويحتمل ان يكون معنى مجانبته
لكونه غير لائق ان يجامعه في محل واحد وغير مناسب له وبالجملة كونه ليس منه في شيء وقد بينا ما يشتمل عليه الكذب من المضار المهلكة ثم اردف
ذلك بالترغيب في الصدق بكون الصادق على شفا منجاة اي مشارف للنجاة وكرامة او لمحلهما وهو الجنة اذ الصدق باب من ابوابها ثم بالتنفير
عن الكذب بكون الكاذب على شرف مهواة ومهانة اي هوى وهوان او محلهما وهو حضيض الجحيم الذي هو محل الهوان اذ الكذب باب
من ابوابها ومن انتهى الى الباب فقد شارف الدخول وعن الرسول صلى الله عليه وآله اياكم والكذب فانه يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي
الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وعليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل
ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وقال صلى الله عليه وآله الكذب راس النفاق وهو ظاهر فان مدار النفاق على المصانعة بالقول
الغير المطابق لما في النفس وهو حقيقة الكذب العاشر النهي عن الحسد وقد اتفق ارباب القلوب على انه من اعظم ابواب الشيطان التي يدخل
بها على القلب وهو احد العوارض الردية للنفس ويتولد من اجتماع البخل والشره في النفس واعني بالشرير من يلتذ طباعها بمضاد
بمضار تقع بالناس ويكره ما يوافقهم وان كانوا ممن لا يرونه ولم يسيئوا اليه وقد علمت ان من هذه صفته مستحق للمقت من الله عز وجل
وذلك انه مضاد لارادته اذ هو تعالى المتفضل على الكل المريد للخير المطلق للكل وقد رسم الحسد بانه اغتمام الانسان بخير يناله

غيره من حيث كانت مضرّة عليه منه به وقد يوجد الحسد ممن لا ينتفع بما في المحسود ويسمّى الحسد البالغ فاما تعليله وجوب تركه بانه يأكل الحسنات
المنقوشة في جوهرها ويضمحل على طول تعوّد الحسد واشتغال الفكر فيه وطول الحزن والهم كان نعم الله على عباده اكثر من ان تحصى فاذا كان
الحسد بها دائما فانقطع وقت الحاسد به عن تحصيل الحسنات واما بالجسد فلانه يعرض له عند حدوث هذه الاعراض للنفس طول السهر وسوء الاغتذاء
ويعقب ذلك رداءة اللون وسوء السحنة وفساد المزاج اذا عرفت ذلك فنقول انه قد استعار هاهنا لفظ الاكل لكون الحسد ماحيا
لما في النفس من الخواطر الخيرية التي هي الحسنات ومانعا من صيرورتها ملكات وذلك بسبب استغراقها في حال المحسود واشتغالها به وشبّه ذلك
باكل النار الحطب ووجه الشبه ما يشترك فيه الحسد والنار من افناء الحسنات والحطب واستهلاكهما الحادي عشر النهي عن التباغض وتعليله
ذلك بانها الحالقة واعلم انه لما كان امر العالم لا ينتظم الا بالتعاون والتظافر وكان التعاون انما يتم بالعقد وكان اقوى اسباب الالفة
هو المودّة والمواخاة بين الخلق كانت المودّة من المطالب المهمة للشارع ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين اصحابه ليخلص محبتهم
وتصفو قلوبهم ويصدق بينهم التعاون والتظافر والاتحاد في الدين قال صلى الله عليه وآله المرء كبير باخيه ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق
مثل ما ترى له فلذلك كان التباغض بينهم منهيا عنه مكروها في الشريعة لما يستلزمه من التقاطع بينهم وعدم تعاونهم وتظافرهم وبسبب ذلك
يتخطف كلا منهم ايدي حاسديه ويتحكم فيه اهواء اعاديه ولا تسلم له نعمة ولا تصفو له مدة بل يكون ذلك بواره واضمحلال النوع وهلاكه ولذلك
قال عليه السلم فانها الحالقة واصل هذا اللفظ مستعار مما يحلق الشعر كالموسى ونحوها للدواهي واسباب الشر ثم سار مثلا وقد وقع هاهنا
موقعه من الاستعارة ووجه المشابهة ان الموسى مثلا كما انها سبب لحلق الشعر واستيصاله كذلك التباغض سبب لاستيصال الخلق بعضهم
بعضا الثاني عشر التنبيه على مضار الامل للدنيا والامر بتكذيبه المستلزم للنهي عنه فاما مضاره فاحدها انه يوجب سهو العقل اي عما هو الاولى
بالانسان في معاشه ومعاده وهو ظاهر فان الآمل ابدا مشغول الفكر بما يأمله وبوجوه وفي كيفية تحصيله وكيفية العمل به بعد حصوله وشغله
بذلك يستلزم اعراضه عن غيره اذ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه الثانية انه ينسي الذكر اي ذكر الله تعالى وما بعد الموت من احوال الآخرة
وذلك باستغراقه فيما يأمله من احوال الدنيا كما مرّ الثالثة انه غرور وصاحبه مغرور وروي بفتح الغين من غرور وضمّها ووجه الفتح ان
الامل ليس هو نفس الغفلة عن الذكر وغيره بل مستلزم لها فلذلك صدقت نسبة الغرور اليه ووجه الضم انه مجاز من باب اطلاق اسم اللازم على ملزومه واما
تكذيبه فبذكر الموت ودوام اخطاره بالبال وملاحظة المرجع والمعاد وانما سمي ردّ الامل تكذيبا له لان النفس حال توقعها للموت تكون حاكمة حكما وهميا
ببلوغه ونيله فاذا رجعت الى صرف العقل وملاحظة الموت وجواز الانقطاع به عن بلوغ ما رجته كان تجويزها ذلك مكذبا لما جزم به الوهم من الاحكام
والله ولي التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلم وفيها فصول الفصل الاول في صفات المتقين وهو قوله عباد الله ان من احب عباد الله اليه
عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه واعدّ القرى ليومه النازل به فقرّب على نفسه البعيد وهوّن
الشديد نظر فابصر وذكر فاستكثر وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده فشرب نهلا وسلك سبيلا جددا قد خلع سرابيل الشهوات
وتخلى من الهموم الا همّا واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر
طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس قد
نصب نفسه لله سبحانه في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع الى اصله مصباح ظلمات كشاف عشوات مفتاح مبهمات
دفاع معضلات دليل فلوات يقول فيفهم ويسكت فيسلم قد اخلص لله فاستخلصه فهو من معادن دينه واوتاد ارضه قد الزم نفسه

العدل

العود فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه يصف الحق ويعمل به ولا يدع للخير غاية الا امّها ولا مظنة الا قصدها قد امكن الكتاب من زمامه فهو
قائده وامامه يحل حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله اقول القرى الضيافة والفرات صادق العذوبة والنهل الشرب اول الورد
والجدد الارض المستوية والسرابيل القمصان والمنار الاعلام وغماره جمع غمرة وهي الزحمة من كثرة الناس والماء ونحوه والعشوات جمع عشوة وهي
ركوب الامر على جهل به والغشوة بالغين المعجمة الغطاء والبهمة الامر الملتبس والمعضلات الشدائد وذكر من صفاتهم التي هي سبب محبة الله لهم اربعين
وصفا وقد علمت ان محبة الله تعالى تعود الى افاضة الكمالات النفسانية على نفس العبد بحسب قربه بالاستعداد لها الى جوده فمن كان استعداده اتم كان
استحقاقه اوفى فكانت محبة الله له اكمل فالاول من تلك الاوصاف كونه اعانه الله على نفسه اي افاضه قوة على استعداده يقوى به عقله على قهر نفسه
الامارة بالسوء الثاني ان يستشعر الحزن اي يتخذه شعارا له واراد الحزن على ما فرط في جنب الله واكتسب من الاثم فانه من جملة ما اعدته المعاونة
الالهية لاستشعاره ليستعد به لكمال اعلى الثالث ان يتجلبب الخوف وهو اتخاذه جلبابا واستعار لفظ الجلباب وهو الملحفة للخوف من الله والخشية
من عقابه ووجه المشابهة ما يشتركان فيه من كون كل منهما ملتبسا به وهو ايضا معونة من الله للعبد على تحصيل السعادة الرابع زهرة مصباح الهدى
في قلبه وهو اشارة الى شروق نور المعارف الالهية على مرآة سره وهو ثمرة الاستعداد بالحزن والخوف ولذلك عطفه بالفاء واستعار لفظ المصباح
لنور المعرفة لما يشتركان فيه من كون كل منهما سببا للهدى وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول الخامس كونه اعد القرى ليومه النازل به استعار لفظ القرى
للاعمال الصالحة واراد باليوم النازل به يوم القيمة واستلزمت الاستعارة تشبيهه لذلك اليوم بالضيف او بيوم القرى للضيف المتوقع نزوله ووجه
المشابهة ان القرى كما يبيض به وجه القاري عند ضيفه ويخلص به من ذمه ويكسبه المحمدة والثناء منه كذلك الاعمال الصالحة في ذلك اليوم
يكون سببا لخلاص العبد من اهواله ويكسبه رضاء الحق سبحانه والثواب الجزيل منه السادس وقرب على نفسه البعيد يحتمل وجهين احدهما ان يشير بالبعيد الى رحمة
الله فانها بعيدة من غير مستحقها والمستعد لقبولها قريبة ممن حسن عمله كمل قبوله فالعبد اذا راض بالاعمال الصالحة نفسه واعدها في يومه كانت رحمة الله
على غاية من القرب منه كما قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين الثاني يحتمل ان يريد بالبعيد امله الطويل في الدنيا ويقربه على نفسه تقصيره له بذكر الموت دون بلوغه
كما سبق السابع كونه هون الشديد ويحتمل ايضا معنيين احدهما ان يريد بالشدايد امر الاخرة وعذاب الجحيم وتهوينها بالاعمال الصالحة واستشراف
انوار الحق وظاهر كونها مهونة لشديد عذابه الثاني ان يريد بالشدايد شدايد الدنيا من الفقر والاهتمام بالمصائب التي تنزل به من الظلم وفقد
الاحبة والاقرباء ونحو ذلك وتهوينه لذلك تسهيله على خاطره واستحقاقه في جنب ما يتصوره من الرحمة بلقاء الله وما اعد له من الثواب الجزيل في
الاخرة كما قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون الثامن
كونه نظر اي تفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء فابصر اي فشاهد الحق سبحانه في عجائب مصنوعاته بعين بصيرته التاسع وذكر فاستكثر اي ذكر
ربه ومعاده فاستكثر من ذكره حتى صار الذكر ملكة له وتجلى المذكور في اطوار ذكره لمرآة سره والاستكثار من الذكر باب عظيم من ابواب الجنة العاشر كونه
ارتوى من عذب فرات شبه العلوم والكمالات النفسانية التي تفاض على العارف بالماء الزلال فاستعار له لفظ العذوبة والفرات ورشح تلك الاستعارة
بذكر الارتواء وقد سبق وجه هذه الاستعارة مرارا الحادي عشر كونه سهلت له موارده الغايبون بتعب السوء في طريق الله لا ينفكون عن تاييد الهي بخاصية
مزاجه يكون لهم بها سرعة الاستعداد لقبول الكمالات الموصلة اليه اذا عرفت ذلك فنقول موارد تلك الكمالات من العلوم والاخلاق هي معادنها
ومواطنها المنتزعة منها وهي النفوس الكاملة التي يهتدى بها ويوجد عنها انوار الله كالانبياء وتصدق تلك الموارد ايضا على بدايع صنع الله التي يردها
ذهن العبد ويكتسب بها الملكات الفاضلة وسهولة تلك الموارد لهم وهو سرعة قبولهم لاخذ الكمالات عنها بسهولة باذهان صافية هيأتها العناية الالهية لقبولها

ويبرئها لذلك الثاني عشر فتبرى غليلا اى اخذ ملك الكمالات سابقا اليها كثيرا من ابناء نوعه ومتقدما فيها لسهولة موردها عليه وهي الفاظ مستعارة لاخذه لها وسبقه اليها ملاحظة
لشبهه بشرب السقاء وبالسواق من الابل الى الماء الثالث عشر كونه قد سلك سبيلا جددا اى سبيل الله الواضح المستقيم العدل بين طرفى التفريط والافراط الرابع عشر كونه قد خلع سرابيل الشهوات
اكثر الاوصاف السابقة اشار فيها الى تحصيل العلم والاستعداد له واشار بهذا الوصف الى طرف الزهد واستعار لفظ السرابيل للشهوات ووجه المشابهة تلبس صاحبها بها
كما يتلبس بالقميص ورشح بلفظ الخلع وكنى به عن طرحه لاتباع الشهوة والتفاته عنها فيما يخرج به عن حد العدل الخامس عشر وتخلى من الهموم الا هما واحدا اى من هموم الدنيا وعلايق احوالها
وطرح كل مقصود عن قصده الا هما واحدا انفرد به وهو الوصول الى ما حل عزة الله وتوجيه سره الى مطالعة انوار كبريائه واستغراقها وهو تمام الزهد الحقيقي وظاهر كونه
منفردا به عن غيره من ابناء نوعه السادس عشر فخرج عن صفة العمى اى عمى الجهل بما حصل عليه من فضيلة العلم والحكمة وعن مشاركة اهل الهوى اى في افراطهم وتفريطهم اذ هو على
حاق الوسط من فضيلة العفة السابع عشر وصار من مفاتيح ابواب الهدى فابواب الهدى هي طرقه وسبله المعدة لقبوله من واهبه وقد وقف عليها عارفون وخلوا
منها الى حضرة جلال الله ووقفوا على مراحلها ومنازلها ومخاوفها فصاروا مفاتيح لما انغلق منها على اذهان الناقصين ومصابيح فيها للنفوس الجاهلين
ولفظ المفتاح مستعار للعارف ووجه المشابهة ظاهر الثامن عشر ومغاليق ابواب الردى فابواب الردى هي اطراف التفريط والافراط والمسالك التي يخرج فيها
عن حدود الله المردى سلوكها في قرار الجحيم والعارف لما سد ابواب المنكرات تسلكها الجاهلون ولزم طريق العدل لا جرم اشبه المغلاق الذي يكون سببا
لسد الطريق ان يسلك فاستعير لفظه له وفى القرينتين مطابقة فالمغاليق بازاء المفاتيح والردى بازاء الهدى التاسع عشر قد ابصر اى بنور [illegible] بصيرته طريقه
اى المامور بسلوكها والمجذوب بالعناية الالهية اليها وهي صراط الله المستقيم العشرون وسلك سبيله اى لما ابصر السبيل سلكها اذ كان السلوك هو المقصود
الاول الحادي والعشرون وعرف مناره لما كان السالك الى الله قد يستقيم به طريق الحق اتفاقا او ذلك كسلوك من لم يستكمل قوته النظرية بالعلوم وقد يكون سلوكه
بعد استكماله بها فالسالك كذلك قد عرف بالبرهان مناره اى اعلامه المنصوبة في طريقه التي هي سبب هدايته وهي القوانين الكلية العملية ويحتمل ان يريد
بالمنار ما يقصده بسلوكه وهو حضرة جلال الله وملائكته المقربون الثاني والعشرون قد قطع غماره واشار بالغمار الى ما كان مغمورا فيه من مشاق الدنيا
وهمومها والاثام بسبب قبحها ومجاذبة اهلها فان العارف بمعزل عن ذلك والاثام بسببه الثالث والعشرون واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها اراد
باوثق العرى وامتن الحبال سبيل الله او امره استعارة ووجه المشابهة ان العروة كما تكون سبب النجاة من تمسك بها وكذلك الحبل وكان اجودها ما
يثبت ويمتن ولم ينفصم كذلك طريق الله المؤدى اليه يكون لزومه والتمسك باوامره سبب النجاة من اهوال الاخرة وهي عروة لا انفصام لها واوامرها
حبال لا انقطاع لها واليها الاشارة بقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها الرابع والعشرون فهو من اليقين
على مثل ضوء الشمس اى فلكان بتمسكه باوامر الله ونواهيه ومجاهدته في سبيل الله قد استشرق اتم انوار اليقين فصار مشاهدا بعين بصيرته عالم الملكوت رائيا
بها الجنة والنار عين اليقين كما يرى ببصره الظاهر نور الشمس في الوضوح والجلاء الخامس والعشرون قد نصب نفسه لله سبحانه في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه
وتصيير كل فرع الى اصله اى لما كمل في ذاته نصب نفسه لارفع الامور من هداية الخلق وافادتهم لقوانين طريق الله فصار كالمصباح يقتبس منه انوار العلم
فهو لكونه مليا بها قايم باصدار الاجوبة عن كل ما ورد عليه من الاسولة التي اشتبه امرها على الاذهان و ارد كل فرع من فروع العلم الى اصله
المتشعب عنه السادس والعشرون كونه مصباح ظلمات اى يهتدى به الناس في ظلمات الجهل الى الحق ولفظ المصباح مستعار كما سبق السابع والعشرون كونه كشاف
عشوات اى موضح لما اشكل امره وركبت فيه الجهل من الاحكام الملتبسة مميز وجه الحق منها ومن روى بالعين المعجمة فالمراد كشاف اغطية الجهالات عن
ابصار البصاير الثامن والعشرون وكذلك كونه مفتاح مبهمات اى فاتح لما انغلق على اذهان الخلق واستبهم وجه الحق فيه من الاحكام التاسع والعشرون
كونه دفاع معضلات اى يدفع كل حيرة في معضلة من معضلات الشرع صعب على الطالبين تمييز وجه الحق فيه ويحسم ببيانه عن التردى في مهاوى الجهل

الثلثون وكذلك كونه دليل فلوات واستعار لفظ الفلوات لموارد السلوك وهي الامور المعقولة ووجه المشابهة ان الفلوات كما لا يهتدي لسالكها
الا الادلاء الذين اعتادوا سلوكها وضبطوا مراحلها ومنازلها حتى كان من لا قايد له منهم فيها لا بد وان يتيه فيها ويكون جهله بطرقها
سببا لهلاكه كذلك الامور المتصورة المعقولة لا يهتدي لطريق الحق فيها الا من اخذت العناية الالهية لضبعه فالقت بزمام عقله الى استاد مرشد
يهديه سبيل الحق منها ومن لم يكن كذلك حتى صار عن طريق الحق فيها خبط في ظلمات الجهل خبط عشواء وسلكت به شياطينه ابواب جهنم والعارفون
هم ادلاء هذه الطريق والواقفون على اخطارها ومنازل السلامة فيها بعيون بصائرهم الحادي والثلثون كونه يقول فيفهم وذلك لما قلنا انه على الحق من غير شبهة
تعتريه فيما يقول ولا اختلاف عبارة عن جهل بالمقول الثاني والثلثون كونه يسكت فيسلم اي من خطر القول ولما كانت فايدة القول الافهام والافادة وفايدة
السكوت السلامة من افات اللسان وكان كلامه في معرض المدح لا جرم ذكرهما مع فايدتيهما والمقصود ان العارف يستعمل كلا من القول والسكوت في موضعه
وعند الحاجة اليه فقط الثالث والثلثون كونه قد اخلص لله فاستخلصه وقد عرفت ان الاخلاص لله هو النظر اليه مع حذف كل خاطر سواه عن درجة
الاعتبار واستخلاص الحق للعبد هو اختصاصه من بين عبيده بالرضى عنه وافاضة انواع الكمال عليه وادنائه الى حضرة قدسه وانزاله بمناجاته
وظاهر ان اخلاصه سبب استخلاصه كما قال تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا الرابع
والثلثون كونه من معادن دينه واستعار لفظ المعدن له ووجه المشابهة اشتراكهما في كون كل منهما اصلا يستخرج منه الجواهر فمن المعادن انواع الجواهر
المحسوسة ومن نفس العارف جواهر العلوم والاخلاق وساير ما اشتمل عليه دين الله الخامس والثلثون كونه من اوتاد ارضه استعار له لفظ الوتد ووجه
المشابهة كون كل منهما سببا لحفظ ما يحفظ به فبالوتد يحفظ الموتود وبالعارف يحفظ نظام الارض واستقامة امور هذا العالم وقد سبق مثله
في قوله في الخطبة الاولى ووتد بالصخور ميدان ارضه السادس والثلثون كونه الزم نفسه العدل فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه لما كان العدل ملكة
تنشأ عن الملكات الثلث وهي الحكمة والعفة والشجاعة وكان العارفون قد راضوا انفسهم بالعبادة وغيرها حتى حصلوا على هذه الملكات
الخلقية لا جرم كان بسعيه في حصولها قد الزم نفسه العدل ولما كان العدل في القوة الشهوية وهو ان لا يصير عفيفا لا خامد الشهوة ولا فاجرا
اصعب من العدل على ساير القوى لكثرة موارد الشهوة وميلها بالانسان الى طرف الافراط ولذلك كان اكثر المناهي الواردة هي موارد التركية
الشهوة لا جرم كان مقتضى المدح ان يبدأ بذكر نفي الهوى عن نفسه ولان السالك ما يبدأ في تكميل القوة العملية باصلاح القوة الشهوية فيقف عند
حدود الله ولا يتجاوزها في ماكول او منكوح او كسب او نحوه السابع والثلثون كونه يصف الحق ويعمل به اي يتبع قول الحق بعمله فان الخلف في القول عند الخلق
قبيح ومع الله اقبح ولذلك عاتب الله المؤمنين يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وكانوا قالوا لنفعلن في
سبيل الله ما فيه رضاه فلما كان يوم احد لم يثبتوا واكد عتابه بشدة مقته لخلفهم وعدم مطابقة افعالهم لاقوالهم الثامن والثلثون كونه لا يدع للخير غاية الا
امها لما فرغ من جزئيات اوصاف العارف شرع فيها اجمالا فذكر انه طالب لكل غاية خير اي لا يقنع ببعض الحق ويقف عنده بل يتناهى فيه ويستقصي
غاياته التاسع والثلثون وكذلك هو قاصد لكل مظنة له ومظنته كل محل امكنه ان ينتزعه منه ويستفيده كالاولياء ومجالس الذكر وغيرها
الاربعون كونه قد امكن الكتاب من زمامه فهو قايده الى اخره فتمكينه الكتاب كناية عن انقياده لما اشتمل عليه من الاوامر والنواهي واستعار لفظ الزمام
لعقله ووجه المشابهة ما يشتركان فيه من كون كل منهما الة للانقياد وهي استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك استعار لفظ القايد للكتاب
لكونه جاذبا بزمام عقله الى جهة واحدة مانعا له عن الانحراف عنها وكذلك لفظ الامام لكونه مقتدى به وقوله يحل حيث حل ثقله وينزل
استعار لفظ الحلول والنزول اللذين هما من صفات المسافر وكنى بحلوله حيث حل عن لزوم اثره والعمل بمقتضاه ومتابعته له في طريق سفره الى الله

بحيث لا ينفك عنه وجودا وعدما وبالله التوفيق الفصل الثاني قوله وآخر قد تسمى عالما وليس به فاقتبس جهائل من جهال واضاليل من ضلال ونصب للناس اشراكا من حبائل غرور وقول زور قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على اهوائه يؤمن من العظائم ويهون كبير الجرائم يقول اقف عند الشبهات وفيها وقع ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه فذلك ميت الاحياء اقول وهذا الفصل في صفات بعض الفساق وفي مقابلة الموصوف السابق وخصص من يسمى عالما وليس بعالم بالذكر في معرض الذم لانه اشد فتنة واقوى فسادا للدين لتعدى فتنته من نفسه الى غيره وذكر له اوصافا الاول كونه قد تسمى عالما وليس بعالم طلبا للرياسة وتحصيل الدنيا وهذا الصنف من الناس كثير والعلماء فيهم مغمورون الثاني قد اقتبس جهائل من جهال واضاليل من ضلال والجهائل جمع جهالة واراد الجهل المركب والاعتقاد الغير المطابق لما في نفس الامر وهذا الوصف احد اسباب الاول ونسبة الاقتباس الى الجهل يشبه العلم في كونه مستفادا على وجه التعلم والتعليم والاضاليل من لوازم الجهالات وهي الانحراف عن سواء السبيل وانما قال من جهال ومن ضلال ليكون اثبات الجهل والضلال له آكد فان تلقيهما عن الجهال الضلال ادعى لاعتقادهما اثبت وارسخ في النفس من ساير الجهالات الثالث كونه نصب للناس اشراكا من حبائل غرور وقول زور استعار لفظ الاشراك والحبائل لما يغر علماء السوء به الناس من الاقوال الباطلة والافعال المزخرفة ووجه المشابهة ما تشترك فيه النفوس من الحبائل وغيره وساير ما يجذب به الخلق من اقوالهم وافعالهم في كونها محصلة للغرض فالشرك للصيد وغرورهم لاعلاق القلوب الخلوة ورشح تلك الاستعارة بذكر النصب الرابع قد حمل الكتاب على آرائه للجاهل في تفسير كتاب الله تعالى مذاهب عجيبة ويكفيك منها ما تعتقده المجسمة من ظواهر المشعرة بتجسيم الصانع جلت قدرته وتفسير للكتاب على ما اعتقدوه من باطلهم الخامس عطف الحق على اهوائه من تفسير الفاظ القرآن على حسب عقيدته الفاسدة ورائه الباطل فقد عطف الحق على هواه اى جعل كل هوى له حقا يتبع بتاويل ما ولو اتبع الحق اهوائهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن السادس كونه يؤمن من الناس من العظائم ويهون كبير الجرائم اى يسهل على الناس امر الاخرة في موضع يحتاجون فيه الى ذكر وعيد الله وتذكيرهم باليم عقابه كما يخلط الجاهلون ويعرضوا عن اوامر الله تعالى ونواهيه فاذا حضروا مجالس جهال الواعظين والزهاد توسلوا الى استجلاب قلوبهم وتشبيه مناصبهم باجماعهم عليهم بان ذكروا لهم مواعيد الله كقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا ونحوه فيهون عليهم بذلك الوعيد واهوال الاخرة ويصغر عندهم جرايمهم التي ارتكبوها في جنب ما تصوروه من الوعد الكريم وينا عليهم ميل طباعهم الى المشتهيات الخارجة عن حدود الله فتعادوا ما اقترفوه ولا كذلك العالم اذ من شانه ان يستعمل كلا من آيات الوعد والوعيد في موضعها ليبقى السامعون بين خوف ورجاء فلا ينهمكوا في اللذات الفانية اتكالا على الوعد ولا تنقطعوا من رحمة الله نظرا الى الوعيد السابع يقول اقف عند الشبهات اى اذا انتهيت الى امر فيه شبهة لا اقدم عليه وفيها وقع وذلك لجهله بمواقع الشبهة وغيرها الثامن يقول اعتزل البدع اى ما يبتدع من الامور المخالفة لقوانين الشريعة وبينها اضطجع كنى باضطجاعه بين البدع عن التورط فيها كناية بالمستعار وذلك ايضا لجهله باصول الشريعة وكيفية تفريعها التاسع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان اراد بالحيوان غير الانسان كما هو مختص في العرف واطلق على قلبه انه قلب حيوان كالحمار ونحوه لما بينهما من المناسبة وهو عدم صلاحيتهما لقبول المعارف مع ميلهما الى الشهوات العاشر كونه لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه اى لا يعرف لجهله قانون الهداية الى طرق الحق فيسلكه ولا وجه خوله في الباطل فيعرض عنه وذلك ان الجاهل الجهل المركب لما حاد عن سبيل الله وجزم بما اعتقده من الباطل امتنع مع ذلك الجزم ان يعرف باب الهدى ومبدا الدخول اليه فامتنع منه اتباعه ولما اعتقد ان ما جزم به من الباطل هو الحق امتنع ان يعرف مبدا خوله في الجهل هو باب العمى فامتنع ان يصد عنه ثم حكم عليه عن تلك الاوصاف انه

ميت

و رصد
وبينها

ميت الاحياء اما كونه ميتا فلان الحياة الحقيقية التى تطلب لكل عاقل والتى وردت الشرايع والكتب الالهية بالامر بتحصيلها هى حياة النفس باستكمال الفضايل التى هى سبب السعادة الباقية وقد علمت ان الجهل المركب هو الموت المضاد لتلك الحيات فالجاهل بالحقيقة ميت واما انه ميت الاحياء فلانه فى صورة حى الفصل الثالث قوله فاين تذهبون وانى تؤفكون والاعلام قائمة والايات واضحة والمنار منصوبة فاين يتاه بكم بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم ازمة الحق والسنة الصدق فانزلوهم باحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش ايها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله انه يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلى منا وليس ببال فلا تقولوا بما لا تعرفون فان اكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وانا هو الم اعمل فيكم بالثقل الاكبر واترك فيكم الثقل الاصغر وركزت فيكم راية الايمان ووقفتكم على حدود الحلال والحرام والبستكم العافية من عدلى وفرشتكم المعروف من قولى وفعلى واريتكم كرائم الاخلاق من نفسى فلا تستعملوا الراى فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتغلغل اليه الفكر اقول تؤفكون تصرفون والتيه الضلال والعمه الحيرة والتردد وعترة الرجل اقاربه من ولده وولد ولده وادانى بنى عمه والهيم الابل العطاش واعلم انه لما قدم المتقين بصفاتهم والفاسقين بصفاتهم كان فى ذكرهما تنبيه على وضع طريقى الحق والباطل ولوازمهما فلذلك اعقبهما بالتنبيه على كونهم فى ضلال وتيه وعمى عن الحق ثم بالتخويف والتبكيت والتذكير بكتاب الله وعترة رسوله ليلزموا سمتهم ويسلكوا بهم طريق اهل التقوى ويفيئوا عن ضلالهم الى اقتباس انوار الحق من اهله فقوله فاين تذهبون الى قوله منصوبة سؤال عما يذهبون اليه وعن وقت صرفهم عن ذلك النحو سؤالا على سبيل الانكار لما هم عليه من الطريق الجائرة والواو فى قوله والاعلام الى ائمة الدين ووضوحها ظهورها بينهم وكذلك المنار ونصبها قيام الائمة بينهم ووجودهم فيهم ثم اردف ما انكره من ذهابهم وتعجب منه بتفسيره فقال فاين يتاه بكم وكيف تعمهون ونبه بذلك على ان الذهاب الذى سالهم عنه هو تيه فى الضلال وحيرة الجهل والتردد فى الجهل وتبين منه ان قوله وانى تؤفكون اى متى تصرفون عن تيههم وذهابهم فى الضلالة وقوله وبينكم عترة نبيكم الواو للحال ايضا فالعامل تعمهون ويتاه بكم وكذلك الواو فى قوله وهم ازمة الحق والمعنى كيف يجوز ان يتيهوا فى ظلمات الجهل مع ان فيكم عترة نبيكم واراد بعترته اهل بيته عليهم السلم واليه الاشارة بقول الرسول صلى الله عليه وآله وخلفت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى اهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض واستعار لهم لفظ الازمة ووجه المشابهة كونهم تراجمة الوحى الصادق كما ان اللسان ترجمان النفس ويحتمل ان يريد بكونهم السنة الصدق انهم لا يقولوا الا صدقا وقوله فانزلوهم باحسن منازل القرآن فاعلم ان للقرآن منازل القلب وهو فيه بمنزلتين احداهما منزلة الاكرام والتعظيم والثانية منزلة التصور فقط من دون تعظيم الثالثة منزلة فى الوجود اللسانى بالتلاوة الرابعة منزلته فى الدفاتر والكتب واحسن منازله هى الاولى فالمراد ان الوصية باكرامهم ومحبتهم وتعظيمهم كما يكرم القرآن بالمحبة والتعظيم وقوله وردوهم ورود الهيم العطاش ارشاد لهم الى اقتباس العلوم والاخلاق منهم اذ كانوا معادنها ولما كانت العلماء والائمة تشبه بالينابيع والعلم يشبه بالماء العذب وعادمه بالعطشان حسن منه ان يامرهم بورودهم وان يشبه الورود المطلوب بورود الابل العطاش وقوله ايها الناس الى قوله وليس ببالى لما كان عليه السلم فى معرض ذكر الفايدة وكانها قد تقدم ذكرها فلذلك حسن ايراد الضمير فى قوله خذوها وان لم يسبق لها ذكر واشارة النبى صلى الله عليه وآله بهذه الكلمة تقرير لقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين الاية ولما اتفقت عليه كلمة العلماء ونطقت به البراهين العقلية ان اولياء الله لا يموتون ولا يبلون وان بليت اجسادهم قال بعض الخائضين فيما لا يعنيه قوله ويبلى من بلى منا نص جلى على

ان اجساد الاولياء تبلى وذلك يخالف ما يعتقده الناس من ان اجسادهم باقية الى يوم القيمة بحالها قلت الاعتقاد المذكور لبعض الناس انما نشأ
من قول الرسول صلى الله عليه وآله في قتلى بدر زملوهم بكلومهم ودمائهم فانهم يحشرون يوم القيمة واوداجهم تشخب دما وقوله ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله الآية وليس وكل واحد منهما يدل على ان الاجساد لا تموت ولا تبلى اما الخبر فليس مقتضاه انها صحيحة تشخب دما الى يوم القيمة بل
ذلك مما يشهد الحس ببطلانه بل يحمل على انها تعاد يوم القيمة بعد تجددها وحده تشخب جراحها دما كهيئتها يوم موتها واما الآية فالذي اجمع عليه
علماء المفسرين ان الحياة المذكورة هي حياة النفوس وهو ظاهر في سبب نزولها عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما اصيبت
اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب اتاهم
مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فنزلت
ولا تحسبن الذين قتلوا الآية فاذن لا منافاة بين كلامه عليه السلم وما ورد في القرآن والخبر ومقصوده بهذه الكلمة تقرير فضيلتهم وانهم اولياء
يأتون عند ربهم في ظل كرامته وقوله فلا تقولوا بما لا تعرفون تنبيه على الرجوع الى العترة العارفين بما ينبغي ان يقال وقوله فان اكثر الحق فيما تنكرون
تأكيد للتثبت في الاقوال والنهي عن التسرع اليها والجاهل قد يستنكر الحق اذا خالف طبعه او نبا فهمه او سبق ضده اليه بشبهة او تقليد فنبه على ان
اكثر الحق فيما ينكرونه لئلا يتسرعوا الى القول عن غير علم ولذلك ذكر بهذه القضية مرتبة التعليل وقوله واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو انا طلب عليه السلم
العذر منهم فيما يلحقهم من عذاب الله بسبب تقصيرهم فان الضرر اللاحق لهم قد انذروا به وتوعدوا فلو قصر هو عليه السلم في تذكيرهم بتلك الوعيدات
والانذارات مع كون ذلك مأخوذا عليه من الله تعالى لكان حجتهم عليه قائمة ولما كان له عذر لكنه بلغ وحذر وقد اعذر وانما ذكرهم بطلب الحجة عنه في
ذلك ليتذكروا اخطاءهم ولعلهم يرجعون وقوله الم اعمل فيكم الى قوله من نفسي تفصيل لما جاءهم به من الحجة اذ الحجة لله فاعذروا اليهم بها واتى بلفظ الاستفهام
على سبيل الاستفهام التقريع والتبكيت والثقل الاكبر كتاب الله واشار بكونه اكبر الى انه الاصل المتبع المقتدى به والثقل الاصغر الائمة من ولده عليهم السلم
وكنى براية الايمان عن سنته المتبعة وطريقته الواضحة في العمل بكتاب الله وسنة رسوله بالمستعار ووجه المشابهة كون طريقته يهتدى
بها الى سلوك سبيل الله كما يهتدى بالاعلام والرايات امام الجيش وغيره ولفظ الركز ترشيح للاستعارة كنى به عن ايضاحها لهم وتوقيفه على
حدود الحلال والحرام تعريفهم اياها واراد بالعافية السلامة من الاذى الحاصل من ايدي الظالمين واستعار لفظ اللباس لها ووجه الاستعارة
ان العافية تشمل المعافى كالقميص وكذلك استعار لفظ الفرش للمعروف لكونه اذا وطيت قواعده يستراح به كالفراش وقوله واريتكم كرايم
الاخلاق من نفسي اي اوضحتها لكم وشاهدتموها مني متكررة وقوله فلا تستعملوا الراي الى آخره نهي لهم عن الاستعمال بالخوض في صفات الله والبحث
في ذاته على غير قانون واستاد مرشد بل بمجرد الراي والتخمين فان تلك الدقايق لما كانت لا ساحل لها ولا غاية يقف الفكر عندها وان تغلغل في
اعماقها وكانت مع ذلك في غاية العسر والدقة وكثرة الاشتباه كان تداولهم للاشتغال بها مؤديا الى الخبط وافتراق المذاهب وتشتت
الكلمة والاشتغال بذلك عن الانتظام في سلك الدين والاتحاد فيه كما عليه من ينتسب الى العلم بعده وكل ذلك ضد مطلوب الشارع فان الالفة
والاتحاد في الدين من اعظم مطلوباته ويحتمل ان يريد مطلق دقايق العلم وتفريع الفقه على غير قانون من امام هدى بل الراي على دون وهم
منها قوله حتى يظن الظان ان الدنيا معقولة على بني امية تمنحهم درها وتوردهم صفوها ولا يرفع عن هذه الامة سوطها ولا سيفها وكذب
الظان لذلك بل هي مجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة اقول معقولة محبوسة والمجة الفعلة من مج الشراب
اذا قذفه من فيه والبرهة المدة من الزمان فيها طول ولفظ كذا الفاه من فيه وهذا الكلام من فصل يذكر فيه حال بني امية وطول مدتهم وبلاء

الحلق

الخلق بهم وقوله حتى يظن الظان الى قوله سيفها غاية من غايات طول عناء الناس معهم واستعار للدنيا اوصافا احدها كونها معقولة ووجه الاستعارة
ايضا تشبيهها بالناقة في كون ما فيها من فوايدها وخيرها مهيئة لهم ومصونة عليهم كما تبذل الناقة درها لحالبها الثاني كونها توردهم صفوها
ونسبة الايراد اليها مجاز ويجوز بالسوط والسيف فيما فيه الامة معهم من العذاب والقتل ونحوه استعمالا للفظ السبب في المسبب وقوله وكذب الظان لذلك الى
اخره رد لما عساه يظن من ذلك بتحقيق ما حصلوا عليه من الامر ولذتهم به وتحقير مدته واستعار لذلك لفظ المجة وكنى بكونها مطعوما لهم عن تلذذهم بها
مدة امرتهم وبكونها ملفوظة عن زوال الامرة عنهم واكد ذلك الزوال بقوله جملة اى بكليتها وهي كناية بالمستعار تشبيها لها باللقمة التي لا يمكن
اساغتها وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الله سبحانه لم يقصم جباري دهر قط الا بعد تمهيل ورخاء ولم يجبر عظم احد من الامم
الا بعد ازل وبلاء وفي دون ما استقبلتم من خطب واستدبرتم من خطب معتبر وما كل ذي قلب بلبيب ولا كل ذي سمع بسميع ولا كل ذي
ناظر ببصير فيا عجبا وما لي لا اعجب من خطاء هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتصون اثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ولا يؤمنون
بغيب ولا يعفون عن عيب يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما انكروا مفزعهم في المعضلات
الى انفسهم وتعويلهم في المبهمات على ارائهم كان كل امرئ منهم امام نفسه قد اخذ منها فيما يرى بعرى وثيقات واسباب محكمات
اقول القصم بالقاف الكسر والازل بفتح الهمزة الضيق والشدة واقتص اثره تبعه ومقصود هذا الفصل توبيخ الامة على ارائهم في الدين واستبداد كل
منهم بمذهب بحسب رائه في المسائل الفقهية ونحوها مع وجوده عليه السلام بينهم واعراضهم عن مراجعته مع علمهم بفضله ومبدا ذلك قوله اما بعد الى قوله ببصير
صدر الخطبة وكانه عليه السلام فهم ممن خرجت هذه الخطبة بسببه انهم انما يستبدون بارائهم من دون مراجعته عن كبر منهم على التعلم والاستفادة
ومحبة الراحة من تحمل كلفة التحري في الدين والتحرز من الغلط فيه ومشقة الطلب فلذلك خوفهم من حال الجبابرة وان نصبهم بترك قواعد الدين
الى ارائهم المتفرقة فيستعدوا للهلاك بقوله ان الله لم يقصم جبابرة دهر الا بعد امهالهم ورخائهم فانهم اذا امهلوا وانغمسوا فيما هم فيه من الرخاء
والترف واعرضوا عن الاخرة ونسوا ذكر الله تعالى فاستعدوا والتركهم لقواعد الدين التي بها نظام العالم للهلاك ونحوه قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك
قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكذلك قوله ولم يجبر عظم احد من الامم الا بعد ازل وبلاء كنى بجبران العظم عن قوتهم
بعد الضعف كناية بالمستعار وصدق هذه القضية ظاهر فان احدا من الامم المتبعين لانبيائهم او لملوكهم في اظهار دين او طلب ملك لن يصلوا
الى مطلوبهم الا بعد قوتهم وتضاعفهم وتظاهر بعضهم ببعض ومعناه بلاء اى بلاء بحيث يستعدون بذلك للفزع الى الله تعالى فيهيئ قلوبهم
لقبول الالفة وبعدها باجتماع عزايمها القبول لصورة النصر وفيه تنبيه على وجوب الاتحاد في الدين وعدم تشتت الاراء فيه فان ذلك يدعو الى
التحزب والتفرق ويدخل عليهم الوهن والضعف وكل ذلك ضد مطلوب الشارع كما سبق ويحتمل ان يكنى بقوله لم يقصم جباري دهر عن جبابرة
دهر كمعوية واصحابه وبقوله لم يجبر احدا من الامم الا بعد ازل وبلاء عن اصحابه فنبههم بالكلمة الاولى على ان اولئك الجبابرة وان طالت مدتهم
وقويت شوكتهم فانما ذلك املاء من الله لهم ليستعدوا للهلاك وبالكلمة الثانية على انكم وان ضعفتم وابتليتم فذاك عادة الله فيمن يريد ان
ينصره ثم عقب ذلك بتوبيخهم على اختلاف وتشتيت الاراء والمذاهب في الدين لما ان ذلك يؤدي الى طول محنتهم وضعفهم عن مقاومة عدوهم وقوله
وفي دون ما استقبلتم من عتب اى من عتابي لكم واستدبرتم من خطب اى من الاهوال التي كنتم تردونها من المشركين في مبدا الاسلام حيث كنتم
قليلين وامرتم ان يثبت الواحد منكم لعشرة منهم ثم ايدكم الله بنصره وبالتاليف بين قلوبكم وجبر عظمكم بمن اسلم وذلك اي معتبر وفيه اي
اعتبار فانكم لو لم تتحزبوا في الدين وتعاسوا امر ارة ذلك الصبر واختلفت اراؤكم في ذلك الوقت كاختلافها الان وكنتم اذن على غاية من الاذن

عتب ن

بعرى ثقات د ن

لم تغن عنكم كثرتكم شيئاً فطانة قال فيجب من ذلك الاعتبار الا يعتمد على الراي وان يتخذوا في الدين ويراجعوا العلماء باصوله وفروعه قوله وما كل ذي
قلب بلبيب الى قوله ببصير اراد بذي القلب الانسان وظاهر ان الانسان قد يخلو عن اللب واراد باللب العقل والذكاء واستعمله فيما ينبغي على الوجه الذي
ينبغي وبالجملة فاللبيب من ينتفع بعقله فيما خلق لاجله وكذلك السميع والبصير هما اللذان يستعملان سمعهما وبصرهما في استفادة العبرة وامر المعاد
ونحوه قوله تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها وقوله فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور وفائدة هذه الكلمات تحريك النفوس الى الاعتبار كيلا يعد التارك له غير لبيب ولا سميع ولا بصير قوله فيا عجبا الى اخره اردف تعجبه بما يصلح جواب سؤال
مقدر عما يتعجب منه وكانه فهم من تقديره لك السؤال تعجب السائل من تعجبه المستلزم لتبرمه وتضجره حتى كان السائل قال ومم يتعجب وعلام هذا التبرم
والاسف فقال ومالي لا اعجب من خطا هذه الفرق الفصل ثم شرع في تفصيل الخطايا والمذام التي كان اجتماعها سببا للتعجب منهم فاشار الى تركهم لما
ينبغي ثم اردفه بذكر فعلهم لما لا ينبغي وقدم على الكل ذكر اختلاف حججهم في دينهم وذلك هو الاصل الذي نشأت عنه هذه الرذائل فاما تركهم لما ينبغي ففي صور
احدها تركهم لاقتصاص اثر نبيهم فانهم لو اقتصوا اثره لما اختلفوا فلا اختلاف فيما جاء به كما سبق بيانه لكنهم اختلفوا فلم يقتصوا اثر نبيهم الثانية
تركهم الاقتداء بعمل الوصي وهو اشارة الى نفسه وهذه اقطع لاعذارهم فان الاختلاف في الدين قد يعرض عن [illegible] ضرورة وهي عدم اصابة
الكل للحق مع عدم الشارع الذي يرجع اليه في التوقف على اسرار الشريعة فاما اذا كان الموقف موجودا بينهم كمثله عليه السلام امتنع ان يقعوا في تلك الضرورة
فيعتذروا بها في الاختلاف الثالثة تركهم الايمان بالغيب اي التصديق به والطمانينة في اعتقاده وللمفسرين في الغيب اقوال احدها عن ابن عباس
هو ما جاء من عند الله الثاني عن عطاء هو الله سبحانه الثالث عن الحسن هو الدار الاخرة والثواب والعقاب والحساب الرابع قيل يؤمنون بظهر الغيب كقوله تعالى يخشون ربهم بالغيب
اي لا يحفظون شرائط الايمان في غيب بعضهم عن بعض الخامس عن ابن عيسى الغيب ما غاب عن الحواس مما يعلم بالدليل السادس عن الاخفش يؤمنون بما غاب عنهم من
متشابه القران الرابعة تركهم العفة عن عيب وهو اشارة الى الغيبة وظاهر انها فجور وعدول الى طرف الافراط من فضيلة العفة واما فعلهم لما لا ينبغي فامور احدها
انهم يعملون في الشبهات اي لا يتوقفون فيما اشتبه عليهم امره ولا يبحثون عن وجه الحق فيه بل يعملون فيه بما قادهم اليه الهوى الثاني كونهم يسيرون في الشهوات بملاحظة متابعة
ميل قلوبهم الى شهواتها الدنيوية وانهماكهم فيها قاطعين مراحل الاوقات بالتلذذ بها كالسلوك السائر في الطريق ونحوها استعار لذلك السلوك لفظ السير الثالث
كون المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر ما انكروا اي ان المعروف والمنكر تابعان لارادتهم وميولهم الطبيعية فما انكرته طباعهم كان هو المنكر بينهم وان كان
معروفا في الشريعة وما اقتضته طباعهم ومالت اليه كان هو المعروف بينهم وان كان منكرا في الدين والواجب ان يكون ارادتهم وميولهم تابعة لرواسم الشريعة
في اتباع ما كان فيها معروفا وانكار ما كان فيها منكرا الرابع كون مفزعهم في المعضلات الى انفسهم وتعويلهم في المبهمات على ارائهم وهو كناية عن كون احكامهم
في كل ما يرد عليهم من مشكلات الدين ونسبتهم من احكامهم ما يعدلا هوائهم لا يحجزونها على قانون شرعي يعرف حتى اشبهت نفوسهم الامارة بالسوء التي هي
منبع الاهواء المخالفة للشريعة الائمة التي يرجع اليهم في استفادة الاحكام فكل منهم ياخذ عن نفسه اي يتمسك فيما يراه ويحكم به باراء كانما عنده
عرى وثيقة ولا يضل من تمسك بها واسباب محكمات ونصوص جلية وظواهر واضحة لا اشتباه فيها وقد عرفت معنى الحكم ولفظ العرى مستعار
وقد سبق وجه الاستعارة وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلام ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم واعتزام
من الفتن وانتشار من الامور وتلظ من الحروب والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها
واعورار من مائها قد درست اعلام الهدى وظهرت اعلام الردى فهي متجهمة لاهلها عابسة في وجه طالبها ثمرها الفتنة وطعامها
الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف فاعتبروا عباد الله واذكروا تيك التي اباؤكم واخوانكم بها مرتهنون وعليها محاسبون

واعتراض واعترام

ولعمري

ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود ولا خلت فيما بينكم وبينهم الاحقاب والقرون وما انتم اليوم من يوم كنتم في اصلابهم ببعيد والله
ما اسمعهم الرسول صلى الله عليه وآله شيئا الا وها انا ذا مسمعكموه وما اسماعكم اليوم بدون اسماعهم بالامس ولا شقت لهم الابصار
ولا جعلت لهم الافئدة في ذلك الاوان الا وقد اعطيتم مثلها في هذا الزمان ووالله ما بصرتم بعدهم شيئا جهلوه ولا اصفيتم به
وحرموه وقد نزلت بكم البلية جايلا خطامها رخوا بطانها فلا يغرنكم ما اصبح فيه اهل الغرور فانما هو ظل ممدود الى اجل معدود
اقول الفترة ما بين زماني الرسالة والهجعة النومة والاعتزام العزم وروى اعترام الفتن بالراء المهملة اي كثرتها وروى اعتراض من اعترض
الفرس الطريق اذا مشى عرضا من غير قصد وتلظت الحرب تلهبت والتجهم العبوس والاحقاب جمع حقب بضم الحاء والقاف وهو الدهر والبطان
حزام البعير للقتب وصورة هذا الفصل تذكيرهم بنعمة الله تعالى التي نعمت ما كانوا فيه من بؤس وهي بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وما استلزمته من
الخيرات ليعتبروا فيشكروا ويخلصوا التوجه الى الله تعالى فاشار اولا الى النعمة المذكورة ثم اردفها بالاحوال المذمومة التي تبدلت بتلك
النعمة الجسيمة وعد منها امورا الاول الفترة من الرسل وظاهر ان خلو الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود الشرور ووقوع الهرج
والمرج وتلك احوال مذمومة ملحق ذلك الزمان بها من الذم بمقدار ما يلحق زمان وجود الرسول من المدح الثاني طول الهجعة من الامم وكنى
بالهجعة عن الغفلة في امر المعاد وساير المصالح التي تنبغي الثالث الاعتزام من الفتن على الرواية الاولى فنسبة العزم الى الفتن مجاز كنى به عن
وقوعها بين الخلق لمشابهة لقصدها اياهم وعلى الرواية الثانية اي على كثرة من الفتن وعلى الرواية الثالثة فالمعنى ان الفتن لما كانت على غير قانون
شرعي ولا انتظام مصلحي ولذلك سميت فتنة لا جرم اشبهت المعترض في الطريق من الحيوان الماشي على غير استقامة فلذلك استعير لها لفظ الاعتراض
الرابع وعلى انتشار من الامور اي تفرق امور الخلق واحوالهم على غير قانون عدلي الخامس التلظي من الحروب وقد سبق تشبيه الحرب بالنار فلذلك نسب اليها
التلظي على سبيل الاستعارة وكنى به عن هيجانها ووجودها بينهم زمان الفترة السادس والدنيا كاسفة النور والواو للحال اي كاسف نورها
ونور الدنيا كناية عن وجود الانبياء والشرايع من الاهتداء بهما ورشح تلك الاستعارة بذكر الكسوف وعبر به عن عدم ذلك النور منها ملاحظة
لتشبيهها بالشمس السابع ظاهرة الغرور اي كل من اغتر بها وانهمك في مشتهياتها وخدعته بخداعها الثامن كونه ارسل على حين اصفرار من ورقها
واياس من ثمرها واغوار من مائها استعار لفظ الثمر والورق لمتاعها وزينتها ولفظ الاصفرار لتغير تلك الزينة عن العرب في ذلك الوقت
وعدم طلاوة بعيشهم اذن وخشونة مطاعمهم كما يذهب حسن الشجرة باصفرار ورقها فلا ملتذ بالنظر اليها وعنى بالاياس من ثمرها انقطاع امال
العرب اذن من الملك والدولة وما يستلزمه من الحصول على طيبات الدنيا وكذلك استعار لفظ الماء لمواد متاع الدنيا وطرقها ثم
لفظ الاغوار لعدم تلك المواد من ضعف التجارات والمكاسب وعدم التملك للامصار وكل ذلك لعدم النظام العدلي بينهم وكلها
استعارات بالكناية ووجه الاستعارة الاولى ان الورق كما انه زينة الشجرة وبه كمالها كذلك لذات الحيوة الدنيا وزينتها ووجه
الثانية ان الثمر كان مقصود الشجرة غالبا وغايتها كذلك متاع الدنيا والانتفاع به هو مقصودها المطلوب منها لاكثر الخلق ووجه الثالثة
ان الماء كما انه مادة الشجرة وبه حيوتها وقيامها في الوجود كذلك مواد تلك اللذات وهي المكاسب والتجارات والصناعات وقد كانت
العرب خالية من ذلك ووجوه باقي الاستعارات ظاهرة التاسع دروس اعلام الهدى وكنى باعلام الهدى عن ائمة الدين وكتبه التي بها
يهتدى لسلوك سبيل الله وبدروسها عن موت اولئك وعدمهم كناية بالمستعار كما سبق العاشر ظهور اعلام الردى وهم ائمة
الضلال الداعين الى النار الحادي عشر كون الدنيا متجهمة لاهلها عابسة في وجوه طلابها وكنى بذلك عن عدم صفاتها لهم فان طيش

اسمعكم

العرب

العيش في الدنيا انما يكون مع وجود نظام العدل والنصفة بين اهلها وعدم التظالم وذلك في زمان الفترة مفقود بين
وهو كناية بالمستعار ووجه المشابهة ما يستلزمه المستعار عنه وله من عدم تحصيل المطلوب معهما قوله ثمرها الفتنة
اى غاية سعيهم فيها مع خبط في ظلمات جهلهم انما هو الفتنة اى الضلال عن سبيل الله والتيه في ظلمات الباطل وغاية كل شيء هي مقصوده
فتشبه الثمرة التي هي مقصود الشجرة فلذلك استعير لها لفظها قوله وطعامها الجيفة يحتمل ان يكون لفظ الجيفة مستعارا هنا لطعام
الدنيا ولذاتها ووجه المشابهة انه لما كانت الجيفة عبارة عما انتن وتغيرت رايحته من جثة حيوان ونحوها فخبث ماكله ونفر
الطبع عنه كذلك طعام الدنيا ولذاتها في زمان الفترة اكثر ما يكون من النهب والغارة والسرقة ونحوها مما يخبث تناوله شرعا
وينفر العقل منه وتاباه كرايم الاخلاق فاشبه ما يحصل من متاعها اذن الجيفة في خبثها وسوء مطعمها وان كان احد
الخبيثين عقليا والاخر حسيا فاستعير لفظها له ويحتمل ان يكنى بالجيفة عما كانوا ياكلونه في الجاهلية من الحيوان غير مذكى
وهو ما حرمه القران الكريم من ذلك في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة اى المضروبة بالخشب حتى تموت اى صح
ويبقى الدم فيها فيكون اطيب كزعم المجوس والمتردية التي تردت من علو فماتت وان كل ذلك اذا مات فكثيرا ما يتعفن فهو كل فيصدق ان طعامهم كان
الجيفة الرابع قوله شعارها الخوف ودثارها السيف استعار لفظي الشعار للخوف والدثار للسيف ووجه الاستعارة الاولى ان الخوف وان كان
من العوارض القلبية الا انه كثيرا ما يستتبع اضطراب البدن وانفعاله بالرعدة فيكون شاملا له شمول ما يتخذه الانسان شعارا ووجه الثانية ان الدثار والسيف
يشتركان في مباشرة المدثر والمضروب من فوقهما قوله فاعتبروا عباد الله شروع في المقصود بقوله واذكروا تلك اشارة الى وجه العبرة من قبايح الاعمال التي كانت
عليها اباؤكم واخوانكم زمان الفترة وزمان دعوة الرسول لكم اليها وقوله فهم بها مرتهنون اى محبوسون في سلاسل الهيئات البدنية واغلال ما اكتسبوا منها
ومحاسبون عليها وقوله ولعمري الى قوله بعيد الحاق بهم بابائهم في تشبيه زمانهم بزمانهم وتقارب ما بين الزمانين وتشبيه حالهم بحالهم في امور احدها ان اولئك
كانوا اباءكم وليس حال الابن وحاله ببعيد من حال ابيه فيما ياتي ويذر الثاني ان الرسول صلى الله عليه وآله لم يسمعهم شيئا الا واسمعكم اياه فلا فرق بينكم وبينهم من هذه
الجهة الثالث انه لا تفاوت بين اسماعكم واسماعهم الرابع ان سائر الالات البدنية التي كانت لاولئك فاكتسبوا بها كمالا او لم يكتسبوا حاصلة لكم ايضا الخامس
انكم لم تعلموا شيئا كان اباؤكم جهلوه حتى يكون ذلك سببا للفرق بينكم وبينهم السادس ولا اصفيتم من الدنيا بشيء لم يكن لابائكم مثله وغرضه من الحاقهم بابائهم في
هذه الاحوال امران احدهما التنفير عن حال من سبق من العاصين بمخالفة اوامر الله تعالى والثاني الجذب والترغيب في حال من سبق ممن اطاع الله والرسول فانه اذا حصلت
المشابهة بينهم وبين السابقين والمتشابهان يتحدان في اللوازم كان من تشبه بسابق في عصيانه لزمه ما لزمه من اليم العقاب ومن تشبه به في طاعته وانقياده
لزمه ما لزمه من الوصول الى جزيل الثواب وقوله ولقد نزلت بكم البلية يشبه ان يكون انذارا بابتلاء الخلق بدولة بني امية وملوكها وقوله جايلا خطامها
كناية بالمستعار عن خطرها وصعوبة حال من يركن اليها فانها لما كانت دولة خارجة عن نظام الشريعة جارية على وفق الاهواء كان الراكن اليها على
خطر في دينه ونفسه كما ان من ركن الى الناقة التي جال خطامها اى لم يثبت في وجهها وارتخى حزامها فركبها كان على خطر ان تتقحم به المهالك ثم اردف ذلك بالنهي
عن الاغترار بما اصبح فيه من الغفلة من متاع الدنيا وطيباتها ونفر عنه باستعارة لفظ الظل له ووجه المشابهة ما يشتركان فيه من كونه ممدودا ينتهي عن اجل
ويزول به وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام المعروف من غير رؤية الخالق من غير روية الذي لم يزل قائما دائما اذ لا سماء ذات ابراج
ولا حجب ذات ارتاج ولا ليل داج ولا بحر ساج ولا جبل ذو فجاج ولا فج ذو اعوجاج ولا ارض ذات مهاد ولا خلق ذو اعتماد
ذلك مبتدع الخلق ووارثه واله الخلق ورازقه والشمس والقمر دائبان في مرضاته يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد قسم ارزاقهم واحصى

اثارهم

آثارهم واعمالهم وعدد انفاسهم وخائنة اعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير ومستقرهم ومستودعهم من الارحام والظهور الى ان تتناهى بهم الغايات
هو الذي اشتدت نعمته على اعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته قاهر من عازه ومدمر من شاقه ومذل من ناواه وغالب من عاداه
من توكل عليه كفاه ومن سأله اعطاه ومن اقرضه قضاه ومن شكره جزاه عباد الله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا وحاسبوها من قبل ان تحاسبوا
وتنفسوا من قبل ضيق الخناق وانقادوا قبل عنف السياق واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها
زاجر ولا واعظ اقول الارتاج الاغلاق والساجي الساكن والفجاج الاتساع والفج الواسع والدائبان مجدان في سيرهما وعازه غالبه والمناواة المعاداة
وقد صور هذا الفصل باعتبارات اضافية للحق سبحانه في معرض تمجيده فالاول كونه تعالى معروفا من غير رؤية وقد سبق معنى معرفته تعالى ومراتبها وبيان كونه منزها
عن الرؤية بحاسة البصر الثاني كونه تعالى خالقا من غير روية وقد سبق بيانه في قوله في الخطبة الاولى بلا روية اجالها الثالث كونه لم يزل دائما وذلك لكون وجوب وجوده مستلزما
لاستحالة عدمه ازلا وابدا الرابع كونه قائما يجوز ان يريد به معنى الدائم الباقي ويجوز ان يريد به القائم بامور العالم وللمفسرين فيه على هذا الوجه اقوال احدها عن ابن عباس رضـ
كونه عالما بالخلق اينما كانوا وضابطا لاحوالهم الثاني قيامه بتوكيله الحفظة عليهم وهو المشار اليه بقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الثالث القائم على الشيء هو الحافظ له
والمدبر لامره الرابع هو المجازي بالاعمال الخامس هو القاهر لعباده المقتدر عليهم وقوله اذ لا سماء الى قوله ذو اعتماد اشارة الى جهة اعتبار ازلية قيامه بذاته وسبقه
لكل ممكن ودوامه تقرير للقول الرسول صلى الله عليه وآله كان الله ولا شيء فاما الحجب ذات الارتاج فيحتمل ان يريد بها السموات على ظاهر الشريعة وانه تعالى في السماء
فاشبهت الحجب له فاطلق لفظها عليها وكونها ذات ارتاج كناية عن عدم التمكن من فتحها والدخول كناية بالمستعار وقال بعض الفضلاء اراد بها الهيئات
البدنية ومحبة الدنيا والظلمات الحاصلة للنفس الحاجبة لها عن مشاهدة انوار جلال الله حتى كانها اقفال عليها كما قال تعالى ام على قلوب اقفالها وقوله ولا خلق ذو اعتماد
اي ذو قوة وبطش الخامس كونه مبدع الخلق اي مخترعه على مثال سبق السادس كونه وارثه اي كما انه مبداه فهو مآله ومرجعه وذلك اشارة الى كونه دائما لم يزل ولا
يزال السابع كونه اله الخلق وهو اعتبار بالقياس الى ايجاده لهم واستعباده اياهم الثامن كونه رازقهم وهو اعتبار له بالقياس الى افاضة ساير نعمه عليهم التاسع
كون الشمس والقمر دائبين في مرضاته اي على وفق ارادته للخير المطلق والنظام الكلي وذكرهما في معرض تمجيده لكونهما من اعظم ايات ملكه وقوله يبليان كل جديد بنسب الابلاء
اليهما لكون حركاتهما من الاسباب لحدوث الحوادث في هذا العالم وتغيراته وكذلك قوله ويقربان كل بعيد وفيه جذب الى ذكر المعاد والعمل له فكونهما يبليان
كل جديد منبه على عدم الثقة والاعتماد على ما يروق ويعجب من حسن الابدان وجدتها وكذلك ما يحدث ويتجدد من قنيات الدنيا ولذاتها لوجوب دخولها
فيما يبلى وكونهما يقربان البعيد تنبيه مع ذلك على الحذر مما يستبعده اهل الغفلة من الموت والفناء في صحة ابدانهم وسلامتهم في حياتهم الدنيا
العاشر كونه تعالى قسم ارزاقهم كقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا اي وهب لكل من الخلق ما كتب له في اللوح المحفوظ الحادي عشر كونه احصى آثارهم
الى قوله من الارحام والظهور اي احصى كل ذلك منهم بعلم القضاء الالهي في الالواح المحفوظة واليه الاشارة بقوله تعالى والله يعلم اعمالكم وقوله وما من غائبة
في السماء والارض الا في كتاب مبين وقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها
كل في كتاب مبين وقوله الى ان تتناهى بهم الغايات اي يعلم كل احوالهم من حين ابتدائهم الى ان يقف كل عند غايته الملحق به له من خير او شر الثاني عشر
هو الذي اشتدت نعمته على اعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته واشار بذلك الى كمال ذاته بالنسبة الى ملوك الدنيا
مثلا فان احدهم في حال غضبه عليهم ولما ثبت انه تعالى هو الغني المطلق المنزه عن صفات المخلوقين وانه المعطي لكل قابل ما يستحقه من غير توقف في
جوده على امر من ذاته وكان اعداء الله مستعدون ببعدهم عنه لقبول سخطه وشدة نقمته في الاخرة لا جرم اولاهم ذلك وان كانوا في الدنيا في سعة
رحمته وشمول نعمته وكذلك اولياؤه لما استعدوا لقبول رحمته وشمول نعمته افاضها عليهم فهم في حضرة قدسه على غاية من البهجة والسعادة وضروب الكرامة وان

كانوا باجسادهم في ضروب من العذاب وشقاوة الفقر والضنك في الدنيا وذلك لا يملكه الا حليم لا يشغله غضب عن رحمة على الحكم لا تمنعه رحمة عن انزال عقوبة
سبحان ليس الا هو القاهر قاهر من عاداه انه تعالى قاهر باعتبار انه قاصم ظهور الجبابرة من اعدائه فيقهرهم بالموت والاذلال كفرعون اذ قال انا ربكم الاعلى فاخذه الله
نكال الآخرة والاولى وهو الذي يلحقه هذا الاعتبار مطلق اذ كل موجود فهو مسخر تحت قدرته وقهره عاجز في قبضته الرابع وملوم من شاق الخامس ومذل من
ناواه السادس وغالب من عاداه فمشاقة الله اتباع غير سبيله من بعد ما تبين للمرء الهدى ومناواته الاعراض عن اوامره واتباع الشهوات واذلاله تعالى
حينئذ هو افاضة لصورة الحاجة الى غيره السابع كافي من توكل عليه الثامن ويعطي من ساله التاسع وقاض من قرضه العاشر ومجازي من شكره وهذه
الاعتبارات تعود الى حرف واحد وهو ان العبد اذا استعد بحسن التوكل والسؤال والصدقة والشكر لنعم الله وجب في جود الله وحكمته افاضة كفايته فيما
توكل عليه فيه فكفايته من الكمالات افاضة تمامها عليه ومن رفع النقصانات دفعها عنه ثم اعطاؤه ما سال اذا استعد لقبوله ثم اداؤه عن قرضه اضعافه
ثم جزاؤه على شكر زيادة انعامه واطلق لفظ القرض لما يعطى الفقير مجازا كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي بريا من جهات الرياء
والسمعة خالصا لوجه الله فيضاعفه له اضعافا كثيرة ووجه المناسبة كون الفقراء اهل الله وعياله فكان المعطي هو الله تعالى قوله عباد الله الى آخره
شروع في الشور والموعظة بقوله زنوا انفسكم من قبل ان توازنوا موازنة النفس في الدنيا اعتبار اعمالها وضبطها بميزان العدل اي مراعاة استقامتها
على حاق الوسط من طرفي الافراط والتفريط اللذين هما ككفتي الميزان مهما رجحت احداهما فالنقصان لازم والخسران قائم والميزان الاخروي فاما على راي
المتكلمين وظاهر الشريعة فظاهر واما على راي محققي السالكين من الصوفية فاشار اليه الامام الغزالي رح كاف في بيانه قال ان تعلق النفس بالجسد كالحجاب لها عن
حقايق الامور وبالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ومما ينكشف له تاثير اعماله فيما يقربه الى الله تعالى ويبعده عنه
ومقادير تلك الآثار وان بعضها اشد تاثيرا من بعض وفي قدرة الله تعالى ان يجري سببا يعرف الخلق به في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى
تاثيراتها في التقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز به الزيادة والنقصان وان اختلف مثاله في العالم المحسوس فمنه الميزان المعروف ومنه القبان
والاصطرلاب لحركات الفلك والمسطرة لمقادير الخطوط والعروض لمقادير حركات الاصوات فهذه كلها امثلة للميزان الحقيقي وهو ما
يعرف به الزيادة والنقصان وهو موجود فيها باسرها وصورته يكون للحس عند التشكيك وللخيال بالتمثيل وقوله وحاسبوها من قبل ان تحاسبوا
محاسبة النفس ضبط الانسان على نفسه اعمالها الخيرية والشرية ليزكيها بما ينبغي لها ويعاقبها على فعل ما لا ينبغي وهي باب عظيم من ابواب المرابطة
في سبيل الله فان للعارفين في سلوك سبيل الله ومرابطتهم مع انفسهم مقامات خمسة الاول المشارطة ثم المراقبة ثم المحاسبة ثم المعاقبة ثم المجاهدة
والمعاتبة وضربوا لذلك مثالا فقالوا ينبغي ان يكون حال الانسان مع نفسه كحاله مع شريكه اذا اسلم اليه مالا ليتجر به فالعقل هو التاجر في طريق الآخرة
ومطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها كما قال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة فالعقل يستعين
بالنفس في هذه التجارة اذ يستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج ان
يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج ان يشارط النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويامرها
بسلوك طريق الحق ويرشدها اليها ويحرم عليها سلوك غيرها كما يشترط التاجر على شريكه الثانية ان لا يغفل عن مراقبتها لحظة فلحظة عند خوضها في الاعمال
ويلاحظها بالعين الكالئة والى مقام المراقبة الاشارة بقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقوله صلى الله عليه وآله اعبد الله
كانك تراه وقد سبق بيان حقيقة المراقبة ولا بد منها فان الانسان لو غفل عن نفسه واهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد
الخائن اذا انفرد بمال سيده الثالثة ثم بعد الفراغ من العمل ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى

فتدقيق

فتدقيق الحساب في هذا القدر من الدقيق في ارباح الدنيا لحقارتها بالنسبة الى نعيم الآخرة فلا ينبغي ان يهمل مناقشتها في ذرة من حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من كنوز الآخرة لا يتناهى قالوا وينبغي للانسان ان يخلو عقيب فريضة كل صبح مع نفسه بالوصية ويقول اي نفس مالي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني رأس مالي ووقع الياس من التجارة وطلب الربح وهذا امر جديد قد امهلني الله فيه وهو صاحب البضاعة وربها ولو توفاني لقلت رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فاحسبي انك رددت فاياك وتضييع هذا اليوم والغفلة فيه واعلمي ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه يفتح للعبد في كل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له فيها خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والاستبشار بما هذه تلك الانوار ما لو قسم على اهل النار لاغناهم عن الاحساس بالامها ويفتح له خزانة اخرى فيراها سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من الغبن الفاحش ما يناله من قدر على ربح كثير ثم ضيعه والى هذا الاشارة بقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن وقال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين وهو اشارة الى الغبن والحسرة يومئذ ثم يستأنف للاعضاء السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها في التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما يتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء ويوصي كل عضو بما ينبغي له وينهاه عما لا ينبغي له ويرجع في تفصيل تلك الاوامر والنواهي الى مراسم الشريعة ثم يشترط عليها ان خالفت في ذلك عاقبها بالمنع عن شهواتها وهذه الوصية قد تكون بعد العمل وقد تكون قبله للتحذير كما قال تعالى ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه الرابعة المجاهدة والمعاقبة وهو بعد المحاسبة اذا رأى نفسه قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالصبر عن امثالها ويضيق عليها في مواردها وما يعود اليها من الامور المباحة وان رآها تتوانت وكسلت عن شيء من الفضائل وورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الطاعات جبرا لما فات روي ان ابن عمر اخر صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين [illegible] توبيخ النفس ومعاتبتها وقد علمت ان لك نفسا امارة بالسوء ميالة الى الشر وقد امرت بتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها بمنعها عن شهواتها ولذاتها المالوفة فان اهملتها اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة وسبيل المعاتبة ان يذكر النفس عيوبها وما هي عليه من الجهل والحمق وما بين يديها من مغافصة الموت وما تؤول اليه من الجنة والنار وما عليه اتفاق كلمة اولياء الله الذين هم بتسليمها سادات الخلق ورؤس العالم من سلوك سبيل الله ومفارقة معاصيه وتذكرها بايات الله واحوال الصالحين من عباده فهذه محاسبات النفس ومرابطاتها واما حسابها الاخروي فقد سبقت الاشارة اليه قوله وتنفسوا من قبل ضيق الخناق استعار لفظ التنفس لتحصيل الراحة والبهجة في الجنة بالاعمال الصالحة في الدنيا المستلزمة لها كما يستلزم التنفس راحة القلب من الكرب واستعار لفظ الخناق من الحبل للموت ووجه المشابهة ما يستلزمه ضيق الخناق والموت من عدم التمكن والتصرف والعمل اي انتهزوا الفرصة للعمل قبل تعذره بزوال وقته وضيقه وقوله وانقادوا قبل عنف السياق اي انقادوا لاوامر الله الى طاعته قبل السوق العنيف وهو سوق ملك الموت بالجذبة المكربة كما سبق وقوله واعلموا انه من لم يعن على نفسه الى اخره من لم يعنه الله على نفسه واعانته له هو اعداد العناية الالهية لنفسه الناطقة ان تقبل السوانح الخيرية وتأبى بها على النفس الامارة بالسوء للتقوى بتلك السوانح على قهرها وعلى الانزجار عن متابعتها والانجذاب الى ما يدعوها اليه من الشهوات فانه متى لم يكن لها ذلك الاستعداد والقبول لم ينفعها وعظ غيرها ولم يقبله اذ لا قبول بدون استعداد للمقبول وفي ذلك تنبيه على وجوب الاستعانة بالله في احوال النفس

ودفع الشيطان عنها وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الاشباح وهي من جلايل خطبه عليه السلام وكان سايل سأله ان يصف الله تعالى
له حتى كانه يراه عيانا فغضب لذلك وقال الخطبة روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال خطب امير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة
على منبر الكوفة وذلك ان رجلا اتاه فقال له يا امير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حبا وبه معرفة فغضب عليه السلام ونادى الصلوة جامعة فاجتمع
الناس حتى غص المسجد باهله فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله سبحانه واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم خطبها واعلم ان في الخطبة
فصولا الفصل الاول قوله الحمد لله الذي لا يفره المنع ولا يكديه الاعطاء والجود اذ كل معط منتقص سواه وكل مانع مذموم ما خلاه هو المنان
بفوايد النعم وعوايد المزيد والقسم عياله الخلايق ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم ونهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وليس بما سئل
باجود منه بما لم يسأل الاول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله والاخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده والرادع اناسي الابصار عن ان تناله
او تدركه ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت
عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان ونثارة الدر وحصيد المرجان ما اثر ذلك في جوده ولا انفد سعة ما عنده ولكان عنده
من ذخاير الانعام ما لا تنفده مطالب الانام لانه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السايلين ولا يبخله الحاح الملحين اقول الاشباح الاشخاص
ويفره يزيد ماله وفورا ويتممه ويكديه ينقص خيره وتنفست عنه انفرجت والفلز ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض والعقيان الذهب
الخالص والمرجان صغار اللؤلؤ والح في سؤاله اذا دام عليه وقد شرع في وصف الله سبحانه باعتبارات له الى اثاره الاول انه لا يتزيد بما حرمه ومنعه من
فضله الثاني ولا ينقصه عطاؤه وجوده ثم رد حكم الوهم عليه سبحانه بدخوله في عموم المنتقصين بالعطايا بقوله وكل مانع مذموم ما خلاه فكانت
هاتان القضيتان موكدتين للاولتين وبرهانهما ان التزيد للاولتين وبرهانهما ان التزيد بالمنع والتنقص عليه محال ولانهما يقتضيان عليه
الحاجة والامكان ولان مقدوراته غير متناهية وبه يقول اذ على جهة الفرق بينه وبين خلقه وانما تنقص المعطي من خلقه لحاجته الى ما يعطيه
وانتفاعه به وانما استحق المانع منهم الذم دونه سبحانه لكون ما يصدر عنه من منع واعطاء مضبوطا بنظام الحكمة والعدل دون غيره من المانعين فان
غالب منعهم يكون عن شح مطاع وهوى متبع واعلم ان صدق في المنتقصين بالعطا ظاهر واما في المذمومين بالمنع فتحقيقها ان كل مانع للمال فهو انما
يمنعه خوف الفقر ونحوه وظاهر ان الخايف من الفقر في الدنيا محب لها وهو بمعزل عن عباد الله المتوكلين عليه الزاهدين في متاع الدنيا وقنياتها واذا
كان العبد مأمورا بان يكون من هؤلاء وفي زمرتهم فلا جرم ان يكون مستحقا للذم على ما يمنعه من ماله فيكون محجوبا بالوجهه عن النظر الى وجه الله الكريم فصدق
الكلية اذن ظاهر وفي ادعية زين العابدين عليه السلام يا من لا يزيده كثرة العطاء الا كرما وجودا وفيه سر لطيف فانه لما كان جوده سبحانه غير متوقف
الا على وجود الاستحقاق وكانت كل نعمة صدرت عنه معدة لمحلها ومهيئة له لقبول نعمة اخرى كانت كثرة عطاياه مستلزمة لكثرة الاعداد
المستلزمة لزيادة الجود الثالث انه المنان بفوايد النعم والمنة تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم في غير موضع من كتابه وهي صفة مدح للحق سبحانه وان كانت صفة ذم لخلقه والسبب الفارق كون كل منعم سواه فيحتمل ان يتوقع لنعمته
جزاء او يستفيد كمالا يعود اليه مما افاده وايسره توقع الذكر ويقبح ممن يعامل بنعمته ويتوقع لها جزاء بها لما يستلزمه المن من التطاول والكبر
وتوقع الجزاء والحاجة اليه مع التطاول والكبر مما لا يجتمعان في العرف اذ التطاول والكبر انما يليقان بالغني عن ثمرة ما تطاول به ولان التطاول
مما يتأذى به المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد نفس المنعم لقبول رحمة الله وجزائه ولذلك ورد النهي عن المنة في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى فجعلهما سببا لبطلان الصدقة اي عدم ثوابها وفوايد النعم ما افاد منها وعوايد المزيد والقسم معتاده منها الرابع كون

الخلايق

خلقهم وصح

الخلايق عياله ضمن ارزاقهم وقدّر اقواتهم واستعار لفظ العيال للخلق بالنسبة الى ربّهم ووجه المشابهة ان عيال الرجل هو من جمعهم ليقيتهم ويصلح حالهم كذلك
الخلق انما جمعهم بحسب عناية ليصلح احوالهم في معاشهم ومعادهم وكذلك استعار لفظ الضمان لما وجب في الحكمة الالهية من وجود ما لابد منه في تدبير صلاح
حالهم من الاقوات والارزاق وتقدير اقواتهم اعطاء كل ما كتب له في اللوح المحفوظ الخامس كونه نهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وذكر اولا ما يصلح حالهم
في الدنيا وهو ضمان الارزاق وتقدير الاقوات ثم اردفه بما هو سبب صلاح حالهم في الآخرة من نهج السبيل وايضاحه واشار به الى ايضاح الشريعة لطريق
السالكين الراغبين في النظر الى وجهه الكريم والطالبين لما عنده من النعيم المقيم السادس كونه ليس بما سئل باجود منه بما لم يسأل ويستلزم بيان هذا الوصف
اشارة لطيفة وهو ان فيضان ما يصدر عنه سبحانه له اعتباران احدهما بالنظر الى جوده وهو من تلك الجهة غير مختلف في جميع الموجودات بل نسبتها اليه
على سواء بذلك الاعتبار فلا يقال هو بكذا اجود منه بكذا والا لاستلزم ذلك ان يكون ببعض الاشياء ابخل واليها احوج فيلزمه النقصان تعالى الله عن ذلك
والثاني بالنظر الى الممكن نفسه والاختلاف الواقع في القرب والبعد الى جوده انما هو من تلك الجهة فكل ممكن كان اتم استعدادا واقبل للوجود واقل شرطا
ومعاندا كان اقرب الى جوده اذا عرفت ذلك فاعلم ان السائل وان حصل له ما سأل من الله تعالى دون من لم يسأل فليس منعه من لم يسأله لعزة عند الله وليس بينه
وبين ما سأل بالنسبة الى جوده فرق وتفاوت بل انما خص بما سأل لوجوب وجوده له عند تمام قبوله بسؤاله دون من لم يسأله واستحق وجوده
لما كان في الجود الالهي بخل ولا منع في حقه وان عظم خطره ولم يكن له اثر نقصان في خزائن ملكه وعموم جوده والى هذا اشار علي بن موسى الرضا عليهم السلام
وقد سئل عن الجواد فقال السؤال وجهان ان اردت المخلوق فالذي يؤدي ما افترض الله عليه والبخيل الذي يمنع ما افترض عليه وان اردت الخالق
فهو الجواد ان اعطى وان منع لانه ان اعطى اعطى من له وان منع منع من ليس له فوله له وليس له اشارتان الى ان الجود الالهي انما يهب ويتوقف في هبته على وجود
المستحق ونزهه عليه السلام بهذا الوصف عن صفة من الخلق اذ كان من شأنهم ان يكونوا بما سئلوا اجود منهم بما لم يسألوه لكونه اسهل عليهم ومن شأن السائل
ان لا يسألهم ما هو اعز عندهم ولذلك كانوا بما سئلوا اجود السابع الاول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله الثامن والآخر الذي ليس له بعد فيكون
شيء بعده وقد اشرنا الى هذين الوصفين فيما سلف ونزيدهما بيانا فنقول الاولية والآخرية اعتباران اضافيان تحدثهما العقول للذات المقدسة
وذلك انك اذا لاحظت ترتيب الوجود في سلسلة الحاجة الى غاية المطلق فهو اول بالعلية والذات والشرف واذ ليس بذي مكان فالتقدم
بالمكان منفي عنه والزمان متأخر عنه اذ هو من لواحق الحركة المتأخرة عن الجسم المتأخر عن علته فلم تلحقه القبلية الزمانية فضلا ان يسبق عليه
فلم يكن شيء قبله مطلقا لا من الزمانيات ولا من غيرها واذا اعتبرته بالنظر الى ترتيب السلوك ولاحظت مراتب السالكين المسافرين في منازل
عرفانه وجدته آخرا اذ هو آخر ما ترتقي اليه درجات العارفين ومعرفته هي الدرجة القصوى والمنزل الآخر ولان كل موجود سواه
فهو ممكن العدم فلا شيء منه ان لا يستحق وجودا فضلا ان يستحق الآخرية والبعدية المطلقة الذي لا شيء قبله والآخر المطلق الذي لا شيء بعده التاسع
الرادع اناسي الابصار عن ان تناله او تدركه وقد سبق ان القوة الباصرة انما تتعلق بذي وضع وجهة والباري تعالى منزه عنهما فيستحيل ان يدرك
بحاسة البصر وردعها بذل النقصان عن قبول ادراكه العاشر كونه لم يختلف دهر فيختلف عليه الحال لما كان الزمان مبدأ للتغيرات واختلاف
الاحوال وكان ذاته سبحانه مقدسة عن لحوق الزمان كانت مبرأة عن تغير الاحوال الجارية على الزمانيات واختلافها الحادي عشر ولا كان في مكان
فيجوز عليه الانتقال لما كان من شأن ذي المكان جواز ان ينتقل عن مكانه وكان سبحانه منزها عن المكان والا لزمه النقصان اللازم للامكان لا جرم
لم يجز عليه الانتقال الثاني عشر كونه لو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان الى قوله
مطالب الايام انما عدد هذه الاشياء في معرض المدح له تعالى لكونها اعظم ما يقدر عليه الانسان ويقتنيه واجل ما يتنافس فيه ابناء الدنيا

تنبيها على كمال قدرته وعدم تناهي مقدوراته اذ سبق انه انما يتاتى بهيهيه مثل ذلك جود المحتاجين الذين يتعاقب عليهم الانتفاع والتضرر
واستعار لفظ الضحك للاصداف ووجه الشبه انفتاح الصدفتين واسفارهما عن اللؤلؤ المشبه في بدوه باسنان الانسان حال ضحكه وعن الجمد
تشبيه اللسان في دقة طرفه ولطافته ومن شان الصدفة عند فتحها واجدها كان يضحك وكذلك استعار لفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ ملاحظة لشبهه بما يحصد من
الحنطة وغيرها واعلم ان الصدف وان كان حيوانا ذو حس وحركة الا ان له شبها بالنبات ولحوقا به من جهة انه ذو عرق في الارض بعيد بها وقد احتمل ما
يخرج من معادن البر والبحر ليميز السامع بينها **وقوله** لانه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين انما كان هذا علة لعدم
تاثر جوده بهبة ما يعظم قدره ونقصان خزائنه باخراجه منها لان الجواد الذي شانه ما ذكر انما كان كذلك لكونه ليس من شانه ان يلحقه النفع والضر والنقص
بل نعمه غير متناهية واستعار لفظ الغيض لنعمه ملاحظة لشبهها بالماء الذي له مادة تامة لا ينقص بالنزح ومن روى يغضبه فان الغضب من لواحق
المزاج والباري تعالى منزه عنه فيتنزه عن لواحقه وكذلك البخل رذيلة مكتسبة من البدن والمزاج تبعث عليها الحاجة والنقصان فمن لا يتزيد
ولا ينتقص فلا يؤثر في ملكه ان يهب الدنيا لما سالها **الفصل الثاني** قوله فانظر ايها السائل فما دلك القران عليه من صفته فائتم به واستضئ بنور هدايته
وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وائمة الهدى اثره فكل علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق الله عليك
واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله
تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه
وتعالى على قدر عقلك فتكون من الهالكين هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرء من خطر الوساوس
ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولهت القلوب اليه لتجري في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات
لتنال علم ذاته ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته
ولا يخطر ببال اولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان
قبله وارانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمته واعتراف الحاجة من الخلق الى ان يقيمها بمساك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحجة
له على معرفته وظهرت في البدائع التي احدثها آثار صنعته واعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه وان كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير
ناطقة ودلالته على المبدع قائمة واشهد ان من شبهك بتباين اعضاء خلقك وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك لم يعقد
غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بانه لا ند لك وكانه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين اذ يقولون تالله ان كنا لفي ضلال
مبين اذ نسويكم برب العالمين كذب العادلون بك اذ شبهوك باصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين باوهامهم وجزؤوك تجزئة المجسمات
بخواطرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم واشهد ان من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك والعادل
بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك وانك انت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها
مكيفا ولا في رويات خواطرها محدودا مصرفا **اقول** الاقتحام الدخول في الامر بشدة دفعة والسدد جمع سدة وهي الابواب
والحجب وجاب البلاد اي قطع والسدف جمع سدفة وهي الظلمة والجبه الرد واحتذى عليه اي سلك مسلكه والحقاق جمع حق وهو
اطراف عظام المفاصل والعادل الجاعل له عديلا والقريحة قوة الفكر وصدر هذا الفصل تاديب الخلق في وصفهم لله سبحانه وتعليمهم
كيفية السلوك في مدحه والثناء عليه بما هو اهله وان كان الخطاب للسائل اذ هو السبب في هذه الخطبة وذلك على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جاره

بد
بقرائح

محدودا
والسدف

فارشده

فارشده فی ذلک الی کتاب الله تعالی وامره ان یجعله اماما یقتدی به ویستضیء بانواره فی سلوک سبیل الله وکیفیة وصفه فان اولی ما وصف به تعالی ما وصف به نفسه
وامره ان کل علم ما لم یجده مفروضا علیه علمه فی کتاب الله او فی سنة رسوله واثار ائمة الهدی مما فیه ایضاح الدین وحفظه الی علم الله تعالی وهو المراد بالتفویض
وذلک ان ائمة الهدی اعلم بوجوه نسبته تعالی الی خلقه وبما یناسب تلک الاعتبارات من الالفاظ وبعیدها فیطلق علیه وینزع طلب ذلک والبحث عنه باشارة الی انه تکلیف الشیطان
وظاهر ان طلب ما وراء حدود الشریعة التی نهت عن تجاوزها انما هو بسبب وسوسة الشیطان وحرص الطبع علی ما یمنع منه ثم اعلمه ان ذلک هو منتهی حواله علیه ومطلوبه
منه ولما کان مطلوب الشارع حین وضع الشریعة وتقریر قواعدها هو جمع قلوب العالم علی قانون واحد واتحادهم فیه بحیث لا یفترقوا فی اعتقاداتهم ما لا یکون
ذلک الافتراق سببا لضعف الدین وعدم تعاونهم علی تشییده کما سبق بیانه لا جرم وجب فی الحکمة ان یحرم حینئذ علیهم الخوض فیما وراء ذلک لیثبت قواعد
الدین فی قلوبهم وترسخ ولا یخرج بهم البحث عما وراءها الی اطراحها وفساد اعتقاد کثیر من الخلق لها ولغیرها مما وراءها اذا لم یکن فیهم من یستعد لقبول ما وراء تلک
تلک الظواهر الا الفرد النادر وان کنا نعلم انه کان صلی الله علیه وآله اذا علم من احد استعداد القبول لشیء من اسرار الشریعة ووثق به ان یحمله القاه الیه کعلی علیه السلام دون ابی هریرة
وامثاله ثم وصف له بعد ذلک الراسخین فی العلم الممدوحین فی القرآن الکریم بقوله تعالی لکن الراسخون فی العلم منهم والمؤمنون یؤمنون بما انزل الیک الآیة وقوله والراسخون فی
العلم یقولون آمنا به وفسر معنی الرسوخ فقال انهم الذین اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغیوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسیره من الغیب المحجوب فمدح الله اعترافهم
بالعجز عن تناول ما لم یحیطوا به علما وسمی ترکهم التعمق فیما لم یکلفهم البحث عن کنهه رسوخا ولما اشار الی السدد المضروبة وحجب الغیوب فلنشر الی ما کشف عن بعض
علماء الصوفیة عنه واشار الیه الخبر عن سید المرسلین صلی الله علیه وآله ان لله سبعین حجابا من نور وظلمة لو کشفها لاحرقت سبحات وجهه کل من ادرک بصره ولما ثبت ان
الله تعالی متجلی لذاته بذاته فالحجاب لا بد وان یکون بالنسبة الی المحجوب فاقسام المحجوبین ثلثة منهم من حجب بمجرد ظلمة ومنهم من حجب بمجرد نور ومنهم من حجب بنور
مقرون بظلمة وتحت کل قسم من هؤلاء اقسام کثیرة لا تحصی فیکفینا الاشارة الی اصولها فنقول القسم الاول المحجوبون بمجرد الظلمة وهؤلاء هم الملحدة الذین
لا یؤمنون بالله وهم صنفان فصنف منهم طلبوا للعالم سببا فاحالوه علی الطبع وقد علمت ان الطبع صفة جسمانیة مظلمة خالیة عن المعرفة والادراک
وصنف منهم لم یتفرغوا للذکر ولم ینتبهوا لطلب السبب بل اشتغلوا بانفسهم وعاشوا عیش البهائم فکانوا محجوبین بکدورات نفوسهم وشهواتهم المظلمة
ولا ظلمة اشد من الهوی ولذلک قال تعالی افرایت من اتخذ الهه هواه وقال النبی صلی الله علیه وآله الهوی ابغض اله عبد علی وجه الارض وتحت هؤلاء فرق کثیرة
لا حاجة الی ذکرها القسم الثانی المحجوبون بنور مقرون بظلمة وهم ثلثة اصناف فصنف منهم منشأ ظلمة الحس وصنف منهم منشأها الخیال وصنف
منهم منشأها مقایسات عقلیة فاسدة فالاولون ایضا طوائف الاولی عبدة الاوثان فانهم علموا علی سبیل الجملة ان لهم ربا واوجبوا ایثاره علی انفسهم
واعتقدوا انه اعز وانفس من کل شیء ولکنهم حجبوا بظلمة الحس عن ان یتجاوزوا العالم المحسوس فی اثبات ربهم فاتخذوا من انفس الجواهر کالفضة والذهب والیاقوت
اشخاصا مصورة باحسن صورة وجعلوها الهة فهؤلاء محجوبون بنور العزة والجلال من صفات الله لکنهم وضعوها فی الاجسام المحسوسة فصارت
حجبهم انوارا مکدرة بظلمة الحس اذ الحس ظلمة بالاضافة الی عالم المعقولات والثانیة طایفة من قواعی رتبة الاحجار وکانوا اخلی من عبدة الاوثان فی ملاحظة الانوار
کما یحکی عن قوم من اقاصی الترک لیس لهم ملة ولکن یعتقدون ان لهم ربا فهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس ایضا الثالثة طایفة من قواعی هؤلاء وقالوا ینبغی
ان یکون الرب نورانیا فی صورته ذا سلطان فی نفسه مهیبا لا یطاق القرب منه ولم یترقوا عن درجة المحسوس فعبدوا النار اذ وجدوها بهذه الصفات
فهؤلاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء وکل ذلک من انوار الله مع ظلمات الحس الرابعة طایفة من قواعی ذلک فراوا ان النار تطفی وتقهر فلا تصلح للالهیة
بل ما یکون ولکن یکون نحن تحت تصرفه ویکون مع ذلک موصوفا بالعلو وکان المشهور بینهم علم النجوم واضافة التاثیرات الیها فعبدوا النجوم
فمنهم عبدة المشتری ومنهم عبدة الشعری وغیرهم فهؤلاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الاستعلاء والاشراق وهی من انوار الله الخامسة طایفة من قواعد

عن هولاء فقالوا وان وجب ان يكون الرب بالصفات المذكورة الا انه ينبغي ان يكون اكبر الكواكب فعبدوا الشمس فهولاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الكبرياء والعظمة
مع بقية الانوار الصنف الرابع طائفة ترقوا عن ذلك فقالوا ان الشمس لا تنفرد بالنور بل لغيرها انوار والاله لا يجوز ان يكون له شريك في نورانيته فعبدوا النور
المطلق على كل نور وزعموا انه رب العالم والخيرات كلها منسوبة اليه ثم راوا في العالم شرورا فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيها له فجعلوا بينه وبين الظلمة
منازعة واحالوا العالم الى النور والظلمة وهولاء هم الثنوية الصنف الثاني المحجوبون ببعض الانوار مقرونة بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس واثبتوا
وراء المحسوس امرا لكنهم لم يتعدوا الى مجاوزة الخيال فعبدوا موجودا قاعدا على العرش واخسهم رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية وارفعهم درجة من نفى
الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة فخصصوه بجهة فوق وهولاء لم يثبتوا موجودا غير محسوس ولا متخيل حتى ينزهوه عن الجهة الصنف الثالث المحجوبون بالانوار
الالهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الها سميعا بصيرا متكلما عالما قادرا منزها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم
وربما صرح بعضهم فقال كلامه صوت ككلامنا وربما ترقى بعضهم فقال لا بل هو كحديث انفسنا ولا صوت ولا حرف ولذلك اذا حقق القول عليهم رجعوا
الى التشبيه في المعنى وان انكروه لفظا اذ لم يدركوا كيفية اطلاق هذه الالفاظ في حق الله فهولاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمات المقايسات العقلية
القسم الثالث المحجوبون بمحض الانوار وهم اصناف لا تحصى ايضا لكن نذكر منهم ثلثة اصناف الاول الذين عرفوا معاني هذه الصفات وفرقوا بين اطلاق اسمائها على الله تعالى
وبين اطلاقها على البشر فتحاشوا من تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها وهو الرب المنزه
عن هذا المفهوم الظاهر وهو محرك السموات ومدبرها الصنف الثاني الذين عرفوا ان في السموات ملائكة كثيرة وان محرك كل سماء منها موجود اخر يسمى ملكا وان هذه
السموات في ضمن فلك يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة واحدة والرب تعالى هو المحرك للفلك الاقصى منها المشتمل عليها الصنف الثالث الذين ترقوا عن هولاء
وقالوا ان تحريك الاجسام الفلكية من الملائكة تكون خدمة لرب العالمين وعبادة له ويكون الرب تعالى هو المحرك للكل بطريق الامر فهولاء كلهم محجوبون بانوار
محضة وقفت بهم عما وراءها ووراء هولاء صنف رابع تجلى لهم ان هذا المطاع موصوف بصفة الوحدة المطلقة والكمال البالغ وكشفت عنهم حجب
المقايسات والاعتبارات الى الغير وهم الواصلون فمنهم من ذلك التجلي في ملك الانوار جميع ما ادركه بصره بالكلية وبقي ملاحظا لرتبة الحق فيها فانمحقت فيه
المبصرات دون المبصر ومنهم من تجاوز هولاء وهم خواص الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال فانمحقوا وتلاشوا في انفسهم فلم يبق
لهم اليها التفات وملاحظة لفنائهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وهولاء هم الواصلون كما سبقت الاشارة اليه وينتهي الكل الى حجاب الا مكان الذي
يهلك فيه كل موجود ولا يبقى الا وجه الله ذي الجلال والاكرام اذا عرفت ذلك فنقول السدد المضروبة وحجب الغيب التي اشار اليها هي درجات الانتقالات في معلومات
صفات الله تعالى ومراتب عرفانه ومعرفة ملائكته ومراتبهم وكمالاته وسائر حجب الانوار التي يحجب بها اهل القسم الثالث والراسخون الذين اشار اليهم في ظاهر كلامه الواقفون في المرتبة
الاولى وهم الذين اقتصروا في صفات الله تعالى وملائكته وعالم غيبه على ما وقفتهم الشريعة عليه على سبيل الجملة كما اوصل الى افهامهم الرسول صلى الله عليه وآله وعقلوا في وصفه تعالى
بصفات الكمال ونعوت الجلال انه ليس على حد وصف البشر بها ورسخ في اذهانهم ما تصوروه اجمالا ولو فصل لكان مطابقا وهو اعلى العناية الالهية لعقول التفصيل
وصل اليه وههنا بحث لطيف وهو انه لما كان التكليف في نفس الامر انما هو على قدر العقول وتفاوت مراتبها ولذلك قال صلى الله عليه وآله بعثت لاكلم الناس على
قدر عقولهم كان كل عقل قوي رفع حجابا من حجب الغيب وقصر عما وراءه واعترف به وبالعجز عنه فلذلك تكليفه وهو من الراسخين فعلى هذا الرسوخ ليس مرتبة واحدة هي
تقليد ظواهر الشريعة واعتقاد حقيقتها فقط بل تقليدها مرتبة اولى من مراتب الرسوخ وما وراءها مراتب غير متناهية بحسب مراتب السلوك ووقوف السالكين
على رفع حجب الانوار التي اشرنا اليها وكلامه عليه السلام لا ينافي ما قلناه بل يصدق اذا نزل عليه فاذا قوله وسمى تركه التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا صادق ايضا على
من قطع جملة من منازل السلوك وعجز عما وراءها فوقف ذهنه عن التعمق فيه والبحث اذ لا يكلف بما لا تفي به قوته وقوله فاقتصر على ذلك اي على ما نطق به الكتاب العزيز ودلت عليه

السنة

السنة النبوية وارشدت اليه ايمة الهدى وقوله ولا تقدر عظمة الله تعالى على قدر عقلك فتكون من الهالكين فالمقدر لعظمة الله بقدر عقله هو المعتقد ان عقله قد ح
واحاط بها علما وهو تصغير لعظمة الله بحسب عقله الضعيف وعظمة الله تعالى اعظم واجل من ان يضبطها عقل من عقول بشرى وانما منشأ ذلك الحكم الحاصل له هو الوهم الحاكم
بمثلية الله تعالى لمدركاته من الاجسام والجسمانيات وذلك في الحقيقة كفر لاعتقاد غير الصانع صانعا وضلال عن طريق معرفة الله وهو مستلزم للهلاك في تيه الجهل واعلم ان في
احالة عليهم لمطالب المعرفة على الكتاب والسنة وبيان الايمة وقد ورد في القرآن الكريم والسنة وكلام الايمة من الاشارات والتنبيهات على منازل السلوك ووجوب الانتقال في
درجاتها ما لا يحصى كثرة ونبهوا على كل مقام اهله واخفوه على غير اهله اذ كانوا اطباء النفوس وكما ان الطبيب يرى ان بعض الادوية لبعض المرضى ترياق وشفا
وذلك الدواء بعينه لشخص اخر سم وهلاك كذلك كتاب الله والموضحون لمقاصده من الانبياء والاولياء يرون ان بعض الاسرار الالهية شفاء لبعض الصدور فيلقونها اليهم
وربما كانت تلك الاسرار باعيانها لغير اهلها سببا لضلالهم وكفرهم اذا القيت اليهم فاذن مقصوده عليه السلام قصر كل عقل على ما هو الاولى به وما يحتمله والجمع العظيم المخا طبون
هم اصحاب الظاهر الذين يجب قصرهم عليه والله اعلم وقوله هو القادر الذى اذا ارتمت الى آخره اشارة الى اعتبارات اخر جملية في وصفه تعالى نبه فيها على ان غاية استقصاء العقول وتعمقها
وغوص فطنها طالبة لتفصيل صفات كماله ونعوت جلاله ان تقف حاسرة وترجع حسيرة معترفة بالعجز والقصور فقوله اذا ارتمت الى قوله ردعها شرطية متصلة في قوة
شرطيات متعددة المقدمات وتاليها واحد فالمقدم الاول قوله اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وارتماؤها استرسالها بالجدة في المطالعة والتفتيش ومنقطع
قدرته منتهاها والمقدم الثاني قوله وحاول الفكر المبرء عن خطرات وساوس الشيطان وشوائب الاوهام ان يقع عليه في تكييف ذاته ويستثبتها بكل ما ينبغي
لها من الكمالات في عميقات غيوب ملكوته اى في اسرار عالم الغيب العميقة المقدم الثالث قوله وتولهت القلوب الى اشد شوقها التجرى في كيفية صفاته المقدم
الرابع قوله وغمضت مداخل العقول اى دقت مواقع دخولها بحيث لا تبلغها الصفات اى انتهت العقول الى حد انها لا تعتبر مع ملاحظة ذات الحق صفة له بل تحذف
كل خاطر وكل اعتبار من صفة وغيرها عن ملاحظة قدسه لتنال علم ذاته بالكنه وقوله ردعها هو تالى هذه الشرطيات وردعها هو ردها خاسئة حسيرة وسبب ذلك في
كل من هذه المدركات هو خلقها قاصرة عن ادراك ما يطلب من هذه المطالب العظيمة فالاوهام لقصورها عن ادراك ما ليس بمحسوس ولا متعلقا بالمحسوس وردع الفكر ان
يقع عليه والقلوب ان تجرى في كيفية صفاته فتجدها وتحصرها لخلقها قاصرة عن الاحاطة بما لا نهاية له اذ كانت صفات الكمال ونعوت الجلال كذلك وردع العقول ان تحيط
بكنه ذاته لخلقها قاصرة عن ادراك كنه ما ليس بذى حد وتركيب فكان مستند ذلك الردع هو قدرته فلذلك قدم على الشرطية اعتبار كونه قادرا فقال هو القادر الذى
شانه كذا وقوله وهى تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه الجملة في موضع الحال والعامل ردعها واستعار لفظ السدف لظلمات الجهل بكل معنى عينى من صفات
جلاله وطبقات حجبها اى ردعها عن تلك المطالب حال ما هى قاطعة لمهاوى تلك الظلمات ووجه الاستعارة ما يشترك فيه من عدم الاهتداء فيها ومتخلصة حال والعامل رجعت
وجور الاعتساف شدة جولانها في تلك المنازل وظاهر ان جور الاعتساف غير نافع في تحصيل ما لا يمكن واولوا الروايات اصحاب الفكر اى رجعت معترفة بامرين احدهما
لا ينال كنه معرفته والثاني ان الفكر لا يقدر جلال عزته اى لا يحيط بكماله خبرا وظاهر ان صدق هذه الاحكام للنفس موقوف على ارتماء افكارها في طلب هذه المعارف
وعجزها عنها وقوله الذى ابتدع الخلق على غير مثال الى قوله وقبل ان الصنايع البشرية انما تحصل بعد ان يرتسم في الخيال صورة المصنوع بل وكل فعل لا يصدر الا
عن تصور وضعه وكيفيته اولا وتلك التصورات تارة تحصل عن امثلة للمصنوع ومقادير له خارجية يشاهدها الصانع ويحذو حذوها وتارة
تحصل بمحض الالهام والاختراع كما يفاض على اذهان كثير من الاذكياء صورة شكل لم يسبق الى تصوره فيتصوره ويبرز صورته الى الخارج وكيفية صنع الله للعالم
وجزئياته منزهة عن الوقوع على احد هذين الوجهين اما الاول فلانا بينا انه لا قبل له فلا قبل لمصنوعاته فلا مثال امتثله اى عمل مثله ولا مقدار احتذى حذوه واما الثاني
وان سمى الفاعل على وفقه مخترعا لكن التحقيق يشهد بانه انما فعل بانه وفق ما حصل في ذهنه من الشكل والهيئة وهما مستفادان من الصانع الاول جلت عظمته وكان في
الحقيقة فاعلا على غير مثال سابق محتذيا بالمقدار غيره وعلم الاول تعالى ليس على النحو المذكور من حصول صورة مساوية للمعلوم في ذاته كما تحققه من قبل فاذن فعله بمحض

الابداع والاختراع على ابعد ما يكون عن حذوه مثال وقوله وارانا من ملكوت قدرته الى قوله معرفته ملكوت قدرته ملكها وانما نسبه الى القدرة لان اعتبارها
مبدا الوجود كله فهي مبدا الملكية واثار حكمته ما صدر عنها من الافعال والاحكام وانقياد كل ناقص الى كماله واستعار لفظ النطق للسان حال الاثار فيها
المفصحة عن كمال الحكمة المعجبة بتمام النظام وحسن الترتيب ووجه المشابهة ما اشترك فيه النطق وحال مصنوعاته من ذلك الافصاح والبيان واعتراف عطف على
عجايب والى ان متعلق بالحاجة وما في قوله ما دلتنا هي المفعول الثاني لارانا اي وارانا من اعتراف الخلق لحاجتهم الى ان يقيمهم في الوجود بمساك قوته الى يمسك
السموات والارض ان تزولا ما دلتنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته متعلق بدلتنا اي ما دلتنا على معرفته فلزمت قيام الحجة له بالضرورة وقوله
وظهرت في البدايع الى قوله قايمة استعار لفظ الاعلام لما يدل على حكمة الصانع في فعله من الاتقان والاحكام واعلم ان كل ما ظهرت فيه اثار حكمة الله فهو ناطق
بربوبيته وكمال الوهيته فبعض ناطق بلسان حاله ومقاله كالانسان وبعض بلسان حاله فقط اذ لا عقل له ولا لسان كالجماد والنبات والضمير المضاف اليه في
قوله محجته يحتمل عوده الى الله ويحتمل ان يعود الى الخلق الصامت وقد علمت ان السالكين في سماع هذا النطق من اثار الله ومشاهدة الائه في مصنوعاته على درجات
ومنازل متفاوتة كما اشرنا اليه غير مرة وقوله واشهد ان من شبهك الى قوله برب العالمين التفات الى خطاب الله تعالى على طريق قوله مالك يوم الدين اياك نعبد والمشبه به
في الحقيقة هو الخلق وانما جعل المشبه به هو تباين اعضائهم وتلاحم حقاق مفاصلهم لانه في معرض ذم المشبهة والتنبيه على وجوه اغلاطهم وتباين الاعضاء وتلاحمها
من لوازم المشبه به وهما مستلزمان للتركيب واجتماع المفردات المستلزم لظهور الحاجة الى المركب والجامع ويمتنع على محل تظهر حاجته ان يتشبه به الصانع
المطلق البرئ عن الحاجة بوجه ما فقدمها لجريانهما مجرى الاوسط في لزوم التركيب للمشبه به فيظهر تنزيه الله عن التشبيه به وان كان التقدير من شبهك بخلقك في
اعضائهم المتباينة المتلاحمة والذي يظهر من وجه الحكمة في احتجاب المفاصل انها لو خلقت ظاهرة عرية عن الاغشية ليبست رباطاتها وقست
فيتعذر تصرف الحيوان بها كما هو الان او انها كانت معرضة للافات المفسدة لها وغير ذلك من خفي تدبيره ولطيف حكمته وقد شهد عليه السلام على المشبه لله
بخلقه بامرين احدهما انه لم يعرفه والثاني انه لم يتيقن تنزيهه عن المثل والقران والبرهان مصدقان لشهادته في الموضعين اما القران فانه عليه يعني
وكانه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين اذ يقولون الاية ووجه الاستدلال على المطلوب الاول ان المشبهة وعبدة الاصنام ينكشف لهم في الاخرة
انهم كانوا ضالين في تشبيه اصنامهم برب العالمين فيترتب دليل هكذا المشبهة ضالون من جهة تشبيههم لله بخلقه وكل من كان كذلك فليس بعارف
بالله المقدمة الاولى ثابتة بمنطوق الاية واما الثانية فلانه لو كان المشبه له عارفا به مع تشبيهه له بخلقه لما كان في ضلال مبين من تلك
الجهة لكنه في ضلال مبين من تلك الجهة فاذن ليس هو بعارف له واما البرهان فلان الله سبحانه لما تقدس ان يشبه خلقا في شيء كان المشبه له بخلقه والمكيف له
بكيفية يحويها وهمه غير عارف به بل متصورا لامر اخر هو في الحقيقة غير الاله واما صدقه في القضية الثانية فلان المشبه لله ضال من جهة ما هو مشبه له
وكل من كان كذلك فليس بمنزه له عن الند والمثل وصدق الاولى ظاهر من الاية واما الثانية فلانه لو كان منزها له عن الند بكونه مشبها له لما كان ضالا من تلك
الجهة لكنه ضال منها فليس بمنزه له واما البرهان العقلي فلان الند والمثل هو الشبيه وكلاهما في المشبه هو الاية تنفير عن مذهب التشبيه بذكر تبرؤ التابعين
ممن اتبعوه وشبهوا به خالقهم وندامتهم على تفريطهم في ذلك وحسرتهم على الرجعة لتدارك الاعمال والاعتقادات الصالحة واعترافهم بانهم كانوا في تشبيههم
ضلال مبين وقوله كذب العادلون الى قوله عقولهم تكذيب العادلين به واشار الى تفصيل جهات كونهم عادلين والى سبب ذلك وهو الوهم ان كان حكمه لا
يرتفع عن المحسوسات وما يتعلق بها فان حكم في المجردات بحكم قدرها محسوسة ذات اجسام والحقها احكام المحسوس ولذلك لم يرتفع المشبهة لله عن
تشبيهه بالاصنام واشخاص الاجسام كصورة الانسان واعضائه وكذلك غير عبدة الاوثان من ساير فرق المشبهة حتى كانت غاية تنزيه من نزهه
منهم ان توهمه في جهة فوق وقد علمت ان الجهة والكون فيها من عوارض الاجسام المخلوقة فكانوا قد نحلوه حلية المخلوقين وصفاتهم

باوهامهم

باوهامهم الفاسدة فمنهم من اثبت له اعضاء من يد وساق وعين ووجه وساير ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية حملا على ظاهرها ومنهم من تجاسر على وصف
هيئته فقال انه مجوف الاعلى مصمت الاسفل وانه قطط المشعر الى غير ذلك من هذيانهم وكفرهم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وتجزئته بخواطرهم تجزئة المجسمات
هو اثباتهم الاعضاء المذكورة وذلك عن تقديرهم له على الخلقة المختلفة القوى بقرايح عقولهم الجامدة متابعة لاوهامهم الفاسدة وتقليد من سلف من
ابائهم فان الاعضاء انما تتولد وتكمل بواسطة قوى طبيعية ونباتية وحيوانية وغيرها وهي قوى مختلفة بحقايقها ومتضادة في افعالها محتاجة
الى الجامع والمركب مؤدية بالامكان الذي تنزه قدس الصانع ان يتصرف اليه بوجه **وقوله** فاشهد ان من ساواك بشيء من خلقك الى قوله بينات تشهد ثانيه
على من شبهه وجعل له مثلا بالكفر والاشارة الى برهانها بقياس من الشكل الاول اسنده بان كبراه الى كتاب الله ونصوص ايات المحكمة وبينات الانبياء
وشواهد حججهم عن تلك الايات اي حججهم الشاهدة هي كقوله تعالى قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا وقوله انكم لتشهدون ان
مع الله الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون والاشراك كفر ونحوه ذكروا اما المقدمة الاولى فلان المشبه هو المثل والعديل وقد
علمت ان البرهان العقلي مما يشهد بصدق هذه الشهادة فان المشبه قد بخلقه مع براءته عن شبهة الغير اذا اعتقد ان ذلك الذي يشير اليه بوهمه هو صانع العالم
فقد اعتقد غير الصانع صانعا وذلك عين الكفر والضلال **وقوله** وانك انت الله الذي لم تتناه في العقول الى قوله مصرفا الشهادة ثالثة هي خلاصة الشهادتين
الاولتين بتنزيهه عن تناهيه في العقول البشرية وافكارها اي احاطتها بحقيقته وما لها من صفات الكمال ونعوت الجلال بحيث لا يكون وراء ما ادركته
شيء آخر وتنبيه في هذه الشهادة على ما يلزم ذلك التناهي من كونه ذا كيفية يكيفها القوى المتخيلة لتشبه بها العقول وفي مهاب الفكر جهاتها
ثم من كونه محدودا اذ كانت الحقايق انما تدرك بكنهها من حدودها وقوله مصرفا اي محكوما في ذاته بالتجزئة والتحليل والتركيب اذ كان من
شان المحدود ذلك ولما كانت هذه اللوازم باطلة لبراءته عن الكيفية والاجزاء والتركيب كان ملزومها وهو التناهي في العقول باطلا الفصل
الثالث قدر ما خلق فاحكم تقديره ودبره فالطف تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء الى غايته
ولم يستصعب اذا امر بالمضي على ارادته وكيف وانما صدرت الامور عن مشيته المنشئ اصناف الاشياء بلا روية فكر آل اليها ولا قريحة
غريزة اضمر عليها ولا تجربة افادها من حوادث الدهور ولا شريك اعانه على ابتداع عجايب الامور فتم خلقه واذعن لطاعته واجاب الى
دعوته لم يعترض دونه ريث المبطئ ولا اناة المتلكئ فاقام من الاشياء اودها ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين متضادها
ووصل اسباب قرائنها وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار والغرايز والهيئات بدايا خلايق احكم صنعها وفطرها على ما
اراد وابتدعها **اقول** آل رجع واذعن خضع وذل والريث البطؤ وكذلك الاناة والتلكئ التباطؤ عن الامر والتوقف فيه والاود
الاعوجاج وبدايا جمع بديه وهي الخلقة العجيبة **وقوله** قدر ما خلق فاحكم تقديره اشارة الى ان كل مصنوع قدره في الوجود فعلى وفق حكمته
بحيث لو زاد على ذلك المقدار او نقص منه لاختلت مصلحة ذلك المقدور وتغيرت منفعته **وقوله** ودبره فالطف تدبيره ايجاده على وفق
المصلحة ولطفه في ذلك تصرفه في جميع الذوات والصفات تصرفات كلية وجزئية من غير شعور غيره بذلك **وقوله** ووجهه لوجهته الى قوله الى غايته
اي الهم كلا ويسره لما خلق له ولما كتب له في اللوح المحفوظ فلم يتجاوز مرسوم تلك المنزلة المعلومة له اي لم يعبرها ولم يقصر دونها
والا للزم التغير في علمه سبحانه وانه محال **وقوله** ولم يستصعب اذا امر بالمضي على ارادته اي لما امر المخلوق بالتوجه الى وجهته على وفق ارادة
الله وساقته الحكمة الالهية كلا الى غاية لم يمكن تخلفه واستصعابه عن ذلك الامر وامره له اشارة الى توجيه اسبابه بحسب القضاء الالهي
عليه بذلك **وقوله** وكيف وانما صدرت الامور عن مشيته اي وكيف يستصعب ثم اشار الى علة عدم استصعابه وسرعة طوعه وانقياده

بوكز علمه وهو اسناد جميع الآثار الى حسن مشيته اذ كل اثر فهو واجب عن مؤثره والكل منته في سلسلة الحاجة اليه الى ارادته واجب عنها وقد علم
ذلك في العلم الالهي قوله المنشئ اصناف الاشياء الى قوله عجائب الامور قد سبق في الخطبة الاولى بيان ان الروية والفكر والتجربة مما يخلق الانسان
ويخصصه وان الباري سبحانه منزه عن شيء في كيفية ابداعه لخلقه واما الشريك فمنزه عنه ببرهان الوحدانية كما سبقت الاشارة وقريحة الغريزة
قوة الفكر للعقل قوله فتم خلقه واذعن لطاعته واجاب الى دعوته تمام مخلوق فانه من جهة جوده بافادته ما ينبغي لها فان عرض لشيء منها فوت
كمال فلعدم استعداده وقبوله لذلك واذعانه ذلته في رق الحاجة والامكان وتصريف القدرة واجابته الى دعوته كونه في الوجود عن قوله كن
قوله لم يعترض دونه ريث المبطئ ولا اناة المتلكئ تنزيهه لفعله تعالى وامره ان يعرض في طاعة الاشياء في شيء من هذه الكيفيات اذ كل شيء
في قهره وعلى غاية من السرعة الى اجابة امره ولما كان تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وفي قوله كن هنا كل ما ينبغي لذلك المامور
وما بعده لاجابة امره بالكون في الوجود ويجب عنه فكيف يمكن ان يعرض له في اجابة الامر تبطؤ او تلكئ بل يكون كلمح البصر كما قال تعالى وما امرنا الا
واحدة كلمح البصر ويحتمل ان يكون ذلك تنزيها له تعالى ان يعرض له من جهة ما هو فاعل شيء من هذه الكيفيات فان البطؤ والاناة والتلكئ من عوارض
التي هي من عوارض الجسم واعراضها فيمن يفعل بالالة وتشتد حركته وتضعف وقد علمت تنزيه الله تعالى عن جميع ذلك قوله فاقام من الاشياء اودها ايضاحه
الى قوله والهيئات اقامته لاودها فهو لاعوجاج كل شيء باعداده لما ينبغي له وافاضة كماله ونهجه لحدودها او لحدودها على الزوايا التي هو — وتيسيرها
لكل شيء وجهة وغاية وتيسيرها له وملاءمته بين متضادها كجمعه العناصر الاربعة على تضاد كيفياتها في مزاج واحد وقد سبق بيانه ووصله
قرائنها اشارة الى ان الموجودات لا تنفك عن اشياء يقترن بها من هيئة او شكل او غريزة ونحوها واقتران الشيئين لا محالة مستلزم لاقتران
اسبابهما وايصالها لاستحالة قيام الموجود بدون اسبابه وذلك مستند الى كمال قدرته اذ هو مسبب الاسباب وقال بعض الشارحين
اراد بالقرائن النفوس وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى وصله لاسبابها هدايتها الى عبادته وما هو الاولى بها في معاشها ومعادها وسوقها الى ذلك
اذ المفهوم من قول القائل وصل الملك اسباب فلان اذا اعلقه عليه ووصله ببره وانعامه والاول اظهر وقوله وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار
والغرائز والهيئات لا يريد بالاجناس والحدود ما اصطلح عليه قوم في عرفهم بل ما اختلف بالامور المذكورة كلها او بعضها فهو مختلف الجنس لغة وحد — صطلح ظ
الشيء منتهاه وما يحيط به والاقدار المقادير والاشكال ايضا والغرائز القوى النفسانية والاخلاق والهيئات والصفات وان حملنا الحدود على ما
هو المتعارف كان حسنا فان حكمة الخالق سبحانه اقتضت تمييز بعض الموجودات عن غيرها بحدودها وحقائقها وبعضها باشكالها وهيئاتها
ومقاديرها وغرائزها واخلاقها كما يقتضيه نظام الوجود واحكام الصنع وحكم الارادة الالهية قوله بدايا خلائق احكم صنعها وفطرها على ما
اراد وابتدعها اي هي بدايا اي عجائب مخلوقات احكم صنعها على وفق ارادته وبالله التوفيق ومنها في صفة السماء ونظم بلا تعليق رهوات فرجها
ولاحم صدوع انفراجها ووشج بينها وبين ازواجها وذلل للهابطين بامره والصاعدين باعمال خلقه حزونة معراجها وناداها بعد — والصاعدين
اذ هي دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها واقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها وامسكها من
ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها ان تقف مستسلمة لامره وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها واجراهما — رايده
في مناقل مجراهما وقدر مسيرهما في مدارج درجهما ليميز بين الليل والنهار بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما ثم علق في جوها — درجهما
فلكها وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها واجراها على اذلال تسخيرها من ثبات
ثابتها ومسير سائرها وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها اقول الرهوات جمع رهوة وهي الفجة المتسعة والايد القوة وبايدة

هالكة

هالكة ومدار تحرك وناط علق والصدوع الشقوق ووشّج بالتشديد اى شبك والحزونة الصعوبة والاشراج جمع شرج بالفتح وهى عرى العيبة
التى تخاط بها وتعمل بو يطلق ايضا على حروفها التى تخاط والارتتاق التصاق والنقاب جمع نقب بفتح النون وهو الطريق فى الجبل والدرارى
الكواكب المضيئة وهذا الفصل يشتمل على كيفية خلق السماء فقوله ونظم بلا تعليق الى قوله انفراجها يقتضى بظاهره ان السماء كانت ذات
فرج وصدوع وهذا على راى المتكلمين ظاهر فان الاجسام لما كانت من الاجزاء التى لا تتجزى كانت قبل تاليفها ذات فرج وصدوع واما على راى
غيرهم فقالوا يحتمل امرين احدهما انه لما كانت السموات مركبة من اجزاء وكانت بين اجزاء كل مركب مباينة لولا المركب والمؤلف استعار عليه السلم
لفظ الرهوات والفرج لما يتصور من المباينة بين اجزاء السماء عند قطع المتوهم النظر عن صانعها ومركبها سبحانه ونظامه لرهوات فرجها
افاضته لصورها على قوابلها حتى تمت مركبا منتظما متلاحم الصدوع والفرج الثانى يحتمل ان يشير بالفروج الى ما بين اطباق السموات من التباين
ونظمه لرهواتها وملاحمته صدوعها خلقها اكرا متماسة لا خلا بينها ونبه على كمال قدرة الله بقوله بلا تعليق فان الاوهام حاكمة بان السماء واقفة
فى خلاء كما يقف الحجر فى الهواء وذلك منشأ حيرتها وتعجبها فحركها بذلك القول الى التعجب والاستعظام قوله ووشّج بينها وبين ازواجها اراد بازواجها
نفوسها التى هى الملائكة السماوية بمعنى قرائنها وكل قرين زوج اى ربط ما بينها وبين نفوسها بقبول كل جرم سماوى لنفسه التى لا يقبلها غيره قوله
وذلل للهابطين بامره الى قوله انفراجها قد سبقت الاشارة الى ان الملائكة ليست اجساما كسائر الحيوان فاذن ليس هبوطها وصعودها الهبوط
والصعود المحسوسين والا لكان البارى جل قدسه على اوهام المتوهمين فى جهة اليه يصعد وعنه ينزل فاذن هو استعارة لفظ النزول من
الجهة المحسوسة الى اسفل للنزول المعقول من سماء الجود الالهى الى اراضى المواد القابلة للافاضات العالية وبذلك المعنى يكون هبوط الملائكة عبارة
عن ايصالها الى كل ما دونها كماله متوسطة بينه وبين مبدعه وموجده وهم المرسلون من الملائكة بالوحى وغيره وكذلك الصعود الصاعدون
باعمال الخلائق الحافظون لهم الملائكة ايضا واما معنى الصعود بها فيعود الى كونها منقوشة فى ذوات الصاعدين بها وقد لاح فيما سبق ان علمه تعالى بمعلولاته
البعيدة كالزمانيات والمعدومات التى من شانها ان توجد فى وقت وتتعلق بزمان يكون بارتسام صورها المعقولة فى تلك الالواح وهو
ايضا مستعار كلفظ الهبوط للمعنى الذى ذكرناه من اراضى النفوس الى الالواح المحفوظة فاما انفراجها الذى ذلل حزونته لهم وسهل عليهم سلوكه
فيعود الى عدم حجبها ومنعها لتقوم علوم الملائكة باعمال الخلائق وما يجرى فى هذا العالم وكان الاجسام المنصدعة لا تمنع نفوذ جسم اخر فيه
من حيث هو منصدع والوصول الى ما وراءه كذلك السماء لا تحجب علوم الملائكة ان تتعلق بما فى هذا العالم من الموجودات فجرت مجرى المنفرج
من الاجسام فاطلق عليها لفظ الانفراج وتذليله لحزونة ذلك الانفراج لهم هو كونها غير مانعة بوجه ما لجريان علوم الملائكة المقربين فى
هذا العالم قوله وناداها بعد اذ هى دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها فيه احتمالان الاول انك قد علمت
فيما سبق ما معنى كون السماء دخانا فاما نداؤه لها فاشارة الى امره لها بالاتيان والكون فى قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين واما التحامها فاعتبار تركيبها بانضمام جزوها الصورى الى جزئها القابل كما يلتحم طرفا العيبة بتشريج عراها
وافتتاح صوامت ابوابها بعد ذلك الارتتاق وهو جعلها اسبابا بالنزول رحمة ومدبرات تنزل بواسطة حركاتها على هذا العالم انواع
رحمة الله فكانت حركاتها تشبه الابواب اذ هى ابواب رحمة ومفاتيح جوده الثانى ان العرب يقول كل ما علاك فهو سماؤك فعلى هذا يحتمل
ان يكون المراد بالسماء ما هو اعم من السماء المعهودة ويكون قوله وناداها اشارة الى سماء السحاب وانعقاده سحابا وافتتاق صوامت
ابوابها هو انزال المطر منها كما قال ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر قوله واقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها له معنيان احدهما ان يكون

استعار لفظ الثقاب لكونها بحيث لا يمنع تعلق العلوم بما وراءها من الاجسام والمجردات وقد سبق معنى الشهب واما قوله رصدا الثاني ان يكون استعار
لفظ الرصد لهذه الشهب المحسوسة ورشح بذكر الثقاب اذ شان الرصد والحرسة حفظ الفرج والابواب ويكون ترك ذلك ووجه الحكمة فيه ان العرب
كانت تعتقد ان الشياطين تصعد الى السماء فتسترق الغيب من الملائكة ثم تلقيه الى الكهنة والسحرة ونحوهم فلما آن دور السعادة والنبي عن التكهن ونحوه
لما فيه من فساد اذهان الخلق وصرف قلوبهم عن غرض الشريعة التي الوحي اليهم ان هذه الشهب التي تنقض انما جعلت رجوما للشياطين مسترقي السمع فكل بيناصح
من استمع منهم رمي بشهاب منها وان السموات حجبت عنهم فلا يصلون اليها لينفسخ في اذهان الخلق انقطاع مادة الكهانة ونحوها فيبقى اعتقادهم فيهم
فيكون ذلك كسر الاوهامهم التي بينا انها شياطين النفوس وتمثالها وبالله التوفيق قوله وامسكها من ان تمور في خرق الهواء بايدة وامرها ان
تقف مستسلمة لامره اي حفظها بقوته عن ان تحركها الريح المختبرقة فيها مجيئا وذهابا وحكمة الحكمة الالهية عليها بالاستقرار انقياد القهر والامر
الاول اشارة الى حكم القضاء والامر الثاني اشارة الى اعتبار القدرة قوله وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها كقوله تعالى وجعلنا
الليل والنهار آيتين الآية اي لدلالتهما على كمال قدرته ونقل عن ائمة التفسير في ابصار آية النهار ومحو آية الليل وجوه احدها ان ابصار آية النهار
هو بقاء الشمس بحالها وتمام ضيائها في كل حالة ومحو آية الليل هو اختلاف احوال القمر في اشراقه ومحاقه بحيث لا يبقى ليلتين على حالة واحدة
بل كان ليلة في منزل بزيادة او نقصان الثاني ان ابن الكواء سال عليا عليه السلام عن اللطخة التي في وجه القمر فقال ذلك محو آية الليل الثالث عن ابن كثير
ان الآيتين هما ظلمة الليل وضياء النهار والتقدير وجعلنا الليل والنهار ذوي آيتين فقوله فمحونا آية الليل اي لم نجعل للقمر نورا كنور الشمس
وابصار آية النهار كون الشمس مضيئة بذاتها في نفسها ومن هاهنا لابتداء الغاية وليان الجنس ويتعلق بممحوة او بجعل وقيل اراد من آيات
ليلها قوله واجراهما في مناقل مجراهما وقدر مسيرهما في مدارج درجتهما مناقل مجراهما ومدارج درجتهما التي قدر سيرهما فيها هي
بروجهما ومنازلهما ولنشر الى مفهومات الدرج والبروج والمنازل وهو ان الناس قسموا دور الفلك الذي يسير فيه الكواكب باثني عشر
قسما وسموا كل قسم برجا وقسموا كل برج بثلثين قسما وسموا كل قسم درجة وسموا تلك البروج اسماء الحمل الثور الجوزاء السرطان
الاسد السنبلة الميزان العقرب القوس الجدي الدلو الحوت والشمس تسير كل برج منها في شهر واحد والقمر يسير كل برج منها في ازيد
من يومين وانقص من ثلثة ايام واما منازل القمر فثمانية وعشرون اسماؤها الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع
النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد
بلع سعد السعود سعد الاخبية الفرع المقدم الفرع المؤخر الرشا والقمر يكون كل يوم في منزل منها وكل في فلك يسبحون
ذلك تقدير العزيز العليم قوله ليميز بين الليل والنهار الى قوله بمقاديرهما اي بمقادير سيرهما وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى قوله ثم علق
في جوها فلكا لما اشار اولا الى تركيبها اشار الى اقرارها في احيازها وهو المشار اليه بتعليق فلكها في جوها فان قلت فقد قال اولا
بلا تعليق ثم قال هاهنا وعلق فما وجه الجمع قلت التعليق امر اضافي يصدق سلبه واثباته باعتبارين فالمراد بالاول انها غير معلقة
بجسم آخر فوقها وبالثاني انه علقها في جوها بقدرته ولا منافاة واراد بالفلك اسم الجنس وهو اجسامها المستديرة التي يصدق عليها هذا
الاسم قوله وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها كقوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح ورمى مسترقي السمع بثواقب
شهبها كقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب وقد تقدم بيانه وانما اعاد ذكر الشهب لانه ذكر اولا انه اقامها رصدا وذكرها هنا انه جعلها
لذ رصدا اي لرجم مسترقي السمع بها قوله واجراها على اذلال تسخيرها كقوله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره والاذلة

ذلة

ذلة الامكان والحاجة الى الايجاد والتدبير واما الثابت والسائر منها فالسائر هى الكواكب السبعة زحل والمشترى والمريخ والشمس
والزهرة وعطارد والقمر ويسمى الشمس والقمر بالنيرين والخمسة الباقية بالمتحيرة لان لكل واحد منها استقامة ثم وقوفا ثم رجوعا ثم وقوفا
ثانيا ثم عودا الى الاستقامة وليس للنيرين غير الاستقامة وباقى الكواكب التى فى السماء غير هذه السبعة تسمى بالثوابت وفلكها الثامن وكل واحد
من السبعة يتحرك حركة مخصوصة تخالف حركة الآخر فاما صعودها وهبوطها فصعودها طلبها لشرفها وشرف الشمس فى الدرجة التاسعة عشر من
الحمل وشرف القمر فى الدرجة الثالثة من الثور وشرف زحل فى الحادية والعشرين من الجدى وشرف الزهرة فى السابعة والعشرين من الحوت وشرف
عطارد فى الخامسة عشر من السنبلة وشرف الراس فى الثالثة من الجوزاء وشرف الذنب فى الثالثة من القوس وبرج الشرف كله شرف الا ان
تلك الدرجات قوية فما دام الكوكب متوجها الى قوة الشرف فهو فى الازدياد والصعود فاذا جاز صار فى الانتقاص والهبوط وهبوط كل كوكب
يقابل شرفه وصعوده واما نحوسها وسعودها فقالوا زحل والمشترى والزهرة سعدان اكبرهما المشترى وعطارد سعد مع السعود
نحس مع النحوس والنيران سعدان من التثليث والتسديس نحسان من المقابلة والتربيع والمقارنة والراس سعد والذنب والكيد نحسان احوال الصحو
ومعنى سعودها ونحوسها كون اتصالاتها اسباب لصلاح شىء من هذا العالم وفساده وبالله التوفيق **ومنها فى صفة الملائكة**
عليهم السلام ثم خلق سبحانه وتعالى لاسكان سمواته وعمارة الصفيح الاعلى من ملكوته خلقا بديعا من ملائكته وملأ بهم فروج فجاجها
وحشا بهم فتوق اجوائها وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم فى حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد
ووراء ذلك الرجيج الذى تستك منه الاسماع سبحات نور تردع الابصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها انشاهم در جلال
على صور مختلفات واقدار متفاوتات اولى اجنحة تسبح جلال عزته لا ينتحلون ما ظهر فى الخلق من صنعه ولا يدعون
انهم يخلقون شيئا معه مما انفرد به بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون جعلهم فيما هنالك اهل الامانة
على وحيه وحملهم الى المرسلين ودائع امره ونهيه وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته وامدهم بفوائد
المعونة واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة وفتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده
لم تثقلهم موصرات الآثام ولم ترتحلهم عقب الليالى والايام ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون
على معاقد يقينهم ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم وسكن من عظمته
وهيبة جلالته فى اثناء صدورهم ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم منهم من هو فى خلق الغمام الدلح وفى
عظم الجبال الشمخ وفى قترة الظلام الايهم ومنهم من قد خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى فهى كرايات بيض قد نفذت فى
مخارق الهواء وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية قد استفرغتهم اشغال عبادته ووصلت در ووصلت
حقائق الايمان بينهم وبين معرفته وقطعهم الايقان به الى الوله اليه ولم تجاوز رغباتهم ما عنده الى ما عند غيره قد ذاقوا
حلاوة معرفته وشربوا بالكاس الروية من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته فحنوا بطول الطاعة اعتدال
ظهورهم ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم ولم يتولهم الاعجاب فيستكثروا
ما سلف منهم ولا تركت لهم استكانة الاجلال نصيبا فى تعظيم حسناتهم ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم ولم تغض رغباتهم درحه
فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم ولا ملكتهم الاشغال فتنقطع بهمس الجؤار اليه اصواتهم الجار

ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم ولم يثنوا الى راحة التقصير في امره رقابهم ولا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات
ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق الى المخلوقين
برغبتهم لا يقطعون امد غاية عبادته ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته الا الى مواد من قلوبهم غير منقطعة من
رجائه ومخافته لم تنقطع اسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم ولم تاسرهم الاطماع فيؤثروا وشيك السعي على اجتهادهم
ولم يستعظموا ما مضى من اعمالهم ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ
الشيطان عليهم ولم يفرقهم سوء التقاطع ولا تولاهم غل التحاسد ولا تشعبتهم مصارف الريب ولا اقتسمتهم اخياف
الهمم فهم اسراء ايمان لم يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا ونا ولا فتور وليس في اطباق السموات موضع اهاب الا وعليه
ملك ساجد او ساع حافد يزدادون على طول الطاعة بربهم علما وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما اقول الصفيح السطح
والفجاج الطريق الواسع والجو المكان المتسع العالي والفجوة الفرجة والزجل الاصوات والسرادق الستر الذي يمد فوق البيت
والرجيج الزلزلة والاضطراب وتستك الاسماع تصم وخاسية متحيرة والاخبات التذلل والاستكانة وذللا اسهلة والموصرات
المثقلات والعقب جمع عقبة وهي المرة من التعاقب والنوازغ بالغين المعجمة الخواطر المفسدة وبالمهملة العقسي والاحن جمع
احنة وهي الحقد ولاق التصق واثناء جمع ثني وهو تضاعيف الشيء والرين الغلبة والتغطية والدلح جمع دلحة وهي الثقال والشمخ
العالية وقترة الظلام سواده والايهم الذي لا يهتدى فيه والتخوم جمع تخم بفتح التاء وهو منتهى الارض وحدودها والريح الهفافة
الساكنة الطيبة والوشيجة عروق الشجرة والربق جمع ربقة وهي الحلقة من الحبل والدؤوب الجد في العمل والاسلة طرف اللسان والجار
رفع الصوت بالدعاء ونحوه والهمس الخفي من الصوت والانتضال الرمي بالسهام واستهتر بالامر اعجبه وتظاهر به ووشيك السعي قريبه
والنسخ الازالة والاستحواذ على الشيء الاحاطة به والغلبة عليه واخياف الهمم مختلفاتها واحده اخيف والحفد السرعة واعلم ان
هذا الفصل يشتمل على وصف الملائكة الذين هم اشرف الموجودات الممكنة بكمال العبودية لله اذ كان في معرض تمجيده ووصف عظمته وقد
سبق ذكر انواع الملائكة واسكانهم اطباق السموات وبينا مقاصده بقدر الامكان ولنشر ههنا الى ما يختص بهذا الموضع من المباحث الاول
ثم خلق سبحانه الى قوله من ملائكته يحتمل ان يشير بالصفيح الاعلى الى الفلك التاسع وهو العرش لكونه اعظم الاجرام واعلاها وسكانه الملائكة
المدبرون له ويحتمل ان يريد به محل عبادة الملائكة من حضرة جلال رب العالمين وعالم الملكوت ومقعدهم الصدق من معرفته فان خلقهم انما
كان لعمارة ذلك المحل وهو البيت المعمور بجلال الله وعبادتهم له ولما كانوا من اشرف الموجودات كانوا هم الخلق البديع التام المعجب الثاني
فملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق اجوائها استعار لفظ الفروج والفجاج والفتوق لما يتصور بين اجزاء الفلك من التباين لولا
الملائكة الذين هم ارواح الافلاك وبها قوام وجودها وبقاء جواهرها محفوظة بها ووجه المشابهة ظاهر ورشح تلك الاستعارة
بذكر الملء والحشو واما فجاجها وفروجها فاشارة الى ما يعقل بين اجزائها واجوائها المنتظمة من التباين لولا الناظم لها بوجود الملائكة
فيكون حشو تلك الفروج بالملائكة كناية عن نظامها بوجودها وجعلها مدبرة لها الثالث وبين فجوات تلك الفروج الى قوله المجد استعار
لفظ الزجل لكمال عبادتهم لربهم كما ان كمال عبادة الرجل في رفع صوته بالتضرع والتسبيح والتهليل وكذلك استعار لفظ الحظائر لمنازل
الملائكة من عالم الغيب ومقامات عباداتهم وظاهر كونها حظائر القدس لطهارتها وبراءتها عن نجاسات الجهل والنفس الامارة بالسوء وكذلك استعار

لفظ

لفظ استرات الحجب والسرادقات لما نبهنا عليه من حجب النور التى حجبت بها عن الاذهان او لتجردهم عن المواد والاوضاع المحسوسة ووجه المشابهة كونهم محتجبين
بذلك عن رؤية الابصار والاوهام وظاهر كون تلك الحجب سرادقات المجد لكمال ذواتهم وشرفهم على من دون تلك الحجب الرابع ووراء ذلك الرجيج الذى تستك
الى قوله وحدودها استعار لفظ الرجيج لعبادات الملائكة كما استعار لفظ الزجل والرجيج الى ما تسمعه الانبياء من اصوات الملائكة كما علمت
كيفيته فى سماع الوحى وبيناه فى المقدمة واشار بسبحات النور التى وراء ذلك الرجيج الى جلال وجه الله وعظمته وتنزيهه ان تصل اليه ابصار البصائر
وتنبيه بكونها وراء رجيجهم الى ان معارفهم لا تتعلق به كما هو بل وراء علومهم وعباداتهم اطوار اخرى من جلاله تنقص معارفهم وتردع ابصار
البصائر عن ادراكها فترجع حسيرة متحيرة واقفة عند حدودها وغاياتها من الادراك الخامس انشاهم الى صور مختلفات الى قوله عزته اختلاف
صورهم كناية عن اختلافهم بالحقائق وتفاوت اقدارهم تفاوت مراتبهم فى الكمال والقرب منه ولفظ الاجنحة مستعار لقواهم التى بها حصلوا على المعارف
الالهية وتفاوتها بالزيادة والنقصان كما قال تعالى اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع كناية عن تفاوت ادراكهم لجلال الله وعلومهم بما ينبغى
له ولذلك جعل الاجنحة هى التى تسبح جلال عزته فان علمهم بجلاله منزه له عما لا ينبغى لكرم وجهه ولا يناسب جلال عزه السادس ولا ينتحلون الى
قوله يعملون اى لا ينسبون بعض مصنوعاته الى قدرهم وان كانوا وسايط فيها ولا يدعون انهم يقدرون على شىء منها الا باقداره لهم بل غايتهم
انهم وسايط فى افاضة الجود على مستحقه وما لم يجعلهم وسايط فيه بل انفرد بذاته فى ابداعه فلا يدعون القدرة عليه اصلا وذلك لكمال معارفهم
باقداره لهم ونسبتهم الى باريهم وقد اكرمهم الله تعالى بالتقديس عن النفوس الامارة بالسوء التى هى مبدا مخالفة امره والخروج عن طاعته السابع جعلهم
فيما هنالك الى قوله ونهيه فى مقاماته من حضرة قدسه وقد سبقت الاشارة الى كل ذلك فى الخطبة الاولى الثامن وعصمهم الى قوله مرضاته منشاء الشكوك
والشبهات والزيغ عن سبيل الله هو معارضة النفس الامارة للعقل وجذبها له الى طرف الباطل والملائكة مبرؤون من ذلك عنها فكانوا معصومين
ممنوعين عما يقود اليه ويامر به من الزيغ والانحراف عن قصد اليه وامدادهم بفوايد المعاونة زيادتهم فى كمالاتهم على غيرهم ودوام ذلك بدوام
وجوده التاسع واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة استعار لفظ التواضع والاستكانة لحالهم من الاعتراف بذل الحاجة والامكان
الى جوده والانبهار تحت عظمته اى جعل ذلك الاعتراف شعارا لازما لذواتهم او من الشعور هو الادراك العاشر وفتح لهم ابوابا ذللا الى تمجيده
الابواب الذلل وجوه معارفهم الالهية التى بها يمجدونه حق تمجيده وهى ابوابهم ووسايلهم التى سربهم وتعظيمه وظاهر كونها سهلة اذ حصولها
لهم ليس اكتسابا عن طرق توعرت بتراكم الشكوك والشبهات ومنازعات الاوهام والخيالات كما عليه علومنا الحادى عشر ونصب لهم منارا
واضحة على اعلام توحيده قيل استعار المنار الواضحة للوسايط من الملائكة المقربين بينهم وبين الحق سبحانه اذا اخباره عن الملائكة
السماوية ولفظ الاعلام لصور المعقولات لذواتهم المستلزمة لتوحيده وتنزيهه عن الكثرة ووجه المشابهة ان المنارة الاعلام كما
تكون وسايط فى حصول العلم بالمطلوب كذلك الملائكة المقربون والمعارف الحاصلة بواسطتهم تكون وسايط فى الوصول الى المطلوب الاول
محرك الكل عن سلطانه الثانى عشر لم تثقلهم موصرات الاثام مما لم تكن النفوس الامارة بالسوء موجودة لهم استلزم عدمها نفى اثارها عنهم
من الاثام والشرور الثالث عشر ولم ترتحلهم عقب الليالى والايام اى لم يستلزم تعاقب الزمان رحيلهم عن الوجود وذلك لتجردهم وبراءة المجردات
عن لحوق الزمان والتغيرات الحادثة بسببه الرابع عشر ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم عزيمة
ايمانهم ما لزم ذواتهم من التصديق بمبدعهم وما ينبغى له ومعاقد يقينهم اعتقاداتهم اليقينية واعتراك الشكوك والظنون منشاؤه
الاوهام [illegible] والخيالات وعلوم الملائكة المجردين مبراة عنها ولفظ الرمى مستعار لانبعاث النفوس الامارة بالسوء والقائها الخواطر

الفاسدة الى النفس المطمئنة ومن روى النوازع بالعين المهملة فهو ترشيح للاستعارة وكذلك استعار لفظ الاعتراك لاختلاط الظنون والاوهام
على القلوب وجولانها في النفوس ووجه المشابهة ظاهر الخامس عشر ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم اى لم تثر بينهم الاحقاد شيئا
من الشرور كما يثير النار قادحها البرأتهم من قوى الغضب والشهوة السادس عشر ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم الى قوله صدورهم لما كانت
الحيرة تردد العقل في اى الامرين اولى بالطلب والاختيار وكان منشاء ذلك الى معارضات الوهم والخيال للعقل بحيث لا وهم ولا خيال فلا حيرة
تخالط معارفهم وتزيل هيبة عظمته من صدورهم والهيبة كناية عن استشعار عظمته ولفظ الصدور مستعار للذوات السابع عشر ولم تطمع فيهم
الوساوس فتقترع بريبها على فكرهم وقد مر تفسير الوسوسة وفاعل الطمع ههنا اما مضمر على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه بريبها
مقامه اى اهل الوساوس واسناد الطمع اليه مجازا كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وريبها غلبة الشكوك اللازمة عنها على وجوه عقولهم
وابصارهم وانهم الذين لا ينظرون الى وجه ربهم وانتفاؤها عنهم لانتفاء اسبابها وهي النفوس الامارة الثامن عشر منهم من هو في خلق الغمام
الى قوله الابهم في هذا التقسيم يعود الملائكة فاما الاوصاف السابقة فكانت خاصة لسكان السموات منهم وقد وردت الشريعة بان في الغمام
ملائكة تسبح الله وتقدسه وكذلك في الجبال والاماكن المظلمة وهم من الملائكة الارضية وقد علمت ما قيل فيها في الخطبة الاولى التاسع عشر ومنهم من
خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى الى قوله المتناهية يشبه ان يكون هذا القسم من الملائكة السماوية ايضا واستعار لفظ الاقدام لعلومهم
المحيطة باقطار الارض السفلى ونهاياتها ووجه المشابهة كون العلوم قاطعة للمعلوم وسارية فيه واصلة الى نهايته كما ان الاقدام تقطع
الطريق وتصل الى الغاية منها وشبهها بالرايات البيض النافذة في مخارق الهواء في وجهين احدهما في البياض فان البياض لما استلزم الصفا
عن الكدر والسواد كذلك علومهم صافية من كدورات الباطل وظلمات الشبه الثاني في نفوذها في اجزاء المعلوم كما تنفذ الرايات في الهواء
واشار بالريح التي تحبس الاقدام على حيث انتهت من الحدود الى حكمة الله التي اعطت كلا ما يستحقه وقصرت كل موجود على حده
وبهوفها الى لطف تصرفها وجريانها في المصنوعات العشرون قد استفرغتهم اشغال عبادته الى قوله وشيجة خيفته اى لم يجعل لهم فراغا لغيرها
وقد علمت ان تحريك الملائكة السماوية لاجرام الافلاك الجارية لها مجرى الابدان بحركة ارادية شوقية للتشبه بالملائكة المتوسطة بينها وبين الحق سبحانه في
كمال عبادتهم له وتلك الحركات الدائمة الواجبة مستفرغة لهم عن الاشتغال كما قال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وحقائق الايمان تصديقهم الحق
بوجوده وسيلة جامعة بينهم وبين معرفته والاستكمال بها قاطعا الى الوله اليه والعشق له وثبات الرغبات على ما عنده دون غيره
ولما استعار لفظ الذوق لتعقلاتهم ولفظ الشرب لما تمكن في ذواتهم من عشقه وكمال محبته رشح الاستعارة الاولى بذكر الحلاوة وكنى بها عن
كمال ما يجدونه من اللذة بمعرفته كما يلتذ ذائق الحلاوة بها والثانية بذكر الكاس الروية اذ من كمال الشرب ان يكون بكاس روية اى من شانها
اى من تروى وكنى بها عن كمال معارفهم بالنسبة الى غيرهم وكذلك رشح استعارة لفظ القلوب بذكر سويدائها اذ كان من كمال تمكن العوارض
القلبية كالمحبة والخوف ان يبلغ الى سويدائه واشار بوشيجة خيفته الى العلاقة المتمكنة من ذواتهم لخيفته وهي كمال علمهم بعظمته ولفظ
الخيفة مستعار كما سبق لانفكاكهم في ذل الامكان عن اعتبار عزه وقهره الحادي والعشرون فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم يجوز
بانحناء الظهور في حقهم كمال خضوعهم في عباداتهم وهو اطلاق لاسم المسبب على السبب الثاني والعشرون ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم
لما كان من شان احدنا اذا رغب في امر الى بعض الملوك وفزع اليه بالتضرع والخدمة ان ينقطع تضرعه بانقطاع مادته ومادته امادواعي
نفسه الى الطلب وميولها وانقطاعها باستيلاء الملال على نفسه وضعفها عن تحمل المشقة او مطلوبه وتصوره لامكان تناوله وانقطاعه

اما

اما بايسه منه او باعطائه اياه وكانت مادة تضرعهم وعبادتهم له تعالى على التقديرين بريئة على القواطع اما من ذواتهم فلان الكلال
والملال من عوارض المركبات العنصرية واما مطلوبهم فلانه كمال معرفة الله بعد تصورهم لعظمة ذلك المطلوب وعلمت ان درجات الوصول اليه
غير متناهية ولاجرم سلب عنهم في معرض مدحهم انقطاع مادة تضرعهم ليستلزم ذلك المطلوب وعلمت ان درجات الوصول اليه غير متناهية لا
جرم سلب عنهم في معرض مدحهم انقطاع مادة تضرعهم ليستلزم ذلك سلب انقطاع تضرعهم وعبادتهم له الثالثة والعشرون ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة لديه
ربق خشوعهم لما كان من قرب السلطان مثلا من شانه ان يقوى نفسه وتخف هيبته منه وكان ذلك لتناهي ملك ملوك الدنيا وكونه مكتسب الجسم
وتصور المتقرب اليهم مثلية لهم وامكان وصوله الى ما وصلوا اليه وكان سلطان الله لا يتناهى عظمة في نفسه اذ كان يقدر في سلوكه عظمة
الله بقدر عرفانه به فكلما عبر منزلا من منازل المعرفة علم عظمة خالقه فكمل عقد يقينه بذلك وعلم نقصان ذاته فكمل خشوعه وصدق خضوعه
واستعار لفظ الربق لما حصلوا فيه من الخشوع الرابع والعشرون ولم يتولهم الاعجاب الى قوله حسناتهم اي لم يستول عليهم والاعجاب هو استعظام
الانسان نفسه عما يتصور انه فضيلة له ومنشاء ذلك الحكم هو النفس الامارة فيتوهم الانسان ان تلك الفضيلة حصلت له عن استحقاق وجبلة
بسعيه وكده مع قطع النظر عن واهب النعم ومفيضها والملائكة السماوية مبرؤون عن الاوهام واحكامها غرقى في الوله اليه ودوام مطالعة
الآية والاستكانة تحت جلال عزته فلا يستكثرون ما سلف منهم من عبادة ولا يستعظمون ما صدر منهم من خير الخامس والعشرون ولم تجر الفترات فيهم
على طول دؤبهم وقد ثبت ان الملائكة السماوية دائمة التحريك لاجرامها حركة لا يتخللها سكون ولا يكلها ويفترها اعياء ونصب ولبيان ذلك
بالبرهان اصول ممهدة في مواضعها واما بالقران فلقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقد سبق السادس والعشرون ولم تغض رغباتهم
فيخالفوا عن رجاء ربهم المخالفة عن الشيء العدول عنه وقد سبق ان رغبات الملائكة السماوية واشواقها الى كمالاتها دائمة ثابتة فكانت لذلك دائمة
الرجاء لها من واهبها ولفظ الغيض مستعار كما سبق السابع والعشرون ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم طول مناجاتهم بعود الى توجيه
وجوههم دائما اليه واستعار لفظ الالسنة ورشح بذكر الاسلات ملاحظة للتشبيه باحدنا في مناجاته وكنى بعدم جفاف السنتهم
عن علام فتورهم وعدم لحوق الاعياء والكلال لهم وظاهر انه لا السنة لجسمانية لهم فلا جفاف الثامن والعشرون ولا ملكتهم الاشغال الى
قوله اصواتهم اي لم تضعفهم العبادة فتنقطع اصواتهم وتضعف فيخفى بالتضرع اليه وهو تنزيه لهم عن الاحوال البشرية والعوارض البدنية
من الضعف والاعياء وكلال الاعضاء عند كثرة الاشغال ودفوتها وقد ان الملائكة السماوية لا يجوز عليها شيء من تلك العوارض واستعار
لفظ الاصوات كما استعار لفظ الالسنة التاسع والعشرون ولم تختلف في مقادم الطاعة مناكبهم الى قوله رقابهم استعار لفظ المقادم
من ريش الطاير وهي عشر في كل جناح لما سبق وجوبه من طاعة الله وكان اهم عباداته كمعرفته والتوجه اليه ولفظ المناكب وهي اربع ريشات
بعد المقادم في جناح لذواتهم ووجه المشابهة ان المناكب تالية للمقادم وعلى نظامها وترتيبها لا يخالف صنفها ونسقها كذلك الملائكة
لا تختلف ذواتهم واجرامها في نسق ما هم من عبادة ربهم ومعرفتهم بل صافون لا يخالف بعضهم بعضا في استقامة طريقهم اليه ولا يخرجون
عن نظام ترتيبهم في التوجه اليه كما اشار اليه في الخطبة الاولى وصافون لا يتزايلون وكذلك استعار لفظ الرقاب ولفظ الثني
اي لم يلتفتوا الى الراحة من تعب العبادة فيقصروا في اوامره والمقصود نفي الاحوال البشرية عنهم من التعب والراحة لكونهما من توابع هذه
الابدان الثلثون ولا تعدوا الى قوله الشهوات قد عرفت معنى الغفلة فيما سبق والبلادة هي طرف التفريط من فضيلة الذكاء
وكلاهما من عوارض هذا البدن وبواسطته وكذلك الشهوات والملائكة السماوية بريئة عنها ولم يجز ان ترمي الشهوات هممهم بسهام

ان صح

خدايعها ولفظ الانتضال مستعار لتوارد جواذب الشهوة على النفس الناطقة مع كونها موذية لها ومردية في قرار الجحيم الحادي والثلثون
فما تحنوا الى قوله برغبتهم اشار بيوم فاقتهم الى حال حاجتهم في الاستكمال الى جوده وان كان ذلك دايما فذخرهم الذي اليه يرجعون
وكذلك الاشارة بقوله عند انقطاع الخلق الى المخلوقين الى حال الحاجة ايضا فانه انما يكون ذخيرة لهم لرجوعهم اليه فيما يحتاجون
وانما يتحقق قصدهم له برغبتهم حال الحاجة اليه الثاني والثلثون لا يقطعون الى قوله ومخافته لما كانت غاية عبادته هو الوصول
الى كمال معرفته وكانت درجات المعارف الالهية غير متناهية لم يكن قطعهم لتلك الغاية ممكنا ولما كانوا غرقى في محبته عالمين بكمال
عظمته وانما يرجونه من تمام جوده اشرف المطالب وارجح المكاسب وما يخشى من انقطاع جوده ونزول حرمانه اعظم المهالك
والمعاطب لا جرم دام رجاؤهم له وخضوعهم في رق الحاجة اليه والفزع من حرمانه وكان ذلك الرجاء والخوف هو مادة استهتارهم استهتارهم صح
بلزوم طاعته التي يرجعون اليها من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها الثالث والثلثون لم ينقطع اسباب الشفقة منهم فينوا
في جدهم الشفقة الاسم من الاشفاق اي لم ينقطع اسباب خوفهم له واسبابه حاجتهم الى القيام في الوجود الى الاستكمال بجوده
بلزوم طاعته وحاجتهم اليه دائمة فجدهم في عبادته دائم فالتواني فيه مفقود الرابع والثلثون ولم تاسرهم الى قوله اجتهاد ثم سلب لبعض
اوصاف البشر عنهم فان اكثر العابدين قد ينقص فيهم عن الاجتهاد في طاعة الله بسبب ما يظهر لهم من كمالات الدنيا وزينتها فيؤثرون ما قرب من
السعي في تحصيله على ما يستبعدونه من تحصيل السعادة الاخروية الباقية وقد عرفت ان ذلك من جواذب الشهوات والغفلة عن ماوراء
هذه الدار والملائكة مبرؤن عن الشهوات وما يلزمها من اسر الاطماع الجاذبة لهم ولفظ الاسر استعارة لقود الاطماع الى ما يطمع فيه
الخامس والثلثون ولم يستعظموا ما مضى الى قوله وجلهم معنى هذه الشرطية انهم لو استعظموا ذلك لكان رجاؤهم لثواب عبادتهم عظيما
فكان لقوته ماحيا لاشفاقهم وخوفهم منه وهذا كما ان الانسان اذا عمل لبعض الملوك عملا يستعظمه فانه يرى في نفسه استحقاق اتم
جزائه ويجد التطاول به والادلال عليه فيهون ذلك ما يجده من خوفه وكلما ازداد في استعظامه لخدمته ازداد اعتقاده في قربه
من الملك قوة وبمقدار ذلك ينقص خوفه وتقل هيبته لكن الملائكة خائفون ابدا كما قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم والملائكة من
خيفته فينتج انهم لا يستعظمون سالف عبادتهم السادس والثلثون ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم اي في اثباته واستحقاقه
كمال العبادة وذلك سلطان عليهم وهو سلب لبعض احوال البشر وكذلك قوله ولم يفرقهم الى قوله اخياف الهمم تنزيه لهم عن امور من عوارض
البشرية احدها سوء التقاطع وهو كتقاطع المتعادين وتباينهم الناشئ عن الغضب والشهوة الثاني الغل الحسد وقد علمت ان الحسد
رذيلة نفسانية تنبعث عن البخل والشره ومنبعها النفس الامارة الثالث تشعب مصارف الريب لهم والريب الشكوك والشبه
ومصارفها هي الامور الباطلة التي تنصرف اذهانهم اليها عن الشبه او تلك الشبهة والشكوك انفسها وتشعبها لهم اقتسامها بحيث
بحيث يذهب كل واحد من شبهة الى باطل وقد علمت ان منشاء الشكوك والشبهات هو الوهم والخيال ولما كانوا مبرئين عن النفوس
الامارة وجب تنزيههم عن هذه الامور الثلثة الرابع لما كان معبودهم واحدا وهو غاية مطلوبهم كانت هممهم فيه واحدة فلم يلتفتوا
الى شيء آخر ولم يفترقوا فيها السابع والثلثون فهم اسراء الايمان الى قوله ولا فتور استعار لفظ الاسر ورشح بذكر الربقة ونزههم عن
ان يجذبهم عن الايمان احد الامور الاربعة وقد سبق وجه تنزيههم عنها الثامن والثلثون وليس في اطباق السموات الى عظما المراد ان قوله صح
السموات مملوة بالملائكة فبين ساجد لربه وبين ساع مجد في امره واعلم ان للسماء ملائكة مباشرة لتحريكها وملائكة اعلى رتبة

من اولئك

فاولئك هم الآمرون لهم بالتحريك فيشبه ان يكون الاشارة بالساجدين الى الآمرين والسجود كناية عن كمال عبادتهم كناية بالمستعار ويكون
الاشارة بالساعين المسرعين الى المتولين بالتحريك فما زيادتهم بطول الطاعة علما بربهم فلما ثبت ان حركاتهم انما هي شوقية للتشبه
بملائكة اعلى منهم رتبة في كمالهم بالمعارف الالهية وظهور ما في ذواتهم بالقوة الى الفعل وزيادة عزة ربهم عندهم عظما بحسب زيادتهم معرفتهم له تابعة لها
كما بيناه قبل وبالله التوفيق ومنها في صفة الارض ودحوها على الماء كبس الارض على مور امواج مستفحلة ولجج بحار زاخرة تلتطم اواذي
امواجها وتصطفق متقاذفات اثباجها وترغو زبدا كالفحول عند هياجها فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن
هيج ارتمائه اذ وطئته بكلكلها وذل مستخذيا اذ تمعكت عليه بكواهلها فاصبح بعد اصطخاب امواجه ساجيا مقهورا وفي حكمة
الذل منقادا اسيرا وسكنت الارض مدحوة في لجة تياره وردت من نخوة بأوه واعتلائه وشموخ انفه وسمو غلوائه وكعمته
على كظة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان وثباته فلما سكن هيج الماء من تحت اكنافها وحمل شواهق الجبال البذخ على
اكتافها فجر ينابيع العيون من عرانين انوفها وفرقها في سهوب بيدها واخاديدها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها
وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع اديمها وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها
وركوبها اعناق سهول الارضين وجراثيمها وفسح بين الجو وبينها واعد الهواء متنسما لساكنها واخرج اليها اهلها على تمام مرافقها
ثم لم يدع جرز الارض التي تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الانهار ذريعة الى بلوغها حتى انشأ لها ناشئة سحاب
تحيي مواتها وتستخرج نباتها الف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين قزعه حتى اذا تمخضت لجة المزن فيه والتمع برقه في كففه
ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه ارسله سحا متداركا قد اسف هيدبه تمريه الجنوب درر اهاضيبه ودفع
شآبيبه فلما القت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت به من العبء المحمول عليها اخرج به من هوامد الارض النبات
ومن زعر الجبال الاعشاب فهي تبهج بزينة رياضها وتزدهي بما البسته من ريط ازاهيرها وحلية ما سمطت من ناضر انوارها
وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام وخرق الفجاج في آفاقها واقام المنار للسالكين على جواد طرقها فلما مهد ارضه وانفذ امره
اختار آدم صلوات الله عليه خيرة من خلقه وجعله اول جبلته واسكنه جنته وارغد فيها اكله واوعز اليه فيما نهاه عنه واعلمه
ان في الاقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته فاقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه فاهبطه بعد التوبة ليعمر ارضه
بنسله وليقيم الحجة به على عباده ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته ويصل بينهم وبين معرفته بل تعاهدهم
بالحجج على السن الخيرة من انبيائه ومتحملي ودائع رسالاته قرنا فقرنا حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وآله حجته وبلغ المقطع
عذره ونذره وقدر الارزاق فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من اراد بميسورها ومعسورها
وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها وبفرج افراحها غصص
اتراحها وخلق الآجال فاطالها وقصرها وقدمها واخرها ووصل بالموت اسبابها وجعله خالجا لاشطانها وقاطعا
لمرائر اقرانها عالم السر من ضمائر المضمرين ونجوى المتخافتين وخواطر رجم الظنون وعقد عزيمات اليقين ومسارق ايماض الجفون
وما ضمنته اكنان القلوب وغيابات الغيوب وما اصغت لاستراقه مصائخ الاسماع ومصائف الذر ومشاتي الهوام
ورجع الحنين من المولهات وهمس الاقدام ومنفسح الثمرة من ولائج غلف الاكمام ومنقمع الوحوش من غيران الجبال واوديتها

د منقمع

د ساجيا
د نزواته
د لسكانها
د منافقها
د اروائها
د درر
د دعص
د شمطت
د الوانها

ومخبأ البعوض بين سوق الاشجار والحيتها ومغرز الاوراق من الافنان ومحط الامشاج من مسارب الاصلاب وناشئة
الغيوم وملاحمها ودرور قطر السحاب ومتراكمها وما تسفي الاعاصير بذيولها وتعفو الامطار بسيولها وعوم بنات الارض
(هامش: وعوم نبات)
في كثبان الرمال ومستقر ذوات الاجنحة بذرى شناخيب الجبال وتغريد ذوات المنطق في دياجير الاوكار وما اوعته الاصداف
وحضنت عليه امواج البحار وما غشيته سدفة ليل او ذر عليه شارق نهار وما اعتقبت عليه اطباق الدياجير وسبحات النور
واثر كل خطوة وحس كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة ومستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة وهماهم كل نفس هامة وما عليها من
ثمر شجرة او ساقط ورقة او قرارة نطفة او نقاعة دم ومضغة او ناشئة خلق وسلالة لم تلحقه في ذلك كلفة ولا اعترضته
(هامش: اعتورته)
في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة ولا اعتورته في تنفيذ الامور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة بل نفذهم علمه واحصاهم
عده ووسعهم عدله وغمرهم فضله مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله اللهم انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير ان تؤمل
(هامش: عدده)
فخير مأمول وان ترج فخير مرجو اللهم وقد بسطت لي فيما لا امدح به غيرك ولا اثني به على احد سواك ولا اوجهه الى معادن
(هامش: فاكرم)
الخيبة ومواضع الريبة وعدلت بلساني عن مدائح الادميين والثناء على المربوبين المخلوقين اللهم ولكل مثن على من
اثنى عليه مثوبة من جزاء او عارفة من عطاء وقد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة اللهم وهذا مقام من افردك
بالتوحيد الذي هو لك ولم ير مستحقا لهذه المحامد والممادح غيرك وبي فاقة اليك لا يجبر مسكنتها الا فضلك ولا ينعش من خلتها
(هامش: كل شيء قدير)
الا منك وجودك فهب لنا في هذا المقام رضاك واغننا عن مد الايدي الى من سواك انك على ما تشاء قدير قوله كبسها اغاصها
في الماء بقوة والمور التردد في الحركة ومستفحلة صائلة والتلاطم التراد والاواذي جمع اذي وهو ما عظم من موج البحر والاصطفاق
التراد ايضا والاثباج جمع ثبج وهو معظمها وعواليها وجمح الفرس اذا غلب صاحبه ولا يملكه والارتماء التقاذف والتراد والكلكل
الصدر والمستخذي الخاضع والتمعك التمرغ واصطخب امواجه اي امواجه غلبتها واصواتها والساجي الساكن والحكمة ما احاط
من اللجام بحنك الدابة والدحو البسط والتيار الموج والنخوة الكبر والترفع والباو الفخر وشمخ بانفه تكبر والغلو التجاوز للحد
وكعمته شددت فاه والكظة شدة البطنة وهمد سكن وخمد والنزق الخفة والطيش ولبد لصق بالارض ساكنا والزيفان التبختر
والبذخ العالية والعرنين اعلى الانف عند ملتقى الحاجبين والسهوب جمع سهب وهو الفلاة الواسعة والبيد جمع البيداء وهي
الفلاة ايضا والاخدود الشق في الارض والجلاميد الصخور والشناخيب رؤس الجبال والشم العالية والصيخود الصخرة الصلبة
واديمها سطحها وتغلغلها دخولها في اعماقها والتسرب الدخول في السرب والجوبة الفرجة في الارض وجراثيم الارض عاليها
وما اجتمع منها وارض جرز لا نبات بها لانقطاع الماء عنها والروابي عوالي الارض والقزع قطع السحاب الرقيقة الواحدة
قزعة والكفة بالضم ما استطال من السحاب وما استدار فبالكسر والوميض اللمعان والكنهور العظيم من السحاب والرباب
الغمام الابيض والسح الصب واسف دنا من الارض لثقله وهيدبه ما تهدب منه الى الارض اي تدلى وتمريه تستخرج
ما فيه من الماء والدرر جمع درة وهي كثرة اللبن وسيلانه والاهاضيب جمع هضاب وهو جمع هضب وهو حلبات القطر
والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة القوية من المطر والبرك الصدر والبواني ما يلي الصدر من الاضلاع وبعاع السحاب
ثقله بالمطر والعبء الثقل وجبلة زعراء لا نبت بها وتزدهي تتكبر والريط جمع ريطة وهي الملاءة والازاهير النيرة وسمطت زينت

بالسمط

بالسمط وهو العقد ومن روى شمطت بالشين المعجمة اراد خلطت والجبلة الخلقة واوعز اليه بكذا تقدم اليه به والعقابيل بقايا
المرض والترح الحزن والفاقة الفقر والخلج الجذب والانتزاع والاشطان جمع شطن وهي الحبال والمراير ايضا الحبال اللطيفة الفتل
والتخافت المسارة والرجم بالظن القول عنه والغيابة ظلمة قعر البير ومصايخ الاسماع خروقها والاصاخة التسمع والولايج
المداخل والاكمام جمع كم بالكسر وهو غلاف الطلع والمنقمع محل الانقماع وهو الارتداع ولحى الشجرة قشرها والافنان الاغصان
والامشاج النطفة المختلطة بالدم وتعفوا تمحوا وشناخيب الجبال رؤسها وذراها اعاليها والتغريد ترديد صوت الطاير
والدياجير جمع ديجور وهو الظلام والسدفة الظلمة وذر الشارق طلع ورجع الكلمة جوابها والنقاعة نقرة يجتمع فيها الدم
واعتورته احاطت به والعارفة المعروف والخلة الفقر وانعشه انهضه من عثرته واعلم ان هذا الفصل يشتمل على فصول الفصل
الاول في تمجيد الله تعالى باعتبار خلقه للارض في الماء وجملة من احوالها وهو الى قوله جواد طرقها وفيه ابحاث البحث الاول في الاستعارات
والتشبيهات وابحاث لفظيه الاول استعارة لفظ الكبس لخلقه لها غايصا معظمها في الماء كما يغوص بعض الزق المنفوخ ونحوه
بالاعتماد عليه الثاني استعارة لفظ الاستفحال للموج ووجه المشابهة ما اشترك فيه الموج والفحل من الاضطراب والهيجان والصولة
الثالث تشبيهه بالفحول الهايجة ووجه الشبه ما يظهر على رؤس الموج عند اضطرابه وغليانه من رغوة الزبد كما يظهر من فم الفحل عند هياجه
الرابع استعار لفظ الجماح لحركة الماء على غير نسق واضطراب لا يملك معه تصريفه كما يجمح الفرس الخامس استعار اوصاف الناقة من الكلكل
والكاهل للارض ورشح تلك الاستعارة بالوطي والتمعك وانما خص الصدر والكاهل لقوتهما وكنى بالمجموع عن الحاقها بالناقة السادس استعار
للماء لفظ الاستخذاء والقهر ولفظ الحكمة والانقياد وكنى بها عن الحاقه بحيوان صايل قهر كالفرس واضاف الحكمة الى الذل اضافة
للسبب الى المسبب السابع استعار لفظ النخوة والباؤ وشموخ الانف والتيه والغلواء والنزق والزيفان والوثبات للماء في هيجانه
واضطرابه ملاحظة لشبهه بالانسان المتجبر التياه في حركاته المؤذنة بتكبره وزهوه الثامن استعار لفظ الاكتاف للارض ووجه
المشابهة كون الارض محلا لحمل ما ثقل من الجبال كما ان كتف الانسان وغيره محل لحمل الاثقال التاسع استعار لفظ العرنين والانف لاعالي رؤس
الجبال كناية عن الحاقها بالانسان العاشر كنى بالتغلغل والتسرب عما يتوهم من نفوذ الجبال في الارض وغوصها فيها واستعار لفظ الخياشيم
لتلك الاسراب الموهومة ولما جعل للجبال انوفا جعل تلك الاسراب المتوهم قيام الجبال فيها خياشيم الحادي عشر استعار لفظ الركوب للجبال
والاعناق للارض كناية عن الحاقها بالفاهر والمقهور الثاني عشر استعار لفظ الوجدان والذريعة للجداول كناية عن الحاقها بالانسان
عديم الوسيلة الى مطلوبه الثالث عشر الضميران في تغلغلها وركوبها للجبال والضمير في خياشيمها يعود الى الارض وباقي الضماير ظاهر
الرابع عشر يجوز في اسناد لفظ الاحياء والاستخراج الى السحاب اذ المخرج هو الله تعالى الخامس عشر كنى بعدم النوم عن عدم اخفاء وميض
البرق في السحاب كناية بالمستعار السادس عشر استعارة لفظ الهدب لقطرات المطر المتصلة يتلو بعضها بعضا ملاحظة لشبهها بالخيوط
المتدلية السابع عشر استعار لفظ الدر والاهاضيب وهي الحلباب للغمام كناية عن الحاقها بالناقة الثامن عشر اسند المري الى الجنوب مجازا
او لان لها سببية ما في نزول الغيث وانما خص الجنوب لانها في اكثر البلاد حارة رطبة اما الحرارة فلانها تاتي من الجهة المتسخنة بمقاربة
الشمس واما الرطوبة فلان البحار اكثرها جنوبية والشمس تفعل فيها بقوة وتتجزى عنها ابخرة تخالط الرياح واذا كان كذلك كانت الجنوب
اولى بالذكر من وجهين احدهما انها اكثر استصحابا للابخرة فلذلك كان السحاب اكثر تعلقا دامها ومصاحبة لها الثاني انها لحرارتها تفتح المسام

ولرطوبتها تزخرو كان دور المطر عنها اكثر التاسع عشر استعار لفظ البرك والبوانى للسحب واسند اليه الالقاء كناية عن الحاقه بالحبل الذى اثقله
الحمل فرمى بصدره الى الارض العشرون نسب الابتهاج والازدهاء والتلبس الى الارض ذات الازاهير مجازا ملاحظة لتشبيهها بالمراة المبتهجة
بما عليها من فاخر الملبوس وجميل الثياب البحث الثانى ان مقتضى الكلام انه تعالى خلق الماء قبل الارض كان سطحه الباطن المماس لسطحه
الظاهر مكانا لها وظاهر ان المكان تقدم زمانيا كما هو المعقول عند السامعين البحث الثالث انه اشير الى كونها مدحوة فى القران الكريم ايضا
والارض بعد ذلك دحاها مع ان الارض كرة كما ثبت بيانه فى علم الهيئة فلابد من التاويل وقد نبهنا عليه فى قوله اللهم داحى المدحوات وقد ورد
فى الخبر ان الارض دحيت من تحت الكعبة قال بعض العارفين الاشارة بالكعبة الى كعبة وجود واجب الوجود التى هى مقصد وجوه المخلصين
التى جعلت هذه الكعبة فى عالم الشهادة مثالها ودحوها من تحتها عبارة عن وجود ما عن ذلك المبدا البحث الرابع الاشارة الى خلق الجبال
فيها وكونها سببا لسكونها وللناس فى تكوين ما تكون منها من الجبال فيها وجوه احدها انه قد يكون عن بحارة زالت مياهها الثانى قد تكون
عن زلزلة فصلت قطعة على ناحية فارتفعت الثالث قد يكون عن رياح جمعت بهبوبها ترابا فتراكم وعلى الرابع قد يكون لعمارات
تراكمت فتخربت فاما كونها اسبابا لسكون الارض فقد سبقت الاشارة اليه فى الخطبة الاولى واعلم ان البرهان مطابق على الشهادة بسكونها
كما اشير اليه فى مظانه البحث الخامس فى تفجير ينابيع العيون فى الجبال وغيرها وقد اشار العلماء الى اسبابه فقالوا ان الادخنة والابخرة ما يحتبس منها
تحت الارض وفيه نقب وفرج فيها هواء او بخار ومياه فقد تبرد الابخرة والهواء فيصير ماء فان كان له قوة ومدد ينفجر عيونا وجرى على
الولاء لعدم مدخل الهواء بين الخارج وما يتصل به ويتبعه وما لا مدد له من العيون يركد وما له مدد الا ان اجزاءه مبردة والارض
واهية لا تحتاج الى مقاومة يحصل منه القنوات وماء البئر ايضا من قبيل ماله مدد لكنه لم يجد سبيلا الى احد الجوانب لعدم رخاوة ارضه
بخلاف القنوات وانما خص الجبال بتفجير العيون منها لان العيون اكثر ما تنفجر من الجبال والاماكن المرتفعة ولذلك لشدة احتقان
الابخرة تحتها بالنسبة الى سائر الاماكن الهابطة الرخوة فان الارض اذا كانت رخوة نفضت البخار عنها فلا يكاد يجتمع منه قدر يعتد به ولان
هذا التخصيص ادل على حكمة الصانع وعنايته بالخلق وهو فى معرض تمجيده وتعديد الايه البحث السادس انه اعد الهواء لساكنيها واعلم انه سبحانه
كما جعل الهواء عنصر الابدان الحيوان وارواحه البدنية كذلك جعله مددا يصل الى الارواح ويكون علة لصلاحها وبقائها بالتعديل وذلك
التعديل يكون بفعلين احدها الترويح والثانى التنقية اما الترويح فهو تعديل مزاج الروح الحار اذا افرط بالاحتقان فى الاكثر
فان الهواء الذى يحيط بنا ابرد بكثير من ذلك المزاج فاذا وصل اليه باستنشاق الرية من مسام منافس النبض وصدمه وخالطه
منعه عن الاستحالة الى النارية الاحتقانية المؤدية الى سوء مزاج يزول به عن الاستعداد لقبول التاثير النفسانى الذى هو سبب
الحياة واما التنقية فهى باستصحابه عند رد النفس لما سلمته اليه القوة المميزة من البخار الدخانى الذى نسبته الى الروح نسبة الخلط
الفضلى الى البدن فكما ان التعديل هو بورود الهواء على الروح عند الاستنشاق فالتنقية بصدوره عنه عند رد النفس وذلك ان
الهواء المستنشق انما يحتاج اليه فى تعديله اول وروده لكونه باردا بالفعل فاذا استحال الى كيفية الروح بالتسخن لطول مكثه
بطلت فايدته فاستغنى عنه واحتيج الى هواء جديد يدخل ويقوم مقامه فدعت الضرورة الى اخراجه لاخلاء المكان لمعاقبه
وليندفع معه فضول جوهر الروح فهذا معنى قوله عليه السلم واعد الهواء متنسما لساكنها واعتبار اعداده لمنفعة الحيوان اعم مما ذكرنا
فانه ايضا معد لسائر الامزجة المعدنية والنباتية والحيوانية التى يحتاج الانسان فى بقائه اليها وكونه عنصرا لها ومعتبرا فى بقائها

وعند ملاحظة هذه المنافع في الهواء يظهر انه نعمة الله تعالى البحث السابع في اخراجه تعالى اهل الارض اليها بعد تمام مرافقها كما قال تعالى والارض
مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين والاشارة باهلها المخرجين اليها
الى الحيوان مطلقا واعلم ان اول ارتفاقهم بها ان جعلها قرارا لهم صالحا للسكنى عليها كما قال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا ولكونها فراشا شرايط
احدها ان تكون ساكنة ليصح الاستقرار عليها والتصرف فيها بحسب الاختيار وموافقة المصلحة دون كونها متحركة الثاني ان تكون خارجة من الماء
وذلك ان الانسان وغيره من الحيوانات البرية لا يمكنه ان يعيش في الماء فاقتضت عناية سبحانه بالحيوان ان ابرز بعضها من الماء ليعيش فيه
ويتصرف عليه الثالث ان لا تكون في غاية الصلابة كالحجر والا لكان النوم عليها مولما وايضا لم يكن لينبت فيها انواع النبات والاشجار
لكانت تسخن كثيرا في الصيف وتبرد كثيرا في الشتاء فما كانت تصلح لسكنى الحيوان وايضا كان يتعذر حفرها وتركيب بعضها ببعض الرابع
ان لا تكون في غاية الرخاوة كالماء وغيره من المايعات التي يغوص فيها الانسان الخامس انه سبحانه لم يخلقها في غاية الشفافية واللطافة
فانها ان كانت مع ذلك جسما سيالا كالهواء لم يتمكن من الاستقرار عليه وان كانت جسما ثابتا صقيلا براقا احترق الحيوان وما عليها
بسبب انعكاس اشعة الشمس عليها كما يحترق القطن اذا قرب من المرايا المحاذية للشمس والبلور لكنه خلقها غبرا ليستقر النور على وجهها
فيحصل فيها نوع من السخونة وخلقها كثيفة لئلا تنعكس الاشعة منها على ما فيها فتحرقه فصارت معتدلة في الحر والبرد تصلح ان يكون فراشا
ومسكنا للحيوان المنفعة الثانية خلق الجبال فيها و[illegible] تحجرها بالماء كما سبقت الاشارة اليه المنفعة الثالثة ما يتولد فيها من المعادن والنبات
والحيوان وفي انواع كل من هذه الموجودات واختلاف اصنافه والوانه وروايحه وطعومه ولينه وصلابته وملاسته وخشونته ما لا يحصى
من المنافع التي يحتاج اليها الانسان في بقائه وصلاح حاله المنفعة الرابعة كونها اصل البدن الانسان وذلك ان الماء لرقته ورطوبته لا
يحفظ الشكل والتصوير فاذا خلط بالتراب حصل له قوام واستمساك وحصل قبول الاشكال والتخطيط كما قال تعالى اني خالق بشرا من طين
المنفعة الخامسة قبولها للحياة بعد الموت كما قال تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها الثامن في تمجيده تعالى باعتبار انشائه للسحاب والبرق والنظر في
وجه الحكمة فيه وفي اصله وفي حياة الارض به اما وجه الحكمة في انشائه فكونه مادة لما ينبت في الارض الجرز مما هو قوام بدن الحيوان وغذاء له كما اشار عليه السلام بقوله ثم لم
تدع جرز الارض التي تقصر مياه العيون والانهار عنها ولا تجد جداول الارض ذريعة الى بلوغها الى قوله وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام
ونحوه قوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون البحث التاسع في تمجيده باعتبار تخديده
للفجاج في افاقها اي الطرق الواسعة في نواحيها كما قال تعالى وجعل لكم فيها فجاجا سبلا لعلكم تهتدون ثم باعتبار اقامة المنار للسالكين فيها
والاشارة بالمنارة اما الى النجوم كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون او الى الجبال الفصل الثاني في تمجيده تعالى باعتبار خلقه لادم واختياره له
واتمام نعمته ومقابلته بالعصيان [illegible] ومقابلة عصيانه بقبول توبته واهباطه الى الارض اكرام ذريته بعده ببعثة الانبياء منهم
اليهم وقسمة بينهم معيشتهم واجالهم بالقلة والكثرة وابتلائه لهم بذلك وهو من قوله فلما مهد ارضه وانفذ امره الى قوله قاطعا لمرائر اقرانها)
واعلم ان الكلام في قصة ادم عليه السلام في الخطبة الاولى مستوفى فلا نعيده غير ان في هذا الكلام فوايد الفايدة الاولى معنى قوله مهد ارضه اي
جعلها مهادا كقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا او جعلها مهدا كقوله تعالى جعل لكم الارض مهدا وعلى التقدير الاول اراد [illegible] انه لما خلقها
بحيث يسهل على العباد ان يتصرفوا فيها بالقعود والقيام والزراعة وسائر جهات المنفعة وانفذ امره في خلق ادم خلقه بعد ذلك وعلى
التقدير الثاني يكون لفظ المهد استعارة لها ملاحظة لتشبيهها بمهد الصبي في كونه محل الراحة والنوم الفايدة الثانية قوله وانفذ امره في ايجاد

والمشي صح

مخلوقاته وتمامها محكم على العالم بالتمام باختيار نوع الانسان الذي هو تمام دائرة الوجود فقال لكن فكان العاشر قوله لقد
نصب على الحال ويحتمل النصب على المصدر وشاهد كونه خيرة الله من خلقه قوله تعالى ان الله اصطفى آدم وقوله ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم
من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وبيان هذا التكريم من وجهين احدهما قال ابو يزيد البسطامي ان انواع كرامات الله
في حق البشر غير متناهية كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا على سبيل الاجمال اما التفصيل ففي وجوه الاول انه سبحانه يمطر كل ساعة
على المتوكلين مطر الكفاية كما قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه الثاني انه يمطر كل ساعة على المطيعين مطر المودة قال تعالى سيجعل لهم الرحمن
ودا الثالث انه يمطر على المجتهدين مطر الهداية كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الرابع انه يمطر على الشاكرين مطر الزيادة كما
قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم الخامس انه يمطر على المتذكرين مطر [illegible] البصيرة كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون الثاني ان التكريم لآدم وذريته اما باحوال داخلة في الانسان او خارجة عنه والداخلة فيه اما بدنية او غيرها
اما البدنية التي اكرم بها فامور الاول الصورة الحسنة كما قال تعالى وصوركم فاحسن صوركم الثاني حسن القامة والتعديل كما قال تعالى لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم وذلك ان الشيء كلما كان اكثر علوا وارتفاعا كان اشرف في نوعه فان احسن الاشجار اعلاها امتدادا الثالث
انه اكرمه بتمكينه من القيام والقعود والاستلقاء والانبطاح والاضطجاع وذلك انه تعالى ركب الخلق على اصناف اربعة احدها ما يشبه
القائمين كالاشجار وثانيها ما يشبه الراكعين كالبهائم وثالثها ما يشبه الساجدين كالحشرات التي تدب على وجوهها وبطونها
ومنها ما يشبه القاعدين كالجبال ثم انه سبحانه خلق الانسان قادرا على جميع هذه الهيئات ومكنه من ذكره على جميع هذه الاحوال
كما قال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم واما الاحوال التي اكرم بها غير بدنية فامور احدها الروح التي هي محل العلم
باشرف الموجودات ومبدئها وهو الله تعالى كما قال ونفخت فيه من روحي وشرفه باضافة روحه اليه وبهذا الشرف يتميز عن سائر الموجودات في
هذا العالم الثاني العقل وشرفه من وجوه الاول ما روي ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام اذا رأيت عاقلا فكن له خادما الثاني قول الرسول صلى الله عليه وآله
اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي
وبك اثيب وبك اعاقب واعلم ان للعقل بداية ونهاية وكلاهما يسميان عقلا اما الاول فهو القوة المهيئة للعلوم الكلية الضرورية
كما للطفل وهو المشار اليه بقول النبي عليه السلام والثاني العقل المستفاد وهو المشار اليه بقوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام اذا تقرب الناس الى خالقهم
بابواب البر فتقرب انت اليه بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة الثالث العلم والحكمة التي
هي ثمرة العقل كما قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وسماه حيوة ونورا فقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
واما التكرمة الخارجة عنه فامور احدها انه خلق ما سواه منفعة له فقال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال وسخر لكم ما في
السموات وما في الارض جميعا منه ففرش الارض وجعل السماء سقفا محفوظا وجعل ما اخرج به الارض رزقا له وما ارسله من السحاب
من ماء مادة لذلك كما قال تعالى وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار
واكرمه بخلق الشمس والقمر والنجوم كما قال وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وقوله وجعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات
البر والبحر قال ولتعلموا عدد السنين والحساب واكرمه بخلق الانعام فجعل منها غذاءه وملبوسه وراحته وجماله وزينته فقال والانعام

خلقها

خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال الى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون الثاني روى
عن امير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم انه قال بالدعوة والجنة كما قال تعالى والله يدعو الى دار السلام الثالث انه اكرمهم بتخيير
قلوبهم لمعرفته والسنتهم بشهادته وابدانهم لخدمته فشرفهم بتكليفه وبعثة الانبياء اليهم من انفسهم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم
ثم جعل آدم والانبياء من ذريته اكرم عباده لديه مجتباهم بالنبوة والرسالة كما قال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم
وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض ثم فضل اولي العزم من الرسل ثم فضل بعضهم على بعض وهو الخليل والكليم والروح والحبيب
فقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس
ثم فضل محمدا صلى الله عليه وآله على الكل فقال وكان فضل الله عليك عظيما وجعله غاية طينتهم وخاتمة كمالهم فقال ولكن رسول الله وخاتم
النبيين الفايدة الرابعة قوله وجعله اول جبلته اشارة الى ان آدم اول شخص تكون في الوجود من نوع الانسان وقوله والمجاطرة
بمنزلته اي عند الله وكونه مستحقا للقرب منه وقوله موافاة لسابق علمه اشارة الى ان وقوعه في الوجود بقدر عن ضابط العلم والقضاء
الالهي السابق الفايدة الخامسة قوله فاهبطه بعد التوبة من قال ان المراد بآدم هو نوع النفوس البشرية وقد ثبت انه حادث او الشخص
الاول منها قال ان التوبة قبل الاهباط هي التوبة بالقوة المعلومة لله من عصاة اولاد آدم السابقين اليه قبل اهباط نفوسهم من درجات
عرفانهم والتفات وجوههم الى عمارة الارض والاشتغال بالحرث والنسل والانبياء عليهم السلام يرجعون عن المباحات الى ما هو الاولى
والاتم من عبادة الله ومطالعة انوار كبريائه ويعدون ما رجعوا عنه ذنبا ورجوعهم عنه توبة كما قال النبي صلى الله عليه وآله انه ليغان
على قلبه فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وليس ذلك المستغفر منه الا الاشتغال في هذه بتدبير امور الارض وعمارتها والاشتغال بذلك
عن الخلوة بالله واستنزال انوار قدسه الفايدة السادسة قوله وليقيم الحجة به على عباده الذين بعث آدم حجة عليهم اما اولاده
الموجودون في زمانه والمنقول ان الله تعالى انزل من الاحكام تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم احدى وعشرين ورقة
وهو اول كتاب كان في الدنيا اجرى الله عليه الالسنة كلها الفايدة السابعة قوله ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته اي ان
حجة ربوبيته قائمة عليهم في كيفية تخليقه لهم وخلق ما يستدلون عليه به من صنعه كما قال سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم
انه الحق الآية وغيره من الآيات وانما يكون بعثة الانبياء مؤكدة لتلك الحجج المذكرة للغافلين عنها بها ومنبهة على وجودها وموصلة
بينهم وبين معرفته بما جاءت به من الكتب المنزلة والسنن الشريفة وقوله وبلغ المقطع عذره ونذره اي اعذاره الى الخلق وانذاره
لهم بلغ الغاية ومقطع كل شيء غايته الفايدة الثامنة تقدير الله ارزاقهم تقسيمه لها واعطاء كل مخلوق ما كتب له في اللوح المحفوظ
منها من قليل وكثير وضيق وواسع ومتيسر ومعاقبة الاضداد عليهم من تنغيص سعة الغنى بلواحق الفقر والفاقة كما قال
فبينما الانسان في ملكه اصبح محتاجا الى الفلس وكذلك الحاقه السلامة في النعم بطوارق الآفات من غرق او حرق او غصب ظالم
وغلبة غاشم وكذلك سعة الارزاق وفرح افراحها وتكديرها بغصص احزانها واتراحها ثم خلقه الآجال متفاوتة بالطول
والقصر والتقدم والتأخر الفايدة التاسعة تقديره للموت متصلا باسبابها ولما كان الاجل عبارة عن وقت ضرورة الموت.
وكانت اسباب حلول تلك الاوقات هي بعض الامراض القتل مثلا لا جرم صدق ان الموت الذي هو عبارة عن مفارقة الارواح
لاجسادها متصلا بتلك الاسباب واستعار لفظ الخلج وهو الجذب للموت ورشح بذكر الاشطان ووجه المشابهة ما يستلزمه

الموت من قرب الاجل كما يستلزم مد الجاذب من قرب المجذوب اليه فقدر الموت جاذبا للاجل بالحبال كما يجذب بها الانسان ما يريد واماكونه
قاطعا للمرائر فلانها فاستعار ايضا لفظ المرائر لاسباب العلاقة بين اقران الاجال وهم المتقاربون فى الزمان الواحد الذى يتصل بهم الاجل
وتلك الاسباب كالصداقة والاخوة وسائر اسباب العلاقة بين الناس وظاهر كون الموت قاطعا لتلك المرائر الفائية العاشرة انه عليه السلم جعل قسمة
الله تعالى للارزاق وتقديرها بالكثرة والقلة والضيق والسعة صورة ابتلاء من الله للشكر من الاغنياء والصبر من الفقراء وقد اشرنا فى قوله الا ان الدنيا
دار لا يسلم منها الا فيها الا ان المراد بالابتلاء من الله معاملته تعالى لعباده معاملة المبتلين المختبرين لانه سبحانه عالم الخفيات والسرائر فلا يتصور
فى حقه الاختبار حقيقة الا انا نزيد ههنا بيانا فنقول ان العبد اذا امكن فى خاطره ان ما يفعله الله فى افاضة نعمه عليه او جوائزها ابتلاء
لشكره او صبره فشكر او صبر حصل من شكره او صبره على ملكات فاضلة فى نفسه يستعد بها فى نفس الكمال وتمام النعمة كما قال تعالى لئن شكرتم
لازيدنكم وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم
المهتدون واما التحقيق فى امثال هذه القسمة من ضيق رزق او سعة او طول اجل او قصره او معاقبة شدة لرخاء وحزن لفرح فهو ان
لكل واحد من هذه الامور اسباب قد تخفى على من تعرض له ولا بد من انتهائها الى القضاء الالهى فما عد منها خيرا فهو داخل للارادة الكلية للخير المطلق بالذات
وما عد منها شرا فداخل فى القضاء الالهى بالعرض كما علم ذلك فى مظانه وبالله التوفيق الفصل الثالث فى تمجيده سبحانه باعتبار كونه عالما بالاشياء
وعد من جزئياتها جملة هى من قوله عالم السر من ضمائر المضمرين الى قوله او ناشية خلق وسلالة ولنشر الى ما عساه يشكل من الفاظه الاول اخطار رجم
الظنون لما كان الخاطر الظنى للانسان يتعلق بمظنون لا محالة بعد ان لم يكن اشبه تعلقه به الرجم وهو الرمى بالحجر ونحوه فاستعير لفظه له وانما خص
الظن بذلك دون العلم لما ان كثيرا ما يظن ما لا يجوز ظنا غير مطابق كما يظن ببعض الناس ما يقبح منه ويصل اليه بسببه اذى وان لم يكن صدقا
فكان اشبه الاشياء برميه بالحجر المستلزم للاذاة الثانى عقد عزيمات اليقين ما انعقد فى النفس من العزوم عن تيقن الثالث ومسارق ايماض
الجفون لما اشبه شعاع البصر البروق وميضه واختفائه عند فتح الجفون وطبقها استعار لفظ الوميض لبروزه ولفظ المسارق
لمخارجه الرابع استعار لفظ الاكنان للقلوب بالنسبة الى ما اخفته من الاسرار ولفظ الغيابات للغيوب ووجه المشابهة كون
القلوب حافظة كالبيوت وكون الظلمات مانعة من ادراك المبصرات كما يمنع الغيوب ادراك ما فيها الخامس مصائف الذر ومشاتى الهوام
بيوتها وامراتها الصيفية والشتوية من بطن الارض الموافقة لها حر الصيف وبرد الشتاء ورجع الحنين من المولهات ترديد صوت
الثكلى فى بكائها وحنينها الى من فقدته السادس ولايج غلف الاكمام انما حسنت الاضافة هنا لان لها كل كبر غلافا ولا ينعكس فجاز
تخصيص العام بالاضافة الى بعض جزئياته السابع محط الامشاج محل نزول النطف من الاصلاب ومسارتها وهى الاوعية التى يتشرب
فيها المنى والاخلاط التى يتولد عنها الثامن وما تسفى الاعاصير بذيولها اى ما تثيره وتذروه من التراب واستعار لفظ الذيول لما اخذ
الارض منها التاسع استعار لفظ العوم لدخول عروق النبات فى نواحى الارض لملاحظة شبهها بالماء وروى بنات الارض بتقديم
الباء وهى الهوام التى تنشا فى الرمل وتغوص فيه وتستتر كالحلكة وهى دويبة كالعظاءة دون الشبر صفراء ملساء تستعملها العرب للسمنة
وكنوع من الحيات وغيرها العاشر وتغريد ذوات المنطق استعار لفظ المنطق للطير ووجه المشابهة ان مدلول تغريدها معلوم لها فاشبه
النطق المفيد من الانسان الحادى عشر ما اوعته الاصداف كاللؤلؤ والمرجان وما حضنت عليه امواج البحار من لؤلؤ وحيوان وغيرهما
لفظ الحضن مستعار للامواج ملاحظة لشبهها بالحواضن فى انطباقها على البيض والفراخ الثانى عشر سبحات النور ما تنزه منه عن كدر

الظلمة

الظلمة ولفظ النور مستعار لمعارف جلال الله والضمير في قوله عليها يرجع الى الارض ومرارة النطفة مستقرها من الارحام ولفظ النقاعة
استعارة لمحل دم الحيض والمضغة الولد في بعض اطوار خلقه كما عرفناه قبل وناشئة الخلق ما نشأ من مخلوقاته الثالث عشر قوله لم يلحقه في
ذلك كلفة الى قوله ولا فترة الكلفة كون الفعل مستلزما للفاعل نوع مشقة وتلك المشقة اما لضعف قوة الفاعل او ضعف الته او قصور
علمه عن تصور ما يفعل والبارى تعالى منزه عن هذه الامور لاستلزامها الحاجة وكذلك العارضة من عوارض موانع العلوم وبعودها يستلزم وجود
المقادم والمثل وقد تنزه قدس الحق عنهما واما الملالة فالمفهوم انصراف النفس عن الفعل بسبب تحلل الارواح الدماغية وضعفها عن العمل
او لمعارض خولها وقد علمت انها من لواحق الاجسام وكذلك الفترة والبارى منزه عنها الرابع عشر قوله بل نفذهم علمه الى قوله وغمرهم فضله
اثبت كل واحدة من هذه القرائن الاربع مقابلة للاربع التي نفاها فنفاذ علمه فيهم مقابل لما نفاه من لحوق الكلفة في علمه بهم واحصاؤه لهم
بعده مقابل لاعتراض العارضة في حفظ خلقه ووسع عدله لهم مقابل لاعتوار الملالة في تنفيذ اموره وتدبير مخلوقاته اذ كان مقتضى عدله
فيهم وضعه لكل موجود في مرتبته وهبته له ما يستحقه من زيادة ونقصان مضبوطا بنظام الحكمة واعتراض الملالة سبب لاختلال
نظام الفعل وقوله وغمرهم فضله مقابل لنفي الفترة فان فتور الفاعل عن الفعل مانع له عن تتمة فعله وتمام جوده وقوله مع تقصيرهم
عن كنه ما هو اهله تنبيه على حقارة عبادتهم في جنب عظمته واستحقاقه لما هو اهله ليدوم شكرهم وثناؤهم ولا يستكثروا شيئا من
طاعاتهم وبالله التوفيق الفصل الرابع في تمجيده خطابا بالدعاء وطلب الجزاء ما سبق من ثنائه وتعديد اوصافه الجميلة وهو رضاه عنه
واغناؤه عن غيره وفيه اشارات الاولى قوله انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير اشارة الى انه تعالى بحسب استحقاق الوصف باشرف
طرفي النقيض كان اهل الوصف الجميل وباعتبار تعدد ثنائه وحمده بالنظر الى كل جزئي من جزئيات نعمه هو اهل التعداد الكثير الثانية
قوله وقد بسطت لي فيما امدح به غيرك ولا اثني به على احد سواك اشارة الى اذنه له في شكره والثناء عليه بالاوصاف الجميلة التي لا يستحقها
حقيقة الا هو ولا ينبغي ان يطلق الا له ومعنى هذا الاذن اما الهام حسن شكر المنعم ومن حيث اذ لا منعم في الحقيقة الا هو فلا يستحق التمجيد المطلق
الا هو واما مخاطبته له بايجاب الشكر كقوله واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وبالتسبيح في قوله تعالى ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله وسبحوه
بكرة واصيلا واستعار لفظ المعادن للخلق ووجه المشابهة ان معدن الشيء كما انه مظنة المطلوب منه كذلك الخلق ارباب النعم الفانية مظان خيبة
طالبها من ايديهم وحرمانها وكذلك مواضع الريبة اي الشك في منعهم وعطائهم لها ولذلك فسره بقوله وعدلت بلساني عن مدائح الادميين
والثناء على المربوبين المخلوقين الثالثة قوله دليلا نصب على الحال او المفعول والمراد برجائه دليلا على ذخائر الرحمة رجاؤه ان يسوقه
بهدايته الى وجوه الاستعدادات الى رحمته ويستر عليه بتهيئته للالتفات اليه عن كل خاطر سواه فان كل خاطر سوى الحق سبحانه
ذنب في حق مثله عليه السلام ولفظ الذخائر والكنوز مستعاران لجوده الرابعة قوله هذا مقام من افردك بالتوحيد اشارة الى مقامه بين
يديه بهذا الذكر والتوحيد في خطبته وهو توطية لذكر مطلوبه واستنزال رحمة الله ثم قال وبي فاقة اليك فذكر وجه استحقاق الجود
اولا وفقر سد تلك الفاقة على فضله اذ لم تكن فاقة في امر دنيوي يمكن المخلوقين الاتيان ثم ارد فيذكر مطلوبه وهو رضا الله
واغناؤه عن سواه وظاهر ان حصولهما مستلزم لما رجا الله دليلا عليه من ذخائر رحمته وكنوز مغفرته وبالله العصمة والتوفيق

ومن كلام له عليه السلام لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تقوم له
القلوب ولا تثبت عليه العقول وان الافاق قد اغامت والمحجة قد تنكرت واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ

ذلك

فانا

الى قوله القايل وعتب العاتب وان تركتمونى فانا كاحدكم ولعلى اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم وانا لكم وزيرا خير لكم منى اميرا

اقول حاصل هذا الفصل انه لابد لكل مطلوب على امر من تعزز فيه وتمنع والحكمة فى ذلك ان الطالب له يكون بذلك ارغب فيما يطلب فان الطبع حريص على مامنع سريع النفرة عما سورع الى اجابته فيه فاراد عليه السلم التمنع عليهم لتقوى رغبتهم اليه فانه لم يصل اليه هذا الامر الا بعد اضطراب فى الدين فى قتل عثمان والجرأة على الدم فاحتاج فى تقويم الخلق وردهم الى قواعد الحق الى ان يزدادوا فيه رغبة بهذا الكلام ومثله فقال دعونى والتمسوا غيرى الا ترى انه نبههم بعد هذا التمنع على ان ههنا امورا صعبة مختلفة يريد ان ينكرها عليهم ويقاوم ببعضهم فيها بعضا ويحملهم على الصلاح وجعل استقباله لتلك الامور الصعبة علة لاستقالته فى هذا الامر فقال فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لاتقوم له القلوب اى لاتصبر ولاتثبت عليه العقول بل تنكره وتاباه لمخالفته الشريعة ومضادته لنظام العالم وذلك الامر هو ماكان يعلمه من اختلاف الناس عليه بضروب من التاويلات الفاسدة والشبهات الباطلة ككفر معاوية واهل البصرة له بدم عثمان وكفر وبل الخوارج عليه بالرضا بالتحكيم ونحو ذلك وهو المكنى عنه بالوجوه والالوان كناية بالمستعار وقوله وان الافاق قد اغامت والمحجة قد تنكرت استعار لفظ الغيم لما غشى افاق البلاد واقطار القلوب المتغيرة العازمة على الفساد من ظلمات الجهل ووجه المشابهة ماتستلزمه هذه الظلمات من توقع نزول الشرور منها كما يتوقع نزول المطر والصواعق من الغيم واشار بالمحجة الى واضح طريق الشريعة وتنكرها جهل الناس بها وعدم سلوكهم لها وقوله واعلموا الى قوله عتب العاتب لما تمنع عليهم وعلم صدق رغبتهم فيه شرع فى تقرير ما يريد ان يفعله تقريرا اجماليا عليهم مع تمنع دون الاول فاعلمهم انه على تقدير اجابتهم الى هذا الامر لايركب بهم الا مايعلم من امر الشريعة ولايصغى الى قول قايل خالف امر الله لمقتضى هواه ولاعتب عاتب عليه فى انه لم يفضله او لم يرضه بما يخالف مايعلمه من امر الشريعة اذ القايل والعاتب فى ذلك معترض على الله وعاتب عليه ولقد وفى عليه السلم بما وعدهم به من ذلك كما ستذكره من قصة اخيه عقيل لما استماحه صاعا من بر او شعير فحمى له حديدة وقربها منه فان عقيل فقال له ثكلتك الثواكل ايان من حديدة حماها انسان للعبه ولاتان من نار اسجرها جبارها ولفظ الركوب مستعار لاستوائه على مايعلم وقوله وان تركتمونى الى اخره اى كنت كاحدكم فى الطاعة لاميركم بل لعلى اكون اطوعكم له اى لقوة علمه بوجوب طاعة الامام وانما قال لعلى لانه على تقدير ان يولوا احدا يخالف امر الله لايكون اطوعهم له بل اعصاهم واحتمال [illegible] توليتهم لمن هو كذلك قايم فاحتمال طاعته له وعدم طاعته قايم فحسن ايراد لعل والواو فى قوله وانا لكم للحال ووزيرا واميرا حالان والعاملان ما تعلق بهما الجار والمجرور واراد الوزير اللغوى وهو المعين والظهر الحامل للوزر من نظاهره وثقله وظاهر انه عليه السلم كان وزيرا للمسلمين وعضدا لهم والخيرة ههنا تعود الى كونه لحالة عليهم فى امر الدنيا فانه اذا كان اميرا لهم حملهم على ما تكره طباعهم من المصابرة فى الحروب والتسوية فى العطايا ومنعهم ما يطلبون مما فيه للشريعة ادنى منع ولا كذلك اذا كان وزيرا فان حظ الوزير ليس الا المشورة والراى الصالح والمعاضدة فى الحروب وقد يخالف فى رايه حيث لايتمكن من الزام العمل به وانما كان هذا التمنع دون الاول لان قوله ان اجبتكم فيه اطماع لهم بالاجابة وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم اما بعد حمد الله والثناء عليه ايها الناس فانى فقات عين الفتنة ولم يكن ليجترى عليها احد غيرى بعد ان ماج غيهبها واشتد كلبها فاسئلونى قبل ان تفقدونى فو الذى نفسى بيده لاتسألونى عن شىء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدى مائة وتضل مائة الا انبأتكم بناعقها وقايدها وسايقها ومناخ ركابها

ومحا

ومحط رحالها ومن يقتل من اهلها قتلا ومن يموت منهم موتا ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الامور وحوازب الخطوب
لاطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسئولين وذلك اذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق وكانت الدنيا عليكم ضيقا
تستطيلون ايام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم ان الفتن اذا اقبلت شبهت واذا ادبرت نبهت ينكرن مقبلات
ويعرفن مدبرات يحمن حوم الرياح يصبن بلدا ويخطين بلدا الا ان اخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني امية فانها فتنة عمياء
مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها واصاب البلاء من ابصر فيها واخطاء البلاء من عمي عنها وايم الله لتجدن بني امية لكم ارباب
سوء بعدي كالناب الضروس تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درها لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم الا نافعا لهم او
غير ضائر ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار احدكم منهم الا مثل انتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه ترد عليكم فتنتهم
شوها مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى نحن اهل البيت منها بنجاة ولسنا فيها بدعاة ثم يفرجها الله
عنكم كتفريج الاديم بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا ويسقيهم بكاس مصبرة لا يعطيهم الا السيف ولا يحلسهم الا الخوف فعند ذلك تود
قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور لاقبل منهم ما اطلب اليوم بعضه فلا يعطونيه اقول فقات
عينه عورتها وماج اضطرب والغيهب الظلمة والكلب الشر والاذى معروف والفئة الطايفة وناعقها الداعي لها والمناخ بالضم محل البروك
وحوازب الخطوب ما منها اي اصاب والتقلص التقبض وشبهت اشتبهت واوقعت الشبهة وحام الطاير دار والخطة الحال والامر
والناب الناقة المسنة والضروس التي تعض حالبها والعذم العض وهو الكدم ايضا والزبن الدفع وشوها جمع شوهاء وهي قبيحة المنظر
وسامه خسفا اولاه ذلا والعنف شدة السوق وتحلسهم اي تلبسهم الحلس وهي الكساء تحت برذعة البعير والجزر القطع ومنه سميت
الجزور ولما ينحر من الابل ومقصود هذا الفصل التنبيه على فضيلته وشرف وقته به عليه السلام وذيله ببني امية بذكر فتنتهم وما يكون منهم ليشتد
النفار عنهم ويقوي الرغبة اليه من وجهين احدهما باخباره عما سيكون والثاني بذكر الشرور من غيره قوله فاني فقات عين الفتنة اشارة
الى فتنة اهل البصرة وغيرها واستعار لها لفظ العين وانما خص العين لانها اشرف عضو في الوجه وبها تعرف الشخص وحركته ورشح
الاستعارة بذكر الفقاء وكنى به عن زوال فتنتهم بسيفه وقوله ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري اي ان الناس كانوا لا يتجاسرون على قتال اهل
القبلة ويخافون من ذلك الحرج والاثم ولا يعلمون كيف قتالهم هل يتبعون مدبرهم وهل يجيزون على جريحهم وهل تسبى ذراريهم وتقسم اموالهم
اذا بغوا ام لا حتى اقدم عليه السلام على فتنتهم ففقا اعينها فسكنت بعد هياجها ومبدأ ذلك حرب عايشة وقد صرح عليه السلام بذلك في الفاظ
اخرى فقال اما بعد فانا فقات عين الفتنة شرقيها وغربيها ومنافقها ومارقها لم يكن ليجترئ عليها احد غيري ولو لم اكن لما قوتل اصحاب الجمل
ولا صفين ولا اصحاب النهر ويحتمل ان يكون المراد ففقات عين اهل الفتنة فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويكون فقاؤه
لعيونهم كناية عن قتلهم وروي ان من المتوقفين عن الحرب الاحنف بن قيس وجماعة معه وكنى بتموج غيهبها عن انتشار ظلمات الشبهة
عن تلك الفتن في اذهان الناس فجهلوا ان خلاف طلحة وخروج عايشة كان حقا او باطلا فكان ذلك سببا لاضطرابهم وقتالهم
وقتلهم وذلك كنى باشتداد كلبها عن شدة ما وقع منها من الشرور وكلب اهلها وحرصهم على القتل بالقتال كناية بالمستعار في الموضعين وقوله
فاسألوني الى قوله ومن يموت منهم موتا تعرض للاسولة عما سيكون ولم يكن ليجترئ على ذلك احد غيره من بين ساير الصحابة والتابعين ولو
ادعى غيره ذلك لكذبه العيان وفضحه الامتحان وروي ان قتادة دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة

در عنها

در وليس

كيفية صح

حاضرا وهو اذن غلام حدث السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فانقطع فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له
بم عرفت ذلك فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة تقع على الذكر والانثى كالحمامة والشاة
وانما يميز بينهما بعلامة التانيث فانظر الى هذا المعجب بنفسه كيف انقطع من سؤال يمكن الفطن ان يجيب عنه بادنى سعي فكيف به اذا سئل عن
الامور المستقبلة التي لا يشعر بها الا العالم بالغيب الا من زكت بقوة الهية تكشف لنور بصيرته معها حجب الاسرار وقد بينا فيما سبق وجه تمكنه من
الاخبار عما سيكون وكيفية ذلك واراد بالساعة القيامة واستعار اوصاف الابل ورعاتها واصحابها من الناعق والقائد والسائق والمناخ
والركاب والرحال للفتنة المهدية والضالة ومن يهديهم ويضلهم ملاحظة لشبههم بالابل في الاجتماع والانقياد لقائد وداع والضمير في
اهلها يعود الى الفتنة وقوله ولو قد فقدتموني الى قوله المسئولين كرائه الامور ما يكره منها وحوازب الخطوب ما يصيبهم من الامور العظيمة
المهمة واطراق السائلين لحيرتهم في عواقب تلك الخطوب وما يكون منها وكيفية الخلاص وفشل كثير من المسئولين اي جبنوا عن رد الجواب لجهلهم
بعواقبها وما يسألون عنه منها وقوله وذلك اشارة الى اطراق السائلين وفشل المسئولين وقوله اذا قلصت حربكم تفسير لكرائه الامور النازلة
بهم واستعار لفظ التقلص والتشمير عن ساق للحرب ووجه الاستعارة تشبيهها بالمجد في الامر الساعي فيه وكانه اذا اراد ان يتوجه قلص
ثيابه وشمرها عن ساقه لئلا تعوقه وتهيأ واجمع عليه كذلك الحرب في كونها مجتمعة على النزول بهم والنزول لهم والواو في قوله وكانت في العطف على شمرت
وموضع تستطيلون النصب على الحال وقوله حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم اي الذين يسلمون من بني امية في دينهم واعمارهم ويفتح الله لهم بهلاكهم
وزوال دولتهم وقوله ان الفتن اذا اقبلت شبهت ان تكون في مبداها مشتبهة بالحق في اذهان الخلق واذا ادبرت نبهت الاذهان على
كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج بين الناس واضطراب امورهم بسببها واكثر ما يكون ذلك عند ادبارها كالفساد في الدول مثلا الذي
يعرف به عامة الخلق كونها فتنة وضلالا عن سبيل الله اكثر ما يكون في اخرها فيكون مؤذنا بزوالها وعلامة مبشرة به وقوله ينكرن مقبلات
ويعرفن مدبرات تفسير له اي لا يعرف في مبداء الحال كونها فتنة ويشتبه بكونها حقا ودعا هدى فاذا استعقبت عرف انها عن الحق
بمعزل وان دعاتها كانوا دعاة ضلالة وقوله يحمن حوم الرياح استعار لها لفظ الحوم ملاحظة لشبهها في دورانها المتوهم ووقوعها
عن قضاء الله من دعاة الضلال في بلد دون بلد بالطائر والريح ولذلك شبهها بحومها وكذلك لفظ الخطا وقوله الا ان اخوف الفتن
عندي الى اخره شروع في تعيين ما يريد ان يخبر به وهو بعض ما يعرض للسؤال عنه وانما كانت هذه الفتن اخوف الفتن لشدتها على الاسلام
واهله وكثرة بلوى اهل الدين فيها بالقتل وانواع الاذى ويكفي في عظم تلك الفتنة هتكهم حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل الحسين عليه السلام
وذريته وهتك حرمة الاسلام بهدم الكعبة وحرقها وقتل ابن الزبير وسبهم عليا عليه السلام ثمانين سنة وما انتشر من البلاء وعموم
بتوليتهم للحجاج دماء المسلمين الى غير ذلك من منكراتهم المسطورة في التواريخ واشاره بكونها فتنة عمياء الى ذلك واستعار لفظ العمى
لها لجريانها على غير قانون حق كالاعمى المتصرف في حركاته في غير جادة او لكونها لا يسلك فيها سبيل الحق كما لا يهتدى بالعين العمياء وكذلك
لفظ المظلمة وقوله عمت خطتها لكونها ولاية عامة وخصت بليتها اي باهل التقوى وشيعة علي عليه السلام ومن بقي من الصحابة والتابعين
الذين هم اعيان الاسلام وقوله واصاب البلاء من ابصر فيها واخطأ من عمي عنها اي من اهتدى لكونها فتنة كان فيها في بلاء من نفسه
ومنهم اما من نفسه فبالحزن الطويل من مشاهدة المنكر واما منهم فلان المتبع العالم بكونهم ائمة ضلال منحرف عنهم وغير داخل في نصرهم
الباطل وكان من شأنهم تتبع من هذه حاله بالاذى والقتل فكان البلاء به اخص واما من لم يهتد لكونها فتنة بل كان في عمى الجهل عنها

فهو

فهو منقاد لدعوتهم الباطلة منساق تحت رايات ضلالهم جار على وفق اوامرهم فكان سالما من بلائهم ثم اردف ذلك بالقسم البر ليحذرهم الناس ارباب سوء لهم وشبههم فى افعالهم المضرة لهم بالناب الضروس لحالبها واشار الى وجه الشبه باوصاف فكدمها وعضها وخبطها برجلها وزبنها برجلها ومنعها درها اشارة الى جميع حركاتها المؤذية الرديئة وهى تشبه حركاتهم فى الخلق بالاذى والقتل ومنع الرفد والاحقاق من بيت المال ثم اردف ذلك بذكر غايتين لحركاتهم الشديدة وبلائهم للناس احداهما انهم لا يتركون من الاذى والقتل الا احد رجلين اما نافع لهم سالك مسلكهم او من لا يضرهم بانكار منكر عليهم ولا يخافونه على دولتهم من سائر العوام والسوقة الثانية انه لا يكون انتصاركم منهم الا مثل انتصار العبد من سيده والصاحب ممن استصحبه اى كما لا يمكن العبد ان ينتصر من سيده ~~والصاحب ممن استصحبه~~ والتابع المستصحب الذى من شانه الضعف وعدم الاستقلال بنفسه ممن يستصحبه كذلك لا يمكن بقيتكم هناك ان ينتصروا من بنى امية اصلا ويحتمل ان يريد ما يشبه الانتصار من الغيبة ونحوها كما قال عليه السلام فى موضع اخر ويكون نصرة احدكم كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه ثم اردف ذلك بذكر فتنتهم وانها مشتملة على فتن فوق واحدة تاتى شآبيب وقطعا كقطع الليل المظلم وفى روى فتنهم بلفظ الجمع فاراد جزئيات شرورهم فى دولتهم واستعار لفظ القطع لورودها عليهم دفعات كقطع الخيل المقبلة فى الغارة والحرب واشار بكونها الى كونها على غير قانون عدلى كما ان حركات اهل الجاهلية كانت كذلك ولذلك ليس فيها منار هدى ولا علم يرى اى ليس فيها امام عدل ولا قانون حق يقتدى به وقوله نحن اهل البيت منها بنجاة ولسنا فيها بدعاة اى انا ناجون من اثامها والدخول فيها والدعوة الى مثلها وليس المراد انا سالمون من اذاهم غير داعين فيها الى الحق بشهادة دعوة الحسين عليه السلام الى نفسه وقتله واولاده وهتك ذريته ويحتمل ان يريد انا بمنجاة من اثامها ولسنا فيها بدعاة مطلقا والحسين عليه السلام لم يكن داعيا منبعثا من نفسه بالدعوة وانما كان مدعوا الى القيام من اهل الكوفة ومجيبا لهم وقوله ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الاديم الى قوله الخوف اشارة الى زوال دولتهم بنى العباس عليهم وقلعهم واستيصالهم وتتبعهم لاثارهم وحصول الفرج منهم لبقية الابرار من عباد الله المقصودين باذاهم كما يفرج الجلد عما فيه ولقد اولاهم بنو العباس من الذل والهوان واذاقوهم كاس العذاب طعوما مختلفة واوردوهم عيان الموت الوانا شتى كما هو مذكور فى كتب التاريخ ولفظ الكاس والتصبر والعطية مستعار وكذلك لفظ التحليس ووجه المشابهة جعلهم الخوف شعارا لهم كما ان حلس البعير كذلك وقوله حتى تود قريش الى اخره اشارة الى غاية هذه الفرقة المتغلبة من قريش على هذا الامر اى ان حالهم فى الذل والضعف عن محاربتهم ينتهى الى ان يحبوا رؤيته مقاما واحدا مع انه ابغض الخلق اليهم ليقبل اليهم ما يطلب اليوم بعضه من نصرتهم له واتباعهم لامره وانقيادهم لهداه فيمنعونه اياه وكنى عن قصر ذلك المقام المتمنى له بمقدار زمان جزر الجزور وصدقه عليه السلام فى هذا الخبر ظاهر فان ارباب السير نقلوا ان مروان بن محمد اخر ملوك بنى امية قال يوم الزاب حين شاهد عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس مارا به فى صف خراسان لوددت ان على بن ابى طالب تحت هذه الرايات بدلا من هذا الفتى والقصة مشهورة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** فتبارك الله الذى لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن الاول الذى لا غاية له فينتهى ولا اخر له فينقضى **اقول** تبارك قيل مشتق من البروك المستلزم للمقام فى موضع واحد والمقام فيه وقيل من البركة وهو الزيادة وبالاعتبار الاول يكون اشارة الى عظمته باعتبار دوام بقائه واستحقاقه قدم الوجود لذاته وبقاء وجوده لا الى استفتاح ولا الى انقطاع وبالاعتبار الثانى اشارة الى فضله واحسانه ولطفه وهدايته ووجه الثناء عليه **وقوله** الذى لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن كقوله فى صدر الخطبة الاولى الذى لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الا انه ابدل الغوص هنا بالحدس والحدس فى اللغة الظن وفى اصطلاح

اى يشق صح

العلماء لما كان الفكر عبارة عن حركة الذهن منتقلا من المطالب الى المبادى ثم منها الى المطالب كان الحدس عبارة عن جودة هذه الحركة
الى اقتناص الحد الاوسط من غير طلب وتجشم كلفة وهو مقول بحسب التشكيك وهو بجميع اعتباراته وباعلى رتبة قاصر عن تناول ذات الحق تعالى
كما سبق وقوله الاول الاخره قد مر تفسيرا وليته واخريته بغيره وبالله التوفيق متنا قوله فاستودعهم في افضل مستودع واقرهم في خير
مستقر تناسختهم كرايم الاصلاب الى مطهرات الارحام كلما مضى سلف قام منهم بدين الله خلف حتى افضت كرامة الله سبحانه الى محمد صلى الله
عليه وآله فاخرجه من افضل المعادن منبتا واعز الارومات مغرسا من الشجرة التي صدع منها انبياءه وانتجب منها امناءه عترته خير العتر
واسرته خير الاسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم لها فروع طوال وثمرة لا ينال فهو امام من اتقى وبصيرة من اهتدى سراج لمع
ضوؤه وشهاب سطع نوره وزند برق لمعه سيرته القصد وسنته الرشد وكلامه الفصل وحكمه العدل ارسله على حين فترة من الرسل وهفوة
من العمل وغباوة من الامم اعملوا رحمكم الله على اعلام بينة فالطريق نهج يدعو الى دار السلام وانتم في دار مستعتب على مهل وفراغ والصحف
منشورة والاقلام جارية والابدان صحيحة والالسن مطلقة والتوبة مسموعة والاعمال مقبولة اقول المنسخ النقل وافضت انتهت والارومة
الاصل والصدع الشق وعترة الرجل نسله ورهطه الادنون واسرته قومه وبسقت طالت والزند العود الاعلى يقدح به ونهج واضح قوله
فاستودعهم الى قوله خلف اشارة الى الانبياء عليهم السلام القائمون بدين الله واعلم ان دين الله واحد بعثت جميع الانبياء لتسليك الخلق اياه ولدا اصل
وفروع فاصله الطريق الى معرفته والاستكمال بها وجماع مكارم الاخلاق ونظام امر الخلق في معاشهم ومعادهم وهذه الامور هي المراد من الشرع
وهو اصل لا يخالف فيه نبي نبيا فاما الاختلافات الواقعة في الشرايع فهي امور جزئية بحسب مصالح جزئية تتعلق بوقت الرسول المعين وحال الخلق
المرسل اليهم يوقع عليها ذلك الاصل ويكون كالمشخصات له والعوارض التي تختلف بها الطبيعة الواحدة النوعية وافضل مستودع استودعهم فيه
حظاير قدسه ومنازل ملائكته وهو خير مستقر اقرهم فيه ومحل كرامتهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتناسخ الاصلاب لهم الى مطهرات الارحام
نقلهم اليها نطفا وكرايم الاصلاب ما كرم منها وحق لاصلاب سمحت بمثلهم ان توصف بالكرم ومطهرات الارحام ما طهر منها وحق لما استعد منها
لانتاج مثل هذه الامزجة وقبولها ان تكون طاهرة من كدر الفساد والشيعة يطهرون اصول الانبياء من طرف الاباء والامهات عن الشرك ونحوه
قول الرسول صلى الله عليه وآله نقلنا من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية ويحتمل ان يريد بافضل مستودع وخير مستقر في مبدأهم اصلاب الاباء
وارحام الامهات ويكون قوله تناسختهم تفسيرا له وبيانا وقوله كلما مضى منهم سلف قام بدين الله منهم خلف اشارة الى ضرورة وجود الانبياء
عن الحاجة اليهم على التعاقب وقد سبقت الاشارة اليه وقوله حتى افضت كرامة الله الى محمد صلى الله عليه وآله الى قوله امناءه اشارة الى غاية سلسلة
الانبياء وكنى بكرامة الله عن النبوة واستعار لفظ المعدن والمنبت والمغرس لطينة النبوة وهي مادته القريبة التي استعدت لقبول مثله
ووجه الاستعارة ان تلك المادة منشاء لمثله كما ان المعادن للجواهر ومغرس الشجر وظاهر ان اصلا سمح بمثله افضل المعادن واعز الاصول
وقيل اراد بذلك مكة شرفها الله وقيل بيته وقبيلته ثم ميزه بما هو اخص واشرف فقال من الشجرة التي صدع منها انبياءه فاستعار له لفظ الشجرة
لصنف الانبياء وكما ان الشجرة اشرف من طينتها كذلك صنف الانبياء اشرف من قوابل صورهم ووجه الاستعارة هو ما كنى بالانصداع
عنه من تفرع اشخاص الانبياء عن صنفهم كما تتفرع اغصان الشجرة منها وامناءه اى على رسالته وقوله عترته خير العتر واسرته خير الاسر
بداء بالعترة لما عرفت انها اخص واقرب من الاسرة ومصداق افضلية عترته قوله صلى الله عليه وآله سادة اهل المحشر سادة اهل
الدنيا انا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر ووجه افضلية اسرته قوله صلى الله عليه وآله ان الله اصطفى من العرب معدا واصطفى من

معد

صدع

الارض معدن صح

الاسرة

مستودعا

معد بن النضر بن كنانة واصطفى هاشماً من بنى النضر واصطفانى من بنى هاشم وقوله صلى الله عليه وآله الناس تبع لقريش برّهم
وفاجرهم لفاجرهم وقوله ومنبته خير المنبت قيل اراد بالمنبت في الموضعين ابراهيم عليه السلام وقيل اراد هاشماً وولده بقرينة قوله نبتت في حرم
واراد مكة ورشح تلك الاستعارة وكذلك الثمر وكنى به عن العلوم والاخلاق المنقولة عنه وعن ائمة امته ويكون لا ينال عن شرفها وغموض
اسرارها اى لفضل شرفها وعلوها لا يمكن ان يتطاول فيها او لغموض اسرارها لا تتصل الاذهان اليها وقوله فهو امام من اتقى الى قوله
برق لمعه استعار لفظ البصيرة والسراج والشهاب والزند له صلى الله عليه وآله ووجه الاستعارة كونه سبب هداية الخلق كما ان هذه
الامور الثلثة كذلك ورشح استعارة السراج بلمعان الضوء والشهاب بسطوع النور والزند ببروق اللمع ويحتمل ان يكون وجه استعارة
الزند هو كونه منشأ لانوار العلم والهدى وقوله سيرته القصد اى طريقته العدل والاستواء على الصراط المستقيم وعدم الانحراف الى احد
طرفي الافراط والتفريط وسنته الرشد اى سلوك طريق الله عن هداية وكلامه الفصل اى الفاصل بين الحق والباطل كقوله تعالى انه لقول فصل
وحكمه العدل الوسط بين رذيلتي الظلم والانظلام وقوله ارسله على حين فترة من الرسل وهفوة من العمل اى زلة عنه وغباوة من الامم
اى جهل منهم وعدم فطنة لما ينبغي وقد سبق بيان الفترة وقوله اعملوا رحمكم الله على اعلام بينة استعار لفظ الاعلام لائمة الدين
وما بايديهم من مصابيح الهدى بكونها بينة عن وجودها وظهورها بين الخلق وقوله والطريق نهج يدعوا الى دار السلام فالطريق الشريعة ونهجه
وضوحها فى زمانه عليه السلام وقرب العهد بالرسول صلى الله عليه وآله وظاهر كون الشريعة داعية الى الجنة واسناد الدعوة الى الطريق مجاز اذ الداعي قيم الطريق
وواضعها وقوله وانتم في دار مستعتب اى دار الدنيا التى يمكن ان تستعتبوا فيعتبوا اى يطلبوا رضاء الله بطاعته فيرضى عنكم وعلى مهل
اى امهال وانظار وفراغ من عوائق الموت وما بعده وقوله والصحف منشورة الى آخره الواوات السبع للحال والمراد صحائف الاعمال واقلام
الحفظة على الخلق اعمالهم وفائدة التذكير بهذه الامور التنبيه على وجوب العمل معها وبذكر اضدادها مما لا يمكن معه العمل ولا ينفع الندم
من الموت وطى الصحف وجفاف الاقلام وفساد الابدان وخرس الالسنة وعدم سماع التوبة كما قال تعالى يومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم
ولا هم يستعتبون وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام بعثه والناس ضلال في حيرة وخابطون في فتنة قد استهوتهم الاهواء واستزلتهم
در وحاطبون
الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء حيارى في زلزال من الامر وبلاء من الجهل فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة ومضى على الطريقة
ودعا الى الحكمة والموعظة الحسنة اقول الفصل تقرير لفضيلة الرسول صلى الله عليه وآله والواو في والناس للحال اى في حال ما هم ضالون عن سبيل
الله في حيرة من امرهم ماذا يتبعون وخابطون في فتنة اى كانت حركاتهم على غير نظام في ظلال البدع ومن روى حاطبون فهو استعارة
ووجهها كونهم يجمعون في ضلالهم وفتنتهم ما اتفق من اقوال وافعال كما يجمع الحاطب ومنه المثل حاطب ليل لمن جمع الغث والسمين والحق والباطل
في اقواله وقوله قد استهوتهم الاهواء اى جذبتهم الآراء الباطلة الى مهاوي الهلاك لانفسها واستزلتهم الكبرياء اى قادتهم الى الزلل والخطاء
عن طريق العدل واقتفاء آثار الانبياء في التواضع ونحوه واستخفتهم الجاهلية الجهلاء فطارت بهم الى ما لا ينبغي من الغارات والفساد في
الارض فكانوا ذوي خفة وطيش ولفظ الجهلاء تاكيد للاول كما يقال ليل اليل ووتد واتد وقوله حيارى في زلزال من الامر وبلاء من الجهل
اى لا يهتدون لجهلهم الى مصالحهم فهو منشأ اضطراب امورهم وبلاءهم بالغارات وسبي بعضهم بعضا وقتلهم وقوله فبالغ الى آخره مضيه على
الطريقة سلوكه لسبيل الله من غير انحراف ودعوته الى الحكمة والموعظة هي دعوته الى سبيل الله بهما امتثالا لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة فالدعوة بالحكمة الدعوة بالبرهان وبالموعظة الدعوة بالخطابة وقد سبقت الاشارة الى ذلك في المقدمات وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الاول فلا شيء قبله والاخر فلا شيء بعده والظاهر فلا شيء فوقه والباطن فلا شيء دونه اقول اثنى الله سبحانه
باعتبارات اربعة الاولية والاخرية والظاهرية والباطنية واكد كل واحد منها بكماله فكمال الاولية بسلب قبلية شيء عنه وكمال الاخرية
بسلب بعدية شيء له والظاهرية بسلب فوقية شيء له والباطنية بسلب شيء دونه والمراد بالظاهر هو العالي فلذلك حسن تاكيده
بسلب ما هو دونه اي ما هو اقرب اليها منه وحصلت حينئذ المقابلة بين الذاتي والعالي ويحتمل ان يريد بالظاهر البين ويكون معنى قوله
فلا شيء فوقه اي لا شيء يوازي وجوده ويحجبه عن معرفة خلقه به وبالباطن الخفي ومعنى فلا شيء دونه اي في الخفاء وقد سبق بيان
هذه الاعتبارات غير مرة وبالله التوفيق منها في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله مستقره خير مستقر ومنبته اشرف منبت
في معادن الكرامة ومماهد السلامة قد صرفت نحوه افئدة الابرار وثنيت اليه ازمة الابصار دفن به الضغاين
واطفاء به النوائر الف به اخوانا وفرق به اقرانا اعز به الذلة واذل به العزة كلامه بيان وصمته لسان اقول المماهد
جمع ممهد والميم زايدة وثنيت اليه اي صرفت والضغاين الاحقاد والنواير جمع نائرة وهي العداوة والمخاصمة والاقران الاخوان
المقترنون واشار بمستقره الى مكة وكونها خير مستقر لكونها ام القرى ومقصد خلق الله ومحل كعبته ويحتمل ان يريد بمحله
من جود الله وعنايته وظاهر كونه خير مستقر ~~لكونها ام القرى~~ واستعار لفظ المنبت والمعدن وقد مر بيان وجه استعداد
لها ومماهد السلامة ومحال التوطية لهما وهي كناية عن مكة والمدينة وما حولها فانها محل لعبادة الله والخلوة به التي هي مهاد السلامة من
عذابه وانما كانت كذلك لكونها دار التقشف خالية عن المشتهيات والقنيات الدنيوية ويحتمل ان يريد بمماهد السلامة ما تقلب فيه ونشأ عليه
من المكارم الاخلاق الممهدة للسلامة من سخط الله وفي قوله قد صرفت نحوه افئدة الابرار تنبيه على ان الصارف هو لطف الله وعنايته بهم بالقاء
قلوبهم الى محبته والاستضاءة بانوار هداه ولما استعار لفظ الازمة للابصار ملاحظة لشبهها بمقاود الابل رشح تلك الاستعارة بذكر الثني وكنى
بذلك عن التفات الخلق اليه بابصار بصائرهم وتلقي الرحمة الالهية منه ثم استعار لفظ الدفن لاخفاء الاحقاد به بعد ان كانت ظاهرة مجاهرا
بها ولفظ الاطفاء لازالة العداوات بين العرب بالتاليف بين قلوبهم كما قال تعالى في اظهار المنة على عباده واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء
فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا والاقران المفرق بهم هم المتالفون على الشرك وقوله اعز به الذلة اي ذلة الاسلام واهله واذل به العزة اي
عزة الشرك واهله وبين كل قرينتين من هذه الست مقابلة ومطابقة فقابل بالتفريق التاليف وبالذلة الاعزاز وبالعزة الاذلال وقوله
كلامه بيان اي لما انغلق من احكام كتاب الله كقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم وقوله وصمته لسان استعار لفظ اللسان لسكوته ووجه المشابهة
ان سكوته صلى الله عليه وآله مستلزم لبيان من وجهين احدهما انه كان يسكت عما لا ينبغي من القول فيعلم الناس السكوت عن الخوض فيما لا يعنيهم
الثاني ان الصحابة كانوا اذا فعلوا افعالا على سابق عاداتهم فسكت عنهم ولم ينكره عليهم علموا بذلك انه على حكم الاباحة وكان سكوته عنهم في ذلك
بيانا له واشبه سكوته عنه اللسان المعرب عن الاحكام وبالله التوفيق ومن كلام له صلوات الله عليه ولئن امهل الله الظالم فلن يفوت اخذه عليه
وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه وبموضع الشجى من مساغ ريقه اما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس لانهم اولى بالحق منكم
ولكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم وابطائكم عن حقي ولقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها واصبحت اخاف ظلم رعيتي استنفرتكم للجهاد
فلم تنفروا واسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا ونصحت لكم فلم تقبلوا شهود كغياب وعبيد كارباب اتلو عليكم الحكم اشهود
فتنفرون منها واعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها واحثكم على جهاد اهل البغي فما اتي على اخر قولي حتى اراكم متفرقين ايادي سبا

ترجعون

ترجعون الى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم اقومكم غدوة وترجعون الى عشية كظهر الحنية عجز المقوم واعضل المقوم ايها
الشاهدة ابدانهم الغائبة عنهم عقولهم المختلفة اهواؤهم المبتلى بهم امراؤهم صاحبكم يطيع الله وانتم تعصونه وصاحب اهل الشام
يعصى الله وهم يطيعونه لوددت والله ان صاحب اهل الشام صارفنى بكم صرف الدينار بالدرهم فاخذ منى عشرة منكم واعطانى رجلا
منهم يا اهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين صم ذوو اسماع وبكم ذوو كلام وعمى ذوو ابصار لا احرار صدق عند اللقاء ولا
اخوان ثقة عند البلاء تربت ايديكم يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر والله لكانى بكم فيما
اخال لو حمس الوغى وحمى الضراب قد انفرجتم عن ابن ابى طالب انفراج المراة عن قبلها انى لعلى بينة من ربى ومنهاج من نبيى وانى لعلى
الطريق الواضح القطه لقطا انظروا اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا اثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم فى ردى
فان لبدوا فالبدوا وان نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتاخروا عنهم فتهلكوا لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما ارى
احدا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا قد باتوا سجدا وقياما يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم
كان بين اعينهم ركب المعزى من طول سجودهم اذا ذكر الله سبحانه هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف
خوفا من العقاب ورجاء للثواب اقول المرصاد الطريق يرصد بها والرصد الراقب والشجى الغصص بلقمة وغيرها والحسو السوق الشديد
واعضل الامر اشكل والحنية القوس ومنى ابتلى وتربت اصابت التراب دون الخير واخال احسب والوغى الحرب واصله من الاصوات وحمس
اشتد والسمت الطريقة ولبد الطاير لصق بالارض فقوله ولئن امهل الله الظالم الى قوله ريقه فى معرض التهديد لاهل الشام بانخذ الله لهم وعدم
فوتهم وانه لهم بالرصد على جميع حركاتهم وعلى مجاز طريقهم التى هم سالكوها ضلالا وعلى موضع الشجى من مساغ ريقهم وهو الحلق وفى ذكر الشجى وكون
الله بالرصد تنبيه على ان الله تعالى فى مظنة ان يرى الظالم بعقوبة عند اطلاعه على ظلمه كما قال تعالى او ياخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين او ياخذهم
على تخوف ثم اردف ذلك بالقسم البار ليظهرن اصحاب معوية عليهم تنفيرا لهم الى مقاومتهم ثم نفى ما عساه يتوهم انه علة غلبهم لهم كيلا يتخاذلوا
بسبب ذلك وهو قوله ليس لانهم اولى بالحق منكم واردفه بتعيين السبب الحقيقى فى ذلك وهو قوله لكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم اى امره الباطل
وابطائكم عن حقى اذ كانت النصرة باجتماع الكلمة وطاعة الامام لا باعتقاد حقية امره مع التخاذل عنه ثم اردف ذلك بتوبيخهم وتنفيرهم
عما هم عليه من مخالفة امره بقوله ولقد اصبحت الامم الى قوله رعيتى لان شان الرعية الخوف من سلطانها فاذا كان حاله مع رعيته بالعكس
كانت الملايمة عليهم بعصيانه دون حجة لهم عليه واما التنفير فيذكر انهم فى محل ظلم مثله ولقد اشتق عليكم منهم فى مواطن كثيرة كيوم التحكيم
اذ قالوا له ان لم ترض فعلنا بك كما فعلنا بعثمن ونحو ذلك ثم اردف ببيان وجوه تقصيرهم ببيان ما فعل فى حقهم من الايادى الجميلة والهداية
الى وجوه المصالح من استنفارهم لجهاد عدوهم وحفظ بلادهم واسماعهم الدعوة الى مصالحهم سرا وجهرا ونصيحته لهم بالوجوه الصائبة من
الراى وهو كقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم الى
قوله اسرارا ثم اشبههم بالغياب مع شهادتهم وبالارباب مع كونهم عبيدا ووجه الشبه ان الفائدة فى شاهد الموعظة دون الغائب عنها
هو سماعها والانتفاع بها فاذ ليسوا كذلك فهم كالغياب عنها فى عدم الانتفاع بها واما الثانية فلانهم رعية من شانهم التعبد لاوامر امامهم ثم انهم
لتعززهم وشموخهم كبرا وعدم طاعتهم كالارباب الذين من شانهم ان يامروا ولا ياتمروا ثم نبههم بنفارهم عما يتلو عليهم من الحكم وتفرقهم عن الموعظة
البالغة لهم واهل البغى اشارة الى اهل الشام وايادى سبا مثل يضرب فى شدة التفرق ضربه لتفرقهم عن مجالس الذكر وهما لفظان جعلا اسما

واحد المعدي كرب وسبا قبيلة من اولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان واصل المثل ان هذه القبيلة كانت بمارب فلما آن وقت انفتاح
سد مارب ورأت طريفة الكاهنة ذلك الامر وعرفته العقة الى عمرو بن عامر الملقب بمزيقيا فباع امواله بمارب وارتحل الى مكة فاصابت
هؤلاء الحمى وكانوا لا يدرون دواها فدعوا الى الكاهنة فاخبرتهم بما سيقع وقالت انه مفرق بيننا فاستشاروها في امرهم فقالت من كان منكم
ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد فكان ازد عمان ثم قالت ومن كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على ازمات
الدهر فعليه بالاراك من بطن مر فكانت خزاعة ثم قالت ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب
ذات النخل فكانت الاوس والخزرج ثم قالت ومن كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتامير ويلبس الديباج والحرير فليلحق ببصرى
وغوير وهما من ارض الشام فكان الذين يسكنونها آل جفنة من غسان ثم قالت ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز
الارزاق والدم المهراق فليلحق بارض العراق فكانت آل جذيمة الابرش ومن كان بالحيرة وآل محرق فضربت العرب بتفرقهم في البلاد
وسار فيمن يتفرق بعد اجتماع ثم لما كانت المخادعة هي الاستغفال عن المصلحة قال يتخادعون اي انهم اذا رجعوا من مجلس وعظه اخذ كل منهم
يستغفل صاحبه عن تذكر الموعظة ويشغله بغيره ذلك من الاحاديث وان لم يكن عن قصد خداع بل يقع منهم صور المخادعة وتقويمهم بالغدوة
اصلاح اخلاقهم بالحكم والمواعظ ورجوعهم اليه عشية كظهر الحنية اي معوجين كظهر القوس وهو تشبيه للمعقول من اعوجاجهم وانحرافهم عن
جميل الاخلاق بالمحسوس وقوله عجز المقوم اشارة الى نفسه واعتراف بعجزه عن تقويمهم واعضل المقوم اي اشكل امرهم واعيته ادواؤهم علاجا
ثم عاد الى بذائهم وتنبيههم بذكر معايبهم لينفر عقولهم عنها فوصفهم بشاهدة الابدان مع غيبة العقول ثم باختلاف الاهواء ثم بكونهم ممن ابتلي بهم امراؤهم
ثم نبههم على رذيلتهم من مخالفة امره مع كونه مطيعا لله وما عليهم خصومهم من فضيلة طاعة امامهم مع كونه عاصيا لله وجعل ذلك مقايسة بينهم ليظهر
الفرق فتذكرهم الغيرة ثم اردفه بتحقيرهم وتفضيل عدوهم عليه في الباس والنجدة واستقامة الحال فاقسم انه ليود ان يصارفه معوية بهم صرف الدينار بالدرهم
وذلك قوله ايها القوم الى قوله رجلا منهم ثم اردف ذلك ببيان ما ابتلي به منهم واشار الى خمس خصال وانما قال بثلث واثنتين لتناسب الثلث وكون
الثنتين من نوع آخر فالثلث الصم مع كونهم ذوي اسماع والبكم مع كونهم ذوي كلام والعمي مع كونهم ذوي ابصار وجمعه لهذه الثلث مع اضدادها
هو سبب التعجب منهم والتوبيخ لهم واراد بها عدم انتفاعهم في مصالحهم الدينية ونظام امور معاشهم دولتهم بآلة السمع واللسان والعين
فان من لم يفده سمعه وبصره عبرة ومن لم يكن كلامه فيما يعنيه كان كفاقد هذه الالات في عدم الانتفاع بها بل كان فاقدها احسن حالا منه
لان وجودها اذا لم يفد منفعة اكسب مضرة فقدها عادمها واما الثنتان فكونهم لا احرار صدق عند اللقاء اي انهم عند اللقاء لا يصدق
جريهم ولا يبقى نجدتهم من مخالطة الجبن والتخاذل والفرار اذ الحر الخالص من شوب الرذائل والمطاعن ثم كونهم غير اخوان ثقة عند البلاء
اي ليسوا ممن يوثق باخوتهم بالبلاء وبالنوازل ثم عاد الى الدعاء عليهم على وجه التضجر منهم وتشبيههم بالنعم فقوله تربت ايديكم دعاء بعدم
اصابة الخير قوله يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب ذكر للتشبيه والمشبه به والمشبه ثم اردفه
بذكر رذيلة يظن منها باما رأيها وهي تفرقهم عنه على تقدير اشتباك الحرب وشبه انفراجهم عنه بانفراج المراة عن قبلها اليه جعوا الى لا نفقة
وتسليم المرأة لقبلها وانفراجها عنه اما وقت الولادة او وقت الطمان ثم عاد الى ذكر فضيلته ليستثبت قلوبهم ويتألفها والبينة
التي هو عليها من ربه آيات الله وبراهينه الواضحة له على وجوده واليقين بما هو عليه من سلوك سبيله وهو كقوله تعالى قل اني على بينة من ربي
والمنهاج من بينه طريقه وسننه والطريق الواضح الذي هو عليه سبيل الله وشريعة دينه والتقاطه له لقطا يتبعه ويميزه عن طرق

الضلال

الضلال بالسلوك له ثم اردف فضيلة بالامر باعتبار اهل البيت ولزوم سمتهم واقتفاء اثرهم واشار الى جهة وجوب اتباعهم بكونهم
يسلكون به سبيل الهدى لا يخرجون عنه ولا يردونهم الى ردى الجاهلية والضلال القديم وفيه ايماء الى اتباع غيرهم يرد الى ذلك وقوله ان صح
فان لبدوا فالبدوا اى ان سكتوا وحبسوا لزوم البيوت على طلب امر الخلافة والقيام فيه فتابعوهم فى ذلك فان سكوتهم قد يكون لمصلحة
يغيب علمها عن غيرهم وان نهضوا فى ذلك فانهضوا معهم ثم نهاهم عن ان يسبقوهم فيضلوا اى الى امر لم يتقدموكم فيه فان متقدم الدليل
شانه الضلال عن القصد وان لا يتاخروا عنه فيهلكوا اى لا يتاخروا عن متابعتهم فى اوامرهم وافعالهم بالمخالفة لهم فتكونوا من الهالكين
فى تيه الجهل وعذاب الاخرة والامامية تخص ذلك بالاثنى عشر من اهل البيت عليهم السلام وقوله لقد رايت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الى آخره مدح لخواص
الصحابة وذكر مكارمهم من خشية الله ودينهم عيبا فى مثل تلك الفضايل وحرك بقوله فما ارى احدا يشبههم ما عساه يدرك السامعين من الغيرة
على تلك الفضايل ان يختصوا بها دونهم وذكر من محامدهم اوصافا احدها الشعث والاغبرار وهو اشارة الى تقشفهم وتركهم زينة
الدنيا ولذاتها الثانى بياتهم سجدا وقياما واشار الى احيائهم الليل بالصلوات وهو كقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما الثالث مراوحتهم
بين جباههم وخدودهم وكان احدهم اذا تعبت جبهته من طول السجود راوح بينها وبين خده الرابع وقوفهم على مثل الجمر من ذكر معادهم
واشار به الى قلقهم ووجدهم من ذكر المعاد واحوال يوم القيمة كما يقلق الواقف على الجمر بما يجده من حرارته الخامس كان بين اعينهم ركب المعزى
من طول سجودهم ووجه المشابهة ان محال سجودهم من جباههم كانت قد اسودت وماتت جلودها وقست كما ان ركب المعزى كذلك
السادس انهم كانوا اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومن روى جباههم فذلك فى حال سجودهم ممكن ومادوا كما تميد الشجر بالريح
العاصف خوفا من عقاب ربهم ورجاء لثوابه فتارة يكون ميدانهم وقلقهم من خوف الله وتارة يكون عن ارتياح واشتياق الى ما عنده
من عظيم ثوابه وهو كقوله تعالى والذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرما
الا استحلوه ولا عقدا الا حلوه وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم ونزل به عبثهم ونبا به سوء رعيهم وحتى يقوم الباكيان باك
يبكى لدينه وباك يبكى لدنياه وحتى تكون نصرة احدكم كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه وحتى يكون اعظمكم فيها
عناء احسنكم بالله ظنا فان اتاكم الله بعافية فاقبلوا وان ابتليتم فاصبروا فان العاقبة للمتقين اقول نبا به المنزل اذا لم يوافقه والعناء عناء ر
التعب والاشارة فى هذا الفصل الى بنى امية فانهم لا يزالون ظالمين فحذف الخبر للعلم به وذكر لظلمهم غايات احداها انهم لا يدعون محرما الا استحلوه
واعظم كباير المحرمات الظلم وقتل النفس وحالهم فيهما مشهور فما ظنك بغيرهما ومعنى قوله استحلوه استعملوه كاستعمال الحلال فى عدم التحرج والتاثم
به الثانية ان لا يدعوا عقدا الا حلوه اى من عقود الاسلام التى نظم بها امر العالم من قوانين الشرع وضوابطه وحله كناية عن جزم تلك القواعد
ومحى لغتها الثالثة انه لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم وهو كناية عن عموم عداوتهم وبغيهم على جميع الخلق من البدو والحضر الرابعة وقوله ونبا به سوء
رعيهم لاهله ينبوهم عنه الرابعة ان يقوم الباكيان باك لدينه وباك لدنياه الخامسة وحتى يكون نصرة احدكم من احدهم كنصرة العبد من سيده ذكر
المشبه والمشبه به ثم اشار الى وجه الشبه بقوله اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه السادسة وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا
وانما كان كذلك لان حسن الظن بالله اشد الناس بعدا منه وتوكلا عليه فيكونون عليه اشد كلبا وله اقوى طلبا فكان منهم اكثر تعبا ثم اردف ذلك
بامرهم ان اتاهم الله العافية ان يقبلوها ويشكروا الله عليها نعمة واراد العافية من الابتلاء بشرورهم لبعض الناس او بقائم عدل مخلص من بلائهم وبامرهم
ان ابتلى بهم بالصبر على ما ابتلى به ووعده على ذلك بحسن العاقبة لازما للتقوى والصبر كما قال تعالى واصبر ان العاقبة للمتقين تم المجلد الثاني والحمد لله رب العالمين

تمام المجلد الثاني

٩٠١

ابحاث الثوالث من الشرح الكبير

بسم الله الرحمن الرحيم ومن خطبة له عليه السلام نحمده على ما كان ونستعينه من امرنا على ما يكون ونسأله المعافاة في الاديان كما
نسأله المعافاة في الابدان اوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وان لم تحبوا تركها والمبلية لاجسادكم وان كنتم تحبون تجديدها فانما مثلكم
ومثلها كسفر سلكوا سبيلا فكانهم قد قطعوه وامّوا علما فكانهم قد بلغوه وما عسى المجرى الى الغاية ان يجرى عليها حتى يبلغها وما عسى ان يكون
بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها فلا تنافسوا في عز الدنيا وفخرها ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها ولا تجزعوا
من ضرائها وبؤسها فان عزها وفخرها الى انقطاع وزينتها ونعيمها الى زوال وضراءها وبؤسها الى نفاد وكل مدة فيها الى انتهاء وكل
حي فيها الى فناء اوليس لكم في آثار الاولين وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر ان كنتم تعقلون اولم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون
والى الخلف الباقي لا يبقون اولستم ترون اهل الدنيا يمسون ويصبحون على احوال شتى فميت يبكى وآخر يعزى وصريع مبتلى وعائد
يعود وآخر بنفسه يجود وطالب للدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وعلى اثر الماضي ما يمضى الباقي الا فاذكروا هادم اللذات
ومنغص الشهوات وقاطع الامنيات عند المساورة للاعمال القبيحة واستعينوا الله على اداء واجب حقه وما لا يحصى من اعداد نعمه
واحسانه اقول الرفض الترك والسفر المسافرون وامّوا قصدوا ويعدوه يتعداه ويحدوه يسوقه المساورة المواثبة فقوله نحمده الى الابدان خصص الحمد
بما كان لان الشكر على النعمة مترتب على وقوعها والاستعانة على ما يكون لان طلب العون انما يكون في امر هو بصدد ان يفعل ثم سأل العافية في الاديان
كما سألها في الابدان لان لها سقما وهو في الحقيقة اشد وقيل لاعرابي ما تشتكى قال ذنوبي فقيل ما تشتهى قال الجنة فقيل افلا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب
امرضني وسمعت عفيرة العابدة البصرية رجلا يقول ما اشد العمى على من كان بصيرا فقالت يا عبد الله غفلت عن مرض الموت واهتممت بمرض الاجساد
وعمى القلب عن الله اشد والمعافاة فيها بامداد العناية الالهية ببقائها سليمة او بتداركها للمذنبين بجذبهم الى التوبة ثم اردف ذلك بالرأى الصالح
والوصية الناصحة برفض الدنيا ونفّر عنها بذكر معايب احدها تركها لهم ومن اكبر المصالح ترك محبوب لا بد من مفارقته تركا باستدراج النفس
واستغفالها كي لا يفدحها مفارقته دفعة مع تمكن محبته من جوهرها فيبقى كمن نقل عن معشوقه الى موضع ظلماني شديد الظلمة الثاني كونها مبلية
لاجسامهم وان احبوا تجديدها وابلاؤها بالامراض والهرم ومن شأن المؤذي ان يجتنب لا ان يحب اصلا احدهم ثم اردف ذلك بتمثيلهم في الكون
بها تمثيلهم بالسفر ومثلها بسبيل هم سالكوه ومن سلك سبيلا فكانهم قطعوه فالمشبه هم باعتبار سرعة سيرهم وقرب الآخرة منهم وقطع
منازل الاعمار والمشبه به قاطع ذلك السبيل اى من سلك سبيلا اشبه في سرعة سيره من قطعه ثم لما كان لا بد لكل طريق سلك من غاية تقصد ممن
سلك سبيلا فكانهم بلغوا تلك الغاية اى اشبهوا في قرب وصولها من بلغها وهو تخويف بالموت وما بعده وتحقير لمدة البقاء في الدنيا
والمقام فيها واكد ذلك بقوله وما عسى المجرى الى الغاية ان يجرى اليها حتى يبلغها اى اجراؤه اليها يسير سريع وفي بعض النسخ وكم عسى
والتقدير وكم يرجو الذي يجرى الى غاية من اجرائه حتى يبلغها وهو استفهام في معنى التحقير لما يرجوه من مدة الجرى وهي مدة الحيوة الدنيا
ومفعول المجرى محذوف والتقدير المجرى مركوبه ولما لم يكن الغرض الا ذكر الاجراء لا جرم حذف المفعول وقد يجئ لازما وكذلك قوله وما عسى
ان يكون مقام من له يوم لا يعدوه الى قوله يفارقها اى وما يرجى ويؤمل ان يكون من ذلك البقاء وكان هنا تامة وهو في الموضعين
استفهام على سبيل التحقير لما يرجى من البقاء في الدنيا والانكار على المؤمل الراجي له وعنى بالطالب الحثيث الموت واسند اليه الطلب
مجازا واستعار له لفظ الحدو وقد علمت وجه هذه الاستعارة وكنى بذلك الحدو عما يتوهم من سوق اسباب الموت للبدن اليه وقوله ولا
تنافسوا الى قوله الى فناء نهى عن اعتبار شئ من احوالها خيرها وشرها فمن خيرها عزها وفخرها وزينتها ونعيمها ونهى عن المنافسة فيه

والاعجاب

والاعجاب به واما شرّها فضرّاؤها وشدائدها ونهى عن الجزع منها وعلل وجوب الانتهاء عمّا نهى عنه بانقطاعه وزواله وما كان من شأنه
الزوال والانقطاع من الواجدان لا يتنافس فيه ولا يعجب به وان عدّ نافعا وان لا يجزع من وجوده وان عدّ ضارّا وقوله او ليس لكم في
آثار الماضين الى قوله لا يبقون تذكرة لهم بآثار السابقين لهم والماضين من آبائهم على سبيل استفهامهم عن حصول العبرة لهم بهم
استفهام انكار عليهم ان لا يستفيدوا من ذلك عبرة على تقدير انهم عقلاء كما يزعمون ذلك ثم تنبيههم على وجه الاعتبار والاتعاظ وهو
عدم رجوع الماضي منهم وعدم بقاء الباقي فان ذلك محل العبرة ثم تنبيههم على ما يرون من احوال اهل الدنيا المختلفة ليستدلوا على عدم
بقائها باختلاف احوالها وعلى انها لا تصلح قرارا فاهلها بين ميت يبكى وآخر يعزى وآخر صريع مبتلى بالامراض والاسقام وآخر
يعوده مشغول الخاطر به وآخر في المعاوقة والاحتضار والسالم من تلك الامور طالب للدنيا والموت من ورائه طالب له غافل عما يراد
به وليس الله بغافل عنه ثم لابد له ان يمضي على اثر من مضى وان طال بقاؤه وما في ما يمضي مصدرية وانما قدّم الميت في اقسام اهل الدنيا
لان ذكره اشد موعظة واستعار لفظ الجود للمحتضر ووجه المشابهة انه يسمح بنفسه ويسلمها كما يسلم الجواد ما يعطيه من ماله ثم امرهم
بذكر الموت ووصفه بلوازمه المنفرة عنه وهي كونه هادم اللذات الدنيوية ومنغصا لشهواتها وقاطعا للامنيات فيها وعين
لهم وقت ذكره وهو عند رشاحتهم الى الاعمال القبيحة ليكون ذكره زاجرا لهم عنها ثم بالرغبة الى الله في طلب معونته بجواذب
عناية الله وجميل لطفه على اداء واجب حقوقه التي كلفنا القيام بها بالمواظبة عليها واداء واجب ما لا يحصى من نعمه بدوام شكرها والاعتراف بها
ملاحظين لجلال كبريائه باعتبار كل جزء منها وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الناشر في الخلق فضله والباسط فيهم بالجود
يده نحمده في جميع اموره ونستعينه على رعاية حقوقه ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا عبده ورسوله ارسله بامره صادعا وبذكره ناطقا
فادّى امينا ومضى رشيدا وخلّف فينا راية الحق من تقدّمها مرق ومن تخلّف عنها زهق ومن لزمها لحق دليلها مكيث الكلام بطيء القيام
سريع اذا قام فاذا انتم النتم له رقابكم واشرتم اليه باصابعكم جاءه الموت فذهب به فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يطلع الله لكم من
يجمعكم ويضم نشركم فلا تطمعوا في غير مقبل ولا تيأسوا من مدبر فان المدبر عسى ان تزل احدى قائمتيه وتثبت الاخرى فترجعا
حتى تثبتا جميعا الا ان مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل النجوم في السماء اذا خوى نجم طلع نجم فكانكم قد تكاملت فيكم الصنائع
واراكم ما كنتم تاملون اقول مرق خرج من الدين وزهق هلك والمكيث البطيء المتأني وخوى النجم سقط للمغيب والصنيعة النعمة
وهذا الفصل يشتمل على اعلامهم بما يكون بعده من امر الائمة وتعليمهم ما ينبغي ان يفعل الناس معهم وتمنيهم بظهور امام من آل محمد عقيب آخر
ووعدهم بتكامل صنائع الله فيهم بما يأملونه من ظهور امام منتظر فقوله الحمد لله الى قوله حقوقه شكر له تعالى باعتبار امرين احدهما نشره
لفضله في خلقه الثاني بسطه فيهم بالجود يده ويده نعمته مجاز لتقديسه تعالى عن الجارحة وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب وظاهر
كون الجود مبدأ للنعمة والنشر والبسط وان كانا حقيقة في الاجسام الا انهما من الاستعارات الشائعة التي قاربت الحقيقة ثم اكّد
ذلك الحمد بتعميمه باعتبار كل حادث عنه من رخاء وشدة اذ الشدائد لا تخلو من نعمة ايضا فانها اذا قوبلت بصبر جميل استلزمت ثوابا
جزيلا كما قال تعالى وبشر الصابرين الآية وظاهر ان اسباب النعم نعم ولما حمده على ما الحق من نعمائه طلب منه المعونة على رعاية واجب حقوقه
واستعار لفظ الصادع للرسول ووجهها انه شق بامر الله بيضة الشرك وقلوب المشركين فاخرج ما كان فيها من الكفر والجهل
ونطق بذكره تعالى فادّى ودعا اياه فادّى ما امر به امينا عليه وقبضه الله اليه مرشدا الى حضرة قدسه ومنازل الابرار من ملائكته

در
تطعنوا
من الله صح

وصادعا وناطقا وامينا ورشيدا احوال واشار براية الحق التي خلفها رسول الله صلى الله عليه وآله الى كتاب الله وسنته واشار بتقدمها
والتخلف عنها الى طرفي الافراط والتفريط من فضيلة الاستقامة عليها اى ان من كان تحتها لاحقا بها فهو على حاق الوسط من
الفضايل ومن تقدمها كان على طرف الافراط فقد تعدى في طلب الدين واغلى فيه على جهل منه كما فعلت الخوارج ومن تخلف عنها كان على
طرف التفريط والتقصير فهلك في طريق الضلال والحيرة ولفظ الراية مستعار ووجه المشابهة كون الكتاب والسنة مقصدين لتابعيهما
يهتدى بهما في سبيل الله كما ان الراية كذلك واشار بدليلها الى نفسه استعارة ووجهها ان الامام مظهر ومبين لاحكام الكتاب
والسنة وما خفي منها للسالكين الى الله تعالى كما يرفع الراية حاملها لتابعيه ليقتدوا به ثم اشار الى صفات ذلك الدليل وكنى بقوله مكيث
الكلام عن ترويه وتثبته في اقواله وما يشير به وبقوله بطيء القيام عن تأنيه في حركته في وجوه المصالح الى حين استثبات الراى الاصلح
ووجه المصلحة وبقوله سريع اذا قام عن مبادرته الى وجوه المصالح وانتهازه الفرص ثم اخذ بذكرهم بموته وكنى بقوله الينتم له
رقابكم عن خضوعهم لطاعته وانقيادهم لامره وبقوله واشرتم اليه بالاصابع عن اشتهاره فيهم وتعيينه وتعظيمهم له واشار الى انه اذا تم
الاسلام به توفى وبقوله فلبثتم بعده ما شاء الله الى انهم يخلون عن امام يجمعهم مدة والاشارة الى مدة بني امية وبقوله حتى يطلع الله
لكم الى قوله نشركم على انه لا بد لهم بعد تلك المدة من شخص يجمعهم ويطلع عند ظهوره وتعيينه للرياسة بعد اختفائه فقيل هو الامام
المنتظر وقيل هو قايم بني العباس بعد انقضاء دولة بني امية فلا تطمعوا في غير مقبل اى من لم يقبل على طلب هذا الامر ممن هو اهله
ومتعين عليه له واثر تركه الى الخلوة بالله فلا تطمعوا فيه فان له بالله شغلا عن كل شيء وقيل المراد بغير المقبل من انحرف عن الدين بارتكاب
منكر فانه لا يجوز الطمع في ان يكون اميرا لكم وروى فلا تطمعوا في عين مقبل اى من اقبل عليكم من اهل البيت طالبا لهذا الامر وهو اهل له فلكونوا
معه وكنى بالطمع في عينه عن دفعه عما يريد وقوله ولا تيأسوا من مدبر الى قوله تثبتا جميعا اراد ان من ادبر عن طلب الخلافة ممن هو
اهل لها فلا ينبغي ان يحصل الاياس من عوده واقباله على الطلب فلعله انما ادبر عن ذلك لاختلال بعض الشرايط التي يتعين عليه معها
القيام وكنى عن اختلال بعض احواله من قلة ناصر ونحوه بزوال احدى قايمتيه وبثبات الاخرى عن وجود بعض الشرايط ككثرة
اهليته للطلب او بعض انصاره معه وبقوله فترجعا حتى تثبتا عن تكامل شرايط قيامه ولا ينافي النهي عن الياس ههنا النهي عن الطمع
في غير المقبل لجواز ان ينهى عن الطمع فيه حال اعراضه وادباره عن الطلب لاختلال بعض شرايطه والنهي عن الاياس منه لجواز حصول
شرايط القيام فيه وتكاملها وقوله الا ان مثل آل محمد صلى الله عليه وآله الى قوله طلع نجم تعيين للائمة من آل محمد قالت الامامية هم
الاثنا عشر من اهل البيت وشبههم بالنجوم ووجه التشبيه امران احدهما انهم يستضاء بانوار هديهم في سبيل الله كما يستضيء
المسافر بالنجوم في سفره ويهتدى بها الثاني ما اشار اليه بقوله كلما خوى نجم طلع نجم وهو كناية عن كونهم كلما خلا منهم سيد والامامية
يستدلون بهذا الكلام منه عليه السلام على انه لا يخلو زمان من وجود قايم من اهل البيت يهدى في سبيل الله وقوله فكانكم الى آخره اشارة
الى منة الله عليهم بظهور الامام المنتظر واصلاح احوالهم بوجوده ووجدت له عليه السلام في اثناء بعض خطبه في اقتصاص ما يكون
بعده فصلا يجرى مجرى الشرح لهذا الوعد وهو ان قال يا قوم اعلموا علما يقينا ان الذي يستقبل قايمنا من امر جاهليتكم ليس
بدون ما استقبل الرسول من امر جاهليتكم وذلك ان الامة كلها يومئذ جاهلية الا من رحم الله فلا تعجلوا فيعجل الخرق بكم واعلموا ان
الرفق يمن وفي الاناة بقاء وراحة والامام اعلم بما تنكرون ولعمرى لينزعن عنكم قضاة السوء وليقبضن عنكم المراضين وليعزلن

عنكم

عنكم امراء الجور وليطهرن الارض من كل غاش وليعملن فيكم بالعدل وليقومن فيكم بالقسطاس المستقيم وليتمنان احياوكم لامواتكم رجعة
الكرة عما قليل فيعيشوا اذن فان ذلك كاين لله انتم باحلامكم كفوا السنتكم وكونوا من وراء معايشكم فان الحرمان سيصل اليكم
وان صبرتم واحتسبتم وايقنتم انه طالب وتركم ومدرك لثاركم واخذ بحقكم واقسم بالله قسما حقا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون ومن خطبة له عليه السلام تشتمل على ذكر الملاحم الاول قبل كل اول والاخر بعد كل اخر باوليته وجب ان لا اول له وباخريته
وجب ان لا اخر له واشهد ان لا اله الا الله شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان ايها الناس لا يجرمنكم شقاقي ولا يستهوينكم
عصياني ولا تتراموا بالابصار عند ما تسمعونه مني فو الذي فلق الحبة وبرا النسمة ان الذي انبئكم به عن النبي الامي صلى الله عليه
واله ما كذب المبلغ ولا جهل السامع لكاني انظر الى ضليل قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان فاذا فغرت فاغرته
واشتدت شكيمته وثقلت في الارض وطاته عضت الفتنة ابناءها بانيابها وماجت الحرب بامواجها وبدا من الايام كلوحها
ومن الليالي كدوحها فاذا اينع زرعه وقام على ينعه وهدرت شقاشقه وبرقت بوارقه عقدت رايات الفتن واقبلن
كالليل المظلم والبحر الملتطم هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف ويمر عليها من عاصف وعن قليل تلتف القرون بالقرون ويحصد القايم
ويحطم المحصود اقول يجرمنكم يحق عليكم واستهواه اماله والضليل الكثير الضلال ونعق صاح وفحص الطاير الارض برجله
نحاها والضواحي البارزة وكوفان اسم الكوفة وفغر فوه انفتح وفلان شديد الشكيمة اذا كان قوى النفس ابيا والكلوح تكشر في عبوس
والكدوح فوق الخدوش واينع الزرع نضج والحطم الدق ومضمون هذا الفصل بعد توحيد الله تحذير السامعين عن عصيانه وعن
التقاعد بتكذيبه فيما بينهم فيما كان يخبرهم به من الامور المستقبلة فقوله الاول والاخر قد مضى تفسيرهما وقوله باوليته وجب ان لا اول
له لما اراد باوليته كونه مبدا لكل شيء وباخريته كونه غاية ينتهي اليها كل شيء في جميع احواله كان بذلك الاعتبار يجب ان لا يكون
له اول هو مبدا له ولا اخر يقف عنده وينتهي ووصف شهادته بانها التي توافق السر الاعلان والقلب كناية عن خلوصها عن شايبة
النفاق والجحود بالله ثم ايه بالناس وحذرهم من شقاقه وعصيانه وتكذيبه فيما يقول وهو تقريع لمن ضعفت عين بصيرته عن
ادراك فضله وامكان الاخبار بما سيكون من مثله ثم اسند ما يريد ان يخبر به من ذلك وما اخبر به الى النبي صلى الله عليه واله ليكون
ذلك شهادة لصدقه واكد ذلك بتنزيهه صلى الله عليه واله وتنزيه السامع يعني نفسه عن الكذب فيما بلغ عن ربه وفيما سمع هو عنه وقد
بينا كيفية اخذه لهذه العلوم عنه في المقدمات وقوله لكاني انظر الى ضليل قد نعق بالشام من جملة اخباراته بما سيكون
والضليل قيل انه اشارة الى السفياني الدجال وقيل انه اشارة الى معوية فان مبدا ملكه بالشام ودعوته بها وانتهت غاراته
الى نواحي الكوفة والى الانبار في حياته عليه السلام كما عرفت ذلك من قبل وكنى بفحصه براياته عن بلوغه الى الكوفة ونواحيها كناية بالمستعار
ملاحظة لشبهه بالقطاة المتخذه مفحصا وكذلك فغر فاغرته كناية عن اقتحامه للناس كناية بالمستعار ايضا ملاحظة لتشبيهه
بالاسد في اقتحام فريسته واشتداد شكيمته كناية عن قوة راسه وشدة باسه واصله ان الفرس الجموح قوى الراس محتاج الى قوة
الشكيمة وشدتها وكذلك ثقل وطاته كناية عن شدة باسه في الارض على الناس والاشبه انه اشارة الى عبد الملك وقد عرفت احواله
وثقل وطاته في الارض فيما سبق واستعار لفظ العض للفتنة ووجه المشابهة ما يستلزمانه من الشدة والالم ورشح تلك الاستعارة
بذكر الانياب وابناء الفتنة اهلها وكذلك استعار لفظ الموج للحرب وكنى به عن الاختلاط الواقع فيها من القتل والاهوال

وللايام لفظ الكلوح وكنى به عن شدة ما يلقى فيهما من الشر كما يلقى من المعبس الكشر وكذلك لفظ الكلوح استعارة لما يلقى فيهما من المصائب
الشبيهة بها ولفظ الزرع استعارة لاعماله ولفظ الايناع كناية عن بلوغه غاية افعاله ولفظ الشقاشق والبروق استعارة لحركاته
الهايلة واقواله المخوفة تشبيها بالسحاب ذي الشقاشق والبروق وقوله عقدت رايات الفتن المعضلة اى ان هذه الفتنة اذا قامت
اثارت فتنا كثيرة بعدها يكون فيها الهرج والمرج وشبه تلك الفتن في اقبالها بالليل المظلم ووجه المشابهة كونها لا يهتدى فيها الحق
كما لا يهتدى في ظلمة الليل لما يراد وبالبحر الملتطم في عظمها وخلطها للخلق بعضهم ببعض وانقلاب قوم على قوم بالمحق لهم والهلاك
كما يلتطم بعض امواج البحر ببعض ثم اشار الى ما يلحق الكوفة بسبب تلك الفتنة بعدها من الوقايع والفتن وقد وقع فيها وفق
اخباره وقايع جمة وفتن كثيرة كفتنة الحجاج والمختار بن ابى عبيدة وغيرهما واستعار لفظ القاصف والعاصف من الريح
لما يمر بها من وقت ويجرى على اهلها من الشدايد وقوله وعن قليل تلتف القرون بالقرون الى اخره اى عن قليل يلحق قرن من الناس بقرن
وكنى بالنفاق عن اجتماعهم في بطن الارض واستعار لهم لفظ الحصد والحطم ملاحظة لمشابهتهم الزرع يحصد قايمه ويحطم بعضهم صح
محصوده فكنى بحصدهم عن موتهم او قتلهم وبحطم محصودهم عن فنائهم وتفرقهم وضلالهم في التراب واعلم انه ليس في اللفظ دلالة واضحة
على ان المراد بالضليل المذكور معوية بل يحتمل ان يريد به شخصا اخر يظهر فيما بعد بالشام كما قيل انه السفيانى الدجال وان كان
الاحتمال الاول اغلب على الظن وبالله التوفيق وفى خطبة له عليه السلام يجرى هذا المجرى وذلك يوم يجمع الله فيه الاولين والاخرين لنقاش
الحساب وجزاء الاعمال خضوعا قياما قد الجمهم العرق ورجفت بهم الارض فاحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا ولنفسه متسعا
اقول اشار باليوم الى يوم القيمة ونقاش الحساب المناقشة والتدقيق فيه وقد عرفت كيفية ذلك اليوم فيما سبق ونحوه قوله تعالى
يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم الاية وخضوعا كقوله تعالى خشعا ابصارهم وقياما كقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين
وهما كنايتان عن كمال عبوديتهم من خوفهم وقهرهم اذ ذاك وتيقنهم ان لا سلطان الا سلطانه والجمهم العرق بلغ منهم مكان اللجام
وهو كناية عن بلوغهم الغاية من الجهد اذ كانت غاية العرق ان يكثر عرقه وقوله ورجفت بهم الارض كقوله تعالى يوم ترجف
الارض والجبال اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا قال بعضهم المراد بالارض الراجفة والمرتجة ارض القلوب عن نزول
خشية الله عليها وشدة اهوال يوم القيمة وقال اخرون ان ذلك صرف للكلام عن ظاهره من غير ضرورة فلا يجوز اذ كل ما اخبر
الصادق عنه من جزئيات احوال القيمة امور ممكنة والقدرة الالهية وافية بها وقوله فاحسنهم حالا من وجد لقدميه
موضعا ولنفسه متسعا قيل المراد به من وجدت قدما عقله موضعا من معرفة الله سبحانه وعبادته ومن وجد لنفسه متسعا
في حظاير قدس الله وسعة رحمته وظاهر ان اولئك احسن الخلق حالا يوم القيمة وحمله على ظاهره موافقة لظاهر الشريعة ممكن
منها فتن كقطع الليل المظلم لا يقوم لها قائمة ولا ترد لها راية تاتيكم مزمومة مرحولة يحفزها قائدها ويجهدها راكبها
اهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم يجاهدهم في الله قوم اذلة عند المتكبرين في الارض مجهولون وفي السماء معروفون
فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لا رهج له ولا حس وسيبتلى اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر اقول يحفزها يدفعها من
والكلب الشر والاذلة جمع ذليل والرهج الغبار والحس الصوت الخفى وقد نبه في هذا الفصل على ما سيقع بعده من الفتن بقطع
الليل المظلم ووجه الشبه ظاهر ولا يقوم لها قائمة اى لا يمكن مقابلتها بما يقاومها ويدفعها وانما انث لكون القائمة في مقابلة الفتنة

وقيل

وقيل لا يثبت لها قائمة فرس واستعار لفظ الزمام والرحل والحفز والقائد والراكب وجهده لها ملاحظة لشبهها بالناقة وكنى بالزمام
والرحل عن تمام اعداد الفتنة وتعبيتها كما ان كمال الناقة للركوب ان تكون مزمومة مرحولة وبقائدها عن اعوانها وبراكبها عن
منشيها المتبوع فيها وبحفزها وجهدها عن سرعتهم فيها واهلها اشارة الى الزنج وظاهر شدة كلبهم وقلة سلبهم اذ لم يكونوا
اصحاب حرب وعدة وخيل كما يعرف ذلك من قصتهم المشهورة وكما سنذكر طرفا منها فيما نستقبل من كلامه في فصل اخر وقد
وصف مقاتليهم في الله بكونه عند المتكبرين وكونهم مجهولين في الارض اي ليسوا من ابناء الدنيا المشهورين بنعيمها وكونهم معروفين
في السماء وهو اشارة الى كونهم من اهل العلم والايمان يعرفهم ربهم بطاعته وتعرفهم ملائكته بعبادة ربهم ثم اردف ذلك باخبار
البصرة مخاطبا لها والخطاب لاهلها بما سيقع بها من فتنة الزنج وظاهر انه لم يكن لهم غبار ولا اصوات اذ لم يكونوا اهل خيل
ولا قعقعة لجم فاذن لا رهج لهم ولا حس وظاهر كونهم من نقم الله للعصاة وان عمت الفتنة اذ قلما تخص العقوبة النازلة بقوم
بعضهم كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقوله وسيبتلي اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر قيل فالموت الاحمر
اشارة الى قتلهم بالسيف من قبل الذبح او من قبل غيرهم ووصفه بالحمرة كناية عن شدته وذلك ان اشد الموت ما كان بسفك الدم واول
قد فسره عليه السلام بهلاكهم من قبل الغرق كما نحكيه عنه وهو ايضا في غاية الشدة لاستلزامه زهوق الروح وكذلك وصف الاغبر لان اشد الجوع ما
اغبر معه الوجه وغير البشرة الصافية لقلة مادة الغذاء او رداءته فلذلك سمي اغبر وقيل لانه يلصق بالغبراء وهي الارض وقد اشار
عليه السلام الى هذه الحكمة للفتنة في فصل من خطبة خطب بها عند فراغه من حرب الجمل بالبصرة وفتحها وهي خطبة طويلة حكينا منها فصولا تتعلق
بالملاحم من ذلك فصل يتضمن حال غرق البصرة فعند فراغه عليه السلام من ذلك الفصل قام اليه الاحنف بن قيس فقال له يا امير المؤمنين
ومتى يكون ذلك قال يا ابا بحر انك لن تدرك ذلك الزمان وان بينك وبينه لقرونا ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا اخوانهم
اذا هم راوا البصرة قد تحولت اخصاصها دورا وآجامها قصورا فالهرب الهرب فانه لا بصرة لكم يومئذ ثم التفت عن يمينه كم بينكم وبين
الابلة فقال له المنذر بن الجارود فداك ابي وامي اربعة فراسخ قال له صدقت فوالذي بعث محمدا واكرمه بالنبوة وخصه بالرسالة
وعجل بروحه الى الجنة لقد سمعت منه كما تسمعون مني ان قال يا علي هل علمت ان بين التي تسمى البصرة والتي تسمى الابلة اربعة فراسخ
وسيكون في التي تسمى الابلة موضع اصحاب العشور يقتل في ذلك الموضع من امتي سبعون الفا شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر فقال له
المنذر يا امير المؤمنين ومن يقتلهم فداك ابي وامي قال يقتلهم اخوان الجن وهم جيل كانهم الشياطين سود الوانهم منتنة ارواحهم
شديد كلبهم قليل سلبهم طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم اذلة عند المتكبرين من اهل ذلك الزمان مجهولون
في الارض معروفون في السماء تبكي السماء عليهم وسكانها والارض وسكانها ثم هملت عيناه بالبكاء ثم قال ويحك يا بصرة ويلك يا بصرة من
جيش لا رهج له ولا حس قال المنذر يا امير المؤمنين ما الذي يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت وما الويح وما الويل فقال هما بابان فالويح باب
الرحمة والويل باب عذاب يا ابن الجارود نعم ثارات عظيمة منها عصبة يقتل بعضها بعضا ومنها فتنة يكون بها خراب منازل وخراب
ديار وانتهاك اموال وقتل رجال وسبي نساء يذبحن ذبحا ياويل امرهن حديث عجيب منها ان يستحل بها الدجال الاكبر الاعور
الممسوح العين اليمنى والاخرى كانها ممزوجة بالدم لكانها في الحمرة علقة ناتئ الحدقة كهيئة حبة العنب الطافية على الماء فيتبعه من اهلها
عدة من قتل بالابلة من الشهداء اناجيلهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب ثم رجف ثم قذف ثم خسف ثم مسخ ثم الجوع الاغبر

ثم الموت الاحمر وهو الغرق يا منذر ان للبصرة ثلثة اسماء سوى البصرة في الزبر الاول لا يعلمها الا العلماء منها الخريبة ومنها تدمر ومنها المؤتفكة
يا منذر والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو اشاء لاخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة متى تخرب ومتى تعمر بعد خرابها الى يوم القيمة وان عندي من ذلك علما
جما وان تسئلوني تجدوني به عالما لا اخطئ منه علما ولا وافيا ولقد استودعت علم القرون الاولى وما هو كاين الى يوم القيمة قال وقام اليه رجل
فقال يا امير المؤمنين اخبرني من اهل الجماعة ومن اهل الفرقة ومن اهل السنة ومن اهل البدعة فقال ويحك اذا سألتني فافهم عني ولا عليك ان لا تسأل احدا
بعدي اما اهل الجماعة فانا ومن اتبعني وان قلوا وذلك الحق عن امر الله وامر رسوله واما اهل الفرقة فالمخالفون لي ولمن اتبعني وان كثروا
واما اهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله ورسوله لا العاملون برايهم واهوائهم وان كثروا وقد مضى الفوج الاول وبقيت افواج وعلى
الله قصمها واستيصالها عن جدبة الارض وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم ايها الناس انظروا الى الدنيا نظر الزاهدين فيها الصادفين
عنها فانها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن وتفجع المترف الآمن لا يرجع ما تولى منها فادبر ولا يدرى ما هو آت منها فينتظر سرورها
مشوب بالحزن وجلد الرجال فيها منسوب الى الضعف والوهن فلا تغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها رحم الله امرءا تفكر
فاعتبر واعتبر فابصر فكان ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن وكان ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل وكل معدود منقض وكل
متوقع آت وكل آت قريب دان اقول صدف اعرض وثوى بالمكان اقام به والتفجيع المصيبة والجلد القوة وحاصل الفصل تزهيد
الدنيا والتحذير منها فامرهم ان ينظروا اليها نظر الزاهدين فيها المعرضين عنها امرا لهم بتركها واحتقارها الا بمقدار الضرورة الى ما
تقوم به الصورة ثم اردفه بذكر معايبها المنفرة فالاول ازالتها للمقيم بها المطمئن اليها عما ركن اليه منها الثاني تفجيعها للمترف المتنعم
بهم الذي خدعته بما فيها حتى امن فيها بسلب ما ركن اليه وامن عليه الثالث كونها لا يرجع منها ما تولى منها فادبر من شباب وصحة ومال
وعمر ونحوه الرابع كونها لا يدرى ما هو آت من مصائبها فينتظر ويحترز منه الخامس مشوب سرورها بالحزن اذ كان سرورها لا يعدم
في كل اوان فوت مطلوب او فقد محبوب السادس نهاية قوة اهلها وجلدهم الى الضعف كما قال ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
وزهد بعض الصالحين في الدنيا فقال عيش مشوب بسقم منساق الى هرم ومختوم بعدم مستعقب بندم هل يجوز التنافس فيه
ثم نهى عن الاغترار بكثرة ما يعجبهم منها وعلل ذلك الانهاء بقلة ما يصحبهم منها فان المنافسة انما ينبغي ان يكون بالباقي للانسان
حيث كان واشار بقليل ما يصحبهم منها الى الكفن ونحوه ثم دعا لمن تفكر فافاده فكره عبرة اي انتقال ذهن الى ما هو الحق
من وجوب ترك الدنيا والعمل للآخرة فافاده ذلك الانتقال ادراكا للحق ومشاهدة ببصر البصيرة له ثم اردفه بتشبيه وجود متاع
الدنيا الحاضر بعد مدة على سرعة لحوق عدمه بوجوده فكان وجوده شبيه بان لم يكن لسرعة زواله وكذلك تشبيه علم الآخرة الآن وما
يلحق فيها من الثواب والعقاب بوجودها الدايم اي كانها لسرعة وجودها ولحوقها لم تزل موجودة ونبه بقوله وكل معدود منقض
على انقضاء مدد الاعمار لكونها معدودة بالايام والساعات والانفاس وقوله وكل متوقع آت وكل آت قريب دان في صورة
الضرب الاول من الشكل وينتجه فكل متوقع قريب دان والاشارة به الى الموت وما بعده منها العالم من عرف قدره وكفى
بالمرء جهلا الا يعرف قدره وان من ابغض الرجال الى الله تعالى لعبدا وكله الله الى نفسه جائرا عن قصد السبيل سائرا بغير
دليل ان دعي الى حرث الدنيا عمل او الى حرث الآخرة كسل كان ما عمل له واجب عليه وكان ما ونى فيه ساقط عنه اقول حصر العالم
فيمن عرف قدره واراد بقدره مقداره من ملك الله ومحله من الوجود ولما كان عرفانه بذلك مستلزما لمعرفته بنسبته الى مخلوقات الله

حسن صح

العالمين

العالمين وانه اى شىء اتوا منها ولاى شىء وجد لاجرم كان هو العالم اللازم لحده السالك لها لما امر به غير المتعدى طوره المرسوم له فى
كتاب ربه وسنن انبيائه وقوله وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره لما كان العالم مستلزما لمعرفة القدر كان عدم معرفة القدر مستلزما
لعدم العلم وهو الجهل لان نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم وقوله وكفى بذلك الجهل اشارة الى عقوبته واستلزامه للعذاب وقوله
وان من ابغض الرجال الى قوله قصد السبيل قد سبق بيانه وقوله سائرا بغير دليل كنى بالدليل عن ائمة الهدى والمرشدين الى الله ويدخل فى ذلك
الكتاب والسنة فان من سار فى معاملة لله او لعباده بغير دليل منهما كان من الهالكين وقوله ان دعى الى حرث الآخرة استعار لفظ الحرث
لاعمال الدنيا واعمال الآخرة ووجه المشابهة كونهما مستلزمة للمكاسب الاخروية والدنيوية كما ان الحرث كذلك ثم شبه ما عمل له من حرث
الدنيا بالواجب عليه فى مبادرته ومواظبته عليه وشبه ما قصر عنه من حرث الآخرة بالساقط عنه فرضه فى تكاسله وقعوده عنه مع ان
الامر فيه ينبغى ان يكون بالعكس وبالله التوفيق منها وذلك زمان لا ينجو فيه الا كل مؤمن نومة ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد اولئك
مصابيح الهدى واعلام السرى ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر اولئك يفتح الله لهم ابواب رحمته ويكشف عنهم ضراء نقمته ايها
الناس سياتى عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام كما يكفأ الاناء بما فيه ايها الناس ان الله تعالى قد اعاذكم من ان يجور عليكم ولم يعذكم من ان يبتليكم
وقد قال جل من قائل ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين قال السيد رضى الله عنه اما قوله عليه السلام كل مؤمن نومة فانما اراد به الخامل الذكر
القليل الشر والمساييح جمع مسياح وهو الذى يسيح بين الناس بالفساد والنمائم والمذاييع جمع مذياع وهو الذى اذا سمع فاحشة لغيره اذاعها — لغيره بفاحشة
ونوه بها والبذر جمع بذور وهو الذى يكثر سفهه ويلغو منطقه اقول النومة كثير النوم وروى نومه بسكون الميم وهو الضعيف
وكفأت الاناء قلبته لوجهه وكنى بالنومة عن خامل الذكر بين الناس المشتغل بربه عنهم كما فسره عليه السلام بقوله ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد
واشار باولئك الى كل مؤمن كذلك واستعار لهم لفظ المصابيح والاعلام لكونهم اسباب الهداية فى سبيل الله وقد سبق ذلك وقوله ليسوا
بالمساييح الى قوله ضراء نقمته ظاهر وقد فسره السيد رضى الله عنه وقوله ايها الناس الى قوله الاناء بما فيه اخبار بما سيكون من فساد اهل الزمان
وما يكون فيه من الفتن وترك الدين كما سبق من اشاراته وشبه قلبهم للزمان بقلب الاناء بما فيه ووجه الشبه خروج الاسلام عن كونه منتفعا به بعد
تركهم للعمل به كما يخرج ما فى الاناء الذى كب عن الانتفاع واحسن بهذا التشبيه فان الزمان للاسلام كالاناء للماء واشار الى ان ذلك ليس بظلم
بقوله ان الله قد اعاذكم من ان يجور عليكم فى قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ان ذلك ابتلاء منه يبتلى به عباده كما قال تعالى ان فى ذلك لآيات وان
كنا لمبتلين فمن صبر نفعه صبره ومن كفر فعليه كفره وقد عرفت معنى ابتلاء الله لخلقه وفائدته فلا وجه لاعادته وبالله التوفيق ومن خطبة له
عليه السلام وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية اما بعد فان الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله وليس احد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعى
نبوة ولا وحيا فقاتل بمن اطاعه من عصاه يسوقهم الى منجاتهم ويبادر بهم الساعة ان تنزل بهم يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى
يلحقه غايته الا هالكا لا خير فيه حتى اراهم منجاتهم وبوأهم محلتهم فاستدارت رحاهم واستقامت قناتهم وايم الله لقد كنت فى ساقتها
حتى تولت بحذافيرها واستوسقت فى قيادها ما ضعفت ولا جبنت ولا خنت ولا وهنت وايم الله لابقرن الباطل حتى اخرج
الحق من خاصرته اقول لنشرح ما انفردت هذه الرواية من الزيادة على الفصل المتقدم فالحسير الذى اعيا فى طريقه والرحا قطعة من الارض
تستدير وترتفع على ما حولها واستوسقت اجتمعت وانتظمت وخنت جبنت فقوله فقاتل بمن اطاعه من عصاه معناه ظاهر وقوله
ويبادر بهم الساعة ان تنزل بهم اى يسارع الى هدايتهم وتسليكهم لسبيل الله كى لا تنزل بهم الساعة على عمى منهم عن صراط الله فيقعوا فى مهاوى الهلاك

وقوله يحسر الحسير الى قوله لا اخر فيه اشارة الى وصفه عليه السلام بالشفقة على الخلق في حال اسفاره معهم في الغزوات ونحوها اى انه كان يسير في آخرهم ويتفقد المنقطع منهم عن عياء او انكسار مركوب فلا يزال يلطف به حتى يبلغه اصحابه الا ما لا يمكن ايصاله ولا يرجى قال بعض السالكين كنى بالحسير والكسير عمن عجز ووقف قدم عقله في الطريق الى الله لضعف في عين بصيرته واعوجاج في آلة ادراكه وبقيا مدعليه حتى يلحقه الى غايته من اخذه له بوجوه الحيل والجواذب الى الدين حتى يوصله الى ما يمكن من العقيدة المرضية والاعمال الزكية التي هي الغاية من طريق الشريعة المطلوب سلوكها وقوله الا هالكا لا خير فيه اراد به من كان مايوسا من رشده لعلمه بان تقويمه غير ممكن كابي لهب وابي جهل ونحوهما وقوله فاستدارت رحاهم استعار لهم لفظ الرحا لاجتماعهم وارتفاعهم على غيرهم كما ترتفع القطعة من الارض عن ما الف التراب ونحوه وقوله واستوسقت في قيادها اشارة الى طاعة من اطاع من العرب وانقاد للاسلام واستعار لفظ الاتساق والقياد ملاحظة لتشبيههم بالابل المجتمعة لسايقها والمنتظمة في قياده لها واستعار لفظ الخاصرة للباطل ورشح تلك الاستعارة بذكر البقر ملاحظة لشبهه بالحيوان المبتلع ما هو اعز قيمة منه وكنى به عن تمييز الحق منه وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شهيدا على الخلق بشيرا ونذيرا خير البرية طفلا وانجبها كهلا اطهر المطهرين شيمة واجود المستمطرين ديمة فما احلولت لكم الدنيا في لذتها ولا تمكنتم من رضاع اخلافها الا من بعد ما صادفتموها جائلا خطامها قلقا وضينها قد صار حرامها عند اقوام بمنزلة السدر المخضود وحلالها بعيدا غير موجود وصادفتموها والله ظلا ممدودا الى اجل معدود فالارض لكم شاغرة وايديكم فيها مبسوطة وايدي القادة عنكم مكفوفة وسيوفكم عليهم مسلطة وسيوفهم عنكم مقبوضة الا ان لكل دم ثائرا ولكل حق طالبا وان الثائر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه وهو الله الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب فاقسم بالله يا بني امية عما قليل لتعرفنها في ايدي غيركم وفي دار عدوكم الا ان ابصر الابصار ما نفذ في الخير طرفه الا ان اسمع الاسماع ما وعى التذكير فقبله ايها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ وامتاحوا من صفو عين قد روقت من الكدر عباد الله لا تركنوا الى جهالتكم ولا تنقادوا لاهوائكم فان النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار ينقل الردى على ظهره من موضع الى موضع لراى يحدثه بعد راى يريد ان يلصق ما لا يلتصق ويقرب ما لا يتقارب فالله الله ان تشكوا الى من لا يشكي شجوكم ومن ينقض برايه ما قد ابرم لكم انه ليس على الامام الا ما حمل من امر ربه الابلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة والاحياء للسنة واقامة الحدود على مستحقيها واصدار السهمان على اهلها فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ومن قبل ان تشغلوا بانفسكم عن مستثار العلم من عند اهله وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه فانما امرتم بالنهي بعد التناهي اقول الشيمة الخلق واحلولى حلا والخلف حلمة ضرع الناقة والوضين حزام الهودج والمخضود الذي لا شوك فيه والماتح الجاذب للدلو من البئر وشغر الكلب رفع احدى رجليه ليبول والترويق التصفية والجرف المكان ياكله السيل وهار اصله هائر وهو المنهدم فقلب من الثلاثي الى الرباعي كشائك وشاكي والشجو الهم والحزن وصوح النبت يبس فقوله حتى بعث الله محمدا الى قوله من بعده افتخار به صلى الله عليه وآله ومدح له بالقوة في الدين وتوبيخ بجميع الدنيا ومحبتها بعده وهو غاية لفصل سابق كانه ذكر فيه ما كان عليه من سوء الحال والقشف والفقر ومن عليهم بذكر هذه الغاية الحسنة لتلك الاحوال ووصفه باوصاف احدها كونه شهيدا على الخلق باعمالهم يوم القيمة كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقد عرفت كيفية هذه الشهادة الثاني وبشيرا للخلق بما اعد لهم من الثواب العظيم الثالث ونذيرا

لهم

وفي بعض النسخ [illegible]

يشكي
قد صر

اى صح

لهم بما اعدّ للعصاة من العذاب الاليم وينتظم بهذه الاوصاف قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا والثلثة احوال الرابع خير البرية
طفلا ولما علمت ان الافضلية بالاعمال الصالحة والتسديد لسلوك سبيل الله وكان هو صلى الله عليه وآله منذ صباه وطفوليته افضل الخلق في لزوم
ذلك القدم لا جرم كان خير الناس طفلا الخامس وانجبها كهلا ولما كانت النجابة مستلزمة لكرم الخصال والتقاط الفضايل وتتبعها كان هو صلى الله عليه وآله
في كهوليته ودعوته منبع كل فضيلة لا جرم كان انجبهم كهلا وطفلا وكهلا منصوبا على الحال ايضا السادس كونه اطهر المطهرين شيمة لما
كان عليه من مكارم الاخلاق الظاهرة وكل خلق عدل فمنه مكتسب لا جرم كان اطهر الشيمة واكرم الخلق السابع كونه اجود المستمطرين
ديمة استعار له وصف السحاب المرجو منه نزول الديمة وكنى بذلك عن غاية جوده وكرمه وكان صلى الله عليه وآله اذا امسى اوى
الى البيت فلا يجد فيه شيئا من فضة او ذهب الا تصدق به ولم يبت في بيته منه شيء وشيمة وديمة مميزان وقوله فما احلولت
الدنيا في لذتها الى قوله من بعده الخطاب لبني امية ونحوهم وهو تبكيت لهم بتطميعهم لذة الدنيا وابتهاجهم بها وتمكنهم منها بعد الرسول
صلى الله عليه وآله وتذكيرهم بمخالفتهم لسنته في ذلك واستعار لفظ الاخلاف وكنى به عن وجوه مكاسب الدنيا ولذاتها ورشح تلك
الاستعارة بذكر الرضاع وكنى به عن تناولهم لها ملاحظة لتشبيهها بالناقة وقوله صادفتموها الى قوله غير موجود استعار لها
لفظ الخطام والوضين ورشحهما بالقلق والجولان وكنى بذلك عن مصادفتهم للدنيا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله غير منظومة الحال
ولا مضبوطة على ما ينبغي لضعفه ولا قيما في اصلاح حالها كما ان الناقة قلقة الحزام وجائلة الخطام غير منظومة الآلة ولا
مضبوطة الحالة فهي بمعرض ان تمشي وتنحرف على غير استقامة فتهلك راكبها ثم ذكر رذيلة قوم فشبه حرامها بالسدر المخضود بمنعهم
ووجه الشبه ان نواهي الله تعالى ووعيداته على فعل المحرمات يجري مجرى الشوك للسدر في كونها مانعة منها كما يمنع شوك السدر جانبه
من تناوله لثمرته ولما كان بعض الامة قد طرح اعتبار المناهي والوعيد جانبا عن نفسه وفعل ما حرم عليه جرى ذلك عنده
مجرى تناوله واقدام عليه وكون حلالها بعيدا غير موجود اي بين اولئك المشار اليهم وحايلا وقلقا حالان وقوله صادفتموها
والله الى قوله ممدود استعار لفظ الظل لها ورشح بالممدود وكنى بذلك عن زوالها بعد حين تهديدا لهم به ثم استعار لفظ
الظل لها ورشح بالممدود وكنى به عن خلوها لهم بقيا لبقي الامر الفلاني شاغرا برجله اذا لم يكن له طالب ولا حام يحميه
وكنى ببسط ايديهم فيها عن قدرتهم على التصرف واراد بالقادة الحماة وبسلاطة سيوفهم على القادة جرأتهم وحكمهم عليهم
وبقبض سيوف القادة عنهم عدم تمكنهم منهم وقوله الا ان لكل دم ثائرا الى قوله من هرب تهديدا بالله لبني امية وتخويف
باخذه وعقابه وهاتان الكلمتان ظاهرتا الصدق فانه تعالى هو الثائر لكل دم معصوم والطالب به ان عدم مطالبه او ضعف ولما
كان دم مثلهم عليهم كلهم وسائر الصحابة ممن عصم الله دمه ومنع منه وحرمه يجري مجرى الحق الثابت المتعارف لله في كونه يطلب به ولا يهمله
وهو الحاكم المطلق لا جرم استعار لفظ الثائر وايما فارك كناية كالحاكم لان اطلاق لفظ الثائر للحق لله ليس بحقيقة اذ الحق ما من شانه
ان ينتفع باخذه وينضرر بتركه والباري منزه عن ذلك لكن لما جرى ذلك الدم مجرى الحق له تعالى وكان هو الاخذ به اشبه الحاكم في
استيفاء الحق ووصفه تعالى بانه لا يعجزه مطلوب ولا يفوته هارب في معرض التهديد لهم باخذه وقوته ثم اردف ذلك بالقسم البادي
مخاطبا لبني امية ليعرفنها اي الدنيا وامرتها في يد غيرهم من اعدائهم وذلك ظاهر الصدق بانتقالها الى بني العباس ثم شرع بعده
في التنبيه على الفكر في تحصيل السعادة الباقية والخير الدايم وعلى قبول الوعظ والتذكير فاشار الى ان ابصار الابصار ما نفذ في

الخير طرفه واسمع الاسماع ما وعى الذكر فقبله واراد طرف بصر العقل وسمعه استعارة او حسن البصر والسمع على معنى ان افضل
ابصار البصر وسماع السمع ما عاد على المبصر والسامع بالفايدة المطلوبة منهما وهى تحصيل الكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق
ولما قدم ذلك امام مقصوده انه بالناس بعده الى قبول قوله والاستصباح بنوره واستعار لنفسه لفظ المصباح ورشح بذكر
الشعلة والاستصباح واستعار لفظ العين ورشح بذكر الصفو والترويق والمتح ووجه الاستعارة الاولى كونه مقتدى به كالمصباح
ووجه الثانية كون العلم المستفاد منه مادة الحياة الابدية كما ان ماء العين مادة الحيوة الدنيوية وكنى بترويقها من الكدر
عن رسوخه فيما علم بحيث لا يتطرق اليه شبه يكدر يقينه وهو امرهم بالاهتداء به واخذ العلوم والاخلاق عنه ثم امر باخذهما
عنه اردفه بالنهي عن الجهل والركون اليه ثم عن الانقياد للاهواء الباطلة المخرجة عن كرايم الاخلاق الى رذايلها وعن حق المصالح
الى باطلها **وقوله** فان النازل بهذا المنزل اراد منزل المشير المدعى للنصيحة لهم عن جهل منه بوجوه المصالح وذلك انه عليه السلام كان
يرى الراى الصالح ويشير عليهم به واذا خلا بعضهم الى بعض فما كان من ذلك فيه مشقة عليهم من جهاد او مواظبة على عمل شاق اسناد
منافقوهم والمبغضون له المدعون لاهليتهم لمقامه بعكس ما راى فيه واشار به ورده وتهم عنه الى ما يوافق اهواءهم ويلايم
طباعهم افسادا في الدين عليهم الى من نزل نفسه منزلة المشير الناصح مع ان كلما يشير به عن هوى متبع وجهل فهو على شفا جرف
هار واستعار لفظ الجرف للاراء الفاسدة الصادرة عن اتباع الهوى فانها لم تبن على نظام العقل ولم ترخص فيها الشريعة
فكانت منهارة لا يبنى عليها الاماكان بصدد ان ينهار فكان المشير بها واقف على شفا جرف هار منها ينهار به في نار جهنم او في
الهلاك الحاضر يقال لمن فعل فعلا على غير اصل او يتوقع له منه عقوبة مثلا انه على شفا جرف هار الاية **وقوله** ينقل الردى على ظهره
من موضع الى موضع لما كان الردى هو الهلاك وكان الراى الفاسد يستلزم الهلاك للمشار عليه وللمشير كان المشير على الخلق به عن هوى
كالناقل للهلاك من شخص الى غيره والمقسم له على ان يشير عليهم به في معرض التنفير عنه **وقوله** لراى يحدثه بعد راى يريد ان يلصق ما لا
يلتصق ذكر غاية ينقله من موضع الى اخر فان نقله للردى يستلزم بنقله وروى ولراى بالواو وعلى هذه الرواية يكون كلاما مستانفا
والتقدير ان السبب راى يحدثه الصاق ما لا يلتصق واستعار لفظ اللصوق للصلح اى يريد ان يصلح بينكم وبين اعدائكم وذلك
امر لا ينصلح ووجه المشابهة كون الخصمين في طريقين يجمعها الصلح ويوجب لهما الاتحاد كما يجمع اللصاق بين الملتصقين ويحتمل ان
يريد ان يلصق بكم من الاراء الفاسدة ما لا ينبغي ان يلتصق بكم ولذلك قوله ويقرب ما لا يتقارب اى ويقرب عليكم ما بينكم وبينهم من
البعد والافتراق وذلك امر لا يتقارب ويشبه من هذا ان من كان ينهاهم عن الركون الى استشارته كان يخذلهم عن الحرب بذكر الصلح
بينهم وبين معوية والدخول فيه ثم حذرهم الله عقابه في ان يشكوا الى من لا يشكى حزنهم وذلك ان المشتكى اليه والمستشار اذا لم يسا
هم الشاكي همه لم يكن اهلا للراى في مثل ذلك الامر المشكو فيه وان كان معروفا بجودة الراى وسره ذلك ان الاهتمام بالامر يبعث
زايدا على الاستقصاء في تفتيش وجوه الاراء الصالحة فيه فيكون بصدد ان يستخرج منها اصلحها وانفعها وان كان دون
غيره في جودة الراى بخلاف الخلي القديم الباعث على طلب الاصلح واردفه بنهيهم عن ان ينقض برايه الفاسد ما قد ابرمه هو عليه السلام
من الراى الصايب في التجرد للحرب ثم اردفه ببيان ما يجب على الامام مما هو تكليفه بالنسبة الى الرعية وفايدة ذلك الاعذار اليهم
فيما عساهم ينسبونه اليه من تقصير كما قد يكون الى غيره في الراى ونحوه وذكر امورا خمسة الابلاغ في موعظة العباد ثم الاجتهاد في

كان صح

النصيحة

لهم بالاحياء لسنة الله ورسوله فيهم ثم اقامة الحدود التي تستحقونها بجناياتكم ثم اصدار السهمان علی اهلها والسهمان جمع سهم وهو
النصيب المستحق للمسلم من بيت المال ثم لما سبق نهيه عن الركون الى الجهل امر هنا بالمبادرة الى العلم من قبل تصويح نبته واستعار لفظ
النبت ورشح بذكر التصويح وكنى به عن عدمه بموته عليه السلم وقوله ومن قبل ان تشغلوا بانفسكم اي بتخليصها من شرور الفتن التي
تستنزل بهم من بني امية ومعاناتها ومستثار العلم ما استثير اليه واستخرج واهله هو عليه السلم ومن في معناه من العلماء ثم امرهم
بالانتهاء عن المنكر ثم ينهى غيرهم عنه لان النهي عن الشيء بعد الانتهاء عنه هو النهي المثمر المطابق بمقتضى الحكمة اذ كان انفعال الطباع
عن مشاهدة الافعال والاقتداء بها اقوى واسرع منها عن سماع الاقوال خصوصا اذا خالفها فعل القائل وذلك امر ظاهر شهدت
به العقول السليمة والتجارب وتوافقت عليه الاراء والشرائع واليه اشار الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت
عظيم ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده واعز اركانه على من غالبه فجعله امنا لمن علقه
وسلما لمن دخله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم به ونورا لمن استضاء به وفهما لمن عقل ولبا لمن تدبر واية لمن
توسم وتبصرة لمن عزم وعبرة لمن اتعظ ونجاة لمن صدق وثقة لمن توكل وراحة لمن فوض وجنة لمن صبر فهو ابلج
المناهج واوضح الولائج مشرف المنار مشرق الجواد مضيء المصابيح كريم المضمار رفيع الغاية جامع الحلبة متنافس السبقة شريف
الفرسان التصديق منهاجه والصالحات مناره والموت غايته والدنيا مضماره والقيمة حلبته والجنة سبقته اقول الابلج
الواضح المشرق والوليجة بطانة الرجل خاصته والمضمار محل تضمير الخيل للسباق والحلبة خيل تجتمع من مواضع متفرقة للسباق وقد
تطلق على مجمعها والسبقة ما تستبق عليه من الخطر وقد حمد الله سبحانه باعتبار ما انعم به من وضع شريعة الاسلام للعقول لتسلك بها اليه واشار
بشرايعه الى موارد العقول من اركانه وتسهيلها ايضاح قواعده وخطاباته بحيث يفهمها الفصيح والالكن ويشارك الغبي في ورودهم
مناهلها الفطن الذكي واعزاز اركانه حمايتها ورفعها عمن قصد هدمه واطفاء نوره معاليه من المشركين والجاهلين ثم مدح
الاسلام باوصاف اسندها الى مفيضه وشارعه سبحانه وتعالى احدها جعله امنا لمن علقه وظاهر كونه امنا لمن تعلق به في الدنيا
من القتل وفي الاخرة من العذاب الثاني وكذلك كونه سلما لمن دخله اي مسالما له في الاول ملاحظة لتشبيهه بالحرم باعتبار دخوله
وفي الثاني ملاحظة لتشبيهه بالمغالب من الشجعان باعتبار مسالمته ومعنى مسالمة الاسلام له كونه محقون الدم مقررا على ما كان
يملكه فكان الاسلام سالمه وصالحه لكونه لا يقتضي ما يؤذيه بعد دخوله فيه الثالث كونه برهانا لمن تكلم به اي فيه ما هو برهان
الرابع كونه شاهدا لمن خاصم به والشاهد اعم من البرهان لتناوله الجدل والخطابة الخامس كونه نورا يستضاء به فاستعار لفظ
النور له ورشحه بذكر الاستضاءة ووجه المشابهة كونه مهتدى به في طريق الله الى جنته السادس كونه فهما لمن عقل ولما كان
الفهم عبارة عن جودة تهيؤ الذهن لقبول ما يرد عليه وكان الدخول في الاسلام ورياضة النفس بقوله واركانه سببا عظيما لتهيؤ
الذهن لقبول الانوار الالهية وفهم الاسرار لا جرم اطلق عليه لفظ الفهم مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب السابع كونه لبا لمن
تدبر ولما كان اللب هو العقل اطلق عليه لفظ العقل وان كان سببا له كالمجاز الاول واراد العقل بالملكة وما من مراتب العقل
فان الاسلام وقواعده اقوى الاسباب بحصول العقل بمراتبه الثامن كونه اية لمن توسم واراد من تفرس طرق الخير ومقاصده
فان الاسلام اية وعلامة لذلك المتفرس اذا اهتدى بها فقد وقع على طريق الهدى التاسع كونه تبصرة لمن عزم واراد من عزم على امر

قصده فان فی الاسلام تبصرة لکیفیة فعله علی الوجه الذی ینبغی العاشر کونه عبرة لمن اتعظ وذلک ظاهر فان الاسلام نعم المعبر لنفس المتعظ الی حضرة قدس الله بما فیه من احوال القرون الماضیة ونصرة الزمان بهم الحادی عشر کونه نجاة لمن صدق ای لمن صدق الرسول فیما جاء به فان دخوله فی الاسلام سبب نجاته من سیوف الله فی الدنیا وعذابه فی الاخرة واطلق علیه اسم النجاة اطلاقا لاسم المسبب علی السبب ایضا الثانی عشر کونه ثقة لمن توکل ای هو سبب ثقة المتوکلین علی الله لاشتماله علی الوعد الکریم وبه یکون استعدادهم للتوکل علیه الثالث عشر کونه راحة لمن فوض ای من ترک البحث والاستقصاء فی الدلایل وتمسک باحکام الاسلام ودلایل القران والسنة المتداولة بین اهله وفوض امره الیه استراح بذلک التفویض وقیل بل المراد فیه الذهاب الی التفویض فی الامور الی الله وعلم ما لم یعلم منها وترک التکلیف به وذلک راحة وقیل بل المراد ان المسلم اذا کمل الاسلام وفوض امره الی الله کفاه الله جمیع اموره واراحه من الاهتمام بها الرابع عشر کونه جنة لمن صبر ای صبر علی العمل بقواعده وارکانه وظاهر کونه جنة من عذاب الله ولفظ الجنة مستعار الخامس عشر ابلج المناهج ومناهج الاسلام طرقه وارکانه التی یصدق علی من سلکها انه مسلم وهی الاقرار بالله وبرسوله والتصدیق بما وردت به الشریعة کما سیفسره مونه وظاهر کونها انوارا واضحة الهدی السادس عشر کونه واضح الولایج ای واضح البواطن والاسرار لمن نظر الیه بعین الاعتبار السابع عشر کونه مشرف المنار ومنار الاسلام الاعمال الصالحات التی یقتدی بها السالکون کالعبادات الخمس ونحوها وظاهر کونها مشرفة عالیة علی غیرها من العبادات السابقة الثامن عشر کونه مشرق الجواد وهو قریب من ابلج المناهج التاسع عشر کونه مضیء المصابیح وکنی به عن علماء الاسلام والائمة کنایة بالمستعار ورشح بذکر الاضاءة وکنی بها عن ظهور العلم عنهم واقتداء الخلق بهم ویحتمل ان یرید بالمصابیح ادلة الاسلام کالکتاب والسنة العشرون کونه کریم المضمار ومضمار الاسلام الدنیا کما سیذکره ولا شک فی کونها کریمة باعتبار اقتباس الانوار منها والعبور بها الی الله ولفظ المضمار مستعار وقد سبق الحادی والعشرون کونه رفیع الغایة ولما کانت غایة الوصول الی حضرة رب العالمین التی هی جنة المأوی لاجرم کان رفیع الغایة اذ لا غایة ارفع منها واعلی مرتبة الثانی والعشرون کونه جامع الحلبة واستعار لفظ الحلبة للقیمة فانها حلبة الاسلام کما سنبینه ووجه الاستعارة کونها محل الاجتماع بها للسباق الی حضرة الله التی هی الجنة کاجتماع الخیل فی الحلبة للسباق الی الرهن الثالث والعشرون کونه متنافس السبقة ولما کانت سبقة الجنة کانت اشرف ما یتنافس فیها الرابع والعشرون کونه شریف الفرسان واستعار لفظ الفرسان لعلمائه الذین هم فرسان العلوم ورجالها ملاحظة لتشبیه بالفرس الجواد الذی لا یجاری راکبه الخامس والعشرون التصدیق منهاجه الی اخره تفسیر لما اهمل تفسیره من منهاجه ومناره وغایته ومضماره وحلبته وسبقته وانما جعل الموت غایة ای الغایة القریبة التی هی باب الوصول الی الله تعالی ویحتمل ان یرید بالموت موت الشهوات فانها غایة قریبة للاسلام ایضا وکذلک استعار لفظ السبقة للجنة لکونها الثمرة المطلوبة والغایة من الدین کما ان السبقة غایة سعی المتراهنین

منها فی ذکر النبی صلی الله علیه واله وسلم حتی اوری قبس القابس وانار علما لحابس فهو امینک المامون وشهیدک یوم الدین وبعیثک نعمة ورسولک بالحق رحمة اللهم اقسم له مقسما من عدلک واجزه مضعفات الخیر من فضلک اللهم اعل علی بناء البانین بناءه واکرم لدیک نزله وشرف عندک منزله واته الوسیلة واعطه السناء والفضیلة واحشرنا فی زمرته غیر خزایا ولا نادمین ولا ناکبین ولا ضالین ولا مفتونین قال السید وقد مضی هذا الکلام فیما تقدم الا انا کررناه هاهنا لما فی الروایتین من الاختلاف اقول

القبس

الجماعة

القبس الشعلة واورى اشعل والحابس الواقف بالمكان والنزل ما يهيأ للنزيل من ضيافة ونحوها والسناء الرافعة والزمرة من الناس والناكب المنحرف عن الطريق وقوله حتى اورى الى قوله الحابس غاية لكلام مدح فيه النبي صلى الله عليه وآله وذكر فيه جهاده واجتهاده في الدين للغاية المذكورة واستعار لفظ القبس لانوار الدين المشتعلة لتقتبس منها نفوس الخلق وانوار الهدى وكذلك استعار لفظ العلم واسند اليه تنويره ويفهم منه امران احدهما انه اظهر انوارا جعلها اعلاما يهتدى بها في سبيل الله من حبسته ظلمة الحيرة والشبهة عن سلوكها فهو واقف على ساق التحير كقوله تعالى واذا اظلم عليهم قاموا وكنى بتلك الاعلام عن ايات الكتاب والسنن الثاني ان يكون المراد بالاعلام ائمة الدين وتنويره لها تنوير قلوبهم بما ظهر عن نفسه القدسية من الكمالات والعلوم وقوله امينك المامون اى على وحيك وشهيدك يوم الدين اى على خلقك وبعيثك نعمة اى مبعوثك اليهم نعمة عليهم بهدايتهم به الى جنتك ورسولك بالحق رحمة لعبادك ان يقعوا في مهاوي الهلاك بسخطك وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ثم اردفه بالدعاء له صلى الله عليه وآله فدعا الله ان يقسم له مقسما من عدله ولما كان مقتضى عدل الله ان يبلغ نفسا هي محل الرسالة اقصى ما استعدت له من درجات الكمال وبعدها بذلك اعلى دعاء ان يقسم له نصيبا وافرا من عدله يعده به لدرجات من رتب الوصول الغير المتناهية وقوله واجزه مضاعفات الخير من فضلك لما دعا له بما يستحقه زاد على ذلك فدعا له بان يتفضل عليه بزيادة من فضله فيضاعف له ما يستحقه من الخيرات وقوله اللهم اعل على بناء البانين بناءه دعاء ليشيد ما بناه من قواعد الدين على ساير بناء البانين للشرايع من الرسل قبله واراد ما بناه لنفسه من مراتب الكمال ولفظ البناء مستعار ثم دعا ان يكرم لديه ما هيأه له من الثواب الجزيل وان يشرف مقامه في حضرة قدسه وان يؤتيه ما يتوسل به اليه ويقرب منه وهو ان يكمل استعداده لما هو اتم القوة على الوصول اليه وان يعطيه الرفعة ويشرفه بالفضيلة التامة وان يحشره في زمرة على احوال غير خازين اى بقبايح الذنوب ولا نادمين على التفريط في جنب الله والتقصير في العمل بطاعته ولا ناكبين منحرفين عن سبيله الى احد طرفي التفريط والافراط ولا ناكثين لعهوده وهو ما تقدم اليهم واخذ بها خلقه ان يعبدوه ويخلصوا له الدين ولا ضالين عن سواء السبيل العدل ولا مفتونين بشبهات الاباطيل وبالله التوفيق

ومنه في خطاب اصحابه قد بلغتم من كرامة الله لكم منزلة تكرم بها اماؤكم وتوصل بها جيرانكم ويعظمكم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة ولا لكم عليه امرة وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وانتم لنقض ذمم ابائكم تانفون وكانت امور الله عليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع فمكنتم الظلمة من منزلتكم والقيتم اليهم ازمتكم واسلمتم امور الله في ايديهم يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات وايم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم

اقول صدر هذا الفصل بتذكيرهم المنزلة التي اكرمهم الله بها من الاسلام والهداية للايمان وما في تلك المنزلة من الفضل حتى عمت حرمتها اماءهم وجيرانهم وان كانوا غير مسلمين وعظمهم من لا فضل لهم عليه ولا يد لهم عنده وهابهم من لا يخاف سطوتهم وظاهر ان سبب ذلك كله هو كرامة الله لهم بالاسلام والهداية للايمان ثم لما قرر نعمة الله عليهم اردف ذلك بالتوبيخ لهم على التقصير في اداء واجب حقه واشار الى ارتكابهم لبعض مسببات كفران نعمته وهو عدم انكارهم لما يرون من نقض عهود الله وسكوتهم عليها وعدم غضبهم منها كالراضين بذلك واراد بذلك بغي البغاة وخروج الخوارج وساير المنكرات التي وقعت من اهل الشام وغيرهم خالفوا فيها امر الله ونكثوا بيعته التي هي عهد من عهود الله عليهم فان السكوت على مثل ذلك مع التمكن من ازالته وانكاره بالجهاد منكر

هم راكبوه والواو في قوله وانتم للحال اى وانتم مع ذلك تانفون لنقض ذمم ابائكم فكان يجب منكم بطريق الاولى ان تانفوا العهود
الله ان تنقض وذممه ان تخفر ثم ذكرهم تفريطهم وتهاونهم في الامور التى كان الله سبحانه فوضها اليهم وجعلهم موردها ومصدرها
من امور الاسلام واحكامه والتسلط به على سائر الناس وبكتهم بتمكينهم الظلمة في منزلتهم تلك من الاسلام واراد بالظلمة معوية وقومه
وبتمكينهم لهم تخاذلهم عنه والقائهم ازمة الامور اليهم بذلك ولفظ الازمة مستعار والامور التى سلموها اليهم احوال بلاد الاسلام كل
ذلك بالتقصير عن مجاهدتهم وعملهم بالشبهات عملهم على وفق اوهامهم الفاسدة وارائهم الباطلة التى يتوهمونها حججا فيما يفعلون
وسيرهم في الشهوات قطعهم اوقاتهم في الانهماك في مقتضيات الشهوة وقوله وايم الله الى اخره تحذيرهم وانذار بما سيكون من
بنى امية من جمع الناس في بلائهم وشرورهم وعموم فتنتهم وكنى باليوم عن مدة خلافتهم التى كانت شرا وآفات على الاسلام واهله وانما
نسب التفريق اليهم والجمع الى الله تقريرا لما سينزل به قدره من ابتلائه الخلق بهم فانهم لو فرقهم في اطراف البلاد لم يغنهم ذلك التفريق عن لحوق
قدر الله لهم ولم يمنعهم من نزوله الجميع بما يراد لهم من الابتلاء بيد ولاة بنى امية وشرورها واحوال دولتهم مع الخلق خصوصا الصالحين من عباد
الله ظاهرة وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلم في بعض ايام صفين وقد رايت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم
الجفاة الطغام واعراب اهل الشام وانتم لهاميم العرب ويآفيخ الشرف والانف المقدم والسنام الاعظم ولقد شفا وحاوح صدرى
ان رايتكم باخرة تحوزونهم كما حازوكم وتزيلونهم كما ازالوكم حسا بالنصال وشجرا بالرماح تركب اولاهم اخراهم كالابل الهيم المطرودة عن مواقفهم صح
ترمى عن حياضها وتذاد عن مواردها اقول الجولة الدورة والانحياز ذل والطغام اوغاد الناس واللهاميم جمع لهموم
وهو الجواد من الناس واليآفيخ جمع يافوخ وهو اعلى الدماغ والوحاوح جمع وحوحة وهى صوت فيه بحح يصدر عن المتالم والحس
الاستيصال والنصال جمع نصل للسيف والشجر الطعن وتذاد تساق وتطرد وفي هذا الفصل تبكيت لاصحابه بانحيازهم عن عدوهم
وتقريع ثم تنحية واغراء كيلا يعاودوا الى الفرار وذلك قوله وقد رايت الى قوله اهل الشام اى وقد رايت تخاذلكم عنهم حتى حازكم اراذل
اهل الشام مع انكم اهل الشرف وسادات العرب واستعار لفظ اليآفيخ لهم اذ كانوا بالنسبة الى العرب في علوهم وشرفهم كاليآفيخ
بالنسبة الى الابدان وكذلك استعار لفظ الانف والسنام ووجه المشابهة عزهم وشرفهم كعزة الانف وتقدمه وحسن الوجه به بالنسبة
الى باقى الاعضاء وكعزة السنام وعلوه بالنسبة الى باقى اعضاء الجمل ثم اردف ذلك بالتبكيت والتذكير بالرذيلة بذكر فضيلتهم التى ختموا
بها وهى حوزهم لعدوهم بالاخرة كحوزهم لهم اولا وازالتهم لهم عن مواقفهم كما ازالوهم وحسهم استيصالا وطعنا بركب مقدمهم تاليهم
واولهم اخرهم ليثبتوا على مثل هذه الافعال في مثل تلك المواقف وعد ذلك شفاء لوحاوح صدره وكنى بالوحاوح عما كان يجده من
التالم بسبب انهزام اصحابه وغلب عدوهم لهم وشبههم في تضعضعهم وركوب بعضهم لبعض مولين بالابل العطاش التى اجتمعت على
الحياض لتشرب ثم طردت ورميت عنها بالسهام وذيدت عما وردته فان طردها على ذلك الاجتماع يوجب لها ان يركب بعضها بعضا
ويقع بعضها على بعض وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله المتجلى لخلقه بخلقه والظاهر لقلوبهم بحجته خلق الخلق من غير روية وهى من خطب الملاحم صح
اذ كانت الرويات لا تليق الا بذوى الضماير وليس بذى ضمير في نفسه خرق علمه باطن غيب السترات واحاط بغموض عقائد السريرات
اقول حمد الله تعالى باعتبارات خمسة احدها اعتبار تجليه لخلقه بخلقه وقد علمت غير مرة ان تجليه يعود الى جلاء معرفته
من مصنوعاته للقلوب عباده حتى اشبهت كل ذرة من مخلوقاته مراة ظهر فيها لهم فهم يشاهدونه على قدر قبولهم للمشاهدة

ويتفاوت

وتتفاوت تلك المشاهدة بحسب تفاوت اشعة ابصار بصايرهم فمنهم من يرى الصنعة اولا والصانع ثانيا ومنهم من يراهما معا ومنهم
من يرى الصانع اولا ومنهم من لا يرى مع الصانع غيره الثاني الظاهر لقلوبهم بحجته اى الواضح وجوده للقلوب منكريه باوهامهم والسنتهم
بقيام حجته عليهم بذلك وهي احكام الصنع واتقانه في انفسهم وان احتاجوا الى تنبيه ما كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وكذلك
في ملكوت السموات والارض كقوله تعالى اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء الاية وهو قريب مما مر الثالث خلقه
الخلق بلا روية وفكر في كيفية خلقه واشار الى برهان سلب الروية عنه بقوله اذ كانت الرويات لا تليق الا بذوي الضماير اى قلب
وحواس بدنية وليس البارى بذى ضمير في نفسه والقياس من الشكل الثاني وترتيبه كل روية فلذى ضمير ولا شيء من الواجب الوجود
بذى ضمير فينتج انه لا شيء من الروية لواجب الوجود سبحانه والمقدمتان جليتان مما سبق غير مرة الرابع كون علمه خارقا لباطن المسترات
وهي اشارة الى نفوذه في كل مستتر وغايب بحيث لا يحجبه ستر ولا يستره حجاب الخامس كونه محيطا بغموض عقايد السريرات
اى بما دق من عقايد اسرار القلوب كقوله تعالى يعلم السر واخفى منها في ذكر النبي صلى الله عليه واله وسلم اختاره من شجرة الانبياء
ومشكاة الضياء وذوابة العلياء وسرة البطحاء ومصابيح الظلمة وينابيع الحكمة اقول الذوابة ما تدلى من الشعر ونحوه
وبطحاء مكة بسيط واديها وسرة الوادى اشرف موضع فيه وفي الفصل استعارات الاولى لفظ الشجرة لصنف الانبياء عليهم السلم
ووجه المشابهة كون ذلك الصنف ذا اصول وفروع فعن وعد اشخاص الانبياء وثمرة العلوم والكمالات النفسانية كما ان الشجرة ذات
غصون وثمار الثانية لفظ المشكوة لال ابرهيم ووجه المشابهة ان هولاء قد ظهرت منهم الانبياء وسطع من بينهم ضياء النبوة ونور
الهداية كما يظهر نور المصباح من المشكاة الثالثة لفظ الذوابة ويشبه ان يشير به الى قريش ووجه المشابهة تدليهم في اغصان
الشرف والعلو في اباتهم كتدلى ذوابة الشعر عن الراس الرابعة سرة البطحاء واشار به الى اختياره من افضل بيت في مكة الخامسة
استعار لفظ المصابيح للانبياء ايضا ووجه المشابهة ظاهر وقد مر غير مرة كونهم مصابيح ظلمات الجهل السادسة استعارة
لفظ الينابيع ووجه المشابهة فيضان العلم والحكمة عنهم كفيضان الماء من ينابيعه ... طبيب دوار بطبه قد احكم
مراهمه واحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عمي واذان صم والسنة بكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة
ومواطن الحيرة لم يستضيئوا باضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم في ذلك كالانعام السائمة والصخور
القاسية قد انجابت السرائر لاهل البصائر ووضحت محجة الحق لخابطها واسفرت الساعة عن وجهها وظهرت العلامة
لمتوسمها ما لى اراكم اشباحا بلا ارواح وارواحا بلا اشباح ونساكا بلا صلاح وتجارا بلا ارباح وايقاظا نوما
وشهودا غيبا وناظرة عميا وسامعة صما وناطقة بكما راية ضلال قد قامت على قطبها وتفرقت بشعبها تكيلكم
بصاعها وتخبطكم بباعها قائدها خارج من الملة قائم على الضلة فلا يبقى منكم يومئذ الا ثفالة كثفالة القدر او نفاضة
كنفاضة العكم تعرككم عرك الاديم وتدوسكم دوس الحصيد وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبة البطينة
من بين هزيل الحب اين تذهب بكم المذاهب وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب ومن اين تؤتون وانى تؤفكون فلكل
اجل كتاب ولكل غيبة اياب فاستمعوا من ربانيكم واحضروه قلوبكم واستيقظوا ان هتف بكم وليصدق رائد اهله
وليجمع شمله وليحضر ذهنه فلقد فلق لكم الامر فلق الخرزة وقرفه قرف الصمغة فعند ذلك اخذ الباطل ماخذه وركب الجهل مراكبه

ودر الضلة

وتهاجروا

وعظمت الطاغية وقلت الراعية وصال الدهر صيال السبع العقور وهدر فنيق الباطل بعد كظوم وتواخى الناس على الفجور
على الدين وتحابوا على الكذب وتباغضوا على الصدق فاذا كان ذلك كان الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام فيضا
وتغيض الكرام غيضا وكان اهل ذلك الزمان ذئابا وسلاطينه سباعا واوساطه اكالا وفقراؤه امواتا وغار الصدق
وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان وتشاجر الناس بالقلوب وصار الفسوق نسبا والعفاف عجبا ولبس
الاسلام لبس الفرو مقلوبا اقول المواسم المسامير التي يكوى بها وانجابت انكشفت والمتوسم المتفرس والضلد الضلال
والعكم بكسر العين العدل والبطينة المملية والغياهب الظلم ويوفكون يصرفون والفنيق الفحل المكرم وكظوم الجمل سكونه عن
الجرة فقوله طبيب دوار بطبه كناية عن نفسه كناية بالمستعار فانه طبيب مرضى الجهل ورذايل الاخلاق وكنى بدورانه
بطبه تعرضه لعلاج الجهال من دائهم ونصب نفسه لذلك واستعار لفظ المراهم لما عنده من العلوم ومكارم الاخلاق ولفظ
المواسم لما يتمكن منه من اصلاح من لا ينفع فيه الموعظة والتعليم بالجلد وسائر الحدود فهو كالطبيب الكامل الذي يملك المراهم والادوية
والمكاوي من لا ينفع فيه المراهم يضع كل واحد من ادويته ومواسمه حيث الحاجة اليه من قلوب عمي يفتح عماها باعدادها
لقبول انوار العلم والهداية لسلوك سبيل الله ومن اذان صم يعدها لقبول المواعظ وتجوز بلفظ الصم في عدم انتفاع النفس
بالموعظة من جهتها فهي كالصماء اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه اذ كان الصمم يستلزم ذلك العدم ومن السنة بكم يطلقها
بذكر الله والحكمة واطلق لفظ البكم مجازا في عدم المطلوب منها بوجودها وهو التكلم بما ينبغي فانها لفقدها ذلك المطلوب كالبكم
وقوله متتبع صفة لطبيب ومواضع الغفلة ومواطن الحيرة كناية عن قلوب الجهال ولذلك اشار اليهم بانهم لم يستضيئوا باضواء
الحكمة اي لم يكسبوا شيئا من العلوم والاخلاق ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة كنى بالزناد عن الفكر وبالقدح عن الاكتساب به
كناية بالمستعار ووجه المشابهة كون الفكر يستخرج به العلوم الثاقبة التي تنفث سترات الحجب كما يستخرج بالزناد النار
وقوله فهم في ذلك اي في عدم استضائتهم باضواء الحكمة كالانعام السائمة والصخور القاسية ووجه المشابهة بينهم وبين الانعام
استواؤهم في الغفلة والانخراط في سلك الشهوة والغضب دون اعتبار شيء من حظ العقل وعدم التقييد به كالا قيد
للانعام السائمة وبينهم وبين الصخور قساوة قلوبهم وعدم لينها وخشيتها من ذكر الله واياته كما قال تعالى ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وقوله قد انجابت السرائر لاهل البصائر اشارة الى انكشاف ما يكون بعده لنفسه
القدسية ولمن تفرس ما يكون من ملوك بني امية وعموم ظلمهم من اولي التجارب والفتن السليمة ويحتمل ان يريد بالسرائر اسرار
الشريعة وانكشافها لاهلها وقوله ووضحت محجة الحق لخابطها اشارة الى وضوح الشريعة وبيان طريق الله وفائدة
القضية الاولى التنبيه على النظر في العواقب وفائدة الثانية الجذب الى اتباع الدين وسلوك سبيل الله اذ لا عذر للخابطين في
جهلها لانهم بعد وضوح دين الله وقوله واسفرت الساعة عن وجهها اي بدت مقبلة ولما كان وجه الشيء اول ما يبدو منه
وينظر كنى به عن ما بدا من امر الساعة وما هو قيام الفتن واقبلها واقبالها وقوله وظهرت العلامة لمتوسمها اي علامة قيام
الساعة وهي الفتن المتوقعة المتفرسة من بني امية ومن بعدهم وذكره لاسفار الساعة وظهور علاماتها تهديد وترغيب
في العمل لها وقوله مالي اراكم اشباحا بلا ارواح شبههم انتفاعهم بالعقول وعدم تحريك المواعظ والتذكير لهم بالجمادات الخالية

وتشاجر

من

من الارواح كما قال تعالى كانهم خشب مسندة وقوله وارواحا بلا اشباح قيل فيه وجوه الاول ان ذلك مع ما قبله اشارة الى نقصانهم
اى ان منهم من هو شبح بلا روح كما سبق ومن كان له روح وفهم فلا قوة له بامر الحرب ولا نهضة معه فهو كروح خلت عن بدن
فهم من طرفى تفريط وافراط الثانى قيل كنى بذلك عن عدم نهضة بعضهم الى الحرب دون بعض اذا دعوا اليه كما لا يقوم البدن
بدون الروح ولا الروح بدون البدن الثالث قال بعضهم اراد انهم ان خافوا ذهلت عقولهم وطارت البابهم وكانوا كالاجسام
بلا ارواح وان امنوا تركوا الاهتمام بامورهم وضيعوا الفرض ومصالح الاسلام حتى كانهم فى ذلك ارواح لا تعلق لها بما تحتاج
الاجسام اليه وقوله ونساكا بلا صلاح اشارة الى ان من تزهد منهم فزهده ظاهر ليس عن صلاح سريرة وقيل اراد من تزهد
منهم عن جهل فانه وان عمل الاعمال لما لم تكن عن علم كانت ضايعة واقعة على غير الوجه المرضى والمامور به كما روى عن
الرسول صلى الله عليه وآله الزاهد الجاهل مسخرة الشيطان وقوله وتجارا بلا ارباح اشارة الى ان من يتاجر منهم بالاعمال الصالحة
وهو يعتقد كونها قربة الى الله مستلزمة للثواب وليس كذلك ولفظ التجار والربح مستعاران ووجه الاستعارتين
ظاهر وقوله وايقاظا نوما كنى بنومهم عن نوم نفوسهم فى مراقد الطبيعة ومهاد الغفلة فهم بذلك الاعتبار ايقاظ العيون نوم العقول
وشهودا غيبا اى شهودا بابدانهم غيبا بعقولهم عن التفطن لمقاصد الله والتلقى لانواره من الموعظة والاوامر الالهية وقوله وناظرة
عميا اراد وعيونا ناظرة عميا اى عن تصفح اثار الله للعبرة بها والانتفاع فى امر الاخرة فهى تشبه العمى فى عدم الفايدة بها وقوله وسامعة
صما اى واذانا سامعة للاصوات صما عن نداء الله والنافع من كلامه فهو يشبه الصم فى عدم الفايدة المقصودة وقوله وناطقة
بكما اى والسنة ناطقة بكما عن النطق بما ينبغى فاشبهت البكم ولفظ العمى والصم والبكم مستعار للمشابهات المذكورة وقد راعى فى
ذلك التضاد فى الالفاظ واراد ذوى عيون واذان والسنة بالصفات المذكورة اى خالية عن الفايدة وقوله راية ضلالة لما
نبههم وايقظهم بالتوبيخ والتقريع والتنقيص القى اليهم ما ينبغى ان يحترزوا منه ويأخذوا اهبتهم له من ظهور الفتن المتوقعة لبنى
امية وكنى عن ظهورها بقوله راية ضلالة والتقدير هذه راية ضلالة وكنى بقيامها على قطبها اجتماع اهلها على قائد الفتنة ورئيسهم
فيها وكنى بالقطب عنه كناية بالمستعار وتفرقها وتشعبها انتشارها فى الافاق وتولد فتن اخرى ثم استعار لفظ الكيل لاخذهم
واهلاكهم زمرة زمرة ملاحظة لشبهها بالكيال فى اخذه لما يكيله جملة جملة ورشح بلفظ الصاع وكذلك استعار لفظ الخبط
لايقاع السيف والاحكام الجائرة فيهم على غير قانون دينى ولا نظام حق ملاحظة لشبهها بالبكرة النفور من الابل التى تخبط ما تلقاه
بيدها ورشح الاستعارة بذكر الباع ولم يقل بيدها لان ذكر الباع ابلغ فى البعد عن قوة الخبط وقوله قائدها خارج عن الملة
اى خارج عن الدين والشريعة فاسق عن امر الله قائم على الضلة اى مقيم على الضلالة وقوله فلا يبقى يومئذ منكم الا ثفالة
كثفالة القدر استعار لفظ الثفالة وكنى به عمن لا خير فيه من الاراذل ومن لا ذكر له ولا شهرة وشبه اولئك بثفالة القدر
فى كونهم غير معتبرين ولا ملتفت اليهم وكذلك نفاضة العكم وهو ما يبقى فى اسفل العدل من اثر الزاد او الحنطة ونحوها ثم استعار
لفظ العرك لتقليب الفتن لهم ورميهم وتذليلها لهم تذليل وتليين الاديم وكذلك استعار لفظ الدوس لاهانتهم لهم وشدة امتهانهم
اياهم بالبلاء وشبه ذلك بدوس الحصيد من الحنطة ونحوها وهو ظاهر ثم اشار الى استقصاء اهل تلك الضلالة على المؤمنين
واستخلاصهم لهم لايقاع المكروه بهم وشبه ذلك الاستخلاص باستخلاص الطير الحبة السمينة الممتلية من القاعدة الهزيلة وذلك ان

رازه روز اجربه وهو خفيف
المرازه اذا زرته لينظر ما
تفعله تاميت

الطير ثم ناز بمغاره سمين الحب من هزيله فيتخلى عن الهزيل منه ثم اخذ يسألهم على سبيل التهكم والتقريع لهم ببقائهم على غوايتهم
فسألهم عن غاية اخذ من مذاهب الضلال وعما تتيه بهم ظلم الجهالات اليه من المطالب وعما تخدعهم اوهامهم الكواذب جاذبة لهم اليه منكرا
عليهم مطلوبا اخر غير الله تعالى من طريق غير شريعته ثم سألهم عن الجهة التي يؤتون منها اي من اين اتتكم هذه الامراض وهو عليه السلام يعلم ان
الداخل انما دخل عليهم من جهلهم لكن هذا وجه من البلاغة يسمى انه تجاهل العارف وهو قوله تعالى فاين تذهبون وكذلك قوله فانى
تؤفكون اي متى يكون انصرافكم عما انتم عليه من الغفلة وقوله ولكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب تهديد بالاشارة الى قرب الموت وانهم
وانهم معرضون باخذهم على غفلتهم فكونوا من الاخسرين اعمالا ثم امرهم باستماع الموعظة منه والرباني العالم علم الربوبية المتبحر
فيه ثم باحضار قلوبهم وهو التفاتهم باذهانهم الى ما يقول ثم بالاستيقاظ من نوم الغفلة عند هتفه بهم ونداءه لهم وقوله وليصدق
رائد اهله مثل نزله هنا على مراده واصله لا يكذب رائد اهله فاستعار لفظ الرائد للفكر ووجه المثل ان الرائد لما كان هو
الذي يبعثه القوم لطلب الكلاء والماء اشبهه الفكر في كونه مبعوثا من قبل النفس في مرعاها وما هو حيوتها من العلوم وسائر الكمالات
فكنى به عنه واهله على هذا البيان هو النفس فكانه عليه السلام قال فليصدق افكاركم ومتخيلاتكم نفوسكم وصدقها اياها بتصرفها على
حسب اشارة العقل فيما يقوله ويشير به دون التفات الى مشاركة الهوى فان الرائد اذا ارسلته النفس عن مشاركة ميل شهواني
كذبها ودلاها بغرور ويحتمل ان يريد بالرائد اشخاص من حضر عنده فان كلا منهم له اهل وقبيلة يرجع اليهم فامره ان
يصدقهم امره بتبليغ ما سمع على الوجه الذي ينبغي والنصيحة به والدعوة اليه كما يرجع طالب الكلاء والماء الواجد لهما الى قومه
فيبشرهم به ويحملهم اليه وقوله وليجمع شمله اي ما تفرق وتشعب من خواطره في امور الدنيا ومهماتها وليحضر ذهنه اي يوجهه الى
اقواله وقوله فلقد فلق لكم الامر فلق الخرزة اي اوضح لكم امر ما جهلتموه من الدين واحكام الشريعة وقيل امر ما سيكون من
الفتن وشق لكم ظلمة الجهل عنه كما يتضح باطن الخرزة بشقها وقرفه قرف الصمغة اي اتى اليكم علمه بكليته والنصيحة فيه حتى لم
يدخر عنكم شيئا من ذلك كما يقرف الصمغة قارفها يقال تركته على مقرف الصمغة اذا لم يترك له شيئا لان الصمغة تقتلع من شجرتها
حتى لا يبقى عليها علقة وقوله فعند ذلك متصل بقوله من بين هزيل الحب فعندما تفعل بكم تلك الفتن وراية الضلال ما تفعل قد اخذ
الباطل مآخذه اي استحكم واثبت واخذ مقاره وكذلك ركب الجهل مراكبه اي كان ذلك وقت جملته ملاحظة لتشبيهه مستعد للغارة
قد ركب خيله وكنى بمراكبه عن الجهال وقوله وعظمت الطاغية اي الفتنة الطاغية وروى الداعية اي الفرقة الداعية الى البدع وقوله وصال
الدهر صيال السبع العقور استعار وصف الصيال للدهر ملاحظة لتشبيهه بالسبع ووجه الاستعارة كون الدهر مرافقا لتلك الشرور
الواقعة فاشبه السبع الضاري العقور في شدة صياله ثم استعار لفظ الفنيق للباطل ورشح الاستعارة بذكر الهدير والكظوم
ووجه المشابهة ظهور الباطل واكرام اهله وتمكنهم من الامر والنهي كالفحل المكرم ذي الشقشقة وعنى بالهدير ظهورهم وتمكنهم وخول صد
وبالكظوم خفاء الباطل وتحير اهله في زمان ظهور الحق وقوته وقوله وتواخى الناس على الفجور اي كان اتصالهم ومحبة
بعضهم لبعض على الفجور واتباع الاهواء وتهاجروا على الدين اي من احسوا منه قوة في دينه هجروه ورفضوه فهجرهم والتحاب
على الكذب داخل تحت التواخي على الفجور والتباغض على الصدق داخل تحت التهاجر على الدين والغرض بتعداد ذلك تنفير السامعين
عن تلك الرذائل وتخويفهم بوقوعها وقوله فاذا كان ذلك كان الولد غيظا اي اذا حدث ذلك اشتغل كل امرء بنفسه لينجو بها فيكون

الولد

الولد الذی هو اعز محبوب غیظا لوالده ای عن محبته وغبطه واطلق لفظ الغیظ علیه اطلاقا لاسم السبب علی المسبب وقوله والمطر قیظا جعل وقوع المطر قیظا من علامات تلک الشرور وهو ایضا مما یعد شرا لانه لا ینبت نباتا ولا یقوم علیه زرع ویفسد الثمار القایمة وکانه کنی به عن انقلاب احوال الخیر شرورا ... وقوله وکان اهل ذلک الزمان الی قوله امواتا اهل زمان ینقسمون الی ملوک اکابر واوساط وادانی فاذا کان زمان العدل کان اهله فی نظام سلکه فیفیض عدل الملوک علی من یلیهم ثم بواسطتهم علی من یلیهم حتی ینتهی الی ادانی الناس واذا کان زمان الجور فاض الجور کذلک فکانت السلاطین سباعا ضاریة مفترسة لکل ذی سمن وکان اهل ذلک الزمان والاکابر ذیابا ضاریة علی اوساط الناس وکانت الاوساط اکالا لهم وکانت الفقراء امواتا لانقطاع مادة حیوتهم ممن هو اعلی منهم رتبة وتجوز بلفظ الاموات عن غایة الشدة والبلاء لکون الموت غایة ذلک اطلاقا لاسم السبب الغالی علی مسببه ثم استعار لفظ الغیض لقلة الصدق والفیض لظهور الکذب وکثرته ملاحظة لشبههما بالماء واستعار المودة باللسان اشارة الی النفاق وهو التودد بالقول مع التباعد بالقلوب وعقدها علی البغض والحسد واستعار لفظ التشاجر بالقلوب ملاحظة لشبهها بالرماح فکما ان الرمح یشجر به فکذلک قلوب بعضهم تعقد علی هلاک بعض والطعن فیه بانواع المهلکات وکذلک لفظ النسب للفسوق ووجه المشابهة کون الفسق بینهم یومئذ هو سبب التواصل والتزاور والتحابب کما ان النسب کذلک وصار العفاف عجبا لقلة وجوده وندرته بینهم ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا من احسن التشبیه وابلغه والمشبه به ههنا هو لبس الفرو ووجه الشبه کونه مقلوبا وبیانه انه لما کان الغرض الاصلی من الاسلام ان یکون باطنا ینتفع به القلب ویظهر فیه منفعته فقلب المنافقون غرضه واستعملوه بظاهر السنتهم دون قلوبهم اشبه قلبهم له لبس الفرو اذ کان اصله ان یکون حمله ظاهرا لمنفعة الحیوان الذی هو لباسه فاستعمله الناس مقلوبا وبالله التوفیق. ومن خطبة له علیه السلام کل شیء خاشع له وکل شیء قائم به غنی کل فقیر وعز کل ذلیل وقوة کل ضعیف ومفزع کل ملهوف من تکلم سمع نطقه ومن سکت علم سره ومن عاش فعلیه رزقه ومن مات فالیه منقلبه لم ترک العیون فتخبر عنک بل کنت قبل الواصفین من خلقک لم تخلق الخلق لوحشة ولا استعملتهم لمنفعة لا یسبقک من طلبت ولا یفلتک من اخذت ولا ینقص سلطانک من عصاک ولا یزید فی ملکک من اطاعک ولا یرد امرک من سخط قضاک ولا یستغنی عنک من تولی عن امرک کل سر عندک علانیة وکل غیب عندک شهادة انت الابد لا امد لک وانت المنتهی لا محیص عنک وانت الموعد لا منجا منک بیدک ناصیة کل دابة والیک مصیر کل نسمة سبحانک ما اعظم ما نری من خلقک وما اصغر عظیمه فی جنب قدرتک وما اهول ما نری من ملکوتک وما احقر ذلک فیما غاب عنا من سلطانک وما اسبغ نعمک فی الدنیا وما اصغرها فی نعم الاخرة اقول هذا الفصل من اشرف الفصول المشتملة علی توحید الله وتنزیهه واجلاله وتعظیمه واللهف الحزن والملهوف المظلوم یستغیث والابد الدایم والامد الغایة وحاص عن الشیء عدل وهرب والمحیص المهرب وفیه اعتبارات ثبوتیة وسلبیة اما الثبوتیة فعشرة الاول خشوع کل شیء له والخشوع مراد هنا بحسب الاشتراک اللفظی اذ الخشوع من الناس یعود تطامنهم وخضوعهم لله ومن الملایکة دؤوبهم فی عبادته ملاحظة لعظمته ومن سایر الممکنات انفعالها عن قدرته وخضوعها فی رق الامکان والحاجة الیه والمشترک وان کان لا یستعمل فی جمیع مفهوماته حقیقة فقد بینا انه یجوز استعماله مجازا فیها بحسب القرینة وهی ههنا اضافته الی کل شیء اولانه فی قوة المتعدد کقوله تعالی ان الله وملائکته یصلون علی النبی قال الملک خاشع له والبشر خاشع له وهذا الاعتبار یستلزم وصفه تعالی

سبحانک ما اعظم شانک صح

باعتبارين احدهما كونه عظيما والثاني كونه غنيا اما العظيم فينقسم الى ما يكبر حاله في النفس ولكن يتصور ان يحيط بكماله العقول وتقف
على كنه حقيقته والى ما يمكن ان يحيط به بعض العقول وان فات اكثرها وهذان القسمان انما يطلق عليهما لفظ العظمة بالاضافة
وقياس كل الى ما دونه فيما هو عظيم فيه والى ما لا يتصور ان يحيط به العقل اصلا وذلك هو العظيم المطلق الذي جاوز حدود العقول
ان تقف على صفات كماله ونعوت جلاله وليس هو الا الله تعالى واما الغني فيستدعي الثاني قيام كل شي به واعلم ان جميع الممكنات اما
جواهر او اعراض وليس شيء منهما يقوم بذاته في الوجود اما الاعراض فظاهر لظهور حاجتها الى المحل الجوهري واما الجواهر فلان
قوامها في الوجود انما يكون بقيام عللها وينتهي الى الفاعل الاول جلت عظمته فهو اذن الفاعل المطلق الذي به قوام كل موجود في الوجود
واذ ثبت انه تعالى غني عن كل شيء في كل شيء وثبت ان به قوام كل شيء ثبت انه القيوم المطلق اذ مفهوم القيوم هو القايم بذاته
المقيم لغيره فكان هذا الاعتبار مستلزما لهذا الوصف الثالث كونه تعالى غني كل فقير ويجب ان يحمل الفقر على ما هو اعم من الفقر المتعارف
وهو مطلق الحاجة ليعم التمجيد كما ان الغنى هو سلب مطلق الحاجة واذ ثبت ان كل ممكن فهو مفتقر في طرفيه منته في سلسلة الحاجة
اليه وانه تعالى المقيم له في الوجود ثبت انه تعالى رافع حاجة كل موجود بل كل ممكن وهو المراد بكونه غنيا له واطلق عليه تعالى لفظ الغني
وان كان الغنى به مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب الرابع كونه عز كل ذليل وقد سبق ان معنى العزيز وهو الخطير الذي يقل وجود
مثله وتشتد الحاجة ويصعب الوصول اليه فما اجتمعت فيه هذه المفهومات الثلثة سمي عزيزا وسبق ايضا ان هذه المفهومات مقولة
بالزيادة والنقصان على ما يصدق عليه وانه ليس الكامل في واحد منها الا الله سبحانه ويقابله الذليل وثبت انه تعالى عز كل موجود لان
كل موجود سواه انما يتحقق فيه هذه [illegible] المفهومات الثلثة منه سبحانه الناظم لسلسلة الوجود والواضع لكل من الموجودات في رتبته من
النظام الكلي فمنه عز كل موجود وكل موجود ذليل في رق الامكان والحاجة اليه في افاضة المفهومات الثلثة عليه فهو اذن عز كل ذليل
واطلاق لفظ العز عليه كاطلاق لفظ الغنى الخامس وقوة كل ضعيف القوة تطلق على كمال القدرة وعلى شدة الممانعة او الدفع ويقابلها
الضعف وهما مقولان بالزيادة والنقصان على غير يطلقان عليه واذ ثبت انه تعالى مستند جميع الموجودات والمفيض على كل
قابل ما يستعد له ويستحقه فهو المعطي لكل ضعيف عادم القوة من نفسه كماله وقوته فمنه قوة كل ضعيف بالمعنيين المذكورين
لها وروي ان الحسن قال واعجبا لنبي الله لوط اذ قال لقومه لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد اتراه اراد ركنا اشد من الله تعالى
واطلاق لفظ القوة عليه كاطلاق لفظ الغنى ايضا السادس كونه مفزع كل [illegible] ملهوف اي اليه ملجاء كل مضطر في ضرورته حال حزن
او خوف او ظلم كما قال تعالى واذا مسكم الضر فاليه تجارون واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فكل مفزع وملجاء غيره
فلمضطر لا لكل مضطر ومجاز لا حقيقة واضافي لا حقيقي هذا الاعتبار يستلزم كمال القدرة لله لشهادة فطرة ذي الضرورة
بنسبة جميع احواله وجوده الى جوده ويستلزم كمال العلم لشهادة فطرته باطلاعه على ضرورته وكذلك كونه سميعا بصيرا وخالقا
ومجيبا للدعوات وقيوما ونحوها من الاعتبارات السابع كونه عز تكلم سمع نطقه الثامن من سكت علم سره وهما اشارتان الى
وصفي السميع العليم ولما كان السميع يعود الى العالم بالمسموعات استلزم الوصفان احاطته بما اظهر العبد وابداه وما اسره واخفاه
في حالتي نطقه وسكوته وقد سبقت الاشارة الى ذلك التاسع ومن عاش فعليه رزقه العاشر ومن مات فعليه منقلبه وهما اشارتان
الى كونه تعالى مبدأ للعباد في وجودهم وما يقوم به عاجلا ومنتهى وغاية لهم اجلا فاليه رجوع الاحياء منهم الاحياء والاموات

وبه قيام وجودهم حالتي الحيوة والممات الحادي عشر من الاعتبارات السلبية لم تر كالعيون فتخبر عنك وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى اياك نعبد وهذا الالتفات وعكسه يستلزم شدة عناية المتكلم بالمعنى المنتقل اليه وحسنه معلوم في علم البيان واعلم ان هذا الكلام لابد فيه من تجوز او اضمار وذلك ان جعلنا الرائي هو العيون كما عليه اللفظ ويصدق حقيقة لزم اسناد قوله فتخبر اليها مجازا لكون الاخبار ليس لها وان راعينا عدم المجاز لزم ان يكون التقدير لم تر كالعيون فيخبر عنك اربابها او لم تر كالعيون فتخبر عنك فيلزم الاضمار ويلزم التعارض بينه وبين المجاز لزم لكن قد علمت في مقدمات اصول الفقه انهما سيان في المرتبة وغرض الكلام تنزيهه تعالى عن وصف المشبهة ونحوهم واخبارهم عنه بالصفات التي من شانها ان يخبر عنها الراوون عن مشاهدة حسية مع اعترافهم بان اخبارهم ذلك عن غير روية ولما كان الاخبار عن المحسوسات وما من شانه ان يحس انما يصدق اذا استند الى الحس لاجرم استلزم سلبه لروية العيون له سلب الاخبار عنه من جهتها وكذب الاخبار عنه بما لا يعلم الا من جهتها ويخبر وان كان في صورة الاثبات الا انه منفي لنفي لازمه وهو روية العيون له اذ كان الاخبار من جهتها يستلزم رويتها ونصبه باضمار ان عقيب الفاء في جواب النفي والكلام في تقدير شرطية متصلة صورتها لو صح اخبار العيون عنك لكانت قد رأتك لكنها لم ترك فلم يصح ان تخبر عنك فاما قوله بل كنت قبل الواصفين من خلقك فتعليل لسبب الروية المستلزم لسلب الاخبار عنها بقياس ضمير تقدير كبراه وكل من كان قبل واصفيه لم يروه فلم يخبروا عنه وهذه الكبرى من المظنونات المشهورات في بادي النظر في بادي النظر وهي كما علمت من مواد قياس الخطيب وان كانت اذا تعقبت لم توجد كلية اذ ليس كلما وجد قبلنا بطل اخبارنا عنه ويمكن حمل هذا القول على وجه التحقيق وهو ان يقول المراد بقبليته تعالى للواصفين قبلية وجوده بالعلية الذاتية وهي بهذا الاعتبار مستلزمة لتنزيهه تعالى عن الجسمية ولواحقها المستلزم لامتناع الروية المستلزم لكذب الاخبار عنه عن وجه المشابهة الحسية الثاني عشر كونه لم يخلق الخلق لوحشة وهو اشارة الى تنزيهه عن الطبع المستوحش والمستانس وقد سبق بيان ذلك في الخطبة الاولى الثالث عشر ولا استعملهم لمنفعة اي لم يكن خلقه لهم لمنفعة تعود اليه وقد سبق بيان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق المزاج المنزه قدس الله تعالى عنه الرابع عشر ولا يسبقك من طلبت اي لا يفوتك هربا الخامس عشر ولا يفلتك من اخذت اي لا يفلت منك بعد اخذه فحذف حرف الجر وعدى الفعل بنفسه كما قال تعالى واختار موسى قومه وهذان الاعتباران يستلزمان كمال ملكه وتمام قدرته واحاطة علمه اذ اي ملك فرض فقد ينجو من يده الهارب ويفلت من اسره الماخوذ بالحيلة ونحوها السادس عشر ولا ينقص سلطانك من عصاك السابع عشر ولا يزيد في ملكك من اطاعك وهما تنزيه له تعالى عن احوال ملوك الدنيا اذ كان كمال سلطان احدهم بزيادة جنوده وكثرة مطيعيه وقلة المخالف والعاصي له ونقصان ملكه بعكس ذلك وهو سبب لتسلط اعدائه عليه وطمعهم فيه فاما سلطانه تعالى فلما كان لذاته وكمال قدرته مستوليا وهو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير لم يتصور خروج العاصي بعصيانه عن كمال سلطانه حتى يؤثر في نقصانه ولم يكن لطاعة الطايع تاثير في زيادة ملكه الثامن عشر ولا يرد امرك من سخط قضاك يريد بالامر هنا القدر النازل على وفق القضاء الالهي وهو تفصيل القضاء كما بيناه وهذا الاعتبار يستلزم ايضا تمام قدرة الله وكمال سلطانه اذ كان ما علم وجوده فلا بد من وجوده سواء كان مكروها للعبد او محبوبا له كما قال تعالى ويابى الله ان يتم نوره ولو

كره الكافرون ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل
شيء قدير وانما خصص المتسخط للقضاء بالعجز عن رد الامر اذ كان من شانه لو قدر لرد المقدر التاسع عشر ولا يستغنى عنك
من تولى عن امرك اراد بالامر هنا ظاهره وهو امر عباده بطاعته وعبادته وظاهر ان من تولى عن امر الله فهو اليه اشد
فقرا وانقص ذاتا ممن تولى امره وهذا الاعتبار يستلزم كمال سلطانه وغناه المطلق العشرون كل سر عندك علانية الحادي
والعشرون وكل غيب عندك شهادة هذان الاعتباران يستلزمان كمال علمه واحاطته بجميع المعلومات ولما كانت نسبته تعالى الى المعلومات
على سواء لا جرم استوى بالنسبة اليه السر والعلانية وايضا فان السر والغيب انما يطلقان بالقياس الى مخفى عنه وغائب عنه وهى
القلوب المحجوبة بحجب الطبيعة واستار الهيئات البدنية والارواح المستولى عليها نقصان الامكان الحاكم عليها بالجهل احوال
ما عدا الكمل منها وكل ذلك مما ينزه قدس الصانع عنه الثاني والعشرون انت الابد فلا امد لك اى انت الدائم فلا غاية لك يقف عندها
وجودك وذلك لاستلزام وجوب وجوده امتناع عدمه ولا نهاية بالغاية وقال بعض الشارحين اراد انت ذو الابد
كما قيل انت خال اى ذو خال والخيلاء وهو الكبر واقول تقرير ذلك انه لما كان الازل والابد لازمين لوجوده تعالى اطلق الابد
على وجوده مجازا للمبالغة في الدوام حتى كان احدهما هو بعينه الاخر كقولهم انت الطلاق للمبالغة في البينونة الثالث والعشرون
وانت المنتهى فلا محيص عنك الرابع والعشرون وانت الموعد فلا منجا منك الا اليك اما انه تعالى المنتهى والموعد فلقوله تعالى وان الى ربك
المنتهى وقوله الى الله مرجعكم جميعا والمنتهى في كلامه عليه السلام الغاية وقد سبق بيان انه تعالى غاية الكل ومرجعه واما انه لا معدل عنه
ولا ملجأ منه الا اليه فاشارة الى ضرورة لقائه كقوله تعالى وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه الخامس والعشرون بيدك ناصية كل دابة اى في ملكك
وتحت تصريف قدرتك كقوله تعالى ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها وانما خصت الناصية بحكم الوهم بانه تعالى في جهة فوق فيكون اخذه بالناصية
ولانها اشرف ما في الدابة فسلطانه تعالى على الاشرف يستلزم القهر والغلبة وتمام القدرة السادس والعشرون واليك مصير كل نسمة وقد سبق انه
تعالى منتهى الكل واليه مصيره وقوله سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك الى اخره تنزيه وتقديس لله تعالى عن احكام الاوهام على صفاته بتشبيه مدركاتها
وتعجب في معرض التمجيد من عظم ما نشاهده من مخلوقاته كاطباق الافلاك والعناصر وما يتركب عنها ثم من حقارة هذه العظمة بالقياس الى ما يعتبره
العقول من مقدوراته وما يمكن في كمال قدرته من الممكنات الغير المتناهية وظاهر ان نسبة الموجود الى الممكن في العظم والكثرة يستلزم حقارته
وصغره ثم من هول ما وصلت اليه العقول من عظمة ملكوته ثم من حقارته بالقياس الى ما غاب عنها وحجبت عن ادراكه باستار القدرة وحجب العزة
من الملأ الاعلى وسكان حظائر القدس وحال العالم العلوي ثم من سبوغ نعم الله تعالى على عباده في الدنيا وحقارة تلك النعم بالقياس الى نعمه التي اعدها
لهم في الاخرة وظاهر ان نعم الدنيا اذا اعتبرت الى نعم الاخرة في الدوام والكثرة والشرف كانت بالقياس اليها في غاية الحقارة وبالله التوفيق
منها من ملائكة اسكنتهم سمواتك الى آخره وفي هذا الفصل فصول قوله من ملائكة اسكنتهم سمواتك ورفعتهم عن ارضك هم اعلم خلقك
بك واخوفهم لك واقربهم منك لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يتشعبهم ريب المنون وانهم على مكانهم منك
ومنزلتهم عندك واستجماع اهوائهم فيك وكثرة طاعتهم لك وقلة غفلتهم عن امرك لو عاينوا كنه ما خفى عليهم منك لحقروا اعمالهم ولازروا
على انفسهم ولعرفوا انهم لم يعبدوك حق عبادتك ولم يطيعوك حق طاعتك سبحانك خالقا ومعبودا اقول المهين الحقير والتشعب الاقسام
والتفريق والمنون الدهر وريبه ما يكره من حوادثه والمكانة المنزلة وكنه الشيء نهاية حقيقته وزريت عليه عبث فعله واعلم ان من

علمه صح

ولم يزروا

في صدر هذا الفصل لبيان الجنس وذلك انه عليه السلام لما شرع في بيان عظمة الله تعالى وجلاله جعل مادة ذلك التعظيم تعديد مخلوقاته وذكر الاشرف فالاشرف منها فذكر الملائكة السماوية واشار الى فضيلتهم باوصاف الاول كونهم اعلم خلق الله به وهو ظاهر اذ ثبت ان كل مجرد كان علمه ابعد عن منازعة النفس الامارة بالسوء التي هي مبدا الغفلة والسهو والنسيان كان اكمل في معارفه وعلومه ممن عداه ولان الملائكة السماوية وسايط لغيرهم في وصول العلم وساير الكمالات الى الخلق فكانوا كالاستادين لمن عداهم وظاهر ان الاستاد اعلى درجة من التلميذ وقد علمت في الخطبة الاولى ان المعارف مقولة بحسب التشكيك الثاني كونهم اخوف له وذلك لكونهم اعلم بعظمة الله وجلاله وكل من كان اعلم بذلك كان اخوف له واشد خشية اما الاولى فلما مر واما الثانية فلقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فحصر الخشية في العلماء ويجب تفاوت العلم بالشدة والضعف تكون تفاوت الخشية بهما الثالث كونهم اقرب منه والمراد لا القرب المكاني لتنزهه تعالى عن المكان بل قرب المنزلة والرتبة منه وظاهر ان من كان اعلم به واخوف منه كان اقرب منزلة عنده لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم الرابع في سلب نقصانات البشرية عنهم كونهم لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يختلف عليهم حوادث الدهر وظاهر كون هذه الامور الاربعة نقصانات تلزم الحيوان العنصري لاستلزامها التغير ومخالطة المحال المستقذرة ومعاناة الاسقام والامراض وساير الهيئات البدنية المانعة عن التوجه الى الله فكان سلبها عمن لا يجوز عليه من كمالاته وقوله وانهم على مكانهم منك الى آخره لما بين عظم الملائكة بالنسبة الى من عداهم شرع في المقصود وهو بيان عظمة الله بالنسبة اليهم وحقارتهم على عظمتهم بالقياس الى عظمته وكبريائه اى انهم مع كونهم على هذه الاحوال التي توجب لهم العظمة والاجلال من قرب منزلتهم منك وكمال محبتهم لك وغرقهم في انوار كبريائك عن الالتفات الى غيرك لو عرفوا كنه معرفتك لصغرت في اعينهم اعمالهم وعلموا ان لا نسبة لعبادتهم فمن ان يطلع عليها بالكنه ملك مقرب او نبي مرسل لاجرم كانت عبادة الملائكة بحسب معارفهم القاصرة عن كنه حقيقته فكل من كانت معرفته اتم كانت عبادة من دونه مستحقرة في جانب عبادته حتى لو زادت معارفهم القاصرة به وامكن اطلاعهم عن كنه حقيقته لزادت عبادتهم وكانت اكمل فاستحقروا ما كانوا فيه وعابوا انفسهم بقصور الطاعة والعبادة عما يستحقه كاله المطلق وعبر بقلة الغفلة عن عدمها في حقهم مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان كل معدوم قليلا ولا ينعكس وجعل قلة الغفلة في مقابلة كثرة الطاعة ويحتمل ان يريد بقلة الغفلة قوة معرفة بعضهم بالنسبة الى بعض مجازا ايضا اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم اذ كانت قلة الغفلة مستلزمة لقوة المعرفة وزيادتها وقد سبق ذكر انواع الملائكة السماوية وغيرهم وذكر نكت من احوالهم في الخطبة الاولى

الفصل الثاني قوله سبحانك خالقا ومعبودا بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا وجعلت فيها مادبة مشربا ومطعما وازواجا وخدما وقصورا وانهارا وزروعا وثمارا ثم ارسلت داعيا يدعو اليها فلا الداعي اجابوا ولا فيما رغبت رغبوا ولا الى ما شوقت اليه اشتاقوا اقبلوا على جيفة قد افتضحوا باكلها واصطلحوا على حبها ومن عشق شيئا اعشى بصره وامرض قلبه وهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع باذن غير سميعة قد خرقت الشهوات عقله واماتت الدنيا قلبه وولهت عليها نفسه فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها حيث ما زالت زال اليها وحيث ما اقبلت اقبل عليها ولا ينزجر من الله بزاجر ولا يتعظ منه بواعظ وهو يرى الماخوذين على الغرة حيث لا اقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يامنون وقدموا من الاخرة على ما كانوا يوعدون فغير موصوف ما نزل بهم اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت ففترت لها اطرافهم وتغيرت لها الوانهم ثم ازداد الموت فيهم ولوجا فحيل

بين احدهم وبين منطقه وانه لبين اهله ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه يفكر فيم افنى عمره وفيم
اذهب دهره ويتذكر اموالا جمعها اغمض في مطالبها واخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها واشرف على فراقها
تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها فيكون المهنأ لغيره والعبء على ظهره والمرء قد غلقت رهونه بها فهو يعض يده
ندامة على ما اصحر له عند الموت من امره ويزهد فيما كان يرغب فيه ايام عمره ويتمنى ان الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد
حازها دونه فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط سمعه فصار بين اهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه يردد طرفه
بالنظر في وجوههم يرى حركات السنتهم ولا يسمع رجع كلامهم ثم ازداد الموت التياطا به فقبض بصره كما قبض سمعه وخرجت
الروح من جسده فصار جيفة بين اهله قد اوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه لا يسعد باكيا ولا يجيب داعيا ثم حملوه الى
مخط في الارض فاسلموه فيه الى عمله وانقطعوا عن زورته اقول المادبة بضم الدال وفتحها الطعام يصنع ويدعى اليه والوله
التحير لشدة الوجد والمحنة واغمض اي ازداد من مطالبها وتساهل في وجوه اكتسابها ولم يحفظ دينه والتبعة ما يلحق من اثم
وعقاب والمهنأ المصدر من هنؤ بالضم وهنى بالكسر والعبء الحمل واصحر انكشف ورجع الكلام جوابه وترديده والالتياط الالتصاق
والمخط موضع الخط كناية عن القبر يخط اولا ثم يحفر ويروى بالحاء ومحط القوم منزلهم وفي هذا الفصل نكت الاولى ان
خالقا ومعبودا حالان انتصابهما في سبحانك من معنى الفعل اي اسبحك خالقا ومعبودا واشار بذلك الى وجوب تنزيهه في
هذين الاعتبارين اعني اعتبار كونه خالقا للخلق ومعبودا لهم عن الشركاء والانداد فانه لما تفرد بالابداع والخلق واستحق
بذلك التفرد تفرده بعبادة الكل له وجب تنزيهه عن مساواته في الاعتبارين الثانية قوله بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا
الجار والمجرور متعلق بخلقت ولفظ الدار مستعار للاسلام ولفظ المادبة للجنة والداعي هو الرسول صلى الله عليه وآله وقد
جمعها الخبر في بعض امثاله صلى الله عليه وآله ان الله جعل الاسلام دارا والجنة مادبة والداعي اليهما محمدا ووجه الاستعارة ان الاسلام
يجمع اهله ويحميهم كالدار ووجه الثانية ان الجنة مجمع الشهوات ومنبع اللذات كالمادبة ويحتمل ان يريد بالدار الآخرة باعتبار
كونها مجمعا ومستقرا والمادبة فيها الجنة والمنصوبات الثلاثة مميزات لتلك المادبة وظاهر ان وجود الاسلام والجنة
والدعوة اليهما بلاء حسن من الله لخلقه وقد عرفت معنى ابتلائه تعالى وقال بعض الشارحين ان قوله بحسن بلائك متعلق بسبحانك
او بمعبود وهو بعيد الثالثة قوله فلا الداعي اجابوا الى قوله بواعظ شرح لحال العصاة الذين لم يجيبوا داعي الله وبيان لعيوبهم اما صح
وعرفهم في حب الباطل من الدنيا وفايدته المنتهين اللازمين لاوامر الله المجيبين لدعوته فتنفيرهم عن الركون الى هؤلاء والوقوع
فيما وقعوا فيه واما لهؤلاء فتنبيههم من مراقد غفلاتهم بتذكيرهم عيوبهم لعلهم يرجعون واستعار لفظ الجيفة للدنيا ووجه
المشابهة ان لذات الدنيا وقنياتها في نظر العقلاء واعتبار الصالحين معور عنها ومهرب منها ومستقذرة كالجيفة والى
ذلك اشار الواصف لها وما هي الا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها فان تجتنبها كنت سلما لاهلها
وان تجتذبها نازعتك كلابها ويمكن اخذ معنى البيت الثاني في وجه الاستعارة [illegible] المذكورة وكذلك استعار لفظ
الافتضاح للاشتهار بقنياتها وجمعها [illegible] والخروج بها عن شعار الصالحين ووجه الاستعارة انه لما كان الاقبال على جميع
الدنيا والاشتغال بها عن ذكر [illegible] الله من اعظم الكبائر والمساوي في نظر الشارع والسا[illegible] لطريق الله كان

الافتضاح

الافتضاح عبارة عن انكشاف المساوى المتعارف قبحها لاجرم اشبه الاشتهار بجمعها وانكشاف الحرص عليها الافتضاح ويمكن ان
يصدق الافتضاح هنا حقيقة وكنى باكلها عن جمعها وتجوز بلفظ الاصطلاح في التوافق على محبتها اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم
فان الاصطلاح عبارة عن التراضي بعد التغاضب ويلزمه الاتفاق على الاحوال وقوله ومن عشق شيئا اعمى بصره وامرض قلبه كبرى قياس
دل على صغراه قوله واصطلحوا على حبها لان الاصطلاح على محبة الشيء يستلزم شدة محبته وما هو معنى العشق ونتيجته ان المذكورين في
معرض الذم قد اعشت الدنيا ابصارهم وامرضت قلوبهم واستعار لفظ البصر لنور البصيرة ملاحظة لشبهة المعقول بالمحسوس ولفظ
العشاء لظلمة الجهل ملاحظة للشبه بالظلمة العارضة للعين بالليل واسناد الاعشاء الى الدنيا يحتمل ان يكون حقيقة لما يستلزمه
حبها من الجهل والغفلة عن احوال الاخرة ويحتمل ان يريد بالبصر حقيقته ويكون لفظ العشاء مستعارا لعدم استفادتهم بابصارهم
عبرة تصرفهم عن حب الدنيا الى ملاحظة احوال الاخرة ويؤيده قوله فهو ينظر بعين غير صحيحة وكنى بعدم صحتها عما يلزم
العين غير الصحيحة من عدم الانتفاع بها في تحصيل الفائدة وكذلك استعار لفظ المرض للداء الاكبر وهو الجهل استعار لفظ
المحسوس للمعقول وقوله فهو يسمع باذن غير سميعة كنى بذلك عن عدم افادتها عبرة من المواعظ والزواجر الالهية كما سبق وكذلك
استعار التحريق لتفرق عقله في مهمات الدنيا ومطالبها ووجه الاستعارة ان العقل اذا استعمل فيما خلق لاجله من اتخاذ الزاد
ليوم المعاد واقتباس العلم والحكمة من تصفح جزئيات الدنيا والاستدلال منها على وجود الصانع وما ينبغي له ونحو ذلك مما هو
كالمستعد في الاخرة فانه يكون منتظما منتفعا به واما ان استعمل فيما لا ينبغي من جمع متفرقات الدنيا وتوزيع الهمة
في تحصيل جزئياتها وضبطها حتى يكون ابدا في الخوف والاسف على فوات وفي الخوف من ذهاب ما يحصل وفي الهم والحرص
على جمع ما لم يحصل بعد فانه يكون كالثوب المخرق الذي لا ينتفع به صاحبه ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله من جعل الدنيا اكبر
همه فرق الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه الحديث ونسبة ذلك التحريق الى الشهوات ظاهر اذ كان زمام عقله بيد شهوته
فهي تفرقه وتمزقه على حسب تصرفاتها وميولها الى انواع المشتهيات وكذلك استعار لفظ الاماتة لقلبه ووجه المشابهة
من وجه عدم الانتفاع به الانتفاع الحقيقي الباقي كالميت والضمير في قوله عليها يعود الى الدنيا اي ولهت الدنيا نفسه وكنى بالتوله
عن شدة المحبة لها واطلقه مجازا تسمية للشيء بما هو من غاياته وكذلك استعار لفظ العبد له باعتبار كونه محبا لها والمجد لتحصيلها منصرفا
بحسب تصريفها ودائرا في حركاته حيث دارت فان كانت في يده اقبل عليها بالعمارة والحفظ وان زالت عنه انصب الى تحصيلها
وحفظه ممن كانت في يده لغيرها فهو في ذلك كالعبد لها بل اخس حالا كما قال عليه السلام في موضع آخر عبد الشهوة اذل من عبد الرق اذ الباعث
لعبد الرق على الخدمة والانقياد قد يكون قسريا والباعث لعبد الشهوة طبيعي وشتان ما بينهما الرابعة قوله وهو يرى
المأخوذين على الغرة فالواو في قوله وهو للحال وهو شروع في وصف نزول الموت بالغافلين عن الاستعداد له ولما راوه
من احوال الاخرة وكيفية قبض الموت لارواحهم من مبدا نزوله بهم الى الاخرة وكيفية احوالهم مع اهليهم واخوانهم معه وهو
وصف لا مزيد على وضوحه وبلاغته وفائدته تذكير العصاة باهوال الموت وتنبيههم من غفلتهم بالباطل بذلك على وجوب العمل في صح
له وتثبيت للسالكين الى الله على ما هم عليه ومراده بقوله ما كانوا يجهلون لا الموت فانه معلوم لكل احد بل تفصيل سكراته
واهواله وما كانوا يامنون اشارة الى الموت وما بعده فان الغافل حال انهماكه في لذات الدنيا لا يعرض له خوف الموت بل يكون في

تلك الحال آمنا منه وقوله فغير موصوف ما نزل بهم اى ليس ذلك مما يمكن استقصاؤه بوصف بل غاية التمثيل كما ورد فى التورية ابن صحح
ان مثل الموت كمثل شجرة شوك ادخلت فى بدن ابن آدم فتعلقت كل شوكة بعرق وعصب ثم جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما
قطع وابقى ما ابقى واستعار لفظ الولوج لما يتصور من زوال الحيوة لعضو عضو فاشبه ذلك دخول جسم فى جسم آخر وكذلك استعار
العب للآثام التى يحملها النفس ورشح بذكر الظهر استعارة لفظ المحسوس للمعقول الخامسة قوله والمرء قد غلقت رهونه بها ضرب
مثلا لحصول المرء فى تبعات ما جمع وارتباطه بها عن الوصول الى كماله وانبعاثه الى سعادته بعد الموت وقد كان تمكنه فكاكها
بالتوبة والاعمال الصالحة فاشبه ما جمع من الهيئات الردية فى نفسه عن اكتساب الاموال فارتهنت بها فى ما على الرهن من المال وقال
بعض الشارحين اراد انه لما اشفى على الفراق صارت الاموال التى جمعها مستحقة لغيره ولم يبق له فيها تصرف فاشبهت الرهن
الذى غلق رهنه على صاحبه فخرج عن كونه مستحقا لصاحبه وصار مستحقا للمرتهن وهذا وان كان محتملا الا انه يضيع فايدة قوله
بها لان الضمير يعود الى الاموال المجموعة وهو اشارة الى المال الذى انغلق الرهن فلا يكون هى نفس الرهن وقوله وهو يعض يده كناية
عما يلزم ذلك من الاسف والحزن والندم على تفريطه فى جنب الله حيث انكشف له حال الموت انقطاع سببه من الله وفوت ما كان
يتوهم بقاه عليه مما اشتغل به عن ربه وحيث يتحسر على ذلك التفريط كما قال تعالى ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله
وان كنت لمن الساخرين ويتمنى هداية الله فيقول لو ان الله هدانى لكنت من المتقين او الرجعة الى الدنيا لامتثال ما فرطت فيه من الاوامر
الالهية فتقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين وكما قال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع
الرسول سبيلا وقد نبه عليه السلام فى هذا الكلام على ان آلة النطق تبطل من الانسان قبل آلتى السمع والبصر بقوله فحيل بين احدهم وبين منطقه
وانه لبين اهله ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحة من عقله ثم نبه على ان بطلان آلة السمع بعدها قبل آلة البصر وان آلة البصر تبطل
مع المفارقة بقوله حتى خالط سمعه الى قوله يرى حركات السنتهم ولا يسمع رجع كلامهم وذلك لعلمه عليه السلام باسرار الطبيعة وليس
كلامه مطلقا بل فى بعض الناس واغلب ما يكون ذلك فيمن تعرض الموت الطبيعى كالآية والا فقد تعرض الآفة لقوة البصر والة
قبل آلة السمع وآلة النطق والذى يلوح من اسباب ذلك انه لما كان السبب العام القريب للموت هو انطفاء الحرارة
الغريزية عن فناء الرطوبة الاصلية التى منها خلقنا وكان فناء تلك الرطوبة عن عمل الحرارة الغريزية فيها بالتجفيف والتحليل
وقد يعينها على ذلك الاسباب الخارجية من الاهوية واستعمال الادوية المجففة وساير المجففات كان كل عضو
ايبس فى طبيعته وابرد واسرع الى البطلان واسبق الى الفناء واذا عرفت ذلك فنقول اما ان آلة النطق اسرع فسادا من آلة
السمع فلان آلة النطق مبنية على الاعصاب المحركة ومركبة منها وآلة السمع من الاعصاب المفيدة للحس واتفق الاطباء على ان
الاعصاب المحركة ايبس وابرد لكونها منبعثة من مؤخر الدماغ دون الاعصاب المفيدة للحس فان كلها منبعث من مقدم
الدماغ فكانت لذلك اقرب الى البطلان ولان النطق اكثر شرايط من السماع لتوقفه مع الآلة وسلامتها على الصوت وسلامة
مخارجه ومجارى النفس والاكثر شرطا اسرع الى الفساد واما بطلان آلة السمع قبل البصر فلان منبت الاعصاب التى هى محل القوة
السامعة اقرب الى مؤخر الدماغ من منابت محل القوة الباصرة فكانت ايبس وابرد واقبل لانطفاء الحرارة الغريزية
ولان العصب المفروش على الصماخ الذى رتبت فيه قوة السمع احتاج ان يكون مكشوفا غير منسد دون سبيل الهواء بخلاف العصب

الذى

الذى هو آلة البصر فكانت لذلك اصلب والاصلب ايبس واسرع فسادا هذا مع انه قد يكون ذلك لتحلل الحامل للسمع قبل الروح
الحامل [illegible] للبصر او لغير ذلك والله اعلم واما سبب النفرة الطبيعية من الميت والتوحش عن قربه فحكم الوهم على المتخيلة بمحاكاة
حاله فى نفس المتوهم وعزل العقل فى ذلك والموضع حتى ان الحى ربما يبيت فى موضع منفرد يتخيل ان الميت يجذبه اليه ويصيره بحاله
مثل حالة المنفور عنها طبعا السادسة قوله واسلموه الى عمله اشارة الى ان كل ثواب وعقاب اخروى يفاض على النفس فبحسب استعدادها
باعمالها السابقة الحسنة والسيئة فعمل الانسان هو النافع او الضار له حين لا ناصر له ولما كان ميله عليه السلم فى هذا الكلام الى
الانذار والتخويف لا جرم ذكر اسلامهم الى عمله لان الاسلام انما يكون الى العدو فكانه حاول ان ينفر عن قبيح الاعمال لينبه على
ان عمل الانسان القبيح يكون كعدوه القوى عليه يسلم اليه منها قوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله بها عر والامر مقاديره
والحق آخر الخلق باوله وجاء من امر الله ما يريده من تجديد خلقه اماد السماء وفطرها وارج الارض وارجفها
وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها بعضا من هيبة جلالته ومخوف سطوته واخرج من فيها وجددهم بعد اخلاقهم وجمعهم
بعد تفريقهم ثم ميزهم لما يريد من مسائلتهم عن خفايا الاعمال وخبايا الافعال وجعلهم فريقين انعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء فاما
اهل الطاعة فاثابهم بجواره وخلدهم فى داره حيث لا يظعن النزال ولا يتغير بهم الحال ولا تنوبهم الافزاع ولا تنالهم
الاسقام ولا تعرض لهم الاخطار ولا تشخصهم الاسفار واما اهل المعصية فانزلهم شر دار وغل الايدى الى الاعناق وقرن
النواصى بالاقدام والبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران فى عذاب قد اشتد حره وباب قد اطبق على اهله فى نار
لها كلب ولجب ولهب ساطع وقصيف هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادى اسيرها ولا تنفصم كبولها لا مدة للدار فتفنى ولا اجل
للقوم فيقضى اقول الرج والرجف الاضطراب الشديد ويروى رجها بغير همزة وهو الاشهر ونسفها قلعها من اصولها وبثها
ودك بعضها بعضا تصادمت وتنوبهم تعودهم والخطر الاشراف على الهلاك وشخص خرج من منزل الى آخر واشخصه غيره
والكلب الشدة والجلب واللجب الصوت والقصيف الصوت الشديد والكبول الاغلال واحدها كبل وقصمها كسرها واشار بقوله
حتى اذا بلغ الكتاب اجله الى غاية الناس فى موتهم وهو بلوغ الوقت المعلوم الذى يجمع له الناس وهو يوم القيمة واراد بالامر
القضاء ومقاديره تفاصيله من الآثار التى توجد على وفقه كما سبق بيانه ولحوق الخلق باوله اشارة الى توافيهم فى الموت وتساويهم
فيه كما نطقت الشريعة وتجديد الخلق بعثهم واعادتهم واما امادة السماء وشقها وارجاج الارض ونسف الجبال فظاهر الشريعة
الناطق بخراب هذا العالم ناطق به واما من زعم بقاؤه فهم ربما عدلوا الى التأويل والذى يحتمل ان يقال فى ذلك وجوه احدها
ان القيمة لما كانت عندهم عبارة عن موت الانسان ومفارقته لهذا البدن ولما يدرك بواسطته من الاجسام والجسمانيات
ووصوله الى مبدأه الاول كان عدمه عن هذه الاشياء مستلزما لغيبوبتها عنه وعدمها وخرابها بالنسبة فيصدق عليه انه
اذا انقطع نظره عن جميع الموجودات سوى مبدئه الاول جلت عظمته انها قد عدمت وتفرقت وكذلك اذا انقطع نظره عن
عالم الحس والخيال ومتعلقاتهما من الاجسام والجسمانيات واتصل بالملاء الاعلى فبالحرى ان تتبدل الارض والسموات بالنسبة
اليه فيصير عالم الاجسام والجسمانيات ارضا له وعالم المفارقات سماء له الثانى ان هذه الموجودات المشار اليها لما كانت مقهورة
بلجام الامكان فى قبض القدرة الالهية كان ما نسب اليها من الانشقاق والانفطار والارجاج والنسف وغيرها امورا ممكنة فى

بدل امار

بدل تفرقهم

نفسها وان امتنعت بالنظر الى الاسباب الخارجية فعبر عما يمكن بالواقع مجازا وحسنه في العربية معلوم وفايدته التهويل
بما بعد الموت والتخويف للعصاة بتلك الاهوال الثالث قالوا يحتمل ان يريد بالارض القوابل للجود الالهي استعارة فعلى هذا امادة
السماء عبارة عن حركاتها واتصالات كواكبها التي هي اسباب معدة لقوابل هذا العالم وانفطارها افاضة الجود بسبب تلك المعدات على
القوابل وارتجاج الارض اعداد المواد لاعادة امثال هذه الابدان او لنوع اخر بعد فناء النوع الانساني وقلع الجبال ونسفها
ودكها اشارة الى زوال موانع الاستعدادات لنوع آخر ان كان او لاعادة ابناء هذا النوع استعارة وجهها ان الارض
تنسف الجبال يستوي سطحها ويعتدل فكذلك قوابل الجود تستعد وتعتدل لان يفاض عليها صورة نوع اخر او صورة
اخرى لابناء (انه) هذا النوع الرابع قالوا يحتمل ان يريد بالسماء سماء الجود الالهي وبالارض عالم الانسان فعلى هذا
يكون امادة السماء عبارة عن ترتيب كل استحقاق لقابله في القضاء الالهي والقطر عبارة عن الفيض وارتجاج الارض وارتجافها
عبارة عن الهرج والمرج الواقع بين ابناء نوع الانسان وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها بالبعض عبارة عن اهلاك الجبابرة
والمعاندين للناموس الالهي وقتل بعضهم ببعض كل ذلك باسباب قهرية مستندة الى هيبة جلال الله وعظمته واخراج من فيها
وتجديدهم اشارة الى ظهور ناموس اخر مجدد لهذا الناموس والمتبع له اذن قوم اخرون هم كنوع جديد وتمييزهم فريقين منعم
عليهم ومنتقم منهم ظاهر فان المستعدين لاتباع الناموس الشرعي والعاملين به هم المنعم عليهم المثابون والتاركين له المعرضين عنه
هم المنتقم منهم المعاقبون فاما صفة الفريقين وما اعد لهم لكل منهم بعد الموت فعلى ما نطق به الكتاب العزيز وصفة هذه الالفاظ
الكريمة وعلى تقديرات وبيانات السابقة لمن عدل عن الظاهر فثواب اهل الطاعة جوار ربهم وملاحظة الكلام المطلق لهم وخلودهم
في داره بقاؤهم في تلك النعيم غير جائز عليهم الفناء كما تطابق عليه الشرع والبرهان وكونهم غير ظاعنين ولا متغيرين للاحوال ولا
في عين ولا ينالهم سقم ولا خطر ولا يشخصهم سفر فلان كل ذلك من لواحق الابدان والكون في الحيوة الدنيا بحيث زالت عوارضها
ولواحقها واما جزاء اهل المعصية فان لهم شر دار وهي جهنم التي هي البعد بعيد عن جوار الله وغل ايديهم الى اعناقهم اشارة الى قصور قواهم العقلية
عن نيل ثمار المعرفة واقتران النواصي بالاقدام اشارة الى انتكاس رؤسهم عن مطالعة انوار الحضرة الالهية والباسهم سرابيل القطران استعار
لفظ السرابيل للهيئات البدنية المتمكنة من جواهر نفوسهم ووجه المشابهة اشتمالها عليها وتمكنها منها كالسربال للبدن ونسبتها الى القطران
اشارة الى شدة استعدادهم للعذاب وذلك ان اشتعال النار فيما يمسح بالقطران اشد ونحوه قوله تعالى سرابيلهم من قطران وكذلك مقطعات
النيران اشارة الى تلك الهيئات التي تمكنت من جواهر نفوسهم ونسبتها الى النار لكونها ملبوس اهلها فهي منها كما قال تعالى قطعت لهم ثياب من
نار ولما كان سبب الخروج من النار هو الخروج الى الله من المعاصي بالتوبة والرجوع الى تدبر الايات والعبر النوافع وكان البدن هو اسد
ابواب الخروج الى الله فبعد الموت تغلق تلك الابواب فلا جرم تبقى الكفار وراء طبق تلك الابواب في شدايد حرارة ذكر العذاب ولهيب النار
ولجبها واصواتها الهائلة استعارة لاوصاف النار المحسوسة المستلزمة للهيبة والخوف حسا للنار المعقولة التي هي في الحقيقة اشد
نعوذ بالله منها وانما عدل الى المحسوس للغفلة عن صفات تلك النار وعدم تصور اكثر الخلق لها الا من هذه الاوصاف المحسوسة وكونها لا
يظعن مقيمها كناية عن التخليد وذلك في حق الكفار ولفظ الاسير والفدية استعارة وكذلك لفظ الكبول استعارة لقيود الهيئات
البدنية المتمكنة من جواهر نفوس الكفار فكما لا ينفصم القيد الوثيق من الحديد ولا ينفك المكبل به كذلك النفوس المقيدة بالهيئات الردية

البدنية

البدنية عن المثنى فى بيداء جلال الله وعظمته والتنزه فى جنان حظاير قدسه ومقامات اصفيائه ولما كان الاجل مفارقة البدن لم يكن لهم موهم اجل اذ كلا ابدان بعد الابدان ولا خلاص من العذاب للزوم الملكات الردية لاعناق نفوسهم وتمكنها منها فهذا ما عساهم يتاولونه او يعبرون به عن الاسرار التى يدعونها تحت هذه العبارات الواضحة التى وردت الشريعة بها لكنك قد علمت ان العدول الى هذه التاويلات وامثالها مبنى على امتناع المعاد البدنى وذلك مما صرحت به الشريعة تصريحا لا يجوز العدول عنه ونصوصا لا تحتمل التاويل واذا حملنا الكلام على ما وردت به الشريعة فهذا الكلام منه عليه السلم افصح ما يوصف به حال القيمة والمعاد والتعرض لشرحه يجرى مجرى ايضاح الواضحات وبالله التوفيق ومنها فى ذكر النبى صلى الله عليه وآله قد حقر الدنيا وصغرها واهونها وهونها وعلم ان الله تعالى زواها عنه اختيارا وبسطها لغيره احتقارا فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا ويرجو فيها مقاما بلغ عن ربه معذرا ونصح لامته منذرا ودعا الى الجنة مبشرا نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة اقول الرياش اللباس والفصل اقتصاص لحال الرسول صلى الله عليه وآله واوصافه الحميدة ليبنى عليها مادح نفسه بعد فتحقيره للدنيا وتصغيرها وتهوينها اشارة الى ما كان يجذب الخلق به عنها من ذكر مذامها وتعديد معايبها واهوانها اشارة الى زهده فيها وعلمه بان زواه الله اياها عنه اختيارا اشارة الى ان زهده فيها كان عن علمه منه باختيار الله له ذلك وتسبب اسبابه وهو وجه مصلحة ليستعد نفسه بذلك لكمال النبوة والقيام باعباء الخلافة الارضية وبسطها لغيره احتقارا لها وعلى الرواية الثانية فقد عرفت معنى الاحتقار من الله لخلقه عن مرة فكان اعراضه عنها بقلبه واماتة ذكرها عن نفسه ومحبته ان يغيب زينتها عن عينه لئلا يتخذ منها رياشا ولا يرجو فيها مقاما جذبا للعناية الالهية له الى الالتفات اليها الى الكمالات المعلومة له وعن ان ينحط لمحبتها عن مقامه الذى قصدت العناية الالهية بنظام العالم بسببه ثم اعقب ذلك بذكر ثلثة احوال هى ثمرة النبوة التى هى ثمرة الزهد المشار اليه وهى تبليغ رسالة ربه اعذارا الى خلقه ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين والنصح لهم انذارا بالعذاب الاليم فى عاقبة الاعراض عن الله ودعاؤه الى الجنة مبشرا لمن سلك سبيل الله ونهجه المستقيم بما اعد له فيها من النعيم المقيم ثم عقب اقتصاص تلك المدائح بالاشارة الى فضيلة نفسه وذلك منه فى معرض المفاخرة بينه وبين مشاجريه كمعوية فاشار الى فضيلته من جهة اتصاله بالرسول صلى الله عليه وآله اذ كان من البيت الذى هو شجرة النبوة ومحط الرسالة ومعدن العلم وينبوع الحكمة بافضل مكان بعد الرسول صلى الله عليه وآله كما سبق بيانه فى بيان فضائله ولفظ الشجرة والمعادن والينابيع مستعار كما سبق واذا كان من تلك الشجرة كان علمه ولكل غصن من الشجرة قسط من الثمرة بحسب قوته وقربه من الاصل وعناية الطبيعة به علمت مقدار فضيلته ونسبتها الى الرسول صلعم وبعد ذلك ناصرنا ومحبنا الى آخره ترغيب فى نصرته ومحبته وجذب اليهما بالوعد برحمة الله وافاضة بركاته وتنفير عن عداوته وبغضه وتخويف بلحوق سطوة الله ولعل ذلك هو غايته هنا من ذكر فضيلته وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلم ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد فى سبيله فانه ذروة الاسلام وكلمة الاخلاص فانها الفطرة واقام الصلوة فانها الملة وايتاء الزكوة فانها فريضة واجبة وصوم شهر رمضان فانه جنة من العقاب وحج البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب وصلة الرحم فانها مثراة فى المال ومنساة فى الاجل وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء وصنايع المعروف فانها تقى مصارع

صلوات الله عليه

فيه ك

الهوان افيضوا في ذكر الله فانه احسن الذكر وارغبوا فيما وعد المتقين فان وعده اصدق الوعد واقتدوا بهدى نبيكم فانه افضل
الهدى واستنوا بسنته فانها اهدى السنن وتعلموا القرآن فانه احسن الحديث وتفقهوا في الدين فانه ربيع القلوب
واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور واحسنوا تلاوته فانه انفع القصص فان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحاير
لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه اعظم والحسرة له الزم وهو عند الله الوم اقول ذروة الشيء اعلاه والملة الدين والجنة الوقاية
ويرحضان بفتح الضاد يغسلان والرحض والمثراة المكثرة وهي محل كثرة المال والثروة به والمنساة محل النساء وهو التاخير
والافاضة في الذكر الاندفاع فيه والهدى ضد الاضلال وهو مصدر وقد اشار عليه السلام في هذا الفصل ان افضل الوسايل الموصلة
الى الله سبحانه هو الايمان الكامل فالايمان بالله هو التصديق بوجوده وهو اشارة الى اصل الايمان ثم له لواحق وكمالات احدها
التصديق برسوله وانما قدمه على ساير العبادات لانه اصل لها لا تصح بدونه الثاني الجهاد في سبيله وقد عرفت فضايل الجهاد
فيما سلف واشار الى وجه فضيلته بكونه ذروة الاسلام واستعار لفظ الذروة له ملاحظة لتشبيهه في العلو والمرتبة في الاسلام
بالسنام للبعير وانما قدمه على الصلوة لكون سالكه على يقين من لقاء الله وقوة من التصديق بما جاء به الرسول حيث يلقي بنفسه
الى التهلكة الحاضرة التي ربما يغلب على ظنه او يتيقنها ولانه الاصل الاعظم في جميع العالم على الدين الثالث كلمة الاخلاص وهي كلمة
التوحيد المستلزمة لنفي الشركاء والانداد وهو معنى الاخلاص ولذلك اضيفت اليه ووجه فضيلتها كونها فطرة الله التي
فطر الناس عليها فان العقول السليمة البرية عن شوايب العلايق البدنية وعوارض التربية شاهدة ومقررة بما اخذ عليها من
العهد القديم في توحيد صانعها وبراءته عن الكثرة واطلق عليها اسم الفطرة وان كانت الفطرة عليها اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه
الرابع اقامة الصلوة وانما جعلها الملة وان كانت بعض اركان الدين لانها الركن الاقوى من اركانه فاطلق عليها ذلك اللفظ اطلاقا
لاسم الكل على الجزء مجازا واعلم ان للصلوة فضايل واسرارا يجب التنبيه عليها اما فضيلتها فقد ورد فيها اخبار كثيرة بعد تاكيد
القرآن الكريم للامر بها كقوله صلى الله عليه وآله الصلوة عمود الدين من تركها فقد هدم الدين وقوله مفتاح الجنة الصلوة وقوله في
فضل اتمامها ان الرجلين من امتي يقومان في الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض
وقوله اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقوله من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من
الدنيا غفر الله له ذنوبه واما اسرارها فتنقسم الى عامة والى خاصة اما العامة فقد بينا فيما سلف في ذكر الحج في الخطبة الاولى
السر العام لجميع العبادات وهي كونها متممة للغرض الثاني من اغراض العارف من الرياضة ومعينة على تطويع النفس الامارة
بالسوء للنفس المطمئنة وتمرينها على موافقتها واذ لاح لك هذا السر فقد علمت ان جميع الآيات والاخبار الواردة في فضلها
فضلها يرجع معناها اليه كنهيها عن الفحشاء والمنكر في قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذ كان سببهما
القوة النزوعية اذا خرجت عن حكم العقل فاذا كانت الصلوة هي التي توجب دخولها تحت حكم العقل والعقل ناه عن الفحشاء
والمنكر فقد كانت الصلوة هي السبب في الانتهاء فكانت ناهية وظهر ايضا معنى كونها عماد الدين اذ قال بني الاسلام على خمس فكل
منها عماد بحسب شرايطه فمن اخل بها فقد هدم بنيانه الذي يصعد به الى الله وكذلك كونها مفتاح الجنة اذ بها ينفتح باب من
ابواب الوصول الى الله ولذلك ظهر التفاوت الذي يشير اليه صلى الله عليه وآله في صلوة الرجلين من امته فانه اذا كانت فائدة الصلوة

هو

هو الالتفات الى الله تعالى بتبع الشيطان وكان احد الرجلين في صلوته خاشعا لخشية الله مستحضر العظمة والآخر غافل عن هذه
الجهة فتصرف الشيطان وجه قلبه الى غير القبلة فاين احدهما من الآخر وكذلك ما اشار اليه من التخويف لمن يحول وجهه في الصلوة فانه نهى منه
عن الغفلة عن الالتفات الى الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة فان الملتفت يمينا وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار
كبريائه ومن كان كذلك فيوشك ان يدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة عقليته للامور العلوية وعدم الاستعداد
لشيء من العلوم والتقرب الى الله وكذلك عن ان ذنب المصلي بسبب تركه حديث نفسه بشيء من الدنيا فانه في تلك الحال ملتفت الى الله تعالى غافل
عن غيره والالتفات اليه هو روح العبادة وخلاصتها ولذلك قال صلى الله عليه وآله انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت
المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك المذكور الذي هو الصلوة المقصود والمبتغى ولا هيبته فيما فيه ذكرك وعن عايشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وآله يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلا بالله عن كل شيء وكان علي عليه السلام اذا
حضر وقت الصلوة يتململ ويتزلزل ويتلون فيقال له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارضين
فابين ان يحملنها واشفقن منها وكان علي بن الحسين اذا حضر للوضوء اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء
ما تدرون بين يدي من اقوم وكل ذلك اشارة الى استحضار عظمة الله والالتفات اليه حال العبادة والانقطاع عن غيره واما
ما يختص بها من الاسرار فقد علمت ان الصلوة ليس الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فظاهر انه محاورة ومناجاة
لله تعالى وغايتها استلزام الالتفات اليه وتذكره لتنجذب القوى الشيطانية تحت قياد العقل ويستمر بقودها بذلك وهو المقصود
من القراءة والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء وليس المقصود منه الحرف والصوت امتحانا للسان بالعمل وان حصلت
الغفلة فان تحريك اللسان بالهذيان خفيف على الانسان لا كلفة فيه من حيث انه عمل وسنبين حال الذكر وفضيلته وفايدته في موضع
اليق به ان شاء الله واما الركوع والسجود والقيام والقعود فالغرض بها التعظيم لله تعالى المستلزم للالتفات اليه وذكره ايضا اذ لو جاز
ان يكون معظما لله بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يعظم صنما موضوعا بين يديه وهو غافل عنه يؤيد ذلك ما روي عن معاذ بن
جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا في الصلوة فلا صلوة له وقال عليه السلام ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها
وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ولما عرفت ان الاصل من اركانها هو الالتفات الى الله تعالى فاعلم ان الالتفات اليه مستلزم
للتذكر والتفهم لان الالتفات اليه انما يراد لمطالعة كبريائه وعظمته والمطالعة ليس الا للفكر الذي هو عين البصيرة وحدقة
العقل الانساني ثم ان التذكر والتفهم مستلزم للتعظيم فان مطالعة عظمة الله اعظم من ان لا يعظمها العارف بها والتعظيم
مستلزم للخوف والرجا فانا نجد عند تصور عظمة ملك من الملوك ملوك الدنيا وجدانا ضروريا انا ننتهي عن مكالمته ومحاورته
ونلزم معه السكون والخضوع وربما يتبع ذلك رعدة البدن وتلعثم اللسان ومنشأ كل ذلك الخوف الحادث عن تصور عظمته
فكيف بتصور جبار الجبابرة وملك الدنيا والآخرة وكذلك الرجا فانا عند تصور عظمة الله نتصور ان الكل منه وذلك باعث
على رجائه خصوصا وقد تاكد ذلك بالآيات الواردة في باب الخوف والرجا كذلك يستلزم الحيا لان المتصور لعظمة الامر لا يزال
مستشعر النقص او متوهما دينا وذلك الاستشعار والتوهم يوجب الحيا من الله سبحانه الخامس اسرار الزكوة وهي ركن قوي من
اركان الدين واشار الى وجه فضيلتها بكونها فريضة واجبة قال قطب الدين الراوندي رحمه الله اراد بالفريضة السهم المقتطع

من المال للفقراء المستحقين المسمى زكوة فانه هو عرف شرعي لا الفريضة بمعنى الواجب فان كل العبادات الواجبة كذلك ولان
الفرض والواجب كالتكرر بمعنى فيكون قوله فريضة واجبة تكرارا واولها ذكره وجه حسن وهو اشارة الى بعض اسرارها كما نبينه
ولهذا مع السر العام الشامل لجميع العبادات وهو الالتفات الى الله تعالى ومحبته اسرار الحيها الاول ان المراد بكلمة الشهادة التوحيد
المطلق واقرار المعبود بالتوجه اليه وذلك لا يتم الا بنفى كل محبوب عداه فان المحبة لا تحتمل الشركة والتوحيد باللسان قليل الفايدة
في الباطن وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وانسهم بها ونفرتهم عن
الموت فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذى هو معشوقهم كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولما فهم الناس هذا المعنى انقسموا اقساما فطايفة اخلصوا في حب معشوقهم ووفوا بعهده
فبذلوا اموالهم ولم يدخروا منها شيئا حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مايتى درهم قال اما على العوام فبحكم الشرع خمسة دراهم
واما علينا فيجب بذل الجميع ومنهم من قعد عن هذه المرتبة وامسكوا اموالهم وراقبوا مواقيت الحاجات ومواسم الخيرات وجعلوا
قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر وهولاء لا يقتصرون على قدر واجب
الزكوة كالنخعي والشعبي ومجاهد وقيل للشعبي هل في المال حق سوى الزكوة فقال نعم اما سمعت قوله تعالى واتى المال على حبه ذوى
القربى الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون ولم يجعلوا ذلك مخصوصا باية الزكوة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم
ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته بما يفضل عن ملك مال الزكوة ومنهم من اقتصر على اداء الواجب من
الزكوة من غير زيادة ولا نقصان وهي ادون الرتب وقد اقتصر جميع العوام على ذلك لجهلهم بسر البذل وبخلهم بالمال وضعف حبهم
للآخرة ويلزم هذا السر تطهير ذوى الاموال عن رذيلة البخل فانها من المهلكات قال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه ووجه كونه مهلكا انه انما يصدر عن محبة المال وقد علمت ان الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما يقرب من
احداهما يبعد من الاخرى فكانت محبة المال صارفة عن التوجه الى الله ومبعدة عنه وذلك يستلزم الهلاك الاخروى كما بيناه وانما
تزول هذه الرذيلة بتعود البذل اذ حب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته بالتدريج حتى يصير ذلك عادة فالزكوة
بهذا المعنى طهور اى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وفرحه واستبشاره بصرفه في جنب الله طاعة
ومحبة له وملاحظة لحذف كل محبوب عداه عن سمت القبلة السر الثاني شكر النعمة فان لله على العبد نعمة في نفسه وشكرها
العبادات البدنية ونعمة في ماله وشكرها العبادات المالية وليس احد اخس وابعد عن رحمة الله ممن ينظر الى فقير قد ضيق
عليه في الرزق ثم اضطر اليه فلم تسمح نفسه بان يودى شكر الله تعالى على ما اغناه عن السؤال واحوج غيره اليه بعشر ماله او بربع عشره
السر الثالث يتعلق باصلاح المدن وتدبير احوال اهلها وهو ان جعل الله هذا الفرض في اموال الاغنياء بركة للفقراء ليسد
به خلتهم واليه اشار عليه السلام بكونه فريضة واجبة وفى هذا السر سران احدهما ان يكون ذلك عونا لهولاء على عبادة الله كيلا يشتغلوا
بالطلب عنها الثاني ان تنكسر همهم عن حسد اهل الاموال والسعى بالفساد في الارض فلا ينتظم امر المدينة وتكون قلوبهم ساكنة
الى القدر معلقة به مستمدة من الله تعالى بالدعاء في حفظه متالفة مع اهل الاموال منجذبة اليهم فيتم بذلك ما هو المشاركة والمعاونة
والانس والمحبة الموجبات للالفة الموجبة لنظام العالم وقوام امر الدين وبقاء نوع الانسان لما لاجله وجد السادس صوم

مثل

شهر رمضان وتخصيصه بكونه جنة من العقاب وان سائر العبادات كذلك لما انه اشد وقاية وبيان ذلك انه مستلزم لقهر
اعداء الله التي هي الشياطين المطيفة بالانسان فان وسيلة الشيطان هي الشهوات وانما يقوي الشهوة ويثيرها الاكل
والشرب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وقال صلى
الله عليه وآله لعايشة داومي قرع باب الجنة فقالت بماذا قال بالجوع فكان الصوم على الخصوص اشد قمعا للشيطان واسد
لمسالكه وتضييق مجاريه ولما كان العقاب انما يلحق الانسان ويتفاوت في حقه بالشدة والضعف بحسب تفاوت
قربه من الشيطان وبعده منه وكانت هذه العبادة ابعد بعيد عن الشيطان كان بسببها العبد بعيدا عن العقاب فلذلك
خصت بكونها وقاية منه واعلم ان هذه العبادة وان كانت عدمية الا انها ليست عدما صرفا بل عدم ملكة تحركها من الطبيعة
تحريكا شديدا تنبه صاحبها انه على حمله من الامر ليس هذرا فتذكر سبب ما ينويه من ذلك وانه التقرب الى الله سبحانه كما هو غاية السر
العام للعبادات السابع حج البيت واعتماره وقد سبقت منا الاشارة الى اسراره في الخطبة الاولى والذي ذكره ههنا كونهما ينفيان
الفقر ويغسلان الذنب لجمع فيه بين منفعة الدنيا ومنفعة الآخرة اما منفعة الدنيا فكونهما ينفيان الفقر وذلك بسبب التجارة
الحاصلة في موسم الحج وقيام الاسواق بمكة حينئذ واما منفعة الآخرة فكونهما يغسلان الذنب عن لوح النفس كما علمته في اسرار العبادات
وهذه هي المنافع المشار اليها في القران الكريم بقوله ليشهدوا منافع لهم قال اكثر المفسرين هي منافع الدنيا من التجارة وهو المنقول عن
سعيد بن جبير وابن عباس في رواية ابي رزين عنه ومنهم من جعلها عامة في منافع الدنيا والآخرة كالتجارة والثواب وهو المنقول
عن مجاهد وابن عباس في رواية عطا عنه الثامن صلة الرحم وذكر من فوايدها امرين احدهما كونها مثراة في المال وذلك من وجهين
احدهما ان العناية الالهية قسمت لكل حي قسطا من الرزق يناله مدة الحيوة الدنيا ويقوم به صورة بدنه فاذا اعدت
شخصا من الناس للقيام بامر جماعة وكفلته بامدادهم ومعونتهم وجب في العناية افاضة ارزاقهم على يديه وما يقوم بامدادهم
بحسب استعداده لذلك سواء كانوا ذوي ارحام او مرحومين في نظره حتى لو نوى قطع احد منهم فربما نقص ماله بحسب رزق ذلك
المقطوع وذلك معنى كونه مثراة للمال الثاني ان صلة الرحم من الاخلاق الحميدة التي تستمال بها طباع الخلق فواصل رحمه مرحوم
في نظر الكل فيكون ذلك سببا لامداده ومعونته من ذوي الامداد والمعونات كالملوك ونحوهم فكانت صلة الرحم مظنة لزيادة
المال والثاني كونه منساة في الاجل وهو من وجهين احدهما ان صلة الرحم توجب تعاطف ذوي الارحام وتوازرهم ومعاضدتهم
لواصلهم فيكون عن اذى الاعداء ابعد وفي ذلك مظنة تاخيره وطول عمره الثاني ان مواصلة ذوي الارحام توجب تعلق هممهم
ببقاء واصلهم وامداده بالدعاء وقد يكون دعاؤهم له وتعلق هممهم ببقائه من شرايط بقائه وانساء اجله فكانت مواصلتهم
منساة في اجله التاسع صدقة السر وذكر من فوائدها كونها تكفر الخطيئة وانما خصها بذلك مع ان سائر العبادات كذلك لكونها ابعد
من الرياء ومخالطة ما لا يراد به وجه الله تعالى فكان الاخلاص فيها اتم فكانت اولى بالتقريب من الله ومحو الخطيئة العاشرة
صدقة العلانية وذكر من فوائدها انها تدفع ميتة السوء وبيان ذلك ان صدقة العلانية تستلزم الشهرة بفعل الخيرات
وتوجب الذكر الجميل والمحبة للمتصدق ولما كانت ميتات السوء كالحرق والغرق والصلب والقتل ونحو ذلك من الاحوال
الشنيعة التي تكثر نفرة الناس عن الموت عليها وكان قليلا ما يقع شيء منها بقصد من الناس لمن احبوه واشتهر بالرحمة واستجلاب

قلوب الفقراء بالصدقة والايثار فلا جرم كانت تلك الصدقة مظنة لدفع ميتات السوء الحادى عشر صنايع المعروف وذكر من فوائدها
انها تقي مصارع الهوان وتقريره قريب مما قبله اذ كان اصطناع المعروف مستلزما لتألف قلوب الخلق وجاذبا لهم الى محبة مصرع صح
المصطنع فقلما يقع مع ذلك نسبته في هوان ثم لما فرغ من تعداد كمالات الايمان امر بما يؤكده في القلوب ويثبته وهي امور
احدها الاندفاع في ذكر الله وهو من مؤكدات الايمان به ورغب فيه بكونه احسن الذكر وذلك لما يستلزم من الحصول على الكمالات
المسعدة في الآخرة والوصول الى الله كما سنبين فضيلته وفائدته في موضع اليق به الثاني الرغبة فيما وعد المتقين من ثواب الآخرة
وانواعه وهو ايضا من مؤكدات طاعته والعمل له ولما كان الخلف في خبره تعالى محالا كان وعده اصدق الوعود الثالث الاقتداء
بهدي النبي صلى الله عليه وآله الرابع اتباع سنته ولما كان افضل الانبياء كانت سنته اشرف السنن والاقتداء به واتباع سنته
اهدى الطرق الى الله الخامس تعلم القرآن وظاهر كونه من مؤكدات الايمان بالله ورسوله واستعار له لفظ الربيع ووجه المشابهة
كون القرآن جامعا لانواع العلوم الشريفة والاسرار العجيبة اللطيفة التي هي متنزه القلوب كما ان زمن الربيع محل الازهار
الرايقة التي هي مستمتع النظر ومطرح السرور السادس استشفاء بنوره وظاهر كونه شافيا للقلوب من ظلمة الجهل السابع حسن
تلاوته وذلك لان حسن تلاوته مظنة تفهم معانيه وتدبرها وبحسن تلاوته تظهر فايدته وتحصل منفعة قصصه وانما يكون
احسن القصص اذا تلي حق تلاوته كما سبق بيانه ثم اكد الاوامر المذكورة بالاعمال التي عددها فامر بما ينبغي ان يعمل على وفق العلم
بالتنبيه على نقصان العالم الذي لا يعمل بعلمه فسوى اولا بينه وبين الجاهل العادل عن سواء السبيل ووجه التسوية اشتراكهما
في ثمرة الجهل وهو الجور عن قصد السبيل وفي عدم الانتفاع بفايدة العلم وثمرته وهي الاعمال الصالحة ثم جعل حال العالم اخس لثلثة
اوجه احدها ان الحجة عليه اعظم لان للجاهلين ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين وليس للعالم ذلك وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله
انه قال العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع الذي يستلزم الطاعة بالعمل الثاني ان
الحسرة له الزم وذلك ان النفوس الجاهلة غير عالمة بمقدار ما يفوتها من الكمال بالتفصيل فاذا فارقت ابدانها فهي وان كانت محجوبة عن
ثمار الجنة وما اعد الله فيها لاوليائه العلماء الا انها لم تجد لذتها ولم تطعم حلاوة المعارف الالهية لم تكن لها كثير حسرة عليها ولا
اسف على التقصير في تحصيلها بخلاف العارف بنسبتها الى اللذات الدنيوية فانه بعد المفارقة اذا علم وانكشف له لذات
الصادقة والمانع عن الوصول الى حضرة جلال الله هو تقصيره في العمل بما علم مع علمه بمقدار ما فاته من الكمالات والدرجات
كان اسفه وحسرته على ذلك اشد الحسرات وجرى ذلك مجرى من علم قيمة جوهرة ثمينة تساوي جملة من المال ثم اشتغل عن تحصيلها
ببعض لعبه حتى فاتته فانه يعظم حسرته عليها وندمه على التفريط فيها بخلاف الجاهل بقيمتها الثالث انه يكون عند الله الوم
واشدية اللائمة له بعد المفارقة مجاز في انقطاع لسان حاله عن العذر في معصيته عن علم وانما يكون الوم لان اقدام العالم
على المعصية التي علم قبحها انما يكون عن نفسه في غاية الانقياد للنفس الامارة بالسوء والطاعة لابليس وجنوده طاعة
تفضل على طاعة الجاهل وانقياده الصارف عنها في حق العالم وهو علمه بقبحها وترجيح الداعي اليها عليه وعدم الصارف في
حق الجاهل ولا شك ان اشدية اللائمة تابعة لاشدية الانقياد لابليس خصوصا مع العلم بما يستلزمه متابعته من الهلاك
وظاهر اذن كونه الوم عند الله وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فاني احذركم الدنيا فانها حلوة خضرة

حفت

حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة وراقت بالقليل وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن
فجعتها غرارة جايلة زايلة نافدة بايدة اكالة غوالة لا تعدوا اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا بها ان تكون
كما قال الله سبحانه وتعالى كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء   ن ل منها
مقتدرا لم يكن امرء فيها في حبرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله
فيها ديمة رخاء الا هتنت عليه مزنة بلاء وحرى اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي له متنكرة وان جانب منها اعذوذب واحلولى
امر منها جانب فاوبى لا ينال امرء من غضارتها رغبا الا ارهقته من نوائبها تعبا ولا يمسي منها في جناح امن الا اصبح على
قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى من اقل منها استكثر مما يؤمنه
ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه كم واثق بها قد فجعته وذي طمأنينة اليها قد صرعته وذي
ابهة قد جعلته حقيرا وذي نخوة قد ردته ذليلا سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها اجاج وحلوها صبر
وغذاؤها سمام واسبابها رمام حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وموفورها   ن ل مجروب
منكوب وجارها محروب الستم في مساكن من كان قبلكم اطول اعمارا وابقى آثارا وابعد آمالا واعد عديدا واكثف جنودا
تعبدوا للدنيا اي تعبد وآثروها اي ايثار ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع فهل بلغكم ان الدنيا سخت لهم
نفسا بفدية او اعانتهم بمعونة او احسنت لهم صحبة بل ارهقتهم بالقوادح واوهنتهم بالقوارع وضعضعتهم بالنوائب
وعفرتهم للمناخر ووطئتهم بالمناسم واعانت عليهم ريب المنون فقد رايتم تنكرها لمن دان لها وآثرها واخلد اليها
حتى ظعنوا عنها لفراق الابد هل زودتهم الا السغب او احلتهم الا الضنك او نورت لهم الا الظلمة او اعقبتهم الا الندامة
افهذه تؤثرون ام اليها تطمئنون ام عليها تحرصون فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها فاعلموا وانتم
تعلمون فانكم تاركوها وظاعنون عنها واتعظوا فيها بالذين قالوا من اشد منا قوة حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا   ن ل انكم
وانزلوا فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الصفيح اجنان ومن التراب اكفان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يجيبون   ن ل الكنان
داعيا ولا يمنعون ضيما ولا يبالون مندبة ان جيدوا لم يفرحوا وان قحطوا لم يقنطوا جميع وهم آحاد وجيرة وهم
ابعاد متدانون لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون حلماء قد ذهبت اضغانهم وجهلاء قد ماتت احقادهم
لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم استبدلوا بظهر الارض بطنا وبالسعة ضيقا وبالاهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤها كما
فارقوها حفاة عراة قد ظعنوا عنها باعمالهم الى الحيوة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه وتعالى كما بدأنا اول خلق نعيده
وعدا علينا انا كنا فاعلين اقول الحبرة السرور والفجعة الرزية بما يحب وغوالة اي تأخذ على غرة واوبى امرض والغضارة
طيب العيش والقوادم الطير مقاديم ريش جناحه واوبقه اهلكه والابهة العظمة ورنق كدر ورمام بالية متقطعة والمحروب
مسلوب المال وارهقتهم غشيتهم وقدح الامر اغتاله وانقله والقارعة الداهية الشديدة وضعضعتهم اذلتهم والمناسم
اخفاف الابل والسغب الجوع والاجنان جمع جنن وهي القبر واعلم ان مدار هذا الفصل على التحذير من الدنيا والتنفير
عنها بذكر معائبها وفيه نكت فاستعار لفظ الحلاوة والخضرة المتعلقين بحسي الذوق والبصر لما يروق منها ويلذ النفس

ووجه المشابهة المشاركة في الالتذاذ به وانما خص متعلق هذين الحسين لاكثرية نادتهما الى النفس والالتذاذ بواسطتهما دون
ساير الحواس ب وصف الدنيا محفوفة بالشهوات وفي الخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات قال اصحاب المعاني وفي ذلك
تنبيه على ان النار هي الدنيا ومحبتها بعد المفارقة هو سبب عذابها قلت ان ذلك غير مفهوم من كلامه عليه السلام واما من الخبر فجاز ان يراد
فيه النار المعقولة فيكون قريبا مما قالوا وجاز ان يراد النار المحسوسة ويكون المعنى على التقديرين ان النار انما تدخل بالانهماك
في مشتهيات الدنيا ولذاتها والخروج في استعمالها عما ينبغي الى ما لا ينبغي فكانها لذلك محفوفة ومحاطة بالشهوات لا يدخل اليها الا منها
واراد بالعاجلة اللذات الحاضرة التي مالت القلوب الى الحيوة الدنيا بسببها فاشبهت المراة المتحببة بمالها وجمالها فاستعير
لها وصف التحبب ولذلك قوله راقت بالقليل اي اعجبت بزينتها القليلة بالنسبة الى متاع الآخرة كمية وكيفية وكذلك تحليها
بالآمال الكاذبة المنقطعة وبزينتها مما هو في نفس الامر غرور وباطل فانه لولا الغرور والغفلة عن عاقبتها لما زانت في عيون
طالبيها ج استعار لها اوصاف المحتالة الخدوع وهي كونها غرارة وغولة اي كثيرة الاستغفال لاهلها والخداع لهم ووصف السبع
العقور لكونها الكالة لهم وكنى بالاولين عن كونها كالمخادع في كونها سببا لغفلتهم عما خلقوا لاجله بالاشتغال بها والانهماك في
لذاتها وبالاكالة عن كونها كالسبع في افنائهم بالموت وطحنهم تحت التراب د هم معنى قوله لا تعدو الى قوله مقدرا ان غاية صفاتها للراغبين التراب
فيها والراضين بها لهم وموافقتها لهم لا يتجاوز المثل وهو ان تزهو في عيونهم وتروقهم محاسنها ثم عن قليل تزول عنهم فكانها لم تكن المثل صح
كما هو معنى المضروب لها في القران الكريم واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية ه كنى بالعبرة عن الحزن المعاقب للسرور
وتخصيصه البطن بالسراء والظهر بالضراء يحتمل امرين احدهما ان يريد بطن المجن وظهره وذلك من العادة في حال الحرب ان يلقى
الانسان ظهر المجن وفي حال السلم ان يلقى المجن فيكون بطنه ظاهرا فجرى المثل به في حق المتنكرين والمخاصمين بعد سلم فقيل قلب له
ظهر المجن كما قال علي عليه السلام لابن عباس في بعض كتبه اليه قلبت لابن عمك ظهر المجن فلذلك استعمل هاهنا لقاءها للمرء ببطنها في اقبالها عليه
ولقاءه منها ظهرا في ادبارها عنه ومحاربتها له الثاني يحتمل ان يريد بطنها وظهرها وذلك ان العادة فيمن يلقى صاحبه بالبشر
والسرور ان يلقاه بوجهه وبطنه وفيمن يلقى بالتنكر والادبار ان يلقى بظهره موليا عنه فاستعير ذلك للدنيا وعبر به في اقبالها
وادبارها و انما خص امنها بالجناح لان الجناح محل التغير بسرعة فنبه به على سرعة تغير امنها وانما خص الخوف بالقوادم
من الجناح لان القوادم هي راس الجناح وهي الاصل في سرعة حركته وتغيره وهو في مساق ذمها والتخويف منها فحسن ذلك
التخصيص ومراده انه وان حصل فيها امن فهو في محل التغير السريع والخوف اليها اسرع لتخصيصه بالقوادم ز لا خير في شيء
من ازوادها الا التقوى استثنى ما هو المقصود من خلق الدنيا ووجود هذا النوع فيها وهو التقوى الموصل الى الله سبحانه
وانما كان من ازواد الدنيا لانه لا يمكن تحصيله الا فيها وقد سبقت الاشارة اليه في قوله فتزودوا من الدنيا ما تحرزون
به انفسكم غدا وظاهر انه لا خير فيما عداه من ازوادها لفنائه ومضرته في الآخرة ح من اقل منها استكثر مما يؤمنه اي من
الزهد فيها وقد عرفت كيفية الاتيان به من عذاب الله ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وهو ملكات السوء الحاصلة ط صح
عن حب قنياتها وملذاتها الغائبة الموجبة للهلاك بعد مفارقتها وزوالها استعار لفظ العذب والحلو للذاتها ولفظ
الاجاج وهو المالح والصبر لما يشوب لذاتها من الكدر بالامراض والتغيرات ووجه الاستعارات الاشتراك في

الالتذاذ

الالتذاذ والايلام ثم استعار لفظ الغذاء وكنى به عن لذاتها ايضا ولفظ السمام ووجه الاستعارة ما يستعقب الانهماك في لذاتها من الهلاك في الاخرة كما يستعقبه شرب السم والسمام جمع سم ثم اعقب التحذير منها بالتنبيه على مصارع السابقين فيها ممن كان اطول اعمارا واشد باسا من تغيراتها وتنكرها لهم مع شدة محبتهم وتعبدهم لها والسوال على سبيل الانكار عن دوام سرورها لهم وحسن صحبتها اياهم وصرح بجوابه بالانكار بقوله بل ارهقتهم بالفوادح واستعار لها لفظ الارهاق والتضعضع والتعفير والوطي واعانة ريب المنون عليهم واسند اليها افعال الاحياء ملاحظة لتشبيهها بالمراة المزينة لخداع الرجال عن انفسهم وامو الهم ونحو ذلك ثم لما فرغ من ذمها والتنفير عنها بتعديد مذامها استفهم السامعين على سبيل التقريع لهم عن ايثارهم لها بهذه المذام واطمينانهم اليها وحرصهم عليها ثم عاد الى ذمها مجملا بقوله بئست الدار لمن لم يتهمها اى لمن اعتقد بصحتها وانها مقصودة بالذات فركن فانها بذلك الاعتبار مذمومة في حقه اذ كانت سبب هلاكه في الاخرة فاما المتهم لها بالخديعة والغرور فانه يكون على وجل منها عاملا لما بعدها فكانت محمودة له اذ كانت سبب سعادته في الاخرة ثم شرع في الامر بالعمل على وفق العلم بمفارقتها وذلك ان ترك العمل للاخرة انما يكون للاشتغال بالدنيا فالعالم بضرورة مفارقتها له وما اعد لتارك العمل من العذاب الاليم اذا نبه على تلك الحال كان ذلك صادفا عنها ومستلزما للعمل لغيرها واكد التنبيه على مفارقتها بالتذكير باحوال المفارقين لما بعد مفارقتها المضادة الاحوال المعتادة للاحياء التي الفوها واستراحوا اليها اذ كان من عادتهم اذا حملوا ان يسموا ركبانا واذا انزلوا ان يدعوا ضيفانا واذا تجاوزوا ان يجيبوا داعيهم ويمنعون عنه الضيم وان يفرحوا ان جادهم الغيث ويقنطوا ان يحطوا منه وان يتزاوروا في التداني ويحلموا عند وجود الاضغان ويجهلوا عند قيام الاحقاد ويخشوا ويرجوا فسلبت عنهم تلك الصفات وعرفوا باضداد تلك السمات ثم فجاؤها كما فارقوها اى اشبه مجيئهم اليها ووجودهم فيها خروجهم منها يوم مفارقتهم لها ووجه الشبه كونهم حفاة عراة وهو كناية عن الفقر منها ودل على ذلك استشهاده بالاية الكريمة وموضع قوله قد ظعنوا عنها النصب على الحال كما انتصب حفاة عراة والعامل فارقوها ولا يقدر مثله بعد جاؤها وان قدر مثل الحالين السابقين قال الامام الوبرى رحمه الله فراقهم من الدنيا ان خلقوا منها ومجيئهم اليها ان دفنوا فيها قال الله تعالى هو الذى خلقكم من تراب قلت وكان الحامل لهذا الامام على هذا التاويل انه لو كان مراده بمجيئهم اليها هو دخولهم فيها حين الولادة مع انه في ظاهر الامر هو المشبه ومفارقتهم هو المشبه به لانعكس الغرض اذ الغرض تشبيه المفارقة بالمجى وذلك يستلزم كون المشبه هو المفارقة والمشبه به هو المجى لكن ينبغى ان تعلم ان المشابهة اذا حصلت بين الشيئين فى نفس الامر جاز ان يجعل احدهما اصلا والاخر فرعا وجاز ان يقصد اصل المساواة بينهما من دون ذلك فحمله هنا على الوجه الثانى اولى من التعسف الذى ذكره فاما الاية فان من فيها لبيان الجنس فلا يدل على المفارقة وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم ذكر فيها ملك الموت عليه السلم وتوفيه الانفس هل تحس به اذا دخل منزلا ام هل تراه اذا توفى احدا بل كيف يتوفى الجنين فى بطن امه ايلج عليه من بعض جوارحها ام الروح اجابته باذن ربها ام هو ساكن معه فى احشائها ام كيف يصف الهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله اقول هذا الفصل من خطبة طويلة ذكره فى معرض التوحيد والتنزيه لله تعالى عن اطلاع العقول البشرية على كنه وصفه فقدم التنبيه بالاستفهام على سبيل الانكار على الاحساس به فى دخوله منازل المتوفين وذلك قوله هل تحس به الى قوله احدا ونبه باستنكار الاحساس به

على انه ليس بجسم اذ كان كل جسم من شانه ان يحس باحد الحواس الخمس ثم عن كيفية توفيه للجنين في بطن امه وهو استفهام من قبيل
تجاهل العارف بالنسبة اليه وذلك قوله بل كيف يتوفى الجنين الى قوله في احشائها وجعل الحق من هذه الاقسام في الوسط
وهو اجابتها باذن ربها ليبقى الجاهل في محل الحيرة مترددا ثم لما بين ان ملك الموت لا يتمكن الانسان من وصفه نبه على عظمة
الله سبحانه بالنسبة اليه وانه اذا عجز الانسان عن وصف مخلوق مثله فبالاولى ان يعجز عن صفة خالقه ومبدعه الذي هو ابعد
الاشياء عنه مناسبة وتقدير البيان بذلك التنبيه ان العبد عاجز عن صفة مخلوق مثله لما بيناه من العجز عن صفة ملك الموت وحاله
وكل من عجز عن صفة مخلوق مثله فهو عن صفة خالق ذلك المخلوق ومبدعه اشد عجزا ولنشر اشارة خفيفة الى حقيقة الموت والى
ما عساه يلوح من وصف ملك الموت ان شاء الله فنقول اما حقيقة الموت فاعلم ان الذي نطقت به الاخبار وشهد به الاعتبار ان
الموت ليس الا عبارة عن تغير حال وهو مفارقة الروح لهذا البدن الجاري مجرى الآلة لذي الصنعة وان الروح باقية بعده كما شهدت
به البراهين العقلية في مظانها والآثار النبوية المتواترة ومعنى مفارقتها له هو انقطاع تصرفها فيه لخروجه عن حد الانتفاع به فما
كان من الامور المدركة لها يحتاج في ادراكه الى آلة فهي متعطلة عنه بعد مفارقة البدن الى ان يعاد اليه في القبر او يوم القيامة
وما كان مدركا لها بنفسها من غير آلة فهو باق معها يتنعم به ويفرح او يحزن من غير حاجة الى هذه الآلة في بقاء تلك العلوم والادراكات
الكلية لها هناك وقد ضرب للمفارقة التي سميناها بالموت مثلا فقيل كما ان بعض اعضاء المريض يتعطل بحسب فساد مزاج يقع
فيه او بحسب سدة تعرض للاعصاب فيمنع نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعملة لبعض الاعضاء دون ما استعصى عليها منها فكذلك
الموت عبارة عن استعصاء جميع الاعضاء كلها وتعطلها وحاصل هذه المفارقة تعود الى سلب الانسان عن هذه الاعضاء
والآلات والقنيات الدنيوية من الاهل والمال والولد ونحوها ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء عن الانسان او يسلب هو عنها
اذ كان المولم هو الفراق وقد يحصل ذلك بنهب مال الرجل وسبي ذريته وقد يحصل بسلبه ونهبه عن ماله واهله فالموت في
الحقيقة هو سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم آخر فان كان له في هذا العالم شيء يانس به ويستريح اليه فبقدر عظم
خطره عنده يعظم تحسره عليه في الآخرة وتصعب شقاوته في مفارقته ويكون بسبب عظم خطره عنده ضعف تصوره لما اعد للابرار
المتقين في الآخرة مما يستحقر في القليل منه اكثر نفايس الدنيا فاما ان كانت عين بصيرته مفتوحة حتى لم يفرح الا بذكر الله ولم
يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه فقطع علايقه وعوايقه الشاغلة له عنه ووصل اليه
وانكشف له هناك ما كان يدركه من السعادة بحسب الوصف انكشاف مشاهدة كما يشاهد المستيقظ من نومه صورة ما رآه في
النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا اذا عرفت ذلك فاعلم ان ملك الموت عبارة عن الروح المتولي لافاضة صورة العدم
على اعضاء هذا البدن ولحال مفارقة النفس له ولعله هو المتولي لافاضة صورة الوجود عليها لكنه بالاعتبار الاول يسمى ملك الموت
ثم لما كانت النفوس البشرية انما تدرك المجردات ما دامت في هذا العالم وتستثبتها بان تستصحب القوة المتخيلة معها فتحاكي
ما كان محبوبا منها للنفس ومستبشرا بلقائه بصورة بهية كتصورها لجبرئيل في صورة دحية الكلبي وغيره من الصور
البهية الحسنة وما كان مستكرها مخوفا منفورا من لقائه بصورة هائلة لا جرم اختلف رؤية الناس لملك الموت فمنهم
من يراه على صورة بهية وهم المستبشرون بلقاء الله الذين قلت رغبتهم في الدنيا ورضوا بالموت ليصلوا الى لقاء محبوبهم

دفعوا

وفرحوا به لكونه وسيلة اليه كما روى عن ابراهيم عليه السلام انه لقى ملكا فقال له من انت فقال انا ملك الموت فقال اتستطيع ان ترينى الصورة
التى تقبض فيها روح المؤمن قال نعم اعرض عنى فاعرض عنه فاذا هو شاب فذكر من حسنه وثيابه وطيب ريحه فقال يا
ملك الموت لو لم يلق المؤمن من البشرى الا حسن صورتك لكان حسبه ومنهم من يراه على صورة قبيحة هائلة المنظر وهم الفجار
الذين اعرضوا عن لقاء الله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها كما روى عن ابراهيم عليه السلام ايضا انه قال لملك الموت فهل تستطيع
ان ترينى الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر فقال لا تطيق ذلك فقال بلى قال فاعرض عنى فاعرض عنه ثم التفت
اليه فاذا هو رجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب تخرج من فيه ومناخره النار والدخان فغشى على ابراهيم
عليه السلام ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى حالته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا هذه الصورة لكفته وبالله
التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلام واحذركم الدنيا فانها منزل قلعة وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها
وغرت بزينتها دار هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحيوتها بموتها وحلوها بمرها لم يصفها
الله تعالى لاوليائه ولم يضن بها على اعدائه خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفد وملكها يسلب وعامرها يخرب فما خير
دار تنقض نقض البناء وعمر يفنى فناء الزاد ومدة تنقطع انقطاع السير اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم
واسألوه من اداء حقه ما سألكم واسمعوا دعوة الموت اذانكم قبل ان يدعى بكم ان الزاهدين فى الدنيا تبكى قلوبهم
وان ضحكوا ويشتد حزنهم وان فرحوا ويكثر مقتهم انفسهم وان اغتبطوا بما رزقوا قد غاب عن قلوبكم ذكر الاجال
وحضرتكم كواذب الامال فصارت الدنيا املك بكم من الاخرة والعاجلة اذهب بكم من الاجلة وانما انتم اخوان على دين
الله ما فرق بينكم الا خبث السرائر وسوء الضمائر فلا توازرون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا توادون ما بالكم تفرحون
باليسير من الدنيا تدركونه ولا يحزنكم الكثير من الاخرة تحرمونه ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك فى
وجوهكم وقلة صبركم عما زوى منها عنكم كانها دار مقامكم وكان متاعها باق عليكم وما يمنع احدكم ان يستقبل اخاه
بما يخاف من عيبه الا مخافة ان يستقبله بمثله قد تصافيتم على رفض الاجل وحب العاجل وصار دين احدكم
لعقة على لسانه صنيع من قد فرغ من عمله واحرز رضا سيده اقول هذا منزل قلعة بضم القاف اى لا يصلح للاستيطان
والنجعة بضم النون طلب الكلاء والعتيد المهيا المعد واللعقة بالضم اسم لما تاخذه الملعقة وفى الفصل نكت فالتحذير
من الدنيا والاستدراج الى تركه بذكر معايبها وذلك من اول الفصل الى قوله انقطاع السير فاشار اولا الى انها لا تصلح
للاستيطان وطلب الكلاء وكنى به عما ينبغى ان يطلب من الخيرات الباقية التى هى محل الامن والسرور الدائم وثانيا
ان زينتها سبب لاستغفالها الخلق والاغترار بها سبب لاستحسانها فان قلت فقد جعل الزينة سببا للغرور والغرور
سببا للزينة وذلك دور قلت انما جعل الزينة سببا للاستغرار والغرور سببا لاستحسانها وعدم التنبيه لمعايبها
فلا دور وثالثها انها هانت على ربها اى لم تكن العناية الالهية اليها بالذات فلم تكن خيرا محضا بل كان كل ما فيها
مما يعد خيرا مشوبا بشر يقابله وذلك بحسب الممكن فيها وزهادة خيرها بالنسبة الى خير الاخرة ب الترغيب فى التاديب
باوامر احدها ان يجعلوا فرائض الله عليهم من جملة ما يطلبونه منه والغرض ان تصير محبوبة لهم كمحبتهم لما يسألونه من مال وغيره

ان
فيواظبوا على العمل بها الثاني ان يسئلوه اداء حقه عنهم وذلك بالاعانة والتوفيق والاعداد لذلك كما سالهم اداء حقه والغرض منها ان
يصير الاداء منها لهم محبوبا اليهم ونحوه في الدعاء الماثور اللهم انك سالتني من نفسي ما املكه الا بك فاعطني منها ما يرضيك عني
الثالث ان يسمعوا داعي الموت اذانهم اي يقصرون سماع كل لفظ يخوف الموت واهواله وذلك بالجلوس مجالس الذكر
ومحاضرة الزاهدين في الدنيا وفايدة ذكر الموت تنغيص اللذات الدنيوية كما قال عليه السلم اكثروا ذكر هادم اللذات الثالثة شرح
حال الزاهدين في الدنيا ليهتدي من عساه ينجذب الى الله الى كيفية طريقهم فيقتدي بهم فذكر لهم اوصافا الاول انهم تبكي قلوبهم
وان ضحكوا وذلك اشارة الى دوام حزنهم لملاحظتهم الخوف من الله فان ضحكوا مع ذلك فمعاملة مع الخلق الثاني انهم يشتد حزنهم
وان فرحوا وهو قريب مما قبله الثالث انهم يكثر بغضهم لانفسهم فيترکون الالتفات اليها بالمزينة وطاعتها فيما تدعوهم
اليه من متاع الدنيا الحيوة الحاضرة وان غبطهم غيرهم بما قسم لهم من رزق الرابعة تعنيف السامعين على ما هم عليه من
الاحوال المضرة في الاخرة وذلك بالغفلة عن ذكر الاجل واستحضارهم للامال الكاذبة وغيرها من الاحوال المذكورة الى اخر
الفصل ومحل تدركونه وتحرمونه ويفوتكم النصب على الحال وقلة صبركم عطف على وجوهكم اي يتبين ذلك القلق في وجوهكم
وفي قلة صبركم عما غيب عنكم منها وقوله وما يمنع احدكم ان يستقبل اخاه الى اخره اي ما يمنع احدكم من لقاء اخيه بعيبه
ولايمة عليه الا الخوف منه ان يلقاه بمثله لمشاركته اياه فيه كما صرح به في قوله تصافيتم على رفض الاجل الى اخره واستعار لفظ
اللعقة لما ينطق به من شعار الاسلام والدين كالشهادتين ونحوهما من دون ثبات ذلك في القلب ورسوخه والعمل عليه وقد صنيع
نصب على المصدر اي صنعتم صنيعا مثل صنيع من احرز رضا سيده بقضا ما امره به ووجه التشبيه الاشتراك في الترك
والاعراض عن العمل وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر نحمده على الائه كما نحمده
على بلائه ونستعينه على هذه النفوس البطاء عما امرت به السراع الى ما نهيت عنه ونستغفره مما احاط به علمه
واحصاه كتابه علم غير قاصر وكتاب غير مغادر ونؤمن به ايمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود ايمانا نفى
اخلاصه الشرك ويقينه الشك ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا صلى الله عليه واله عبده ورسوله
شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل لا يخف ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان عنه اوصيكم
عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ زاد مبلغ ومعاذ منجح دعا اليها اسمع داع ووعاها خير واع
فاسمع داعيها وفاز واعيها عباد الله ان تقوى الله حمت اولياء الله محارمه والزمت قلوبهم مخافته حتى اسهرت
لياليهم واظمات هواجرهم فاخذوا الراحة بالنصب والري بالظماء واستقربوا الاجل فبادروا العمل وكذبوا الامل
فلاحظوا الاجل ثم ان الدنيا دار فناء وعناء وغير وعبر فمن الفناء ان الدهر موتر قوسه ولا تخطي سهامه ولا
تؤسى جراحه يرمي الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب اكل لا يشبع وشارب لا ينقع ومن العناء
ان المرء يجمع ما لا ياكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج الى الله تعالى لا مالا حمل ولا بناء نقل ومن غيرها انك ترى المرحوم
مغبوطا والمغبوط مرحوما ليس ذلك الا نعيما زل وبوسا نزل ومن عبرها ان المرء يشرف على امله فيقتطعه حضور اجله
فلا امل يدرك ولا مؤمل يترك فسبحان الله ما اغر سرورها واظماء ريها واضحى فيئها لا جاء يرد ولا ماض يرتد

فسبحان

المعاد

فسبحان الله ما اقرب الحي من الميت للحاقه به وابعد الميت من الحي لانقطاعه عنه انه ليس شيء بشر من الشر الا عقابه وليس شيء بخير من
الخير الا ثوابه فكل شيء من الدنيا سماعه اعظم من عيانه وكل شيء من الآخرة عيانه اعظم من سماعه فليكفكم من العيان السماع ومن الغيب
الخبر واعلموا ان ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر ان
الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتم عنه وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فذروا ما قل لما كثر وما ضاق لما اتسع قد تكفل
لكم بالرزق وامرتم بالعمل فلا يكونن المضمون لكم طلبه اولى بكم من المفروض عليكم عمله مع انه والله لقد اعترض الشك ودخل
اليقين حتى كان الذي ضمن لكم قد فرض عليكم وكان الذي قد فرض عليكم قد وضع عنكم فبادروا العمل وخافوا بغتة الاجل
فانه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق ما فات اليوم من الرزق رجي غدا زيادته وما فات امس من العمر
لم يرج اليوم رجعته الرجاء مع الجائي واليأس مع الماضي فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون قوله
لا تؤسى اي لا تداوى ولا ينفع ولا يسكن عطشه واضحى برز لحر الشمس وفي الخطبة لطايف الاولى انه صدر الخطبة بحمد الله تعالى باعتبارين
احدهما وصله حمد حامديه بافاضة نعمه عليهم كما قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم وسره ان العبد يستعد بشكر النعمة الى آخره وصله النعم التي
يفيضها على عباده بافاضة الاعتراف بها على اسرار قلوبهم وقد علمت ان الاعتراف بالنعم هو حقيقة الشكر فقط اذن معنى وصله
النعم بالشكر وان الشكر والتوفيق له نعم اخرى كما سبقت الاشارة اليه في الخطبة الاولى ويحتمل ان يريد الشكر منه تعالى لعباده الشاكرين
كما قال الله تعالى وان الله شاكر عليم وظاهر ان وصله نعمه بشكره في نهاية التفضل والانعام فان الاحسان المتعارف يستتبع
الشكر من المحسن اليه فاما من المحسن فذلك تفضل آخر ورتبة اعلى الثانية انه نبه بتسويته بين حمده على النعماء وحمده على البلاء
تنبيها منه على وجوب ذلك لان النعمة قد تكون بلاء من الله كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والبلاء من الله ايضا
نعمة يستحق به الثواب الآجل وسبب النعمة نعمة وبهذا الاعتبار يجب الشكر على البلاء ايضا كما يجب على النعماء اذ الكل نعمة
الثالثة نبه على وجوب استعانته تعالى على النفوس وذكر ما لاجله الاستعانة عليها وكونها بطاء عما امرت به من سائر التكاليف
وذلك لحاجة النفوس الى معاونة الطبيعة سراعا الى ما نهيت عنه من المعاصي وذلك لموافقتها مقتضى الطبيعة الرابعة
نبه على وجوب طلب المغفرة من الله لكل ذنب صغير او كبير مما احاط به علمه واحصاه كتابه المبين ولوحه المحفوظ جبرئيل
الامين علم احاط بكل شيء وكتاب غير مغادر لشيء الخامسة انما خص ايمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود اي وقف
على ما وعد به المتقون بعين الكشف لكونه اقوى درجات الايمان فان من الايمان ما يكون بحسب التقليد ومنه ما يكون بحسب
البرهان وهو علم اليقين واقوى منه الايمان بحسب الكشف والمشاهدة وهو عين اليقين وذلك هو الايمان الخالص وبحسب
الاخلاص فيه يكون نفيه للشرك وبحسب يقينه اعني اعتقاد ان الامر كذا مع اعتقاد انه لا يمكن ان يكون الا كذا يكون نفي
الشرك وقد علمت انه عليه السلام من اهل هذه المرتبة السادسة كون الشهادتين تصعدان القول وترفعان العمل وذلك ان
اخلاص الشهادتين اصل لقبول الاقوال والاعمال الصالحة لا يصعد الى الله قول ولا عمل لا يكونان اصلا له واشار الى ذلك بقوله
لا يخف ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان منه وقد اشرنا الى معنى الوزن فيما سبق وسنزيده بيانا ان شاء الله السابعة
اراد بكون تقوى الله هي الزاد اي بالزاد المبلغ وانها المعاد اي المعاد المنجح ولذلك اوردهما تفسير الثامنة اراد باسمع

القوابل

داعي الله الداعين اسماعا وتبليغا وهو الرسول صلى الله عليه وآله واراد بخير داعي المسارعين الى داعي الله الذين هم افضل
الانسانية التاسعة وصف ما يستلزم تقوى الله من الاثار في اوليائه ووصف الليالي بالسهر والهواجر بالظماء لكونها ظرفين
فالليالي لقيام الصلوات والنهار للصوم فكان ذلك من باب اطلاق صفة المظروف على الظرف وهو كقولهم نهاره صايم وليله
قائم واخذهم الراحة اي في الاخرة بالنصب اي بتعب الابدان من القيام والري من عين تسمى سلسبيلا بالاستعداد بظماء
الصيام والفاء في فبادروا ولاحظوا للتعليل فان استقراب الاجل مستلزم للعمل له ولما بعده وكذلك تكذيب الامل وانقطاعه
ملازم لملاحظة الاجل العاشرة ذكر مذام الدنيا اجمالا وهو كونها دار فناء وعناء وغير وعبر ثم اعقب ذلك الاجمال
بتفصيل كل جملة وذلك الى قوله ولا مؤمل يترك واستعار وصف الايتار لاثار الدهر ورشح بذكر القوس ووجه الاستعارة
ان الدهر كما يرمي بمصائبه المستندة الى القضاء الالهي الذي لا يتغير كما يرمي الرامي الذي لا يخطي وكذلك استعار لفظ الجراح
لنوايب الدهر لانه الكها في الايلام ورشح بذكر عدم المداواة وكذلك استعار له لفظ الاكل والشارب عديمي الشبع والري
ووجه المشابهة كونه ياتي على الخلق فيفنيهم كما ياتي الاكل والشارب المذكوران على الطعام والشراب فيفنيهما واراد
بالمرحوم الذي يرى مغبوطا اهل المسكنة والفقر الذي يتبدل فقرهم بالغنى فيغبطون وبالمغبوط الذي يرى مرحوما
اهل الغنى المتبدلين به فقرا بحسب تصاريف الدهر فيصيروا في محل الرحمة وقوله ليس ذلك الا نعيما زل اي في المغبوطين وبوسا
نزل بهم الحادية عشر نسب الغرور الى سرورها والظماء الى ريها والضحى الى فيئها واتى به بلفظ التعجب وكنى بريها عن استمام
لذاتها ونعيمها عن الركون الى قنياتها والاعتماد عليها ووجه هذه النسب ان سرورها وقنياتها هو الصوارف عن العمل للاخرة
والملفتات في الاقبال على الله فكان سرورها اقوى سبب للغرور بها وريها وفيئها اقوى الاسباب لظماء المنهمك فيهما من شراب
الابرار واوجب لابرازه الى حر الجحيم فلهذه النسبة جازت اضافة الغرور والظماء والضحى الى سرورها وريها وفيئها وقوله
ولا جاير دراي من افات الدهر كالموت والقتل ونحوهما ولا ماض يرتد اي من الاموات والغايب من القنيات الثانية عشر قوله
انه ليس شيء ابشر من الشر الا عقابه الى قوله سماعه يحتمل ان يريد الشر والخير المطلقين ويكون ذلك للمبالغة اذ يقال للامر الشديد
الشر يعني الاشد في الشديد واجود من الجيد ويحتمل ان يريد شر الدنيا وخيرها فان اعظم شر في الدنيا مستحقر في عقاب الله
واعظم خير فيها مستحقر بالنسبة الى ثواب الله ثم اكد ذلك باعظمية احوال الاخرة بالنسبة الى احوال الدنيا ومصداق كلامه
عليه السلام ان اعظم شر يتصوره الانسان بالسماع ويستهوله ويستنكره ممن يفعله صورة القتل والجراح فاذا وقع مثل تلك الاحوال
وشاهدها واضطر الى المخاصمة والمحاربة سهل عليه ما كان يستصعبه منها وهان في عينه ذلك الوقع والخوف وكذلك لا يزال
الانسان يتخوف المثول بين يدي الملوك ويتصور عظمتهم وسطوتهم وبطشهم الى ان يصل الى مجالسهم فانه يجد من نفسه زوال
ذلك الخوف فكانت مشاهدة ما كان يتصوره شرا عظيما اهون عنده من وصفه والسماع له وكذلك حال الخير فان
الانسان لا يزال يحرص على تحصيل الدرهم والدينار وغيرهما من ساير مطالب الدنيا ويكون قلبه مشغولا بتحصيله فرحا
بانتظار وصوله فاذا وصل اليه هان عليه وهو امر وجداني اما احوال الاخرة فالذي يسمعه من سرورها وخيرها انما
يلاحظها بالنسبة الى خيرات الدنيا وسرورها وربما كانت في اعتبار الخلق اهون من خيرات الدنيا وسرورها لقرب الخلق من   اكثر صح

المحسوس

من صح

المحسوس وقرب الدنيا منهم وذوقهم لها دون الآخرة مع قيام البرهان العقلي على ضعف الاحوال الحاضرة من خير وشر بالقياس
الى احوال الآخرة فلذلك كان عيان احوالها اعظم من سماعها وان كانت الحال كذلك فينبغي ان يكتفي عن العيان بالسماع ومن الغيب
بالخبر حيث لا يمكن الاطلاع على الغيب ومشاهدة العيان لتلك الاحوال في هذا العالم ثم نبه على افضلية الآخرة بان ما زاد فيها
مما يقرب الى الله تعالى وان استلزم نقصان الدنيا من بذل مال او جاه خير من العكس وبيان هذه الخيرية كون خيرات الدنيا
في معرض الزوال مشوبة بالاوجاع والاحوال وكون تلك باقية على كل مع كونها في نهاية الكمال وضرب المثل بالكثرة المنقوص
من الدنيا الرابح في الآخرة وهم اولياء الله واحباؤه الذين اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وبالكثرة المزيد الخاسر
الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ثم اكد الحث على سلوك طريق الآخرة ببيان
اتساعها بالنسبة الى طريق الآخرة الدنيا فقال ان الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتم عنه وذلك ظاهر فان كبائر ما نهينا
عنه خمس القتل وفي الحلم والعفو والصبر التي هي من اشرف الاخلاق المحمودة سعة عنه ثم الظلم وفي العدل والاقتصار على تناول
الامور المباحة التي هي اكثر واوسع عنه ثم الكذب الذي هو راس النفاق واليه ينتهي خراب العالم وفي المعاريض والصدق الذي
هو بضده في عمارة العالم مندوحة عنه ثم الزنا ولا شك ان في سائر وجوه النكاحات مع كثرتها وسلامتها عن المفاسد اللازمة
عن الزنا سعة عنه ثم شرب الخمر التي هي ام الخبائث ومنشأ كثير من الفساد وفي تركها الى ما يقارب افعالها التي تدعى كونها محمودة
من سائر الاشربة وغيرها معدل عنها وسعة وكذلك قوله وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فان الواجب والمندوب والمباح والمكروه
يصدق على جميعها اسم الحلال وهي اكثر من الحرام الذي هو قسم واحد من الاحكام ثم لما نبه على وجه المصلحة في ترك المنهي والمحرم
اردف ذلك بالامر بتركهما الا ان العقل اذا لاحظ طريقا مخوفا او امنا من طرق كثيرة امنه اقتضى العدول عن المخوف لضرورته
الثالثة عشرة تنبيه بالنهي عن ترجيح طلب الرزق على الاشتغال بفرائض الله وعلى ان الاشتغال بها اولى لكون الرزق مضمونا
فالسعي في تحصيله يجري مجرى تحصيل الحاصل ثم اردف ذلك بما يجري مجرى التوبيخ للسامعين على ترجيحهم طلب الرزق على الاشتغال
بالفرائض فاقسم ان ذلك منهم عن اعتراض الشك لهم فيما تيقنوه من تكفل الله سبحانه بارزاقهم ووعده وضمانه لهم بقوله وفي السماء
رزقكم وما توعدون اي في سماء جوده وقد علمت ان الجد في طلب الرزق يستند الى ضعف التوكل على الله وهو مستند الى ضعف
اليقين فيه وسوء الظن به وذلك يستلزم استناد العبد الى نفسه وتوكله عليها وجعلها في طلب الرزق كمن تيقن المضمون له
مفروضا طلبه عليه والمفروض عليه طلبه عنه موضوعا عنه مبالغة في قلة احتفالهم بفرائض الله عليهم واشتغالهم عنها بطلب الدنيا
الرابعة عشرة تنبيه على وجوب المحافظة على العمر بالعمل فيه للآخرة على اولوية مراعاته بالنسبة الى مراعاة طلب الرزق بكون العمر
لا يرجى من رجعته ما يرجى من رجعة الرزق فان العمر في تقضٍ ونقصان وما فات منه غير عائد بخلاف الرزق فانه
يرجى زيادته وجبران ما نقص منه في الماضي ولما كان العمر الذي من شانه ان لا يعود ما فات منه
ظرفا للعمل ويفوت بفواته وجب تدارك العمل بتداركه وقوله الرجاء مع الجائي يريد الرزق واليأس
مع الماضي يريد العمر وهو مؤكد لما قبله الخامسة عشرة انه ختم بالآية اقتباسا من نور القرآن
ووجه هذا الاقتباس انه لما كان الكلام في معرض جذب السامعين الى العمل الذي هو سبب تطويع النفس الامارة

بالسوء للنفس المطمئنة الذى هو جزء من الرياضة وكان التقوى عبارة عن الزهد فى الدنيا الذى حقيقته حذف الموانع الداخلية
والخارجية عن القلب الذى هو الجزء الثانى من الرياضة وكان الاسلام هو الدين الحق المركب من ذينك الجزئين لاجرم حسن ايراد الاية المشتملة
على الامر بالتقوى والموت على الاسلام بعد الامر بالعمل ليكون ذلك امرا باكمال الدين واتمامه وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام فى الاستسقاء
اللهم قد انصاحت جبالنا واغبرت ارضنا وهامت دوابنا وتحيرت فى مرابضها وعجت عجيج الثكالى على اولادها عو التكلى
وملت التردد فى مراتعها والحنين الى مواردها اللهم فارحم انين الانة وحنين الحانة اللهم فارحم حيرتها فى مذاهبها وانينها
فى موالجها اللهم خرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين واخلفتنا مخايل الجود فكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس
ندعوك حين قنط الانام ومنع الغمام وهلك السوام الا تواخذنا باعمالنا ولا تاخذنا بذنوبنا وانشر علينا رحمتك
بالسحاب المنبعق والربيع المغدق والنبات المونق سحابا وابلا تحيى به ما قد مات وترد به ما قد فات اللهم سقيا منك
محيية مروية تامة عامة طيبة مباركة هنيئة مريعة زاكيا نبتها ثامرا فرعها ناضرا ورقها تنعش بها الضعيف من عبادك وتحيى ن س وتزكوا
بها الميت من بلادك اللهم سقيا منك تعشب بها نجادنا وتجرى وهادنا وتخصب بها جنابنا وتقبل بها ثمارنا وتعيش
بها مواشينا وتندى بها اقاصينا وتستعين بها ضواحينا من بركاتك الواسعة وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة ووحشك
المهملة وانزل علينا سماء مخضلة مدرارا هاطلة يدافع الودق منها الودق ويحفز القطر منها القطر غير خلب برقها
ولا جهام عارضها ولا قزع ربابها ولا شفان ذهابها حتى يخصب لامراعها المجدبون ويحيى ببركتها المسنتون فانك
تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وانت الولى الحميد قال السيد رضى الله عنه تفسير ما فى هذه الخطبة من الغريب
قوله انصاحت جبالنا اى تشققت من المحول يقال انصاح الثوب اذا انشق ويقال ايضا انصاح النبت وصاح وصوح اذا
جف ويبس وقوله هامت دوابنا اى عطشت والهيام العطش وقوله حدابير السنين جمع حدبار وهى الناقة التى انضاها
السير فشبه بها السنة التى فشا فيها الجدب قال ذو الرمة حدابير ما تنفك الا مناخة على الخسف او نرمى بها بلدا قفرا
وقوله ولا قزع ربابها القزع القطع الصغار المتفرقة من السحاب وقوله ولا شفان ذهابها فان تقديره ولا ذات
شفان ذهابها والشفان الريح الباردة والذهاب الامطار اللينة فحذف ذات لعلم السامع به اقول اعتكرت اختلطت
وازدحمت والمخايل جمع مخيلة للسحابة التى ترجى المطر والمبتئس الحزين والمنبعق والمنبعج السحاب المنصب بشدة والربيع
هنا المطر والسقيا بالضم الاسم من السقى والمريع المخصب والنجاد جمع نجد وهو المرتفع من الارض والضواحى النواحى البارزة اى
اهل نواحينا والمرملة قليلة المطر والمخضلة الرطبة والودق القطر والجهام المظلم الذى لا ماء فيه والخلب الذى يكذب الظن فيها
والمسنتون الذين اصابتهم شدة السنة واعلم انه نبه بقوله ندعوك ان لا تواخذنا باعمالنا ولا تاخذنا بذنوبنا على ان للذنوب
والاعمال الخارجة عن اوامر الله تنافى رفع الرحمة وسر ذلك ان الجود الالهى لا بخل فيه ولا منع من قبله وانما يكون
ذلك بحسب عدم الاستعداد وقلته وكثرته وظاهر ان مقبلين الدنيا المرتكبين لمحارم الله معرضون عنه غير متلقين
لانوار رحمته بل مستعدون لضد ذلك اعنى سخطه وعذابه بحسب استعدادهم بالانهماك فى محارمه والجور عن سبيله وجرى
ممن كان كذلك ان لا ينال بركته ولا يفاض عليه اثر رحمته ونصب سحابا وابلا على الحال والعامل انشر واراد بالسماء

المخضلة

المخيلة هنا السحاب والعرب تقول كل ما علاك فهو سماؤك ومعنى انزاله ارسال مائه وادراره ويحتمل ان يريد بالسماء
المطر نفسه ونحوه انزل علينا الغيث وقد اقتبس من القرآن الكريم ختام هذا الفصل ووجه مناسبته للآية ظاهر وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام ارسله داعيا الى الحق وشاهدا على الخلق فبلغ رسالات ربه غير وان ولا مقصر وجاهد في الله اعداءه غير
واهن ولا معذر امام من اتقى وبصر من اهتدى اقول الواهن الضعيف والمعذر بالتشديد المقصر واعلم ان الاوصاف التي
ذكرها للنبي عليه السلام ظاهرة وقد سبقت الاشارة اليها غير مرة فاما كونه امام من اتقى فلاستنان اهل التقوى اليه في كيفية سلوك سبيل
الله التي هي التقوى وقد استعار لفظ البصر له ووجه المشابهة كونه سببا لاهتداء الخلق الى سبيل الرشاد كما يهتدي صاحب البصر
في طريقه المحسوس منها ولو تعلمون ما اعلم مما طوي عنكم غيبه اذا لخرجتم الى الصعدات تبكون على اعمالكم وتلتدمون على انفسكم
ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها ولهمت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت الى غيرها ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وامنتم
ما حذرتم فتاه عنكم رايكم وتشتت عليكم امركم لوددت ان الله فرق بيني وبينكم والحقني بمن هو احق بي منكم
قوم والله ميامين الراي مراجيح الحلم مقاويل بالحق متاريك للبغي مضوا قدما على الطريقة واوجفوا على المحجة فظفروا
بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة اما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال ياكل خضرتكم ويذيب شحمتكم ايه
ابا وذحة قال الرضي رضي الله عنه الوذحة الخنفساء وهذا القول يومي به الى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا
موضع ذكره اقول الصعدات جمع صعيد وهو وجه الارض واللدم والالتدام ضرب الوجه ونحوه ورأي ميمون مبارك وقدما
بضم القاف والدال اي تقدموا ولم ينثنوا والوجيف ضرب من السير فيه قوة والوذحة كما قيل انها كنية للخنفساء ولم ينقل ذلك
في المشهور من كتب اللغة وانما المشهور انها القطعة من بعر الشاة تتعلق على اطراف اذنابها وتتعلق بها وهذا الفصل من
خطبة له بالكوفة يستنهض فيها اصحابه الى حرب الشام ويتبرم من تقاعدهم عن نصرته فنبههم اولا على جهلهم بما سيقع من الفتن
في الاسلام مما غاب عنهم علمه وعلمه هو من الله ورسوله بحيث لو تصوروا ما علمه منها لاهتم كل منهم في الخلاص لنفسه ولهاموا على وجه
الارض باكين على تقصيرهم في اعمالهم على وفق اوامره التي بها يكون نظام العالم الى الابد والامن من تلك الفتن لو فعلوها ولكنهم
نسوا ما ذكروا به من ايات الله وامنوا التحذير فضلت عنهم اراؤهم الصالحة التي بها يكون نظام امورهم فاستعقب ذلك تشتت
امورهم وغلبة العدو على بلادهم وقيل اراد بما طوي عنهم غيبه وعلمه هو ما يلقى المقصرون من اهوال الاخرة والاول انسب لسياق
الكلام ثم عقب ذلك بالتبرم منهم وطلب فراقهم واللحاق باخوانه من اولياء الله ميامين الاراء ثقال الحلوم لا يستخفهم جهل الجهال
ملازمي الصدق ونصيحة الدين من شانهم البغي على انفسهم وغيرهم مضوا على الطريقة الحميدة سالكين لمحجة الله غير ملتفتين عنها
فوصلوا الى الثواب الدائم والنعيم المقيم وقرينة الظفر تخصيص العقبى بالثواب والعرب تصف النعمة والكرامة بالبرد ثم بين لهم
بعض ما سيلحقهم من الفتن العظيمة مما طوي عنهم غيبه وهي فتنة الحجاج وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم ابن عقيل بن مسعود
بن عامر بن معتب ابن ملك بن كعب من الاحلاف قوم من ثقيف وكان ضعيف العين دقيق الصوت ذيالا اي طويل الذيل يسحبه
تبخترا ميالا اي يكثر التمايل كبرا واخبر انه ياكل خضرتهم وكنى بها عما هم عليه من البهجة وسلامة النفوس والاموال وحسن
الاحوال وبالكلمة لها عن ازالة تلك وتغييرها الى اضدادها ولفظ الاكل مستعار لذلك ووجه الاستعارة ظاهر وكذلك

خ البادرة

خ السيد

استعار لفظ الشحمة لثرائهم وقوتهم ووصف الاذابة لافناء ذلك بالقتل والاهانة ومصداق ذلك المشهور من فعله باهل العراق
كما سبق بيانه في ذكر الكوفة ثم قال ايه ابا وذحة وكلمة ايه اسم من اسماء فعل الامر يستدعى بها الحديث المعهود من الغير ان سكنت وان
نونت كانت لاستدعاء قولٍ او فعلٍ ما وقيل التسكين للوقف والتنوين للدرج فاما تلقيبه عليه السلام له بابى وذحة فروى في سبب ذلك
انه كان يوما يصلى على سجادة له فدبت اليه خنفساء فقال نحوها عنى فانها وذحة من وذح الشيطان وروى انه قال قاتل الله قوما
يزعمون ان هذه من خلق الله فقيل له مما هي فقال من وذح ابليس وكانه شبهها بالوذحة المتعلقة بذنب الشاة في حجمها او شكلها
فاستعار لها لفظها ونسبها الى ابليس لاستقذاره اياها واستكراهه لصورتها او لانها تشوشه في الصلوة وروى ابو علي من
مسكويه انه نحاها بقصبة وقال لعنك الله وذحة من وذح الشيطان ونقل بعض الشارحين وذحه بالدال والجيم وكنى بذلك عن
كونه سفاكا للدماء قطاعا للاوداج وفيه بعد ومن كلام له عليه السلام فلا اموال بذلتموها للذى رزقها ولا انفس خاطرتم بها للذى
خلقها تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباده فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم وانقطاعكم عن اصل اخوانكم
اقول مدار هذا الفصل على التوبيخ بالبخل بالاموال والانفس وفي قوله للذى رزقها وخلقها استدراج حسن فان البخيل انما
يستقبح بذله لملاحظة امرين احدهما خوف الفقر والثاني انه كثيرا ما يتوهم الاشحاء ان لا مستحق للمال الا هم فيكون ذكر وامثال
عذرا لهم مع انفسهم في عدم البذل وكذلك الشحيح بنفسه انما يشح بها خوف الموت وان لا يكون له من هذه الحيوة عوض بينا وبها فاذا
علم ان بذل المال الى من قد اتاه بعد ان يكون حسن الظن به زال عذره في البخل لعلمه بتعويضه خيرا منه وبانه احق منه اذ كان المملوك وما
يملك لمولاه وكذلك يزول عذر الشحيح بنفسه لعلمه ان الطالب لبذلها هو الاحق بها وانه القادر على ان يوصله الى ما هو خير له من هذه
الحيوة الفانية وفي انقطاع ما يتوهمه من عذر في البخل بالمال والنفس يكون سهولة بذلهما في سبيل الله وقوله تكرمون بالله على عباده
اي تفخرون وتشرفون على الخلق بانكم اهل طاعة الله وعباده ثم لا تكرمونه فيما يدعوكم اليه ولا يجيبون داعيه في اكرام عباده والالتفات
الى فقرائهم باليسير مما رزقكم ثم امرهم باعتبار نزولهم منازل الدارجين وانقطاعهم عن اوصل اخوانهم تنبيها لهم على انهم امثالهم
في اللحاق بمن سلف والانقطاع عمن بقي وروي اصل اخوانكم اي اقربهم اصلا اليكم وفائدة هذا الاعتبار تذكر الموت والعمل لما بعده
ومن كلام له عليه السلام انتم الانصار على الحق والاخوان في الدين والجنن يوم الباس والبطانة دون الناس بكم اضرب المدبر وارجوا
طاعة المقبل فاعينوني بمناصحة جلية من الغش سليمة من الريب فوالله انى لاولى الناس بالناس اقول الجنن جمع جنة وهي ما
استترت به من سلاح وبطانة الرجل خاصته وقد اشتمل هذا الفصل على استمالة طباع اصحابه الى مناصحته في الحرب فمدحهم بكونهم
من اهل الدين ثم بالشجاعة ثم باعلامهم انهم من اهل خاصته الذين يعتمد عليهم في ضرب المدبر وطاعة المقبل وطلب منهم الاعانة
بمناصحة صادقة سليمة من الشك في صحة امامته وانه اولى بالامر من غيره فلذلك اقسم انه كذلك وقد سبق بيانه ومن كلام له عليه السلام
وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا فقال امير المؤمنين عليه السلام ما بالكم امخرسون انتم فقال قوم منهم يا امير المؤمنين ان
سرت سرنا معك فقال عليه السلام ما بالكم لا سددتم لرشد ولا هديتم لقصد افي مثل هذا ينبغي لي ان اخرج انما يخرج في مثل لے صح
هذا رجل ممن ارضاه من شجعانكم وذوي باسكم ولا ينبغي لي ان ادع الجند والمصر وبيت المال وجباية الارض والقضاء
بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين ثم اخرج في كتيبة اتبع اخرى اتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ

وانما

وانما انا قطب الرحى تدور علىّ وانا بمكانى فاذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها هذا لعمر الله الرأى السوء والله
لولا رجائى الشهادة عند لقائى العدو ولو قد حم لى لقاؤه لقربت ركابى ثم شخصت عنكم فلا اطلبكم ما اختلف جنوب
وشمال **اقول** الكتيبة الجيش والقدح السهم قبل ان يراش والجفير كالكنانة اوسع منها وثفال الرحى الجلد الذى توضع عليه
ليسقط عليه الدقيق وحم الامر قدر ومدار هذا الفصل على الدعاء عليهم مصدرا بالاستفهام عن حالهم القبيحة التى هم عليها من مخالفته
على سبيل الانكار عليهم ثم عن ما اشار وا به من خروجه بنفسه الى الحرب منكرا لذلك ايضا ثم على الاشارة الى من ينبغى ان يخرج عوضا له
ثم بين وجه المفسدة فى خروجه بنفسه وهو تركه للمصالح التى عددها مما تقوم به امر الدولة ونظام الملك العالم وخروجه على الوجه
المذكور وظاهر قبح ذلك وشبه خروجه معهم بالقدح فى الجفير ووجه الشبه انه كان قد نفذ الجيش قبل ذلك واراد ان يجمع من بقى
من الناس فى كتيبة اخرى فشبه نفسه فى خروجه فى تلك الكتيبة وحده مع تقدم الاكابر جماعته وشجعانها بالقدح فى الجفير الفارغ
كونه يتقلقل وفى العرف ان يقال للشريف اذا مشى فى حاجة ينوب فيها من هو دونه وترك المهام التى لا تقوم الا به ترك المهم الغالى
ومشى يتقلقل على كذا ثم استعار لنفسه لفظ القطب ملاحظا لدوران الاسلام ومصالحه عليه كدوران الرحى على قطبها وذلك هو وجه
الاستعارة واستلزم ذلك تشبيه الاسلام واهله بالرحى وانه اذا اهملها بخروجه الى الحرب اضطربت كاضطراب الرحى وخروج مدارها
واستحارته عن الحركة المستديرة الى المستقيمة ولما بين وجه المفسدة فى رأيهم حكم برداءته واكد ذلك بالقسم البار ثم اقسم انه لولا
رجاؤه لقاء الله بالشهادة فى لقاء العدو ولو قدر له ذلك لفارقهم غير متأسف عليهم ولا طالبا للعود اليهم ابدا تبرما من سوء صنيعهم
وكثرة مخالفتهم لاوامره وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** تالله لقد علمت تبليغ الرسالات واتمام العدات وتمام الكلمات
وعندنا اهل البيت ابواب الحكم وضياء الامر الا وان شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة من اخذ بها لحق وغنم ومن وقف عنها ضل وندم
اعملوا ليوم تذخر له الذخائر وتبلى فيه السرائر ومن لا ينفعه حاضر لبه فعازبه عنه اعجز وغائبه اعوز فاتقوا نارا حرها شديد
وقعرها بعيد وشرابها صديد وحليتها حديد الا وان اللسان الصالح يجعله الله تعالى للمرء فى الناس خير له من المال يورثه من لا يحمده
اقول صدر الفصل بذكر فضيلته وهى علمه بكيفية تبليغ الرسالات واداءها وعلمه باتمام الله تعالى ما وعد به المتقين فى دار القرار فتمام وعده
ان لا خلف فيه وتمام اخباره ان لا كذب فيها وتمام اوامره ونواهيه اشتمالها على المصالح الخالصة والغالبة وهكذا ينبغى ان يكون اوصياء
الانبياء وخلفاؤهم فى ارض الله وعباده ثم اردف ذلك بالاشارة الى فضل اهل البيت عاما واراد بضياء الامر انوار العلوم التى يبتنى
عليها الامور والاعمال الدينية والدنيوية وما ينبغى ان يهتدى الناس فى حركاتهم من قوانين الشريعة وما يستقيم به نظام الامر من قوانين
السياسات وتدبير المدن والمنازل ونحوها اذ كان كل امر شرع فيه على غير ضياء من الله ورسوله او اهل بيته وخلفائه الراشدين
فهو التيه والزيغ عن سبيل واستعار لفظ الشرائع وهى موارد الشاربة لاهل البيت ووجه الاستعارة كونهم موارد لطلاب العلم كما ان
الشرائع موارد طلبة الماء وكونها واحدة اشارة الى ان اقوالهم لا تختلف فى الدين بل لما علموا اسراره لم تختلف كلمتهم فيه فكلهم كالشريعة
الواحدة وكذلك استعار لهم لفظ السبل ووجه المشابهة كونهم موصلين الى المطالب على بصيرة وقصد كما توصل الطريق الواضح وقوله من اخذ بها
لحق اى من اخذ عنهم واقتدى بهم لحق بالسابقين من سالكى سبيل الله وندم على تفريطه بتخلفه وقيل اراد بشرائع الدين ومسلكه قوانينه الكلية
فان اى قانون عمل به فانه مستلزم لثواب الله فهى واحدة فى ذلك وموصل الى الجنة من غير جور ولا عدول وذلك معنى كونها قاصدة والاول اظهر لكونه فى

من العقد معمور الوداد

معرض ذكر فضيلته ولما كان غرض الخطيب من اظهار فضيلته قبول قوله شرع في الامر بالعمل ليوم القيمة والذخاير الاعمال الصالحة ومعنى قوله
ومن لا ينفعه حاضر لبّه الى قوله اعوز ان اعبروا حال حضور عقولكم فانها ان لم تنفعكم الآن كانت اعوز واعجز عن نفعكم اذا عزبت
عند حضور الموت ومقاساة اهواله وما بعده من احوال الآخرة ثم اكد التخويف بمناقشة الحساب بالتخويف بالنار واراد بحليتها
من الحديد ما اعدّ فيها للعصاة من الاغلال والاصفاد والمقامع والسلاسل التي تشبه الحلية وقوله الا وان اللسان الى آخره تنبيه لهم على طلب
الذكر الجميل من الناس في العقبى وتهوين للمال وقد سبقت الاشارة الى هذا في قوله اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض ومن كلام له
عليه السلم وقد قام اليه رجل من اصحابه فقال نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد فصفق امير المومنين عليه السلم احدى
يديه على الاخرى ثم قال هذا جزاء من ترك العقدة اما والله لو اني امرتكم بما امرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا فان استقمتم حين صح
هديتكم وان اعوججتم قومتكم وان ابيتم تداركتكم لكانت الوثقى ولكن بمن والى من اريد ان اداوي بكم وانتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة
وهو يعلم ان ضلعها معها اللهم قد ملت اطباء هذا الداء الدوي وكلت النزعة باشطان الركي اين القوم الذين دعوا الى
الاسلام فقبلوه وقرؤا القرآن فاحكموه وهيجوا الى الجهاد فولهوا اللقاح اولادها وسلبوا السيوف اغمادها واخذوا باطراف بحار القتلى
الارض زحفا زحفا وصفا صفا بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون بالاحياء ولا يعزون عن الموتى مره العيون من البكاء خمص
البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء صفر الالوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين اولئك اخواني الذاهبون فحق لنا
ان نظمأ اليهم ونعض الايدي على فراقهم ان الشيطان يسني لكم طرقه ويريد ان يحل دينكم عقدة عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة وبالفرقة
الفتنة فاصدفوا عن نزغاته ونفثاته واقبلوا النصيحة ممن اهداها اليكم واعقلوها على انفسكم اقول الضلع بفتح الضاد وسكون
اللام الميل والهوى والداء الدوي الشديد وصف بما هو من لفظه والدوي اسم الفاعل من دوي اذا مرض والنزعة المستقون
والركي جمع ركية وهي البئر ومره جمع امره وهي التي العين التي فسدت اي عيونهم فاسدة مارهة وسني له كذا حسنه وسهله وعقلت
عليه كذا اي حبسته عليه وكان هذا الكلام منه عليه السلم بصفين حين امرهم بالحكومة بعد ان نهاهم عنها والسبب ان معاوية لما احس بالعجز وظفر
علي عليه السلم به ليلة الهرير راجع عمرو بن العاص في الراي فقال له اني خبات لك رايا لمثل هذا الوقت وهو ان تامر اصحابك برفع المصاحف
على الارماح ويدعون اصحاب علي الى المحاكمة الى كتاب الله فانهم ان فعلوا افترقوا وان لم يفعلوا افترقوا وكان الاشتر صبيحة تلك
الليلة قد اشرف على الظفر فلما اصبحوا رفعوا المصاحف والمصحف الكبير بالجامع الاعظم على عشرة ارماح وهم يستغيثون معاشر
المسلمين الله الله في اخوانكم في الدين حاكمونا الى كتاب الله الله الله في النساء والبنات فقال اصحاب علي عليه السلم اخواننا واهل دعوتنا
استقالونا واستراحوا الى كتاب الله فالراي التنفيس عنهم فغضب عليه السلم من هذا الراي فقال انها كلمة حق يراد بها باطل كما سبق القول
فيه فافترق اصحابه فريقين منهم من راى رايه عليه السلم في الاصرار على الحرب ومنهم من راى ترك الحرب والرجوع الى الحكومة وكانوا اكثرين فاجتمعوا
اليه عليه السلم وقالوا ان لم تفعل قتلناك كما قتلنا عثمن فرجع الى قولهم وامر برد الاشتر عن الحرب ثم كتبوا كتاب الصلح وطافوا به في اصحابه
عليه السلم واتفقوا على الحكومة فخرج بعض اصحابه من هذا الامر وقالوا كنت نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد
وهذا يدل على انك شاك في امامة نفسك فصفق باحدى يديه على الاخرى فعل النادم غضبا من قولهم وقال هذا جزاء من ترك العقدة
اي عقدة الامر الذي عقده واحكمه وهو الراي في الحرب والاصرار عليها والذي كان امرهم به هو البقاء على الحرب وهو المكروه الذي يجعل الله فيه

جرا

خير من الظفر فسلامة العاقبة وقومكم اى بالقتل والضرب ونحوه وكذلك معنى قوله تداركتكم وقوله لكانت الوثقى اى الفعلة
المحكمة وقوله ولكن بمن اى بمن كنت استعين عليكم والى من اى الى من ارجع فى ذلك وقوله اريد ان اداوى بكم اى اريد ان اداوى بالبعض من
بعضكم ببعض وانتم دائى فاكون فى ذلك كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها وهذا مثل تضربه العرب لمن يستعان به فى اصلاح
من يراد اصلاحه وميله الى المستعان عليه يقال لا تنقش الشوكة بالشوكة فان ضلعها معها يقول ان استعانتى ببعضكم فى اصلاح
بعض كنقش الشوكة بالشوكة ووجه المشابهة ان طباع بعضكم تشبه طباع بعض وتميل اليها كما يشبه الشوكة بالشوكة وتميل اليها
فربما انكسرت معها فى العضو واحتاجت الى منقاش آخر ثم رجع الى الشكاية الى الله واراد بالداء الدوى ما هم عليه من عصيانهم له
لامره وتثاقلهم عن صوته وبالاطباء نفسه فان داء الجهل وما يستلزمه اعظم من سائر الادواء المحسوسة وفضل اطباء النفوس على اطباء
الابدان بفضل شرف النفوس على الابدان وهى استعارة لطيفة ان تكون حقيقة وكذلك استعار لفظ النزع عن آله مثل ضربه لنفسه معهم
فكانهم عن المصلحة فى قعر بئر عميق وقد كل هو من جذبهم اليها ثم اخذ فى السؤال عن اخوانه من اكابر الصحابة الذين بذلوا جهدهم فى نصرة
الدين واعرضوا عن الدنيا استفهاما على سبيل التوجع لفقدهم وهذا كما يقول احدنا اذا وقع فى شدة اين اخى عنى ثم وصفهم بالاوصاف
الحميدة ترغيبا للسامعين فى مثل حالهم وازراء عليهم حيث لم يكونوا بهذه الاوصاف وذلك بطريق المفهوم واولادها نصب باسقاط
الجار اذ الفعل وهو قوله ولهوا غير متعدى الى مفعولين بنفسه وفى الخبر لا توله والدة بولدها وتولههم لها بركوبهم اياها عن خروجهم
للجهاد وقوله واخذوا باطراف الارض اى اخذوها باطراف الارض وزحفا زحفا وصفا صفا مصدران مؤكدان بمثليهما قاما
مقام الحال وقوله لا يبشرون بالاحياء ولا يعزون عن القتلى اى كانوا فى تلك الحالة غير ملتفتين الى حياتهم ولا مراعين ومحافظين على
حيوتهم حتى يبشرون ببقائه او يجزعون لموته فيعزون عليه بل مجردون للجهاد فى سبيل الله ولعلهم يفرحون بقتل من يقتل منهم فى سبيله
وان كان ولد الوالد او بالعكس وانما كان السهر موجبا لصفرة اللون لانه يهيج الحرارة ويفسد السحنة ويجفف البدن ويكثر فيه المرة
والصفرة من توابع ذلك لاسيما فى الابدان النحيفة كما عليه اهل المدينة ومكة والحجاز وغيرها للخاشعين فتنشف الزاهدين الخائفين من الله
لعدم تحليتهم بالدنيا واستعار لفظ الظماء للمشتاق اليهم ملاحظة لتشبيههم بالماء فى شدة الحاجة اليه فنزل الشوق اليهم والحاجة
الى لقائهم منزلة العطش الى الماء فاعطاه لفظه واراد بعقد الدين ما احكم منه من القوانين والقواعد ويحل الشيطان لها بنقضه
ترك قانون وسنة والاجماع عقدة عقدها الشارع لما سبق فيها من المصالح واكدها فكانت الفرقة حلا لتلك العقدة ونزغات
الشيطان حركاته بالافساد ونفثاته القاؤه الوسوسة فى القلوب مرة بعد اخرى وعنى بمن اهدى اليه النصيحة نفسه وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام قاله للخوارج وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة فقال عليه السلام اكلكم شهد معنا صفين فقالوا
منا من شهد ومنا من لم يشهد فقال عليه السلام فامتازوا فرقتين فليكن الذى شهد صفين فرقة ومن لم يشهدها فرقة حتى
اكلم كلا منكم بكلامه ونادى الناس فقال امسكوا عن الكلام وانصتوا لقولى واقبلوا بافئدتكم الى فمن نشدناه شهادة فليقل
بعلمه فيها ثم كلمهم بكلام طويل منه الم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكرا وخديعة اخواننا واهل دعوتنا
استقالونا واستراحوا الى كتاب الله سبحانه فالراى القبول منهم والتنفيس عنهم فقلت لكم هذا امر ظاهره ايمان وباطنه عدوان
واوله رحمة وآخره ندامة فاقيموا على شانكم والزموا طريقتكم وعضوا على الجهاد بنواجذكم ولا تلتفتوا الى ناعق نعق ان اجيب

ويحركان السحنة والسحناء لين البشرة قاموس

من شهد صفين

من جملة ان قال

لهم

اضل وان ترك ذل فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وان القتل ليدور بين الآباء والابناء والاخوان والقرابات فلنز داد
على كل مصيبة وشدة الا ايمانا ومضيا على الحق وتسليما للامر وصبرا على مضض الجراح ولكنا انما اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام
على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل فاذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا ونتدانى بها الى البقية فيما

ن ل التقية — ن ل شعبنا

بيننا رغبنا فيها وامسكنا عما سواها **أقول** التنفس الترويح واكثر هذا الفصل ظاهر مما سبق وقوله هذا امر ظاهره ايمان اى
رفع اولئك للمصاحف وطلبهم للحكومة فان ظاهره منهم الاجتهاد في الدين بالرجوع الى كتاب الله وباطنه منهم عدوان اى حيلة للظلم
والغلبة واوله رحمة منكم لهم برجوعكم الى قولهم الى قوله واخره ندامة لكم عند تمام الحيلة عليكم فاقيموا شأنكم اى ما كنتم عليه من الاجتهاد في الحرب
والناعق اشارة الى طالب الحكومة او المشير عليهم بذلك الرأي وهو عمرو بن العاص واخرجه في [illegible] اوصاف ابليس وقوله بعد ذلك ولقد كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وآله الى قوله مضض الجراح استدراج لهم بشرح حاله وحال الصحابة حيث كانوا في الجهاد مع الرسول صلعم كذلك
على الحالة التي شرحها لعلهم يتأسون بالماضين فيها وقوله ولكنا انما اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام الى اخره تنبيه على اعتراض عساهم يقولونه
وجواب عنه وهو ان يقولوا انما فعل اخواننا السابقون ما فعلوا ليقينهم بما هم عليه من الدين الحق وتيقنهم ضلال الكفار والمحاربين لهم فاما
نحن فانما نقاتل بعضنا بعضا فكيف يجوز لنا قتل قوم مسلمين استسلموا الينا ودعونا الى المحاكمة الى كتاب الله فاجاب بما معناه انا انما نقاتل في
مبدأ الامر ومنتهاه دعوة الى الاسلام ورغبة في رسوخ قواعده ففي المبدأ قاتلنا ليحصل ماهيته في الوجود وفي الثاني قاتلنا لحفظ
ماهيته وبقائها وحيث دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل ما [illegible] دخل فاذا طمعنا في خلة محمودة يجمع الله بها
تفرقنا ونتقارب بها الى ما بقى فيما بيننا من الاسلام والدين رغبنا فيها وقاتلنا طمعا في تحصيلها وكانه عنى بالخصلة رجوع محاربيه الى طاعته
واتفاقهم عليه وهذا الكلام في قوة صغرى قياس ضمير احتج عليهم به وتقديرها انكم حين قلت لكم ان رفعهم للمصاحف [illegible] خدعة منهم اجبتموني
بهذا الجواب وتقدير الكبرى وكل من اجاب بهذا الجواب فليس له ان ينكر الحكومة اذ كان قد رضى بها فينتج انه ليس لكم ان تأبوا الحكومة وبالله
التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** قاله لاصحابه في وقت الحرب وأي امرء منكم احس [illegible] من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من
احد من اخوانه فشلا فليذب عن اخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله ان الموت

ن ل فليذب

طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ان اكرم الموت القتل والذي نفس ابن ابي طالب بيده لالف ضربة بالسيف اهون
علي من ميتة على الفراش **أقول** نجدته شجاعته والتذبيب والدفع والمنع وقد امرهم في هذا الفصل بمساعدة بعض لبعض في الحرب

ن ص في غير طاعة الله

ومنع بعضهم عن بعض منعا صادقا كما يمنع عن نفسه وبذلك يكون انعقاد الاجتماع وتعاون الهمم حتى يكون الجميع كنفس واحدة
وبذلك يكون الظفر والغلبة واستمال ذوي النجدة بذكر فضيلة تخصهم دون من يذبون عنه استثارة لنجدتهم وتعطيفا لهم
وقوله ان الموت طالب حثيث الى قوله ان اكرم الموت القتل تسهيل للقتل والموت بذكره انه لا بد منه وتسهيل للحرب عليهم واما ان اكرم الموت
القتل فاراد القتل في سبيل الله وذلك لاستلزامه الذكر الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الاخرى ثم اكد ذلك بالقسم لالف ضربة بالسيف
اهون من ميتة على الفراش وصدق ذلك في حق من نظر الى الدنيا بعين الاستحقار وفي جنب نعيم الابد في الاخرة والذكر الجميل في الدنيا وحصلت

ن ل ومن كلام له عليه السلام

له ملكة الشجاعة ظاهر وبالله التوفيق **ومنه** وكاني انظر اليكم تكشون كشيش الضباب لا تاخذون حقا ولا تمنعون
ضيما قد خليتم والطريق فالنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم **أقول** كشيش الضباب حكة جلودها بعضها بالبعض عند

الازدحام

الازدحام والتلوم الانتظار والتوقف واشار بهذا الكلام الى انه سيلحقهم غلبة من العدو وتعضهم الحروب بحيث يضعفون ويا خذون
في الهرب والتخفي فلا ينتفع بهم في اخذ حق او دفع ضيم ووصف الكشيش مستعار لهم باعتبار دهشتهم في الحيد عن العدو والهرب منه وهو وجه الشبه
بكشيش الضباب وقوله قد خليتم والطريق اي وطريق الاخرة فالنجاة للمقتحم اي مقتحمها والمبادر الى سلوكها والهلكة للمتوقف عن ذلك والطريق
منصوب على المفعول معه ومن كلام له عليه السلم في حض اصحابه على القتال فقدموا الدارع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه
انبا للسيوف عن الهام والتووا في اطراف الرماح فانه امور للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلوب واميتوا
الاصوات فانه اطرد للفشل ورايتكم لا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها الا بايدي شجعانكم والمانعين الذمار
منكم فان الصابرين على نزول الحقايق هم الذين يحفون براياتهم ويكتنفونها حفافيها ووراءها وامامها لا يتاخرون
عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها اجزا امرؤ قرنه واسى اخاه بنفسه ولم يكل قرنه الى اخيه فيجتمع عليه قرنه
وقرن اخيه وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآجلة انتم لهاميم العرب والسنام الاعظم ان
في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقي وان الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه من رائح
الى الله عز وجل كالظمآن يرد الماء الجنة تحت اطراف العوالي اليوم تبلى الاخبار اللهم ان ردوا الحق فافضض جماعتهم وشتت
كلمتهم وابسلهم بخطاياهم انهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دارك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح
العظام ويندر السواعد والاقدام وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب حتى
يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحر ارضهم وباعنان مساربهم ومسارحهم قال السيد رضي الله عنه
الدعق الدق اي تدق الخيول ارضهم بحوافرها ونواحر ارضهم متقابلاتها يقال منازل بني فلان تتناحر اي تتقابل
اقول هذا الكلام قاله بصفين وامور اشد حركة ونفوذا والجاش روع القلب والذمار ما وراء الرجل مما يجب عليه حمايته
وحفافا الشيء جانباه ولهاميم العرب اجوادهم والموجدة الغضب وابسلهم اسلمهم للهلكة والعوالي جمع عالية الرمح وهو ما
دخل منه الى ثلثه والنسيم النفس والمنسر القطعة من الجيش وكذلك الخميس الجيش والنواحر ايضا جمع نحيرة وهي اخر ليلة من الشهر مع
يومها كانها تنحر الشهر المستقبل فيكون مراده بنواحر ارضهم اقاصيها واعنان مساربهم اقطارها وما اعترض منها ومسارحهم
مراعيها واحدها مسربة وقد امرهم باوامر في مصلحة الحرب وحدها وكيفيتها ونبههم على مناهجها فاولها الامر بتقديم الدارع وتاخير
الحاسر والمصلحة فيه ظاهرة والثاني العض على الاضراس وحكمته ما سبق في قوله معاشر المسلمين استشعروا الخشية وفي
قوله لابنه محمد بن الحنفية تزول الجبال ولا تزل وقد كرره هنا ايضا الثالث الالتواء في اطراف الرماح وعلته ما ذكره وهو انه
اذا التوى الانسان مع الرمح حال ارساله كان الرمح به اشد وذلك لحركة صدر الانسان بعد التوائه مع حركة يده حين
الارسال فكانت حركته اشد واقوى نفوذا الرابع غض الابصار وفايدته ما ذكر من كونه اربط لاضطراب القلوب واسكن
وبيان ذلك مد البصر الى القوم فانه مظنة للخوف والفشل وعلامة لهما عند العدو الخامس اماتة الاصوات وفايدته
ايضا طرد الفشل اذ كانت اللغط والصياح علامة للخوف الصايح وذلك مستلزم لطمع العدو فيه وجراته عليه السادس
قوله ورايتكم فلا تميلوها فان امالتها مما يظن به العدو تشويشا واضطراب حال فيطمع ويتقدم ولانها اذا اميلت تغيب

ل الاخرة

ل فان

اللغط الصوت وحركه واللغط اصوات والجلبة او اصوات مبهمة لا تفهم قاموس

عن عيون الجيش فربما لا يهتدي كثير منهم للوجه المطلوب السابع ولا تخلوها وسيفسره هو التخلية الثامن ولا تجعلوها الى قوله منكم وذلك انها
اصل نظام العسكر وعليها يدور وبها تقوى قلوبهم ما دامت قايمة فيجب في ترتيب الحرب ان يكون حاملها اشجع القوم وقوله فان الصابرين الى
قوله فيغزوها تخصيص لمن يحفظ الراية ويحفها بوصف الصبر على نزول الحقايق اي الشدايد بالحقة المتيقنة التي لا شك في نزولها يساعدوا
في حفظها والاحاطة بها رغبة في تلك المحمدة وبين بقوله لا يتأخرون عنها الى قوله فيغزوها معنى التخلية التي نهاهم عنها وقوله فيسلموها
ويغزوها نصب الفعلان باضمار ان عقيب الفاء في جواب النهي التاسع قوله اجزأ امرؤ قرنه العاشر آسا اخاه بنفسه فعلان ماضيان في معنى
الامر وليجز امرؤ قرنه وهو خصمه وكفوه في الحرب اي ليقاومه وليواس اخاه بنفسه في الذب عنه ولا يفرغ قرنه اعتمادا على اخيه في رفعه
فيجتمع على اخيه قرنه وقرن اخيه ثم ذكرهم عدم الفايدة في الفرار اذ كانت غاية الفرار السلامة من الموت وهو لا بد منه كقوله تعالى قل ينفعكم او القتل
واذن لا تمتعون الا قليلا واستعار لفظ سيف الآخرة للموت ووجه المشابهة كونهما مبطلين للحيوة وانما كان سيف الآخرة لانها غايته
ثم وصفهم مدحهم باوصاف يستقبح معها الفرار وهي كونهم اجواد العرب والسنام الاعظم واستعار لهم لفظ السنام لمشاركتهم اياه في العلو
والرفعة ثم اكد تقبيح الفرار بذكر معايبه وانه لا فايدة فيه ايضا اما معايبه فكونه يستلزم غضب الله فان الفار من الجهاد في سبيله عاص لامره
والعاصي له مستحق لغضبه وعقابه ثم كونه مستلزما للذل اللازم والعار الباقي في الاعقاب وهو ظاهر واما انه لا فايدة فيه فلان الفار
لا يزداد في عمره بفراره اذ علمنا بفراره انه لم يبلغ اجله المكتوب له فكان بقاؤه في مدة الفرار من عمره لا زيادة فيه وان له يوما في القضاء الالهي
لا يحجز بينه وبينه فرار وفيه تخويف بالموت وقوله من رايح الى الله كالظمآن يرد الماء استفهام عمن يسلك سبيل الله ويروح اليه كما
يروح الظمآن استفهاما على سبيل العرض لذلك الرواح ووجه الشبه القوة في السير والسعي الحثيث واشار بقوله الجنة تحت اطراف العوالي
الى ان مطلوب الرواح الى الله بالجهاد وجذب اليه الجنة وخصها بجهة تحت لان دخول الجنة غاية من الحركات بالرماح في سبيل الله وتلك الحركات
انما هي تحت العوالي وقد اطلق لفظ الجنة على تلك الافعال التي هي غاية منها مجازا تسمية للشيء باسم غايته ثم اعقب ذلك بدعاء الله على محاربيه
ان ردوا دعوة الحق بالتفريق والاهلاك ثم حكم بانهم لن يزولوا عن مواقفهم دون ما ذكر حكما على سبيل التهديد والوعيد لهم والطعن الدراك
الدراك المتدارك وكنى بخروج النسيم منه عن كونه يخرق الجوف والامعاء بحيث يتنفس المطعون من الطعنة وروي النسيم وروي القشم
بالقاف والشين المعجمة وهو اللحم والشحم وهو بعيد وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام في معنى الخوارج لما انكروا تحكيم الرجال
ويذم فيه اصحابه قال عليه السلام انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق
بلسان ولا بد له من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال ولما دعانا القوم الى ان نحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن
كتاب الله تعالى وقد قال سبحانه وتعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول فرده الى الله ان نحكم بكتابه ورده الى الرسول
ان ناخذ بسنته فاذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن احق الناس به وان حكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن اولاهم به
واما قولكم لم جعلت بينك وبينهم اجلا في التحكيم فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله ان يصلح
في هذه الهدنة امر هذه الامة ولا يؤخذ باكظامها فتعجل عن تبين الحق وتنقاد لاول الغي ان افضل الناس عند الله
من كان العمل بالحق احب اليه وان نقصه وكرثه من الباطل وان جر اليه وزاده فاين يتاه بكم ومن اين اتيتم استعدوا
للمسير الى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه وموزعين بالجور لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الطريق ما انتم

بوثيقة

في التحكيم

يحكم بيننا القرآن

اين صح

ترحا

بو شيعة يعلو بها ولا زوافر نعتصم اليها لبئس حشاش نار الحرب انتم اف لكم لقد لقيت منكم برحا يوما اناديكم ويوما اناجيكم فلا احرار عند النداء ولا اخوان ثقة عند النجاء اقول هذا الفصل من كلام له بعد سماعه لامر الحكمين وخدعة عمرو بن العاص لابي موسى الاشعري كرثه الامر اشتد عليه واوزع بكذا فهو موزوع اذا اغرى به ونكب بتشديد الكاف جمع ناكب هو العادل عن الطريق كبازل وبزل وزوافر الرجل انصاره وعشيرته والحشاش جمع حاش وهو موقد النار وكذلك الحشاش بكسر الحاء وتخفيف الشين كنايم ونوام ونيام وقيل هو ما يحش به النار اي يوقد والبرح بسكون الراء الشدة والاذى يقال لقيت منه برحا بارحا وروي ترحا وهو الحزن وهذا الفصل من اوله الى قوله اولاهم بجواب له عن شبهة التحكيم للخوارج عن امره بالحرب بعد ان رضي بالتحكيم وتقرير الشبهة انك رضيت بتحكيم رجلين في هذا الامر وعاهدت على ذلك وكل من رضي بامر وعاهد عليه فليس له ان ينقض عهده فقدح في صغرى هذه الشبهة بقوله لم نحكم الرجال اي لكونهما رجالا وانما حكمنا القران لكن لما كان القران لا بد له من ترجمان يبين مقاصده ودعانا القوم الى حكم القران لم نكن نحن الفريق الكاره لكتاب الله المتولي عنه بعد امره تعالى بالرجوع اليه والى رسوله في الكتاب والسنة اشتبه امره بقوله فان تنازعتم الاية فاذا احكم بالصدق عن علم بكتاب الله فنحن احق الناس به اي اولاهم باتباعه واولاهم بان ينص على كون الامر لنا كما في قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين الى قوله حتى تفيء الى امر الله وظاهر كون اولئك بعد عقد الامامة بغاة عليه فوجب بنص الكتاب قتالهم وكذلك الايات الدالة على وجوب الوفاء بالعهود والعقود وكان هو اولى بالحق الذي يجب قتالهم عليه فكان الحاكم لهم مخطيا مخالفا لكتاب الله غير عامل به فوجب مخالفة حكمه وان حكم بسنة رسول الله فنحن اولى الناس برسول الله للقرابة وللعمل بسنته لموافقتها الكتاب في نصه على وجوب متابعة الامام العادل فكان الحاكم لغيره مخالفا للسنة ايضا فصارت خلاصة هذا الجواب انا لم نرض بتحكيم الرجلين لكونهما رجلين ولكن بتقدير حكمهما بكتاب الله الذي هما ترجمان عنه وهو الحاكم الذي دعانا الخصم اليه وحيث خالفاه لم يجب علينا قبول قولهما وقوله واما قولكم الى قوله الاول الغي فتقدير سؤال آخر لهم مع جوابه وذلك انهم حين اتفقوا على التحكيم كتبوا كتاب الصلح وضربوا للحكم الحكمين اجلا مدة سنة وصورة الكتاب هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعوية بن ابي سفيان قاضى علي بن ابي طالب على اهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين وقاضى معوية بن ابي سفيان على اهل الشام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين اننا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه ولا يجمع بيننا الا اياه وان كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيي ما احيى القران ونميت ما امات القران فان وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعاه وان لم يجداه اخذا بالسنة العادلة غير المفرقة والحكمان عبد الله وعمرو بن العاص وقد اخذ الحكمان من علي ومعوية ومن الجندين انهما امنان على انفسهما واموالهما واهلهما والامة لهما انصار وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله ان يعمل بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة وان الامن والموادعة والمواضعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين الى ان يقع الحكم وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكمن بين الامة بالحق لا بما يهوى واجل الموادعة سنة كاملة فان احب الحكمان ان يعجلا الحكم عجلاه وان توفي احدهما فلامير شيعته ان يختار مكانه رجلا لا يالو الحق والعدل وان توفي احد الاميرين كان نصب غيره الى اصحابه ممن يرتضون امره ويحمدون طريقته اللهم انا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة واراد فيها الحادا وظلما وشهد فيه من اصحاب علي عشرة ومن اصحاب معوية عشرة فذلك معنى الاجل في التحكيم وتقرير هذا السؤال انك حين رضيت بالتحكيم لم ضربت بينك وبينهم اجلا فيه وما الحكمة في ذلك فاجاب انما فعلت ذلك ليتبين الجاهل اي وجه الحق ويتثبت العالم اي في امره بحيث يخلص من الشبهة ورجاء الصلاح

صورة كتاب صلح علي عليه السلام ومعوية

هذه الامة بهذا الصلح وقوله ولا نؤخذ بالظاهما فيعجل الى الاخرة فعبر باخذ الكظم عن الاخذ بغتة وعلى غرة وهولاء القوم لما اخذوا
لاول شبهة عرضت من رفع المصاحف وهو اول البغي ولم يتثبتوا في امرهم اشبهوا من اخذ بمجرى نفسه فلم يتمكن من الاستراحة الى
التنفيس فاستعير وصف اخذ الكظم لهم وقوله ان افضل الناس الى قوله وزاده جذب الى الحق وان ادى الى الغاية المذكورة وتنفع عن الباطل وان
استلزم الغاية المذكورة بذكر الافضلية عند الله وقوله من الباطل متعلق باحب اليه وان نقصه وكربه اعتراض بينهما والحكم في
هذه القضية ظاهر الصدق اذ كان ملازم الحق انفع الخلق والانفع افضل عند الله تعالى كما قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقوله فاين يتاه
بكم يريد الى اي غاية يكون هذا التيه الذي اخذتم فيه وفيه تنبيه على ان ذلك التيه فعل الغير بهم ومن اين اتيتم اي من اي وجه دخلت عليكم الشبهه
ويشبه هذا السوال تجاهل العارف اذ كان يعلم وجه الداخل عليهم ثم اعقب ذلك التعنيف لهم بالامر بالمسير الى اهل الشام وصفهم
بالحيرة عن الحق والعمى عنه والاغراء بالجور عن طريق الله بحيث لا مثل للجور عندهم وبجفاوة الطباع عن فهم كتاب الله وبنو الافهام عنه
وبعدولهم عن طريقه كل ذلك اغراء بهم وقوله ما انتم بوثيقة اي بعروة ونيقة الى الاخرة وهو عتاب لهم وتضجر منهم على قلة طاعته وقوله يوما
انا ديكم اي ادعوكم الى النصرة واستغيث بكم ويوما اناجيكم اي اعاتبكم واجادلكم على تقصيركم وقوله فلا احرار صدق عند النداء لان
الحر من شانه اجابة الداعي والوفاء بالوعد ولستم كذلك ولا اخوان ثقة عند النجاء لان اخا الثقة اذا زل وعوتب من اخيه
انعتب واذا اعوج واعتذر اليه رجع الى صفاء الاخوة للمكان وثاقتها ولستم من ذلك في شيء وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم
لما عوتب على التسوية في العطاء اتامروني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا اطور به ما سمر سمير وما ام نجم في السماء نجما
لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال لهم مال الله ثم قال عليه السلم الا وان اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف
وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الاخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير اهله الا
حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم فان زلت به النعل يوما فاحتاج الى معونتهم فشر خدين والام خليل اقول لا اطور به
اي لا اقربه والسمير الدهر يقال لا افعله ما سمر سمير اي الدهر كله وكذلك لا افعله ما سمر ابنا سمير وابناه الليل والنهار والحذين الصديق
والتسوية في العطاء من سنة الرسول صلى الله عليه وآله وكان ابو بكر كذلك على تلك السنة فلما فضل من بعدهما اهل السابقة والشرف
في العطاء على غيرهم اعتاد المفضلون بذلك الى زمانه عليه السلم ولما كان سالكا مسالك الرسول صلعم ومقتفيا اثر سنته لم يمكنه الا
التسوية فطلب المفضلون عادتهم من التفضيل عنه وكان له لهذا الامر فقال الكلام وبها فقوله اتامروني ان اطلب النصر بالجور جواب
لمن اشار اليه بالتفضيل وكان المشير قال له ان فضلت هولاء كانوا معك بعقولهم ونصروك فاجابهم بذلك والجور العدول عن
سبيل الله بالتفضيل حيث كان خارجا عن سنة الرسول صلعم ثم اقسم لا يقرب التفضيل ابدا وان المال لو كان له لكان من العدل
ان يسوي بينهم فيه فكيف والمال لله ولهم ووجه ذلك ان التسوية هي العدل الذي به يجتمع النفوس على النصرة وتتالف الهمم على
مقاومة العدو دون التفضيل المستلزم لانكسار قلوب المفضولين مع كثرتهم فلو كان المال له مع كونه بطباع البشرية
المايلة الى شخص دون شخص ليسوي بينهم فكيف والمال لله الذي تساوي نسبة الخلق اليه وما لهم الذي فرضه الله لهم على سواء
وهو كالاعتذار الحاسم لمادة الطمع في التفضيل ثم نبه على قبح وضع المال في غير اهله وعلى غير وجهه وفي غير اهله من غير المفروض لهم وغير
وجه حقه الذي لم يفرضه الشارع واشار الى وجوه المفاسد فالصرف في غير اهله تبذير وفي غير وجهه اسراف وعرفت انهما طرفا

صلوات الله عليه
قوله
تصيير الناس اسوة في
العطاء من غير تفضيل
اولي السابقات والشرف
فقال

الافراط

الافراط في فضيلة السخاء وقوله يرفع صاحبه في الدنيا اي يحصل له بالتبذير ذكر الكرم بين العوام والجاهلين ومن لا يعرف حقيقة
الكرم ويضعه في الآخرة اذ كان به على رذيلة وكذلك يكرمه عند الناس ويهينه عند الله واما حكمه عليه السلام بان الواضع لماله في غير حقه
وعند غير اهله محروم شكرهم ولغيره ودهم وعلى تقدير وقوع الزلة به منه يحتاج فيها الى مساعدتهم يتقاعدون عنه فذلك امر يحصل
بالاستقراء وربما بلغ التجربة واما سر ذلك فيحتمل ان يكون لانهم لما كانوا غير اهل لوضع المعروف لم يكونوا اهلا للاعتراف به اما
لجهلهم وغفلتهم او لاعتقادهم ان المسدى اليهم غير اهل لشكرهم او انهم على مرتبة واحق بالمال منه واكثر ما يكون عدم الشكر من هؤلاء
لنظر كل منهم الى ان غيره من المسدى اليه غير اهل وانه هو احق فيرى نفسه دائما مبخوس الحظ من باذل المعروف فلا يزال متسخطا عاتبا
عليه ذاما للزمان وحينئذ لا يتحقق اعترافه بنعمة الباذل فاذا اصابه من غيره ادنى معروف او لم يصبه بل سمع مدح احد وشكر الناس
له ساعده على مدحه واظهر فضله وقال انه ممن يصنع المعروف في اهله فيكون في ذلك كالمستنهض لهمة الباذل او كالمزري عليه والمغاير له
وكنى بزلة النعل عن خطاياه وعثاره في المصائب وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** ايضا للخوارج فان ابيتم الا ان تزعموا اني اخطأت
وضللت فلم تضللون عامة امة محمد صلى الله عليه وآله بضلالي وتأخذونهم بخطائي وتكفرونهم بذنوبي سيوفكم على عواتقكم
تضعونها مواضع البرء والسقم وتخلطون من اذنب بمن لم يذنب وقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني ثم
صلى عليه ثم ورثه اهله وقتل القاتل وورث ميراثه اهله وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم عليهما من الفيء ونكحا
المسلمات فاخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم واقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الاسلام ولم يخرج اسماءهم
من بين اهله ثم انتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه وسيهلك في صنفان محب مفرط يذهب به
الحب الى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق وخير الناس في حالا النمط الاوسط فالزموه والزموا
السواد الاعظم فان يد الله على الجماعة واياكم والفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذة من الغنم للذئب الا
من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه فانما حكم الحكمان ليحييا ما احيا القرآن ويميتا ما امات
القرآن واحياؤه الاجتماع عليه واماتته الافتراق عنه فان جرنا القرآن اليهم اتبعناهم وان جرهم الينا اتبعونا فلم آت لا
ابا لكم بجرا ولا ختلتكم عن امركم ولا لبسته عليكم انما اجتمع رأي ملائكم على اختيار رجلين اخذنا عليهما الا يتعديا القرآن فتاها
عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل والصمد
للحق سوء رأيهما وجور حكمهما **اقول** البجر الشر والامر العظيم والختل الخديعة والصمد القصد وهذا الفصل مشاجرة مع الخوارج
وهو منع لشبهتهم التي بها كفروه واصحابه عليه السلام وصورتها انكم ضللتم بالتحكيم وكل ضال كافر وينتج انهم كفار وقوله عليه السلام فان
ابيتم الى قوله وضللت يجري مجرى تسليم جدلي لما منعه اولا في الفصول السابقة من صغرى شبهتهم وبين ان التحكيم لم يكن منه
خطاء ولا ضلالا فكانه يقول هب اني اخطأت كما زعمتم وقوله فلم تضللون عامة امة محمد بضلالي منع لصغرى هذه
الشبهة وقوله وتكفرونهم بذنوبي الى قوله بمن لم يذنب منع لكبرى فكانه يقول هب انكم ضللتموهم بضلالي فلم تكفرونهم
وتقتلون بسبب تكفيرهم المذنب وغير المذنب وقوله وقد علمتم الى قوله بين اهله استشهاد عليهم بفعل الرسول صلى الله عليه وآله فيمن
اخطأ ولم يكفرهم بذنوبهم بل اجرى عليهم احكام الاسلام ولم يسلبهم اسمه وهذا الاستشهاد يجري مجرى ذكر مستند المنع

صلوات الله عليه

حد

ويهلك

ويميتا

امركم

وكذلك

والزاني الذي رجمه هو المحصن ولم يمنعه استحقاقه الرجم صدق الاسلام عليه ولحوق احكامه له من الصلوة عليه وتوريث ماله لاهله
الباقون من اهل الكبائر من الامة لم يمنعهم ذلك من اجراء احكام الاسلام عليهم وصدق [illegible] اسمه المنافي لصدق الكفر عليهم وضمير الاثنين في
نكحا يرجع الى السارق والزاني اي لم يمنعهم استحقاق القطع والجلد من حصتهما من الفيء ولا من نكاح المسلمات وضمائر الجمع في قوله فاخذهم الله
بذنوبهم الى قوله بين اهله راجعة الى كل من جرى ذكره من المذنبين والكلام المذكور حكاية لحالهم والضمير في اهله يرجع الى الاسلام ثم لما
فرغ من بيان غلطهم ذمهم ونسبهم الى الانفعال عن الشيطان اذ كانت وساوسه مبادي الاغلاط والشبه ثم عقب ذلك الاخبار عن هلاك من سلك
طرفي الافراط في حبه او بغضه لخروجهما عن الحق والعدل الى الباطل والجور فافراط الحب ان جعل الها كالمنسوب الى النصيرية ونحوهم من الغلاة وافراط
البغض ان نسب الى الكفر كالمنقول عن الخوارج وجعل خير الناس فيه حالا النمط الاوسط في المحبة وهم اهل العدل فيه والنمط الاوسط الجماعة من الناس
امرهم واحد وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي فالتالي هو المقصر الواقف في طرف التفريط والغالي هو العابر
الى طرف الافراط وامر بلزوم ذلك النمط ولزوم طريقة السواد الاعظم اي اكثر المسلمين المتفقين على راي واحد ورغب في لزوم طريقتهم بان يد الله
على الجماعة فيجوز بلفظ اليد في قدرة الله وحراسته للجماعة اذ كانوا امنع وابعد عن الانفعال للعدو وآمن من الغلط والخطاء لكثرة ارائهم
واتفاقها فلا يكاد يتفق على امر لا مصلحة فيه مع كثرتها واختلافها وحذر من الفرقة والشذوذ عن الجماعة بان الشاذ من الناس اي المنفرد المستبد
برايه للشيطان اي محل تطرق الشيطان لانفراده وشبه ذلك من الشاذ من الغنم ووجه الشبه كونه بانفراده محلا لتطرق الهلاك اليه باستغواء
الشيطان له كما ان الشاة المنفردة في مظنة الهلاك لانفرادها وحدتها للذيب ثم امر بقتل من دعا الى هذه الشعار وهو مفارقة الجماعة
والاستبداد بالراي وقوله ولو كان تحت عمامتي هذه مبالغة في الكلام كنى بها عن اقصى القرب من عنايته اي ولو كان ذلك الداعي الى هذا
المحرم عنايتي به وقيل اراد ولو كان ذلك الداعي انا وقوله وانما حكم الحكمان اعتذار عن شبهة التحكيم واسند اليهما لفظي الاحياء والاماتة مجازا
باعتبار كونهما في الاجتماع عليه والعمل به مظهرين لمنفعته وفائدته كما يفعله موجد الحيوة وكونهما في تركه والاعراض عنه سببا لبطلان منفعته
وعدم فائدته كما يفعله مميت الشيء ومبطل حيوته وقوله ولم ات لا ابا لكم بجرا الى اخره لما بين وجه عذره في التحكيم انكر ان يكون فعله ذلك مشتملا
على قصد شر او خديعة لهم او تلبيسا عليهم في التحكيم من غير اتفاق منهم ومراجعة لهم بل ان كان ذلك عن اجتماع اراء منهم على اختيار حكمين
اخذت عليهم الشرايط المعدودة في كتاب الصلح وفي نسبة اختيار الحكمين الى ملائهم ونسبة اخذ العهد عليهما في اتباع الكتاب الى نفسه او الى جماعة
هو احدهم تنبيه على ان اخذ العهد عليهما كان منه او بتركه دون تعيينهما للحكومة فما نقل انه كان غير راضي بنصب ابي موسى نائبا عنه وانما اكره
على ذلك وكان ميله واختياره في ذلك لابن عباس وتلخيص الكلام انا انما رضينا بالحكمين بشرط ان يعملا بكتاب الله والمشروط بشرط عدم عند
عدم ذلك الشرط فحيث خالفا الشرط عمدا بعد ان سبق استثناؤنا عليهما سوء رايهما وجبت مخالفتهما وانتصب سوء رايهما
لانه مفعول به عن سبق وبالله التوفيق والعصمة **ومن كلام له عليه السلام** وهو مما كان يخبر به عن الملاحم بالبصرة يا ابا احنف كاني به وقد
سار الجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل يثيرون الارض باقدامهم كانها اقدام النعام
قال يومي بذلك الى صاحب الزنج ثم قال ويل لسكككم العامرة والدور المزخرفة التي لها اجنحة كاجنحة النسور وخراطيم كخراطيم
الفيلة من اولئك الذين لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم انا كاب الدنيا لوجهها وقادرها بقدرها وناظرها بعينها **اقول**
الملحمة الوقعة العظيمة وهذا الفصل من خطبة له عليه السلام بالبصرة بعد وقعة الجمل ذكرنا فيها فصولا فيما سبق والخطاب مع الاحنف

بن قيس

بن قيس لانه كان رئيسا ذا عقل سابقة فى قومه واسمه صخر بن قيس بن معوية بن حصين بن عباد بن مرة بن عبيد بن تميم وقيل اسمه الضحاك وكنيته
ابو بحر وبسببه كان اسلام بنى تميم حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله الى الاسلام فلم يجيبوا فقال لهم الاحنف انه يدعوكم الى مكارم الاخلاق
وينهاكم عن ملايمها فاسلموا واسلم الاحنف وشهد مع على عليه السلم صفين ولم يشهد الجمل مع احد الفريقين والضمير فى قوله كانى به لصاحب الزنج
واسمه على بن محمد علوى النسب والجيش المشار اليهم الزنج وواقعتهم بالبصرة مشهورة واخبارهم وبيان احوالهم وتفصيل واقعتهم يشتمل
عليها كتاب ينفرد فى نحو من عشرين كراسة فليطلب علمها من هناك فاما وصفه ذلك الجيش بالاوصاف المذكورة فلان الزنج لم يكونوا
اهل خيل ولا جندا من قبل حتى يكونوا بالاوصاف المشار اليها واثارتهم التراب باقدامهم كناية عن كونهم حفاة فى الاغلب مشققى الاقدام
فهى من اعتياد الحفاء ومباشرة الارض كالخشن ونحوه فكانت مظنة اثارة التراب عوضا من حوافر الخيل ووجه شبهها باقدام
النعام ان اقدامهم فى الاغلب قصار عراض منتشرة الصدور متفرقات الاصابع فهى من عرضها لا يتبين لها طول فاشبهت اقدام
النعام فى بعض تلك الاوصاف ثم اخبر بالويل لسكك البصرة ودورها المزوقة من اولئك واستعار لدورها لفظ الاجنحة واراد
بها القطانيات التى تعمل من الاخشاب والبوارى بارزة عن السقوف كالوقاية للمشارف والحيطان عن اثار الامطار وهى اشبه
الاشياء فى هيئتها وصورة وضعها باجنحة كبار الطير كالنسور وكذلك استعار لفظ خراطيم الفيلة للميازيب التى تعمل من
الخوص على شكل خرطوم الفيل وتطلى بالقار تكون نحوا من خمسة اذرع او ازيد تدلى من السطوح حفظا للحيطان من اذى السيل
ايضا وهى اشبه الاشياء فى صورتها بخراطيم الفيلة فاما وصفه لهم بانه لا يندب قتيلهم ولا يفتقد غائبهم قال بعض الشارحين ذلك
وصف لهم بشدة الباس والحرص على الحرب بالقتال وانهم لا يبالون بالموت ولا ياسفون على من فقد منهم واقول والاشبه ان ذلك
لكونهم لا اصول لهم ولا اهل لاكثرهم من ام او اخت او غير ذلك ممن عادته ان ينوح ويندب قتيله ويفتقد غائبه لكون اكثرهم غرباء
فى البصرة ممن قتل منهم لا يكون له من يندب ومن غاب لا يكون له من يفتقده وقوله انا كاب الدنيا لوجهها اشارة الى زهده فيها وتنبيه
على فضيلته يقال كببت فلانا لوجهه اذا تركته ولم التفت اليه وقادرها بقدرها اى معامل لها بمقدارها ولما كان مقدارها حقيرا
عنده كان التفاته اليها التفاتا حقيرا حسب ضرورة البقاء فيها وكذلك ناظرها بعينها اى معتبرها بالعين التى ينبغى ان يعتبر بها الدنيا
من كونها غدارة غدارة زايلة حايلة الى غير ذلك من اوصافها وانها من رعة الاخرة وطريق اليها غير مطلوبة لذاتها وبالله التوفيق ومنه
ويومى بها الى وصف الاتراك كانى اريهم قوما كان وجوههم المجان المطرقة يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق
ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشى المجروح على المقتول ويكون المفلت اقل من الماسور فقال له بعض اصحابه لقد اعطيت يا
امير المؤمنين علم الغيب فضحك وقال للرجل وكان كلبيا يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذى علم وانما علم الغيب علم الساعة
وما عدده الله سبحانه بقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الاية فيعلم سبحانه ما فى الارحام من ذكر او انثى وقبيح او جميل
وسخى او بخيل وشقى او سعيد ومن يكون للنار حطبا او فى الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذى لا يعلمه احد الا الله
وما سوى ذلك فعلم علمه الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فعلمنيه ودعا لى بان يعيه صدرى وتضطم عليه جوانحى اقول المجان بالفتح
جمع مجن بكسر الميم وهى الترس والمطرقة بفتح الراء والتخفيف التى تطبق وتخصف كطبقات النعل يقال اطرقت الجلد اذا البست
والسرق بفتح السين والراء شقق الحرير واحدتها سرقة قال ابو عبيد هى البيض منها وهو فارسى معرب اصله سره اى جيد

ومن كلام له عليه السلم

وتنضم جوارحى

كالاستبرق الغليظ في الديباج ويعتقبون الخيل يحتبسونها ويرتبطونها واستحرّ القتل وحرّ اى اشتدّ واعلم انه عليه السلام من
عادته اذا اراد الاخبار عن امر سيكون فانه يصدّره بقوله كانّى كما سبق في اخباره عن الكوفة كانّى بك يا كوفة وكقوله كانّى به وقد نعق   اسناد
بالشام ووجه ذلك ان مشاهدته بعين بصيرته لما افيض على نفسه القدسية من انوار الغيب على سبيل الالهام بواسطة ارشاد المرشد
صلى الله عليه وآله تشبه المشاهدة بعين البصر في الجلاء والظهور الخالى عن الشك فلذلك حسن حرف التشبيه صدرا وضماير الجمع في الفصل
تعود الى الاتراك وشبّه وجوههم بالترس المطبقة ووجه الشبه في تشبيهها بالتروس المطبقة الاستدارة والعظم والانبساط
في كونها مطرقة الخشونة والغلظ وهو تشبيه للمحسوس بالمحسوس واما وصفها لهم بمراعاة لبس السرق والديباج واعتقاب الخيل
فاعتبار احوال الترك تشهد بصدقه واما اخباره عن استحرار القتل الى الغاية المذكورة حين ظهورهم فمما يشهد بصدقه التواريخ   قتيبة
بالوقايع المشهورة بينهم وبين العرب وغيرهم من المسلمين في ايام عبد الله بن زبير في ايام قتيبة بن مسلم ويكفى في صدق ذلك الى الغاية
المذكورة ما شاهدناه من وقايع التتار مع المسلمين وقتلهم اياهم بالعراقين وخراسان وغيرها من البلاد فاما جوابه عليه السلام
للكلبى ان ذلك ليس بعلم غيب وانما هو تعلم من ذى علم وتعديده للمعلومات بعلم الغيب الذى لا يعلمها الا الله سبحانه تحقيق وصدق
وقد نبهنا على الفرق بين علم الغيب والاخبار عن المغيبات في المقدمات لكن ينبغى ان تعلم ان التعلم الحاصل له من قبل الرسول صلى الله عليه وآله
ليس على سبيل ان كل ما القى اليه صور جزئيه ووقايع جزئية بل معناه هو اعداد نفسه القدسية على طول الصحبة من كان طفلا الى ان
توفى الرسول صلى الله عليه وآله لهذه العلوم بالرياضة التامة وتعليم كيفية السلوك واسباب تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة حتى
استعدت نفسه الشريفة للانتقاش بالامور الغيبية وانتقشت فيها الصور الكلية فامكنها الاخبار عنها ويها ولذلك قال ودعا
لى بان يعيه صدرى وتضطم عليه جوانحى اى ينضبط قلبى ويشتمل عليه وكنى بالجوانح عن القلب لاشتمالها عليه ولو كانت تلك العلوم
صورا جزئية لم يحتج الى مثل هذا الدعاء فان فهم الصور الجزئية وضبطها والاخبار عنها ممكن لكل الصحابة من العوام وغيرهم وانما الصعب
المحتاج الى الدعاء بان يعيه الصدر وتستعد الاذهان لقبوله هو القوانين الكلية وكيفية انشعابها وتفصيلها واسباب الامور
المعدة لادراكها حتى اذا استعدت النفس لها امكن ان ينتقش بالصور الجزئية من مفيضها كما سبقت الاشارة اليه وبالله التوفيق   كلام
ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكاييل والموازين عباد الله انكم وما تاملون من هذه الدنيا اثوياء مؤجلون ومدينون مقتضون
اجل منقوص وعمل محفوظ فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر قد اصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا
اقبالا والشيطان في هلاك الناس الا طمعا فهذا اوان قويت عدته وعمت مكيدته وامكنت فريسته اضرب بطرفك حيث شئت
من الناس فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا او غنيا بدل نعمة الله كفرا او بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا او متمردا كان باذنه عن سمع
المواعظ وقرا اين خياركم وصلحاؤكم واين احراركم وسمحاؤكم واين المتورعون في مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم اليس قد ظعنوا
جميعا عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة وهل خلقتم الا في حثالة لا تلتقى بذمهم الشفتان استصغارا لقدرهم وذهابا
عن ذكرهم فانا لله وانا اليه راجعون ظهر الفساد فلا منكر مغير ولا زاجر مزدجر افبهذا تريدون ان تجاوروا الله في دار قدسه
وتكونوا اعز اوليائه عنده هيهات لا يخدع الله عن جنته ولا تنال مرضاته الا بطاعته لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له
والناهين عن المنكر العاملين به اقول اثوياء جمع ثوى على فعيل وهو الضيف والدائب المجد في العمل والكدح العمل والوقر

الصم

٣١٣م

الصم والحثالة الثفل وكانه الردى من كل شئ وقد نبه عليهم عن الدنيا بذكر عدة من معايبها احدها كونهم فيها ضيفانا واستعار لهم لفظ الضيف
وكذلك لما يأملون فيها ووجه الاستعارة مشابهتهم للضيف في تأجيل الاقامة وانقطاع وقته وقرب رحيله وموجلون ترشيح للاستعارة
الثانية كونهم مدينون فيها واستعار لفظ المدين باعتبار وجوب الفرائض المطلوبة منهم وعهد الله المأخوذ عليهم ان يرجعوا اليه طاهرين عن
نجس الملحدين ورشح بذكر المقتضين لما ان شأن المداين ان يقتضي من المدين ثم لما ذكر كونهم موجلين ومدينين كرر ذلك الاجل بوصف
النقصان ولا شك في نقصان ما لا يبقى وذكر الاجل الذى خالصه وصالحه هو الدين المقتضى منهم بوصف كونه محفوظا عليهم ليجذب بنقصان
الاجل الى العمل وبحفظ العمل الى اصلاحه والاخلاص فيه واجل وعمل خبران حذف مبتداهما اى اجلكم اجل منقوص وعملكم عمل محفوظ ونبه بقوله
فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر على ان العمل وان قصد فيه الصلاح ايضا الا انه قد يقع على وجه الغلط فيحصل بذلك انحراف عن الدين وضلال
عن الحق فيضيع العمل ويخسر الكدح كدأب الخوارج ونحوهم ممن دخل تحت قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في
الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وذلك ككدح اهل الكتاب ونحوهم وقوله وقد اصبحتم الى قوله اقبالا شكاية للزمان وذم له وهو كقوله
انا اصبحنا في زمن كنود ودهر عنود وذلك لاخذ الزمان في البعد عن وقت ظهور الشريعة وطراوتها وجرأة الناس على هتك الدين
وارتكاب مناهي الله وكذلك طمع الشيطان في هلاكهم اى في هلاك دينهم الذى يكون غاية هلاكهم في الآخرة واشار الى ان ذلك الوقت
هو اوان قوة عدته وعموم مكيدته وامكان عمله فما ظنك بزماننا هذا وما بعده واستعار لفظ الفريسة لمطاوعى الشيطان والمنفعلين
عنه ووجه الاستعارة بلوغه منهم مراده وتصرفه فيهم لغاية هلاكهم كالاسد مع فريسته وقوله اضرب بطرفك الى قوله وفرا شرح لما اجمله اولا
من ازدياد اقبال الشر وادبار الخير وكفر الغنى تركه واعراضه عن شكر نعم الله سبحانه عليه وقوله بحق الله متعلق بالبخل اى ان البخيل بقصد ببخله
بحق الله على مستحقه توفير المال والزيادة فيه وقوله اين خياركم الى قوله مذاهبهم سؤال من باب تجاهل العارف تنبيها لهم على ما صاروا اليه من
الفناء وفراق الدنيا وعلى انه لم يبق فيهم من اولى الاعمال الصالحة احد لعلهم يرجعون الى لزوم الاعمال الصالحة واراد بالاحرار الكرماء والمتورعون
في مكاسبهم الملازمون للاعمال الجميلة فيها من التقوى والمسامحة واخراج حقوق الله تعالى والمتنزهون في مذاهبهم المتنعون عن ولوج
ابواب المحارم والشبهات في مسالكهم وحركاتهم وقوله اليس الى قوله المنغصة سؤال على سبيل التقرير لما نبههم عليه من فراق الدنيا ودناءتها
بالنسبة الى عظيم ثواب الآخرة وتنغيصها بالآلام ونحوها حتى قال بعض الحكماء ان كل لذة في الدنيا انما هي خلاص من الم وقوله وهل خلفتم
الى قوله ذكرهم سؤال على سبيل التقرير لما ذكر ايضا واستعار لفظ الحثالة لرعاع الناس وهمجهم وقوله لا تلتقي بذمهم الشفتان اى
انهم احقر من ان يشتغل الانسان بذمهم وانتصب استصغارا وذهابا على المفعول له وحسن اقتباس القرآن ههنا لما ان هذه الحال
التي الناس عليها من فقد خيارهم وبقاء شرارهم مصيبة لحقتهم وقد اداب الله للصابرين على نزول المصائب ان يسلموا انفسهم واحوالهم
اليه فيقولوا عندها انا لله وانا اليه راجعون كما قال سبحانه وبشر الصابرين الآية ثم حكم على سبيل التوجع والاسف بظهور الاسف
الفساد وبنفي المنكر المغير للفساد المزدجر عنه تنبيها لهم على انهم وان كان فيهم من ينكر ويزجر الا انه لا يغير ما ينكره ولا يزدجر عن
منه وذلك من قبايح الاعمال والرياء فيها وقوله افبهذا اى باعمالكم هذه المدخولة وبتقصيركم ومجاورة الله الوصول الى المقام معه في جنة
التي هي مقام الطهارة عن نجاسات الهيئات البدنية ومقام تنزيه ذات الله تعالى وطهارتها عن اتخاذ الشركاء والانداد وهو
استفهام على سبيل الانكار ولذلك عقبه بقوله هيهات الى آخره ولما كان ذلك يجري مجرى الزهد الظاهر مع النفاق في الباطن اعني

اعمالهم المدخولة من انكار المنكر وارتكابه بينهم على ان فعلهم كخداع الله عن جنبه وصرح بان الله لا يخدع لعلمه بالسرائر وانه لا تنال مرضاته الا بطاعته اى الطاعة الحقيقية الخالصة دون الظاهرة ثم ختم بلعن الآمرين بالمعروف مع تركهم للعمل به والناهين عن المنكر المرتكبين له لانهم منافقون مغرون بذلك لمن يقتدى بهم والنفاق مستلزم للعن والبعد عن رحمة الله ومن كلام له لابى ذر رضى الله عنه لما اخرج الى الربذة يا اباذر انك غضبت لله فارج من غضبت له ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك فى ايديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه فما احوجهم الى ما منعتهم واغناك عما منعوك وستعلم من الرابح غدا والاكثر حسدا ولو ان السموات والارضين كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا لا يؤنسنك الا الحق ولا يوحشنك الا الباطل فلو قبلت دنياهم لاحبوك ولو قرضت منها لامنوك اقول ابوذر اسمه جندب بن جنادة وهو من بنى غفار قبيلة من كنانة واسلم بمكة ولم يشهد بدرا ولا احدا ولا الخندق لانه حين اسلم رجع الى بلاد قومه فاقام حتى مضت هذه المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يتوالى عليا واهل بيته وهو الذى قال الرسول صلى الله عليه وآله فى حقه ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء على ذى لهجة اصدق من ابى ذر وروى ابن المعمر عنه قال رايت اباذر آخذا بحلقة باب الكعبة وهو يقول انا ابوذر الغفارى من لم يعرفنى فانا جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يقول مثل اهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وكان قد اخرجه عثمان الى الربذة وهى موضع قريب من المدينة واختلف فى سبب اخراجه فروى عن زيد بن وهب انه قال قلت يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها الآية فقال معوية هذه نزلت فى اهل الكتاب قلت بل فينا وفيهم فكتب معوية الى عثمان يشكو منى فى ذلك فكتب الى ان اقدم على فقدمت عليه فانثال الناس على كانهم لم يعرفونى فشكوت ذلك الى عثمان فخيرنى وقال انزل حيث شئت فنزلت الربذة وهذا قول من نزه عثمان عن ظلم ابى ذر رحمه الله ونفيه اذ كان خروجه الى الربذة باختياره وقيل بل كان يغلظ القول فى انكار ما يراه منكرا فى حق عثمان ويقول لم يبق اصحاب محمد على ما عهد وينفر بهذا القول وامثاله عنه فاخرجه لذلك وخطابه عليه السلام لابى ذر اليق بالقول الثانى فقوله انك غضبت لله تنبيه له على ان انكاره لما كان ينكره انما يقصد به وجه الله تعالى وقوله ان القوم خافوك على دنياهم اى على امر الخلافة بالتنفير عنهم وخفتهم على دينك باجتناب موافقتهم واخذ عطائهم على غير السنة وقوله فاترك الى قوله منعوك اى اتركهم ودنياهم وابخ بدينك فما احوجهم الى دينك واغناك عن دنياهم وستعلم من الرابح غدا والاكثر حسدا اى يوم القيمة وظاهر كون تارك الدنيا اربح من المقبل عليها والكثرة الحسد من لواحق الكثرة الربح وقوله ولو ان السموات الى قوله مخرجا بشارة بخلاصه مما هو فيه من ضيق الحال بسبب الاخراج ونزط فى ذلك تقوى الله اشارة الى قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال ابن عباس قرا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيمة وظاهر كون التقوى عند استشعارها سببا قاطعا للطمع المتوقع من الدنيا وقنياتها وهو مستلزم للنجاة من مجاذبة النفس الامارة بالسوء والوقوع فى شبهات الدنيا وهى فى استلزام الخلاص من غمرات الموت وشدائد يوم القيمة اظهر وكنى عليه السلام بالغاية المذكورة وهى رتق السموات والارض على العبد عن غاية الشدة مبالغة ليتبين فضل التقوى ثم امره بالاستيناس بالحق وحده والاستيحاش من الباطل وحده واكد الحصر فى الموضعين بقوله وحده تنفيرا عن ان يستوحش من حق ما فيترك وينفر عنه وان صعب وشق على النفس او يستانس بباطل ما فيفعل او يسكت عليه وان

علیهم صح
فارج
خسرا
من صح

لذلها

لن لها ونبه على علة بغضهم واخافتهم له وهو عدم مشاركتهم في دنياهم والانفراد بالانكار وغلظ القول عليهم وكنى بالقرض من
الدنيا عن الاخذ منها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم ايتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة الشاهدة ابدانهم الغائبة
عنهم عقولهم اظاركم على الحق وانتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الاسد هيهات ان اطلع بكم سرار العدل او اقيم اعوجاج
الحق اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك
ونظهر الاصلاح في بلادك فيامن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك اللهم اني اول من اناب وسمع واجاب
لم يسبقني الا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلوة وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة
المسلمين البخيل فيكون في اموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ قوما
دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الامة اقول اظاركم
اعطفكم ووعوعة الاسد صوته وسرار العدل ما خفي منه والنهمة الحرص على الدنيا وقد ابتدأ بالنفوس بصفة الاختلاف اي اختلاف الاهوا
والقلوب المتشتتة اي المتفرقة في مصالحها وما خلقت لاجله واراد بغيبة عقولهم ذهولها عن رشدها واصابة وجه الحق بانصرافها
عن وجهه الى ما ينبغي وشبه نفارهم بنفور المعزى من صوت الاسد ووجه التشبيه شدة نفارهم عن الحق ثم استبعد اظهاره للعدل
واقامة الدين بمثلهم على ما هم عليه من قلة طاعة ثم عقب ذلك باستشهاد الله سبحانه على ان قصده بمنافسته في امر الخلافة لم يكن في سلطان
ولا الفضل حطام دنيوي ولكن للغاية التي ذكرها من رد معالم الدين وهي الآثار التي يهتدون وكذا سائر ما عدده من المصالح ثم
تلى ذلك الاستشهاد باستشهاده على انه اول من اناب اي رجع الى الله تعالى عما لعله كان يعتقد في حقه ذنبا وسمع اي اطاع الله واجاب اي داعي
الله ثم استثنى سبق الرسول صلى الله عليه وآله الى الدين بالصلوة وذلك امر معلوم من حاله وانه يقول خصمه حين تبع الرسول صلى الله عليه وآله كان طفلا اعتداد
باسلامه وسنذكر ذلك في موضعه من الخطبة المسماة بالقاصعة وغرضه من هذا الاستشهاد مع ما بعده من الاشارة الى الرذائل
التي ينبغي ان يكون الامام منزها عنها تقرير فضيلته ونبه على ان فيه من الفضائل ما يقابل تلك الرذائل بتعديدها ونفيها عن الامام
الوالي لامور المسلمين والاشارة الى وجوه المفاسد اللازمة عنها وتذكيرهم بما علموه من ذلك بقوله وقد علمتم الى آخره اما البخيل فلشدة
حرصه على ما في ايدي الناس من الرعية وقد عرفت ما يستلزمه من نفارهم عنه وعدم انتظام الاحوال به واما الجاهل فلانه بجهله
بقوانين الدين وتدبير امور العالم ضال وضلاله يستلزم ضلال من اقتدى به وذلك ضد مقصود الشارع واما الجافي فلان جفاه يستلزم التنفر
والانقطاع عنه وذلك ضد الالفة والاجتماع المطلوب للشارع واما الحائف من الدول فيخصص بعنايته من يخافه دون غيره وذلك ظلم
لا ينتظم معه نظام العالم واما المرتشي في الحكم فلظلمه وذهابه بالحقوق والوقوف فيها على الحيف دون المقاطع الحقة فترى احدهم
اذا اراد فصل دافع بها طويلا وضعف الحق وعرض بعوضه واشار بالصلح بين الخصمين مع ظهور الحق لاحدهما وكانت غايته من ذلك
تخويف صاحب الحق من فواته ليجنح الى الصلح والرضى ببعض حقه مع انه قد ياخذ منه رشوة ايضا وربما كانت في المقدار كرشوة المبطل منهما
ولهم في ذلك حيل يعرفها من عاناهم والله المستعان على ما يصفون واما المعطل للسنة فلتضييعه قوانين الشريعة واهمالها المستلزم لفساد
النظام في الدنيا والهلاك الدائم في الاخرى وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم نحمده على ما اخذ واعطى وعلى ما ابلى وابتلى الباطن لكل
خفية الحاضر لكل سريرة العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون ونشهد ان لا اله الا الله غيره وان محمدا نجيبه وبعيثه شهادة يوافق

واشهد بكل

در من

در الجائف

فيها السر الاعلان والقلب اللسان قوله الضمير في قوله نحمده يعود الى اسم الله في كلام سابق لم يذكر وقد علم شكر الله تعالى على اخذه وعطائه
وعلى ابلائه بالخير وابتلائه بالشر ونبه بذلك على وجوب شكر الله تعالى في طوري السراء والضراء وحالتي الشدة والرخاء فاما وصفه له
بالباطن والحاضر والعالم فقد سبق شرحه غير مرة ومصداق الوصفين الاولين قوله تعالى يعلم السر واخفى ومصداق الاخرين قوله تعالى يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور وكذلك سبقت الاشارة الى سر الشهادتين وتجيبه وبعيثه منتجبه ومبعوثه فعيل بمعنى مفعول وقوله شهادة يوافق فيها
للآخرة اي شهادة خالصة من النفاق والرياء والله التوفيق منها فانه والله الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما هو الا الموت اسمع
داعيه واعجل حاديه فلا يغرنك سواد الناس من نفسك وقد رايت من كان قبلك ممن جمع المال وحذر الاقلال وامن العواقب طول امل
واستبعاد اجل كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه واخذه من مأمنه محمولا على اعواد المنايا يتعاطى به الرجال الرجال حملا على المناكب
وامساكا بالانامل اما رايتم الذين يأملون بعيدا ويبنون مشيدا ويجمعون كثيرا اصبحت بيوتهم قبورا وما جمعوا بورا وصارت
اموالهم للوارثين وازواجهم لقوم آخرين لا في حسنة يزيدون ولا من سيئة يستعتبون فمن اشعر التقوى قلبه برز مهله وفاز عمله
فاهتبلوا هبلها واعملوا للجنة عملها فان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام بل خلقت لكم مجاز التزودوا منها الاعمال الى دار القرار فكونوا لكم صح
منها على اوفاز وقربوا الظهور للزيال قوله المشيد المعلى والاهتبال في الامر السعي في احكامه وهبلها مصدر مضاف الى ضمير التقوى مؤكد اوفاز
للفعل اي احكموا احكامها والاوفاز جمع وفز وهي العجلة والضمير في قوله فانه اما ان يرجع الى مذكور او الى معنى كلامه وهو التحذير والانذار
وكذلك الذي في قوله وما هو الا الموت يحتمل ان يعود الى المعنى بالتحذير منه والانذار به اي وما الذي احذركم هجومه عليكم الا الموت واسمع
واعجل محلهما النصب على الحال من معنى الاشارة وقوله فلا يغرنك الى قوله وامن العواقب اي فلا يغرنك عن نفسك الامارة بالسوء وسوستها
واستغفالها لك عن ملاحظة الموت برؤية سواد الناس اي كثرتهم اذ كثيرا ما يرى الانسان الميت محمولا فيتداركه من ذلك رقة ورعدة
ثم يعاوده الوسواس الخناس ويامره باعتبار كثرة المشيعين له من الناس وان يجعل نفسه من الاحياء الكثيرين بملاحظة شبابه وصحته
ويامره باعتبار اسباب موت ذلك الميت من القتل وساير الامراض وباعتبار زوال تلك الاسباب في حق نفسه وبالجملة فيبعد باعتباره
عن الموت بكل حيلة فنهى السامعين عن الانخداع للنفس بهذه الخديعة واسند الغرور الى سواد الناس لانه مادته ثم نبههم بقوله وقد
رايت الى قوله يستعتبون على كذب تلك الخديعة مشاهدة والواو في قوله وقد واو الحال ومن في قوله ممن جمع بدل البعض من الكل من قوله
من كان قبلك والمعزانه كما نزل بالك الموت وازعجهم عن اوطانهم فكذلك انتم وقوله طول امل نصب على المفعول له اي فعلوا ذلك لاجل
طول الامل ويحتمل ان يكون مصدرا سد مسد الحال ويحتمل ان يكون ظرفا والعامل امن وقيل هو بدل من قوله من كان قبلك اي
رايت طول امل من كان قبلك وروي بطول امل واعواد المنايا النعوش ويتعاطى به الرجال الرجال اي يسلمه الحاملون له
بعضهم الى بعض والخطاب بالكاف لنوع المخاطب او لشخص على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة وقوله اما رايتم استفهام على
سبيل التقرير وانما كانوا لا يستطيعون زيادة في حسنة ولا استعتابا من سيئة لان محل الاعمال هي الدنيا دون ما بعدها
قوله ممن اشعر التقوى قلبه اي من الزم التقوى حقيقة برزت تودته اي ظهرت عليه آثار الرحمة الالهية في السكينة والوقار والحلم
والاناة عن التسرع الى مطالب الدنيا وعلمت راحته في الآخرة وفاز عمله فيها بالجزاء الاوفى ثم امرهم باحكام التقوى الى ان يتقوا
الله تقوى حقيقة فانها التي يستحق بها الثواب الدايم وان يعملوا للجنة عملها التي يستحق به ثم نبههم على وجوب العمل للجنة بالتصريح

بما لاجله خلقت الدنيا وانها لم تخلق دار اقامة بل طريقا يعبر بها الى الآخرة كما يعبر المسافرون ويتزودون منها الاعمال الصالحة الموصلة
الى الجنة وامرهم ان يكونوا فيها على سرعة في قطع عقباتها وعجلة في الارتحال عنها لان التاني فيها يستلزم الالتفات الى لذاتها والغفلة
عن المقصد الحق واستعار لفظ الظهور وهي الركاب لمطايا الآخرة وهي الاعمال الصالحة وتقريبها للزيال هو العناية بالاعمال المقربة
الى الآخرة المستلزمة للبعد عن الدنيا والاعراض عنها ومفارقتها ومن خطبة له عليه السلم وانقادت له الدنيا والآخرة بازمتها وقذفت
اليه السموات والارضون مقاليدها وسجدت له بالغدو والآصال الاشجار الناضرة وقدحت له من قضبانها النيران
المضيئة وآتت اكلها بكلماته الثمار اليانعة اقول المقاليد المفاتيح جمع مقلد بكسر الميم واليانع من الثمار المدرك وهذا
الفصل يشتمل على تمجيد الله سبحانه واظهار عظمة سلطانه فانقياد الدنيا والآخرة له بازمتها دخولها في ذل الامكان والحاجة اليه
وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها كقوله تعالى له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس ومقاتل المراد مفاتيح السموات والارض
بالرزق والرحمة وقال الليث المقلاد الخزانة ومقاليد السموات والارض خزائنها واقول لفظ القذف مجاز في تسليمها وانقيادها
بزمام الحاجة والامكان الى قدرته مع جميع ما هو سبب وجوده في هذا العالم مما هو رزق ورحمة للخلق وكذلك لفظ المفاتيح على راي
ابن عباس استعارة للاسباب المعدة للارزاق والرحمة وتلك الاسباب كحركات السموات واتصالات بعض الكواكب ببعض وكاستعدادات
الاراضي للنبات وغيره ووجه الاستعارة ان هذه الاسباب باعدادها المواد الارضية يفتح بها خزائن الجود الالهي كما يفتح
الابواب المحسوسة بمفاتيحها وكلها مسلمة الى حكمه وجريانها بمشيته وعلى قول الليث فلفظ الخزائن استعارة في موادها واستعداداتها
ووجه الاستعارة ان تلك المواد والاستعدادات يكون فيها بالقوة والفعل جميع المحدثات من الارزاق وغيرها كما يكون في
الخزائن ما يحتاج اليه وسجود الاشجار الناضرة له بالغدو والآصال خضوعها وذلها تحت قدرته وحاجتها الى جوده ونسب
قدح النيران اليها لما انها السبب المادي وكان القدح حقيقة في فعل السبب الفاعلي القريب وجعل ذلك له تعالى لانه الفاعل الاول وقوله
وآتت الى آخره فاراد بكلماته اوامره واحكام قدرته المعبر عنها بقوله كن واطلاق الكلمات عليها استعارة وجهها نفوذ تلك الاحكام
في المحكومات كنفوذ الاوامر القولية في المامورات واراد باتيان الثمار دخولها طوعا في الوجود المعبر عنه بقوله تعالى فيكون وبالله
التوفيق والعصمة منها وكتاب الله بين اظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه اقول هذا الفصل كانه
في معرض التوبيخ على ترك اوامر الله ومخالفة احكامه ويشبه ان يكون الواو للحال كانه يقول تفعلون كذا وكتاب الله بين اظهركم ناطق
وكونه بين اظهركم كناية عن وجوده بينهم مع ان من شانه ان يستند اليه واستعار لفظ الناطق للكتاب باعتبار ان المكتوب يعبر عن
المقصود كما ان الناطق كذلك ولفظ اللسان وانه لا يعيا ترشيح للاستعارة كنى بها عن بيان الكتاب على مرور الاوقات ويحتمل
ان يريد باللسان نفسه عليه السلم مجازا اذ كان هو لسان الكتاب الذي لا يعيا ولا يقصر عن مقاصده وكذلك استعار لفظ البيت باعتبار
كونه حافظا لحافظيه والعاملين به كما يحفظ البيت اهله واركانه قواعده الكلية التي يبتني عليها نظام العالم من الاوامر والنواهي
والمواعظ والحكم وتلك القواعد لا تهدم في وقت من الاوقات اذ الحكم الكلية صالحة لجميع الاوقات وكونه عزا من باب اطلاق الاسم
اللازم على ملزومه اذ كان حفظه والعمل به مستلزما للعز الدائم الذي لا يعرض له ذل واعوانهم الله وملائكته ورسله واولياؤه
واولئك اعوان لا خوف عليهم ولا انهزام لجمعيتهم عن امره وبالله التوفيق منها ارسله على حين فترة من الرسل وتنازع من الالسن فقفى

به الرسل وختم به الوحي فجاهد في الله المدبرين عنه والعادلين به اقول قفّا به اتبع به من قبله وغرض الفصل الثناء على الرسول صلى الله عليه وآله فقوله
ارسله الى قوله الالسن بيان لبعض امارات النبوة فان منها الزمان المتطاول الذي تندرس فيه الشريعة السابقة والقوانين التي بها
نظام العالم ويحتاج الخلق الى قوانين مجدّدة لنظام احوالهم وحينئذ يجب بعثة رسول وكانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة
وعشرين سنة ومنها تنازع الالسن واختلاف الخلق في الاراء والمذاهب وقلة الاتفاق على قانون شرعي جامع لهم وقوله وقفّى به الرسل كقوله تعالى
وقفّينا من بعده بالرسل وقوله وختم به الوحي كقوله وخاتم النبيين وهذا الختام مستفاد من الشريعة وليس للعقل في الحكم بانقطاع الرسل فيما
بعد مجال بل ذلك من الامور الممكنة عنده والمدبرون عن الله المعرضون عن اتباع اوامره ونواهيه والعادلون به الجاعلون له عديلا وهو الند
والمثل كالمشركين تعالى عما يقولون علوا كبيرا ونسبة المجاهدة الى الله تعالى استعارة ووجهه انه تعالى رمى بمحمد صلى الله عليه وآله المشركين كما يرمي المجاهد
بنفسه واعوانه مجاهدة منها وانما الدنيا منتهى بصر الاعمى لا يبصر مما وراءها شيئا والبصير ينفذها بصره ويعلم ان الدار وراءها
فالبصير منها شاخص والاعمى اليها شاخص والبصير منها متزود والاعمى لها متزود اقول الشاخص الذاهل والمسافر والشاخص ايضا
الذي يرفع بصره الى الشيء ويمده اليه وهذا الفصل مع قلة الفاظه يشتمل على لطائف فالاولى ان الدنيا منتهى بصر الاعمى شيئا واستعار لفظ
الاعمى للجاهل كقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ووجه الاستعارة ان الجاهل لا يدرك بعين بصيرته الحق كما لا يدرك
الاعمى المبصرات واشار بقوله لا يبصر من وراءها شيئا الى جهله باحوال الموت وما بعده من سعادة الاخرة وشقاوتها فان قلت انه
اثبت للاعمى العمى واثبت انه يبصر الدنيا وذلك نوع مناقضة قلت انه لما اراد بالاعمى اعمى البصيرة وهو الجاهل استعارة لم يكن في اثبات البصر
الحسي له ونظر الدنيا له مناقضة ويحتمل ان يريد ببصره ايضا بصيرته بصيرته استعارة وظاهر ان منتهى بصر بصيرة الجاهل التصرف في احوال
الدنيا وكيفية تحصيلها والتمتع بها دون ان يتعدى بصره لما وراءها من احوال الاخرة الثانية قوله والبصير ينفذها بصره استعار لفظ البصير
للعالم ونفوذ بصره كناية عن ادراكه ما وراء الدنيا من احوال الاخرة وعلمه انها دار القرار الثالثة قوله فالبصير منها شاخص اي راحل مسافر قد
جعلها طريقا الى الاخرة والاعمى اليها شاخص اي متطلع اليها بعين بصيرته ووجهه وان كان اعمى عن مصلحته الحقيقية وعن آفاتها وطرقها
المخوفة وفي هذه الكلمة مع التي قبلها من اقسام البديع التجنيس التام والمطابقة بين الاعمى والبصير الرابعة قوله والبصير منها متزود
اي بالتقوى والاعمال الصالحة في سفره الى الله تعالى والاعمى لها متزود اي متخذ للذاتها وقنياتها زادا له في قطعها مدة عمره قد جعل
ذلك هو الزاد الحقيقي والكمال الذي ينبغي له وهي في البديع كالتي قبلها وبالله التوفيق منها واعلموا انه ليس من شيء الا ويكاد صاحبه يشبع
منه ويمله الا الحياة فانه لا يجد في الموت راحة وانما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت وبصر للعين العمياء وسمع
للاذن الصماء وري للظمآن وفيها الغنى كله والسلامة كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به وينطق بعضه
ببعض ويشهد بعضه على بعض لا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله قد اصطلحتم على الغل فيما بينكم ونبت المرعى على دمنكم
وتصافيتم على حب الامال وتعاديتم في كسب الاموال لقد استهام بكم الخبيث وتاه بكم الغرور والله المستعان على نفسي وانفسكم
اقول الدمن آثار الناس وما سودوا والجمع دمنة والغل الغش والحقد وقد استثنى الحياة مما يشبع منه ويمل ثم علل عدم ملال الحياة
بفقدان الراحة في الموت قال بعض الشارحين ان فقدان الراحة مخصوص باهل الشقاوة في الاخرة فاما اولياء الله وعباده
الصالحون فلهم في الموت الراحة الكبرى كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله قال بعضهم بل يحمل على

ظ الراحل

نسـ انه لا يجد في الموت راحة

دمنكم

العموم

العموم مراعاة لظاهر الكلام وذلك من وجهين احدهما ان بالموت يفوت متجر الآخرة وينقطع الاستعداد لكمال اشرف مما حصل عليه الموت
الميت وان كان وليا فلاجرم لايجد الراحة التي تلحقه مما يفوته من ذلك الكمال الثاني ان النفوس البشرية لما لم تكن معاده فما ضروريه
ولم تتمكن ما دامت في هذه الابدان من الاطلاع على ما بعد الموت من سعادة او شقاوة فبالحري ان لا تجد لها راحة بتصورها في
الموت قال وذلك لاينافي الخبر ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله اما على وجه الاول فلان الراحة الحاصلة من الكمال الفايت بالموت لم تحصل
له وان حصل على راحة بحسب طاعته السابقة واما على الثاني فلان المؤمن لا يجد له ما دام في الدنيا راحة في الموت وذلك لاينافي ان يحصل
له الراحة عند لقاء الله كما نقل ان الحسن عليه السلم لما آن سفره الى الآخرة بكى فقال له اخوه الحسين عليه السلم مالي اراك تبكا وتجزع مع يقينك
بانك تقدم حيث تقدم على جدك وابيك فقال نعم يا اخي لا اشك في ذلك الا اني سالك مسلكا لم اسلكه من قبل واقول ان كان مراده
عليه السلم بقوله لا يجد في الموت راحة اي في نفس الموت مع قطع النظر عن غيره من احوال الآخرة فالحق قول من عمم فقدان الراحة في حق
الجميع اذ الموت من حيث هو موت لا راحة فيه لاحد من الناس كافة وان كان مراده فقدان الراحة في الموت وما بعده فالحق التخصيص
باهل الشقاوة الدايمة فان شدة محنة الحيوة ونقصانها متفاوتة بحسب تصور زيادة الراحة في الآخرة ونقصانها وذلك ظاهر
عند اعتبار اهل الدنيا المقبلين عليها بالكلية واهل الآخرة المقبلين عليها بالكلية ومن بينهم من طبقات السالكين وقوله وانما ذلك
اي الامر الذي هو حق بان لا يمل ولا يشبع منه بمنزلة الحكمة اي ما كان بمنزلة الحكمة والحكمة في لسان الشريعة هي العلم النافع في الآخرة
وقد يطلق على ما هو اعم من ذلك ثم ذكر لها اوصافا الاول انها حياة للقلب الميت وقد مر ان القلب في عرف العارفين هي النفس الانسانية
واستعار للحكمة لفظ الحياة ووجه المشابهة كون الحياة بها وجود القلب وبقاؤه كما ان الحكمة بها بقاء الانسان وسعادته
في الدارين وكذلك استعار لفظ الميت للقلب الجاهل باعتبار انه غير مطلع على وجوه مصالحه ومفاسده في الدارين وغير متحرك فيها
لانتفاع او دفع تضرر كالميت الثاني استعار وصف البصر للحكمة ووصف العمياء العين للجاهل ثم يجوز ان يكون لفظ العين ايضا
استعارة في بصيرة الجاهل ويجوز ان يكون المراد حقيقته ووجه الاستعارة الاولى ان بالحكمة يبصر الانسان مقاصده ويهتدي
وجوه مصالحه الدنيوية والاخروية كما يهتدي البصير بعينه وجوه مسالكه ومقاصده ووجه الثانية ان بصيرة الجاهل لا تهتدي
تلك الوجوه كما لا تهتدي العين العمياء الى شيء ووجه الثالثة ان بصر الجاهل تابع لبصيرته فاقدامه واحجامه وتصرفاته المنسوبة
الى حس البصر وغيره تابعة لما يتصوره ولما كانت تلك التصرفات غير نافعة في الاكثر بل قد تكون ضارة لاجرم اشبهت عينه الباصرة
التي وقع بها سوء ذلك التصور العين العمياء فاستعير لها لفظها وكذلك استعار لفظ السمع ولفظ الصماء للاذن ووجه الاستعارات
ما سبق فالمراد بالسمع ادراك البصيرة والاذن يحتمل ان يراد بها البصيرة او الاذن المحسوسة وكذلك استعار لفظ الري للحكمة ولفظ
الظمآن للجاهل ووجه الاولى ان الحكمة تملأ النفس وتجد بها شفاء لها من داء الجهل كما يملأ الماء جوف الظمآن وينقع غلته ويشفى
به من الم الظماء ووجه الثانية ان الجاهل يلحقه الم الجهل ويكون سببا للموتة في الآخرة كما يلحق الظمآن الم الظماء الثالث ان فيها
الغنى كله والسلامة واراد بالغنى غنى النفس عن كل شيء وكمالها بها فان غاية الحكمة الوصول الى الحق سبحانه والغرق في بحار معرفته
وفي ذلك غنى العارفين عن كل شيء واراد بالسلامة سلامة النفوس من عذاب الجهل اذ ثبت في اصول الحكمة انه السبب الاكبر في
الهلاك الاخروي وقوله كتاب الله خبر مبتدأ اما خبر ثان لذلك وما كان بمنزلة الحكمة خبر اول او المبتدأ محذوف تقديره وهو كتاب الله

شبهه

ويحتمل ان يكون عطف بيان لما كان بمنزلة الحكمة وذكر له اوصافا الاول قوله بها تبصرون به اشارة الى اشتمال الكتاب على الحكمة وخير
بها فان به ابصار الجاهلين لمقاصدهم الدنيوية والاخروية لما فيه من الحكمة الثاني وكذلك ينطقون به الثالث ويسمعون به الرابع قوله ينطق
بعضه ببعض اى يفسر بعضه ببعض كالمبين المفسر للمجمل والمقيد المبين للمطلق والمخصص المبين للعام الخامس ويشهد بعضه على بعض
اى يستشهد ببعضه على ان المراد بعض اخر وهو قريب مما قبله السادس قوله ولا يختلف في الله اى لما كان مدار الكتاب على بيان القواعد
الكلية التي بها يكون صلاح نوع الانسان في معاده ومعاشه وكانت غاية ذلك الجذب الى الله سبحانه والوصول الى الحق سبحانه والوصول
الى جواره لم يكن فيه لفظ يختلف في الدلالة على هذه المقاصد بل كله متطابق الالفاظ على مقصود واحد وهو الوصول الى الحق سبحانه
الطاهرة عن نجاسات هذه الدار وان تعددت الاسباب الموصلة الى ذلك المقصود السابع قوله ولا يخالف بصاحبه عن الله اى لا يجوز
بالمهتدين بانواره في سلوك سبيل الله عن الغاية الحقيقية وهو الله سبحانه وقوله قد اصطلحتم الى اخره توبيخ للسامع على ارتكاب رذايل
الاخلاق واستعار لفظ الاصطلاح لسكوتهم عن انكار بعضهم على بعض ما يصدر عنه من المنكر كالغش والحقد والحسد واشتراكهم في تلك
الرذايل وقوله ونبت المرعى على دمنكم يضرب به مثلا للمتصالحين في الظاهر مع غل القلوب فيما بينهم ووجه مطابقة المثل ان ذلك الصلح
سريع الزوال لا اصل له كما يسرع جفاف النبات في الدمن وقوله تصافيتم على حب الامال اشارة الى وجه الصلح الذى ذكره ولذلك
اسقط حرف العطف فصار وقوله تعاديتم في كسب الاموال اشارة الى وجه الغل الذى اشار اليه اما الاول فلان الجامع للناس في الظاهر
هو ما يؤمل كل من صاحبه من الانتفاع به او دفع شره فيما هو بصدده من المامولات الدنيوية وان انطوى له على غل كما هو المتعارف
في زماننا واما الثاني فلان الاحقاد والعداوات اغلب ما يكون على مجاذبة اموال الدنيا وقنياتها وقوله لقد استهام بكم الخبيث
اى اشتد عشقه لكم ولازمكم واراد بالخبيث ابليس وذلك تنبيه على ما يظهر عنهم من اثار وسوسته وملازمتهم لما ينهون عنه وكذلك
قوله وتاه بكم الغرور اى استغفلكم فتحيرتم في استغفاله لكم عن سواء سبيل الله والغرور هو الشيطان كما قال تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور
ثم ختم باستعانة الله تعالى له ولهم على النفوس الامارة بالسوء اما في حقه عليه السلام فلدوامها مقهورة لعقله واما في حقهم فعلى قهرها الله صح
ومنعها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر في الخروج الى غزو الروم بنفسه وقد توكل لاهل هذا الدين باعزاز لا ينتصرون صح
الحوزة وستر العورة والذى نصرهم وهم قليل ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون حى لا يموت انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك فتلقهم ردء
بشخصك فتنكب ولا تكن للمسلمين كانفة دون اقصى بلادهم ليس بعدك مرجع يرجعون اليه فابعث اليهم رجلا محربا مرجع
واحفز معه اهل البلاء والنصيحة فان اظهر الله فذاك ما تحب وان تكن الاخرى كنت ردا للناس ومثابة للمسلمين
اقول ذلك حين خرج قيصر الروم في جماهير اهلها الى المسلمين وانزوى خالد بن الوليد فلازم بيته وصعب الامر على ابى عبيدة بن الجراح وشرحبيل ابى صح
بن حسنة وغيرهما من امراء سرايا الاسلام وحوزة كل شىء بيضته وجمعيته وكنفه حفظه وواه والمحرب بكسر الميم الرجل صاحب
حروب وحفزه كذا اى دفعه وحفزه ضمه اى غيره واظهره الله على فلان نصره عليه والرداء العون والمثابة المرجع وقوله وقد توكل
الله الى قوله لا يموت صدر لهذه النصيحة والراى نبه فيه على وجوب التوكل على الله والاستناد اليه في هذا الامر وخلاصتها انه ضمن
اقامة هذا الدين واعزاز حوزة اهله وكنى بالعورة في هتك الستر في النساء ويحتمل ان يكون استعارة لما يظهر عليهم من الذل
والقهر لو اصيبوا فالضمن سبحانه ذلك باضافة النصر عليهم وهذا الحكم في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات

ليستخلفنهم

ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وقوله والذي نصرهم الى اخر الفصل احتجاج في هذه الخطابة يشبه ان يكون تمثيلا وتلخيصه ان الذي نصرهم حال قلتهم حي لا يموت فهو ينصرهم حال كثرتهم فاصل التمثيل هو حال قلتهم وفرعه حال كثرتهم وحكمه النصر وعلة ذلك الحكم هو حياته الباقية التي لا يعاقبها موت وقوله انك متى تسر الى اخره نفس الراى وخلاصة المشورة بعدم خروجه بنفسه ووجه هذا الراى تجويز النكبة والانهزام عند ملاقاة العدو مع انه يومئذ ظهر للمسلمين الذين يلجؤون اليه فلو انكسر لم تبق لهم كانفة يحوطهم ولا جمع يستندون اليه ثم باخراج من يقوم مقامه من اهل النجدة ممن عرف بكثرة الوقايع والحروب فيكون على بصيرة في امر الحرب وان يضم اليه اهل البلاء اى المختبرون في النصيحة والمجربون في الوقايع ثم استنتج من هذا الراى انه ان نصر الله المسلمين فذاك الذي تحب وان تكن الاخرى اى الانكسار وعدم الانتصار كان للمسلمين ظهر يستندون اليه ومامن ياوون اليه

ومن كلام له عليه السلم

وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الاخنس لعثمان انا اكفيكه فقال امير المؤمنين عليه السلم للمغيرة يا ابن اللعين الابتر والشجرة التي لا اصل لها ولا فرع انت تكفيني فوالله ما اعز الله من انت ناصره ولا قام من انت منهضه اخرج عنا ابعد الله نواك ثم ابلغ جهدك فلا ابقى الله عليك ان ابقيت اقول هذه المشاجرة كانت في زمن ثوران الفتنة على عثمان في خلافته وكان الناس يستفزونه عليه السلم اليه والابتر كل امر انقطع من الخير اثره والنوى القصد الذي ينويه المسافر من قرب او بعد والنوى لغة في النأي وهو البعد وقد ذم المغيرة بسقوط الاصل ولعنه واستعار لنسبه لفظ الشجرة وكنى بنفي اصلها وفرعها عن سقوط منته ودناءته وحقارته في الناس ثم استفهم عما ادعى عليه من الكفاية له استفهاما على سبيل الانكار والاحتقار له واقسم ان الله لا يعز من هو ناصره وانما يعز الله من نصره اولياء الله واهل عنايته ومن لم يعزه الله لم يقم من نهضه كقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ثم دعا عليه بابعاد الله مقصده وقوله ابلغ جهدك اي في الاذى فلا ابقى الله عليك ان ابقيت اى لا رعاك ولا رحمك ان راعيتني يقال ابقيت على فلان اذا رعيته ورحمته

ومن كلام له عليه السلم

لم تكن بيعتكم اياى فلتة وليس امري وامركم واحدا انى اريدكم لله وانتم تريدونني لانفسكم ايها الناس اعينوني على انفسكم وايم الله لانصفن المظلوم ولاقودن الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق وان كان كارها اقول الفلتة الامر يقع بلا تدبر ولا روية والخزامة حلقة من شعر تجعل في انف البعير ومفهوم قوله لم تكن بيعتكم اياى فلتة انها كانت عن تدبر واجتماع راى منكم لم يكن لاحدكم بعدها ان يخالف او يلوم عليها وفيه تعريض ببيعة ابي بكر فلتة وقى الله شرها وقوله ليس امري وامركم واحدا اشارة الى الاختلاف بين حركاته ومقاصده ومقاصدهم ثم بين الفرق بقوله انى اريدكم لله اى انما اريد طاعتكم لاقامة دين الله واقامة حدوده وانتم تريدونني لانفسكم اى لحظوظ انفسكم من العطاء والتقريب وساير منافع الدنيا ثم لما وبخهم بذلك ايدهم وطلب منهم الاعانة على انفسهم اى بالطاعة وامتثال اوامره فاقسم لينصفن المظلوم وليقودن الظالم بخزامته واستعار وصف القود في تذليل الظالم واذعانه للحق ورشح بذكر الخزامة وكذلك استعار لفظ المنهل للحق ووجه الاستعارة كونه موردا يشتفى به الم المظلوم كما يشتفى الم العطشان وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم

في معنى طلحة والزبير والله ما انكروا على منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم نصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وان اول عدلهم للحكم على انفسهم وان معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس على وانها للفئة الباغية فيها الحماة والحمة والشبهة

المغدفة وان الامر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون بعده في حسي **اقول** النصف النصفة والطلبة بكسر اللام المطلوب والحماة الطين الاسود المنتن كما قال تعالى من حمإ مسنون ويروى الحما بالالف مقصورة والحمة بضم الحاء وتخفيف الميم وفتحها سم العقرب والمغدفة بالدال والفاء المظلمة يقال اغدف الليل اذا اشتد ظلامه وروى المغدفة بفتح الدال اى الخفية واصله ان المراة تغدف وجهها بالقناع وزاح الباطل انحرف ونصابه اصله ومقره ولافرطن لاملان والشغب بالتسكين المشاغبة وتهييج الشر والماتح بنقطتين من فوق المستقي وبنقطتين من تحت الذى يملاء الدلو في البير والعب الشرب والحسي بكسر الحاء وسكون السين الماء الذى يشربه الرمل فينتهي الى ارض صلبة تحفظه ثم يحفر عنه فيستخرج واعلم ان قوله والله الى قوله ولا لبس على قد تقدم تفسيره في قوله الا وان الشيطان قد ذمر حزبه وفي فصل قبله برواية اخرى فلا حاجة الى اعادته واما قوله وانها للفئة الباغية فكانه فيها الحماة والحمة فقال بعض الشارحين في تعريف الفئة بالالف واللام تنبيه على انه كان عنده علم من الرسول صلى الله عليه وآله انه ستبغي عليه فئة من غير تعيين لها فلما خرجت هذه الفئة علم انها ما راتها وقد سبق ايضا تفسير الحما والحمة على بعض الروايات واما على هذه الرواية فاستعارة للغل والفساد الذى كان في صدور هذه الفئة ووجه الاستعارة استلزامه لتكدير الاسلام واثارة الفتنة بين المسلمين كما تكدر الحماة الماء وتخبثه او استلزامه للاذى والقتل كما يستلزم سم العقرب واشار بالشبهة المغدفة الى شبهتهم في الطلب بدم عثمان واستعار لها وصف الظلمة لعدم اهتداء اكثر الخلق فيها كما لا يهتدى في الليل المظلم وقوله وان الامر لواضح الى قوله شغبه نفي لتلك الشبهة عن نفسه وكناية وان الحق واضح في حاله لا اصل للباطل فيه وكان لسان يشغب به ولفظ اللسان استعارة والشغب ترشيح لها وباقي الفصل قد تقدم تفسيره ايضا في الفصل المذكور **منها** فاقبلتم الى اقبال العوذ المطافيل على اولادها تقولون البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجذبتموها اللهم انهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي والبا الناس علي فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما ابرما وارهما المساءة فيما املا وعملا ولقد استثبتهما قبل القتال واستانيت بهما امام الوقاع فغمطا النعمة وردا العافية **اقول** العوذ جمع عوذة وهي الناقة المسنة والمطافيل جمع مطفل بضم الميم وهي قريبة العهد بالنتاج والتاليب التحريض وابرمت الامر احكمته واستثبتهما بالثاء المعجمة بثلث نقط طلبت رجوعهما ويروى بالتاء من التوبة واستانيت تنظرت وهذا الفصل احتجاج على طلحة والزبير ومن تابعهما على نكث بيعته فقوله فاقبلتم الى قوله فجاذبتموها يجري مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الاول وتلخيصها انكم اجتمعتم على في طلب البيعة حتى بايعتكم واخذت عهودكم وتقدير الكبرى وكل من اجتهدتم اجتهادكم الى تلك الغاية فيجب عليه الوفاء بعهده والصغرى مسلمة منهم وبرهان الكبرى الكتاب يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الاية وقد شبه اقبالهم عليه طالبين للبيعة باقبال المسنات النوق على اطفالها ووجه التشبيه شدة الاقبال والحرص على متابعته وخص المسنات لانها اقوى حنة على اولادها ونصب البيعة على الاغراء وفايدة التكرير في الاغراء تاكيد الامر الدال على شدة الاهتمام بالمامور به وقال بعض الشارحين فايدة التكرار دلالة المنصوب الاول على تخصيص الامر الاول بالحال ودلالة الثاني على تخصيص الامر الثاني بالمستقبل اى خذ البيعة في الحال وخذها للاستقبال قال وكذلك قوله الله الله اى اتقوا الله في الحال واتقوه في الاستقبال واقول ان ذلك غير مستفاد من اللفظ باحدى الدلالات وقوله اللهم الى قوله على شكاية الى الله منهما في امور ثلثة قطع رحمه وظلمهما له بمطالبتهما له بغير حق لهما عنده ثم نكث بيعته ثم جمع الناس عليه وقتاله وقوله فاحلل

دعا عليهما بامور ثلثة ان تحل ما عقدا من العزوم الفاسدة التي فيها هلاك المسلمين وان لا يحكم ما ابرماه من الاراء في حربه
وان يريهما المساءة في آمالهما واعمالهما اي عكس اغراضهما فيهما واستجابة دعائه ظاهرة بقتلهما وقوله ولقد استثبتهما الى قوله الوقاع ظاهر
لعذره مع الناكثين في حقهما قبل وقاع الحرب بتانيه في حقهما واستعطافه لهما في الرجوع الى الحق واستتابته لهما من ذنبهما في نكث البيعة
وقوله فغمطا الى آخره بيان لحرمانهما الجواب مع اعذاره اليهم وهو مقابلتهم نعمة الله اي قسمها من الفيء بالاحتقار لها والنظر بها عليهما
اذ كان احد الاسباب الباعثة لهما على ما فعلاه هو التسوية بينهم وبين غيرهم في العطاء وكذلك مقابلتهم للسلامة والعافية من بلاء الحرب
والشقاق وهلاك الدين والنفس في عاقبة فعلهما برده لها والاصرار على الحرب والمنابذة من غير نظر في عاقبة امرهما وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الملاحم يعطف الهوى على الهدى اذا عطفوا الهدى على الهوى ويعطف الراى على القرآن اذا عطفوا القرآن
على الراى اقول الاشارة في هذا الفصل الى وصف الامام المنتظر في آخر الزمان الموعود به في الخبر والاثر فقوله يعطف الهوى على الهدى اي يرد
النفوس الجائرة عن سبيل الله المتبعة لظلمات اهوائها عن طرقها الفاسدة ومذاهبها المختلفة الى سلوك سبيله واتباع انوار هداه وذلك
اذا ارتدت النفوس عن اتباع انوار هدى الله في سبيله الواضح الى اتباع اهوائها في آخر الزمان وحين ضعف الشريعة وزعمت ان الحق
والهدى هو ذلك وكذلك قوله ويعطف الراى على القرآن اذا عطفوا القرآن على الراى اي يرد كل راى رآه غيره الى القرآن فيحملهم على ما
وافقه منها دون ما خالفه وذلك اذا اوّل الناس القرآن وحملوه على آرائهم وردوه الى اهوائهم كما عليه اهل المذاهب المتفرقة من فرق
الاسلام كل على ما خيل اليه وكل يزعم ان الحق الذي يشهد به القرآن هو ما رآه وانه لا حق وراء سواه وبالله التوفيق منها حتى
تقوم الحرب بكم على ساق باديا نواجذها مملوة اخلافها حلوا رضاعها علقما عاقبتها الا وفي غد وسياتي غد بما لا تعرفون
ياخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوي اعمالها وتخرج الارض افاليذ كبدها وتلقي اليه سلما مقاليدها فيريكم كيف يكون عدل
السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة اقول اخلاف الناقة حلمات ضرعها وافاليذ جمع الجمع لفلذة وهي القطعة من الكبد جمعها افلذ
فقوله حتى تقوم الحرب بكم على ساق الى قوله عاقبتها كانه غاية لتخاذلهم عن طاعته في امر الحرب ولقاء العدو كانه يقول انكم لا تزالون متخاذلين
متقاعدين حتى يشتد العدو وتقوم بكم الحرب على ساق وقيامها على الساق كناية عن بلوغها الغاية في الشدة وبدو نواجذها
كناية عما يستلزمه من الشدة والاذى وهو من اوصاف الاسد عند غضبه كانه حاول ان يستعير لها لفظ الاسد فاتى بوصفه وقال
بعض الشارحين بدو النواجذ في الضحك اي تبلغ بكم الحرب الغاية كما ان غاية الضحك ان تبدو النواجذ وهي اقصى الاضراس فكني
بذلك عن اقبالها قلت هذا وان كان محتملا الا ان الحرب مظنة اقبال الغضب لا اقبال الضحك فكان الاول انسب وكذلك قوله مملوة اخلافها
استعارة لوصف الناقة لحال استعداد الحرب واستكمال قاعدتها ورجالها كاستكمال ضرع الناقة اللبن وقوله حلوا رضاعها
استعارة لوصف المرضع لها وكنى بحلاوة رضاعها عن اقبال اهل النجدة في اول الحرب عليها فكل منهم يحب ان يناجز قرنه ويستحلي مغالبته
كما يستحلي الراضع لبن امه وكذلك استعار العلقم لعاقبتها ووجه الاستعارة المشابهة بين المرارتين الحسية والعقلية
والمنصوبات الاربعة باديا ومملوة وحلوا وعلقما احوال والمرفوعات بعد كل منها فاعله وانما رفع عاقبتها عن علقما مع انه اسم صريح
لقيامه مقام اسم الفاعل كانه قال مريرة عاقبتها وقوله الا وفي غد اخبار عن بعض الامور التي ستكون وقوله وسياتي غد بما لا
تعرفون المراد به تعظيم شان الموعود بمجيئه وبيان لفضيلة عليه السلام بعلم ما جهلوه وهو جملة اعتراضية كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم

ك ذكر الملاحم يومي فيها الى

نلك صح

لين

فيها

وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم فقوله وانه لقسم لو تعلمون اعتراض وقوله يا خذ الوالي من غيرها عمالها يشبه ان يكون قد
سبقه ذكر طايفة من الناس ذات ملك وامرة فاخبر عليه السلم ان الوالي من غير تلك الطايفة ويومي به الى الامام المنتظر يا خذ عمالها
على مساوي اعمالها اي يواخذهم بذنوبهم وقوله وتخرج له الارض افاليذ كبدها استعار لفظ الكبد لما في الارض من الكنوز والخزاين
ووجه المشابهة الكنوز للكبد في العزة والخفا ورشح بذكر الافاليذ وقد ورد ذلك في الخبر المرفوع ومن لفظه وقادت له الارض افلاذ
كبدها وفسر بعضهم قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها بذلك فاما كيفية ذلك الاخراج فقال بعض المحققين هو اشارة الى ان جميع
ملوك الارض تسلم اليه مقاليدها ممالكها طوعا وكرها ويحمل اليه الكنوز والذخاير واسند الاخراج الى الارض مجاز الان المخرج
اهلها واستبعدوا ان يكون الارض بنفسها هي المخرجة لكنوزها ولا اهل الظاهر ان يقول ان المخرج هو يكون هو الله تعالى ويكون
ذلك من معجزات الامام ولا مانع منه وقوله ويلقي اليه سلما مقاليدها اسند ايضا لفظ الالقاء الى الارض مجاز الان الملقى للمقاليد
مسالما هو اهل الارض وكنى بذلك عن طاعتهم وانقيادهم اجمعين لاوامره وتحت حكمه وسلما مصدر سد مسد الحال ثم اخبر انه
يريهم عدل سيرته وانه يحيى ميت الكتاب والسنة ولفظ الميت استعارة لما ترك منهما فانقطع اثره والانتفاع به
كما ينقطع اثر الميت فان قلت قوله ويريكم يدل على ان المخاطبين يدركون المخبر عنه ويرون عدله مع انكم قلتم انه يكون في اخر
الزمان فكيف وجه ذلك قلت خطاب الحاضرين من الامة كالعام لكل الامة وذلك كسائر خطابات القران الكريم مع الموجودين في
عصر الرسول فانه يتناول الموجودين الى يوم القيمة ويخرج المخاطبون بدليل العادة اذ من عادته ان لا تمتد اعمارهم الى وقت ظهوره فيبقى ثم صح
الموجودون في زمانه وبالله التوفيق منها كاني به قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان فعطف عليها عطف الضروس
وفرش الارض بالرؤوس قد فغرت فاغرته وثقلت في الارض وطاته بعيد الجولة عظيم الصولة والله ليشردنكم في اطراف الارض
حتى لا يبقى منكم الا قليل كالكحل في العين فلا تزالون كذلك حتى تؤوب الى العرب عوازب احلامها فالزموا السنن القائمة بدل اخلاقها
والاثار البينة والعهد القريب الذي عليه باقي النبوة واعلموا ان الشيطان انما يسني لكم طرقه لتتبعوا عقبه اقول نعق
الغراب ونعق الراعي بغنمه بالعين والغين صاح وفحص المطر التراب قلبه والفحص البحث وكوفان اسم للكوفة وضواحيها نواحيها
البارزة والضروس الناقة سيئة الخلق تعض حالبها وفغرت فاغرته انفتح فوه واكد الفعل بذكر الفاعل من لفظه ويسنى يسهل
والعقب بكسر القاف مؤخر القدم وقد اخبر في هذا الفصل انه سيظهر رجل بهذه الصفات قال بعض الشارحين هو عبد الملك بن مروان
وذلك لانه ظهر بالشام حين جعله ابوه الخليفة من بعده وسار لقتال مصعب بن الزبير الى الكوفة بعد ان قتل مصعب المختار بن
ابي عبيدة الثقفي فالتقوا بارض مسكن بكسر الكاف من نواحي الكوفة ثم قتل مصعبا ودخل الكوفة فبايعه اهلها وبعث الحجاج
بن يوسف الى عبد الله بن الزبير بمكة فقتله وهدم الكعبة وذلك سنة ثلث وسبعين من الهجرة وقتل خلقا عظيما من العرب في الوقايع
عبد الرحمن بن الاشعث ورمى الناس بالحجاج بن يوسف وفي الفصل لطايف الاولى اطلق لفظ النعيق لظهور امره ودعوته
بالشام مجازا وكذلك استعار لفظ الفحص لقلبه اهل الكوفة بعضهم على بعض ونقضه لحالاتهم التي كانوا عليها ثم شبه عطفه وحمله
عليها بعطف الناقة الضروس ووجه التشبيه شدة الغضب والحنق والاذى الحاصل منهما الثانية فرشه للارض بالرؤوس كناية عن
كثرة قتله فيها وذلك مما يشهد به التواريخ وفغر فيه استعارة لبعض اوصاف السبع الضاري كنى به عن شدة اقدامه على القتل واقباله